



المريض

6033  
SIA



## المدخل

ان الناحية المأهولة منذ القدم في سورية . هي الاسياف البحرية الكائنة بين خليج اسكندرون ، وارض مصر البحرية التي ينتهى بها حد البحر المتوسط . وهي منطقة ضيقة ، مملوءة بالعوارض الطبيعية وقد رسمت يد الطبيعة حدودها الشمال والشرقية بصورة بارزة . وترسم هذه الحدود خطاً طبعياً في الجهة الشرقية من ضواحي حلب ، يتبدأ من وادى القرات النربي ، ويمتد الى الجهة الجنوبية حيث تقاطعه الصحرا بشواظها ، ورمالها وصخورها الصلدة . وسلسلة الجبل شرق بحيرة لوط تتعالى ، ثم لا تلبث ان تتدرج بالانخفاض حتى تنساب في الجهة الجنوبية الى سهول رمنية ، وتنتهى على سواحل بحر الاحمر في زاوية تفرق بين بحر اسويس وخليج العقبة .

لا يقوتنا ان البلاد السورية الممتدة من (المادغ — *Amazis*) الى سيناء على طول يقرب من الف كيلومتر ، وعرض مائة وخمسين ؛ تنقسم الى بضع مناطق من حيث العوارض الطبيعية والاقليم والتاريخي . فتوجد في الشمال ضواحي العاصي ، وفي الوسط وادى الشريعة ، وفي الجنوب شبه جزيرة سيناء . وان هذه البلاد الطويلة الضيقة لم يأهلها السكان على نسبة واحدة في كل مناطقها ، ولا في كل ناحية من تلك المناطق . حتى ان سكانها يفتقرون منذ القدم باعتبار الامزجة والمعتقد الى اقسام متعددة . وقد احتفظ سكان سورية بكيانهم في الازمنة الغابرة لما كانت بلادهم مصنوعة من التحكم الاجنبي ، اما في حكم ما اسسوه من دول متفرقة واما في حكم دول مجتمعة .

اما سكان السواحل الذين هم اقل نفراً من سكان الداخل فقد قعدهم العجز عن رد غارة الفاتحين الذين اكتسحوا بلادهم طمعاً في ثروتها الطبيعية ، فخرسوا استقلالهم ، وخضعوا للسلطة الأجنبية ، وكانوا استرعى قوانينها .

ان الدون اللاتي تأسست في ضواحي دجلة والفرات ، وفي انحاء بلاد العجم ، وفي مصر السفلى ، واليونانيين ، والرومان لم يهملوا امر سورية لما اسسوا بديان سلطتهم وعظمتهم في المشرق والمغرب . ولذلك يمكننا ان نقول بان وحدة الادارة في هذه البلاد لم تكن الا من قبل الاجانب .

اما شبه جزيرة سيناء ؛ تلك السهل الرملية المحرومة من الحياة لفقدان المياه لم تحرك احد من الفاتحين ، بارضا القاحلة الجرداء ، وضخوزها الصماء .

ومن المبعث ايضاً ان ننمذد المياه في الصحرا الفاصلة بين خليج البصرة ووادى الشريعة والعاصي ، ولها المنصب كانت بادية الشام على حظ يسير من كثافة النفوس لا يكاد يذكر .

من المعلوم ان الانسان منذ خلقته ينتقى الانحاء الحسبة الريانة ويرجعها على سواها ، ويؤسس فيها الامصار والقصبات . وقد نشأت البلاد السورية تبعاً لهذا القانون . فسورية على اعظم درجة من الاهمية لانها نقطة ارتباط مصر السفلى ، بسهل العراق الحسبة ، وهي من اصلح البلاد في المناسبات البحرية لكثرة خلجانها ووفرة مرافئها .

انتهاز الفنيقيون فرصة استعداد بلادهم بما هي عليه من الجدارة الحلية ، والمواهب الطبيعية ، وسلكوا سبيل الملاحة منذ ابتداء القرون التاريخية ؛ ولم تكن الزراعة مهمة في ذلك الزمن على ما يظن ؛ بل ان البحث عن الآثار القديمة الان اظهر اتقاض طواحين ، ومخازن ، ومجارى مياه محفورة في الصخور ، مما يدل على ان القوم اشتغلوا في الزراعة . ويحتمل انه لم يكن لسوا ل سورية في ازمئة القديمة مرافئ مصونة من تأثير الانواء . صالحة للتجارة البحرية . ولذلك فقد شعر الفنيقيون بضرورة تأسيس مرافئ امينة على بعض نقاط ذلك الساحل الذى ما زال هدفاً للارياح العاصفة والامواج المتلاطمة . واليوم نشاهد في كثير من مرافئ الموجودة ، بعض سدود للامواج من آثار اولئك لقوم العالمين .

ان الفنيقيين الذين عملوا على عمار الساحل باصلاح بعض المرافئ الموجودة فيه ، او بانشاء مرافئ جديدة اسسوا ميناءً آرادوس ، تريپوليس ، بريت ، سيدون على هضاب مرتفعة ، حيث لم تكن المسافة بين كل منها اكثر من يوم واحد ، بصورة اوجدت للملاحين حين تقام الانواء ملاجئ عن اليمين وعن الشمال . وقد بالغ الفنيقيون في العمل لانهم على غالب الظن عالجوا الانهر الكبيرة التى تصب في البحر الابيض وجعلوها صالحة لسير السفن .

ان هذه الموانئ والمرافئ التى اُسست منذ اكثر من ثلاثة آلاف سنة لم تزل للان قابضة على زمام التجارة السورية بالرغم عن غارات الفاتحين ، وهجمات الجيوش الضخمة ، والحروب الاهلية . ومن نجا منها من الحن والتكبات . واز الزلازل الصاعدة اتي ما زال . تستهدف هذه الاقطار في بعض الاحيان . لم تستطع تنويض تلك الآثا القديمة . وهذا البرهان الجسمي . ل على نقوذ نظر القوم ، واصابة آرائهم في تأسيس البلاد .

ابتدأ الفنيقيون من اللقيف ، فكانوا يكسبون معاشهم ببيع محاصيلهم الزراعية ، ولكن لما لبثوا ان توسعوا بالعمل فدوا ايديهم الى محصولات العراق ولم يهملوا البلاد المصرية التى هي بلاد بحرية . واصبح يتداول الزمان ما هو سورية يتجولون في جميع الانحاء ، ولم تعذب عن دنائس التجارة بلاد ككتر وپرويا ، واقرقاس ، وخط الاستواء لاسيما وان لامتعة المراقبة كانت مضطرة لسرور من طريق سورية لتصل الى مصر . تجار بلاد مصر المحرومة من الغابات الاحراج ، مضطرون الى تسليم بضاعتهم الى الملاحين

الفينيقيين . . وبما ان الالواح التي تصنع من شجر الارز اللبناني هي على اتم ما يرام من المتانة ، واصليح ما يكون لانشاء المراكب ، كان اولئك الملاحون يستثمرون هذه الهبة الطبيعية على غاية الاعتناء والدقة .

كان الفينيقيون الذين هم نماسة الشرق الادنى كاتمين سر حرفتهم لا يذيعونه . لاسيما تجاه رقبائهم اليونانيين . فما من احد يعلم الى اين يذهب هؤلاء البحارة الذين يشقون عباب الامواج ، ويخوضون غمار البحار ومن اى البلاد يجلبون هذه المعادن وتلك الذخائر النفيسة ؟

ما لبث الزمن الا ونبه الاقوام المجاورة ، وخلق الرقباء للفينيقيين ارباب الملايين . فتناول اليونانيون ثم القرطاجيون على التجارة البحرية ، واحرزوا قسماً منها . فذاع السر المكتوم ، وشرع باقى الاقوام باستعمال تلك الوسائط التي كانت الحجر الاساسى فى بقاء المدينة . حتى ان اليهود لم يملكوا انفسهم دون الانخراط فى هذا السلك رغماً عما هم عليه من بساطة العيش والحياة الابتدائية لتجذبهم مخالطة الناس ، ذلك لانهم مشغوفون باستقلالهم القومى ، وهم يعتقدون ان الله خلقهم اعلى واعز من جميع الناس . نعم علم تلامذة الفينيقيين تبعاً ان للانسان وظائف دنيوية كوظائفه الدينية ، واصبحوا اليوم وفى قبضتهم ازمة تجارة العالم على الاطلاق .

وقصارى القول ان سورية — رغماً عن كثرة المعارضين — هى فى الدرجة الاولى بين الاصقاع التى عمت على اثاره الادمغة البشرية . ولا يستطيع احد ان ينكر ما لهذه البلاد التى احتوت على القدس والشام من الشأن العظيم ، فى تاريخ البشرية .

ما زال المتدينون من النصارى موجهين افكارهم الى جبل (غولنوتا — *golgotha*) يشغلون ادمقتهم الحمرة بالاعتقادات العويصة بقضية تلك البقعة المباركة التى تعذب فيها آلههم الجليل ، وكل البلاد التى قطتها اسباط بنى اسرائيل هى ارض مقدسة لديهم . ولذلك الناصرة ، وبيت لحم ، وطبريا وجبل العابور وبيت يعقوب وجبل الزيتون وغيرهم من المحال المقدسة هى على جانب عظيم من المسكنة فى نظر النصارى .

وفى عصرنا ايضاً ، ما من نصرانى ، ولو كان من اكبر اصحاب المصانع ، واغنى ارباب الملايين ؛ بل وادهش الملوك المستبدين ، حتى واعدل القضاة الحاكمين ؛ الا وتعروه هزة دينية وهو على عرش سلطانه ، او فى منزله روضته المرصعة بابهى البدايع المدنية ، فيخضع خاشعاً لذكرى تلك الارض المقدسة .

والمسلمون ايضاً يلصقون بسورية اهمية عظيمة . لان السكة الممتدة الى الحرمين تبدأ من الشام ، وبقية البلاد المقدسة التى كانت مهبط الوحي ، وموضع تجلى شرائع الانبياء العظام ، ما عدا مكة والمدينة ، هى فى هذه القطعة .

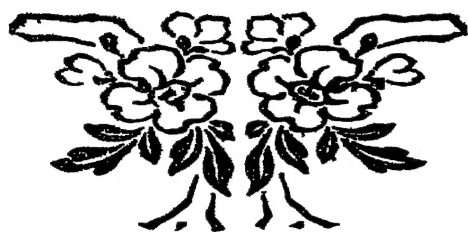
## المدخل

صنف للآن الوف من الآثار بشأن هذه القطعة المهمة التي خلقت في تاريخ الانسان انفس الذكرى ، وكانت معرضاً للآثار التاريخية ، والعرقية الموروثة عن امم ، وشعوب لا تحصى ؛ ومسرحةً لمختلف الامزجة والعادات وشنشنة الاديان والمذاهب ؛ ولكم جست من حسيات المبدعين اوتاراً فابدعوا اشعاراً تلس الارواح ، وتنفذ لمذب الراح .  
لا نريد هنا ان نعالج تدقيق تلك الآثار والمآخذ ؛ المصنفة بلقاء مختلفة ؛ بل نكتفي بذكر اسما المهم منها في آخر صحيفة من كتابنا هذا .

ولنذكر ؛ بما ان وظيفتنا هذه مع خطورتها — كما اعترفنا سابقاً — هي على درجة عظيمة من الاهمية العلمية ، لا جرم يعسر على مساعينا في هذا السبيل ان نتكلم بالتجاسر الكامل . بيد اننا بهذا المصنف الذي نافت صحافه على الالف ؛ هيأنا للخلف سبيل حركة ممهدة ، واحضرنا لهم خطة مدمثة . ويسعدنا ان نرى الاخصا الافاضل ، تلحظ مسعانا هذا بعين العناية ، تجزى خلوص نيتنا فيه بالجزء الاوفا .

— بيروت في ١٩ ايلول سنة ١٣٣٣ ، ١٩١٧ —

المير الثاني في المدرسة السلطانية  
محمود بهجت  
مدير مدرسة التجارة  
رفيق التميمي



## المباحث العمومية

صعبة متعذرة . وبه استطاع سكان هذه الجبال من النصيريين محافظة استقلالهم ، وحریتهم مدة مديدة . وجبال عكار الممدودة من سلسلة لبنان تتبدأ من يسار التهر الكبير . ان جبال لبنان المحاذية للبنان الشرقى ، والممتدة من الشمال الشرقى ، الى الجنوب الغربى ، ترى من جهة البحر على غاية العظمة والمهابة وتركيبها من فحمت الكلس ، والكلس ، والحجارة الرملية ، والكلس الصالحى . ولها منظر ناصع الياض بسبب الثلوج التى تدوم على ذراها أكثر من عشرة شهور ، وبسبب ما تتركب منه من الكلس . وهذه الجبل تتدرج بالمتالى اعتباراً من الشاطئ فتوجد انواءاً من الدكك ؛ والسدود وتنتهى على ارتفاع ٣٠٠٠ متراً بسور يفاعاً واسعاً الارباع ، مستوية السطح . مملوءة من الحفر المسماة « دولين » . اما الجانب الشرقى من لبنان فهو ينحدر بقتة ، وينساب بسرعة الى الغور حيث يبيد .

ما اخطأ الذين يمدون لبنان كاسويجره بالنظر لدوربه ، او للشرق . لاسيما ان هذه الجبال اللطيفة هى مصطاف لبلدة بيروت . والبيروتيون منهم من يذهب الى عاليه التى تبعد عنهم مسافة ساعتين ونصف . ومنهم من يتسلق الجبل الى صوفر المرفعة عن سطح البحر بمقدار ١٢٥٠ متراً . ويصعد على هذا الجبل بسكة حديدية مستنة . كما يصعد على جبل ( كولم ) القريب لبلدة لوسه دن فى اسويجره . وهذه المشابهة ليست فى المناظر الطبيعية فقط ، بل هى محسوسة فى الكد والكدح ايضاً . وهنا تذخ الدكك ، والمصاطب على الصخر متردم بالتراب ، ثم يفرس فيها ، او يزرع ؛ وهو عين الحال الموجود على سواحل بحيرة جنوه . او ( له مان ) . يتسلق الخط الحديدى الواصل بيروت بدمشق . جبال لبنان الى موقع ظهر اليدر الذى يبلغ ارتفاعه ( ١٤٨٠ ) متراً ثم ينحدر بهبوط لقطع السطح الثانى . وهناك يرى المناظر ابهى المناظر من وادى البقاع ، واتى لبنان . ويصادف من الحرارة ، والشلالات الصغيرة ما تلمذه الواظر . ويوجد فى القرى ، كما فى اسويجره فادق على تم لمراد من النظافة والاعدات . وة كان قبل الحرب كثير من الامميين ، والامريكانيين ؛ وحتى الاروبيين يؤمنون لبنان لاجل الزهة .

## ٢ - الانهار

ان المياه المنصبة فى البحر المتوسط هى وديان تغيض فى اكبر ايام السنة . ثم يفيض بتوالى الامطار . او بدوان الثلوج .

ومن اهمها [ نهر العاصى *Le Jourdain* ] فهو ينبع من امام بعلبك ، ويمجرى فى واد ضيق عميق ، ثم يجرى مستنقعات ، وبحيرات صغيرة ، وعمر بخص ، وحما ، وينعطف الى الجنوب الغربى بين جبال النصيرية ، والمنا . فيحدث وادى انطاكية . ويأخذ هناك ماء

بحيرة العمق التي اوجدتها نهر عفرين الناشئ من جبل بركت . ثم يمر بفيضه المزد على عارضة صخرية فيتخطاها حيث يندلق في البحر المتوسط . وهذا هو أهم نهر يوجد في القسم الشمالي من سورية

ان الجداول الموجودة في لوائي طرابلس واللاذقية هم على ما يأتي :  
قنديل — ينصب في البحر قريباً من قرية صليب التزلن عن مسافة ثلاث ساعات من اللاذقية .

فرشيش — منبعه في جبال باير ؛ وينصب على البحر في (راس البسيط) الكائن في منتهى الحد الشمالي للواء اللاذقية .

النهر الكبير — ينبع من جبل الاقرع في قضاء جسر الشغور التابع لولاية حلب . ويمر بناحيتي باير ، وبوجاق من اعمال اللاذقية ، وينصب في البحر ، مافة ساعة عنها . صنوبر — يخرج من جبل الكليه ، وينصب في البحر قريباً من قرية صنوبر في قضاء جبلة .

المضيق ، روس — يخرج من هذه الجبال وينصب في البحر قريباً من جبلة . برغل — يخرج من محجر يسمى بالشيخ حس في قرية كمرون من توابع ناحية حذور ، وينصب في البحر جنوب جبلة .

نهر السن ، او الابر — يخرج من جبل الكلية ويلقى البحر قريباً من قرية صرب الملك التابعة لجله ، وبناءً على وفرة مائه ، يمكن ان تسقى منه جميع الاراضي المجاورة له .

حريصون ، ومرقه — يخرج من جبال الكلية ، وينصب في البحر قريباً من المتن ، وزمزين شمالي باناس .

النهر الكبير — ينبع من الجانب اشرقي لجبال لبنان ، ويفصلها عن جبال النصيرة وينصب في البحر بين طرطوس وطرابلس الشام ، وان مجرى هذا النهر هو اصلح ممر يدخل منه من سادل سورية الى الداخل .

نهر ابو علي — يخرج من جبل لبنان ويد في انحاء طرابلس الشام ، ثم يمر من قصبتها فيفرقها قسمين وينصب في البحر .

— ٣ —

### الافليم

ان الفروي الجاهل عندنا ، يظن ان استعداد النباتات في اراضيه لا يتناهي . ويعتد على اقليمه اعتماداً اعمى . مع انه يهاب الجذب ، ويعده من قم القضا . ولكن لا يتحيز



لوسيلة تخفف مصابه . فيشابر على صبره الجامد ، وتوكلا الباطل ، مهما توالى المصائب ، واخذ الجذب الميت بجشاق بلاده . اذ من رأيه القائل ، ان القضاء لا يدفع ، والطبيعة لا تحارب .

يدعى ذوو الآراء الصائبة من المؤلفين ان الاحوال الاقليمية في سورية لا تزال تبذل قاتلاً :

يشاهد اليوم في ضواحي الشريعة مجارٍ شتى لانهار غائصة ؛ وقد برهن الفحص الفني على ان سطح الماء في بحيرة لوط لا يزال على تخفض متوالٍ . ولا يسوغ ان يعطف هذا الحال على كثرة التخر في المياه . بل يجب ان يحمل على قلة الامطار ؛ نعم ان الرى في سورية وعلى الاخص في القسم الوسطى منها هو على نقص متتابع . وهذه التحولات الجوية اوجبت نقص مقدار المحصول السنوى من الجبوب في قطعة فلسطين . ولكننا نرى غير هذا الرأي : لان المحصولات النباتية في بلادنا كانت موحودة في زمن مهاجرة العبرانيين ، اى في منتصف القرون الاولى . ولتحولات الاقليمية التى يدعيها علماء الطبقات لا جرم كانت قبل ما هو معلوم لدينا من التاريخ البشرى . وعليه يجب ان يحمل نقص المحصولات الزراعية وانحطاطها ، على عدة مساعدة الاقليم من جهة وسفاهة اصول الزراعة من جهة اخرى . لا ننكر ان عين الاصول ونفس الآلات الزراعية كانت تستغل محصولاً اكثر مما تستغل اليوم ولكن لا ننسى ان هذه الاراضى التى ما فتئت تستعمل على وتيرة واحدة منذ زمن العبرانيين قد اضاعقت قسماً عظيماً من المواد العضوية ، والمعدنية اللازمة للنبات . فاذا لوحظت هذه النقطة ينكشف سر التفاوت الموجود بين محصول اليوم ومستغل العصور الاولى .

تفصيل الوجهة الفنية من الاقليم :

الحرارة — ان الدرجة الوسطى من الحرارة تزداد بنسبة الابتعاد عن الساحل ، وبالاقترب من رمال الصحراء المسعرة ، اعتباراً من سهول البقاع . تبلغ الحرارة في يافا ايام الصيف الى ٤٢ درجة على الأكثر . ولا يقلص حدها الوسطى عن ١٢ درجة . اما في بلدة بيروت الكائنة في الجهة الشمالية تكون الدرجة العظمى من الحرارة ايام الصيف ٣٥ درجة ؛ واصغر ما تكون في ايام الشتاء ٣ درجات ، والدرجة الوسطى من حرارة السنة الماضية هي ٧ درجات .

ان الشتاء في سهول البقاع يكون شديداً . ويدوم الثلج هناك اكر من ثلاثة شهور . وربما تنحرم هذه البقعة من كمال الربيع واطاقته . ولهذا يزرع حب السليط ( السمسم ) في اكثر انحاء سورية ، ولا يستطيع زرعه في السهول المذكورة . لان ارتفاعها بمقدار ٨٠٠ متراً اوجب هذه الوصية الطبيعية .

اما سهول الشام المرتفعة بمقدار ٧٠٠ متراً ، فتفرق عن فلسطين باعتبار المواسم . لان شتاءها اشد من شتاء بيروت ، وكثيراً ما تصعد الحرارة فيها ايام الصيف الى ٣٨ درجة . اما حوران فهي اشد شتاءً وصيفاً من فلسطين ، وتفرق عنها كالشام ، في مواسم الزراعة . وهنا يبلغ درجة الحرارة في الصيف ٤٠ وتخفض الى ٨ ونصف في الشتاء . ولهذا نجد سورية تنقسم باعتبار الحرارة الى منطقتين ، توجد في القسم الاول ديار فلسطين ، وديار حوران ، وسهول الشام . وفي الثاني سهول البقاع وحدها . والمفرق لهاتين المنطقتين عن بعضهما ، هي قابلية زرع السمسم .

الامطار — لاسعادة لمن له اراضي تسقى من القرويين الا بنزول الغيث بصورة منتظمة ، فاذا امسكت السماء ، او كان المطر غير كاف ؛ يزعمون ان ويلهم منه ؛ وانهم لمخطفون ؛ اذ قد يمكن الانتفاع من المكان العطش بحسن التدبير ، والاهتمام . فكم من مواد تستعمل في هكذا بقاع ، لا توجد في الانحاء الريانية . وسكان هذه الاقاليم يستبدلون تلك المحصولات النادرة بما يحتاجون اليه من المواد الغذائية ، وذلك بتوسط التجار . ولا نرى لزوماً لا يوضح ما املك المحاصيل من الاهمية والرواج في ميدان التجارة .

ومن جهة اخرى ، ان القحط الذي يصيب سورية في بعض السنين لا يكون عن عدم كفاية الماء ، بل هو عن عدم الاقتدار لاستخدام تلك المياه على وجه نافع لآن مقياس المطر يركب الامطار التي تهطل في الانحاء السورية تتراوح بين ١٨٠-٢٥٠ متراً . وبهذه الدرجة لا تكون بلادنا ادى رياً من اكثر البلاد المشهورة بوفرة الري . ولكن المياه لا تغني شئاً بطن الارض ، بل تتراكم وتبقى على سطح السهول الماصلة ، حتى تقتحمها حرارة الصيف فتستحيل بخاراً ، وينحرم النبات من

الانتفاع بها .

ان بلادنا التي هي معرض للعرايب ، حالاً خاصاً بالنظر للامطار . فان سعادتها ورفاهية اباؤها لا تكون الا بتوزيع المياه المطرقة على الاراضي ؛ والمياه عينها تكون السامة العظمى على الصحة العامة ، بما تحمضه من المستنقعات الوبيلة .

لاجرم ان موسم المطر في سورية غير مناسب مع الشهور . فلا تغاث حروثنا الا من اول تشرين الثاني الى منتصف نيسان ؛ ثم تبدأ اليبوسة ، وتزداد بصورة تنوالية ولقد عمرا اكثر من نصف السنة وسماً خلو من السحاب . وهذا التشوش لا يزال يستلقت الامطار الى ان ياتي ان يشكك ليس بصيب الاقحاح كما يرى لأول وهلة فان سهول الشام بمساحة الله من هذا الحذب . وان الامطار العزيرة ، المشبعة بالمياه لوافرة هناك ، خلفت تلك السهول الرياض الزاهرة ، والحدائق الغاب .

اما في المناطق الاخرى ؛ يمكن اذلال الجدر المذكور ، بتبديل نوع الزرع . وهذا

التدبير ينجح في سهل البقاع نجاحاً كاملاً. وفي حوران يمكن أن يكون ٥٠-٦٠ في المائة. ويشكل تطبيقه في سواحل فلسطين ويتمدد في جبالها. لأن أرض البقاع وحوران مكونة من طبقات خفيفة هشة. تحتها طبقة كثيفة من الأحجار الكلسية الصلبة. ومياه الأمطار تنفذ إلى تلك الطبقة، وتجتمع فيها، حيث تكون خزانة للنبات يستمد منها إلام الصيف الرى الذى ينشؤه ويحييه. أما فلسطين، فإن أرضها البور، وطينتها الصلصالية محرومة من تلك الحصى، ولذلك يبد جميع ماء المطر فيها بالتبخر.

ان علو القطاع الحورانية والباقية يخفف وطئة السيولة بحالين. الأولى؛ ان الثلوج التى تسقط على هاتين المنطقتين لعاية فصل الربيع، لا تلبث ان تذوب بتأثير الحرارة؛ فيجرى ماؤها على وجه السهول حيث يودى ببوسة التراب.

والثانية؛ ان الرياح الباردة التى تهب من شواحق الجبال القريبة، ربما اقلت بخاراً مائياً، واوجبت نزول المطر، فى ذاك القطر. اما فى فلسطين فما من رى، ولا نسيم بليل، لان الحرارة هناك، فى الدرجة العظمى.

— ٤ —

### طبيعة التراب فى سورية

ينقسم قشر الأرض لانتشار التشكلات الطبيعية الى طبقات متنوعة. وجوهر هذه الطبقات ليس من مادة واحدة؛ بل لكل مواد معدنية تتركب منها على حدة. ولقد يشهد هذا الحال فى نقاط مختلفة لأرض واحدة لدى فحصها. مثلاً يكون التراب يرمعاً (تبري) فى نقطة ويكون فى الأخرى رملياً، وفى غيرها يتركب من الحصى، والرمل وغيرهما من الأحجار وهذه من الحقائق التى برهن عليها المحقق الفنى.

ان تتضمنه الأرض من المواد المعدنية، يكون تارةً اقليلاً، وأخرى عموداً، وآونةً منحنياً، وأكثر ما ترى على شكل طبقات مرتبة بعضها فوق بعض. وهذه هى الصخور الأرضية.

هذه الصخور اما ان تتكون من مادة واحدة، كالجبس الكلسى، وصخور الملح. او من راد متعددة كتركيب حجر غرانيت من معادن قوارس، فلدسات، ومقا. وعليه ان الصخور اما تكون بسيطة او مركبة، والعلاقات المتنوعة التى تحدتها هذه الصخور تدعى ان، سرده من حيث التربة. واشكال هذا التراب معروضة للتبدل الدائم.

و يبدو أثير الحرارة، والهواء بصورة متنوعة ودائمة

التراب الزراعى الذى هو اساس هذا البحث؛ ما هو الا ذرات لتلك الصخور — تجزأت، وتفتتت بتأثير الحرارة والهواء —.

لا تكون طبيعة التراب على نفس واحد في كل مكان ؛ بل يختلف تأثيره على النبات باختلاف كمية المواد المعدنية التي يتركب منها وكيفية خواصها الحكيمة والكيموية .  
يمكن تقسيم اراضي سورية بالمظهر لطبيعة التراب والتشكلات الطبيعية الى ثلاثة اقسام مستقلة .

الاراضي البرمعية ( تباشيرية ) *Cretacées*

الاراضي البركانية *Volcaniques*

اراضي الدور الرابع *Quaternaires*

يندر ان توجد في اراضي سورية آثار للدور الثالث ، وان تلك الانزبة التي توجد مبعثرة في الانحاء الشمالية والجنوبية مؤلفة من الكلس والسيليس بعثر عليها في تلال الجليل والسامرة من اعمال فلسطين .

الاراضي البرمعية ( تباشيرية ) - تتألف هذه الاراضي من سلسلة تلال حصائية ، محدودة الطبقات ؛ ممددة من الشمال الى الجنوب . ويوجد في منتصف هاتيك الملال وادي الشريعة المعروف بخصبه ، وجودة انبائه ؛ وهناك سهول مذبذبة للدور الرابع ، على غير انتظام بالتسكل ، تقطع هذه المنطقة عرضاً . وتوجد شرقي هذه السهول قطعة حررا الحصية ، وغربها سهول معوجة تنسب الى الادوار الحديثة . اما سهل الجليل فهو محاط بسهول البامع من الجهة الشمالية ، ويختلط من الجنوب بالامرء بواطة منطمة حودا التي تنتهي على حدود صحراء التيه المرملة .

يندر في الجليل والسامرة وجود الطبقات البرمعية ( تباشيرية ) التي تشاهد في مناة حودا الجبلية . وحال هذه الانحاء على الاطلاق تتكون من طبقات الحجر الكلسي ، والصلصال الكلسي الابيض .

اما الصوان الذي يندر وجوده في الجهة الشمالية والوسطى ، يوجد منه في الجهة الجنوبية مقدار وافر . وبينما لا يوجد منه نبي في جبال الذصرة ، تراه في جيز يملأ السهل والوعر .

ان حجر الكلس الابيض ه حداثياً مخلوطاً بفحمية الكلس ، او بالكلس الكيف وربما تخل في التركب الاول بعض مواد قاذرة فتحيل اللون الى سواد لطيف ، ويحتوي هذا النوع بحجر موسى . ١٥٠٠ عناصره .

٦٨٠٧٣

فحمية الكلس

٠٠٢٧

فحمية الماعز

٢٥٠٠٠

القار

٦٠٠٠

الرسوب الترابي

١٠٠٠٠٠

للصخور الكلسية احجار من غير هذا النوع كثيفة تميل بلونها للزرقة ، تحتوى على محجرات من صغير النبات والحيوان ، كما يصادف منها في انحاء نابلس . والاحجار الكلسية في منطقة جوده ، عظيمة الحجم ، تنفتت لدى الكسر ، كثيرة المحجرات . والهضاب المطلّة على خليجي ، عين النوير ، وعين ترابه هي من نفس هذا التركيب . يعثر على خطوط صوانية في ذرى جبل الزيتون المؤلف من الاحجار الكلسية . وخلاصة القول ؛ ان الاراضي اليرمعية ( الباشيرية ) في سورية تتأسس على احجار كلسية صلباء ، ثم موقها احجار كلسية لينّة ، تميل بلونها الى اليباض ، ثم تعلوها طمة يرمعية يخالفها حصي الصوان وفوق كل هذه الطبقات طبقة من احجار الكلس ، اما بحالة انزاع ، او بشكل سفائح ان انحما ، الاحراج ، جعل تلك الرابي جرءاً ، حيث لا حائل للجبس السترابي . لدى تساقط الامطار ، اذ يحجره السيل من اعلى تلك الرابي ، ويهوى به الى الاودية ، فتكشط الطبقة الترابية ، عن الصفائح اليرمعية ، وتصبح قرءاً ، لا تجر ولا ماء . علم ان التراب الكلسي الذي يتراكم على اذبال الجبال ، لا يثبت ان يهال على الودية فيزداد ، ان نباتها . ويعوض جذب الذرى ، بنحصب الاذبال .

الاراضي البركانية — بدأت الانفجاعات الدارية في الدور الثالث ، وداست في الاوار البدائية للتاريخ ايضاً كما ورد في التوداة . وان الزلازل التي ما زالت تحدث في هذا العصر ، والينابيع الحارة المعدنية التي ما فتئت تقور ؛ تدل على ان السيل الباري في قلب الارض لا يزال على هياج .

ان الاراضي في الجهة الشرقية من ودى الشريعة هي من هذا النوع ، وهي واحة جداً ؛ ومنطقة حوران كلها اراضي بركانية . اما في الجهة الغربية من هذا الوادى لا نجد الا مقدار محدود من هذه الاراضي في منطقة الجليل ودخل في هذه المنطقة من البحر ، جبال صند ، وهضاب الشاغور في قرب طبريا ، وجبل الطابير الكائن على طريق الداصرة — طبريا .

ان المواد النارية المتصلبة التي تملؤ تلك المناطق البركانية ، هي من نوع السازال . وعناصرها ، على ما رواه الدكتور آندرسون — *Andersson* هي :

الومين ١٤.٦٢

متحمض الحديد ٢٣.١٥

فحمية الكلس ١٢.٧٠

ماغنيزية ٠٧.٠١

سيليس ٣٨.٤١

القالى ٠٣.٤٢

وبما انه يوجد في تلك الاراضى ، ما عدا هذه المواد ، حامض الموسفور ، والپوتاس ، والكلس . تكون هاتيك الانحاء صالحة لزراعة النبات المنسوب للفصيلة النجيلية ؛ وأكبر سبب لجودة اللمع الحورائى كثرة هذه المواد .

ان صخور البارات التى هى اكمل نموذج للاراضى البركانية ترى على شكلين :  
(١) صخور منطقة جولان ؛ يسيرة الجروف *glazie* بذرات كثيفة ، ولونها اسود يقرب من الزرقة . ويوجد فيها كثير من بللور الزبرجد الاصفر ؛ ولا تأثير لها على الابرة المغناطيسية .

(٢) صخور حوران ؛ تفرق عن الاولى بجذب الابرة المغناطيسية فقط . وهذه الصخور ، اما ان تزيد استمداد الانبات ، او تبيده ، وذلك باختلاف كيفية تشكها .

ان طبقات الارضى الجرداء . المحسبة الواقعة بين طبريا وناياس . هى عبارة عن صخور نازليه صماء . لا تصاح لار يتمتع السكان من استئجارها . على ان البازالت ، يكون فى السهول قطعاً تحتلط بالتراب الناعم ، فتصنع الاديم بالسعة ، وتجعل تلك الاراضى غنية بالمواد المعدنية . مستعدة للانبات على غابة ما يرام . والانحاء المروعة من دمار لجا الصخرية فى ولاية سورية ، هى من نوع هذه الاراضى . ويضاع حوران . هى احسن نموذج للاراضى البركانية فى سورية .

ادانى الدور الرابع — لمدى تعيين هذه الاراضى وتشخيصها . اذ لا يعثر على محجرات تنسب اليها من جهة ؛ وارىخ حدث التحول الاقلى . الذى يحد ذلك الدور ويعرف بمجهول . ر جهة اخرى ولا تزال الافاعيل الافسمة التى تفصل الدور الثالث عن الدور الرابع ما بسة ، غير واضحة ، ولا فى مضى الاحمد . مثلاً ان تارك الافاعل هى على اتم الوضوح ، فى الاراضى الرملية الحمراء ، المغروسة فيها بساين الليمون فى يافا ؛ وفى السواحل الشمالية ، والجوية لقصة بيروت المكونة من الاحجار الكلسية . وكثيراً ما يعثر على تشور حيوانية قديمة ، تشاهد حيوانها اليوم .

ترى ان سواحما لا تزال تتعالى ؛ وتحاذي ارضة تتركب من صخور الرمل الصلبة فالصخور الموحودة امام يافا وعكا وطرابلس الشام هى من هذا النوع . اما الكشبان التى لا تزال تتكون على الساحل ، كادت تصل الى درحة تجعل الفصبات تحت خطرهما وقد قلنا فى كتابنا ( القسم الجنوبى ) [ يذكر اناب المعرفة والوقوف من المتعدين للتاريخ انه كان ترقى قيسارية محلات للاراحة على مسافة سبعة كيلومترات او ثمانية فكانت الدساء لرومانيات يخرجن اليها ويمضين مدة القليلة فيها ويلتجس الى تلك الظلال اتقا من الحر وقوارص الشمس ، ولم للادمان من المدائح والتحيلات فى تلك

الظلال . ولو نظرنا اليوم الى تلك الجهة لا نجد فيها الا اكنبة رملية متجمعة . ويؤخذ من المقتولات التاريخية ان الاكنبة التاريخية الممتدة على عرض ستة او ثمانية كيلو مترات على طول السواحل الماسطية هي ناتج الصين من السنين . وقد ثبت بالارقام المحفنة ان المساحة السطحية للاكنبة السيارة في فلسطين يبلغ مليون دوئم وتبلغ مساحة الاراضي التي تستولى عليها الرمال سنوياً . وتحرم الزراعة منها لا اقل من خمسة آلاف دوئم . (\*)

وقد غرست احراج الصنوبر قرباً من بلدة بيروت لتكون حائلاً لتلك الكشبان السودة .

يعلم من هذه الابحاث ان اراضيا تتنوع في موادها وان ملك الاراضي التي تكوّن بتأثر مؤثرات متنوعة يمكن فصلها الى قسمين : فالقسم الاول يغلب في تركيبه الصلصال ، والسم الثاني يكثر فيه حمض سيلانيوم . فالاراضي اللحية في سهل البقاع والام المعروفة بنحسها ، هي على طبقات لينة ، مكس ارض فلاتين فانها صلبة . وخاصة الاندات فيها ضعيفة .

وقصاري القول : ان ارض فلسطين تختلف عن ارض سودنة بالنظر لبرئتها ، وتذكرنا لطبي ولعد يحس في ارض كذا ان بوطنة انيم البحر المتوسط المعروف باليوسة الدائمة امان الصيف .

تنقسم ارض فلسطين الى قسمين :

(١) سيف البحر : وسهولة وكوة من حمض سيلانيوم . والصلصال *Clay, silice* .

(٢) الاراضي البرمعية . وهي عبارة عن تلال كلسية .

اما قطعة سودية الاصلية ، فهي تنقسم الى ثلاثة اقسام .

(١) وادي الشام المتكون من الاراضي اللحية . الذي يسقى معظمه من نهر

بردي .

(٢) اراضي حوران الركابة ، التي هي اقل يوسة من فلسطين .

(٣) سهل المراع ، امؤلف قسماً من اراضي تركتها الصلصال وحمض سيلانيوم .

وقد آمن احجار كلسية بسيرة الدور اليرمعي ويكون موسم الشتاء فيه شديداً اصابه ، بسبب ترفعه عن سطح البحر .

—٥—

## النفوس

ها نحن نبين مقدار عموم النفوس في القسم الأعلى ، على ما نظقت به القيود الرسمية .

٦٦٥٤٨	مركز قضاء طرابلس الشام	}	لواء طرابلس الشام
٤٢٣٦٣	د عكار		
٣٧٩١٣	د صافيتا		
٢٩٧٠١	د حصن الاكراد		
٥١٢٥٩	مركز قضاء اللاذقية	}	لواء اللاذقية
٣٤٨١٦	د مرقب		
٣٢٩٧٢	د صهيون		
٢٨٦٥١	د جبلة		
			١٤٧٦٩٨ —
			٣٢٤٢٢٣ يكون

بالنظر لكون المساحة العمومية ١١٧١٩ كيلومتراً مربعاً ، والنفوس المحسنة ٣٢٤٢٢٣ نسمة ، فيكون نصيب كل كيلومتر مربع ٢٧٠٦١ نسمة . وإذا اصفنا اليه مجموع نفوس القسم الجنوب (\*) وهو ٥٧١٣٧١ نحصل على ٨٩٥٥٩٤ وهو العدد الذي نطلق بمجموع

(\*) وقع خطأ في جدول النفوس المقيّد في الصحيفة ٨٨ من الجلد الاول ، وهذا صوابه :

٥٠٠٠٠	مركز قضاء بيروت	}	لواء بيروت — ٢٧٦٦٣٩
٥٤٠٠٠	» صيدا »		
٤١٢٤٠	» صور »		
٣٩١١٥	» مرجعيون »		
٤١٣٢٢	» حكا »	}	لواء عكا — ١٩٩٢٦٩
٣٠٧٣٠	» حيفا »		
٣٢٢٣٧	» صفد »		
١٤١٩٠	» طبريا »		
٢٠٧٩٠	» اصرة »	}	لواء نابلس — ١٥٥٤٠٣
٧٧٦٤٩	» نابلس »		
٣٥٨٠٩	» بني صعب »		
٤٩٩٠٥	» حزين »		
			٥٧١٣٧١ يكون



نفوس الولاية .

ان سكان الولاية كما فصل في البحث الخاص هم عبارة عن المتساولة ، والدروز ،  
والاسماعيليين ، والنصيرية ، والروم الاورتودقس ، والمارونيين ، والقاتوليك . والبروتستنت ،  
واللاتين ، والارمن ، والسريان ، والكلدانيين ، واليهود ، والسامريين .  
في القسم الشمالي :

المسلمون (*)	٢٥٤٧٧٢
النصارى	٧٣٣٧٩
اليهود	٧٢
يكون	<u>٣٢٦٢٢٣</u>

وفي القسم الجنوبي :

المسلمون	٤١٥٧٥٦
النصارى	١٤٠١٠٤
اليهود والسامريون	<u>١٥٥١٣</u>
يكون	<u>٥٧١٣٧٣</u>

بناءً على هذا ، يكون المسلمون ٧٤٠٨ ، والنصارى ٢٣٦٥٥ واليهود ١٠٧ في المائة  
بالنسبة لمجموع عدد النفوس .

وعدد غير المسلمين في الولاية هو على ما يأتي :

لواء بيروت	١١٣١٥٠
د طرابلس الشام	٥٩٤٨٨
د عكا	٣٨٥٨٩
د اللاذقية	١١٩٦٣
د نابلس	٣٨٧٨
يكون	<u>٢٢٧٠٦٨</u>

ان هذه الارقام انتقولة عن دوائر النفوس ، وان لم تكن جديرة بالاعتماد ، غير انها  
تخدم لاناارة ذهن القارئ بكمية متسبي الاديان في الولاية . ان معظم اليهود على قلة  
عددهم ، يسكنون في لوائي بيروت وعكا . ويوجد منهم في قضاء صفد ٦٠٧٥ وفي قضاء صبريا  
٤٢١٠ وفي بلدة بيروت ٢٧٨٤ وفي قصبة حيفا ١١١٧ نسمة . وما بقي منهم يسكن في  
الولاية في انحاء متفرقة .

\* الدروز والنصيرية معدودون من المسلمين .

جاء في طائفة الولاية التي طبعت سنة ١٣٣٤ ان مجموع نفوس الولاية هو ٦٨٠٠٦٥ ، منها ٥٥٣٥٢٥ مسلمون ذكوراً وإناثاً؛ و ٥٥٢٠٧٠ من الروم الاورثودوكس و ٣١٤٤٦٠ مازوني و ٢١٦١٢٠ قنوليك و ٢٢٨٢٠ بروكستان و ١٢٤٤٠ لايتن و ٤٥٧٠ ارميني قنوليك و ٨٤٠ ارميني قديم ٤٢٢٠ سرياني و ٢٠ كلداني و ١٢٨٣٢٠ من اليهود و ١٧٨ سامري . وعليه تكون نفوس الولاية ، اردادت من ذلك التاريخ للآن مقدار ٢١٨٥٤٩ نسمة فاذا طرحنا منها الوفيات التي حدثت في تلك السنين الثمانية ، بموجب الارقام التي اطلعنا عليها وهي ، ٩٥٢٥٦ نسمة ، يكون حاصل الطرح ١٢٢٢٧٢ وهو مقدار زيادة النفوس ، وبذلك يكون ربح الولاية منها ١٥٢٨٤ في كل سنة . ومع الاسف ليس في امكاننا الآن ان ندعي وثوق هذه الارقام .

— ٦ —

## السكان

سبق ان بينا في الجلد الاول ان سكان سورية تنقسم من حيث القومية الى عرب وترك وسريان ، وجرس ، ويهود ، وفرانك ، وقد تكلمنا هناك عن جميع هؤلاء ماعدا الاتراك . والآن نبحث هنا عن التركمان المتوطنين في القسم الشمالي من ولاية بيروت . وانتسبين في العرقية الى الجنس التركي . ونتكلم عن اصلهم ومنشأهم . وكيفية . وزمان قدومهم الى البلاد السورية .

## التركمان

[١] — اصل التركمان ومنشأهم — التركمن : هم اقوام يقطنون صحراء التركمن الواقعة بين بحيرة آرال ، وبحر خزر ، واكثرهم من سكان الحيام ؛ وهم من اكبر قبائل الترك . من الضروري ان نسام بان التركمان من صميم الاتراك ؛ وان نعد تاريخ هؤلاء القبائل المعروفين باسم (الاتراك الفريين) لسبب توطنهم في الجانب الغربي من بلاد الترك في آسيا الوسطى ، قديماً كتاريخ بقية الاتراك . هذا وان ادعى بعض المؤلفين (\*) ان التركمن هم من القبائل التي اتت من بلاد فارس وتوطنت في تركستان ، وانهم ليسوا من صميم الترك ، بل هم من المنتركين ، والمتشبهين بالاتراك ، بدليل ان كلمة تركمان ، وتوركمان معناها ، بالفارسية « شبه الترك » . بيد انه ليس لدينا دليل يبرهن على صحة هذه الرواية وبالعكس ان لنا من البراهين ما يدل على عدم صحة هذا الادعاء وبطلانه . وما يجدر بالذكر من الادلة في هذا انما لعة التركمان واوصافهم الطبيعية . انه وان يكن توالي الازمان

(\*) راجع كلمة Turcoman من (Bibliothèque Oriental d'Horbelot) .

أحدث في سحنائهم ، وهياكلهم بعض التبدل والتحول فأبعدهم عن المغولية ، وقربهم من العرق القوقاسي لكنهم لا يزالون مجهزين بإظهار خصائص الأتراك ، وأوصافهم ، مثلاً (\*) بالرغم من طول قاماتهم ، أن جباههم كروية ، ووجوههم واسعة ، وعظامها ناشئة ، وعيونهم براقية ، وأنوفهم قصيرة فطساء ، وشفاهم غليظة ؛ صفر البشرة وشعرهم اسود ككت خفيفو شعر اللحي ، وأذانهم متشحة ، وزيادة على هذا أن تقارب جواهر الالفاظ في اللغة التركمانية لكلمات اللغات التركية ، بل وعييتها ، لا يدع شكاً في أن التركمان هم من صميم الجنس التركي . ومع ذلك ، يجب أن نعلم النظر في درس هذه المسئلة وان لا ننسى ان هؤلاء القوم لا يزالون حاملين هذا الاسم . من المعلوم (\*\*) ان الأتراك كانوا ، في العرون التي لم تدخل حوزة التاريخ ساكنين جبال الطاي ؛ المعروفة عندهم بجبال الذهب ثم انتقلوا من هناك وحلوا يتجولون في صحراء تركستان ؛ ملك الاصقاع المتسعة التي تحاط من الجهة الشرقية بخطاي ، اى الصين الشمالى ، ومن الغرب ببجيرة آرال و ( خوارزم Kharazm ) ومن الشمال بسبريا ، ومن الجنوب بتيبت ، وبخاراك الكبيرة . ثم لم يلبثوا ان اتخذوها موطناً وسكناً لهم .

ان قدامى الفرس الذين جعلوا اسم ( ايران ) للادهم ، مقابلاً لتعبير ( آيران ) ، اى غير ايران . وضعوا اسم ( توران ) للانحاء الواقعة على يسار نهر جيحون المعروفة الان بتركستان . لا جرم ان الاسباب في تاريخ الأتراك والتورانيين الناطقين ببلاد توران لا يدخل تحت بحثنا الآن ، ولكن نضطر لان تأتى ببذة منه لعام كيفية انشعاب التركمانيين من الأتراك . فالتورانيون ذوو النصبت الطائر في وقائعهم وجسدتهم اقتحموا المسافات الشاسعة في فارة آسيا على دلوها ، وكالوا اصدق ناقل لمدينة الصين والبيزاسيين ، وامهر ناشر لحضارة العرب . وتاريخ حياتهم يجب ارجاع النظر فيه الى بضع آلاف سنة .

اشتهر الأتراك في تلك العرون الحالية ، باسماء مختلفة . لدى مشارق الارض ومغاربها ؛ وكانت حكوماتهم اذ ذاك نموذجاً في السلطان ؛ وقوة الشكينة .

ان الامم العظمى التي ذكرها هيرودوت ، المؤرخ اليوناني باسم ( تارثساوس ) ، و ( توغادما ) التي ذكرت في اتوراة ، و ( هيونغ نو ) ، ( توكيو ) و ( توكوئه ) اعروفة لدى اصيديين القدماء ما هي الا من الامم التركية . و ( الهون ) الذين زلزلوا اوروبا ايضاً كانوا من التورانيين .

فاذا لاحظنا ان « اعنيين » الذين يروى انهم افتتحوا آسيا الصغرى في الازمنة القديمة اترك ، واطلعنا على ما حزم به علماء خصائص الشعوب من ان المجريين والبلغاريين اترك

(\*) راجع كلمة تركمان من [Nouveau Larousse illustré].

(\*\*) مترجم هامر . محمد عطا ح ١ ص ٥٠

الجنسية أيضاً ؛ فنحصل على مسكة من الفكر بأهمية هؤلاء القوم الذين هم من أقدم وأعظم أمم الكون . لاسيما إذا علمنا ان النفوس التي تدخل في اسم الأمم التوراتية تتجاوز في العدد مائة مليون ، تجلي لنا مكانة هؤلاء القوم وقيمتهم التاريخية .

على اننا لا ننكر ان تاريخ التورانيين ما هو من الرضوح على درجة تليق بهذه المكانة . وان رادولف ، طومسون ، وامبري وامثالهم من علماء العصر الحديث لم يألوا جهداً في التنقيب عن تاريخ الاتراك ، واستنباط بعض اقسامه ولكنهم ما استطاعوا ان يقشعوا عنه غياهب الابهام ، ولذلك يعسر ابداء الرأي الصادق في حقيقة شعوب الاتراك ، وفي كيفية انشعابهم ودرجة مناسبتهم ، وعلى الخصوص في مدينتهم القديمة . اذ ليس لدينا من لحقائق ما نستطيع بها انتقاء اصدق الحديث من اقوال المؤامنين المتضاربة ولهذا السبب اننا سنتوخى الظلة حين جمع الروايات المختلفة التي تبحث عن مركز التركان ، تحاء الاتراك وعن مناسبتهم .

يقول ابو الغازی مؤلف الشجرة التركية « ان شعوب الاتراك القديمة عبارة عن قيجاق ، اوغور ، قاقلي ، قال آج وقارلق » فالاسمان الاولان هما اساسان . ولعلظة « قيجاق » هي كلمة قديمة تتركب من هجاء واحد ومعناها « بلقع » . وكلمة ( قو ) التي يستعملها المغوليون هي من عين الماشا . اما كلمة ( اوغور ) فهي باللغة التركية القديمة ، ولغة المغول وماجيو مشتقة من مصدر ( اويغ ) ، الذي معناه ( التوحد والتجمع واتباع نظام واحد والارتباط بالماون ) . وعليه تكون كلمة قيجاق مختصة بسكان السهول الحالية ، واما ( اوغور ) اي ( المتمدد ) فهي لقوم مجتمعين متحدين يخضعون لقانون . وكلمة ( قاقلي ) معناها « ذوو المركبة » . اما كلمة « قالاچ » صعب تعيين معناها الحقيقي لانها مكتوبة باكال مختلفة في نوعي الكتابة التركية وقد كان الاروام يكتونها في العصر السادس من الميلاد بمورة ( خايات . نري ) ان كلمة ( قيليج ) التركية ظاهرة في هذا اللفظ . ولمظة ( قار ) الموحودة في كلمة ( قارات ) لا تزال اليوم مستعملة في اللغة التركية .

من المحقق ان الانسال التركية سقسم الى خمسة شعوب . منها ثلاثة سموافهم او ساهم حيراهم باسماء معاهب ( المادون والتمدنون ، وذوو المركبات ) . وهي ليست باسماء رؤساء ولا اسماء شعوب . لاسيما هذه الاسماء الثلاثة فانها تدل على نسق عيش القوم وطاداتهم القديمة . (\*)

لقد بين جهاثنا اشهر قائل ادترك على ما يأتي :

(١) — الاوعوزيون ، وهم من خطاي اي الصين الشمالية .

- (٢) — قبيلة قايي ، وقد انت من ساري الى ارمينية . واصل الاتراك منها .  
(٣) — قبيلة سارنج ، وقد سكنوا جبل ( ايمانوس ) الشاهق لما جاوروا خاقان الترك بالثورة .

(٤) — القايمانيون .

- (٥) — قبيلة بهچنك . وكانت في حرب دائم مع قبائل (طولازي) و(غاز) او (غوز) و(اوز) .

(٦) — قبيلة ماهريقا او موهاريقا ، كانت ساكنة بين نهري (وولغا) و (دون) . وكانت الخصم الالاد للروسيين والسلافيين .

(٧) — الحزريون ، وهم على شواطئ بحر خزر .

(٨) — السلافيون .

(٩) — الروسيون (\*) .

اما وامبهري *Ambery* . المستشرق الشهير ، فقد قسم الاتراك بالنظر الى اللغة الى خمس شعب .

١ — اترك سيريا ، ويفترقون اربعة عشر قسماً :

- (١) قاراقلموقو طومسق .
- (٢) الالطائيون ، او قالموقو آلطاي .
- (٣) شورج ، او قوندوج
- (٤) اوريانق
- (٥) قوماندی كيش
- (٦) القيزيقيون ( يتألفون من تاتار تهلوت ، قوبول ومن الاوستاقيين )
- (٧) تاتار جولم
- (٨) ساغايين
- (٩) قاجنس
- (١٠) القيباليون
- (١١) قاراغان
- (١٢) سوئي يوت

(٥) دولت عثمانية تاريخي ( مترجم عن ها مبر ) ، محمد عطا ح ١ ص ٣٠٢ : على ان هما مبر بعد ان اعطى هذا التفصيل قال : مما يستلزم المحب تفريق الاغوزيين عن الالوزيين . او الالوزيين لانهم امة واحدة كما يدعي ده كيني ( Deguines ) . فكيف يمكن اعتبار السلافيين والروسيين من الاتراك انه لم يتكلم عن هذا بشئ .

(١٣) قاهاسينيج

(١٤) تاتار بارابا

٢ — اترك آسيا الوسطى ، البادون او شبه البادين ، وهم ستة اقسام :

(١) قيرغيز — قازاق

(٢) قارا قيرغيز

(٣) اويغور ، او اترك تركستان الشرقى او الكاشغريون

(٤) اوزبك

(٥) قاراقالباق

(٦) تركمن

٣ — اترك وولعا ، وهم ثلاثة اقسام :

(١) تاتار القازاق [ ينشعبون من القيقاق ]

(٢) مانقير — مهيجه رياق

(٣) چواش او الفينوالبون المتركون .

٤ — اراك بحر الاسود ، وهم ثلاثة اقسام :

(١) تاتار قريم او قيريمچاق

(٢) نوغاى

(٣) قومق او قاراجاى

• — اترك العرب وهم :

(١) اترك قاوقاس ، ايران ، وآرارمايجان

(٢) الاتراك العثمانيون .

اذا صرفنا النظر عن هذه التصيلات لثانوية ، واضربا عن التقسيمات التى اوردها مؤلفا ( شجرة تركيه ) و( جهاننا ) يمكننا ان نقول ان الاتراك ينقسمون الى القسمين : ( الاتراك الشرقيون ) و( الاتراك الغربيون ) . (\*)

والشرقيون ينقسمون الى بضع قبائل مثل : اويغور ، قال آچ ، قازاق ، والغربيون الى عشر قبائل مثل : اوغوز ، يچاق ، پهجه نهك ، قيرغيز ، قانقلى وغيرهم .

ان قلمة اويغور التى هى مرادف اترك السرق ، تقطن الاصقاع الكائنة بين قره قروم ، وطوروفان . ولهم هى اقبح واقدم لمة تركية . ثم دعت هذه اللغة باسم جمتاى السلطان ابن جيكيز حار . ولغة اويغور هذه التى يسميها العثمانيون بالتركية المدييه ، هى الاخت

الكبيرة للغة التركمان وفي القرن الخامس - شر للميلاد بلغت هذه اللغة حد كمالها . ثم شرعت تخط ، بحسب اللغة العثمانية التي انبثت عنها فانها اخذت بالرقى .

١٠ أشهر الاتراك الغربيين ففى قبيلة « اوغوز » ، التى كانت تقطن ما بين سيحون وجيحون فى تركستان ، وكانوا يربون الاكاسرة والعرب . ويروى ان ( سالور خان ) من اولاد ( طاغ خان ) ( \* ) قد اعتنق الدين الاسلامى ، بعد وفاة النبي « صلعم » بثلاث مائة وخمسين سنة مع الفين من الاسر . ومن ثم بدل اسمه بجناق خان . او قره خان ، وسمى قومه « تركمان » ليميزهم عن الاتراك الوثنيين وقد ارتقت اللغة التركمانية فى ايام السلجوقيين الذين هم من نسل اوغوز ، واقتبست من اللغة العربية ، ما اقتبسته لغة اوينور من الممارسة .

ان عشيرة قاي خان الاوغوزية غادرت فى الزمن الاخير بلادها ، وهاجرت حيث استست الحكومة العثمانية ، وافترقت لغتها عن التركمانية ، وتكون اللسان العثمانى المؤلف من اختلاط الكلمات العربية والفارسية . يفهم من هذا التلخيص ان التركمان هم من الاتراك الغربيين ، و منهم ارتباط قوى بالعثمانيين والسلجوقيين بالنظر لكونهم من نسل اوغوز ، وان اسم ( تركمان ) لم يكن الا بعد العصر الرابع للهجرة . ويزعم كما ذكر فى ( جهانناما ) لمؤلفه ( نثرى ) ان كلمة تركمان مؤلفة من « ترك » و « ايمان » . وقد اطلق هذا الاسم على من آمن بالدين الاسلامى منهم . ولكن اكثر المؤلفين ينكر هذا التأويل . والحق منهم بدعى ان لفظة ( مان ) و ( من ) فى آخر كلمة ( تركمان ) . بمعنى الرجل كما هو الحال فى

وعلى رواية قديمة للاتراك ان اوغوز خان ان قره خان هو الذى ايد بفتحها ، وقوانينه سلطان الاتراك ومدنيتهم . فارق اوغوز قره خان جبال قره قروم التى هى مشتاه ، وجبال اووطاغ ، وقورطاغ التى هى مصطافه ، وتوجه الى الجنوب حيث جعل مقامه فى بلدة « ياس » ، اشهر بلاد تركستان . والتي كانت مركزا لمدينة الاتراك ، وسلطنتهم مدة مديدة وكان لاوغوز خان ستة اولاد . هم : كون خان وآى خان ، ويلايز خان وكوك خان وطاق خان ودكر خان . وكان مشغولاً بالصيد . فارساهم ذات يوم الى الصيد — مؤملاً ان كل واحد منهم يأتى بما يكون دليلاً على حالته فى المستقبل — فاصابوا قوساً وثلاثة سهم وآبوا ، فعرضوهم عليه فاعطى السهم الى كوك خان وطاق خان ودكر خان ، والقوس للثلاثة الآخرين . وهؤلاء كسرو القوس ليقسموها بينهم . فاعطى لاولئك ، السهم الثلاثة — اوجوق او اوج اوقى ، والاخرين جزوق السهم المكسرة . ولما وقى قسمت بلادهم فأخذ الجناح الايمن وساح الايسر عشائر الشرق والغرب . ويزعم ان قد ولد لكل خان اربعة اولاد ، فكان منهم اربعة ودمترو رئيساً لعشائر الاتراك . ان امراء « ملك » الجناح الايمن ، وبزوقل الذين كانوا قاطنين فى بلاد تركستان ، هاجوا بلاد ما بين انهرين ، وسخروها ، ثم اخترقوا تلك الحدود وساروا الى ان وصلوا بقة حانهم الى فروق ، ثم الى نهر الدانوب . وان قسما مؤرخى الاوغوزيين ، والسلجوقيين ، والعثمانيين يصعدون ، انساب سلاطينهم ، يصعدوننا الى الاصلحة الثلاثة البنى ، ويعتبرون الاوغوزيين من طاغ خان و سلجوقيين من دكر خان والعثمانيين من كوك خان .

الالمانية والانكليزية . فيكون معنى كلمة ( تركمان ) هو ( الرجل القوي ) وهكذا ( قره مان ) فان معناه ( الرجل الاسود ) .

وعند البعض ان كلمة تركمان معناها ( الترك الصميم ) ، الترك الكامل ) ، ( الترك المتين ) ، وذلك لانهم على احسن ، وامتن الاوصاف الجنسية بين الاتراك ( \* ) . والا فان الرواية المتضمنه ان كلمة ( تركمان ) مؤلفة من ( تارك ) و ( ايمان ) . لحي هذان محض ( \* ) ان محض المؤلفين الذين يبحثون عن الاتراك الساكنين بين بحيرة آرال وبحر الخزر ، المعروفين باسم تركمان . يزعمون انهم عبارة عن « الهونيين البيض » و ( تى - لو ) سكان السواحل و ( غوز ) ا . ( كه ز ) . ( \*\* )

[٢] اقسام التركمان — يمكن تقسيم التركمان اقاطنين الاصقاع الكائنة بين بحر الخزر وبحيرة آرال وبين خيوة وجيحور، ووادي اترل الى عشرة اقسام كبيرة ( \* \* )

١ — قبيلة ( يومود *Yomouds* ) يعيشون تحت الخيام في الناحية العليا، وتلى سواحل بحر الخزر الشرقية .

٢ — قبيلة ( تكة *Tekes* ) . تقطن في انحاء مرو ، تهجين قزيل آرواد .

٣ — قبيلة ( ساكار *Sakar* ) قطن بين قباقلق في الشمال ، و ( جارجوى ) في الجنوب ، وفي الساحل الايسر من نهر ام دريا .

٤ — قبيلة ( جودور *Goudors* ) . هي في الجانب الشمالي من خيوة .

٥ — قبيلة ( سمرالى *Smralie* ) . هي في الجهة الجنوبية من خيوة .

٦ — قبيلة ( غوقلان *Goklan* ) . تسكن في خرأسان وتتصل باليوموديين من

الغرب .

٧ — قبيلة ( نرسارى *Nersari* ) . هي على ضفاف ام دريا في انحاء كليف .

٨ — قبيلة ( سالار *Salar* ) تسكن في انحاء مرو .

٩ — قبيلة ( آلى *Alili* ) . تقطن سهول تركستان الافغانية .

١٠ — قبيلة ( ساريق *Sariz* ) . تعيش تحت الخيام في اطراف ( باد كيز ) .

يشي هؤلاء القبائل متفرقة ، وانهم لا يجهلون بعضهم . ومنهم قبيلة ساكار ، وامرالى وغوقلان ، وسالار وساريق هم على غاية من وفرة العدد . لاسيما وان معيشتهم لم تزل تتحول من البداوة الى الحضارة .

(٥) أنسيفلويدهى الكبير

(٥٥) لمات تاريخه وجغرافيه : احمد رفعت

(\*) ترك تاريخى . لنجيب عاصم يرويه عن اوقايعة نستور ، وترجة له زه ن ص ١٩٥٠٦٩

(\*\*) راجع كلمة Turcomans من La grande Encyclopédie ( ج ٣١ )



ان اعظم قبيلة فيهم هي قبيلة تنكة . لان عددها يقرب من ثلاثمائة الف ثم الوفرة من بعدها لقبيلة آلي . ومقدار افرادها لا يقل عن مائتين وخمسين الفا . وبعد هاتين القبيلتين تأتي قبيلة يومود وقبيلة مرساي وهما أكثر عدداً من بقية القبائل . وقصارى القول ، ان مجموع نفوس التركمان في الديار التركية لا يزيد عن مليون ونصف من النسبات رغمًا عن الساع اقطاعهم وارضيتهم وتباعد اطرافها . وقد اختلط التركمان مع من يجاورهم من القبائل كقبيلة قيرغيز ونوغاي . ولا يزالون الان خلطاً بهم .

وللتركمان اقسام من الدرجة الثانية ، ما عدا الاقسام العشر التي عددها آفاً . ولكن يتعذر علينا تعداد تلك الاقسام لهؤلاء القوم الذين غادروا اراضى بلاد الترك وانبثوا في بلاد متفرقة كآسيا الصغرى ، والعراق ، وسورية وسواحل البحر المتوسط . على اننا نصادف في بعض انحاء الاناطول عشائر تنتمي لتركمان ( رمضان او غللى ) ابنا رمضان كمشيرة بيات ، قاجار ، ابنا رجب ( رجب او غللى ) ، كوچكلى . عبالى اوردكلى . وامثالهم ، توجد في ايران والاناتول عشائر كبيرة كالأفشاريين . والبعض من هذه العشائر تسمى باسم البلاد التي تسكنها ، كالعشائر الموجودة في ولاية بيروت ، فانها تدعى باسم تركمان باير ، وبوجاق ، وحذور ، وكواجره .

[٣] — اموال التركمان الاجتماعية — اشتهر التركمان ذووا القامات الطويلة . والابدان القوية المثينة . بالشجاعة والفروسية . ولهذا السبب آثرت الدولة العباسية ان تستخدمهم في امر المحافظة . ولم يؤسسوا حكومة الا وكانت مثلاً للقدرة والبسالة . لاسيما ان خصائصهم في الخضوع لتبوعهم ، والاذعان لاولى الامر تتجاوز الحد المعروف .

يابس رجال التركمان قيماً طويلاً ، وفوقه جبة طويلة ، ويشدون اوساطهم بالمناطق شداً وثيقاً ، ويختدون الامواق « جزمات » او الحفاف المتخذة من جلود الجمال ، او الخيل وياقون ارجلهم بالصوف . ويلبسون في رؤوسهم قلانس من جلود الخرفان ، اما اؤهم فيقتس رؤوسهم بفتح دون ان يسترن وجوههم ، ولهن شغف زائد بالحلى ،

وقدما هؤلاء القوم كانوا يعيشون تحت الحيام ، وخيامهم مدورة الشكل ، سهلة التفويض ، مجللة باللبود . وكثيراً ما ترى شاة . او غنز مربوطة في جانب كل خباء . هم يذبجونها في ايام مخصوصة ، فيجعلون اللحم قديداً ، ويحتفظون به ، اما العظام فيغلونها على النار ، ويفرقون المرققة على الجيران والاصدقاء . وحظ الاطفال من الذبحة اداؤها ، وهم ينذوننها على النار ويضعفونها [\*] .

## السكان

٢٢٢

التركان مطبوعون على القناعة ، ونسائهم يقنعن من الطعام بكسرة من خبز مع قليل من الزيت .

ان دواعي المعيشة في التركمان جعلت لكل من الرجال والنساء وظائف على حدة . فالرجال يشتغلون بالزراعة ؛ فيحراثون ، ويبدرون ، ويحصدون ، ويرعون الماشية ، وايضاً يفتلون الحبال بأيديهم ، ويعملون السروج ، ويصنعون القلائس والحفاف ، ويتعاملون التجارة اوقات فراغهم ، ويلعبون على الحبال ، ويتغنون ، ويأخذون نصيبهم من السرور . ويكثرون من التدخين وشرب الشاي .

اما نساؤهم فعليهن مشاغل ، واتساب باهضة حملهن الرجال ايها . ولهن كامل الحرية ولا يعاملن من قبل الرجال بسوء ؛ ويتجولن حيث شئن على اتم الاستقلال والحرية . واذا وجدن مع الرجال يكن موضع رطابة واحترام .

لا يقطع نساء التركمان عن العمل ، بل دأبهن السعي ، ولا بد ان يخلقن لاقسهن مشغلة . فطحن الشمع ، وغزل الصوف والقطن ، ونسج السجاد ، وتلييد اللبود ، وجلب الماء ، هي من وظائف النساء . فتراهن يثابرن على القيام بهذه الوظائف ولو كن حاملات او مرضعات . حتى انهن يشتغلن بالغزل انشاء الزيارات ايضاً . ولا من متعب لهن مثل تدوير الرحي ، ولا يفتتن بتألمن منها .

التركمان ، رجالاً ونساءً ميالون لعمل الخير ، واغاثة ابناؤ جنسهم ، ويندران يصدر منهم لبعضهم كلام سيء ، اوسب ، وانهم يشنون الغارة على بعضهم ، ويسموناهن زوا فتحدث بين العشائر المتجاورة مقاتلات دموية . على انهم معذورون بذلك ، ان هذه من دواعي البراوة . والمثل التركي يقول ( داخل البلد للتركي سجن ) . ولذلك نجد فيهم ميلاً قوياً لتلك الحياة . وهم مشغوفون بحب جيادهم ، وافراسهم ، وقسيهم وسهامهم . يحبون ان يكووا على حياة راحلة كة - ما الاتراك . وما امتازوا به من الاوصاف الحسنة اكرام الضيف . تزاودون في خيائهم نساءً ورجالاً . والرجل يحيد بنظره لدى فتحه باب الخيمة ، فتسمع المرأة ، وتتحنى للداخل ، ثم يدخل . وبعد ان يسلم وتنتهي مراسم الترحيب ، لا تلبث النساء ان تأتي وعلى ايديهن الطعام . ويسارعن لبذل انواع الاكرام والاحترام .

النساء عندهم يحترمون الرجال احتراماً فائقاً ، ويتكلمن همساً اذا وجدن قريباً منهم ولا يردن ان يسمعهن . ويسترن اسفل وجوههن في حضرتهم . ومع ذلك انهن على اتم ما يرام من الحرية . فلا ينجلن من محادثة الغريب ، ولا يصدفن حياءً اذا سلم عليهن .

ولهؤلاء القوم ارتباط عظيم في الدين . وهم اول من اسلم من الاتراك ، والحكومات

التي اسسوها لم تزل جبهة في حفظ بيضة الإسلام ، والذب عن حوضهم في اجريها لظروف ،  
واخطر الاحوال . وهذا اكبر دليل على فرط احترامهم للدين ومحبتهم له . وكلهم مسلمون  
وسنيون ، وقلوبهم صادقة لهذا الدين ، غيبتهم في اشد الاحتياج الى هداية العلم  
وارشاده .

٤ — ملخص تاريخ التركمان — ها نحن نسرّد نبذة من اشهر وقائع التركمان على  
ما يأتي :

### ١ اول ملوك التركمان

سبق ان بينا ان اقوام الترك البادية الساكنة في الانحاء الشرقية من بحر الخزر ،  
اعتنقت الدين الاسلامي في اواسط القرن الرابع للهجرة ، وتسمى ساروخان : ( جاناك )  
او ( قاده ) خان بعد ما اسلم ومعه الفان من الاسر ، واستأصل شأفة الوثنية من بلاده .  
ثم لم يلبث ان هاجر قسم منهم الى الانحاء الغربية من ' رمنية ' وسكنوها ، وبذلك انقسموا  
الى قسمين ' تركمان الشرق ' و ' تركمان الغرب ' . ولم تزل تلك الانحاء مأهولة بهم حتى  
الان (\*)

ثم صار الامر من بعده الى ابنه ' موسى خان ' . فشبذ الجموع واسس المدارس ،  
وبنى التكايا ، ووجه عنايته الى العلم والعلماء ، وشد ازرحم واعلى منزلتهم ثم جاء من بعده  
' بيراخان هارون ' ابن عمه وخليفة سليمان خان ، ففتح البلاد ووسع الملك ، حتى بلغ  
الى ما وراء كاشغر و ' بالاساغون ' من حدود الصين . وفتح بخارا في تاريخ ' ٣٨٩ هـ —  
٩٩٩ م ' وانتزعها من ايدي السامانيين الايرانيين . ثم جاء من اخلافه ' احمد خان ابن ابي  
النصر بن علي ' فأكرمه الاتراك الوثنيين على الدخول في دين الاسلام . ثم افضى الامر من  
بعده الى اخيه ' آرسلان خان ابو المظفر بن علي ' فاستولى على ما وراء جيحون من البلاد  
وكنى نفسه بشرف الدولة ' ٤٠٩ هـ — ١٠١٨ م ' . وبعد وفاته ' ٤٢٣ هـ — ١٠٣١ م ' ،  
اخافه ' قدر خان يوسف ' ابن بيراخان ، وكان مشهوراً بكرمه وجوده بين الاتراك  
المؤمنين . اما ابنه ' قره خان عمر ' فقد مات مسموماً . اخيه محمود المجوسى ' ٤٣٩ هـ —  
١٠٤٧ م ' وهناك انتقل ملكهم الى ' طغتماج خان ' سلطان سمرقند ثم من بعده لابنه  
' شمس الملك ' . وهذا الملك قد تزوج ابنة آي آرسلان سلطان السلجوقيين وزوج اخته  
' طورخان ' من السلطان ' ملكشاه ' . وبهذا أصبحت القرابة بين التركمان وبين الاسرة  
الحاكمة من السلجوقيين مزدوجة .

من المعلوم ان السلجوقيين الذين لهم من القوي قبائل الاثراك ينتسبون الى دكرخان ابن اوغوزخان . وفي القرن العاشر للميلاد كانوا يسكنون قريباً من بخارى في بلاد بخران . وبعد ثلاثين سنة من هذا التاريخ تأسس عليهم « محمود » سلطان غزنه وفتح الهند ، فاجلاهم الى ما وراء نهر جيحون من خراسان .

ان السلطان محمود ، ورث الملك عن ابيه « سبكتكين » . وهذا كان من مماليك احد افراد الاسرة السامانية الايرانية . وقد كان والياً . وما لبث ان سخر البلاد ، وجعلها في قبضته ، واقتدى بما فعله طولون ، واخشيده من مماليك الاثراك وولاه الخليفة في مصر . فجاهر بالاستقلال ، واسس حكومة « آل سبكتكين » . ومحمود هذا هو اول من سمي نفسه سلطاناً . وهذه الحكومة دامت مقدار عصر ونصف ، ثم اضمحلت ، واكتسحها السلجوقيون .

فالساجوقيون — الذين جلبهم السلطان محمود من وراء جيحون — ودوخوا البلاد الممتدة من بحر الخزر الى البحر المتوسط ، وتسلطوا عليها مقدار ثلاثة قرون . ثم انقسموا الى خمسة اقسام : وهم الساجوقيو « فارس » ، « كرمان » ، « دمشق » ، « حلب » ، « آسا الصغرى » .

١ — ساجقو ، و ايران دامت حكومتهم من سنة ٤٣٢ الى ٥٩٠ هجرية ، وحكم منهم خمسة عشر سلطاناً

٢ — ساجقويو كرمان ، دامت حكومتهم من سنة ٤٣٣ الى ٥٨٣ ، وحكم منهم تسعة سلاطين .

٣ — ساجقويو حلب . دامت حكومتهم من سنة ٤٧١ الى ٥١٠ ، وحكم منهم خمسة سلاطين .

٤ — ساجقويو دمشق ، دامت حكومتهم من سنة ٤٨٨ الى ٥٤٩ ، وحكم منهم تسعة سلاطين

٥ — ساجقويو الروم دامت حكومتهم مائتين وعشرين سنة من سنة ٤٧٧ الى ٦٩٩ ، وحكم منهم خمسة عشر سلطاناً .

ان نجاح السلجوقيين في اداة تلك الاصقاع الفسيحة ، ودوام سيطرتهم عليها لاجرم يستند معظماً على ما ناله اولئك القوم . من نصرة التركمان وموآزرتهم لهم . وقد جاء في « سياستنامه ص ٦٥ » ان التركمان وان لم يخلص السلجوقيون من معاكستهم ، فان

لهم اليد البيضاء في تأسيس تلك السلطنة وتأييد سلطتها وعليه لا يسوغ أنكار ما لهؤلاء  
لقوم من الخدمة لهذه الحكومة الذي هم اقرباؤها .

٣ . مهاجرة التركمان

نضطر هنا ، قبل البحث عن مهاجرة التركمان ، لان نببحث عن مهاجرة الاتراك .  
ذلك لانهم اصل لهم .

من المعلوم ان الصينيين كانوا يستخدمون الاتراك في الجندية منذ القدم . وفي القرن  
الاول للهجرة ، لما تسلط مجاهدو العرب على تركستان ، واكتسحوا بعض انحاءها ، جنس  
« سوچوتق » بالاجرة كتيبة من الاتراك وسماها « كتيبة البحر الاحمر » ، ولكن الثائفين  
اوصدوا في وجوههم ابواب السد . وحلّوهم على الاتجاه الى بلاد العراق ، وارض الروم .  
وان استيلاء العرب على تلك الانحاء كان سبباً لتحويل وجهة المهاجرة فينبما كان السيل  
التركي المنحدر من جهات « اوقسوس » و « الخزر » على طريق « سيت » القديمة متجهاً  
الى الشمال الغربي ، الى بلاد قجاق ، يابيق « اورال » ؛ ايديل « وولغا » اصبح مستهدفاً  
بنياره الجهة الجنوبية الغربية ، وانصب على انحاء « زربابجان » وجنوب القوقاس ، وآسا  
الصغرى وبلاد سورية ، وارض الروم [\*] وبعد مهاجرة الاتراك بمدة طويلة ، اخذ التركمان  
ايضاً بالهجرة فكانوا ينخرطون في سلك الجندية لدى بعض الحكومات تارة ، واخرى  
ينتهزون الفرص فيؤسسون حكومات مستقلة .

ما من حكومة تركية تأسست في آسيا الصغرى ، او سورية او مصر الا وكان للتركمان  
في تأسيسها ، وتشديد دعائمها [\*\*] الحظ الاوفى . وسبق لهم في زمن العباسيين مآثر حسنة ،  
ومثلوا فيه ادواراً خطيرة . وقد اتوا من اقاصى بلاد « يلو » او « خوارزم » ، وكانوا  
قبائل « قاتقلى » و « قال آج » و « الهون البيض » ، او من تركمان الواحل [\*\*\*]  
ثم ما لبثوا ان اظهروا من البسالة والشجاعة ، ما جعل بهم عظيم المسئاة في نظر  
العباسيين .

وفي زمن المستعين بالله العباس عظم سواد لاتراك في الولايات ، كما هو في المركز ، حتى  
اصبحت قطعة سورية ومصر في ايديهم ، الحجاز واليمن تحت ادارة ولائهم [\*\*\*\*]  
واسسوا لانفسهم حكومات مستقلة كبنى طولون ، والاخشيديين وامثالهم . وقصايد الله ؛

(٥) تورك تاريخي ، لتجيب عاصم ص ١٣٤ ، ١٥٣ ، ٢٠٣

[\*\*] لا ننسى هنا الاتاكة في سورية وحلب والممالك البحرية في مصر ، و « آل ينال » في ديار بكر

[\*\*\*] تورك تاريخي ، لتجيب عاصم ص ٢٠٥

[\*\*\*\*] تورك تاريخي ، لتجيب عاصم ص ٢١١

ان كثيرا من الاتراك ، وعلى الاخص التركمان الذين دخلوا الجندية في الخدمة المسلمين ، ما اتفكوا يهاجرون الى جهة الغرب الجنوبي وانتشروا في انحاء مازندران وكيلان وطبرستان وازربايجان من شمالي بلاد المعجم ؛ وانبثوا في بلاد ارضروم وديار بكر ، وتخطوا منها الى بلاد الاناطول ايضا . وفي زمن العثمانيين والسلاجوقين — كما سنبينه بعد — توطن منهم اناس كثيرون في قطعة الاناطول والروم ايلي . فالأتراك المتوطنون في انحاء بغداد وارضروم وفي بعض جهات آذربايجان وايران ، وفي بلاد القوقاس هم من صميم التركمان ، ولغتهم لا تختلف عن تركية الاناطول الا يسيرا . ولهم لهجة خاصة . وبناء على امتزاج هؤلاء القوم واختلاطهم بغيرهم من الاقوام في بلاد المعجم والمملكة العثمانية ، سواحل بحر الخزر ، تبدل سخائنهم وفقدوا آثار السمات والشعائر التورانية . [\*]

#### ٤ — الحكومة العثمانية والتركمانية

سبق ان قلنا ان التركمان لهم اليد البيضاء في تأسيس الحكومات القوية ، وان الحكومة العثمانية لم يأتها انطلق برهان لتأييد هذا الادعاء .

من المعلوم ، لما اكتسح خنكتر خان ذاك الصرصر الاسيوي حكومة «خوارزم» التي كانت سداً محكماً لرد طغيان المغوليين اضطر سليمان شاه ابن «قباآب» المذوب لاسرة «قالي» من الاغوزيين الى ان يضاد ربوبه في خراسان قرب بلدة «ماهان» . ووبعد مع خمسين الفا من عشيرته الى ديار الارمن حيث خيم في جوار ازربايجان ، والاخلاط

٦٢١ هـ — ١٢٢٤ م .

ولذا ذكر هنا : سبيل الاستطراد من عشيرة سليمان شاه لم تكن من آل خوارزم [\*] لان بلاد خوارزم التي يحدها نهر جيحون من الشرق وبحر الخزر من الغرب ، وخراسان من الجنوب وديار تركمان من الشمال هي تلعفة ضيقة طويلة مأهولة بسكان مختلطي الجذوة بفرقوق ، مما يجاورهم من ايام باخلاق وطبايع مختلة بهم وبلغتهم المركبة من التركية والفارسية . وعليه يجب اعتبار قبيلة سليمان شاه من التركمان — كما ذكر في جهانبشا مؤامنه شمس — هذا وان يكن الخوارزميون من التركمان كما سنبينه في هامر ، ولكن لا يكون له سبباً لاعتبار جميع القوم من تلك السيلة . وعليه وان نسبة الخوارزميين للتركمان باعتبار انه سليمان شاه خوارزمية لا يكو صحيحاً . توفي خنكتر خان بعد ان اقام سليمان شاه في الاخلاط سبع سنين . وتمزق شمل الخوارزميين بعد ان غلبوا من قبل علاء الدين

[\*] تاريخ الامم والملوك لشمس الدين سامي .

[\*\*] ترجم هاجر ج ١ ص ٧٥

لسلاجوق سلطان قونية ، ولذلك آثر سليمان شاه ان يرجع بعشيرته الى وطنه فبنى يتبع ساحل الفرات وعشيرته معه الى ان قدموا قلعة جعبر ، فاقبضهم سليمان النهر بفرسه ليقطعه امام عشيرته ولم يلبث ان سقط فيه وغرق . وكانت وفاته سبباً لانحلال العشيرة التي كانت مجتمعة تحت كنفه . وبقيت منهم الى اليوم بقية تسمى بتركان سورية وتركان للروم [٥] .

كان لسليمان شاه اربعة اولاد : سنغور — تكين ، كون طوغدى . دوندار وارطغرل اما الاول والثاني فقد عادا الى خراسان . والاثنين الاخيرين ذهبا ومعهما اربع مائة من العائلات الى الجانب الشرقى وتزلا اغوار « سورمهلى » الفسيحة المسورة بالجبال الشاغرة التي تلمس آفاق ارضروم . وتوجهت شرذمة منهم الى سهول ناسين وتوطنت فيها . ثم ما زال ارطغرل واخوه . وندار برنادان الموطن حتى ساقهما الحظ الى علاء الدين الساجوق فاقطعهما ارضاً اسر فيها السلطان عثمان ابن ارطغرل بك الحكومة العثمانية — على السبق المعلوم — وذلك بعد اقراض الحكومة السلجوقية ، ٦٩٩ هـ - - ١٢٩٩ م . وبه يكون مؤسسو الحكومة العثمانية هم من التركمان الاوغوزيون ايضاً

#### ٥ التركمان في آسيا الصغرى

تأسست الحكومة العثمانية كما قدمنا على اقاض الحكومة الساجوقية . وكانت طامسة الاناطول حينئذ مأهولة بكثير من عشائر التركمان ؛ كما ان الحدود الشرقية ايضاً كانت بتمامها تحت سيطرة هذه العشائر وبعض هذه العشائر ولاسيما الحكومات السعيدة والامارات « بكلك » التي اسست من قلمهم لم تنقطع عن معاكسة العثمانيين ، واهتمهم العسر الامر . فنبه القرمانيون ، الذين جاهدوا النور في زمن السلطان مراد خداندنكار وجمعوا تحت رايتهم كثيراً من سلة التركمان ، الدار وصعدوا اليهم عشائر ارساق وطوغرغود ويايبورد ، وشعلوا الحكومة زمناً طويلاً [٦] في زمن السلطان مراد الثانى حرماناً . اخوة من تركمان قيزيل خواسه وعائدا في انحاء امانسه وتوقات بعد ان استحوذوا عليها . وتطاولوا الى سبي النساء وسلب السبله ونهب القرى واغلقوا في القلاع . وندب راجع ماشا لكيج جمعهم واستأصل شأقتهم فارسل اليهم كتاباً وعدهم فيه انه يقطعهم . واورتوق ادد ، اذا رصوا بان ياعدو على عنة « اورد آل ارسلاق » الذين كانوا على سوحل حانيك واستولوا عليها — وقد تيسر لحضر بك ابن ركيچ ماشا القاء بعض على آخرهم فجاهلهم الى امانا حيث رحلهم المصح ثم تقدموا الى ابواب علبهم والحجارة .

[٥] مترجم هامر ح ١ ص ٨٩  
[٦] مترجم هامر ح ١ ص ٢٣٩

واغرم النار حول ذلك السجن فاهلكهم خنقاً . ثم اعاد الكرة بالمعجوم على بقية عشائر  
چودوم فزق شملهم واستولى على خزانهم ؛ والجلانهم الى الفرار ، والانجلاء عن الملك  
العثماني . فلاذوا بتركمان منتشاً في بلاد امراء « ذى القدر » و « آق قويونق » وبمساعدة  
وجيزة سخر يوركچ باشا حصن جانيك ، الذي هو لحسين بك رئيس عشيرة اولاد « آلب  
آرسلان » التركمانية « ٨٣١ هـ - ١٤٢٧ م » .

..

اما الحكومات والامارات التي اسسها التركمان في الاماطول ، فاننا نذكر منها امرة  
« ذى القدرية » و « رمضان اوغلرلى » وحكومات « آق قويونلى » و « قويونلى » .

#### ٦ . امرة ذى القدرية

هذه الامارة اسسها « زين الدين قرهجه ذو القدر » التركمانى في اراضى قادوقيا  
القديمة التي نسبها ابوم بلو<sup>(\*)</sup> مرعش<sup>(\*)</sup> و زين الدين هذا مؤسس تلك الاسرة ، فتح  
بلدة مرعش واستعان سنة « ٧٨٠ هـ - ١٣٧٩ م » وشيد دطائم امارته . ثم ن اخلافه  
استوا على بلدة خربوط و هم سن وملاطية ووسعوا ملكهم بها . وقد اثبت هامر : جدول  
النساء عشرة امراء لهذه الاسرة ، وعددهم على الوجه الاق :  
١ - « زين الدين قرهجه ذو القدر » [ ٧٨٠ هـ - ١٣٧٨ م ] هو مؤسس هذه  
الامارة .

٢ - ابيه [ خايل بك ] ملك التركمان سنة ٧٨٨ هـ - ١٣٨٦ م  
٣ - سولى بك [ هو اح لحايل بك ] قتله طاطنى من المصريين باساع من رنةوة سلطان  
مصر سنة [ ٨٠٠ هـ - ١٣٩٧ م ]  
٤ - ناصر الدين محمد بن خايل بك . توفى في الثمانين من عمره سنة « ٨١٦ هـ -  
١٣٣٩ م »

٥ - ساهن بك ابن ناصر الدين . وتزوج ابنته « سقى ساطان » من « اسطان  
محمد الثانى » وتوفى سنة « ٨٥٨ هـ - ١٤٥١ م »  
٦ - آرسلا بك .

٧ - شهوار بك ٨ - بوداق بك ٩ - لال الدواصة بك وهؤلاء تساءوا واورا  
بعضهم بالامارة .



١٠ — شهبوار زاده على بك ، وهو الذى ختمت فيه تلك الاسرة بعد ان دامت مائة

وعشرين سنة قريه . اما سبب اقراضها فهو : [\*]

حقق السلطان سليم ياوز على امير ذى القدرية بسبب مسئلة مصر وعزم على الاقصاد به ؛ فرجع الى سيواس بعد ما سخر كياخ في ثمانية ايام « ١٣ ربيع الاخر ١٢١ » . وارسل من هناك وزيره الاعظم سنان پاشا معه شهبوار زاده على بك ورفقهما بشيرة آلاف يكيچرى . وسلطهم على « علاء الدولة » . فوصل سنان پاشا الى البستان وعسكر على ضعاف « اينجه صو » وكان علاء الدولة فى تلك الاونة فى محل اوردكلى . فما كان منه الا ان سارع بنقل نسائه وخزائنه الى شواحق جبل طورنه ؛ وعمد الى مضائق الجبل فاستولى عليهما . من معه من التركمان . اما سنان پاشا فانه قطع سهول كوكسو . وزحف الى نبدل جبل طورنه الذى تحصن فيه امير ذى القدرية . وهناك اضطره الى قبول الحرب .

ولم يطل الامر الا وقتل علاء الدولة ، ونصب على بك شهبوار ولياً على بلاده . وبه ختمت انقاس تلك الاسرة « ٩٢١ هـ — ١٥١٥ م » .

## ٧ — آل رمضان

اسس آل رمضان حكومتهم فوق شواحق جبال طوروس الكائنه بين آسيا الصغرى وسورية ؛ ودامت مقدار مائتى سنة اى من « ١٢٨٠ هـ — ١٣٧٨ م » الى « ١٧٠ هـ — ١٥٦٢ » . وكيفية تكون هذه الاسرة كان على الوجه الآتى : [\*\*]

لما قضى سليمان شاه جد السلطان عثمان الذى اسس الحكومة العثمانية غرقاً فى جوار « حصن جبر » . ذهب اولاده الى ناحية الشمال وذهب سبعة من رفقائه مع عائلاتهم وكلهم من قبيلة اوجوق « اوج اوق » الى « جقور اووه » وتوطنوا فيه . وهؤلاء هم « بوركر » ، « قوسون » ، « وارساق » ، « قره عيسى » ، « اوزر » ، « كوندوز » ، « قيش تيمور » . فترأس عليهم بوركر . ونال المذكور من الارمن المتوطنين هناك حق رعى مائيته فى انحاء اطنه ومسيس وطرروس . ثم انتقل هذا الحلق منه لابنه رمضان . رخصه رمضان جبل « آدارلق » مشق لقوسون وجبل « كولك » مصطافاً .

وكانوا يرعون ماشيتهم تارة فى السهول وأخرى فى الذرى . فكان « قيش تيمور » يصيف فى طرسوس ويشقى فى جبل « بلغار » و « كوندوز » فى سهول ، يصبص وفى جبالها اما رمضان فى اغوار اطنه ونجودها . وبهذا كانت جميع السهول فى قبضتهم . ولم

[\*] مترجم ما مرجع ص ١٤٨

[\*\*] ايضاً ج ٤ ص ١٣

يكن لديهم قدرة تمسكهم من اجلاء الارمن من القصبات والبلاد . وبعد خمسين سنة جزم «داود» من آل «داور» على تحقيق تلك الاماني ، فاستبان بالشيخ احمد سلطان مصر . فلباه وارسل له الجنود ، فسفروا تلك الاسواق باسم السلطان . ولم يكن حفظ داود منها الا عنوان الامادة ، وكان عمل داود منشطاً لبني عمه على الاقتداء به .

ثم ترك اولاد «كوندوز» قلعة آياس لمساكر السلطان ، وذهبوا الى مصر ، ولم يلبث ابراهيم بن رمضان ان استعجد بالمصريين ، وساعدهم على امتلاك اطنه وسيس . وضبطت طرسوس ايضاً بمونة احد اولاد قيش تيمور . وبهذه الكيفية تمكن الشيخ احمد من امتلاك ستة قلاع من احص ديار الارمن «كلكيا» ، دون ان يتكبد حرباً تستحق الذكر . وهذه القلاع هي : قلعة آياس ، كولهك ، سيس ، معيص ، اطنه ، طرسوس . ثم مد يده الى عدة حصون هناك فاستولى عليها وجعلها مراكز دفاع عن ثغور سورية .

وهذا تمكن آل رمضان من احراز عنوان الامارة في تلك الانحاء ، ودام سلطانهم فيها مدة تقرب من قرنين وحكم منهم ثمانية امراء لم يذكر منهم «هزارفن» الا اربعة :

- ١ — احمد بن رمضان ، تآمر في انحاء اطنه وسيس وآياس وبياس . ٢ — ابنه ابراهيم بك . ٣ — ثم خلفه في الامارة محمود بك ، وهذا الامير اطاع السلطان بايزيد ، ورافق السلطان سليم في سفره الى مصر ، وتوفي وهو معه . ٤ — يرى بك ابن خايل بك وهو آخر امراء آل رمضان . وقد اندرست هذه السلالة في تاريخ «٩٧٠ هـ» .
- ١٥٦٢ م ، كما بينا آنفاً ولهم بقية مبعثرة في انحاء حلب وبلاد الاناطول تكونت منهم عشائر مختلفة الاسماء كمشيرة «پهلوان اوغللري» و«بيات» و«قاجار» و«رجب اوغللري» و«كوجلكي» و«عالي» و«اوردكلي» . [\*]

#### ٨ . حصومات «قره قوبونلي» و«آق قوبونلي»

ان «قره قوبونلي» و«آق قوبونلي» [\*] اسمان لشعيرتين من التركان ، غادرا السهول التي كانا فيها ، وتحولا من الشرق الى الغرب حيث توطنت احدهما — آق قوبونلي — في «قبادونيا» ، والثانية — قره قوبونلي — بين النهرين . وذلك في القرن الثامن للهجرة واواخر القرن الرابع عشر للميلاد في زمن ارغون ملك المغول المنسوب الى جنكيز خان . وبعد مرور قرن ، اي بعد ان اادت حكومة المغول الايرانية بمدة طويلة ، استطاع هاتان الشعيرتان لأول مرة تأسيس دولتين الواحدة جنوبية في بلاد ديار بكر ، والثانية شمالية

[٥] قلاً عن جهانم ص ٥٩٣ ، مترجم هامير ج ٤ تذييلات ص ٣١٦ .

[٥٥] راجع (١) (٢) (٣) (٤) (٥) (٦) (٧) (٨) (٩) (١٠) (١١) (١٢) (١٣) (١٤) (١٥) (١٦) (١٧) (١٨) (١٩) (٢٠) (٢١) (٢٢) (٢٣) (٢٤) (٢٥) (٢٦) (٢٧) (٢٨) (٢٩) (٣٠) (٣١) (٣٢) (٣٣) (٣٤) (٣٥) (٣٦) (٣٧) (٣٨) (٣٩) (٤٠) (٤١) (٤٢) (٤٣) (٤٤) (٤٥) (٤٦) (٤٧) (٤٨) (٤٩) (٥٠) (٥١) (٥٢) (٥٣) (٥٤) (٥٥) (٥٦) (٥٧) (٥٨) (٥٩) (٦٠) (٦١) (٦٢) (٦٣) (٦٤) (٦٥) (٦٦) (٦٧) (٦٨) (٦٩) (٧٠) (٧١) (٧٢) (٧٣) (٧٤) (٧٥) (٧٦) (٧٧) (٧٨) (٧٩) (٨٠) (٨١) (٨٢) (٨٣) (٨٤) (٨٥) (٨٦) (٨٧) (٨٨) (٨٩) (٩٠) (٩١) (٩٢) (٩٣) (٩٤) (٩٥) (٩٦) (٩٧) (٩٨) (٩٩) (١٠٠) (١٠١) (١٠٢) (١٠٣) (١٠٤) (١٠٥) (١٠٦) (١٠٧) (١٠٨) (١٠٩) (١١٠) (١١١) (١١٢) (١١٣) (١١٤) (١١٥) (١١٦) (١١٧) (١١٨) (١١٩) (١٢٠) (١٢١) (١٢٢) (١٢٣) (١٢٤) (١٢٥) (١٢٦) (١٢٧) (١٢٨) (١٢٩) (١٣٠) (١٣١) (١٣٢) (١٣٣) (١٣٤) (١٣٥) (١٣٦) (١٣٧) (١٣٨) (١٣٩) (١٤٠) (١٤١) (١٤٢) (١٤٣) (١٤٤) (١٤٥) (١٤٦) (١٤٧) (١٤٨) (١٤٩) (١٥٠) (١٥١) (١٥٢) (١٥٣) (١٥٤) (١٥٥) (١٥٦) (١٥٧) (١٥٨) (١٥٩) (١٦٠) (١٦١) (١٦٢) (١٦٣) (١٦٤) (١٦٥) (١٦٦) (١٦٧) (١٦٨) (١٦٩) (١٧٠) (١٧١) (١٧٢) (١٧٣) (١٧٤) (١٧٥) (١٧٦) (١٧٧) (١٧٨) (١٧٩) (١٨٠) (١٨١) (١٨٢) (١٨٣) (١٨٤) (١٨٥) (١٨٦) (١٨٧) (١٨٨) (١٨٩) (١٩٠) (١٩١) (١٩٢) (١٩٣) (١٩٤) (١٩٥) (١٩٦) (١٩٧) (١٩٨) (١٩٩) (٢٠٠) (٢٠١) (٢٠٢) (٢٠٣) (٢٠٤) (٢٠٥) (٢٠٦) (٢٠٧) (٢٠٨) (٢٠٩) (٢١٠) (٢١١) (٢١٢) (٢١٣) (٢١٤) (٢١٥) (٢١٦) (٢١٧) (٢١٨) (٢١٩) (٢٢٠) (٢٢١) (٢٢٢) (٢٢٣) (٢٢٤) (٢٢٥) (٢٢٦) (٢٢٧) (٢٢٨) (٢٢٩) (٢٣٠) (٢٣١) (٢٣٢) (٢٣٣) (٢٣٤) (٢٣٥) (٢٣٦) (٢٣٧) (٢٣٨) (٢٣٩) (٢٤٠) (٢٤١) (٢٤٢) (٢٤٣) (٢٤٤) (٢٤٥) (٢٤٦) (٢٤٧) (٢٤٨) (٢٤٩) (٢٥٠) (٢٥١) (٢٥٢) (٢٥٣) (٢٥٤) (٢٥٥) (٢٥٦) (٢٥٧) (٢٥٨) (٢٥٩) (٢٦٠) (٢٦١) (٢٦٢) (٢٦٣) (٢٦٤) (٢٦٥) (٢٦٦) (٢٦٧) (٢٦٨) (٢٦٩) (٢٧٠) (٢٧١) (٢٧٢) (٢٧٣) (٢٧٤) (٢٧٥) (٢٧٦) (٢٧٧) (٢٧٨) (٢٧٩) (٢٨٠) (٢٨١) (٢٨٢) (٢٨٣) (٢٨٤) (٢٨٥) (٢٨٦) (٢٨٧) (٢٨٨) (٢٨٩) (٢٩٠) (٢٩١) (٢٩٢) (٢٩٣) (٢٩٤) (٢٩٥) (٢٩٦) (٢٩٧) (٢٩٨) (٢٩٩) (٣٠٠) (٣٠١) (٣٠٢) (٣٠٣) (٣٠٤) (٣٠٥) (٣٠٦) (٣٠٧) (٣٠٨) (٣٠٩) (٣١٠) (٣١١) (٣١٢) (٣١٣) (٣١٤) (٣١٥) (٣١٦) (٣١٧) (٣١٨) (٣١٩) (٣٢٠) (٣٢١) (٣٢٢) (٣٢٣) (٣٢٤) (٣٢٥) (٣٢٦) (٣٢٧) (٣٢٨) (٣٢٩) (٣٣٠) (٣٣١) (٣٣٢) (٣٣٣) (٣٣٤) (٣٣٥) (٣٣٦) (٣٣٧) (٣٣٨) (٣٣٩) (٣٤٠) (٣٤١) (٣٤٢) (٣٤٣) (٣٤٤) (٣٤٥) (٣٤٦) (٣٤٧) (٣٤٨) (٣٤٩) (٣٥٠) (٣٥١) (٣٥٢) (٣٥٣) (٣٥٤) (٣٥٥) (٣٥٦) (٣٥٧) (٣٥٨) (٣٥٩) (٣٦٠) (٣٦١) (٣٦٢) (٣٦٣) (٣٦٤) (٣٦٥) (٣٦٦) (٣٦٧) (٣٦٨) (٣٦٩) (٣٧٠) (٣٧١) (٣٧٢) (٣٧٣) (٣٧٤) (٣٧٥) (٣٧٦) (٣٧٧) (٣٧٨) (٣٧٩) (٣٨٠) (٣٨١) (٣٨٢) (٣٨٣) (٣٨٤) (٣٨٥) (٣٨٦) (٣٨٧) (٣٨٨) (٣٨٩) (٣٩٠) (٣٩١) (٣٩٢) (٣٩٣) (٣٩٤) (٣٩٥) (٣٩٦) (٣٩٧) (٣٩٨) (٣٩٩) (٤٠٠) (٤٠١) (٤٠٢) (٤٠٣) (٤٠٤) (٤٠٥) (٤٠٦) (٤٠٧) (٤٠٨) (٤٠٩) (٤١٠) (٤١١) (٤١٢) (٤١٣) (٤١٤) (٤١٥) (٤١٦) (٤١٧) (٤١٨) (٤١٩) (٤٢٠) (٤٢١) (٤٢٢) (٤٢٣) (٤٢٤) (٤٢٥) (٤٢٦) (٤٢٧) (٤٢٨) (٤٢٩) (٤٣٠) (٤٣١) (٤٣٢) (٤٣٣) (٤٣٤) (٤٣٥) (٤٣٦) (٤٣٧) (٤٣٨) (٤٣٩) (٤٤٠) (٤٤١) (٤٤٢) (٤٤٣) (٤٤٤) (٤٤٥) (٤٤٦) (٤٤٧) (٤٤٨) (٤٤٩) (٤٥٠) (٤٥١) (٤٥٢) (٤٥٣) (٤٥٤) (٤٥٥) (٤٥٦) (٤٥٧) (٤٥٨) (٤٥٩) (٤٦٠) (٤٦١) (٤٦٢) (٤٦٣) (٤٦٤) (٤٦٥) (٤٦٦) (٤٦٧) (٤٦٨) (٤٦٩) (٤٧٠) (٤٧١) (٤٧٢) (٤٧٣) (٤٧٤) (٤٧٥) (٤٧٦) (٤٧٧) (٤٧٨) (٤٧٩) (٤٨٠) (٤٨١) (٤٨٢) (٤٨٣) (٤٨٤) (٤٨٥) (٤٨٦) (٤٨٧) (٤٨٨) (٤٨٩) (٤٩٠) (٤٩١) (٤٩٢) (٤٩٣) (٤٩٤) (٤٩٥) (٤٩٦) (٤٩٧) (٤٩٨) (٤٩٩) (٥٠٠) (٥٠١) (٥٠٢) (٥٠٣) (٥٠٤) (٥٠٥) (٥٠٦) (٥٠٧) (٥٠٨) (٥٠٩) (٥١٠) (٥١١) (٥١٢) (٥١٣) (٥١٤) (٥١٥) (٥١٦) (٥١٧) (٥١٨) (٥١٩) (٥٢٠) (٥٢١) (٥٢٢) (٥٢٣) (٥٢٤) (٥٢٥) (٥٢٦) (٥٢٧) (٥٢٨) (٥٢٩) (٥٣٠) (٥٣١) (٥٣٢) (٥٣٣) (٥٣٤) (٥٣٥) (٥٣٦) (٥٣٧) (٥٣٨) (٥٣٩) (٥٤٠) (٥٤١) (٥٤٢) (٥٤٣) (٥٤٤) (٥٤٥) (٥٤٦) (٥٤٧) (٥٤٨) (٥٤٩) (٥٥٠) (٥٥١) (٥٥٢) (٥٥٣) (٥٥٤) (٥٥٥) (٥٥٦) (٥٥٧) (٥٥٨) (٥٥٩) (٥٦٠) (٥٦١) (٥٦٢) (٥٦٣) (٥٦٤) (٥٦٥) (٥٦٦) (٥٦٧) (٥٦٨) (٥٦٩) (٥٧٠) (٥٧١) (٥٧٢) (٥٧٣) (٥٧٤) (٥٧٥) (٥٧٦) (٥٧٧) (٥٧٨) (٥٧٩) (٥٨٠) (٥٨١) (٥٨٢) (٥٨٣) (٥٨٤) (٥٨٥) (٥٨٦) (٥٨٧) (٥٨٨) (٥٨٩) (٥٩٠) (٥٩١) (٥٩٢) (٥٩٣) (٥٩٤) (٥٩٥) (٥٩٦) (٥٩٧) (٥٩٨) (٥٩٩) (٦٠٠) (٦٠١) (٦٠٢) (٦٠٣) (٦٠٤) (٦٠٥) (٦٠٦) (٦٠٧) (٦٠٨) (٦٠٩) (٦١٠) (٦١١) (٦١٢) (٦١٣) (٦١٤) (٦١٥) (٦١٦) (٦١٧) (٦١٨) (٦١٩) (٦٢٠) (٦٢١) (٦٢٢) (٦٢٣) (٦٢٤) (٦٢٥) (٦٢٦) (٦٢٧) (٦٢٨) (٦٢٩) (٦٣٠) (٦٣١) (٦٣٢) (٦٣٣) (٦٣٤) (٦٣٥) (٦٣٦) (٦٣٧) (٦٣٨) (٦٣٩) (٦٤٠) (٦٤١) (٦٤٢) (٦٤٣) (٦٤٤) (٦٤٥) (٦٤٦) (٦٤٧) (٦٤٨) (٦٤٩) (٦٥٠) (٦٥١) (٦٥٢) (٦٥٣) (٦٥٤) (٦٥٥) (٦٥٦) (٦٥٧) (٦٥٨) (٦٥٩) (٦٦٠) (٦٦١) (٦٦٢) (٦٦٣) (٦٦٤) (٦٦٥) (٦٦٦) (٦٦٧) (٦٦٨) (٦٦٩) (٦٧٠) (٦٧١) (٦٧٢) (٦٧٣) (٦٧٤) (٦٧٥) (٦٧٦) (٦٧٧) (٦٧٨) (٦٧٩) (٦٨٠) (٦٨١) (٦٨٢) (٦٨٣) (٦٨٤) (٦٨٥) (٦٨٦) (٦٨٧) (٦٨٨) (٦٨٩) (٦٩٠) (٦٩١) (٦٩٢) (٦٩٣) (٦٩٤) (٦٩٥) (٦٩٦) (٦٩٧) (٦٩٨) (٦٩٩) (٧٠٠) (٧٠١) (٧٠٢) (٧٠٣) (٧٠٤) (٧٠٥) (٧٠٦) (٧٠٧) (٧٠٨) (٧٠٩) (٧١٠) (٧١١) (٧١٢) (٧١٣) (٧١٤) (٧١٥) (٧١٦) (٧١٧) (٧١٨) (٧١٩) (٧٢٠) (٧٢١) (٧٢٢) (٧٢٣) (٧٢٤) (٧٢٥) (٧٢٦) (٧٢٧) (٧٢٨) (٧٢٩) (٧٣٠) (٧٣١) (٧٣٢) (٧٣٣) (٧٣٤) (٧٣٥) (٧٣٦) (٧٣٧) (٧٣٨) (٧٣٩) (٧٤٠) (٧٤١) (٧٤٢) (٧٤٣) (٧٤٤) (٧٤٥) (٧٤٦) (٧٤٧) (٧٤٨) (٧٤٩) (٧٥٠) (٧٥١) (٧٥٢) (٧٥٣) (٧٥٤) (٧٥٥) (٧٥٦) (٧٥٧) (٧٥٨) (٧٥٩) (٧٦٠) (٧٦١) (٧٦٢) (٧٦٣) (٧٦٤) (٧٦٥) (٧٦٦) (٧٦٧) (٧٦٨) (٧٦٩) (٧٧٠) (٧٧١) (٧٧٢) (٧٧٣) (٧٧٤) (٧٧٥) (٧٧٦) (٧٧٧) (٧٧٨) (٧٧٩) (٧٨٠) (٧٨١) (٧٨٢) (٧٨٣) (٧٨٤) (٧٨٥) (٧٨٦) (٧٨٧) (٧٨٨) (٧٨٩) (٧٩٠) (٧٩١) (٧٩٢) (٧٩٣) (٧٩٤) (٧٩٥) (٧٩٦) (٧٩٧) (٧٩٨) (٧٩٩) (٨٠٠) (٨٠١) (٨٠٢) (٨٠٣) (٨٠٤) (٨٠٥) (٨٠٦) (٨٠٧) (٨٠٨) (٨٠٩) (٨١٠) (٨١١) (٨١٢) (٨١٣) (٨١٤) (٨١٥) (٨١٦) (٨١٧) (٨١٨) (٨١٩) (٨٢٠) (٨٢١) (٨٢٢) (٨٢٣) (٨٢٤) (٨٢٥) (٨٢٦) (٨٢٧) (٨٢٨) (٨٢٩) (٨٣٠) (٨٣١) (٨٣٢) (٨٣٣) (٨٣٤) (٨٣٥) (٨٣٦) (٨٣٧) (٨٣٨) (٨٣٩) (٨٤٠) (٨٤١) (٨٤٢) (٨٤٣) (٨٤٤) (٨٤٥) (٨٤٦) (٨٤٧) (٨٤٨) (٨٤٩) (٨٥٠) (٨٥١) (٨٥٢) (٨٥٣) (٨٥٤) (٨٥٥) (٨٥٦) (٨٥٧) (٨٥٨) (٨٥٩) (٨٦٠) (٨٦١) (٨٦٢) (٨٦٣) (٨٦٤) (٨٦٥) (٨٦٦) (٨٦٧) (٨٦٨) (٨٦٩) (٨٧٠) (٨٧١) (٨٧٢) (٨٧٣) (٨٧٤) (٨٧٥) (٨٧٦) (٨٧٧) (٨٧٨) (٨٧٩) (٨٨٠) (٨٨١) (٨٨٢) (٨٨٣) (٨٨٤) (٨٨٥) (٨٨٦) (٨٨٧) (٨٨٨) (٨٨٩) (٨٩٠) (٨٩١) (٨٩٢) (٨٩٣) (٨٩٤) (٨٩٥) (٨٩٦) (٨٩٧) (٨٩٨) (٨٩٩) (٩٠٠) (٩٠١) (٩٠٢) (٩٠٣) (٩٠٤) (٩٠٥) (٩٠٦) (٩٠٧) (٩٠٨) (٩٠٩) (٩١٠) (٩١١) (٩١٢) (٩١٣) (٩١٤) (٩١٥) (٩١٦) (٩١٧) (٩١٨) (٩١٩) (٩٢٠) (٩٢١) (٩٢٢) (٩٢٣) (٩٢٤) (٩٢٥) (٩٢٦) (٩٢٧) (٩٢٨) (٩٢٩) (٩٣٠) (٩٣١) (٩٣٢) (٩٣٣) (٩٣٤) (٩٣٥) (٩٣٦) (٩٣٧) (٩٣٨) (٩٣٩) (٩٤٠) (٩٤١) (٩٤٢) (٩٤٣) (٩٤٤) (٩٤٥) (٩٤٦) (٩٤٧) (٩٤٨) (٩٤٩) (٩٥٠) (٩٥١) (٩٥٢) (٩٥٣) (٩٥٤) (٩٥٥) (٩٥٦) (٩٥٧) (٩٥٨) (٩٥٩) (٩٦٠) (٩٦١) (٩٦٢) (٩٦٣) (٩٦٤) (٩٦٥) (٩٦٦) (٩٦٧) (٩٦٨) (٩٦٩) (٩٧٠) (٩٧١) (٩٧٢) (٩٧٣) (٩٧٤) (٩٧٥) (٩٧٦) (٩٧٧) (٩٧٨) (٩٧٩) (٩٨٠) (٩٨١) (٩٨٢) (٩٨٣) (٩٨٤) (٩٨٥) (٩٨٦) (٩٨٧) (٩٨٨) (٩٨٩) (٩٩٠) (٩٩١) (٩٩٢) (٩٩٣) (٩٩٤) (٩٩٥) (٩٩٦) (٩٩٧) (٩٩٨) (٩٩٩) (١٠٠٠) (١٠٠١) (١٠٠٢) (١٠٠٣) (١٠٠٤) (١٠٠٥) (١٠٠٦) (١٠٠٧) (١٠٠٨) (١٠٠٩) (١٠١٠) (١٠١١) (١٠١٢) (١٠١٣) (١٠١٤) (١٠١٥) (١٠١٦) (١٠١٧) (١٠١٨) (١٠١٩) (١٠٢٠) (١٠٢١) (١٠٢٢) (١٠٢٣) (١٠٢٤) (١٠٢٥) (١٠٢٦) (١٠٢٧) (١٠٢٨) (١٠٢٩) (١٠٣٠) (١٠٣١) (١٠٣٢) (١٠٣٣) (١٠٣٤) (١٠٣٥) (١٠٣٦) (١٠٣٧) (١٠٣٨) (١٠٣٩) (١٠٤٠) (١٠٤١) (١٠٤٢) (١٠٤٣) (١٠٤٤) (١٠٤٥) (١٠٤٦) (١٠٤٧) (١٠٤٨) (١٠٤٩) (١٠٥٠) (١٠٥١) (١٠٥٢) (١٠٥٣) (١٠٥٤) (١٠٥٥) (١٠٥٦) (١٠٥٧) (١٠٥٨) (١٠٥٩) (١٠٦٠) (١٠٦١) (١٠٦٢) (١٠٦٣) (١٠٦٤) (١٠٦٥) (١٠٦٦) (١٠٦٧) (١٠٦٨) (١٠٦٩) (١٠٧٠) (١٠٧١) (١٠٧٢) (١٠٧٣) (١٠٧٤) (١٠٧٥) (١٠٧٦) (١٠٧٧) (١٠٧٨) (١٠٧٩) (١٠٨٠) (١٠٨١) (١٠٨٢) (١٠٨٣) (١٠٨٤) (١٠٨٥) (١٠٨٦) (١٠٨٧) (١٠٨٨) (١٠٨٩) (١٠٩٠) (١٠٩١) (١٠٩٢) (١٠٩٣) (١٠٩٤) (١٠٩٥) (١٠٩٦) (١٠٩٧) (١٠٩٨) (١٠٩٩) (١١٠٠) (١١٠١) (١١٠٢) (١١٠٣) (١١٠٤) (١١٠٥) (١١٠٦) (١١٠٧) (١١٠٨) (١١٠٩) (١١١٠) (١١١١) (١١١٢) (١١١٣) (١١١٤) (١١١٥) (١١١٦) (١١١٧) (١١١٨) (١١١٩) (١١٢٠) (١١٢١) (١١٢٢) (١١٢٣) (١١٢٤) (١١٢٥) (١١٢٦) (١١٢٧) (١١٢٨) (١١٢٩) (١١٣٠) (١١٣١) (١١٣٢) (١١٣٣) (١١٣٤) (١١٣٥) (١١٣٦) (١١٣٧) (١١٣٨) (١١٣٩) (١١٤٠) (١١٤١) (١١٤٢) (١١٤٣) (١١٤٤) (١١٤٥) (١١٤٦) (١١٤٧) (١١٤٨) (١١٤٩) (١١٥٠) (١١٥١) (١١٥٢) (١١٥٣) (١١٥٤) (١١٥٥) (١١٥٦) (١١٥٧) (١١٥٨) (١١٥٩) (١١٦٠) (١١٦١) (١١٦٢) (١١٦٣) (١١٦٤) (١١٦٥) (١١٦٦) (١١٦٧) (١١٦٨) (١١٦٩) (١١٧٠) (١١٧١) (١١٧٢) (١١٧٣) (١١٧٤) (١١٧٥) (١١٧٦) (١١٧٧) (١١٧٨) (١١٧٩) (١١٨٠) (١١٨١) (١١٨٢) (١١٨٣) (١١٨٤) (١١٨٥) (١١٨٦) (١١٨٧) (١١٨٨) (١١٨٩) (١١٩٠) (١١٩١) (١١٩٢) (١١٩٣) (١١٩٤) (١١٩٥) (١١٩٦) (١١٩٧) (١١٩٨) (١١٩٩) (١٢٠٠) (١٢٠١) (١٢٠٢) (١٢٠٣) (١٢٠٤) (١٢٠٥) (١٢٠٦) (١٢٠٧) (١٢٠٨) (١٢٠٩) (١٢١٠) (١٢١١) (١٢١٢) (١٢١٣) (١٢١٤) (١٢١٥) (١٢١٦) (١٢١٧) (١٢١٨) (١٢١٩) (١٢٢٠) (١٢٢١) (١٢٢٢) (١٢٢٣) (١٢٢٤) (١٢٢٥) (١٢٢٦) (١٢٢٧) (١٢٢٨) (١٢٢٩) (١٢٣٠) (١٢٣١) (١٢٣٢) (١٢٣٣) (١٢٣٤) (١٢٣٥) (١٢٣٦) (١٢٣٧) (١٢٣٨) (١٢٣٩) (١٢٤٠) (١٢٤١) (١٢٤٢) (١٢٤٣) (١٢٤٤) (١٢٤٥) (١٢٤٦) (١٢٤٧) (١٢٤٨) (١٢٤٩) (١٢٥٠) (١٢٥١) (١٢٥٢) (١٢٥٣) (١٢٥٤) (١٢٥٥) (١٢٥٦) (١٢٥٧) (١٢٥٨) (١٢٥٩) (١٢٦٠) (١٢٦١) (١٢٦٢) (١٢٦٣) (١٢٦٤) (١٢٦٥) (١٢٦٦) (١٢٦٧) (١٢٦٨) (١٢٦٩) (١٢٧٠) (١٢٧١) (١٢٧٢) (١٢٧٣) (١٢٧٤) (١٢٧٥) (١٢٧٦) (١٢٧٧) (١٢٧٨) (١٢٧٩) (١٢٨٠) (١٢٨١) (١٢٨٢) (١٢٨٣) (١٢٨٤) (١٢٨٥) (١٢٨٦) (١٢٨٧) (١٢٨٨) (١٢٨٩) (١٢٩٠) (١٢٩١) (١٢٩٢) (١٢٩٣) (١٢٩٤) (١٢٩٥) (١٢٩٦) (١٢٩٧) (١٢٩٨) (١٢٩٩) (١٣٠٠) (١٣٠١) (١٣٠٢) (١٣٠٣) (١٣٠٤) (١٣٠٥) (١٣٠٦) (١٣٠٧) (١٣٠٨) (١٣٠٩) (١٣١٠) (١٣١١) (١٣١٢) (١٣١٣) (١٣١٤) (١٣١٥) (١٣١٦) (١٣١٧) (١٣١٨) (١٣١٩) (١٣٢٠) (١٣٢١) (١٣٢٢) (١٣٢٣) (١٣٢٤) (١٣٢٥) (١٣٢٦) (١٣٢٧) (١٣٢٨) (١٣٢٩) (١٣٣٠) (١٣٣١) (١٣٣٢) (١٣٣٣) (١٣٣٤) (١٣٣٥) (١٣٣٦) (١٣٣٧) (١٣٣٨) (١٣٣٩) (١٣٤٠) (١٣٤١) (١٣٤٢) (١٣٤٣) (١٣٤٤) (١٣٤٥) (١٣٤٦) (١٣٤٧) (١

في بلاد سيواس .

فسلالة قره قويونلي ، لم يكن لها الا اربعة سلاطين في ظرف (٩٧) سنة . وتأسست هذه الحكومة سنة ٧٧٧ هـ — ١٣٧٥ م ، من قبل «قره يوسف» ابن «قره محمد التركاني . وجاء في تاج التواريخ ان هذه الحكومة دامت الى سنة ٨٧٤ هـ — ١٤٦٩ م . اما هانمر فقد ذكر منهم اربعة ، وعدد لهم في جدول انسابه اثني عشر اميراً في العراق وآذربايجان وهم على ما يأتي :

- ١ — قره محمد . ٢ — قره يوسف بن قره محمد . ٣ — الامير اسكندر بن قره يوسف . ٤ — جهانشاه ميرزا بن قره يوسف . ٥ — الامير يربودق بن قره يوسف . ٦ — الامير ابو السعود بن قره يوسف . ٧ — الامير شاه محمد بن قره يوسف . ٨ — الامير آسيان بن قره يوسف . ٩ — يربوداق بن جهانشاه ميرزا . ١٠ — حسن علي بن جهانشاه ميرزا . ١١ — محمد ميرزا بن جهانشاه . ١٢ — ابو يوسف ميرزا بن جهانشاه .

\*

اما حكومة «آق قويونلي» فقد اسسها «قره يولوق» او «ره سلوك» سنة «٨٠٩ هـ — ١٤٠٦ م» وهذه الحكومة تعرف بالبايندرية ايضاً . ومن هذه الاسرة «حسن الطويل» الذي كانت له حروب طاحنة مع العثمانيين . ودامت هذه الحكومة تسع وتسعين سنة ثم درست سنة «٩٠٨ هـ — ١٥٠٢ م» كما جاء في تاج التواريخ . اما هانمر فانه ذكر منهم تسعة امراء ، وابتاع عددهم في جدول انسابه الى اثني عشر وها هي سماؤهم :

- ١ — ره يولوق «قره سلوك» وفاته ٨٣٩ هـ — ١٤٣٥ م
- ٢ — حمزه بك بن قره يولوق ٨٤٨ هـ — ١٠٤٤ م
- ٣ — جهانكير بن علي بن قره يولوق ٨٧٢ هـ — ١٤٦٧ م
- ٤ — اوزون حسن بن علي بن قره يولوق ٨٨٣ هـ — ١٤٧٨ م
- ٥ — خليل بن اوزون حسن ٨٨٤ هـ — ١٤٧٩ م
- ٦ — يعقوب بن اوزون حسن وفاته : ٨٩٦ هـ — ١٠٩٠ م
- ٧ — ناسونغور بن يعقوب ٨٩٨ هـ — ١٤٩٢ م
- ٨ — رستم بن محمود بن اوزون حسن ٩٠٢ هـ — ١٤٩٦ م
- ٩ — احمد بن اوغورلي بن اوزون حسن ٩٠٢ هـ — ١٤٩٧ م
- ١٠ — محمد بن يوسف
- ١١ — الوند بن يوسف ٩١٠ هـ — ١٥٠٤ م
- ١٢ — مراد بن يعقوب ٩١٤ هـ — ١٥٠٨ م



« كلبية » ، مركز الناحية ، وما عداها في قرى « كيو » ، « شوم » ، « جوقورجاق » ، « قوجوق » و « كيو » ، « قراجز » ، « شوقراق » ، « آتجه باير » ، « قلايه » ، « آره نلغا » ، « مصيين » ، « قاقليه » ، « حوبة نولات » ، « والي » ، « قيزيل جورة هيو » ، « قيزيل جورة ازهرى » ، « ياماديه » ، « قيزيل » ، « وهدمد نفوس كل واحدة من تلك القرى يتراوح بين ٢٠٠ و ٤٠٠ — ٥٠٠ » ، فيكون المجموع على التخمين مقدار ثلاثة او اربعة الاف نسمة من التركمان ، ولهذا تكون هذه الناحية تركمانية محضة . والعرب لا يشغلون هناك الا قليلاً من القرى .

والقسم الثالث : تركان ناحية « البسيطة » او « بوجاق » من اعمال الازقية ايضاً وهم ساكنون في قصبه « كشيخ » ، مركز الناحية وما عداها في قرى « بدروسية » ، « قاق حسن » ، « عيسى بكلي » ، « طورنجه » ، « بوزاوغلان » ، « كسله جك » ، « زيتونجق » ، « سراي » ، « زاغرين » ، « شقوراق » ، « الماليه » ، « مران » ، « ويتراوح عدد نفوس كل واحدة من هذه القرى بين ٢٠٠ و ٤٠٠ — ٥٠٠ » . فيكون مجموع نفوس التركان هناك قريباً من اربعة آلاف نسمة . والقرى التي يسكنها العرب هنا قليلة ايضاً ، فاذا اجملنا هذه التفصيلات نعلم ان مقدار التركان في ولاية بيروت يقرب من (١٥٠٠٠) نسمة .

[٥] — منشأ تركمانه بيروت ، وابدأ رأى — يجب علينا قبل انتهاء هذا الفصل ان نبحث عن منشأ التركان المبتولين في عدة انحاء من ولاية بيروت ، الذين لا يقل مقدارهم عن ١٥٠٠٠ نسمة ، وتحري زمان ورودهم الى بيروت ، وبالاخرى الى بلاد سورية وكيفية تمكنهم في هذه البلاد .

اولاً — ان التركان انفسهم لا علم لهم بزمان مغادرتهم لسهول التركان ، او لدير تركستان ، ومهاجرتهم لهذه البلاد ؛ ولا بكيفية تلك المهاجرة ولا غايتها ، حتى ولا بكيفية انتقالهم من بلاد الاناطول بعد ان مكثوا فيها برهة من الزمن الى بلاد سورية .

ثانياً — لم يتيسر لنا الحصول على حجة تاريخية ، او دليل يهديننا الى كشف الحقيقة ، رغماً عن بحثنا وتقينا الذي عالجناه في قرى التركان ومخلائهم .

ثالثاً — لم نكد نظفر في الكتب التاريخية التي تبحت عن الترك والتركمان ، او سورسة والاناطول الا بالذعر من المعلومات التي تطرق هذا الموضوع . وعليه لا تخلو آرائنا التي سنبدئها في شأن منشأ التركان البيروتيين من نقاط تحتاج الى حجاج وبراهين مؤيدة . ولهذا آثرنا هنا ان نستند على ما سمعناه من التركان انفسهم ، وعلى ما رأيناه في بعض المؤلفات ومن جهة اخرى على آراء بعض المتجولين في آسيا الصغرى ورواياتهم ، ونسعى ماستطعنا لايضاح هذه النقاط والتقرب من الحقيقة ان لم يمكن ادراكها بذاتها .

وهانحن نشرع بعد هذه المقدمة الوجيزة بنقل كلامهم وآرائهم بهذا الخصوص :

## السكان :

يقول توكان عكار : أنهم اتوا الى هذه البلاد من انحصار جولان وسورية في قفلة القنيطرة من احوال الشام . وذلك قبل ١٠٠٠ - ١٥٠٠ سنة وان بعض اقاربهم يسكنون الآن في انحاء حمص . وان شجرة نسهم لا تزال محفوظة عندهم . وهذه الرواية ، وان كانت تدل على ان لتركبان عكار اتصال بتركبان سورية ولكنها لا تزيل الابهام والقموض عن وجه الارومة الاساسية .

اما اقوال تركبان حصن الاكراد ، وادراهم في هذه المسئلة ، كادت ان تكون عين اقوال تركبان عكار ، وهي على عين الدرجة من الابهام ، وعدم الوضوح .

اما تركبان حذور فان اقوالهم شتى ، ومتضاربة . فبعضهم يقول انهم جاؤا مهاجرين من جهات اطنه ، قبل ٣٠٠ - ٤٠٠ سنة . وبعضهم يدعي انتماء العشيرة الى قبيلة « قاني » . وهذه الاقوال المتضاربة تذهب بنا الى الحكم بأحد امرين . ١ - ان هؤلاء من الذين هاجروا مع سليمان شاه ، وانهم لم يرجعوا على بلاد الاناطول . ٢ - انهم بعد ان اقاموا في بلاد الاناطول ، او في جهات اطنه ، هاجروا لهذه الديار . واننا سنبين رأينا على ترجيح احدي هاتين المكرتين في الابحاث الآتية .

واما تركبان خزينة ، وبار ، وبوجاق ، فان اقوالهم متضاربة ايضاً اذ منهم من يقول انهم اتوا من توقات ، واطنه في بلاد الاناطول ، وذلك في زمن مجهول . ومنهم من يدعي بأنهم اتوا من بلاد ارضروم ، وكاخ . وبعضهم يقول ان السلطان سليم جلبهم ، وسكنهم في انحاء لبنان ولبنان الشرقي ، وفي جوار جبل الاقرع . والبعض يدعي ان فرهاد باشا ، جاء بهم ، واسكنهم هنا في زمان السلطان سليمان وذلك بعد جاذنة « جانرد غزالي » ، وليس لهذه الاقوال المتنوعة من حجة تاريخية يؤخذ بها ، ولهذا نضطر لان نمزجها مع المعلوم من الاساسات التاريخية ، نستمكن من استنباط الحقيقة .

١ - يجب ان يكون قدوم تركبان سورية . وبالاخص تركبان بيروت الى هذه الديار قبل نضعق ون . وبرهاننا على هذا هو كثرة عددهم ، واتساع نطاق مواطنهم ، ومنهم اخرى بتعداد لغتهم ، ولهجتهم عن اصل اللغة التركية . وقرىها من اللغة التركية ، واتساعها بالكمات العربية ، ولا سيما بالعربية المعجمي . كل هذا مما يدل على انهم قدموا الى هذه الاقاع قبل ثلاثة او اربعة قرون . ولا سيما اذ نظرنا الى مارواه « جانرد غزالي » ، الذي خرج على السلطان سليمان ، قد استصحب معه خمسة عشر الف فارس التركبان والمماليك ، وثمانية آلاف من الرماة ، وذلك لما خرج من الشام . جهاً لا ما تبذل في تشرين الاول سنة ١٥٢٠ . ميلادية الموافق لذي الحجة سنة ٩٢٦ هجرية .

نما ان التركبان كانوا موجودين هنا في ذلك الزمن ايضاً .

٢ - اما قبل هذا التاريخ ، فقد كانت أسرة « آل رمضان » دارمة ، ومزقة وتبعثر

تباعها من التركان في انحاء حلب — كما بينا آنفاً — والآن يوجد منهم جم الغفير في ناحية ( اوردو ) من قضاء جسر الشغور التابعة لولاية حلب . وبما ان ناحية اوردو متاخسة الى نواحي بابر وبوجاق يحتمل ان يكون سكانها من احفاد آل رمضان ايضاً ؛ وانهم جاؤا من بلاد آملنه .

٣ — وقبل هذا التاريخ — كما بينا سالفاً — يذكر هانم انه قد نشئت شمل عشيرة قاني لما سقط سليمان شاه في نهر الفرات أثناء هجرتهم الى بلاد الاناطول ، وتبعثر افرادها في انحاء متعددة ، وفي سورية ايضاً . ولهذا يحتمل ان يكون تركان هذه البلاد من اخلاف قبيلة ( قاني ) .

\*

اقد بحثنا عن هذه المسألة بصورة خصوصية\* واستطلعنا فيها آراء بعض المتجولين في سورية والاناطول ، وانحاء ارضروم وها نحن نذكر هنا ما اطلعنا عليه من تلك المعلومات الشفاهية .

يجب — على رأيهم — تقسيم تركان سورية الى قسمين كبيرين فيشمل القسم الاول تركان بابر ، بوجاق ، خزينة اوردو ، والقسم الثاني تركان حمص ، حما ، حصن الاكراد ، عكار ، حوران . فأذا قابلنا بين تركان بوجاق وخزينة وابر وبين تركان الاناطول ، نجد فيم مشابهة تامة لتركان ارضروم وادرنجان .

اما تركان حذور ، عكار ، حمص ، حوران الخ فهم يشبهون تركان ( افشار ) الموحددين في الاناطول ، والذين ينوف عددهم عن عشرات الالوف . نعم اننا نجد الاساء واهل اقترى من التركان المتوطنة في بلاد اردنجان ، آكين وكماخ كادت تكون كالقرويين والنساء ر بابر وبوجاق لاسيما الممانلة في اللهجة الكلامية فهي على جانب عظيم . وهذه اللهجة لا يبعد عن اللهجة الشمانية .

ويقول مخاطبنا علاوة على ذلك :

« ان السلطان سليم استجلب من اكناف خراسان مقدار ٨٠٠ — ٩٠٠ الف عائلة ، اي ٥٠٠ — ٦٠٠ الفاً من التركان وارطهم ذرى حبا . لبان وحلب وسقو — . . . لكنهم ما زالوا يتنافسون حتى اصبحوا لا يزيدون عن خمسة عشر الف . هذا ولو . . . ان تركان بابر وبوجاق قد اتوا من خراسان ، لا بد ان نستدركهم لبشوا مد في اثناء رزنجان . وبثبت هذا ما يرويه بعض امراء التركان في كماخ ، ان احد اجدادهم دعي . تبعه من قبل احد السلاطين ليحضر حرب حدثت في بلاد العرب ، ثم جمع منهم الا القليل ، وتوطن الافي في تلك البلاد ولسن الا كماحسين علم بمكانهم . واذان بوجاق رابر ايضاً بروون بالتواتر عن اجدادهم اسم من التماخيين . فاداً قابلاً هاتير لروايتين ،

## الامم والمذاهب

يلاشنا، الحكيم بان تركمان باير فيو يولاي هم من تركمان اولونجهاني ...  
اما القسم الثاني ، اى تركمان حصن الاسكراد و عكار وسنودير فانهم يشبهون  
« الافشاريين » في نضرة وجوههم ، وقوة اجسامهم وبما في لغاتهم من الغموض وقربها  
من اللهجة لتركمانية .

وقد جاء في قاموس الاعلام عن قبيلة افشار :

« انها احدى قبائل الاترك القدماء ، ويسكن منها قسم كبير في انحاء العراق المجى من  
بلاد ايران ، ولها في جهات الاناطول بضعة فروع ، واحد منهم في لواء يوزغاد في ولاية ...  
آقرد ... وخصص « البزة ده قلو » — *Deh Qelu* » احد متخصصى الجغرافية حين  
تكلمه عن لاناطول في كتابه الشهير ، بحثاً اضافياً لقبائل آفشار . (\*)

نعم ان مقدار الافشاريين الموجودين في شمالي آطنه ، وبين سيواس وآطنه وحلب .  
وفي قضاء العزيزية ، ولواء يوزغاد يناهز ( ١٠٠ ) الف من النسمات . واتهم اليوم من اهم  
العشائر التركمانية بالنظر لاحفاظهم بخالص سجايا قومهم .

ولهم شرف عظيم بلغتهم . ونساؤهم على جانب عظيم من الحرية والاستقلال ، وهم  
من الاصابة والنجابة الروحية على ما يجعلهم مدوة لغيرهم من عشائر التركمان .

فاذا لاحظنا ان تلك السمائل موجودة في تركمان حاور وعكار وجوارها ، وشاهد  
حمال نسائهم وبهائها ، يحصل لدينا غالب لظن بانهم من الافشاريين . وهم يتقاررون في نساء  
اللباس ايضاً . وعليه يمكن ان يكون الافشاريون تخطوا الى جهة سورية حين مهاجرتهم  
الى الاناطول .

هذا واننا نشكر لمن جابنا بهذه الملاحظات صنيعهم ؛ ونعترف بان الآراء التي بينها بين  
ايضاح منشأ تركمن بيروت لا تكفي لتوير الصحائف التاريخية . بل يجب عن المجتهدين  
بالوسائط النافية من ارباب العلم والاطلاع ان يتحنونا بما ينشد الى كبد الحقيقة في هذه  
المسئلة .

—٧—

## الاديان والمذاهب

يمكن تقربق السكان في القسم الشمالي من ولاية بيروت ، من حيث الدين الى ( مسلم ،  
ونصارى ، ويهود . غلما دور منهم ( المنيون ، والاسماعيليون ، والنصيرية ) . ام النصارى ،  
ففيهم الكاثوليك ، والارثودوكسى ، والمارونون ، وابروتستانت ... الخ . وبما اننا

(\*) راجع قسم L'Asie Antérieure من كتاب Géographie universelle ص ٥٢٩



بحثنا عن هؤلاء الاقسام في المجلد الاول ما عدا الاسماعيلية والتهميدية؛ تصريفنا بالنظر عن تكرارها ، ونكتفي بالبحث عن هاتين الفرقتين الاسلاميتين .

### ١ — الاسماعيلية والاسماعيلية

يجب علينا في البحث عن ظهور مذهب ( الاسماعيليين ) الذين عرفهم التاريخ منذ ألف مئة سنة ، واجربوا من قوة النفوذ الفكرى والسلطان الادبى ما جعل لهم مجالاً من غرب الشمال لافريقيا الى اقصى حدود العجم الشرقية والتنقيب عن عوامل انتشاره وتفسيه ، إن نرجع بالنظر الى عصر الاسلام الذهبى ، ونضبط الخطوط الاساسية لما ارتسم تبعاً على صحائف التاريخ من « الفرق الاسلامية » التى نافت بعدها بن ستائة . لانه لا يمكن لشور على الفروق الاصلية بين المذهب السنى المعروف ، وبين انشقاقه الاخر التى سفيض فى تشرح ماهيتها ؛ الا فى معتقدات تلك الفرق التى ربما تنزع الى ما لا يتوقع من الغايات . وبهذا تمكن من تحليل تلك الفروق وايضاها . والا فان رابطة المذهب الاسماعيلي بالاعتقادات الاسلامية تتخفف لدرجة لا يكاد يحس بها . ولهذا فنبصر لان نبحت على سبيل الاجمال عن الفرق الاسلامية :

[١] — الفرق الاسماعيلية — ان القرآن العظيم هو اس الديانة الاسلامية . وقد نزل بلسان مبين على اقوام هم من الفصاحة فى الدرجة القصوى ، فلم يكن ليحدث اختلاف فى فهم معانيه واحكامه ؛ ومن جهة اخرى كانت الاحاديث النبوية تنمق ما يخالف الاذهان من الشكوك وتبلى غياهب الظنون الباطلة ، فاصبح سيد الكونين محاطاً بهالة من الوحدة الاسلامية امتن من البنيان المرصوص . ولم يكن هنالك داع لتشكل الفرق وتأسيسها : وكانت احكام الدين الاسلامى فى عصر النبوة سهلة التلقى لدرجة لم تر فيها تلك المعتقدات الخاصة التى خلقت الفرق الاسلامية فى الازمنة المتأخرة ، خالجت ففكر احد من الصحابة الكرام ، ولم يحدث لديهم حادث يحل بالوحدة الاسلامية . وما سبق لهم تردد يستلزم السؤال عن نصوص القرآن الناطقة « بالصفات الازلية » — كما ذكر المقرئ — بل ان صفة « العلم ، والقدرة ، والحياة ، والارادة والسمع ، والبصر والكلام ... الخ » كانت مفهومة لدى جميعهم بحسب التعاليم القرآنية ، ولذلك لم يحدث بينهم اختلاف فى هذا الشأن قط . والمناقشات التى اخذت تحدث منذ عصر النبوة الى خلافة على رضى الله عنه لم تكن الا اختلافات اجتهادية [٢] ؛ ولم تتجاوز العشرة بعددها فى مدة نصف قرن وأكثرها كان يحسم فوراً . فمنها

١ - الاختلاف الحادث بسبب حديث النبي في امرائه الاخير (استوفى بدواة وقرطاس فاكتب لكم كتاباً لا تضلون من بعدى) [٥] . ولم يلبث ان حسم في الحال

٢ - ما كان من امر رسول الله (صلم) بشأن تجهيز جيش اسامه . وهذا الاختلاف لم يطل ايضاً بل حسم على الفور .

٣ - ما كان من هياج عمر رضى الله عنه عقب وفاة النبي (صلم) حيث قال [من قال ان رسول الله (صلم) مات علوته يسقى هذا . . .] . وهذه الحدة من عمر لم تلبث ان خمدت بفراثة ابي بكر رضى الله عنه آية (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ؟) .

٤ - الاختلاف في تعيين موضع دفن النبي (صلم) وقد حسم بهذا الحديث (الانبياء يدفنون حيث يموتون) .

٥ - الاختلاف في مسألة الامامة والخلافة . وقد حسم بما كان من البيعة لابي بكر رضى الله عنه . ومع ذلك لم يزل هذا الاختلاف آخذاً نصيبه من التأثير في النفوس .

٦ - ارث النبي (صلم) وقد حسم بالحديث الشريف الذى نصه (نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة) .

٧ - الاختلاف بشأن ( الزكاة ) في زمن ابي بكر ، ولم يدم كثيراً

٨ - الاختلاف الناشئ عن نصب ابي بكر لعمر خليفة من بعده ، وبعض اختلافات في خلافة عمر بشأن الارث والحدود الشرعية ، وما لبثت ان حسمت على الفور .

٩ - الاختلاف الذى نشأ عن الآراء المتخالفة بشأن ( الشورى ) اثناء انتخاب عثمان رضى الله عنه للخلافة . وقد حسم ايضاً .

١٠ - آخر ما حدث من الاختلاف ، وأهمه ، كان في ايام خلافة على رضى الله عنه وموضوعه كيفية انتخاب الخليفة وشروط الاهلية في الخلافة ، وهذه المسئلة اوجبت تكون

كثير من الفرق الاسلامية . نعلم من هذا الايضاح الاجمالى ان اهم اختلاف حدث بين المسلمين هو مسألة ( الخلافة ) .

ان مسألة الخلافة اخذت بعد وفاة النبي (صلم) دوراً مهماً ، وكانت من اهم المسائل الخلافية ، على انها لم تحدث في زمن الخلفاء الثلاثة . وقد تكونت فرقة الخوارج في زمن

على (رضى الله عنه) ، واعقبها انصار المعتزيين له فاسسوا مذهب الشيعة . وكان موضوع هذين الفرقتين هو الى رضى الله عنه ، اذ كانت الاولى ترى وجوب قتاله ، والاخرى

غايتها الدفاع عنه ، واهذا السبب كانا في بادى امرها كفرتين سياسيتين ، ولكن لم يطل

(\*) روى هذا الحديث محمد بن اسماعيل البخارى . منسوباً لعبدالله بن عباس

الامر، على انفسهم في المسائل الدينية، فاصبحت مسبقتهما حرجاً من الدين في السياسة. وما لبث بعض المتبعين ان اغمقوا في المسائل الدينية وبالغوا بالسلو فقالوا بحلول الالهية في على بن ابي طالب، وانتقالها من بعده الى الخلفاء الذين هم من نسله، وان اكبر سائق لهذا الغلو في الدين؛ هو تأسيس قدرة دينية تقابل الوحدة الاسلامية، وتكون حجاباً تدرس المقاصد السياسية من وراءه. وما كان هذا الا بتسلط الروح الابرائية، تلك العجوز الشيطانية. وما كادت شخصية على رضى الله عنه تدخل التاريخ، الا وانعقدت حولها حالة من المحابدة، واخذت تربيها، وتتكاثر بتوالي الادوار، وفي مدة ثلاثة قرون او اربعة، تجت بالعماد المتباينة عند (الاسماعيليين، والتصيرية، والدروز). ويمكننا ان نقول؛ لا تتطوى القرون التاريخية على شخصية اضطربت لها الاسلامية كشخصية على رضى الله عنه؛ ثم تأسس في زمن الصحابة — غير الفرق التي ذكرناها — مذهب «القدرية» لمبديه (معبد الجهنى) (غيلان الدمشقي)، (يونس الاسوارى)

وبعد عصر الصحابة اسس (جهنم بن صفوان) مذهب (الجهمية) (وواصل بن عطاء) مذهب (المعتزلة)، وتأسس مذهب (المشبهة) لقاء المعتزلة وبعد هذا مذهب (الباطنية). ان الاهتمام في مطالعة الكتب الفلسفية التي ترجمت عن لغة مختلفة في زمن (المأمون) سابع خلفاء العباسيين في القرن الثالث للهجرة، ونتيجة الميل المفرط للاسطير القديمة. اوجدا الطرائق المتباينة. اشتدت وطأة (غلاة الشيعة) المعتقدين بالحلول والتناسخ وعلا امرهم في زمن الدولة (الفاطمية) في الغرب، (وآل بويه) في الشرق، واحتدم الجدل بينهم وبين اهل السنة، ثم مالبت ان استحال الى حرب طحون. واصبحت مآت من الفرق الاسلامية كالقدرية والجهمية والمعتزلة والخواارج والشيعة والباطنية... الخ تنفت في البلاد الاسلامية سموم الاختلاف والعدوان. ونزج بالاسلامية الى مهاوى البوار. لا بائس ان نجمل هنا العوامل والمؤثرات الدينية التي ادت الى تكون هذه الفرق الاسلامية — بصرف النظر عن المطامح السياسية —.

يمكننا ان نحصر المسائل الاصولية التي كانت سبباً للاختلافات في اربعة اسس. (\*)  
الاساس الاول — مسألة الصفات والتوحيد. والاختلاف في اثبات الصفات الازلية، او نفيها، ثم في (صفات الذات) و(صفات الفعل). وآى هذه الصفات واجبة لله، او جائزة، او مستحيلة. وهذا الاختلاف هو بين الاشعرية، والكرامية والمشبهة، والمعتزلة.

الاساس الثانى — مسألة العدل والقدر. وهى عبارة عن اثبات، او نفي القضاء

## الاديان والمذاهب

١٠٠

والنسخة ، والحج ، والتمس ، والمقبول للمسلمين وهذه الاختلاف ايلي في التسمية ، والظن ، والاشعرية ، والكرامية .

الاساس الثالث — مسائل الوعد والوعيد ، والاسماء والاحكام : وقد اختلفنا هنا في اثبات ، او نفي الايمان والتوبة والوعيد والارجاء والتكفير والتضليل ، وهذا الاختلاف كائن بين المرجئة والحروية والمعتزلة والاشعرية .

الاساس الرابع — مسائل المسمع والمطل : والرسالة والامامة : والاختلاف هنا في خصوص التحدين في النبوة والتفويض ، والصالح والاصلح والعلف والعصاة ، ثم في شروط الامامة ، وكيفية انتقالها بالتمس ، او بالاجماع . وهذا الاختلاف هو بين الشيعة والخواارج والمعتزلة والكرامية والاشعرية .

ما لبث ( علم الاصول والفروع ) الذي اخذ يتأسس في القرن الرابع للهجرة . ان تقرر على شكل قويم ، بهمة الائمة الاربعة اصحاب المذاهب ، وآخرين معهم . وبه عصمت عقائد ( اهل السنة والجماعة ) من الحلل ، وعليه انحل أكثر الفرق المتفالية . وانحصر الاختلاف بين فرقتين عظيمتين « السنة » و « الشيعة » في مسائل محدودة كالامامة والاجتهاد والتفسير . وانحصر غلاة الشيعة في فرقة ( الدرر ) و ( الاسماعيلية ) و ( النصيرية ) . ومع هذا فان بذو الشقاق الذي زرعته مئات من الفرق التي نوهنا عنها آتفاً ما فتى ان امر بالويل والخراب ، واحذ بتلايبب الامة الاسلامية يجربها الى مهادى السؤ والانحطاط .

لنتكلم بعد هذه المقدمة المجملية ، على الفرق بصورة خصوصية . لا استطاع قطعياً تعيين عدد الفرق لاسلامية باعتبار فروعها . ولذلك يتحتم علينا ان نرجعها الى اصول جامعة .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( ستفرق امتي على ثلاث وسبعين فرقة ، الناجية منها واحدة والباقيون هلكي ) .

ف قيل من هي الناجية يا رسول الله فقال ( اهل السنة والجماعة ) وسئل عن اهل السنة والجماعة فقال :

« ما انا عليه اليوم واصحابي » .

ثم قال :

« لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق الى يوم القيامة » .

وانا نعتبر ان اول فرقة اسلامية هي فرقة ( اهل السنة والجماعة . اما ما بقي من الثلاث وسبعين فرقة فالبعض يرحمهم الى اربع ( القدورية ، والصفائية ، الخواارج ، والشيعة ) . والبعض يعتبرهم عشرة : ( المعتزلة والمشبعة والقدورية والجبرية والمرجئة والحروية

والتجارية والجهمية والخوارج والشيعة). واتنا سنأخذ في بحثنا هذا بالتصنيف الثاني، ونعتبر الفرق المذكورة عشرة اصول. وان لبعض هؤلاء معتقداً يقارب معتقد (السنين) في بعض نقاطه، ويخالف الاسس الاسلامية عن بكرتها في نقاط اخرى، وها نحن تفصل تلك الفرق على الوجه الآتي :

### ١ - المعتزلة

اشهر منتسبو هذه الفرقة باسم (اصحاب العدل والتوحيد) ايضاً وانهم يقولون بنفي الصفات والتشبيه ورؤية الباري. ويستقدون بان القرآن مخلوق؛ وان المبد هو خالق فعله، وانه لا يجوز اسناد الشر والظلم الى الله، وان الحكيم يعمل الصالح، وان المؤمن يستحق الثواب اذ مات عن توبة وطاعة. وان الكبيرة اذ لم تعقب بتوبة توجب الخلود في النار، وانه تجب المعرفة والشكر على النعمة قبل ورود السمع، وان الحسن والقبح مدرك بالعقل، فيجب اعتناق الحن واجتناب الفيج... الخ. وقد اتفق جميع فرق المعتزلة على هذه المسائل، ولكنهم اختلفوا في مسألة الامة ان للمعتزلة عشرين فرعاً. واتنا نذكر هنا اسمائهم مع اسماء مؤسسيهم :

- ١ - الواسلية (واصل بن عطان حذيفة الغزال) ٢ - (عمرويه) (عمرو) ٣ - الهزيلية (ابو هزيل محمد بن الهزيل العلاف) ٤ - النظامية (ابراهيم بن سياد النظام)
- ٥ - الاسوارية (ابو علي عمر بن قائد الاسوازي) ٦ - الاسكافية (ابو جعفر محمد بن عبدالله الاسكافي) ٧ - الجعفرية (جعفر بن حرب بن ميسرة) ٨ - البشرية (بشر بن المعتز) ٩ - المزدرارية (ابو موسى عيسى المزداي بن صبيح) ١٠ - الهشامية (هشام بن عمر الفوطي) ١١ - الحائطية (احمد بن حائط) ١٢ - الحدادية (هي شعبة من معتزلة عسكر مكرم) ١٣ - المعمرية (معمر بن عباد السلمي) ١٤ - التمامية (تمام بن اشرس النخري) ١٥ - الجاحظية (ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ) ١٦ - الحياطية (ابو الحسين بن ابي عمرو الحياط) ١٧ - الدكمية (ابو القاسم عبدالله بن محمد بن محمود البلخي الكعبي) ١٨ - الجبائية (ابو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي) ١٩ - البهشمية (ابو هاشم عبد السلام بن ابي علي الجبائي) ٢٠ - الشيعة (محمد بن نعمان المعروف بشيطان الطاق)

وللمعتزلة فروع اخرى ما عدا هذه الفروع التي عدناها وهي : الثنوية، الكيسانية الناكثية، الاحمدية، الوهمية، البترية، الواسطية، الواردية، الحرقية، الفطية : وهي على مكانة عظيمة بين الفرق الاسلامية ونطاق تأثيرها واسع جداً. ولعلنا اضربنا عن تفصيل طرائقها واحدة واحدة ذلك لان علاقتها مع «الاسماعيليين» الذين هم من غلاة الشيعة قليلة

## ٧ . المعية

ان هذه الفرقة تتعالى في اثبات الصفات الالهية على خلاف الشيعة ومنها من يبلغ به التفريط الى ان يصور الخالق تمثلاً . وتسمى هذه الفرقة « صفاتية » ايضاً . ولها فروع كثيرة نعدّها مع اسماء مؤسسيها على الوجه الآتي :

١ — الهشامية او الحكمية ( هشام بن الحكم ) ٢ — الجولقية ( هشام بن سالم الجواليقي ) ٣ — البائية ( بيان بن سمان ) ٤ — المغيرة ( المغيرة بن سعيد المجلي ) ٥ — المنالية ( منال بن ميمون ) ٦ — الزرارية ( زرارة بن عين ) ٧ — البواسية ( يونس بن عبد الرحمن العتيبي ) ٨ — الكرامية ( محمد بن كرام السجستاني ) . ولها احزاب غير هؤلاء كالسايبية والشاكبية ، والعملية والمستنئية ، والبدعية والشرعية والائرية والهيمضية ، والاسحاقية والجندبية .

وان بعض فروع هذه الفرقة ، هو في عين الزمن فرع للشيعة ، ولذلك سنبحث عن عقائدهم بصورة خصوصية .

## ٣ . القدرية

تتعالى هذه الفرقة ثابتة قدرة لا تد ، علم الخلق والايجاد . ويقولون لا يحتاج العبد الى مودة الخالق . وبعض هؤلاء من المعتزلة .

## ٤ . الجبرية ، او المجبرة

وغلو هذه الفرقة هو في نفي استطاعة العبد قبل الفعل وبعده ، ومع العمل ، ومنهم من لم يقلل بكسب لعبد واحيائه . وتفرق هذه الفرقة الى ثلاثة احزاب . وها هي اسماءهم واسماء مؤسسيهم :

١ — الجهمية ( جهم بن صفوان الترمزي ) وهذه الفرقة تقول ، بنفي الصفات الالهية ايضاً . ٢ — الكرية ( كز ) . وهذا الرجل يجرم بعض المأكولات ( كما هو عند الصوفية ) . ٣ — الضرابية ( ضرار بن عمرو ) ولها فروع غير هؤلاء كالنجارية ، والبغذية والصباحية والمكرية والخوفية .

## ٥ . المرجئة

ان ارباب هذه الفرقة يرحون من الله ثواباً لذوى المعاصي ، ويمتقدون ان المعصية مع وجود الايمان لا توجب محبة ، والعكس ان اطاعة مع الكفر لا تجدى نفعا . ويرمئون حاتم ذري الدائر الى الآخرة ، وانهم اعلى غلو في اثبات الوعد والرجاء ونفي الوعد والحرف عن المؤمنين .

ينقسم هؤلاء الى ثلاثة اقسام : القسم الاول — هو اعتقاد غيلان من بنى ضيفه ، وابو شمر ويجمعان بين الرجا والقدر . والثاني — اعتقاد (جهم بن صفوان) وهو يجمع بين الارجا والجبر ، والثالث — اعتقاد الارجا المحض . وله اربعة احزاب . ١ — اليونسية (يونس بن عمرو) ٢ — الفسانية (غسان بن ابان الكوفي) ٣ — الثوبانية (ثوبان) ٤ — التؤمنية (ابو معاذ التؤمي) . ولهم غير هؤلاء . الرئيسية ، والصالحية ، والجحدرية والزائدة والشيبية والناقضية . ومن هؤلاء من يصل في الغلو الى انكار نبوة عيسى عليه السلام .

## ٦ . الحرورية

وتسمى بالوعيدية ) . وادباب هذه الفرقة تسلقوا جبل ( حروراء ) لقتال على بن ابي طالب . وغلوهم في اثبات الوعيد والخوف على المؤمنين . ويعتقدون بإمكان الخلود في النار مع تحقق الايمان ، ويفترقون عن المرجئة بالوعد والوعيد ، والتثني والاثبات . وباعتقادهم الشرك في مقتضى الكبائر ويفترقون عن الخوارج الذين يعتقدون بكفرهم .

## ٧ . النجارية

وهؤلاء هم حزب ( حسن بن عبد الله النجار ) يتحدون مع اهل السنة في مسائل القضاء والقدر . والوعد والوعيد وامامة ابي بكر رضي الله عنه . ومع المعتزلة في سباق القرآن . ونفي الصفات ورؤية الباري . والبرغوثية والزعفرانية والمستدركة هي من نوابها .

## ٨ . الجهمية

هم حزب ( جهم بن صفوان ) . ومزكروهم مع الفرقة ( المجبرة ) . وادباب هذه الفرقة يتحدون في مسألة القضاء والقدر مع السنيين مع ميل قليل للجبر . ويعتقدون بخلق القرآن ، وينفون صفات الباري . ورؤية الله :

## ٩ . الخوارج

ويسمون بالانواصب ) . ويتغالون في حب ابي بكر وعمر وبغض على رضي الله عنهم . ويفترقون الى عشرين فرقة كبيرة .

١ — الحكيمة ؛ خرجوا على على رضي الله عنه في حرب صفين ويعتقدون ان الاحكم للرجال . والحقم مختص بالله وحده . ٢ — الارادة . وهم اتباع ( افع بن الارقي ) . وخرجوا في زمن عبد الله بن الزبير في البصرة . ٣ — التجذات . وهم اتباع ( نجيد بن





يخص الائمة الاثني عشر الذين سيكون آخرهم « المهدي المنتظر »  
على ان هؤلاء الذين قالوا بخلافة علي واولاده وامامهم لم يلبثوا ان اظهروا الغلو  
واخذوا يسبون بعض الصحابة ويشتمونهم ثم سرى اليهم من اساسات الرافضة اعتقاد  
« الفية والرجعة » والبدا والتناسخ والحلول والتشبيه « وكانت الفرقة التي تسمى ( غلاة  
الشيعه ) او ( الغالية ) ، ولم يقفوا عند هذا الحد ، بل اعتقد بعضهم بنبوة علي ، وحتى  
بالوهيته . ولهذا تنقسم الشيعة اولاً باعتبار الامامة ، وثانياً باعتبار الغلو الى اربعة  
اقسام :

- ١ — الكيسانية ، يعتقدون بان الخلافة بعد علي لمحمد بن الحنفية .
- ٢ — الزيدية ، يعتقدون بانها لزيد بن علي .
- ٣ — الامامية ، يعتقدون بانها للحسن والحسين .
- ٤ — اما ( غلاة الشيعة ) فانهم معروفون بالغلو والمبالغة في الامامة واشهرهم ( الخطابية  
والسبائية والكاملية واليابانية والمغيرية والهشامية والزدادية والجناحية والمصورية والغرابية  
والقدمية واليونسية والرزامية والنعمانية والبسلمية والجعفرية والصباحية ) وهم سبع عشر  
فرقة . ووجد في الفرق الثلاث الاصلية ايضاً من اتبع الغلو . ولهذا يمكننا ان نعتبر عدد  
فرق الشيعة عشرين فرقة . وهانحن نذكر اسماً هذه الفرق مع اسماً مؤسسيهم على الوجه  
الآتي :

#### ١ — الكيسانية :

هم اتباع ( كيسان ) مولى علي بن ابي طالب ، وهم يقولون بان الخلافة لمحمد بن  
الحنفية بعد علي ، ويختلفون فيمن بعده فقسم يقول بانها رجعت الى اولاد الحسن والحسين  
وقسم يقول بانتقالها لابي هاشم عبدالله بن محمد بن الحنفية . ومن هؤلاء فرقة ( الكربية )  
التي تعتقد بان محمد بن الحنفية لا يزال حياً وهو الامام المنتظر .

#### ٢ — الزيدية :

هم اشباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب . ويعتقدون بامامة زيد  
ويرضون بامامة من جمع في نفسه هذه الستة شروط ، العلم والتزهد والسخا والشجاعة  
وجمال الطلعة ؛ وكان من اولاد فاطمة حسنياً او حسينياً ، ويتفق اشباع هذه الفرقة مع  
المعتزلة في جميع المسائل ما عدا الامامة . ولهم اربعة اقسام :

- ١ — الجارودية ، هم اشباع ( ابي الجارود ) او ( ابي النجم زياد بن المنذر المدي )  
ويعتقدون ان صاحب الشريعة نص على امامة علي بالوصف — لا بالتسمية — ويحكمون  
بكفر من امتنع عن البيعة لعلي والحسن والحسين .

- ٢ — الجريرية . وهم اتباع ( سليم بن جرير ) . ولا يعتقدون بكفر الناس الذين لم

### الاديان والمذاهب

يأبىءوا علياً ، ولكنهم يقولون بأنهم غطتوني لتكمهم الافضل وهو على ٣ — الابترية ، وهم اشباع ( حسن بن صالح بن كثير الابتر ) ويزعمون ان علياً هو الافضل ، والاولى بالامامة . ومع ذلك فإن ابا بكر امام ، ولم تكن امامته خطأ ولا كفراً ، بل ان علياً تركها له . ٤ — اليعقوبية هم اتباع ( يعقوب ) ويقولون بأمامة ابي بكر وعمر ويتبرؤون من الذي يتبرأ منهما . وينكرون رجوع الاموات الى الدنيا قبل يوم القيامة ويتبرؤون ممن يأخذ بهذا الاعتقاد . وانهم يفضلون علياً على ابي بكر وعمر دون ان يتهمون احداً من الاصحاب بالفسوق او الكفر ، ولا يطنون في احد منهم ولا يلعنون .

٣ — الامامية :

يعتقدون بأن الامامة بعد صاحب الشريعة منصوص عليها لعلى واولاده ، وبعضهم يقول بأرئداد الاصحاب الكرام ماعدا على والحسن والحسين ، وابى ذو القفارى ، وسلمان الفارسي ، وبضعة اشخاص من الصحابة .

وهذه الفرقة تنفق على امامة ائمة من على الى ( جعفر الصادق ) الى على بن ابي طالب ، حسن بن على ، علي بن حسين ، محمد بن على ، جعفر بن محمد الصادق . ويختلفون فيمن بعدهم . لان لجعفر الصادق خمسة ، وعلى رواية ستة اولاد [\*] . محمد ، اسحق عبد الله ، موسى ، اسماعيل ، علي . وانتلف في من يجب ان تنتقل اليه الامامة بعد هؤلاء الستة . وبعضهم يعتقد بتوالى الامامة وتتابعها في اشخاص معينة ، ومنهم من يقطع السلسلة ويقف بها على حد . ولم يلبث ان طرأ عليهم الغلو وتفرقوا فرقا كثيرة ؛ منها فرقة « القطعية » ، وهي تمتد بتسلسل الامامة في « على ، والحسن والحسين ، وعلى بن الحسين ومحمد بن على وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر ، وعلى بن موسى » ثم تنقطع السلسلة وتقف على هذا الحد .

( النواسية ) : تدعى بأن جعفر بن محمد لم يمت ، وهو لم يزل حياً .

( الشيعية ) : اتباع يحيى بن شبيب الاحمسي ، ويعتقدون ان الامامة انتقلت بعد جعفر لابنه محمد واولاده .

( المعمرية ) : اتباع معمر ، يعتقدون ان الامامة انتقلت بعد جعفر لابنه عبد الله ومنه لاولاده .

( الموسوية ) : يعتقدون ان الامامة كانت بعد جعفر لابنه موسى ، وان موسى لم يزل حياً ، وهو الامم المنظر .

( الزرارية ) : اتباع زرارة بن اعين ، يذكرون ان الامامة بعد جعفر كانت لابنه عبد الله ،

[\*] كتاب الملل والنحل ، للشهرستاني

واته سؤال عن اسئلة ، في عن الجواب ، فكانت لاجبه موسى ، ويقولون ان هبسد الله اقر بذلك .

( المفضلية ) : اتباع المفضل بن عمرو ؛ يعتقدون بان الامامة كانت بعد جعفر لابنه موسى ثم انتقلت بعد وفاته لابنه محمد بن موسى .

( المفوضة ) : يعتقدون بان الله خلق محمداً ، وفوضه خلق العالم وادارتهم .

( الاثني عشرية ) : وهم يقولون بانتقال الامامة من جعفر الصادق الى موسى الكاظم ثم الى علي بن موسى الرضا ، ثم الى محمد بن علي النقي ، ثم الى علي بن محمد النقي ، ثم الى الحسن بن علي الزكي ، ثم الى محمد بن حسن العسكري المعروف عندهم بالمهدي . ويعتقدون انه اختفى فمنهم من يقول بوفاته ومنهم من يعتقد خلافها ، وينتظرون رجوعه .

( الاسماعيلية ) وهذه شعبة من الامامية . تعتقد بان الامامة بعد جعفر الصادق هي لابنه اسماعيل بن جعفر . وقد طرأ الغلو على معتقد هذه الفرقة . وخرجت من شكلها الاساسي . واننا سنبين هذه النقاط على وجه التفصيل . ومن هذا نعلم ان الاسماعيلية هي من الامامية باعتبار الاصل . ثم انقلبت الى ( غالية ) ومن فروها ( المباركة ) التي تعتقد بامامة محمد بن اسماعيل بعد ابيه ( الباطنية ) وهم يقولون بانتقال الامامة بعد محمد بن اسماعيل الى ائمة خافية وباطنية : فالاسماعيليون الذين هم من غلاة الشيعة هم هؤلاء .[\*]

٤ — الخطائية :

هم شيعة « ابي الخطاب محمد بن ابي زيب الاسدي الالوي » ومذهبه « العلوي محمد بن جعفر الصادق » . وهو من المشبهة ايضا . ونقسم هذه الفرقة الى خمسين فرقة طبعها تنقسم الرأي في المواد الآتية :

« ان علياً واولاده من ائمة » كلهم انبياء . ويجب ان يكون لكل امة رسول ، وان ، او احد « ناطق » والآخر « صامت » . فمحمد كان رسولاً « ناطقاً » وعلى رسولاً « صامناً » . وان جعفر بن محمد الصادق نبي ايضا وانتقلت النبوة بعده الى « ابي الحصاد الاجنح » اما فرقة « العمريية » من الخطائية . تقول بان الامامة انتقلت من ابي الحصاد ، الى « عمر » . وان الدنيا ليست بقاتية . وان الدنيا هي التي بنحير الدنيا . وهم هي الحرمان منه . ويستحلون من الحرامات الحرام والزنا . ويقولون بجواز ترك الصلاة . ويعتقدون التنازع . ويزعمون ان الانسان لا يموت . ولكن تتقل صفاته واحواله الى غيره .

وفرقة « الزبعية » . تقول ان « حمير بن محمد آله » . وهو على غير الكل الذي يرى فيه . وهو ترى بهذا الشكل . وان الوحي ينزل على كل من . وكل فرد من اتباع اسرة

[\*] ان الفرقة التي سنبعث عنها على وجه التفصيل هي هذه



هم اشيع « عبدالله بن معاوية ذى الجناحين » . وهذا يزعم انه آله ، وان العلم ينمو في قلبه ، وان الروح الالهية تجلت في الانبياء ، ثم في علي واولاده ، ثم انتقلت اليه . واحل الحمر والميتة ، ونكاح المحارم ، وانكر القيامة ، ودليله على هذا قوله تعالى [ ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح في ما طعموا اذا ما تقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ] الآية . ويعتقدون ان الميتة والدم ، ولحم الخنزير في الآية هي رموز للكناية عن الذين يجب بغضهم . وهم ابو بكر وعمر وعثمان ومعاوية . والفرائض التي امر بها القرآن . هي ايجاب موالاة من تجب موالاتهم كعلي والحسن والحسين واولادهم .

١٢ — المنصورية :

هم اتباع « ابي منصور العجلي » . وهذا يزعم ان الامامة انتقلت اليه من محمد الباقر بن علي بن زين العابدين بن حسين ، بن علي بن ابي طالب . ويعتقد ان علي بن ابي طالب واولاده هم من اهل الجنة ، وان ابا بكر وعمر وعثمان ومعاوية هم من اهل النار .

١٣ — الغرابية :

يزعم اشيع هذه الفئة ، ان جبريل بعث بالرسالة الى علي فأخطأ وذهب بها الى محمد ، ولهذا لا يزالون يلعنون « صاحب الريش » اذا خلوا بانفسهم ، ويقصدون من « صاحب الريش » جبرائيل .

١٤ — الذمية :

يزعم اشيع هذه الفئة ان الله بعث علياً بانبوة ، وادس محمد اصدع بامر علي ولكن محمداً ادحاها لنفسه ، وارضى علياً بتزويج ابنته اياه ، وبقاداره بالمال . ومنهم « العليانية » من اتباع « عليان بن ذراع السدوسي » يفضلون علياً على محمد ، ويذمون صاحب الشريعة ، ومنهم من يدعي بالوهية محمد وعلي مآ وبرجيجون محمداً فيها . وتسمى فرقهم « الميمية » . ومنهم من يقول بالوهية « محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين » معاً ويعتبرونهم « شيئاً واحداً » ، وان روح الالوهية حات فيهم على السوية ، وليس لاحدهم افضلية على الآخرين .

١٥ — اليونسية :

هم اتباع « يونس بن عبدالله القمي » من غلاة المشبهة . ويؤمنون ان الملائكة تتحمل العرش ، والعرش يحمل الرب .

١٦ — الرزامية :

هي فرقة « رزام بن سابق » وهذا يقول بان الامامة انتقلت بعد علي لابنه محمد بن الحنفية . ثم لابنه ابي هاشم ، وبوصاية منه الى علي بن عبد الله بن عباس ، ومنه لابنه محمد

## الامويان والمذاهب

بن علي ، وبالصاية لابنه ابراهيم ، ودعوة ابي مسلم الخراساني كانت باسم ابراهيم هذا .  
١٧ — انصانية :

وتسمى بـ « الشيطانية » ، وهي من المعتزلة ايضا .  
١٨ -- البسملية :

ان اشياح هذه الفئة تقول بانتقال الامامة بعد صاحب الشريعة الاسلامية الى علي ، ثم على الرتيب الى الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية وابي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية ، وبالصاية الى علي بن عبد الله بن عباس ثم الى ابي العباس السفاح ، ثم الى ابي سلمة . وقد ظهر في ناحية « كاش » في ما وراء الزرين شخص يدعى هاشم من اهالي مرو ، وادعى الوهية ابي سلمة ، وان الالهية انتقلت من ابي سلمة اليه . ولما رأى انطلا « خدعة » غيب برهة حبث جعل نفسه نقابا من ذهب ، واتخذ امرأة من زجاج ، تمكس اشعة الشمس ، فكان يلمط شاعها على بعض مرديه ويحرقهم بها . وبهذا استطاع ان يتسلط على تخيلاتهم فاعتقدوا فيه الالهية ، وزعموا ان النظر لا يستطيع اقتحام رؤيته :

١٩ — الجعفرية ؛ ٢٠ — الصباحية .

ويعتقد هؤلاء عدم وجود النص في امامة علي ولهذا لا ينكرون امامة ابي بكر . بل يعتقدون ان علياً افضل منه .

•  
\* \*

قماري المول : اذا اضفنا لما بحثنا عنه من الفرق . فرقة « الكرمية » و « الزائية » التي ظهرت في احاء اليمن ، و « الوهابية » التي انتشرت في نجد ودرعية ، والبرقة التي عرفت بقديها في قرين ، وظهرت في اصفاغ عمان ، ونماح على حقيقة هذه الفرق الى ما زالت تزج بالاسلام منذ بدايتها في تبار الهالكات حتى اهوت بها الى حضيض الهوان الضعيف .

اتممكنا ان ندهيث خطة نتطرق عليها اثنا الفحص عن اساس مذهب « لاسماعيل » والذين هم « الذين هم من غلاة الشيعة » ونستعين بها على ارجاع هذه الامور لاثمول مذهب ، ثم نتكلم من نصيب موقعهم بين المذاهب الاسلامية الاخرى .

[١] — كيف ظهر الاسماعيليين وانتشارهم — سبق لنا ان ذكرنا انما البحث عن فروع مرقاة « لامبية » ان فئة « الاسماعيليين » هي من غلاة الشيعة التي تعتقد امامة اسماعيل بن جابر الصادق واولاده واشياح هذه الفئة يعتقدون — كما سنفصل بهد — ان لامبة انتقلت عبر اسماعيل ، « محمد المكتوم » و « ثم لايه » حعفر المددق » وبعده الى « محمد الحبيب » وهو الذي انتشر في زمانه مذهب الاسماعيليين ، وكثر رواجه .

كان محمد الحبيب يسكن قسبة « السليمية » القريبة من حصص في سورية . وكان محباً للشعر ، وسعى السعي الخيـث لنشر مذهبه بواسطة الدعاة والمبشرين . ودأب لتأييد سلطان دينه ومكانته . وانتدب لهذه الوظيفة في العراق « عبدالله بن ميمون القداح » ، المنجم ، ويروي انه كان خادماً مزار الحسن وضي الله عنه [ \* ] وكان عبدالله هذا ابناً لميمون القداح من أهل العراق المتظاهرين بالشيعية ، مع انه مجوسى في الباطن .

أقبل ابن ميمون على تحصيل العلم منذ حدثته ، وما لبث ان توغل في امور الدين ومباحث الفلسفة ، فاطلع على شذوثة المجوس المذهبية ، وعلى عقائد زردشت ، واساطعاً بفسلفة قداما اليونان ، ودرس مذهب الصابئين ، ودين المسيحيين . وقد كان له نسام في العلوم الطبيعية ومهارة في الطبابة العينية . وكان مطبوعاً على خصائص المجوس لانه ولد مجوسياً ، وهو الرئيس السرى لفرقة « الفبارية » من المجوس .

ذكر في كتاب « شرح المواقف » ان قد التئم في احد الايام مجلس هذه الفرقة تحت رئاسة ابن ميمون ، وبحث فيه عن ما اصاب المجوس من الوهن والاضمحلال منذ ظهور الدين الاسلامى ، واتخذ فيه هذا القرار :

— « سخر المسامون بلادنا ومزقوا حكومتنا وما اتنا من سبيل لنقهرهم حرماً . بل نستبيع بث الضعائن ودس الشقاق بينهم بالحيل والحدع . فليتنا ان نتأول في الدين ، نخرج به عن جادة يقينه . ونضل الجاهلين من المساميين بخراف القول فنبت فيهم باسم لاسلام . روح المجوسية ، وهذه هى الطريقة المثلى التى نلتئم بها لافسنا ونعيد بها للدين « ارسى » مجد القديم وشذوخته القاذرة . [ \* \* ]

واحيل انفاذ هذا القرار الذى اجمع عليه المجوسيون على رئيس « ابن ميمون » . وورأى ابن ميمون ان مذهب « الاسماعيليه » هو نعم الوسيلة لتحقيق تلك الامال ، فدرب من محمد الحبيب ، واتفق معه بسهولة . وعليه نهض عبد الله بن ميمون في اواسط القرن الثالث للهجرة [ \* ] ورسم الخطوط السياسية لطريقته الظاهرة والباطنية . ونجد الى اسس ، التى سبها « الدعوة » فجعلها على سبع مراتب . وذهب الى « الالهوازه » من بساد وارس واخذ يدعو الناس الى مذهبه باسم الامام « محمد بن اسماعيل بن حنفر الصادق بن محمد بن رن العابدين ، بن الحسين ، بن عبي بن ابي طالب » ، اولاده . ثم خيه في ذكر كرمه ، حيد ، ظفر بالاموال الطائلة . والشهرة الزانة وعظم سعاد شيخته راتباه .

[ \* ] L. . . . . en trois volumes formant les volumes du Moudjahid ( 1318 )

[ \* \* ] راجع خرافات دن حقيقته — م . شمس الدين

## الامامية والمذهب

ان المذهب «الباطنية» الذي اوجده «ابن ميمون» كانت اسبابه بحاجة الى بيان من قبله. لان ابن ميمون اسس بهذا المذهب المتظاهر بالغيبة على «حبا على» أيضاً. وحصر الامامة في اولاده على: وفي هذا الزمن الذي ماثلت فرقة «الشيعة» «و«غلاة الشيعة» تبالغ فيه بالدهوة لملى وادلاده. توفر لابن ميمون الناس كثيرون ممن اقبلوا على مذهبه واجاب دعوته.

وعما ان «عبد الله بن ميمون» «اسماعيل» النزعة. كان مفترقاً عن الشيعة. ولا سيما عن فرقة «الامامية» لاول وهلة.

ان شياع فرقة «الامامية» لم يختلفوا — كما يتبين سابقاً — في كون الامامة لعلى بن ابي طالب. ثم لابنه الحسن بن بعده. وبعده لახيه الحسين ولابنه زين العابدين، ثم لمحمد الباقر. وبعده لجعفر الصادق. ولكن ينحصر اتفاقهم في امه. هؤلاء الستة فقط ثم يختلفون: فيقول قسم منهم بتزع الامامة من اسماعيل بن جعفر الصادق لانه توفي قبل ابيه. ويخصون بها بعد جعفر اما ابنه موسى الكاظم، او احده اخوته. ومن هؤلاء فرقة يعدون اثني عشر اماماً. ويقنون عند الاخير وهو «المهدي» الذي يتفقون تغيبه. وهذه اذ «الاثني عشرية» من فرقة الامامية.

ويقول القسم الآخر من الامامية:

«ان حق الامامة بعد جعفر الصادق هو لابنه اسماعيل نائباً على وصية ابيه. وهذا يقتضيه اسمها. اولاده ولو كانت وفاته قبل ابيه. لان الوصاية توجب ذلك». وعنده يتقدم هؤلاء سبعة اسماء اسماعيل بن جعفر. واثنتاهما لابن محمد بن بعده. وهؤلاء هم «الاسماعيليون» احد اقسام الفرقة الامامية. وقد تمكن «ابن ميمون» باتمائه لهذه الزمرة من جلب الشيعيين لطائفه. على انه كان في اشد الحاجة الى ذلك. بل تمكنه من الوصول الى نائبته الاساسية. وتوكل له «الاجاح» طويته الحدية. وعما انه جمع بين الفرس والحكمة لم تذب حالة المحيط بالرجوة عن قدره. وعلمه افكار الرقيقين واليرانيين المنكبين على اساطير لعجم، وحرقاتهم الحيايه، شطاط عقيدة خيالية اغماً، وسرقها مسالك الاضلال. ولذلك رأى من الضورة ان يدف الى عقيدة «الاسماعيليين» مقسداً من الحيال، وشيئاً من الاسرار بهمة واعدة على الاميام بهذا العمل، ان الائمة بعد اسماعيل بن جعفر لم يكونوا معروفين لدى الناس فكان يقول بانتقال الامامة بعد وفاة جعفر الصادق الذي توفي ابنه اسماعيل في حياته، الى محمد (المنكوي) بن اسماعيل. فوجد اعتقاد الاسماعيليين به راحة وعم «الام» ان «ابن ميمون» (ظهيراً) «مستتراً واماماً» «ابن ميمون» «ابن ميمون» وان احسن من جهة اخرى.



كان يقول :

— الامام مجبور على « الاستتار » اذا لم يكن ذا قوة وسلطان ، اما الدعاة فيطلون ظاهرين ، ليكونوا دليلاً على وجود الامام . وقد يظهر الامام ، ويصدع بالدعوة متى حظى بقدرته وسلطانه ولهذا فان كلاً من « محمد المكيوم » خليفة اسماعيل بن جعفر الصادق ، وابنه « جعفر المصدق » وابنه « محمد الحبيب » ، امام مستتر . ولا بد لهذا الامام مهما تأخر . ان يظهر متى رآه مساعدة في الظروف — ان هذه العقيدة كانت موضع انجذاب واستحسان لدى الناس ؛ لانها تهيج الخيلة . لاسيما وان الاعتقاد بالامام انتظر . والمهدي والمسيح الموعود . — الخ كان متفشيّاً بين السواد الاعظم من الناس . ولا يزال السنيون ينتظرون المهدي ؛ واليهود المسيح الموعود ؛ والتصارى روح اسدس . بهذه العقيدة كان ابن ميمون متسرباً بالاسماعيلية الى طريقة جديدة . ار بالآخر كان رسماً طريقة « الباطنية »

وكان ابن ميمون مجبوراً على وضع اسس يجتذب جميع الموائف الموحودة الى تسمية واحدة . لان هذه الشعوب المتباينة في القومية . والآمال ؛ المنبثقة في العراق وبلاد ارجم لم يزل اكثرها مشغولاً بالاساطير والخرافات رغباً عن اعتناقها الدين الاسلامي . « كان الناس مزيجاً من ملحدين لا يدينون بدين ؛ ومن فضالة الايرانيين افان الله روى على عقيدة زردشت ؛ ومن مانويين تناصفتهم المجوسية والنصرانية ؛ ومن اناس اتبعوا زرتشت عليهم عقيدة الصابئة . وكان الجهل مخيماً على الجميع . وزد على ذلك اشرارهم والاك الاقوام من المسارح الدموية التي تفتت في الطباع روج الثورة ، وذهبت القلوب بكراهية هاتيك المؤسسات الاجتماعية والنفرة منها . ولهذا ما كان بالصعب جعل . هؤلاء الى تفتلة واحدة . وتلقيحهم بفكرة الاتحاد التي توهم الاساسات الاسلامية وتودي بها .

اهتم ابن ميمون في مسألة الاسرار والغوامض ؛ واستفاد مما اذاعته الخطابية وغيرها من احزاب « غلاة الشيعة » من الآراء في معاني القرآن . فكان يقول :

— ان للقرآن مدلولين ، ظاهري وباطني . فالمعنى الظاهري والمعنى ليس هو المصنوع بالذات ، والتمسك بهذا المعنى يوجب العداوة والمثقة ، اما الاخذ بالمعنى الباطني فهو يوجب الانسراح والسعادة لانه يقضي بترك التكليف . والاعمال الظاهرة . وكان ابن ميمون يدس هذه الفكرة بصورة خفية . وباطنة . وما كان يتوهم بها تحياء غير الاسماعيين . ولذلك كانت هذه الطريقة مبالغ فيها بالباطنية وهكذا تدرج مذهب الباطنية الاتباع . دخل فيه كل فاسدى العقائد . وجميع المستائين . ووجد فيه من دخل بسائق - ب - ل - الدت . وآخرون تعلقوا بأهدابه تخلصاً من التكليف الشرعية ؛ وكان معظم اشياعه ممن حرستهم العصية القومية . واهاجتهم خواطر الاسلاف .

## الاديان والمذاهب

اضافي مؤسس (الباطنية) — كما سنفصله بعد — المؤسسة الجديشة بعض أسرار من آثار الجوسية . وهذه الاسرار كانت محشودة في عدد « السبعة » . ولذلك اضيف لاسم (الاسماعيلية) و (الباطنية) اسم (السبعة) .

وسبب تسميتهم بهذا الاسم ؟ هو انهم يستقدون ان عدد الائمة (سبعة) كمعدد اليام الاسبوع ، وعدد السماوات والكواكب ، وان عدد الرسل الناطقة ايضاً سبعة . ويؤمنون وجود سبعة ائمة بين كل رسولين ناطقين لاجل اتمام الشريعة ؛ وان كل ناطق ينسخ شريعة الناطق السابق ، ثم يأتي الائمة السبعة فيتمون هذه الشريعة . ويسمون الائمة السبعة بالائمة (المسترة) وما عدا هؤلاء لا بد من وجود سبعة اشخاص يقتدى بهم في كل زمان :

- ١ — الامام ؛ يستمد فيوضه من الله .
- ٢ — الحجة ؛ يستمد من الامام ، ويكون حجة لوجوده .
- ٣ — ذو النصبة ؛ يأخذ العلم ، ويمتصه من الحجة .
- ٤ — الداعي الاكبر ، هو اعظم المؤمنين .
- ٥ — الداعي المأذن ؛ يأخذ « العهد » ممن يشاء ان يدخل في الدين من اهل الظاهر ويدخله في ذمة الامام ، ويؤذن ليفتح لهم باب العلم والمعرفة .
- ٦ — الممكلم ، من علت مرتبته في الدين ، ولم يؤذن « للدعوة » ، وهو يعاون الداعي .
- ٧ — المؤمن ، من اتبع الداعي ، وآمن بالعهد واستيقن به ودخل في ذمة الداعي وحزبه ، اى فرقته .

فاعتقاد الاسماعيين لسبب رسل وسبعة ائمة وسبع مراتب في المذهب ، كان سبباً لتسمية هذا الدين الذي ما زال يطرق المجهولات بالسبعية .

ابن ميمون — كما سنرى بعد في البحث عن تعاليمه الدينية — يستعين بالنظريات الفلسفية ، والتعاليم الاشتراكية والحوارق للنواميس الطبيعية ، ويعمد الى تكاليف الشرع فيطمسها بمعنى اطى ويهوى بها الى العدم . واخذ اللاديانون يدخلون في دينه افواجا وزمراً حتى تمكن . الاغراب لبل آماله ومقاصده .

وقصارى الاول ، ان تعاليم « ابن ميمون » كانت بالظر للعقائد الاسلامية بمثابة القنبرة المدمرة . لان كل من دان بها كان ناشطاً من عمال الشريعة ، ومستحلاً حرمانها وراضخاً لدنور الاشراكى لاوا ، والاعراض .

ظهر عدائه بن ميمون في اواسط القرن الثالث للهجرة في « الاهواز » ، وخيم في عسكر مكرمه ، واخذ يجاهر في الدعوة ، الى ان عظم سواد زمرة واشياعه ثم راي ان

ينجي بالقوة علي من خالست دعوته ، وتها للسياط عليهم ، ولكن ما لبث ان باء بالفسل واحتطرت الى القراوة فقدم البصرة ومعه من شيعة «حسين الاهوازي» . ولم يلبث فيها الا قليلا حتى شاع امره . وصدق ان جاءه الامر بالحضور الى «السليمية» فلبى وذهب اليها واتمام هاجر يثار على نشر الدعوة الى ان ودع الحياة .  
لما توفي همدان بن ميثون ، انا ب محمد الحبيب مكانه «حسين الاهوازي» وارسله الى انحاء العراق لكي يستألف الدعوه .

ظهر في العراق في اواخر القرن الثالث للهجرة «حمدان» بن «الاشعث» الذي كان يلقب بـ «قرمط» لانضمام اطرافه وقصرها وتقارب خطوه ؛ (\*) وتوفق لنشر الديانة الاسماعيلية ، والعقائد الباطنية في انحاء الكوفة ، وكان ذلك بايعاز من «حسين الاهوازي» .

ما لبثت دعوة «حمدان بن قرمط» ان تعشت وانتشرت مسترسلة في اصقاع العراق والبحرين ، ذلك لان اهل العراق كانوا على غاية الضجر ونهاية الكراهية للهيئة الاجتماعية بسبب ما يتناهم من الظلم ، وما كاد «حمدان» يجهر بتعاليمه الاشتراكية حتى تشبع له جم غفير من الناس . لاسيما وان مذهب «المزدكية» الذي انتشر في ايران ، امال الافكار الى قبول هذه التعاليم بما لقنه من فكرة الاشتراك ايضا .  
ولهذا السبب سميت شيعة «حمدان بن قرمط» باسم «القرامطة» على ان الروايات في منشأ كلمات «قرمط» و«قرامطة» لا تزال متعارضة .

ان مجلة المشرق الصادرة في «ايلول ١٩٠٧» ، بحثت عن كلمة «قرمط» وانكرت الرواية التي يزعم فيها انها اسم لقرية قديمة من اعمال واسط الواقعة بين بغداد والبصرة (\*\*) وقالت انها كلمة «نبطية» بمعنى الحبيث والمملوث :

اما ابن الجوزي المؤرخ ، فقد ذكر في معنى كلمة «قرامطة» ستة اوجه :

١ — ان تسمية اشباع هذا الدين العراقي «بالقرامطة» ناشئة عن اسم مؤسس الدين وهو «محمد الوراق المقرمط» .

٢ — كان لهم رئيس نبطي يدعى «قرمطونه» ، ولذلك كان اسمهم «القرامطة» .

٣ — حل بعض اشباع هذا المذهب صيفاً عند شخص يدعى «كرمته» فنسب اسمهم اليه .

(\*) كتاب سوسنة سليمان في اصول العقائد والاديان — نوبل نعمة الله .

(\*\*) وارجع كتاب (I, de Goeje Memoire sur les Caramathes du Bahram et les Fatimides).



بما يكاد يزول مكانها ، ولكن ما لبثت تلك الدعوة ان تكسبت على طغيها بقتل بعض الدعاة ، واحراق البعض وضاق نطاقها ، وخذت ثورتها .

هكذا استطاع الاسماعيليون تعميم تعاليمهم في برهة وجيزة ، من اصقاع ايران الى اقصى بلاد الغرب ، وعرفوا باسماء كثيرة ما عدا « الباطنية والسعيدية والقرامطة » . فنها « الملاحدة » لما كان لديهم من الالحاد ، و « التعليلية » منسوبة لتعاليم عبدالله بن ميمون المشهورة و « الحرمية » او « البابكية » نسبة الى « بابك الحارمي » الذي ظهر في انحاء آذربايجان ؛ و « النزارية » بالنسبة الى « نزار بن المستنصر العبيدي » كما جاء في تاريخ ابن خلدون ؛ و « الحشاشين » لان بعض مريديها كان يشرب الحشيش .

[٣] — ملخص تاريخ الاسماعيليين — سبق ان بينا كيفية ظهور الاسماعيليين في القرن الثالث للهجرة ، وصورة انتشار مذهبهم . نعم ان ما كانت تاشع . الفرق الشيعية من الاعتقادات العلوية في انحاء العراق وبلاد فارس وما حبات على طباع الناس . من حب الخرافات والانشغاف بالاساطير هيء للمذهب الاسماعيلي وسطاً مساعداً لهشده ويزعجه فما كادت تعاليمهم تندلق الا وسرت بسرعة البرق وانتش في ديار المغرب الى داخل بلاد العجم . وما مر عليهم قرنان الا وادركوا غايتهم ، واوجدوا هيات ساسية لا بأس بمكانتها وهازوا قصب السبق باحداث الخلافة الشيعية وقوى سلطانهم وقهرهم لدرجة جراتهم على مصارعة العباسيين ، ومعاركة السلاجقة والايوبيين ، وخضبوا القرون الاربعة بما اهرقوه من الدماء الى ان اخنتهم صيحة التار ، ونزل عليهم هلاكوخان بضعته الهاضه ( سنة ٦٥٤ هجرية ) [\*]

تمزق شمل الاسماعيليين بعد هذا التاريخ ، وفقدوا نفوذهم السياسي ، واضطروا لان يعيشوا شتاتاً ، وزمرراً مبعثرة في انحاء متفرقة .

ويجب بعد هذا الاجال العمومي ان نبحث عن الحكومات التي اسماها الاسماعيليون ، ونذكر بعض وقائعهم السياسية والدينية .

#### ١ . الدولة العبيدية

ان اهم عمل سياسي قام به الاسماعيليون هو تأسيس ( الخلافة الثالثة العبدية ) ، ورواه ( بالدولة الفاطمية ) التي حكمت بلاد المغرب ومصر والشام واثميا احماز ، ودا . سلطانها مائتين وسبعين سنة ( من ٢٩٧ الى ٥٦٧ هجرية ) .

فَكَرَرْنَا ان ( محمد الحبيب بن جعفر المصدي ) ارسل « ابا عبد الله القمي » ( سنة ٢٨٤ هـ )  
 هجرة ) الى بلاد المغرب ، وجعله مبشراً للدين الاسماعيلي . وكان « ابو عبدالله » رجلاً  
 بعيد الهمة وخطيباً مصقلاً بيانه الدهر الحلال . وما لبث ان سخر قلوب الناس وحبهم  
 بنفسه وفي برهة وجيزة تمكن ان يصير اماماً لقيطة « قطامه » في بلاد الجزائر . وصكك  
 حكاهم تلك البلاد في ذلك الزمن هم « بنو الاغلب » . تظاهر « ابو عبدالله » بانه مبشر  
 بالمهدي الموعود ، واخذ يحرض الناس ويبيحهم على القيام ، والثورة ضد بني الاغلب  
 ليستولى على اموالهم واملاكهم ، وليحظى بوفرهم وثروتهم . وما طال الامد حتى اسعده  
 الجد وظفر مآله فانزع من الاغلبه « رقاده » قاعدة بلادهم . ومتع مردييه بهاتييك  
 الاموال الطائلة التي وعدهم بها .

كان الناس في اشد الانتظار لقدوم المهدي ؛ وفي هذا الزمان توفي ( محمد الحبيب )  
 الذي ارسل ( ابا عبدالله ) الى افريقيا ، واوصى بالامامة لابنه ( عبدالله ) وبلغ بانه « المهدي  
 الموعود » . ثم ان « ابا عبدالله الشيعي » دعى « عبدالله المهدي » ليحضر الى افريقيا . فما  
 كان منه الا ان نادر الاجابة وخرج من السليمانية في زى تاجر . ولكن اطلع الخليفة  
 العباسي « المتقي بالله » على دحالة امره ، فطير الاخبار الى جميع الانح . بوحوب البعض  
 عليه . فتبعض عاهه امثالاً لامر الخليفة في قاعدة بني مدار وزج في السجن . ولكن ما  
 لبث ان وصل الخبر الى ( ابي عبدالله ) فتش على بني مدار بجيش عظيم ، واصدق مرديوه  
 الحرة . لاناذ مهديه من لسجن ، واقتحموا قاعدة بني مدار فاستولوا عليها ؛ وادرج  
 المهدي من سجنه وامود . وبها تأسست الدولة العاطمية .

اما « ابو عبد الله الشيعي » فقد اراد ان ينتهز الفرصة . ويستفيد من ميل الساس  
 لعبدالله ، ويجهلهم له ، وجعله ولياً ، ثم يصطفى السلطنة له . ولكنه كان عبدالله  
 ادعي ، منا واقط قام عمله لى عمدته وحده ، فخلص له السلطة وانتقل من بساط  
 المشيخة الى عرش السلطنة [ \* ] وادس دولة عظيمة . [ \* ]

اهتم عبدالله واولاده في الدرجة الاولى ، مادارة ملكه في بلاد المغرب . ومع ذلك فان

[ \* ] حرافة دن حقيقته — م . شمس الدين .

[ \* ] ذكر قاموس الاعلام كيفية تشكل الدولة العاطمية على الوجه الآتي :

ولد في نسة « السليمانية » من اعمال الشام رجل سمه « سعد » وسمي نفسه « عبدالله المهدي »  
 وزعم انه من اصل محمد بن اسماعيل سليل الاسرة العلوية . وان الخلافة له ، فتمقه الحليفة العباس  
 المكتنق بالله « هرب الى بلاد المغرب . ولكن قض عليه يسع بن مدار والى سحلماس ناصر الحليفة  
 وجنس هو دسه . ما را ثم طهر رجل يدعى « ابا عبدالله » الشيعي فقتل اليسع وحلص عبدالله  
 وزارا من الحس واعلن خلافة عبدالله ، وكانت قاعه بلادهم قصة « المهدي » التي هي في حوار  
 القبروان .

المذهب الاسماعيلي، لم يزل آخذاً محظه من الانتشار في انحاء افرقيسيا، يخفي ان (يعقوب الكلبي) وزير العزيز بالله جمع ما تلقاه من العزيز نفسه ومن (المعز لدين الله) من الاحكام، والى كتاباً جمع فيه اسس عقائد الاسماعيليين<sup>(\*)</sup>، وكان كتابه المسمى به مقام الاسلام، ويختصر الوزير، على جانب عظيم من الاهمية.

وفي زمن «الحاكم ناصر الله» من خلفاء الفاطميين (سنة ٣٩٥ هجرية) اسست مكتبة حافلة في القاهرة، قريباً من القصر الغربي، تماثل مكتبة «بيت الحكمة» العظيمة التي اسسها العباسيون في بغداد، سميت «بدار الحكمة»، وعلى «واية ابن خلدون» دار المعرفة، وخصص لها علماء من انجمن والتحوين، والفويين والاطباء برواتب معينة، وفتحت ابوابها للقراء والمستسخين والمؤلفين؛ وكانت جميع اللوازم تعطى من قبلها مجاناً. ولهذا السبب كان يشترها البعض، نوعاً من المدارس.

وكان الحاكم ناصر الله يحضر علماء هذه المكتبة الى مجلسه دياًمرهم المباحثة والمحاورات العلمية واذن لهم في اجراء المناقشات داخل المكتبة ايضاً. وقد اغتنم علماء الشيعة هذه الفرصة، فاصبحوا يحامرون بملقن غايتهم الحيقية لامة ط الدولة العباسية في اشرق؛ ويدرسون التعاليم الاسماعيلية المؤسسة على تسع مراتب، والتي استتطت من مبادئ عدالله بن ميمون الذي كاد ان يكون مؤسس الدين الاسلامي<sup>(\*\*)</sup> ولهذا اسبب كانت دا، الحكمة مهمة جداً. وان «حسن الصباح» مؤسس الحكومة الاسماعيلية في الشرق كان متخرجاً فيها — كما سنبذه بعد —.

وقصارى القول ان «الدولة العبيدية» المعروفة بالملوكة نسبة الى عمر، رضى الله عنه، وبالدولة الفاطمية لاتسبها الى او د فاطمة رضى الله عنها — كما يزعمون — وا. تكن جعلت ههما لأكبر، سياسة حكومتها وادارها؛ واهتمت بالدين في الدرجة الثالثة، «بهذا المد البيضاء» في تاريخ الاسماعيلية، من حيث تعميم الدين ونشره. وهى السبب لظهور بذهب الدروز الذى هم م. غلاة الشيعة. (\*\*\*)

## ٢. حكومة القرامطة

ذكرنا اننا البحث عن سبب تسمية الاسماعيليين (القرامطة)، ظهور (زكريا بن مهرويه) من دعاة الاسماعيلية السوء الى «حمدان بن فرط»، وان زكريا هو ا. اخص الدعوة باسم الاسماعيليين، واطاع زكريا، وتلشير انبائه (\*\*\*) وكاد ان

(\*) راجع تاريخ التمدن الاسلامي لرحمى زبدان

\* اننا سنشرح هذه التعاليم التسعة، انما البحث عن اسس الدين الاسماعيلي.

(\*\*) راجع الصحيفة ٢٦ من كتابنا «ولايت بيروت — القسم الثانى»، فى بحث الدروز.

\*\*\* راجع دائرة المعارف لبطرس السنانى.

## الامم والقبائل

يكون إلى كان المسلمون (الأول) حكومة القرامطة، أو بالتعبير الاصح حكومة الاسماعيليين، انضمت هذا. وان تكون حكومة القرامطة، أو بالتعبير الاصح حكومة الاسماعيليين، انضمت سلطاتها انحاء خوزستان والبصرة والكوفة والاحساء ومطاولك على بلاد الغمام والحجاز ودامت الى سنة ٣٧٤ هجرية. ولكنها ما كانت حكومة حقيقية؛ بل طائفة صغية تارت في وجه العباسيين والمسلمين وكومت شرزمة تتألف من نوار دغينة، عباسية واجتماعية. (\*)

انكسرت شوكة القرامطة بعد ان قتل بمؤسسه (زكرويه بن مهرويه) (سنة ٢٩٤ هجرية)، ولكن لم يتقاعس اشباعه عن العمل، بل واصلوا الذي احدثوا الى ان ردت قوتهم اليهم. وتأسست يومئذ حكومة العبيديين في ديار الغرب على اشد ما يكون من المكائنة. ووجفت من سطوتها قلوب العباسيين. فانتهر القرامطة هذه الفرصة، ونهضوا الى استرداد مكانتهم الاولى، ففجح مساعدهم وعظم كيدهم، وما لبثوا الا اوغلوا في اهراق الدماء، وغلوا في الفساد وما ادخروا وسعاً في تخريب البلاد.

وقد ظهر منهم في انحاء الاحساء رئيس اسمه (ابو علي حسن بن احمد). فتجول في بلاد خوزستان، والبصرة والكوفة. وبعد ان حصل على اشباع وفيرة، جاهر بالقيام في العراق العربي، فاصلى على البصرة والكوفة، ثم زحف على الشام ايضاً وامتلكها. ومنهم «ابو طاهر بن سعيد الجساني» الذي مر ذكره فتد ذهب الى الحجاز، وصد المسامحة عن الا. فرفضه الحج، وقتل فيهم الفتك الذريع، ثم اقتلع (الحجر الاسود) من جانب الكعبة، وحمله الى الصرة.

ونهبوا بعض رؤساء الدرامطة في جهة البصرة والعراق والبحرين، وحكموا في تلك البلاد وجرعوا الحاء. العباسيين: انكد العيش.

وقد ازداد: شوكتهم وقوتهم، سلطتهم في زمن (بابك الحرمي) الذي ظهر في انحاء آذربايجان، ولم تزل دولتهم الى اواخر القرن الرابع للهجرة، حيث اخذتهم صيحة (بني الاصفري بن ثعلب) وانزلت عليهم تلك الضربة القاصية التي فرقتهن ايسى سبا ومنزقتهن كل منزق.

## ٣. الدولة الاسمايلية النورية

ظل لاسماعيليون على ما هم عليه من الضعف والانحطاط منذ اندراس حكومة القرامطة الى اوائل القرن الخامس للهجرة. ثم تأسست الحكومة الساجوقية في انحاء ايران (سنة ٤٣٩ هجرية) وحامى السادة البابية فانادته في تلك الاثناء؛ وعجز الحلفاء

(\*) حرامدين حقيقته — م. شمس الدين



العباسيون عن الدفاع فاصبحت البلاد عرضةً للغوائل ، والانحلال . ولم يهمل الاسماعيليون هذه الفرصة بل جددوا الهمة في نشر معتقداتهم ، واخذوا يدأبون لتحقيق آمالهم السياسية ثم استولوا على قلاع العراق وايران ؛ وطادوا الى دينهم القديم في سفك الدماء فقتلوا كل من وصلت ايديهم اليه . وفي زمن « ملكشاه بن آلپ أرسلان » ثالث ملوك السلجوقيين [٢] وصلت دولتهم من المكانة والقوة الى درجة تستطيع بها مقاومة الدول المعظمة . وسميت بالاسماعيلية الشرقية ، لتمييز عن دولة الفاطمية المسماة بالاسماعيلية الغربية .

اسس دولة الاسماعيلية الشرقية في ايران ( حسن بن الصباح Sababah ) سنة ٤٨٣ هجرية الموافقة لسنة ١٠٩٠ ميلادية .

اما كيفية تأسيسها فكانت على ما يأتي :

ان « حسن بن الصباح بن علي بن محمد بن جعفر بن حسين بن محمد بن يوسف الحميري » منسوب ليوسف الحميري من امراء اليمن (١) وقد ولد في بلدة « رى » من بلاد المعجم ، وتلقى علومه من الامام « الموفق النيسابوري » مع « نظام الملك » المعروف و « عمر الخيام » الشاعر الطائر الصيت .

تمكن حسن الصباح ان يكون حاجباً لآلپ أرسلان السلجوقي ، وذلك بايعاز من نظام الملك . ولكنه كان مفطوراً على حب الرياسة منذ حداثة ، فبا لبث ان اخاف مع نظام الملك ، وهرب ( سنة ٤٦٤ هجرية ) الى « الرى » ومنها الى ( اصفهان ) ثم الى العراق واذربايجان ، ثم الى مصر حيث لقي الحفاوة والاعزاز من المستنصر الفاطمي . لانه شيعي المذهب .

كان يتردد على « دار الحكمة » مدة اقامته هناك ويدرس مذهب الاسماعيلية ، ثم اوجد في هذا الدين بعض احكام جديدة ، وقام يدعو الناس اليه في سورية ولب وديار بكر ، وبنجد وايران وما كانت ضالته المنشودة الا الحصول على السلطنة التي ما زال مشرباً اليها . فجعل الدين حجاباً يعمل من ورائه ، وما انفك يصيغ الحيل ، ويرجع الى الدسائس حتى قيض له الزمن ( ابا الفضل البنانى ) فاعاه على تسخير قلعه « ألموت Ulmeu » (\*\*) سنة ٤٨٣ هجرية ، فاتخذها قاعدة للدولة « الاسماعيلية الشرقية » التي خلفها .

ثم استولى على بضع قلاع بعد « ألموت » . واستطاع ان يحتفظ بكيانه ، ويدفع كيد السلجوقيين عنه بمناعة موقفه ورسائله . لم يتخذ حسن الصباح لنفسه اسم « سلطان » و

[٢] كانت حكومة آل أرسلان السلجوقي ( سنة ٤٦٥ — ٤٨٥ هجرية )

(\*\*) . . . . . Monographie sur les trois plus fameuses sectes du musulmansme.

(\*\*) ألموت ، معناها عش الغمام « آتسقلوبه دى الكبير »

## الادب والملك

الملك

« امير » ، بل تسمى يا « سيد » و « الرئيس » و « شيخ الجبل » ، ولم تكن دعونه لنفسه بل كانت لاثام « حستلا » يزعم انه سيظهر في القد .

ما لبث حسن الصباح برهة وجيزة الا وعظمت سلطته وقويت شوكته ؛ وكثر اشباعه واستطلاع جذبهم اليه وجلبهم حوله . واخضعهم لامره ونبيه . ومما يروى ان السلطان ملكشاه ارسل اليه رسولا يدعو لاطاعة الدولة السلجوقية والخضوع لامرها . فاستدعى بعض اتباعه على مرأى من الرسول

ثم قال لاخدهم :

اقتل نفسك ا ففعل :

وقال للآخر :

هيا ، اقدف بنفسك الى الواد ؛ ففعل .

ثم التفت الى الرسول فقال :

« بلغ ربك ، ان لى سبعين الفا من هؤلاء ! »

اقام حسن الصباح في قلعة « ألموت » السنين الوافرة ، ولم يزل متظاهراً بالزهد والتقشف ؛ ولم يبرز من قصره الا مرة او مرتين في جميع عمره .

برهن حسن الصباح عن ذكاء حاد وبصيرة وقادة في ما وضع من الاسس الدينية والسياسية وحشد حوله شرذمة من الفتاك فاصبح الاسماعيليون في زمن حكمه الذي دام ( خمسة وثلاثين سنة ) على الدرجة القصوى من علو الكلمة ووفرة القوة . وقد فك الاسماعيليون في زمانه بكثير من الملوك والوزراء . منهم « المسترشد بالله » و « نظام الملك » وزير ملكشاه سلطان السلجوقيين وابنه « فخر الملك ابى المظفر » . وبهذا برهنوا على انهم من الفوضويين ( نهيباست ) . واقدروا على اوهاب ملوك السلاجقة ، وروى . ان مملوكاً « لسنجر بن ملكشاه » سلطان السلجوقيين ، دخل المذهب الاسماعيلي ؛ ولما ازمع على الفرار ، اخذ سكيناً وخرسها في الارض قريباً من رأس السلطان وهو نائم ، ثم هرب والتحق بالاسماعيليين . فارسلوا الى السلطان سنجر كتاباً من ألموت ، يقولون فيه :

— لو شئنا قتلك ، ما غرسنا السكين في الارض ، بل في صدرك !

ومنذ اطلع السلطان سنجر على هذا الكتاب ، ارتدع عن حرب الاسماعيليين وهاب جانبهم ؛ ثم صالحهم ووصلهم بالمطايا الوافرة .

توفي حسن الصباح سنة ( ٥١٨ هجرية ) بعد ان عاش تسعين سنة ، وحكم خمس وثلاثين عاماً . وكان كما قال محسن « الكشميري » :

[ لم ينتقل من دار الاسلام ، الى دار الرضوان ؛ بل كشط من وجه الارض التي جعلها

موطناً للفوضىء الى لعنة ربه [ .

وقد كان سفاكاً ، وبلغ من جبه لاهراق الدماء ، ان قتل اثنين من اولاده بلا سبب .  
دامت دولة حسن الصباح الى ان استولى هلاكوخان على قلاعهم وهدمها سنة ٦٥٤  
هجريه و ١٢٥٦ ميلادية ( \* ) ، وقد جاء من هذه الدولة المعروفة « بملاحدة الاسماعيليين »  
و « الحشاشين » ثمانية ملوك ، ها هي اسماؤهم . ( \*\* )

١ - حسن الصباح ؛ حكم خمس وثلاثين سنة ( ٤٨٣ - ٥١٨ ) .  
٢ - كيأزك اميدودباري ؛ صار رئيساً بوصاية حسن الصباح وحكم اربع عشر سنة  
٥١٨ - ٥٣٢ .

٣ - محمد بن بزرك اميد ؛ حكم اربع وعشرين سنة ( ٤٣٢ - ٥٥٧ ) .  
٤ - حسن بن محمد ، صرف باسم حسن الثاني وذكره الاسلام ، حكم اربع سنين ( ٥٥٧ -  
٥٦١ ) .

٥ - محمد بن حسن ؛ حكم ست واربعين سنة ( ٥٦١ - ٦٠٧ ) .  
٦ - جلال الدين حسن بن محمد ؛ حكم احد عشر سنة ونصف . وسمى « حسن الثالث »  
و « نومسان » . ( ٦٠٧ - ٦١٨ ) .

٧ - علاء الدين محمد بن جلال الدين حسن ، حكم خمس وثلاثين سنة ( ٦١٨ -  
٦٥٣ ) .

٨ - ركن الدين خاورشاه بن علاء الدين ، هو خر روستا الاسماعيليه الشرقيه ،  
وحكم سنة واحدة ( ٦٥٣ - ٦٥٤ ) .

ذا تصفحنا الوقايح التي - دنت في زمن « الاسماعية الشرقيه » الذي امتد مقدار قرن  
ونصف ، نبا ان طوة الاسماعيليين بائت منها في ذلك الزمن ، ولاد السجم والعراقيين  
وسوريه ، وتمددوا في الصف والطفيان ، وتبين اهم من احراً الملاك .  
وهذا اجمال تاريخي نذكر فيه اشهر الوقايح التي حدثت في ذلك الزمن :

٤ . مؤسسات حسن الصباح السياسية

رأى حيدر المباح ان يكرن الاسماعيليون هيئهً لشيعه فدايه محض لاصره ، وتنقاد  
لدينه ؛ او جبهه ضده بشي بها على احواله . فقدمهم الى عدة اقدام ، وخص كلاً منهم  
بوظفه حتمي عليه . فاما تلك الطائفة الدينيه التي كانت اسيرة الاهواء في حركاتها ،

[ \* ] ...  
[ \*\* ] ...

الاولى كانت هيئة نيائية ذات وظائف معينة، وهذه الهيئة من حسن الصباح تسنى لهم ان يملئوا حكومتهم مسئلة اكثر من قرن ونصف.

٢- قضى نظام حسن الصباح بالقسام الاتباع الى ثلاثة صفوف . ١- الدعاة ، ٢- الرفاق ٣- القدائية.

فوظيفة الدعاة هي دعوة الخلق الى المذهب الاسماعيلي ؛ وارشادهم بتلقين التعاليم الدينية .

اما الرفاق ؛ فهم الذين دخلوا في المذهب ، او خضعوا لسلطة « الرئيس الاكبر » الدينية والسياسية .

والقدائيون ؛ هم الذين يعملون للفنك باعداء الاسماعيلية ويتقاضون من الروس ما يسمونه القعدة — لقاء استماتهم في طريق المذهب .

وجب هذا التقسيم وحوادث بعض مراتب اجتماعية بين الاتباع فكان منهم في المرتبة الاولى الدعاة او المقدمون والاعيان . وهؤلاء كانوا يقبضون في الولايات التي اهلها تلاح مدينة كالشام وقهستان وكوهستان . وهم خاضعون لاوامر الرئيس الاكبر . والمرتبة الثانية يوجد فيها الدعاة ورسد الدين والوكلاء السياسيون ، ثم مرشحو الرئاسة .

والمرتبة الثالثة يوجد فيها الرفاق ، وتفاوت درجاتهم بالقرب الى الرئاسة باسنة نجاحهم في اتعالم السرية ولباطنية .

ثم ان « هؤلاء في درجة الرئاسة ، العدائيون وراس المذهب والمجاهدون والفتاحون » ثم اتى في المرتبة الخامسة ، حشدو المذهب في اهل .

ولا حير ان الادعى لا يجب بين هؤلاء طوائف الاحتمالية والمسلمة . هم اعداءون وهم مرتبون على هذه الملة منذ حداثتهم في بيوت رؤسائهم ، وطائفة دعاة .

يعلمون ان اسماءهم تكون اشد حجة طاعة ، وان الى مخالفته تكون سيئاً للجنود في الجزاء ، وانهم يحسون « ذمة الملاءة » وفعولوا يومرون به .

وذهب لاهل الملة الى ان رياض مخصوصة لائبات صدق الثقات من الملة ويندوهم انهم « الجسة » من ملهم من افعالهم وظيفتهم الديار والسباب من حجة اخرى .

فثبت ههنا انهم ليسوا بـ « زراة » من ان يذروها الذهب ، وازدرب فانظم مبدعه

يد اجمارة ، رجل ما تملك قدرة لطيفية من الحواس ، الحواس باظهاره جميع الانوان والاحاد كـ « الزمرد في خمرها » وعيون . وها كمداب للعين وذرات لهم مضباناً

من نور . وثلالات كانت من سبال الشمس . وقد ثبتت في تلك الراض تصوير داسة

صغت من المرمر ، وفرشت باحسن سجاد النجم على الجراز اليوناني ، واقامت بالإواني الظرفية المصاغة من المسجد الأصفر أو القضة البيضاء ، أو من البلور الشفاف ، فكانت نموذجاً للحسن ومثالاً للجمال الكامل مبثوث في جميع أنحاء الكواكب والولدهن كلهم المولوث المنتور عليهم ثياب ارق من الهواء . يتجولون في تلك الساحة الخضراء ، ويبدون من الفنج والدلال ما ينفذ لاعماق القلوب ، فيسحرها ويسخرها ، وربما يصيحون فتطير تلك الاصوات الرخيمة حيث تصافع الجدران الذهبية من هذا الايوان الغرامي ، فتعنتها اتوار الافق ، وتوغل في كبده الهواء الى ان تنطمس في الحفاء .

لا يحظى بهذا النعيم بن الاسماعيليين الاكل سعيد تملك بتعاليم الدين ، وكان متمسكاً بالسجاي الطبيعية والادبية التي تسوقه الى المفاداة بالنفس في طريق الواجب الديني . اذا اراد شيخ الجبل ، ان يجزى احد السعداء ، او بالاجدر احد الفدائيين ويمتعه بنعيم جناته ، يدعو الى مائدته ، ثم يتاوله المخدر ( الحشيش ) ، وبعد ان يستحكم فيه السكر ينقله الى احدى تلك الرياض ، ثم لا يلبث ذاك الفدائي المحروم ان يصحو فيجد نفسه في تلك الجنة ، وفيها ما تشتهي الانفس وتلذذ الاعين ، فتعروه الحيرة ؛ ولكنه لا يلبث ان يقتحم تلك الملذات ، وينغمس في تلك العيشة الغرامية ، ويصيب منها ما يشاء ، ثم يسقى من المخدر ما يفقده الوعي ، ويرجع به الى مجلس الرئيس . على غير علم منه . ولا تزال ذكرى تلك اللحظة الهنية ، في مخيلته كاحلام السعادة ؛ وان هذه السعادة التي اتم عليه شيخ الجبل ، في الرؤيا الصادقة ، تضطره الى الاطاعة العمياء ، والخنوع الى العبودية المحضة . وتجعله يتصور انتظاراً لتخليد تلك السعادة الموقته . وعليه كان يتلقى امر رئيس الجبل كالامر الهندسي المحتم . ولا تزال ذكرى الجنة التي نقشت في دماغه سطوراً مذهبة ، تشغل خياله ، وترسم على شفاهه ابتسامات ملوثة الحرص ، والشرق . وكان هذا الحرص على نيل تلك السعادة يؤجج في قلوب الاسماعيليين نيران الشوق وجحيم الشغف .

ان تأثير هذه السعادة الخالب ، جعل قلوب الاسماعيليين معكساً لهذه الآمال :

— هل من فرصة ؟ ... الا من امر للرئيس ... ثم النعيم المقيم ...

اذا اراد شيخ الجبل ان يبعث بأحد ، يستدعي اياً كان من الفدائيين ، ويقول له :

— هل لك في السعادة الخالدة ؟ ها .. لفلان ....

فيقضي امر الرئيس على الفور . وقد كان عند الرئيس حسن بن الصباح الوف من هؤلاء الفدائيين ، له عليهم الاطاعة العمياء .

احدث حسن الصباح بعض مراتب دينية ، وطبقات تعليمية ماعدا هذه الاسس الاجتماعية والسياسية ، وسعى بما فيه لاعلاء كلمة الاسماعيليين في ذاك العصر .[\*]

(\*) سنفصل هذه الاسس الدينية ، اثناء البحث عن تعاليم الاسماعيلية

ان زمن تأسيس الدولة الاسماعيلية الشيعية [٤٧٣] كان في ايام السلطان ملكشاه بن آلب ارسلان ثالث. سلاطين الدولة السلجوقية الاسلامية [٤٦٩-٤٨٥] [١] ولذلك كان اول تأليههم، وشرعهم في زمن هذا السلطان

نعم ان اول اجتماع للاسماعيليين كان في موقع (سليم) (\*) وقد شوهد ثمانية عشر شخصاً منهم اجتمعوا في احد المحلات بعد صلاة العيد، فاستقبلت اجتماعهم المنظر، وقبض عليهم وسجنوا، ثم اطلق سراحهم بعد مدة. وصدد ان دعوا مؤذناً من اهل (سليم)؟ مقيماً في اصفهان الى الدخول في دينهم، فلم يقبل فحافوا من افشائه الخبر، وقتلوه وهذه اول جناية اقترفها الاسماعيليون.

اهتم نظام الملك وزير ملكشاه السلجوقي في المسئلة لما اطلع على قتل المؤذن، وشدد الامر في تحرى القاتل والقبض عليه. ثم علم انه رجل نجار احمه (طاهر)، ففصله ومثل بحته وجرت على رأسها في الطرق ولشوارع. وكان هذا اول قتل من الاسماعيليين. ثم اقترف الاسماعيليون جنايتهم المعروفة، فقتلوا (نظام الملك). وقالوا: — قتلوا منا نجاراً، فقتلنا وزيراً.

اي واحدة بواحدة.

واول ما سخرها من البلاد، هي قسبة قرية من (قاي). وكان مقدمها (رئيسها) اسماعيلياً، فتجمع الاسماعيليون عنده، وتعرضوا في جوار تلك القسبة على قافلة متبلة من كرمان فقتلوا جميع رجالها. ولم يسل منهم الا رجل تركاني، استعطا ايصال الخبر الى اهل (قاي)، فهبوا في اثر الاسماعيليين ولكنهم لم يجبحوا. وقد ازدادت سطوتهم، وقويت شكبتهم بعد وفاة السلطان ملكشاه السلجوقي، واشتدت اطماعهم السياسية.

## ٦. بركياروق والاسماعيليون

ورث تاج الملك السلجوقي في خراسان بعد السلطان ملكشاه، ابنه بركياروق (٤٨٥ — ٤٩٨). واشتد في زمانه زر الاسماعيليين، وعلا شأنهم وعلمت قدرتهم، وشرعوا يسلبون اموال مخالفيهم، وبشكون بهم فتكاً ذريعاً. وقد اوغلوا في التطول. وما كان

(\*) هذا التاريخ هجري يدل على مدة السلطنة.

(\*\*) راجع تاريخ ابن الاثير، وابن الجوزي ومؤلف M. c. Defremery Nouvelles recherches sur les ismaeliens de Syrie.

ولكن ما كان اهل بر كياووق لامر الاسماعيليين الا عن معاناة اخيه محمد الذي خرج  
منه وعصاه . وما لبث ان هزم جنود اخيه وتلا وزيره . وكان مذهب الاسماعيليه قد  
انشر بين اهلها كرتقني بصورة هائلة . فاصدر السلطان امره بقتلهم ؛ فقتل منهم عدد

١٢٨١  
 واقر . وقد كان السلطان بركياروق ارسل « ابراهيم اسد الاقضي » مقبداً الاسماعيليين  
 سفيراً الى بغداد فاعدم هناك ( ٤٩٤ ) .  
 وفي هذه السنة ايضاً ( ٤٩٤ ) هجيم ( نوشكين ) من امراء الاسماعيليين على بلاد  
 الاسماعيليين وهدم اكثرها وقتل منهم اناساً كثيرين .

#### ٥٧ . عهد السلجوقي والاسماعيليين

تسلطن على السلجوقيين بعد السلطان بركياروق ، اخوه محمد بن ملكشاه . وقد تابر  
 هذا السلطان الذي امتد زمن حاكميته من ( سنة ٤٩٨ الى ٥١١ هجرية ) على منازلة  
 الاسماعيليين ومقاومتهم .

ثار ( سنة ٤٩٨ ) من الاسماعيليين جم غفير وخرجوا من ( طريث ) من اعمال  
 خراسان ، ويمموا انحاء « يبق » ، وامنعوا في سكان تلك الانحاء . نهياً وقتلاً .  
 ثم نسلطوا على الطريق فقتلوه عن بكرتهم ، واستولوا على سلبهم واموالهم .  
 وفي هذه السنة ايضاً ظهر الاسماعيليون في انحاء الشام ، وسخروا حسن « قاميه » وقطعوا  
 السابيه .

هجم السلطان محمد السلجوقي سنة « ٥٠٠ » ، على قلعة « شاهدز » من اعمال اصفهان  
 التي اتولى عليها الاسماعيليون قبل مدة ، وسخرها وقتل مالكتها « ابن العطار » وثار  
 السلطان محمد بعد ذلك على طريقة انحاء الاسماعيليين . وفوض هذه المهمة الى « نوشكين  
 بن شيركير » المشهور ، صاحب انحاء « آبه وساوه » . ووجهه اليهم .

سخر نوشكين بضعة قلاع للاسماعيليين ، واجلى سكانها الى قلعة « الموت » ثم زحف  
 اليها . وحصرها . وامده السلطان الجنود والامراء ، والذخيرة ، وبني دوراً يأوي اليها  
 فيما اذا اندت مدة المحاصرة . فضاقت الحناق على الاسماعيليين ، واضطروا لان يرسلوا  
 نساءهم واولادهم الى « نوشكين » يطلبون منه الامان ورجوه ان يفسح لهم الطريق  
 ليخرجوا من القلعة . فاثبت نوشكين الاجابة ، ردهن الى القلعة . وقد ضاق الامر على  
 حسن الصباح ، واشق اهل القلعة على الموت جوعاً . وكان كل منهم يتجزأ في يومه  
 برغيف صغير ، وثلاث حوزات ولكن لم يطل الامر ، حتى جاء نعي السلطان محمد ، ونفس  
 الكرب على المحصورين ، لان اتباع نوشكين عزموا على العود منذ جأهم الخبر ، وقد  
 اراد نوشكين ان ياتهم ، وافهمهم ان في الرجعة خطراً عليهم ، واعلمهم ان تسخير القلعة  
 سهل اذا شدوا حبله . ولأنهم لم يعاوا بكلامه ، وتركوه وانسلوا على غير علم منه فبين  
 وليس معه الا قليل من اتباعه . فهجم عليه الاسماعيليون وهزموه ، واستولوا على جميع  
 ذخائره ( ٥١١ )



## ٨ . سنجر والأسماعيليون

تسلط على السلطان سنجر بن ملكشاه السلجوقي سنة (٤١١ هـ) ، واخذ امرأ (سنة ٥٢٠) الى الوزير (الحق بن النصر احمد بن الفطلي) بان يوقع في الاسماعيليين اينما حلوا ، ويصادر اموالهم ، ويحلب (ينق) نسايتهم . فجهز ابو النصر جيشين ، وجه احدهما الى (طريث) والثاني الى انحاء (بيق) ، ثم جهز كتاب اخر ، وبها في كل جهة يوجد فيها الاسمايكيون ، واذنهم ان يقتلوا كل من لاقوه منهم . فسارت كل كتيبة الى وجهتها واكتسحت الجنود التي هاجمت انحاء (بيق) ، قرية (طرز) وقُلت جميع من فيها واضطرت مقدم القرية (حسن بن سمين) ان يتحرر قاذفاً بنفسه من اعلى المنارة . ثم اغتصمت جميع لمواك القرية .

## ٩ . الاسماعيليون في سوريا

ذكرنا ان الاسماعيليين قدموا الى انحاء الشام سنة ٤٩٨ هـ . ثم اخذت سلطتهم تنمو وتزداد الى (سنة ٥٢٠) حيث قويت شكيبتهم وعظم سوادهم ، وتسنى لهم امتلاك قلعة (بانياس) [\*] التي هي على ستين كيلومتراً في الجنوب الغربي من الشام . وقد كان (ابن بهرام) البغدادي في امتلاك هذه القلعة . و(ابن بهرام) هذا ، هو ابن اخت (ابراهيم اسد الاباذي) الذي قتل في بغداد ايام السلطان بركياروق . وقد غادر بغداد بعد قتل خاله وقدم الشام . واخذ يدعو الى الاسماعيلية فجاب البلاد وحشد حوله كثيراً من اجلاف الناس الذين دخلوا في دينه . ومع هذا فان ابن بهرام لم يزل مكتئباً ومستتراً في دعوته . ثم قدم حلب واقام فيها . وكان حاكم حلب في ذلك الزمن هو « ايلغازي بن ارتق » الامير الثالث من « ابن الارتق » . [\*\*] « ٤٩٨ — ٥١٦ » .

تجامل ايلغازي مع ابن بهرام واشياعه خشية شرورهم ، وبذلك تسنى له ان يقبض على الناس بني الاسماعيليين ويطغيانهم .

ثم ما لبث ايلغازي ان سير ابن بهرام لعين الغاية الى طفتكين مؤسس حكومة آل طفتكين في الشام (٤٩٧ — ٥٢٢) [\*\*\*] اذ قد استطاع شر الاسماعيليين في هاتيك الانحاء ، وظن طفتكين انه يستطيع اطفاء نورتهم وردعهم عن الافساد اذا تجامل مع

[\*] اسمها القديم (قيصرية فيلبس)

[\*\*] حكم (بنو الارتق) (٣٣٤) سنة في انحاء حلب وديار بكر . وحا منهم (١٧١) اميراً (سنة ٤٧٧ — ٨١١) .

[\*\*\*] دامت حكومة بن طفتكين في الشام من سنة ٤٩٧ الى سنة ٥٤٩ ، وجاء منهم ستة ملوك .

ابن بهرام ووالاه كما فعل المذازي . ولكن ابن بهرام تهرأ في هذه الكثرة واضرب عن التكم والتستر ، وصدع بدعوة الاسماعيليين واتخذ يسمى الى ان تكاثف عدد شيعته واتباعه وكان وزير ططكتين ( ابو طلحة بن سعد المرغيناني ) لا يزال . يوآز ابن بهرام وبجانبه مفكراً انه سيستفيد من هذه الموالاة ، على ان ابن بهرام جعل هذا الإقبال وسيلة للقيام بالواجب الديني ، وبالغ في الدعوة حتى اصبح اتباعه ضعف ما كانوا عليه بالامس . ولانذروا البلدة بخطرهم . والفت هذا الحال نظر اهل الشام ايضا . فادرك ابن بهرام خطر الامم وطلب من ' ططكتين ' قلعة ياوى اليها فاقطعه قلعة ' بانياس ' فبار اليها وخف اليه الاسماييون من كل حذب ، واعتصموا بتلك القلعة . وكانت السيطرة الكبرى في بانياس لابن بهرام . ولم ترق حالة الاسماعيليين في اعين علماء الدين في الشام وفقهاؤها ولحكمتهم كانوا يهابون السلطان ططكتين من جهة ، ويحبتون كيد الاسماعيليين وشدهم من جهة اخرى ، ولم يكن لهم من الامر شيء ، فكما افواههم ، وانزمو السكوت .

غادر ابن بهرام الشام وابق فيها وكيلاً ، وعهد اليه بوظيفة الدعوة الى المذهب ولم يقصر الاسماييون في انتهاز هذه الفرص بل بذلوا جهد الطاقة لتحقيق آمالهم فيها فكثروا ، ثم تسلطوا على بضع قلاع في جبال ( سوماق *Somak* ) القريبة من لبنان واستولوا عليها . وابتاعوا قلعة ' قدموس ' من صاحبها ' ابن عمران ' ( سنة ٥٢٧ ) وتحصنوا في تلك القلاع ، وشرعوا يكافحون من في جوارهم من الاسلام والصليبيين . وفي ذلك التاريخ ٥٢٢ ، كان ' وادي التيم ' موطناً لثلة من النصرانية والدروز ، ولبضع قبائل تتألف من مختلفي المذاهب ، رأسها رجل يسمى ' الضحاك ' . فتحجز ابن بهرام للتضييق عليهم . ولكن الضحاك باغتهم بالهجوم مع الف من اتباعه فزق جمعهم وقتل ابن بهرام وفر اتباعه واعتصموا بقلعة ' بانياس ' .

ترأس على الطائفة الاسماعيلية بعد ابن بهرام بوصايتيه رجل يدعى ' اسماعيل ' ولم يلبث هذا الرئيس الا برهة وجيزة حتى تمكن من جمع شتات الاسماعيليين واعاد لهم سابق مكانتهم في الشام بهمة ' المزدقاني ' و ' ابى الوفا ' من معتمديه ، حتى لقد اصبحت كلمة ' المزدقاني ' هناك اعلا وارجح من كلمة ( تاج الملوك بوري بن ططكتين ) سلطان البلاد وحاكمها [ ٥٢٢ — ٥٢٦ ] .

يطال الامر حتى اطاع ( تاج الملوك ) ن ' المزدقاني ' تواطاً مع الصليبيين على تمام الشام لهم انا قسبة صور . واه يسمى لافاذ عهده ، فاستداه وقله وعاق رأسه على باب القلعة . ثم قتل ( رمضان سنة ٥٢٣ ) جميع الاسماعيليين فقتل منهم ستة الاف نسمة . وقد خاف اسماعيل صدق هذا العزم ، فالتجأ الى الصليبيين وسلمهم قلعة ' بانياس ' .

١٠. أيام محمد الثاني والأسماعيليون .

اشتد أذى الاسماعيليين ، وكثر جمعهم في زمن « السلطان محمد الثاني بن محمود بن محمد بن ملكشاه » ، خادى عشر سلاطين السلاجقة في إيران [ ٥٤٧ - ٥٥٥ ] . وتجمعوا [ سنة ٥٤٩ ] في انحاء « قهستان » وحشدوا بين فارس وراجل مقداد ( ٧ ) الاف رجلاً ، واغتموا فرصة انشغال السلجوقيين في حرب « الفزيين » ، وساروا الى انحاء خراسان . وقد صادفهم « فرخشاه بن محمود الكاساني » من امراء السلاجقة اشاء مرورهم بانحاء « خواف » ولكنه هاجم ولم يجسر ان يتعرض لهم . غير انه اوصل خبرهم الى « محمد بن آره » احد امراء خراسان ، ودعاه الى الاشراك مع بقية الامراء وقبيلة هذه الفئة والتنكيل بها .

وعليه نشب الحرب بين الاسماعيليين وامراء خراسان ، ودام مدة طويلة وفتح بفضل الاسماعيليين وهزيمتهم ، وقتل من اعيانهم عدد وافر ، واضطروا لاختصاص قلاعهم .

وبعد هذه الواقعة بسنتين « ٥٥١ » هب الاسماعيليون للاخذ بالثار ، ودخروا في ماحدة كبيرة مع السلجوقيين في موقع « طبس » ، واسروا عدة رجال من اعيانهم . ونهبوا اموالهم وسلمهم واجلوا اطفالهم .

وفي سنة « ٥٥٢ » حشد سلطان مازندران « رستم بن علي بن شهربار » جنوده وهجم على قلعة « الموت » . ثم اغار على قرى لاسماعيليين هدمها وحرقها ، وقتل سكانها واستولى على اموالهم وشنت نسايم واسترق اطفالهم .

وفي سنة « ٥٥٣ » تجمع « ٧٠٠٠ » محارباً من الاسماعيليين ، فطرقوا قرى التركمان وهي خلوف ، فامعنوا فيها احراقاً وهدماً ونهباً . وما كادوا يرجعون الا وآب رجال التركمان ، وجدوا في طلبهم قادر كوههم وهم يتقاسمون الاموال ، فشدوا عليهم واسروا في التل ، فلم ينبج منهم الا تسعة انفاد . ولم يحدث بعد من المناوشات الا الطفيف .

١١ . صلاح الدين الايوبي والاسماعيليون

تعرض الاسماعيليون للملك الناصر ابو المظفر « صلاح الدين يوسف بن ايوب » مؤسس الدولة الايوبية في مصر « ٥٦٧ - ٥٨٩ » (\*) وارادوا قتله . عشد عليهم واحرقوا اموالهم ،

(\*) حكمت الدولة الايوبية في مصر من سنة ٥٦٧ الى سنة ٥٤٩ . وحاكمهم عشر ملوك . وما عدا هذه ، وجد لهم بقية حكمت في حمص واليمن وحلب وحمص كيف واما والشام في توابع مختلفة .

## الامم في بلاد الشام

والصالحين (مصياف) الذين هم من اجسج قلاية وحمير على حدود بلاد الشام في بلاد الشام .  
 فلما ضاق عليهم الخناق ووجدوا ان لا مفر لهم الا بالفرار الى بلاد الشام وادخلوا  
 الى (شهاب الدين الحارثي) صاحب حاء ، وتخلل لصالح الدين وعزموا عليه ان يهب  
 بينهم بالصلح ، والا فانهم يقتلونه . فقبل الوساطة ، وراجع صالح الدين في ذلك ففعل  
 عنهم .

١٢ . آخر ايام الاسماعيليين

لا جبر . ان زمان (حسن الصباح) كان احسن ايام « الدولة الاسماعيلية الشرقية » . اما  
 الرؤساء الذين اتوا بعده كانت مزيتهم الوحيدة انهم لم يألوا جهداً في اوراق الدماء . ولم  
 يتس للاسماعيليين تأسيس دولة قوية . بسبب الفوضوية الداخلة في اسس دينهم ، ومعارضة  
 ملوك السلاجقة لهم من جهة اخرى اوجبت تفريق جمعهم وتمزيق شملهم . ولذلك كانت  
 دولتهم في الشرق عبارة عن ثلة فوضوية سفاكة ؛ اما سيرتهم فهي صحيفة بطلش وقتك  
 يقتل منها الدم .

كم « النوريون » في بلاد خراسان بعد ان نادت دولة السلاجقة الايرانية (٥٩٠هـ)  
 فقام الاسماعيليون الى مناهضتهم ، وعادوا الى دينهم في اوراق الدماء .  
 ثم ظهر « آيتغش » -- لعله آي طوغش -- من بمالك « جهان پهلوان » من اتابكة  
 آذربايجان (٦٠٠ - ٦٠٨) فاكسح بلاد الاسماعيليين في المحافزوين (٦٠٢) وهدم لهم  
 خمس قلاع وقتل كثيرا منهم .

تأسست منه من العوريين « داميان » بعد ان درست حكومتهم الاصلية (٦٠٤)  
 وعمد الاسماعيليون (٦٠٩) فتدوا اميراً من امراء (جلال الدين) دايع وآخر سلاطين  
 هذه الشيعة . معصب هذا السلطان واقطعهم بجنوده ، فاكسح بلادهم من « الموت » الى  
 « كردكوه » خراسان وهدم اكبرها ، وقتلهم قتلاً ذريعاً (٦٢٨) .

ثم حاربهم « توغان الشهاب » (٦٥٤) واسر « ركن الدين خاورشاه » رئيس الاسماعيلية ،  
 ثم قتله وهدم قلاع [ الآم ] ، ميمون ديز ، لار ، سروش ، سرخ درك ، بتره ، بهرام  
 ديز ، ابدك ، موران ، ناج ، يمرار ، مردوس ، منصور (\*) وازل عليهم تلك الضربة  
 العاصم التي اكدت نصحي عاهلهم .

ثم حاربهم « امير بيبرس » من ملوك الجراسية فاتزع منهم قلعة (مصياف) الشهيرة .  
 راسد جميع دولته الى ارضين ، لم يدخروا وسعاً في قتل من وصلت ايديهم اليه

من الاسماعيليين وبهذا استؤصلت شأفة الاسماعيليين الذين وجئت سبب احوال فتحكم الجبلاد ؟  
وبلادهم في آسيا الغربية المهددة من بحر الابيض الى داخل بلاد الترك ، او بالاصح  
من جبال هورية بونخراسان وبحر الحزر ، الى السواحل الجنوبية من بحر الابيض تمزقت  
ايدي هبا .

ومع هذا فان هذه الفتنة لم تهلك بناتاً . بل لا تزال اليوم لها بقية في بلاد فارس  
وسواحل نهر « السند » ، وفي ناحية قدوموس وخوابي من قضاء مرقب من اعمال بيروت  
وفي انحاء مصيف وسليمية من لواء حماه التابع لولاية الشام ، وفي دمشق ايضاً . اما عددهم  
فيتراوح في اصقاع حماه بين ( ٨٠٠ — ١٠٠٠ ) وفي ناحية خوابي وقدموس [٢] ( ٣٠٠٠ —  
٤٠٠٠ ) نسمة . ويوجد منهم في دمشق في محلة الحشاشين من ثمن الميدان مقدار مائة  
نسمة . ومجموع عددهم في البلاد الثمانية يناهز خمسة عشر الفاً وانهم الآن على غاية ما  
يكون من السكون .

ومن العجب انهم لم يقابلوا النصيرية بما يستحق الذكر من دفع العدوان لما هجموا  
عليهم وقتلوه ، واجلوه عن اماكنهم ( سنة ١٨٠٩ ميلادية ) . ثم لم يلبثوا ان عادوا الى  
مواطنهم بعد ان نكل بالنصيرية .

[٤] دعوة الاسماعيليين وتعاليمهم الدينية — سبق لنا ان ذكرنا ( دعوات ) عبدالله بن  
ميمون القداح مؤسس المذهب الاسماعيلي . وشيئاً من تعاليم « دار الحكمة » الدينية  
التي تستند على تلك الاسس . والآن نشرح بتفصيل هذه التعاليم والدعوات  
وايضاحها :

ان « للدعاة » الحظ الاوفى من الخدمة في نشر المذهب الاسماعيلي ، وتوسيع نطاقه  
وكانوا يخللون طبقات الناس ويتهزون فرصة كونهم مشبعين بالشكوك والظنون ، ومشتاقين  
الافكار ، عاجزين عن انتقاء الحقيقة بين التلقينات الشيعة وغير الشيعة ، ومفلولين عو  
حب الخرافات والاساطير . فيتسربون الى افكارهم بمعتقدات دينهم الهيولي . وبهذا اذني  
لهم تكثير اتباعهم وتزويد اتباعهم وان وفرة المذاهب في تلك الآونة كانت تشدد عصبية  
الشرقيين المشغوفين بالحيل ، لاسيما ان الاعتقاد بتسرب الروح الالهية من جسم الى آخر  
والايمان بعود الائمة الى الدنيا . . الى آخر ما هناك من المعتقدات كانت تضاعف همك  
الناس في الاقبال على المكونات والنوامض . وعليه كان رواج مذهب الاسماعيلية المرقفي

[٢] سنبعث على وجه التفصيل عن احوال الاسماعيليين الموجودين الان و ناحية قدوموس وخوابي  
اشناً البحث عن احوال « مرقب » .

## الانجيليين واليهود

الباطنية والغموض من افكارهم الطبيعية. لان هذا المذهب مذهب الغموض والظلمة في  
الاتيان والائمة هجرها. ثم احدث بعدد الساعات والالافين واعتبره كالمسألة وفي كل  
واحدث اسراراً وخواف جديدة وبين ان للعدد بنفسه قيمة خاصة. وقد زعم - كما  
سنبحت بعد - ان للقرآن معان باطنية. فكانت دلالة للمعجزة واعتبرت للتنبؤ. وان  
المراتب السبع في المذهب الاسماعيلي استقرت افكار الناس الى مطالعة استخراج هاتيكه الطبايق  
والاطلاع على ما وراء تلك الغوامض. واصبحت القلوب يسعها ظمأ استكناه هذه المجهولات  
المتسلسلة. فاذا فكرنا في الائمة الظاهرة والباطنة وحياتهم المطمودة في الغموض والكتمان  
وعلمنا تلك الوعود الخالصة وما تضمنته من انواع النعم الجنانية وتلك السعادة اليقينية التي  
أيدتها التجربة وتلك القصور ومقصوداتها والرياض وزيتها ينكشف لنا الفطاء عن  
المؤثرات التي سهلت لدعاة الاسماعيلية طرق النجاح.

نعم ان نجاح دعاة الاسماعيلية انبث عن رقة شعور الناس. وقد علموا انهم كلما بالغوا  
بتحريك الشبهات وتزييدها يزدادون نجاحاً فلم يألوا جهداً بمسح خطوتهم الى تلك  
الوجهة.

حتى ان عبدالله بن ميمون جعل دعواته على تسع مراتب وبين في كل دعوة ومرتبة  
قسماً من اسس دينه. وجعل الارتقاء عن مرتبة الى اخرى معلقاً بالتجارب الطويلة.  
فالذين يصلون الى الدرجة التاسعة بحرزور العقيدة الجديدة او بالاحرى يكونون براً عن  
كل عميدة. وتعاليم الدين في دار الحكمة كانت على عين النقط. وما نحن نستصحي دعوات  
ابن القداح والميم دار الحكمة بعد تفريقها لتسع مراتب دوز ان نبدل، نعد من  
دقيقها شيئاً. (\*)

## ١. الدعوة الاولى

[ سأل الداعي لمن بدعوه الى مذهبه عن المشكلات وتأويل الآيات . وما عانى الاور  
الشرعية وشي من الطبيعيات والامور العامة . فان كان المدعو دارقاً سام له الداعي والا  
نرا ، فعمل فكره في ما اياه عليه من الامثلة وقال له : يا هذا ان الدين مكتوم ، وان لاكثر  
له زمرون وبه جاهلون ؛ ولو علمت هذا الامة ما حص الله به الامة من العلم لم تختلف .  
مشوق حينئذ المدعو الى معرفة ما عد الداعي من العلم . فاذا علم من الانبال اخذ  
في ذكر معاني الرات وشرايع الدين ، وقريران الآفة التي زلت بالامة وشنت الحكمة ،  
واورد الالهة المصلحة ؛ ذهاب الناس عن ان يصبو لهمم وأقبدوا حافظين لشرائعهم

ان الله بعل ما تفصلون] [ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من قبله قوة أنكاثاً]. وقله  
[لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل]. ومن امثال هذا فقد اخبر الله تعالى انه لم يملك حقه  
الا لمن اخذ عهده. فاعطنا حقة ميثاقك وعاهدنا بالهوكك من ايمانك وعقودك انه لا تقضى  
لنا سرراً ولا نظاهري علينا احداً، ولا تطلب لنا غيلة، ولا تكتننا نصحاً، ولا توالى لنا  
عدواً.

## ٢ . صورة العهد (\*)

وهو ان يقول لمن يأخذ عليه العهد ويحلفه :

— جعلت على نفسك عهد الله وميثاقه، وذمة رسوله وانبيائه وملائكته ورسوله وما  
اخذه على النبيين من عقد وعهد وميثاق؛ انك تسترجع ما تسمعه وسمعت وعلمناه وتماه  
وعرفناه وتعرفه من امرى وامر المقيم بهذا البلد لصاحب الحق الامام صرفت اقرارى له،  
ونصحتى لمن عقد ذمته، وامور اخوانه واصحابه وولده واهل بيته المطيعين له على هذا الدين،  
ومخالصه له من الذكور والاناث والصغار والكبار؛ فلا تظهرن من ذلك شيئاً قليلاً ولا  
كثيراً ولا شيئاً يدل عليه، الا ما اطلقت لك ان تتكلم به، ا. ا. اطلقه لك صاحب الامر  
المقيم بهذا البلد، فتعمل في ذلك بامرنا ولا تتعداه ولا تزيد عليه، وليكن ما تعمل عليه قبل  
العهد وبعده بقولك وفعلك، ان تشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له، وتشهد ان  
محمداً عبده ورسوله، وتشهد ان الجنة حق وان النار حق وان الموت حق وان البعث حق  
[وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور]. وتقيم الصلاة لوقتها وتؤتي  
الزكاة لحقها، وتصوم رمضان وتحج اليه الحرام، وتجاهد في سبيل الله حتى جهاده على  
ما امر الله به ورسوله وتوالى اولياء الله وتنادى اعداء الله وتقوم بفرائض الله ورسوله  
وسنن رسول الله ظاهراً واطناً وعلاية سرراً وجهرأ، فان ذلك يؤكد هذا العهد ولا  
يهدمه، ويثبت ولا يزيله، ويقربه ولا يباعده، ويشده ولا يضعفه، ويوجب ذلك ولا  
يبطله ويوضحه ولا يعمي، كذلك هو الظاهر والباطن، وسائر ما جاء به النبيون من رهم  
على الشرائط المينة في هذا العهد، جعلت على نفسك الوفاء بذلك قل نعم :

فيقول المدعو نعم. ثم يقول الداعي له :

والصيانة له بذلك واداء الامانة، على ان لا تظهر شيئاً اخذ عليك في هذا العهد  
في حياتنا، ولا بعد وفاتنا، لا في غضب، ولا على حال رضى ولا على رغبة ولا رياء  
رغبة، ولا عند شدة ولا في حال رخاء ولا على طمع ولا على حرمان، بل على الله على

اللهم اهدنا الصراط المستقيم في هذا العهد ، وجعلت على نفسك عهد  
الله وميثاقه ، ودمته وذمة رسوله أن تمنحني وجميع ما اسئلك ، وابته عندك بما تمنع  
منه نفسك وتنصيح لنا ولوليك ولى الله نصحاً ظاهراً وباطناً ، فلا تخن الله ووليسه ولا  
احداً من اخواننا واوليائنا ، ومن تعلم انه منا بسبب ؟ فى اهل ولا مال ، ولا رأى ولا  
عهد ولا عقد تناول عليه بما يبطله ، فان فعات شيئاً من ذلك وانت تعلم انك قد خالفته  
وانت على ذكر منه ، فانت برئ من الله خالق السموات والارض الذى سوى خلقك ،  
والف تركيك واحداً اليك فى دينك ودنياك وآخرتك ، وتبرأ من رسله الاولين  
والآخرين وملائكته المقربين الكرويين والروحانيين ، والكلمات الثامات والسبع المثاني  
والقرآن وتبرأ من التوراة والانجيل والزبور والذكر الحكيم ومن كل دين ارتضاه الله فى  
مقدم الدار الآخرة ، ومن كل عبد رضى الله عنه وانت خارج من حزب الله وحزب اوليائه  
وخذلك الله خذنا ينسأ بمجلك بذلك النعمة والعقوبة والمصير الى نار جهنم التى  
ليس لك فيها رحمة ؛ وانت برئ من حول الله وقوته . ملجأ الى حول نفسك وقوتك  
وعليك لعنة الله التى لعن الله بها ابليس ، وحرم عليه بها الجنة ، وخلده فى النار . ان  
خالفت شيئاً من ذلك ولقيت الله يوم تلقاه وهو عليك غضبان ، والله عليك ان تهج الى  
البيت الحرام ثلاثين حجة حجاً واجباً ماشياً حافياً . لا يقبل الله منك الا الوفاء بذلك ؛ وكل  
ما تملك فى الوقت الذى تخالعه فيه فهو صدقة على الفقراء والمساكين ، الذين لا رحم  
بينك وبينهم ، لا يأجرك الله عليه ولا يدخل عليك بذلك منفعة . وكل مملوك لك من ذكرك  
وانثى فى ملكك او يستفيدة الى وقت وفاتك ، ان خالفت شيئاً . ذلك فهم احرار لوجه  
الله ، وكل امرأة لك او تزوجها الى وقت وفاتك . ان خالفت شيئاً من ذلك فهن طوالق  
ثلاثاً بنة طلاق الحرج ، لا مشونة لك ولا خيار ولا رجعة ولا مشينة . وكل ما كان لك  
من اهل ومال وغيرهما فهو عليك حرام . وكل ظهار فهو لا م لك ، واما المستحلف لك  
لا م لك وحجتك وانت الحالف لهما وان نويت او عقدت او اضرمت خلاف ما احملت  
عليه واحلفك به فانه البين من اولها الى آخرها مجددة عليك لازمة لك ، لا يقبل الله  
منك الا الوفاء بها والقيام بما عاهدت بيني وبينك . قل نعم .

فيقول نعم .

فاذا اعطى العهد على هذه الصورة قال له الداعى اعطنا جعلاً من مالك نجعله مقدمة  
امام كشفنا لك الامور وتعريفك اياها . والرسم فى هذا الجمل بحسب ما يراه الداعى  
وان امتنع المدعو امسك عنه الداعى . وان اجاب واعطى نقله الى الدعوة الثانية .



## ٣ . الدعوة الثانية والثالثة،

الدعوة الثانية، لا تكون الا بعد ما تقدم . فاذا تقرر في نفس المدعو جميع ما تقدم واجبى الجمل قال له الداعي :

ان الله لم يرض في اقامة حقه وما شرعه لعباده الا ان يأخذوا ذلك عن ائمة نصبهم للناس واقامهم لحفظ شريعته على ما اراده الله تعالى ويسلك في تقرير هذا ، ويستدل عليه بامور مقرر في كتبهم حتى يعلم ان اعتقاد الائمة قد ثبت في نفس المدعو فاذا اعتقد ذلك نقله الى الدعوة الثالثة .

الدعوة الثالثة ؛ مرتبة على الثانية ، وذلك انه اذا علم الداعي ممن دعاه ان ارتباطه على دين الله لا يعلم الا من قبل الائمة ، قرر حينئذ عنده : ان الائمة سبعة قد رتبهم الباري تعالى كما رتب الامور الجالبة فانه جعل الكواكب السيارة سبعاً وجعل السموات سبعاً وجعل الارضين سبعاً ونحو ذلك مما هو سجع من الموجودات ، وهؤلاء الائمة السبعة هم :

١ — علي بن ابي طالب ، ٢ — حسن بن علي ، ٣ — حسين بن علي ، ٤ — علي بن الحسين الملقب بزين العابدين ، ٥ — محمد بن علي ، ٦ — جعفر بن محمد الصادق ، ٧ — هو القائم صاحب الزمان . [\*]

فاذا علم الداعي ثبات هذا العقد في نفس المدعو ، شرع في ثلب بقية الائمة الذين قد اعتقد الامامية فيهم الامامة ، وقرر عند المدعو ان « محمد بن اسماعيل » عنده علم المستورات ، وبواطن المعلومات التي لا يمكن ان توجد عند احد غيره ، وان عنده ايضاً علم التأويل ، ومعرفة تفسير ظاهر الامور ، وعنده سر الله تعالى في وجه تدييره المكتوم ، واثنان دلالة في كل امر يسأل عنه في جميع المعدمات ، وتفسير المشكلات ، وبواطن الظاهر كله والتأويلات ، وتأويل التأويلات ، وان دعائهم الوارثون لذلك كله من بين سائر طوائف الشيعة لانهم اخذوا عنه ، ومن جهته رووا ، وانه لا يستطيع احد من الناس الخالفين لهم ان يساويهم ، ولا يقدر على التحقق بما عندهم الا منهم ويحتج لذلك بما هو معروف في كتبهم مما يطول شرحه . فاذا اتقاد المدعو ، واذعن لما تقرر ، نقله الى الدعوة الرابعة .

(٥) يزعم بعضهم ان القائم هو « اسماعيل بن جعفر الصادق » ويقول الآخرون انه « محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق » وسنبين في ابحاثنا الالية انهم يعتقدون ان اسماعيل بن جعفر الصادق امام وابنه محمد بن اسماعيل بن ناطق .

يقرر الداعي في هذه الدعوة : ان عدد الانبياء الاناسطين الصرائع ، المقبولين تلامذتهم ، اصحاب الادوار وتقليب الاحوال ، الناطقين بالذمور ؛ سبعة فقط كعدد الائمة سواء وكل واحد من هؤلاء الانبياء ، لا بد له من صاحب يأخذ عنه دعوته ، ويحفظها على امته ويكون معه ظهيراً له في حياته ، وخليفة له من بعد وفاته الى ان يبلغ شريعته الى اخذ يكون في نسيله معه ، كسيله هو مع نبيه الذي اتبعه . وكذلك كل مستخلف خليفة الى ان يأتي منهم على تلك الشريعة سبعة اشخاص ، ويقال لهؤلاء السبعة الصامتون . لثباتهم على شريعة اقتضوا فيها اترواحد هو اولهم ، ويسمى الاول من هؤلاء السبعة [السوس او الاس] وانه لا بد عند انقضاء هؤلاء السبعة وفاز دورهم ، من استفتاح دور ثان يظهر فيه نبي ينسخ شرع من مضى من قبله ، ويكون الخلفاء من بعده امورهم نجي كاسر من كان قبلهم ، ثم يكون من بعدهم نبي ينسخ يقوم من بعده سبعة صمت ابدأ ، وهكذا حتى يقوم النبي السابع من النطقاء فنسخ جميع الشرائع التي كانت قبله ، ويكون صاحب الزمان الاخير . فكان اول هؤلاء الانبياء النطقاء « آدم » ، وكان صاحبه ، واسمه ابنه شيث ، وعدوا تمام السبعة الصامتين على شريعة آدم ؛ وكان الثاني من الانبياء النطقاء « نوح » ، فانه نطق بشريعة نسخ بها شريعة آدم وكان صاحبه وسوسه ابنه « سام » ، وتلاه بقية الصامتين على شريعة نوح ؛ ثم كان الثالث من الانبياء « ابراهيم الخليل » ، فانه نطق بشريعة نسخ بها شريعة نوح وآدم ، وكان صاحبه وسوسه ابنه « اسماعيل » ولم يزل يخلفه صامت بعد صامت حتى تم دور السبعة الصمت ؛ وكان الرابع من الانبياء النطقاء « موسى بن عمران » ، وكان صاحبه وسوسه اخوه « هرون » ، ولما مات هرون في حياة موسى قام من بعده « يشوع بن نون » خليفة له صمت على شريعته ، وامها عنه فآخذها واحد بعد واحد الى ان كان آخر الصمت على شريعة موسى « يحيى بن زكريا » ، ثم كان الخامس من الانبياء النطقاء « عيسى بن مريم » ، نطق بشريعة نسخ بها شرائع من كان قبله وكان صاحبه وسوسه « شمعون الصفا » ، ومن بعد تمام السبعة الصمت على شريعة المسيح ؛ كان السادس من الانبياء النطقاء « محمد » ، فانه نطق بشريعة نسخ بها جميع الشرائع التي جاء بها الانبياء من قبله ، وكان صاحبه وسوسه « علي بن ابي طالب » ، ثم من بعد علي ستة صمتوا على الشريعة المحمدية وقاموا بميراث اسرارها وهم : ابنه الحسين ، ثم علي بن الحسين ثم محمد بن علي ، ثم جعفر بن محمد ثم اسماعيل بن جعفر صادق وبعده آخر الصمت من الائمة المستورين ؛ والسابع من النطقاء هو صاحب الزمان « محمد بن اسماعيل بن جعفر » الذي انتهى اليه علم الاولين وقام بعلم بواطن الامور وكشفها ، واية المرجح في تفسيرها دون غيره وعلى جميع الكافة اتباعه ،

والخضوع له والانقياد اليه والتسليم له ، لان الهداية في موافقته واتباعه والضلال والحرية في العدول عنه .

فاذا تقرر ذلك عند المدعو انتقل الداعي الى الدعوة الخامسة .

#### • • الدعوة الخامسة

يقرر الداعي في هذه الدعوة :

انه لا بد مع كل امام قائم في كل عصر ، حجب متفرقون في جميع الارض عليهم تقوم وعدة هؤلاء الحجب ابداء ، اثنا عشر رجلاً في كل زمان لما ان عدد الائمة سبعة ويستدل لذلك بامور ؛ منها ان الله تعالى لم يخلق شيئاً عبثاً ، ولا بد في خالق كل شيء من حكمة والا فلم يخلق النجوم التي بها قوام العالم سبعة ، وجعل ايضا السموات سبعة والارضين سبعة ، والبروج اثني عشر والشهور اثني عشر ، وتعباً بنى اسرائيل اثني عشر قتيلاً وتعباً محمد ، من الانصار اثني عشر قتيلاً ، وخلق في كف كل انسان اربع اصابع وفي كل اصبع ثلث شقوق ، تكون جلستها اثني عشر شقاً . على ان في ابرام كل يد شقان دلالة على ان الانسان بدنه كالارض واصابعه كالجزائر الاربع والشقوق التي في الاصابع كالحجب ؛ والابهام الذي به قوام جميع الكف وسداد الاصابع ، كالذي يقوم الارض بقدر ما فيها والشقان اللذان في الابهام اشارة الى ان الاءام وسوسة لا يفرقان ، ولذلك صار في ظهر الانسان اثنتا عشرة خزيمة اشارة الى الحجب الاثني عشر ، وصار في عنقه سبع فكان العنق على خريزات الظهر وذلك اشارة الى الانبياء الطلقاء والائمة السبعة وكذلك الاثقاب السبعة التي في وجه الانسان العالي على بدنه واشياء من هذا النوع كثيرة . فاذا تمهد عند المدعو ما دناه اليه الداعي وتقرر ، نقله حينئذ الى الدعوة السادسة .

#### ٦ . الدعوة السادسة

وفي هذه الدعوة :

ياخذ الداعي في تفسير معاني شرائع الاسلام من الصلاة والزكاة والحج والطهارة ، وغير ذلك من الفرائض بامور مخالفة للظاهر ، بعد تمهيد قواعد تين من غير محجلة تؤدي الى ان هذه الاشياء وضعت على جهة الرموز لمصلحة العامة ، وسياستهم حتى يشتغلوا بها عن بني بعضهم على بعض وتصدهم عن الفساد في الارض حكمة من الناصيين للشرائع وقوة في حسن سياستهم لاتباعهم واتقاناً منهم لما رتبوه من التواميس ونحو ذلك حتى يتمكن هذا الاعتقاد من نفس المدعو فاذا طال الزمان ، وصار المدعو يعتقد ان احكام الشريعة كلها وضعت على سبيل الرمز للسياسة العامة ، وان لها معاني آخر غير ما يدل عليها المظاهر نقله الداعي الى

## الادعاءات

الكلام في الفلسفة ، ووجهه على النظر في كلامه لا انغلاقه واربطة في الحودوس ، ودين في معاهم ، ونهاهم عن قبول الاخبار والاحتجاج بالسميات ، ودين له بالاعتناء بالدلة العقلية والتعميل عليها ، فاذا استقر ذلك عنده واعتقده نقله الى الدعوة السابعة ويحتاج ذلك الى زمان طويل .

٢٠٠

## ٧ . الدعوة السابعة

لا يفصح الداعي بهذه الدعوة ما لم يكثر انسه بمن دعاه ، ويتيقن انه قد تأهل الى الانتقال الى رتبة اعلا مما هو فيه فاذا علم ذلك منه قال :  
ان صاحب الدلالة والناسب للشرعية لا يستغنى بنفسه ، ولا بد له من صاحب معه يمر عنه ليكون احدهما الاصل والاخر عنه كان صدر ، وهذا انما هو اشارة العالم السفلى لما يسمونه العالم العلوى ، فان مدبر العالم في اصل الترتيب ، قوام النظام صدر عنه اول موجود بغير واسطة ولا سبب نشأ عنه ، واليه الاشارة في قوله تعالى [ اما امره ان ارد شيئا ان يقول له كن فيكون ] اشارة الى الاول في الرتبة والاخر في القدر الذى قال فيه [ انا كل شئ خالقنا ] بقدر [ وهذا ] منى ما نسمعه من الله اول ما خلق القلم ، فقال اللهم اكتب فكتب في اللوح ما هو كائن واشياء من هذا النوع موحودة في كتبهم . مأخوذة من كلام الفلاسفة الفاضلين الواحد لا يصدر عنه الا واحد ، واذا قرر ما ذكر في هذه الدعوة عند المدعو نقله الداعي الى الدعوة الثامنة .

## ٨ . الدعوة الثامنة

يقول الداعي في هذه الدعوة :

اعلم ان احد المذكورين اللذين هما مدبر الوجود والصادر عنه انما تقدم السابق على اللاحق تقدم الدالة على المعلول . فكانت الاعيان ~~مكاه~~ ناشئة وكائنة من الصادر الثانى ترتيب معروف في بعضهم ، ومع ذلك فالسابق عندهم لا اسم له ولا صفة ولا يعبر عنه ولا يقدر . فلا يقل هو موجود ولا دوم ، ولا عالم ولا جاهل ، ولا قادر عاجز . ولا كائن سائر له فار فان الاثبت عندهم يقتضى الاشتراك بين المحدثات والنفى يقتضى التخلل . وقالوا ليس بقدم ولا محدث . بل الدائم امره ككلمته والمحدث خلقه ونطرقه كما هو مبسوط في كتبهم فاذا استقر ذلك عند المدعو قرر عنده الداعي :

ان اتالى يدرب من اعماله حتى يحتوى منزلة السابق ، وان الصامت في الارض يدأب في انما ، حتى يصير بمنزلة الناطق ، وان الداعي يدأب في اعماله حتى يبلغ منزلة السوس وحاله سوا ، وهكذا تجرى امور العالم في اتوهم وادوارهم ولهذا القول بسط

كثير فاذا اعتقده المدعو ، قرر عنده الداعي ان شجرة النبي الصادق الكاظم ليست الهيئتها  
 ينتظم بها سياسة الجمهور وتشمل الكافة مصلحتها بترتيب من الحكمة تهيئ معاني فلسفية  
 تنبئ عن حقيقة آنية السماء والارض . وما تشتمل العالم عليه بأسره من الجواهر والاعراض  
 فتارة برموز يعقلها العالمون وتارة بافصاح يعرفه كل احد ، فينتظم بذلك للنبي شريعة يتبعها  
 الناس ويقرر عنده ايضاً ان القيامة والقرآن والثواب والعقاب معناها سوى ما يفهمه العامة  
 وغير ما يتبادر الذهن اليه ، وليس هو الا حدوث ادوار عند انقضاء ادوار من ادوار  
 الكواكب وعوالم اجتماعاتها من كون وفساد جا على ترتيب الطباع كما قد بسطه الفلاسفة  
 في كتبهم فاذا استقر هذا المقدم عند المدعو نقله الداعي الى الدعوة التاسعة .

#### ٩ . الدعوة التاسعة

الدعوة التاسعة ، هي النتيجة التي يحاول الداعي بتقرير جميع ما تقدم رسوخها في نفس  
 من يدعوه فاذا تبين ان المدعوات هل اكشف السر والافصاح عن الرموز احاله على ما تقرر  
 في كتب الفلاسفة من علم الطبيعيات ، وما وراء الطبيعة ، والعلم الآلهي وغير ذلك من  
 اقسام العلوم الفلسفية حتى اذا تمتحن المدعو من معرفة ذلك كشف الداعي قناعه وقال :

ما ذكر من الحدوث والاصول ، رموز الى معاني المبادئ ، وقلب الجواهر ، وان الوحي  
 انما هو صفاء النفس ، فيجد السبي في فهمه ما يلقى اليه وينزل عليه ، فيبرز الى الناس  
 ويعبر عنه بكلام الله الذي ينتظم به النبي شريعته بحسب ما يراه من المصلحة في سياسة الجميع ،  
 ولا يجب حينئذ العمل بهما الا بحسب الحاجة من رعاية مصالح الالهة بخلاف المعارف فانه  
 لا يلزمه العمل بها وبكمية معرفته فانها اليقين الذي يجب المصير اليه وما عدا المعرفة من  
 سائر المشروعات فانما هي افعال ، وأصار حملها الكفار اهل الجهالة لمعرفة الاعراض  
 والاسباب ، ومن جملة المعرفة عندهم ، ان الانبياء الطلقاء اصحاب الشرائع انما هم اساس  
 العامة ، وان الفلاسفة انبياء حكمة الخاصة ، وان الامام انما وجوده في العالم الروحاني ، اذا صرنا  
 بالرياسة في المعارف اليه . وظهوره الان انما هو ظهور امره ونهيه على لسان اوليائه ونحو ذلك  
 وهذه الآراء المتسلسلة يصرف المدعو عن المنقولات الى المعقولات ، ويحرر من حرج  
 التكاليف .

\*

\*\*

رى من اللازم بعد اوضح الدعوات الاسماعيلية ومراتب تعاليمهم ، ان نبحث هذه عن  
 [المراب] (\*) التي رتبها حسن الصباح ونظمها وجعلها قانوناً متحتم الرعا على

## الادعاء والملازمة

المدعى : ان ادعى هذه المراتب هو [ الوثوق ] ، والوثوق هو قهر من الداعي وإطلاعه على ذلك عند المدعى اقبال على قبول الدعوة او عدم قبولها ام لا ، ولذلك منعت المثابرة على دعوة من ليس عنده ميل لقبولها .  
اما المرتبة الثانية ؛ فهي « التأسيس » . وهو كناية عن الوثوق ويحصل عليه بتزويد ميل المدعى الى الزهد والسفاهة .

والمرتبة الثالثة ؛ هي « التشكيك » . وهو القاء المدعى في الشك ويكون بتوجيه الاسئلة عن بعض الوصايا الدينية ، وعن التناقض الموجود في القرآن على رءسهم وتشويش افكار المدعى بها .

والمرتبة الرابعة ؛ هي « الربط » . وهو عهد ، ميثاق يؤخذ على المدعى بان لا يذيع سر معتقده وان يرجع في حل ما يعترضه من الاشكال الى الامام .  
والمرتبة الخامسة ؛ هي « التدليس » . وهو انهم يدعون ان جميع اعظم الدين والدينا هم من رءسهم وذلك لكي يزيدون المدعى رغبة فيهم .

والمرتبة السادسة ؛ هي التأسيس . وهو بيان بعض مقدمات يوافق عليها المدعى .  
والمرتبة السابعة ؛ هي « الخلع » . وهو التطمين بامر اسقاط بعض الاعمال الدينية .  
والمرتبة الثامنة ؛ هي « السلخ » وفيها تبسح جميع اللذات ويصار لتأويل التكليف الشرعية ؛ ومن وصل لهذه المرتبة يكون عرقاً في الباطنية ومتصافاً من جميع النكائب ، وهؤلاء يزعمون ان معاني الاحكام الشرعية على هذا الوجه :

« الجنة » هي اعفاء الناس من العبادات البدنية وراحتهم ؛ « جهنم » هي مشاورة الناس على العبادات البدنية الشاقة ؛ « الوضوء » هو تائق اصول الدين من الامام ؛ « التيمم » هو تلقى اصول الدين من « الحجة » المأذون له بذلك لدى غياب الامام ؛ « الصلوة » هي اتباع الرسول الناطق ؛ « الاحتلام » هو نودع السر عن غير قصد لغير اهله ؛ « الفذل » هو تجديد العهد والميثاق ؛ « الزكاة » هي تركية النفس ونارة الفكر ؛ « الصوم » هو صيانة سر الامام ؛ « الزنا » هو افشاء اسرار الدين ؛ « الكعبة » هي النبي ؛ « الباب » هو على رضى الله عنه « الطواف سبعا » . هي موالة الائمة السبعة .

ونعلم من هذه التفاصيل ان حسن الصباح اخذ باصول ميمون القداح مع يسير من الفرق . وها نحن بعد ان اجئنا هذين الاصولين على الصورة الافة ، ننقل الكلام الى البحث عن اسس الاسمايلية الفلاسفة .

[5] — اسس الاسماعيليين الفلسفية — سبق ان تكلمنا عن الاسس العمومية في

الدين الاسماعيلي اثناء البحث عن تاريخهم وكيفية ظهورهم وانتشارهم ونساجهم الدينية ودعوتهم . والآن تريد ان نبحث وتربط ما بيننا من المعلومات المتفرقة في اصول ونلق تلك الاصول والاسس ونجمعها على نسق واحد .

لو كان مذهب الاسماعيلية ومعتقدهم كما يزعمون وكما فصلنا عبارة عن تخصيص الامامة والحلافة لعلى واولاده وتفضيلهم على بعض الاصحاب وترجيحهم ؛ او الاعتقاد بان ماهية نفوس الائمة هي فوق الطبيعة . وان لبعضهم قدسية تمكنه من الرجوع الى الدنيا في الآتي ما كانت هذه الفئة تفتقر عن بقية الفرق الشيعية التي مر تفصيلها في البحث عن الفرق الاسلامية . فهذه فرق « الاثنى عشرية » القطعية . الشيطانية . الذرارية . المفضلية « من فروع الامامية تعتقد كل واحدة منها بصور مختلفة في اسناد الامامة الى اولاد جعفر الصادق . ويقطعونها عنهم على اشكال مختلفة ايضاً . و « السبائية » تقول بالوهية على . و « الليانية » تعتقد بانتقال لروح الالهية من اولاد علي الى « بيان بن سمعان » صاحب المذهب ويجاهرون بالغلو في الشيعة . ولكن للاسماعيليين شذوذاً يفرمهم عن الشيعيين وغير الشيعيين .

هذا . وان تكن اسس العقائد الاسماعيلية تتحد مع اسس المعتزلة بلزم اثبات الصفات في الخلق او فيها — كما سنفصل بعد — ولكن لا يسوغ حصراً الاسماعيلية في هكذا دائرة ضيقة . بل ان اكبر عامل اساسي للاسماعيلية باعتبار كمالها محوسية تتظاهر بالشيعة هي الاطماع السياسية من جهة واحياء اساطير الاولين بضربة تقضي عن الاسلامية من جهة اخرى . والاسباب الحقيقية التي حدث بهم ان ينصرفوا عن الحقول الى المقول . وقلبت معتقدتهم من صورة مذهب الى مملك . ومن عقيدة بسيطة الى اقانيم لامية . هي سيطرة الفلسفة اليونانية وارا فيثاغور وافلاطون وارسطو وايبكور وبلوتون من الحكماء اليونانيين وافكارهم .

على انه يجب الاعتراف بان الاسماعيليين لم يكونوا مجهزين كافهم حتى ولا قسماً منهم بالفلسفة الافلاطونية ولا بفكرها ؛ بل كانوا اناساً زانت على قلوبهم خاطراء الاسلاف وغرتهم الاماني . ومن الميث ايضاً ارتياد هكذا افكار في مرفق قبل مبدئياً تعد مراتب التعليم ودرجات المعرفة . ولهذا كان يوجب . بين الاسماعيليين من يقول بامامة اسماعيل بن جعفر فقط ونسب محمد بن اسماعيل ويكتفي بها ومن شغف بعلي واحبه واولاده تباركاً مبرأ عن كل غرض ؛ ومن ساقه الحرص والسفك للتجرد من التكاليف الشرعية او من اضله الخيال . ومن اهاجه الحرص على سفك الدماء والبطش ثم من احترق حدود العقل وحلق في سما الفلسفة واتبع خطة فكرية خاصة . ولا جرم ان هذا القسم لآخر هو اهل قسام الاسماعيليين عددا واضيقهم حداً .

[illegible]



مع الموجودات الاخرى في تلك الصفات، وهذا تشبيه . ولذلك لا يؤخذ فيه بالاثبات المطلق ولا النفي المطلق بل ان الله — كما يزعم الاسماعيليون — هو « الله المتقابلين » و « خالق الحسنيين » و « حاكم بين المتضادين » . والاسماعيليون باعتقادهم بالتنزيه عن الوصف ، يقربون الى معتقد المعتزلة . و « افلاطون » كان يرى الآله الذي سماه بالخير فوق ~~كل~~ تعريف ، و افصح من ان يتناولوه المنطق وبظهره . وارسطو ايضاً كان يرى الله اعلا وارفع من كل شئ . اما « بلوتن » مؤسس الفلاسفة اللا افلاطونية ، واشياح الطريقة الاسكندرية يقولون « ان كل ما يستطيع ادراكه بذكائنا ليس هو بالله » ولا يسوغ القول بان بعض اوصاف الموجودات موجودة في الاله ، فاذا قلنا عن الاس الاول انه هكذا او ليس هكذا ، نزل به الى دركة الاشياء ، مع انه فوق كل شئ ، ولا يقاس بشئ » [\*\*] و عليه يكون آله الاسماعيليين قريباً من آلههم . اما بالنظر للفلسفة النصرانية « ان الله في مطلعية وجوده لا يوصف ولا يعرف ويزعم « اياطناس » احد فلاسفة النصرانية : « ان الله فوق كل اس ، وارفع من كل ما يتبادر لعقل الانسان » . قاله الاسماعيليين يجب ان يعرف بهذه الصفة .

وقد روى « الشهرستاني » عن « محمد بن علي الباقر » ان الاسماعيليين يقولون « لما وهب الله العلم للعالمين سمي عالماً ، ولما وهب القدرة ، سمي قادراً . وبها كان الله عالماً وقادراً » اي يسوغ اسناد هذه الصفات الى الله بالنظر لكونه وهب العلم والقدرة ؛ ولا يسوغ بالنظر لقيامه بها ، و اعين السبب لا يسوغ ان يقال عنه قديم او حادث ؛ بل القديم امره وكلامه ، والحادث خلقه وتكوينه .

ويزعمون ان « الآله » الذي تجب معرفته على هذه الصفة لم يخلق الدنيا . ومثله تأويل الكتاب شعاع الفلاسفة اليونانية . فقال افلاطون « ان الله خير ، والخير يريد به الخير ونعميمه . ولذلك خلق الكون » وقابله آرسطو قائلاً « ان الله تفكر كامل ، فلا يفكر بهذه الدنيا الناقصة » وليس لفكر انكون نصيب من الاله . لانه ارفع من كل شئ . اما بلوتن فيقول « ما طر الله الدنيا عن حاجة ، ولا عن هوس . اذ التسليم بهذه الصورة ، يشعر ان الله لم يكن مالئاً عليها . وعدم الملك هو عدم السكمال . وايضاً ان الله لم يخلق الدنيا بطريق الصدفة ، ولا بالجأء الضرورة . لانه هو خالق الضرورات ، والفوائت في الموجودات

وبما ان الله والارادة لا يفترقان ، يكون الله خلقها بالاستتلال والارادة الربانية . وتداخل في الكون دون ان يخل وحدته ومحضته . . وبالتالي لهذه الاقوال ، يجب ان

## الادراك والاعتقاد

يشتمل بوجود بعض الدرجات في خلق الكون، وبعض السائط من الدرجة الثانية كما يقول الاسماعيليه « ان الله لم يخلق الكون » واعتقادهم به يشمر ان الخلق كان على وجه التجلي التدريجي .

يزعم الاسماعيليون ان الله فطر «العقل» او «عقل الكل» — *Raison universelle* قبل كل شيء واختلط في العقل الاول، فتجلى بحال آله خارجي يفهمه الانسان ويتجه اليه في عبادته . واوجد بواسطة العقل الاول « النفس الثانية » او « روح الكل — *Âme universelle* » . وبهذا يتكون تثليث الاسماعيليين . والتثليث دخل الفلسفة المسيحية ، والافلاطونية من فلسفة الهند واسس الوثنية .

فاعتقاد الاسماعيليين بالآله «العقل الاول» ، والنفس الثانية يقرب من عقيدة البراهميين في «براهما» ، «سوا» ، «يشنو» . وعقيدة المسيحيين في «الاب» ، «الابن» ، «روح القدس» ، «عبد ملوتهن» في «الحبر» ، «الذكاء» ، «الروح» .

«الافلاطونيون كالاسماعيليين تماماً يأخذون بالتثليث اثناء البحث عن خلق النور فقولون :

[ اما كيفية الخلق ؟ فيجب على «الحبر» «بها ان يخلق من ذاته وجوداً قسماً منه » اكل من كل شيء بعده ؛ ويجب ان يكون التفاوت بين الخير الخلق ، وبين الخير المخلوق يراً حداثاً . فالخالق هو الاب ، والمخلوق هو الابن . ثم ان الخير ، والخير ابه يحددان وجوداً اقل منهما كلاً . ولا يفقد اثنان شيئاً باحد اثنائهما ؛ كما لم يفقد الاول شيئاً بايجاد الثاني . فالوجود الذي اوجده الله هو الذكاء ؛ والذكاء هو الذي فطر الكون ... الخ ] .

وهكذا اخذ الاسماعيليون بعقيدة اثليث متبعين الاسس الافلاطونية ، والمعلوم من المبادئ الصرائية .

« لكن للاسماعيليين شذوذاً في هذا التثليث . يزعمون ان «العقل الاول» «تام في نفسه» اما الثاني فهو غير تام . ونسبه النفس الى العقل ، اما كنسبة النطفة الى الخلق الكامل ، او كنسبة البيضة الى الطير ، اكنسبة الولد الى الوالد ، او النتيجة الى المتسج او الى الذكر ، والزوجة الى الزوجة .

ثم ينتقل الاسماعيليون بعد هذه المقدمة الى التكلم عن كيفية الخلق فيقولون :

— لما تانت النفس الى كل العقل ، احتاجت الى الحركة من انقص الى الكمال . وانما كانت الحركة الى «آله الحركة» ايضاً . وبهذا وجدت الافلال السلوية . ودارت بتدبير النفس «حركة دورية» . ثم حست حركة اخرى ، وتدبير النفس ايضاً كان منها المعان والانتات والحيوان ، والانسان وغيرهم من المركبات . ثم اتصلت النفوس الجرسية بالبدان ، وولدت

الانسان بما لديه من القدرة الخاصة على تلقي النور واخذه . فكان ظلله مقابله للمسيح الكلي .

يريد الاسماعيليون بهذه العبارة ان يقولوا ان الروح الكلية خلقت الماتة الاولى بالجمعية الى الحركة ، وبهذا كانت تجليات الزمان والمكان .

وعقيدة « هراقليت » باسجاع المكون الى الحركة اوجدت نظرية للتكامل في فلسفة أرسطو . وكان افلاطون يقول « ان الله روح عمومية فيها خاصة الحركة ، بل هو روح الاكوان » ولذلك ان نظرية الحركة عند الاسماعيليين ليست بغريبة عن افكارنا .

بعد ان فصل الاسماعيليون كيفية وجود « العالم الازدي » ، قالوا :

— وجب وجود عقل للشخص في هذا العالم ، عالم لانسان ؛ كوجود العقل والفس الكلي في العالم العلوي . ذلك ليتكون الكل ويكون حذمه كحكم الشخص الكامل البالغ ولكن توجد « نفس مشخصة » يكون ، حكمها كحكم العمل الناقص . ترجسه الى الكمال كما تنجبه الطفل . يريد الاسماعيليون بهذا الاجمال ان يطرقوا الاسس المهمة . ويوجد هنا تلميح الى نظرية بلوتن بشأن « العالمين » يزعم بلوتن ان الله خلق عالين . « العالم العلوي » او السماوي الذي يتضمن عناصر الالهية . و « العالم السفلي » وهو يتضمن المادة . والانسان . وان الثاني من هذين العالمين مستد لان يكون نظيراً الاول . او بالاحدر ان الواحد منهما نازل ، والثاني صاعد ، واحد يتقاعد عن الله ، والاخر يتفرد منه .

وقصارى القول ، ان هذه النظريات تجرنا الى نظرية « التكامل » لارسطو من جانب ؛ وإلى العاشقة الافلاطونية ، ونظرية رجوع الرب الى الكثرة من فلة النصارى من جهة اخرى . ويزعم ارسطو « ان حركة المادة عبارة عن الرقي ، وترقي بها الطبيعة من الخفض الى السمو وترفع من اللاعضوية الى العضوية . ثم من السات الى الحيوان وتعالى من الانسان الى الله »

اما بلوتن فيقول « ان فوق كل درجة درجة اكمل . وتح الدرجة الدنيا درجه ادنى وكل درجة تشرع بالرجوع الى الدرجة التي ولدتها . والحدود كلها تندفع نحو الله ولذلك يجب المرور على كل الدرجات ليحصل الكمال . الولد يرجع الى والده والاب الى ابيه . ووحدوات الكون هكذا ؛ تحدد الحركات الكونية بتسعودها وهبوطها . ردهه الحركات تكون من الصاعد الى الهابط ونم من الهابط الى الصاعد . هي تكون ولا من الكمال الى الناقص . ثم تنقلب من الناقص الى الكمال » . وهذا هو اساس المواردة الى يريد الاسماعيليون تأسيسها في العالم السفلي ، تكون نظيراً للعالم العلوي .

يريد الاسماعيليون ان يقولوا :

— يجب ان يكون في العالم السفلي تمثالا لعمل الكل وروح الكل ؛ كما كان في عالم

العلماء العقل الكلي قد وجد العقل البشري وهو بحد ذاته العقل. العقل لا عقل، ولكن كذا أن العقل  
الكل متجهة إليه. فتوجد في الكون حركة من الصاعد الى الازل، ثم من النازل الى  
المصاعد.

وهم يؤمنون بان العقل المعلوم تجسد ( incarnation ) في العالم المثلالي، وبالتجسد،  
« النبي » او « الناطق »، وان النفس الكلية تجسدت في العالم لسفلى فوجدت « الالباس »  
او « الاس »، الوحي (\*)، وبهذا تكون عقيدة « التجسد » في النصرانية « موجودة » بتأثيرها  
في الدانة الاسماعيلية. وان فكرة وجود الانبياء والائمة الناطقين والصائسين كانت  
معروفة لدى « الحطائية » من فرق الشيعة. ثم يستأنف الاسماعيليون الكلام  
فيقولون :

-- ان الناس تحركت بالشرائع، وذلك بتحريك « النبي » و« الاس »، كما تحركت  
الافلاك بتحريك العقل والنفس. لان سلامة العقل البشري في العالم السفلى لا تحصل الا  
بكسب العلوم التي وضعها « النبي » المجسد من « عقل الكل »، وبهذا تتعالى « الروح الشريفة »  
و « نفس البشرية » متجهة الى « روح الكل » اي « نفس الكل ». وبناءً على قصة الحيا،  
البشرية، ومحدوديتها يظهر عين التجسد في سلسلة من الاشخاص. وهكذا اصبح « النبي »  
و« الاس » يتوالى مع الزمن على المراتب السبع (\*\*). ومتى انتهى الدرر الاخير تحقق  
القيامة. والغاية من هاهنا الحركات العقلية، والسن الشرعية هي بلوغ « النفس » وحدة  
الكمال. والامال تكون سلوغ النفس درجة العقل واتحادها معه، ووصفها به لا يليه.  
فإذا حصلت الامنية، وامت النفس العقل، تدخل في « عدل الكل »، « الله »، وهنالك تسقط  
جميع الحركات. وهذه هي القيامة الكبرى. ويومئذ يحل ارتباط الناصر، وسفر طرئتها  
فقط السما، وتنتز الكواكب، وتبدل الارض غير الارض، وتطوى السما كطوى السجل  
للكتب.

واعتقاد الاماعياسين هذا بشأن القيامة الكبرى كان متضحاً، لللاسفة  
لوناين. والامامة نزع افلاطون هي « شمول الخير »، ونزع ارسطو هي « خاتمة  
التكامل ».

وبرى كلاماً من اشريع الدينية، والطرائق الفلسفية سامت بوجود هكذا خاتمة.  
ان الله سبحانه في الامة والسبوة، وحقيقته البطرية القديمة في ساسخ الاديان، فرغت  
في شكل آخر. والدور احدث هذا الذهاب هو اعتقاد فرقة « المجبية » من الخنوس،

\* راجع (1)، (2)، (3)، (4)، (5)، (6)، (7)، (8)، (9)، (10)، (11)، (12)، (13)، (14)، (15)، (16)، (17)، (18)، (19)، (20)، (21)، (22)، (23)، (24)، (25)، (26)، (27)، (28)، (29)، (30)، (31)، (32)، (33)، (34)، (35)، (36)، (37)، (38)، (39)، (40)، (41)، (42)، (43)، (44)، (45)، (46)، (47)، (48)، (49)، (50)، (51)، (52)، (53)، (54)، (55)، (56)، (57)، (58)، (59)، (60)، (61)، (62)، (63)، (64)، (65)، (66)، (67)، (68)، (69)، (70)، (71)، (72)، (73)، (74)، (75)، (76)، (77)، (78)، (79)، (80)، (81)، (82)، (83)، (84)، (85)، (86)، (87)، (88)، (89)، (90)، (91)، (92)، (93)، (94)، (95)، (96)، (97)، (98)، (99)، (100).  
\* ذكرنا اسماء الاسماء، والاسس في الابحاث السابقة.

وفرق « المعمرية » و « الكالمية » من غلاة الشيعة الذين عرفوا بهذا المعتقد في أنحاء إيران .

اما « السبعة » في الائمة ؛ و « الاثنى عشر » في النقباء فهي موروثه عن فرقة « المزدكية » من المجوس . لان هذه الفرقة تزعم ان اداة العالم العلوى تكون اولاً بأربعة قوى ، ثم بسبعة ؛ ثم بأثنى عشر قوة . [\*]  
ترى من الضرورة ان توضح وضعية « النبي » ونبحث عن نبذة من صلاحيته . يقول الاسماعيليون :

— ان الشريعة التي يؤسسها الانبياء قطعية لانهم التمثال المجسد لعقل الكل . ولهذه الشرائع معنى ظاهر ومعنى باطن . فالعارف يطلع على المعنى الباطن ؛ ويتملص من قيود الشرع الظاهرة . ويرى كل شئ « باحاً » . اما الجهلاء فيستسلمون للمعاني الظاهرة من الشرع ، ويلبثون مرضيخين تحت اعبائها الباهظة . مع ان الغاية من لشرع هي اظهار حقائق الكون . وبتلقيها يكون الانبياء ناهضين بالروح البشرية الى الكمال . وقصادى القول ان المعرفة هي المرشد لأعمال الانسان ولا تكون الا بإرشاد الهداة والائمة والانبياء . وبهذا يتم التكامل .

لا مراى في ان امر التجرد عن القيود والتكاليف الشرعية هو افطع ضربة اريد تسليطها على الجامعة الاسلامية ، وهي أكبر امنية الاسماعيليين . وهذه العايه ترمى ان الافراط والافراق في فلسفة الحظ المعروفة لا يكور . لاسيما ان فرق « الخطائية » المعمرية ، والجناحية ، من غلاة الشيعة لم يألوا جهداً في اعداد الافكار للاقبال على هذه الطريقة . (\*\*)

وقد دسوا في مسئلة التملص من الدين فكرة الاشتراك في الاموال ، واباحة الاعراض ايضاً . وهذه اقتبست من معتقد « المزدكية » . لان هذا الدين قد عرف سابقاً بتدين هذه الفكرة . حتى انهم يقولون :

— ان الاختلافات بين الناس والبغض والعدوان والمشاحنات والقتال لا تكون الا من اجل النساء والمال . ولذلك يجب تحليل النساء ، واباحة الاموال الى عموم الناس . وهذا ينقطع الشقاق وينعم عيش الانسانية .

اتبع الاسماعيليون هذه التلقينات وبلغوا « ذروة الالحاد » بمروقهم عن الدين ، وتعلمهم من ربه قيوده . وسبق ان قد ذكرنا هذه العقيدة الثاتوية الاسماعيلية التي صدرت

(\*) كتاب الملل والنحل — للشهرستاني ج ٢  
(\*\*) بحثنا عن هذا الفرق، أثناء البحث عن الفرق الاسلامية .

من هذا الأساس ، وذلك حين البحث عن ديوهم الاخيرة ، وبذلك لا ترى الربوباً للامادة.

وها نحن نجمل ما افصنا بتفصيله الى الآن ، قائلين :  
— لا عبرة للمذهب الظاهر لدى الاسماعيليين . لان الدين من الامور الفاضلة والباطنة . ولا يكتسب الا بمن اتصف بالقدسية ، وبالا جدر من شخص متجدد ومتناسخ والعلم الذي سيحصل بهذه الطريقة هو غاية الكمال للانسان ، ولا يرضخ تحت اعباء التكليف الظاهرة من اسعد الحظ وبلغ هذه الغاية . وان السعادة المحضة في نيل هذه المعرفة وادراك تلك الحقيقة والوصول الى هاتيك الجئات . وروح الذين ينالونها تتعالى الى ان تلحق « بعقل الكل » باوجود الازلي ، وبه يتم دور الكون المحتم .

## ٢ — النصيرية

[١] — مقدمه تاسع النصيرية — ان الديانة النصيرية التي لها القسم الجلى من سلسلة المذاهب لم تتضح بعد ، ولم تزل اتباعها معروفة بالاضراق في كتم اسس المذهب والابلاغ بصيانة شئنته وحراسه . وكان من المنتظر من علماء الغرب الذين عاجلوا عصر الكتابات واعمضا في مختلف الانحاء من البر العتيق وقذفوا لغورها واقتدروا على استنباط معانيها ، ودونوا فيها الوفاً من المصنفات والرسائل ان يمدوا ايديهم الى هذا الحجاب الكثيف وبمزقونه ، ويظهروا ما ورائه من الحبايا . ما لبث مذهب النصيرية الذي زادت اسنادات الفرق الدرزية والتموالية والاسماعيلية تشوشاً واشكالا ، ان حرك شوق المستشرقين لدرسه وا: قبال على استكناه حقيقته . وسرى في المبحث الخاص ان ابن تيمية وابن بطوطه وابن جبر و ابا الفدا من العلماء والمؤرخين الاسلامية وقليلاً من خواص الاسماعيليين ، والدروز عاجلوا معرفة عقيدة هؤلاء الجبلين وكتبوا فيها كتابات كثيرة .

ثم نهض المستشرقون الاوروبيون في اواخر القرن الاخير ، وبعد انتشار كتاب « الباكورة — كما سيمر معنا — وعمدوا الى المدونات الموجودة فرتبوها انواعاً ، ووسعوا ميدان البحث والدقيق ، ثم نصبوا لاسكناه ماهية هذه العقيدة .

لا يفوتنا ان موضوعنا هذا لا يزال في اشد الحاجة الى البحث العميق ، والتحجس الدقيق ؛ ذلك لعدم كفاية ما كان الى الان من الابحاث العلمية ونذرة الوثائق اللازمة . وسيطلع القارئ على صدق هذا المقال ، حينما يمعن بقراءة هذه المباحث في كتابنا .

اضطررنا لان ندرس كثيراً من الكتب والرسائل المدونة بلغات مختلفة وان نلخص منها

ما يناسب حجم هذا الكتاب ، ليس في شأنه ان نكتب ما نشأت على الحياض ونقد ان نبين للقارئ في مذهب النصيرية فكراً واضحاً يأخذ بالحقيقة . وأكثر ما رجعنا اليه من المصنفات حين الجمع هو « تاريخ النصيرية ودينهم » للمستشرق الشاب *René Dussaud* من العلماء الفرنسيين ، ومع ذلك فقد نكنا ترجمته الى الأناضول لطلب الحاجة .

« انما هذا الكتاب الباكورة الإسلامية التي كتبت اسرار الديانة النصيرية : »  
- « المصنف هو الكتاب « سليمان افندي الاذقي » المتوفى في انطاكية سنة ١٢٥٠ هجرية . يقول الطبيب المحقق « وانديك » من معلمي الكلية الاميزكانية في بيروت : « ان سليمان افندي كان نصيرياً ثم اختلف عنها الى اليهودية ثم اسلم ولم يلبث ان انتسب الى البروتستانتية وألف كتابه في بيروت وطبعه على عهده » .

ان ما تضمنته الباكورة من المواد هي عين الحقيقة كما يشهد لها كثير من الاخصائيين والمستشرقين . وكادت تجمع جميع الاعتقادات النصيرية . وقد خفق عليه ابن النصيرية لانه اول من فضح دينهم وظهره ، ففتكوا به في قصبة طرسوس . وكاد هذا الكتاب يدخل في النيرة .

#### ٢ - كتاب المجموع .

ان هذا المصنف الذي اُتبع في كتابنا مع ترجمته يتألف من « ١٦ » سورة تبحث عن عقائد النصيرية وصلواتهم . وهو كتاب خطير كاد ان يحتوي على جميع الاسرار في العقيدة النصيرية ويتوقف فهم مضمونه على التضلع في الامور لدينية والتوغل في تبعها واختلافه . في مؤلفه فنهم من يسند الى « عبدالله بن حمدان الحصري » احد المفكرين لدى النصيرية . وما راج من الخرافات عند النصيرية ان محمداً عليه السلام هو الذي رتب هذا الكتاب ، واهداه الى النقباء الاثني عشر المذكورين في السورة السادسة في « ادى منى » اقرب من مكة وذلك عن غير علم من المسلمين . وان لتفسير سور هذا الكتاب موقفاً عظيماً اثناء اجراء المراسم في قتل احد النصيريين من الطبقة العامة الى الخاصة بواسطة الشيوخ .

#### ٣ - كتاب مجموع فيه الاعياد والدلالات .

« هذا الكتاب يبحث عن اعياد النصيرية وقد كتبه « ابو سعيد ميمون بن العاصم الطبراني » الذي ياتي بعد الحصري في الاهمية . وقال مؤلف الباكورة « ان ميمون الطبراني ترقى علومه من الشيخ « محمد علي الجبلي » وقد امحش فيه بسب ابى بكر ، وعمر ، وعنه ان ، وشتمهم » .

#### ٤ - كتاب الاسوس :

يزعم النصيريون ان مؤلف هذا الكتاب . هو « سليمان بن داود » عليهما السلام

وقد قيل سنة ١٢٠٦ هـ رسالة عن نسخة وجدت في قرية (رأس بسله) في منطقة عيسى الواقعة في قضاء صافيتا، ويبحث فيه عن الله والخلق والملائكة، وعن موجودات السما والأرض.

ووجد ما عدا هؤلاء المصنفات أكثر من ثلاثين كتاباً ومجموعة يمكن الاستفادة منها في البحث عن الصيرية وقد ازمعنا على درج أهمها في جدول اسماء الكتب.

[٢] — الريار والنفوس -- تنتهي جبال لبنان من الجانب الشمالي، بنهر الكبير (Genther) الذي يصل وادي العاصي بسواحل بحر الابيض، ويجري في واد عيق. اما الجبال الموحدة وراء هذا لوادي فهي تمتد حتى انطاكية على ارتفاع متوسط يقرب من (٩٠٠) متراً وهي محرومة من السهول والتجود. ويجري هناك نهر العاصي في واد عيق. ويتصل جبل الاقارع (Cassius) في هذه السلسلة من الجانب الشمالي الغربي.

ان تلك الوعور التي يحدها نهر الكبير من الجنوب، ونهر العاصي من الشرق والامال وسواحل بحر الابيض من الغرب هي موطن الصيريين. ويوجد فيها قليل من الامم، وفي انحاء قنوس وخوابي يوجد الاسماعيليون وفيها اركان ايضاً مبغثون في انحاء مختلفة. وتسمى تلك الانحاء بجبل الاكراد. لان انزاوة الجباية الكائنة بين النهر الكبير الى اليمين واصقاع العاصي مأهولة بهم.

يوجد من الصيريين عدد وافر في جبل القصير الواقع في الجهة الشمالية من سرية ويفرق الصيريين الماطنون في انحاء طرسوس ومرسين وآطنه، بسيمهم وغنائم عن سكان الجبل الشمالي والفقراء. وقد كان يوجد كثير من الصيريين في الانحاء الجنوبية، التي تبدأ من النهر الكبير الجنوبي. ولكنهم اخذوا في المدة الاخيرة بالهجرة الى الجهة الشمالية. وذلك لضغط المارونيين ولاسيما الاوردوقسين عليهم بصورة غير محسوسة. وبسبب ازراعه ربما يعثر على قري نصيرية في الشمال من سهول البقاع والغرب من بحيرة حمص. اما الصيريون في انحاء العراق فلي غالب الظن لا يتجاوز عددهم بضع مئات. اما مدعاه «مسو ده عوينو» ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢، ١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦، ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٦٤، ١٢٦٥، ١٢٦٦، ١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٠، ١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٦، ١٢٧٧، ١٢٧٨، ١٢٧٩، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢، ١٢٨٣، ١٢٨٤، ١٢٨٥، ١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٨٨، ١٢٨٩، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٢، ١٢٩٣، ١٢٩٤، ١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٢٩٩، ١٣٠٠، ١٣٠١، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١١، ١٣١٢، ١٣١٣، ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨، ١٣١٩، ١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٠، ١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٣، ١٣٣٤، ١٣٣٥، ١٣٣٦، ١٣٣٧، ١٣٣٨، ١٣٣٩، ١٣٤٠، ١٣٤١، ١٣٤٢، ١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥، ١٣٤٦، ١٣٤٧، ١٣٤٨، ١٣٤٩، ١٣٥٠، ١٣٥١، ١٣٥٢، ١٣٥٣، ١٣٥٤، ١٣٥٥، ١٣٥٦، ١٣٥٧، ١٣٥٨، ١٣٥٩، ١٣٦٠، ١٣٦١، ١٣٦٢، ١٣٦٣، ١٣٦٤، ١٣٦٥، ١٣٦٦، ١٣٦٧، ١٣٦٨، ١٣٦٩، ١٣٧٠، ١٣٧١، ١٣٧٢، ١٣٧٣، ١٣٧٤، ١٣٧٥، ١٣٧٦، ١٣٧٧، ١٣٧٨، ١٣٧٩، ١٣٨٠، ١٣٨١، ١٣٨٢، ١٣٨٣، ١٣٨٤، ١٣٨٥، ١٣٨٦، ١٣٨٧، ١٣٨٨، ١٣٨٩، ١٣٩٠، ١٣٩١، ١٣٩٢، ١٣٩٣، ١٣٩٤، ١٣٩٥، ١٣٩٦، ١٣٩٧، ١٣٩٨، ١٣٩٩، ١٤٠٠، ١٤٠١، ١٤٠٢، ١٤٠٣، ١٤٠٤، ١٤٠٥، ١٤٠٦، ١٤٠٧، ١٤٠٨، ١٤٠٩، ١٤١٠، ١٤١١، ١٤١٢، ١٤١٣، ١٤١٤، ١٤١٥، ١٤١٦، ١٤١٧، ١٤١٨، ١٤١٩، ١٤٢٠، ١٤٢١، ١٤٢٢، ١٤٢٣، ١٤٢٤، ١٤٢٥، ١٤٢٦، ١٤٢٧، ١٤٢٨، ١٤٢٩، ١٤٣٠، ١٤٣١، ١٤٣٢، ١٤٣٣، ١٤٣٤، ١٤٣٥، ١٤٣٦، ١٤٣٧، ١٤٣٨، ١٤٣٩، ١٤٤٠، ١٤٤١، ١٤٤٢، ١٤٤٣، ١٤٤٤، ١٤٤٥، ١٤٤٦، ١٤٤٧، ١٤٤٨، ١٤٤٩، ١٤٥٠، ١٤٥١، ١٤٥٢، ١٤٥٣، ١٤٥٤، ١٤٥٥، ١٤٥٦، ١٤٥٧، ١٤٥٨، ١٤٥٩، ١٤٦٠، ١٤٦١، ١٤٦٢، ١٤٦٣، ١٤٦٤، ١٤٦٥، ١٤٦٦، ١٤٦٧، ١٤٦٨، ١٤٦٩، ١٤٧٠، ١٤٧١، ١٤٧٢، ١٤٧٣، ١٤٧٤، ١٤٧٥، ١٤٧٦، ١٤٧٧، ١٤٧٨، ١٤٧٩، ١٤٨٠، ١٤٨١، ١٤٨٢، ١٤٨٣، ١٤٨٤، ١٤٨٥، ١٤٨٦، ١٤٨٧، ١٤٨٨، ١٤٨٩، ١٤٩٠، ١٤٩١، ١٤٩٢، ١٤٩٣، ١٤٩٤، ١٤٩٥، ١٤٩٦، ١٤٩٧، ١٤٩٨، ١٤٩٩، ١٥٠٠، ١٥٠١، ١٥٠٢، ١٥٠٣، ١٥٠٤، ١٥٠٥، ١٥٠٦، ١٥٠٧، ١٥٠٨، ١٥٠٩، ١٥١٠، ١٥١١، ١٥١٢، ١٥١٣، ١٥١٤، ١٥١٥، ١٥١٦، ١٥١٧، ١٥١٨، ١٥١٩، ١٥٢٠، ١٥٢١، ١٥٢٢، ١٥٢٣، ١٥٢٤، ١٥٢٥، ١٥٢٦، ١٥٢٧، ١٥٢٨، ١٥٢٩، ١٥٣٠، ١٥٣١، ١٥٣٢، ١٥٣٣، ١٥٣٤، ١٥٣٥، ١٥٣٦، ١٥٣٧، ١٥٣٨، ١٥٣٩، ١٥٤٠، ١٥٤١، ١٥٤٢، ١٥٤٣، ١٥٤٤، ١٥٤٥، ١٥٤٦، ١٥٤٧، ١٥٤٨، ١٥٤٩، ١٥٥٠، ١٥٥١، ١٥٥٢، ١٥٥٣، ١٥٥٤، ١٥٥٥، ١٥٥٦، ١٥٥٧، ١٥٥٨، ١٥٥٩، ١٥٦٠، ١٥٦١، ١٥٦٢، ١٥٦٣، ١٥٦٤، ١٥٦٥، ١٥٦٦، ١٥٦٧، ١٥٦٨، ١٥٦٩، ١٥٧٠، ١٥٧١، ١٥٧٢، ١٥٧٣، ١٥٧٤، ١٥٧٥، ١٥٧٦، ١٥٧٧، ١٥٧٨، ١٥٧٩، ١٥٨٠، ١٥٨١، ١٥٨٢، ١٥٨٣، ١٥٨٤، ١٥٨٥، ١٥٨٦، ١٥٨٧، ١٥٨٨، ١٥٨٩، ١٥٩٠، ١٥٩١، ١٥٩٢، ١٥٩٣، ١٥٩٤، ١٥٩٥، ١٥٩٦، ١٥٩٧، ١٥٩٨، ١٥٩٩، ١٦٠٠، ١٦٠١، ١٦٠٢، ١٦٠٣، ١٦٠٤، ١٦٠٥، ١٦٠٦، ١٦٠٧، ١٦٠٨، ١٦٠٩، ١٦١٠، ١٦١١، ١٦١٢، ١٦١٣، ١٦١٤، ١٦١٥، ١٦١٦، ١٦١٧، ١٦١٨، ١٦١٩، ١٦٢٠، ١٦٢١، ١٦٢٢، ١٦٢٣، ١٦٢٤، ١٦٢٥، ١٦٢٦، ١٦٢٧، ١٦٢٨، ١٦٢٩، ١٦٣٠، ١٦٣١، ١٦٣٢، ١٦٣٣، ١٦٣٤، ١٦٣٥، ١٦٣٦، ١٦٣٧، ١٦٣٨، ١٦٣٩، ١٦٤٠، ١٦٤١، ١٦٤٢، ١٦٤٣، ١٦٤٤، ١٦٤٥، ١٦٤٦، ١٦٤٧، ١٦٤٨، ١٦٤٩، ١٦٥٠، ١٦٥١، ١٦٥٢، ١٦٥٣، ١٦٥٤، ١٦٥٥، ١٦٥٦، ١٦٥٧، ١٦٥٨، ١٦٥٩، ١٦٦٠، ١٦٦١، ١٦٦٢، ١٦٦٣، ١٦٦٤، ١٦٦٥، ١٦٦٦، ١٦٦٧، ١٦٦٨، ١٦٦٩، ١٦٧٠، ١٦٧١، ١٦٧٢، ١٦٧٣، ١٦٧٤، ١٦٧٥، ١٦٧٦، ١٦٧٧، ١٦٧٨، ١٦٧٩، ١٦٨٠، ١٦٨١، ١٦٨٢، ١٦٨٣، ١٦٨٤، ١٦٨٥، ١٦٨٦، ١٦٨٧، ١٦٨٨، ١٦٨٩، ١٦٩٠، ١٦٩١، ١٦٩٢، ١٦٩٣، ١٦٩٤، ١٦٩٥، ١٦٩٦، ١٦٩٧، ١٦٩٨، ١٦٩٩، ١٧٠٠، ١٧٠١، ١٧٠٢، ١٧٠٣، ١٧٠٤، ١٧٠٥، ١٧٠٦، ١٧٠٧، ١٧٠٨، ١٧٠٩، ١٧١٠، ١٧١١، ١٧١٢، ١٧١٣، ١٧١٤، ١٧١٥، ١٧١٦، ١٧١٧، ١٧١٨، ١٧١٩، ١٧٢٠، ١٧٢١، ١٧٢٢، ١٧٢٣، ١٧٢٤، ١٧٢٥، ١٧٢٦، ١٧٢٧، ١٧٢٨، ١٧٢٩، ١٧٣٠، ١٧٣١، ١٧٣٢، ١٧٣٣، ١٧٣٤، ١٧٣٥، ١٧٣٦، ١٧٣٧، ١٧٣٨، ١٧٣٩، ١٧٤٠، ١٧٤١، ١٧٤٢، ١٧٤٣، ١٧٤٤، ١٧٤٥، ١٧٤٦، ١٧٤٧، ١٧٤٨، ١٧٤٩، ١٧٥٠، ١٧٥١، ١٧٥٢، ١٧٥٣، ١٧٥٤، ١٧٥٥، ١٧٥٦، ١٧٥٧، ١٧٥٨، ١٧٥٩، ١٧٦٠، ١٧٦١، ١٧٦٢، ١٧٦٣، ١٧٦٤، ١٧٦٥، ١٧٦٦، ١٧٦٧، ١٧٦٨، ١٧٦٩، ١٧٧٠، ١٧٧١، ١٧٧٢، ١٧٧٣، ١٧٧٤، ١٧٧٥، ١٧٧٦، ١٧٧٧، ١٧٧٨، ١٧٧٩، ١٧٨٠، ١٧٨١، ١٧٨٢، ١٧٨٣، ١٧٨٤، ١٧٨٥، ١٧٨٦، ١٧٨٧، ١٧٨٨، ١٧٨٩، ١٧٩٠، ١٧٩١، ١٧٩٢، ١٧٩٣، ١٧٩٤، ١٧٩٥، ١٧٩٦، ١٧٩٧، ١٧٩٨، ١٧٩٩، ١٨٠٠، ١٨٠١، ١٨٠٢، ١٨٠٣، ١٨٠٤، ١٨٠٥، ١٨٠٦، ١٨٠٧، ١٨٠٨، ١٨٠٩، ١٨١٠، ١٨١١، ١٨١٢، ١٨١٣، ١٨١٤، ١٨١٥، ١٨١٦، ١٨١٧، ١٨١٨، ١٨١٩، ١٨٢٠، ١٨٢١، ١٨٢٢، ١٨٢٣، ١٨٢٤، ١٨٢٥، ١٨٢٦، ١٨٢٧، ١٨٢٨، ١٨٢٩، ١٨٣٠، ١٨٣١، ١٨٣٢، ١٨٣٣، ١٨٣٤، ١٨٣٥، ١٨٣٦، ١٨٣٧، ١٨٣٨، ١٨٣٩، ١٨٤٠، ١٨٤١، ١٨٤٢، ١٨٤٣، ١٨٤٤، ١٨٤٥، ١٨٤٦، ١٨٤٧، ١٨٤٨، ١٨٤٩، ١٨٥٠، ١٨٥١، ١٨٥٢، ١٨٥٣، ١٨٥٤، ١٨٥٥، ١٨٥٦، ١٨٥٧، ١٨٥٨، ١٨٥٩، ١٨٦٠، ١٨٦١، ١٨٦٢، ١٨٦٣، ١٨٦٤، ١٨٦٥، ١٨٦٦، ١٨٦٧، ١٨٦٨، ١٨٦٩، ١٨٧٠، ١٨٧١، ١٨٧٢، ١٨٧٣، ١٨٧٤، ١٨٧٥، ١٨٧٦، ١٨٧٧، ١٨٧٨، ١٨٧٩، ١٨٨٠، ١٨٨١، ١٨٨٢، ١٨٨٣، ١٨٨٤، ١٨٨٥، ١٨٨٦، ١٨٨٧، ١٨٨٨، ١٨٨٩، ١٨٩٠، ١٨٩١، ١٨٩٢، ١٨٩٣، ١٨٩٤، ١٨٩٥، ١٨٩٦، ١٨٩٧، ١٨٩٨، ١٨٩٩، ١٩٠٠، ١٩٠١، ١٩٠٢، ١٩٠٣، ١٩٠٤، ١٩٠٥، ١٩٠٦، ١٩٠٧، ١٩٠٨، ١٩٠٩، ١٩١٠، ١٩١١، ١٩١٢، ١٩١٣، ١٩١٤، ١٩١٥، ١٩١٦، ١٩١٧، ١٩١٨، ١٩١٩، ١٩٢٠، ١٩٢١، ١٩٢٢، ١٩٢٣، ١٩٢٤، ١٩٢٥، ١٩٢٦، ١٩٢٧، ١٩٢٨، ١٩٢٩، ١٩٣٠، ١٩٣١، ١٩٣٢، ١٩٣٣، ١٩٣٤، ١٩٣٥، ١٩٣٦، ١٩٣٧، ١٩٣٨، ١٩٣٩، ١٩٤٠، ١٩٤١، ١٩٤٢، ١٩٤٣، ١٩٤٤، ١٩٤٥، ١٩٤٦، ١٩٤٧، ١٩٤٨، ١٩٤٩، ١٩٥٠، ١٩٥١، ١٩٥٢، ١٩٥٣، ١٩٥٤، ١٩٥٥، ١٩٥٦، ١٩٥٧، ١٩٥٨، ١٩٥٩، ١٩٦٠، ١٩٦١، ١٩٦٢، ١٩٦٣، ١٩٦٤، ١٩٦٥، ١٩٦٦، ١٩٦٧، ١٩٦٨، ١٩٦٩، ١٩٧٠، ١٩٧١، ١٩٧٢، ١٩٧٣، ١٩٧٤، ١٩٧٥، ١٩٧٦، ١٩٧٧، ١٩٧٨، ١٩٧٩، ١٩٨٠، ١٩٨١، ١٩٨٢، ١٩٨٣، ١٩٨٤، ١٩٨٥، ١٩٨٦، ١٩٨٧، ١٩٨٨، ١٩٨٩، ١٩٩٠، ١٩٩١، ١٩٩٢، ١٩٩٣، ١٩٩٤، ١٩٩٥، ١٩٩٦، ١٩٩٧، ١٩٩٨، ١٩٩٩، ٢٠٠٠، ٢٠٠١، ٢٠٠٢، ٢٠٠٣، ٢٠٠٤، ٢٠٠٥، ٢٠٠٦، ٢٠٠٧، ٢٠٠٨، ٢٠٠٩، ٢٠١٠، ٢٠١١، ٢٠١٢، ٢٠١٣، ٢٠١٤، ٢٠١٥، ٢٠١٦، ٢٠١٧، ٢٠١٨، ٢٠١٩، ٢٠٢٠، ٢٠٢١، ٢٠٢٢، ٢٠٢٣، ٢٠٢٤، ٢٠٢٥، ٢٠٢٦، ٢٠٢٧، ٢٠٢٨، ٢٠٢٩، ٢٠٣٠، ٢٠٣١، ٢٠٣٢، ٢٠٣٣، ٢٠٣٤، ٢٠٣٥، ٢٠٣٦، ٢٠٣٧، ٢٠٣٨، ٢٠٣٩، ٢٠٤٠، ٢٠٤١، ٢٠٤٢، ٢٠٤٣، ٢٠٤٤، ٢٠٤٥، ٢٠٤٦، ٢٠٤٧، ٢٠٤٨، ٢٠٤٩، ٢٠٥٠، ٢٠٥١، ٢٠٥٢، ٢٠٥٣، ٢٠٥٤، ٢٠٥٥، ٢٠٥٦، ٢٠٥٧، ٢٠٥٨، ٢٠٥٩، ٢٠٦٠، ٢٠٦١، ٢٠٦٢، ٢٠٦٣، ٢٠٦٤، ٢٠٦٥، ٢٠٦٦، ٢٠٦٧، ٢٠٦٨، ٢٠٦٩، ٢٠٧٠، ٢٠٧١، ٢٠٧٢، ٢٠٧٣، ٢٠٧٤، ٢٠٧٥، ٢٠٧٦، ٢٠٧٧، ٢٠٧٨، ٢٠٧٩، ٢٠٨٠، ٢٠٨١، ٢٠٨٢، ٢٠٨٣، ٢٠٨٤، ٢٠٨٥، ٢٠٨٦، ٢٠٨٧، ٢٠٨٨، ٢٠٨٩، ٢٠٩٠، ٢٠٩١، ٢٠٩٢، ٢٠٩٣، ٢٠٩٤، ٢٠٩٥، ٢٠٩٦، ٢٠٩٧، ٢٠٩٨، ٢٠٩٩، ٢١٠٠، ٢١٠١، ٢١٠٢، ٢١٠٣، ٢١٠٤، ٢١٠٥، ٢١٠٦، ٢١٠٧، ٢١٠٨، ٢١٠٩، ٢١١٠، ٢١١١، ٢١١٢، ٢١١٣، ٢١١٤، ٢١١٥، ٢١١٦، ٢١١٧، ٢١١٨، ٢١١٩، ٢١٢٠، ٢١٢١، ٢١٢٢، ٢١٢٣، ٢١٢٤، ٢١٢٥، ٢١٢٦، ٢١٢٧، ٢١٢٨، ٢١٢٩، ٢١٣٠، ٢١٣١، ٢١٣٢، ٢١٣٣، ٢١٣٤، ٢١٣٥، ٢١٣٦، ٢١٣٧، ٢١٣٨، ٢١٣٩، ٢١٤٠، ٢١٤١، ٢١٤٢، ٢١٤٣، ٢١٤٤، ٢١٤٥، ٢١٤٦، ٢١٤٧، ٢١٤٨، ٢١٤٩، ٢١٥٠، ٢١٥١، ٢١٥٢، ٢١٥٣، ٢١٥٤، ٢١٥٥، ٢١٥٦، ٢١٥٧، ٢١٥٨، ٢١٥٩، ٢١٦٠، ٢١٦١، ٢١٦٢، ٢١٦٣، ٢١٦٤، ٢١٦٥، ٢١٦٦، ٢١٦٧، ٢١٦٨، ٢١٦٩، ٢١٧٠، ٢١٧١، ٢١٧٢، ٢١٧٣، ٢١٧٤، ٢١٧٥، ٢١٧٦، ٢١٧٧، ٢١٧٨، ٢١٧٩، ٢١٨٠، ٢١٨١، ٢١٨٢، ٢١٨٣، ٢١٨٤، ٢١٨٥، ٢١٨٦، ٢١٨٧، ٢١٨٨، ٢١٨٩، ٢١٩٠، ٢١٩١، ٢١٩٢، ٢١٩٣، ٢١٩٤، ٢١٩٥، ٢١٩٦، ٢١٩٧، ٢١٩٨، ٢١٩٩، ٢٢٠٠، ٢٢٠١، ٢٢٠٢، ٢٢٠٣، ٢٢٠٤، ٢٢٠٥، ٢٢٠٦، ٢٢٠٧، ٢٢٠٨، ٢٢٠٩، ٢٢١٠، ٢٢١١، ٢٢١٢، ٢٢١٣، ٢٢١٤، ٢٢١٥، ٢٢١٦، ٢٢١٧، ٢٢١٨، ٢٢١٩، ٢٢٢٠، ٢٢٢١، ٢٢٢٢، ٢٢٢٣، ٢٢٢٤، ٢٢٢٥، ٢٢٢٦، ٢٢٢٧، ٢٢٢٨، ٢٢٢٩، ٢٢٣٠، ٢٢٣١، ٢٢٣٢، ٢٢٣٣، ٢٢٣٤، ٢٢٣٥، ٢٢٣٦، ٢٢٣٧، ٢٢٣٨، ٢٢٣٩، ٢٢٤٠، ٢٢٤١، ٢٢٤٢، ٢٢٤٣، ٢٢٤٤، ٢٢٤٥، ٢٢٤٦، ٢٢٤٧، ٢٢٤٨، ٢٢٤٩، ٢٢٥٠، ٢٢٥١، ٢٢٥٢، ٢٢٥٣، ٢٢٥٤، ٢٢٥٥، ٢٢٥٦، ٢٢٥٧، ٢٢٥٨، ٢٢٥٩، ٢٢٦٠، ٢٢٦١، ٢٢٦٢، ٢٢٦٣، ٢٢٦٤، ٢٢٦٥، ٢٢٦٦، ٢٢٦٧، ٢٢٦٨، ٢٢٦٩، ٢٢٧٠، ٢٢٧١، ٢٢٧٢، ٢٢٧٣، ٢٢٧٤، ٢٢٧٥، ٢٢٧٦، ٢٢٧٧، ٢٢٧٨، ٢٢٧٩، ٢٢٨٠، ٢٢٨١، ٢٢٨٢، ٢٢٨٣، ٢٢٨٤، ٢٢٨٥، ٢٢٨٦، ٢٢٨٧، ٢٢٨٨، ٢٢٨٩، ٢٢٩٠، ٢٢٩١، ٢٢٩٢، ٢٢٩٣، ٢٢٩٤، ٢٢٩٥، ٢٢٩٦، ٢٢٩٧، ٢٢٩٨، ٢٢٩٩، ٢٣٠٠، ٢٣٠١، ٢٣٠٢، ٢٣٠٣، ٢٣٠٤، ٢٣٠٥، ٢٣٠٦، ٢٣٠٧، ٢٣٠٨، ٢٣٠٩، ٢٣١٠، ٢٣١١، ٢٣١٢، ٢٣١٣، ٢٣١٤، ٢٣١٥، ٢٣١٦، ٢٣١٧، ٢٣١٨، ٢٣١٩، ٢٣٢٠، ٢٣٢١، ٢٣٢٢، ٢٣٢٣، ٢٣٢٤، ٢٣٢٥، ٢٣٢٦، ٢٣٢٧، ٢٣٢٨، ٢٣٢٩، ٢٣٣٠، ٢٣٣١، ٢٣٣٢، ٢٣٣٣، ٢٣٣٤، ٢٣٣٥، ٢٣٣٦، ٢٣٣٧، ٢٣٣٨، ٢٣٣٩، ٢٣٤٠، ٢٣٤١، ٢٣٤٢، ٢٣٤٣، ٢٣٤٤، ٢٣٤٥، ٢٣٤٦، ٢٣٤٧، ٢٣٤٨، ٢٣٤٩، ٢٣٥٠، ٢٣٥١، ٢٣٥٢، ٢٣٥٣، ٢٣٥٤، ٢٣٥٥، ٢٣٥٦، ٢٣٥٧، ٢٣٥٨، ٢٣٥٩، ٢٣٦



[٣] — منشأ النصيرين — لا نبالغ اذا قلنا انه لم يتفق الآراء في الحكم على هذه المسئلة . يقول بعض المؤلفين ان النصيرين تنجوا عن اقتران الاحسين بالافرنج ؛ وهؤلاء المتسكون في هذا الادعاء مستدين على ما هو موجود بين النصيرين من شجر الشهور ، وزرق العيون ، وعلى بعض اسما الاسر التي يزعمون اشتقاقها من الافرنجية ، لاجرم انهم مخطئون . والادعاء بان الافرنج تمكنوا من ايجاد هذا النسل الوافر بظرف قرنين ونصف يعد من السذاجة . والصليبيون في هذه المدة التي تعد يسيرة في جانب حياة الامم ، لم يتمكنوا من تخليد اثر مادي سوى بضعة مواقع تاريخية .

نهض موسيو هارتمان احد المؤلفين الالمانيين واداع انه يريد البحث والتقيب عن الاسر الكبيرة في سورية التي هي من بقايا الافرنج ، ثم ما لبث ان نشر بعض آرائه (\*) . وقد التبت عليه بيت الشامبر هل هي مشتقة من كلمة *Chambord* ام لا .  
ويزعم العلماء « كارتست رومان » و « ديدر لامنس » ان النصيريين كانوا يدينون بدين النصرانية ، وبعض من هذا حذوهم من العلماء يدهن على هذا الراى قائلاً ان كلمة « نصيري » هي مصغر النصراني . وعليه تسوغ تسمية النصيرين ، بصغار النصراني --  
*Petites Chrétiens*

وقد دخل هذا التوجيه في كثير من الكتب الحديثة . على ان خطأ هذا الاشتقاق معلوم لدى كل من له ادنى الملم في القواعد العربية . لان مصغر النصراني ليس بنصيري ، بل هو نصيراني . وما عدا هذا فقد تنقب « ابو الفرج » بطريق حلب ومن مؤرخي القرن (١١) الميلادي منشأ النصيرين ، ولكنه لم يزعم انهم من النصاري .

وقد كثر من تمسك بهذا الادعاء الغرب من مؤلفي الافرنج . فزعم *Firazi* الايطال ان اليزيديين — الذين ينطق اسمهم عن دينهم — هم من الجزويت . وزعم آخر ان الدروز هم من احفاد *Dreuss* احد الامراء الفرنساويين .

وتدبره المنحصر الفتي على ان اسم هؤلاء القوم منسوب الى « محمد بن نصير » الذي هو من اتباع « حسن العسكري » من رجال القرن التاسع لبلاد وحادي شراة الشعة . ومذهبهم بمائل مذهب الاسما يسين . ولكن لا تزال البداوة والبغضاء مستحكمة بين الفريقين رغماً عن تلك المماثلة المذهبية .

ما كان محمد بن نصير ليشذ عن دأب صناديد الاديان ؛ بل اخذ بشأنهم ، ونطوق بهالة خرافة كذاب الذين من قبله .

(\*) Das Lawa el Iadkije und Naye Urdu, ZBrV.,

يزعم النصارى ان محمداً جداً هو ابن « نصير » من وزراء معاوية، وقد كان يدعى بالنصرية . وشاع في تلك الاونة دخول رجل اسمه « احمد البناء » في هذا المذهب فسمعت النار لاحراقه ، وحزنوا على القائه فيها ثلاث مرات فكان يتقلب الى صودة يزيد بن معاوية في كل مرة ؛ فيرتدع الخليفة عن قذف ابنه في النار . واثار هذا الحال على هو اطفال الوزير النصيرى ، فاسترضى معاوية بتقديم ابنه الوحيد ليحرق مكانه ، وضم ذلك المظلوم اليه ، وتبناه . وكان يومئذ عمره ( ١٦٥ ) سنة ثم نزل عليه الروح الامين فبشره بسلام جزاء اتقاذه النصيرى من النار ، ولم تلبث امرأته المعجوز ان ولدت ذاك الغلام ، فكان هبة الله « محمد بن نصير »

اما ابو شعيب محمد بن نصير العبدى البكرى النيرى « المذكور في المودة الاولى ، والرابعة من كتاب المجموع فهو « الباب » الى « حسن الاخر » السكرى ، حادى عشرائة الشيميين . وعليه يكون ظهور رئيس النصيرية في النصف الاخر من القرن التاسع للميلاد . سنة ٢٦٠ هجرية . والغالب فيه ، انه اعجبى الاصل ، وكلمة عبدى في الاسم تدل على انه كان مولى لاحدى القبائل العربية .

ويزعم ايضا ان النصيريين ينتمون الى « نصير » مولى على بن ابي طالب ، وانهم صراقيون ، وعلى رواية اخرى انهم من انصار النبي . ومهاجرو الحجاز وهذه الروايات — مع بطلان بعضها — لم تكد تستقر على يقين على . وستمكن من ايضاح هذه الةطة في المصل الآتى :

[٤] — تاريخ النصيرية — منذ ايام الرومانيين الى القرن الحديث — . كان النصيريون في ايام الرومانيين ايضا . وروى « استرابو » من مؤرخى يونان ان النصيريين حافظوا على كيانهم واستقلالهم تجاه الفتيين في العصر الاول للميلاد . وقد ما منعت النصيرية في الانتشار والتعميم بين الوثنيين في سورية ، لكنها لم تستطع ولوج تلك الجبال على النصيريين ، فكانوا في منزل عن تأشيرها . وبرهن على صدق مدعانا ما يثر عليه في انحاء سورية من اتفاض البيع والكنائس المبنية على طراز القرن الخامس ، والسادس للميلاد التى اثاروا في بلاد النصيرية .

ونقلب في الظل ان المسلمين ايضا لم يتمكنوا من اكتساح جميع هاتيك الشواحق في القرن الميلادى السابع . وامن النصيرية لم يدخل التاريخ الامنذ القرن ( ١١ ) . وقد اخترقت جنود الصليبيين هذه الجبال من انحاء متفرقة ؛ وتمكن « صلاح الدين الايوبى » ايضا من استمالتهم ، والاحراز على طاعتهم .

نهض الاسماعيليون في القرن الثانى عشر للميلاد ، وارادوا ان ينتهزوا فرصة ما جده

ايدى الافرنج على سورية من الاربتك والتشوش الادارى ؛ وجهسوا الى قصبه باليراس القريبة من الشام فاستولوا عليها . ولكن لم يقدروا على الاحتفاظ بها ، وهجروا عن الدفاع ، ثم غلبوا وفروا الى جبال النصيرية . وقام رئيسهم « شيخ الجبل » ، ففتح قدموس وكهف ومصباد وقاهر ومانيقه وخوابى ومرقب من بلاد تلك الديار ، وادخل النصيريين فى طاعته .

ثم أخذ شيخ الجبل « رشيد الدين سنان » باستمالة الجبلين اليه . وتسنى له ادخال كثير منهم فى زمرته رغباً عما تكنه صدور الطائفتين — الاسماعيليه والنصيرية — من الضغائن والبغضاء لبعضها .

وفى اوائل القرن التاسع عشر للميلاد تبعت عشيرة « بيت رسلان » التى هى من اعظم العشائر النصيرية ، وزادت بسطتها ، وويت شوكتها واصبحت ذات السيطرة على جميع مشايخها . وقد نهضت لقتال الاسماعيليين اعدائها وحججه على قصبه « مصباد » حيث فتحتها وذهبت جميع من فيها . ولم يلبث « ايلة الشام » فى ذلك الزمن ان جهزت مقدار نحو ١٠ آلاف حندياً وسيرهم اليها ، ولكن ما كان من هذا الجند الا ان نهب بضع قرى وعساد الى حيث اتى .

ولما اقبل « ابراهيم باشا » المصرى بمجنوده ليفتح « وية ( ١٨٣٢ — ١٨٣٣ ) تحفزت لرده عشيرة « شمسين » الحاكمة على ضواحي « صافيتا » ، وطاولت ان تقف امام تياره ؛ ولكنه اناخ عليها بكلكله ، وبطش برؤسائها ، ودمر جمع حصونها .

وفى سنة ( ١٨٥٤ ) ميلادية . قام « اسماعيل بك » احد رؤساء النصيريين ، المنتمى الى عشيرة « المتار » ، والمولود فى قرية « لوكه » القريبة من بلدة « حما » وانتهاز فرصة انشغال لدولة العثمانية بحرب الروس ، فشق عصا الطاعة وجاهر بالعصيان ، وحشد حوله كثيراً من عشائر النصيرية ؛ ثم انتقل الى ( صافيتا ) وسجن نفسه « مشير الجبل » ، واخذ يشغل بإدارة تلك الاصقاع على وجه شبيه بالانقلاب . وقد كانت الدولة يومئذٍ مرتبكة فى الغوائل الخارجية فرأت ان تخرج معه الى السلم واقطعت تلك الانحسار ونصبت له وال عليها .

ما لبث الوائى الجديد الا واغرق فى الترف ، ونسرب الى البذخ حتى كان قصره مختصراً بلاط سلطاني . واصبح الرسلانيون والشمسيون والحياطيون ؛ اولئك الذين خدمت لسلاطهم نلوب الجبلين ، يدأبون لمرضاة هذا السيد الجليل ، وبذلك تسنى لهم الخلاص من الظلام والفساد الذى اذهب جميع الناس .

رأى اسماعيل خضوع ( ١٢٠ ) آفاً لحكمه المطلق ، ودأى فى نفسه من ابأس والقعدة ما يمكنه من جميع آماله ، فرفحه ذلك السلطان وغره تلك المكانة ؛ فاستأنس الى

الطغاة والظلمة من الدولة من قبلهم قتلوا، ومنهم من قتلوا في حوزة المؤمنين  
البلاء، ولم ينجح طلبه، واسقطه، ولكن تبين سورة وأظهرها على أقدامهم على إطلاق  
تلك القلعة الخطيرة إلى النصيريين، وجعلوا بالثورة والنصيان، وجرت بين الطائفتين  
حروب متعددة. أما الدولة فقد آذرت السنين، وأمدتهم بخمسة آلاف جندياً فأبهرت طاقته  
إسماعيل بك، وجد طاهر باناً، قائد الحملة في طلبه، حتى أدخله قرية «كوكبه» التي هي  
مصدر رأسه حيث قتل فيها أحد النصيريين.

أخذت الحكومة إدارة النصيريين بعد أن قتل إسماعيل بك على عهدها وأبست في  
بلادهم الأسر الإدارية، ومع هذا لم يخلص النصيريون من الظلم والعنف. ولم تكن  
ثورتهم في سنة ١٨٣٧ و ١٨٧٠ إلا من سوء تلك الإدارة.

كانت اللغة السريانية متفشية بين النصيريين قبل مهاجرة الإسماعيليين في أوائل القرن  
الحادي عشر. ولم تزل بعض كلمات تلك اللغة موجودة في لغة النصيريين إلى الآن، ويستدل  
من كثرة الكتابات اليونانية الموجودة هناك، على أن تلك اللغة كانت متفشية عندهم  
قبل السريانية.

[٥] — من النصيريين — تتألف أحكام الدين عند النصيريين الذين عهد الإنسا  
البحث عن شؤونهم العمومية: من العقائد، والصلاة، ومراسم الدماء، ويسير من  
الآخلاق.

أن أول اعتقادهم «و تثليث الآلهة» أي إيمانهم بثلاثة آلهة. ويسمون أول هؤلاء  
آلهة «المعنى» والثاني «الاسم» والثالث «الباب». ويقصدون الغيب المطلق من المعنى؛  
والاسم الصورة الظاهرة للمعنى، أما الباب فهو الطريق الموصل إلى الغيب المطلق. وقد كان  
قدماً علماء النصيرية يسمون لا يوضح هذا «الواحد الثالث» وتفسيره ويستعنون ببعض ما  
تملك من الصارى من الأدلة والبراهين.

يدعى المستشرق يور لافنس أحد معلمى المدرسة اليسوعية البيروتية الملقاه «أن النصيريين  
كانوا من دين الصراية قبل الاسلام. ويؤيد صدق مدعاه بما شاهد من اقتضاض البيع  
والكنائس في محلات مفرقة في تلك الجبال. ويجب على القارئ أن يكون على يقظة من أمره  
تجاه هذا ادعاء. لأن هذا المستشرق انتهى إلى فئة الجزئيات التي لو مكنت لجعلت جميع  
كان البسطة صاى. هـ، لا ترى مهم «يور شيوخ» الذى حدث في كتابه «شعرا»  
النصرانية كل غريبة؟ ألم يجعل أكثر شعرا جاهلية من الصارى؟

لم يمس النصيريون من تأثير الصراية في مراسمهم الدينية. وستكلم عن هذه المسئلة  
وههنا بعد. وأن المستشرق دوسو — Dussaud — ينكر على من يزعم أن النصيريين

دخلوا في النصرانية قبلاً ثم انسلخوا عنها . ويأتي بالبراهين الناصية « والحجيج للقاطمة في تأييد مدعاه . ولا بد لمن يطلع على آراء هذين المستشرقين ان تعقبه الحيرة ، ويظن الظنون وهذه احدى المسائل المهمة التي لم تحسم بصورة يقينية .

ينقسم اشباع الديانة النصرانية الى اربع شُعب :  
الحيذية ، الشمالية او الشمسية ، الكلاوية او القمرية ، الغيبية . لا ننسى ان هذا الانقسام منحصر في الفروع . وان « كتاب المجموع » المقدس جعل جميع افراد النصرانية مندوحة في الوحدة الدينية .

يقسم النصيريون زمانهم الى سبعة ادوار ، كل واحد منها تمثال لآله . وسبب هذا التقسيم هو انقسام الاسبوع الى سبعة ايام . ويزعم الاسماعيليون وجود نبى ناطق في كل دور من هذه الادوار . وهو مكلف بتعليم اسس الديانة ونشرها . ويأتي بعد كل نبى سبعة ائمة لاحل اتمام شريعته ، والاول من هؤلاء السبعة يكون كالاساس . فآدم ونوح ، وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم السلام ، ومحمد بن اسماعيل بن جعفر ، هم انبياء صدعوا بالنبوة وجاءوا بها .

وتزعم هذه الفئة ان الائمة السبعة الذين ظاهروا النبي عليه السلام هم : [علي بن ابي طالب « وهو اساس محمد الناطق » ، الحسن ، الحسين ، علي بن الحسين ، محمد بن علي « جعفر بن محمد ، اسماعيل بن جعفر ] .

ويعتقد الاسماعيليون ان قد جاء الائمة الستة المكلفون بتعليم الشريعة المحمدية ونشرها ودرجوا . لذلك يجب الانتظار لبعثة مهدي آخر . والنصيريون يحددون هذا الادعاء ويقولون : ان الدورة السابعة للزمن قد تشرفت بتجلى الالوهية في علي بن ابي طالب للمرة السابعة .

والباطنيون لم يفترقوا الا بعد وفاة اسماعيل بن جعفر . فمنهم من يعتقد ببقاء امامته بعد وفاته ، وانه سوف يكون مهدياً ويرجع الى عالم الظهور . اما الفرق الاخرى ، فتعتقد باستقال الامامة الى موسى اخي اسماعيل (\*) . وان كتاب « مجموع الاعباد » الذي هو من اهم الكتب لدى النصيريين يعدد الائمة ، ويذكر موسى بعد جعفر عوضاً عن اسماعيل . وما ان « محمد بن نصير » كان من شيعة « حسن العسكري » حادى عشر الائمة الشيعية ، لا يستدرب عن اتباعه النصيريين انكار امامة اسماعيل بن جعفر التي آمنت بها الاسماعيليسه ؛ وان حذ بامامة موسى الذي هو جد « حسن العسكري » . ومع هذا فان النصيريين يعتبرون الائمة سبعة ، كما هو منصوص في لسورة السابعة من كتاب المجموع .

« يزيلهم النصيريون ان المعبود المقدس واحد » من جهة التصيير ولكن يتنصرون في الظهور فيجعل في الاجسام ، وما هذه الاجسام الا الصكوك السبعة التي تقلدت ادارة الكون .

حتى ان فرقة من الاسماعيلية تزعم ان علي بن ابي طالب الذي هو اساس لمحمد عليه السلام قد باع بجميع اسراره الى النبي ولكن لم يطلعه على المعنى ، او بالوضح ان « المعنى » بقي في نفسه وبهذا يكون هي وسيلة تساعد على خلق دين آخر . والتصيريون يصعدون بعلى الى درجة الألوهية ، ويلصقونها بكل « اساس » حاز عنوان « المعنى » .  
وتوجد فروق ظاهرة بين هاتين الفئتين :

يؤمن الاسماعيليون بان « الناطقين » الذين هم شكل متجسد « لعقل الكل » هم اول ممثل للمظهر الالهي وقد زعم كل من الحاكم بامر الله ، ورشيد الدين سنان حين ادعائه بالالوهية انه « الناطق » السابع .

اما عند الدروز الذين هم اقرب الى الاسماعيلية من النصيرية ، فالاساس يأتي بعد الناطق وبالنظر الى العقيدة الباطنية في الاسماعيليين ، ان علياً اكبر من نبي الاسلام [١٠] .  
وان « للمعنى » الذي هو مرادف لكلمة « الله — علي » قيمة خاصة في دين النصيرية وكما ان « يسوع » عند النصاري ، هو كلمة الله ، فعلى ايضاً هو « المعنى » عند النصيريين ولهذا سميت هذه العقيدة بـ « المناوية » .

ولكن الدروز يفترون عن النصيريين في هذه المسألة . وقد بالغ حمزة بن علي في الطعن على هؤلاء قائلاً : لا جرم سينسلخ عن رحمة الله في الدنيا والاخرة كل من اعتقد بحلول « المعنى » في علي بن ابي طالب ، وعبد كالتصيريين . [١١]  
وه « بن تيمية » من العلماء الاسلامية ، شدد التكرير في فتاواه المشهورة على النصيريين بسبب « اذا الاعتقاد وطبق عليهم بحملة شعواء

وا . ما اقترفه امراء الامويين من الظلم والجور على اولاد علي ، كان سبباً لاقبال اكثر الفرق الاسلامية عليهم ، وحبهم لهم والاخذ بيدهم ، وكانت تلك الافاعيل الروحية في بلاد العجم من الشدة على درجة اصبحت منها الاسلامية على شفا الخطر واخذ بعض الفرق الاسلامية كالشيعة والخارجية ، وفروعهما يدينون بما يخالف نص الفرقان من الاعتقاد واضطرا الخلفاء ، وغيرهم من الحكومات السنية الى اختيار الشدة ،

(١٠) يقول رنه دوسو في الصحيفة ٤٠ من كتابه « تاريخ النصيرية » ان هذا شاذ . وقد ذكرنا في الصحيفة (١٠١) من كتابنا هذا ان الاسماعيليين يتقنون ان « الاساس تحت الناطق »  
(١١) نسي علي بن حمزة — انشاء الطعن — عقيدة الدروز

والله اعلم بالصواب، فمن اعلمهم عن حلالهم، ولو لم يكن لهم ان يزجروا ما واصلت عليهم يزبوا ويتفشى  
خبرهم في الدنيا والآخرة

قال «ابن حزم» أثناء البحث عن هذه الفرق والتشديد بها :

«الفرقة التي يفرق القبيحة بالخلو الى درجة» اعتقدوا فيها بالوهمية على ، والائمة من بعدهم .  
فريقهم الذين وصلوا في الغلو الى تحريف المعاني الظاهرة من القرآن . كزعمهم بان القصد من  
كلمة السماء هو «محمد» ، وكلمة الارض هي «الاصحاب» ، و«العمل الصالح والعدل» هو «على»  
والمراد من «الجبب والطاغوت» هما «ابو بكر وعمر» ، والصلاة هي «الامام» ، و«الزكاة»  
هي الاموال التي تعطى له ، و«الصحة» هي «زيارة الامام» .

انتشر دين التصيرية في اوائل القرن الخامس للهجرة ولم يزل اهل انحاء كثيرة على  
مكانته الاولى . ويعتقد ذووه بوحداية الخالق ، ولكنهم يزعمون تجسد الالهية في ذات  
«على» ويضعون كلمة «على الاعلى» بزاء كلمة «على الله» .

ولا جرم ان الحاكم بامر الله الفاطمي ، استعان بهذه العقيدة التصيرية لما توسع في معنى  
الوهمية على ، وادعى انه تمثال لها ، واسس الدرزية بمعونة وزيره «حزبه» . وهكذا فعل  
«رشيد الدين سنان» ، واتبع عين الخطة .

يقول التصيريون ، خلافاً لما يعتقد المسلمون :

«ان على بن ابي طالب ، واحد لا يزول» وهو حاضر في كل مكان وزمان . وهو  
نور النور الذي ينتير جميع الكواكب . وان تفتت الصخور ، وتكون البحار ،  
وجميع الحركات ، هي تحت تصرف وارادته ، وعلى المذى يبدي الكون ، غير مستور بحجاب  
مادى ، بل هو كامن في انوار الذرات الالهية وما «المعنى» الا هو ، وهو امام في  
الظاهر ، ورب في الباطن وابو بكر وعمر وعثمان ، هم تماثيل الشيطان . والجهد المقدس  
يجب ان يكون على الفرق التي تزعم ان علياً وغيره من الانبياء ياكلون ويشربون كسائر  
الناس ، وانهم ولدتهم النساء [\*] . ويجب تطبيق الجزاء نفسه على من يخون عهد  
التصيرية ، ويوح بأسرار العقائد ، [\*\*] .

يتضح لنا من هذا ، ان التصيريين يعتقدون بحلول الالهية في على ، ونرى في  
السورة الحادية عشر من كتاب المجموع هذه البارة «اشهد بأن ليس اله الا على بن ابي  
طالب الاصلح المعبود» ، وهي تنطق بحقيقة تلك العقيدة واسسها . ولائمة تمثل تأييداً في  
الارض ولعدم وجود الائمة اليوم ، كان من المحتم اقامة المشايخ عنهم . وهؤلاء لهم السيطرة

(\*) سور كتاب المجموع .  
(\*\*) كتاب الباكورة

الثامة على دين الافراد ودنياهم . وكل نصيري من اى طبقة كان مجهول على استشارة الشيخ قبل مباشرة بأى عمل كان  
يقرأ النصيري في السودة الخامسة من كتاب المجموع « . . . واشهد بان السيد محمد خلق السيد سلمان من نور نوره وجملة بابه وحامل كتابه » .

ن ما فصله سليمان اقدى مؤلف كتاب الباكورة هو افصح واوضح :  
يستمد النصيريون ان عليا « اب » ومحمد « ابن » وسليمان الفارسي « روح القدس » ؛ وان سلمان الفارسي خلق الايتام الخمسة المولجين بادارة السكون . وخلق « مقدار بن الاسود الكندي » ، من هؤلاء الايتام « الرعد والزئزال والصواعق » . وامر « ابو ذر المقاري » بتنظيم حركات اللواكب الديارة والثابتة ؛ و « عبدالله بن رواحه الانصاري » ، مادارة الارواح ، وقبض الارواح ، و « عثمان بن مطعون التجاشي » بتفقد حرارة الاحسام وتمهد الامراض البشرية ؛ و « قنبر بن كادان الدوسي » باطادة الارواح الى الاجسام . ونقشها فيها .

ويعبر عن الثالث برمز قدس يسمى يسمنونه سر ( ع — م — س ) . ولهذا الرمز موقع عظيم في التماثل الدينية عند البيريين . ومدول « ف الد ع » هو « علي » وال « م » ، ( محمد ) وال « س » ، سلمان الفارسي . وقد حاش في السودة الرابعة من كتاب المجموع ما يتعلق بن قدسية هذا السر ، وعظم موقعه : فقول :

« احسن تولى الله ، وطريق الله ، واحسن سمى واستماعى من شيعى ومرشدى المنعم كما انعم الله عليه بعمرة « ع ، م ، س » وهى بشهادة ان لا اله الا على بن ابي طالب الاصابع ، الانزع ، المسمود ! ولا حجاب الا ايد محمد المحمود ؛ ولا باب الا السيد سلمان الفارسي المقصود . . . »

ويمكن اجمال هذه العبارة مع الجمل الآتية بما يأتى :

ع	م	س
على	محمد	سليمان
معنى	اسم	باب

« يقول التصفيون « قدم الى الباب ، واركع امام الاسم . واعبد المعنى » . وهذا يرمي على اعطة دعم ان عليا اقدس من الجميع . ويزعمون ان الاوقات الخمسة يقصد بها الا « خاص الخمسة لمقتدسة لديهم . وقبضون صلاة الظهر باسم ( محمد ) ، والعصر باسم « ماضية » ، وبتعيرهم « فاطر » وصلاة المغرب باسم « الحسن » ، والعشاء باسم « الحسين » والصبح باسم « محسن » ؛ ويستمدون ايضا بان الالهية تمثلت في هؤلاء الخمسة ، كما تمثلت في علي . و « اعجب العجب ان النصيريين لم يختلفوا في وحدانية الرب ويسمون



[٦] — اقسام النصيريين — ( فرقة الحيدرية ) — ان اشتقاق هذا الاسم هو من كلمة حيدره ، وهى اسم للأسد . واشتهر منتسبو هذه الفرقة بـ « عدم التملب فى العقائد القديمة » ، وسهولة الاقبال على المعتقدات الاجنبية . وهم يتركون اعتقادهم بان محمداً « عليه السلام » هو الشمس ، وسلمان الفارسي هو القمر ، لغيرهم من الفرق . وقد سيطرت على فكرة اسلافهم فى زمن الفتيقيين عقيدة « جزيرة ادواد » وشيدت يومئذ فى جبالهم معابد خاصة لاسقالون *Ascalon* واستارته *Ostarié* من الالهة . وما نراه اليوم من عبادة بعض القوم للشمس والامر يطلعا على ان الديانة الفتيقية لا تزال اهما بقية من حياة ويوجد هناك « حصن سليمان » مقوض البنيان خاوياً على عروشها مرتككاً ناقضه فوق معبد بوتوسه *Boutéoussé* الذى كان مبنياً على تلك الجبال باسم الالهة المحلية . اما المقام الذى فى جانبه فهو محترم للغاية عند النصيريين . ولم يزل وقف البنس الكواعب والذكران من الحيوانات مألوفاً عندهم ، ويتحمل ان تكون هذه المادة من مخلفات الفتيقيين ايضاً .

( فرقة الشهابية ، او الشمسية ) — يعتقد اشباع هذه الفرقة من النصيريين ان المعبود الاعظم ، « علي بن ابي طالب » الذى هو السماء . يقطن فى لشمس التى تمثل محمداً « عليه السلام » . وتوجد فى السورة ١١ و ١٢ من كتاب المجموع اشارة على ان علياً حل فى قرص الشمس . وعقيدة الشماليين تتكون من امتزاج محبة علي ، التى بثها الاجاسب فى قلوب النصيريين ، مع الدين الحلى .

هذا الشماليون حذو الاقوام القديمة فى سورية ، اذ كانوا يعبدون آلهة مقامه الشمس *Helios* اسمه « بعل سامين » ؛ والشماليون يزعمون ان « بن ابي طالب الذى هو آلهتهم — بعل سامين — مقيم فى الشمس ايضاً .

ان كلمة الشماليين يجب ان تكون مشتقة من الشمال . ولكن معظم السكان فى المسم الشمالي من جبال النصيرية هم من الحيدريين . ولذلك لا يكون هذا الزعم صحيحاً . ان محمداً « عليه السلام » — كما يزعم الشماليون — هو « اسم » علي ومقره ، وله جميع باسه وتدرته . وتدين تحدان فى الليل ، ويفترقان فى النهار . ومحمد هو عين الشمس وهذا السبب حدى بالشماليين الى — اداة الشفق .

يعيد الله يريون فى ١٣ ايلول و ١٧ مارت و ١٦ تشرين الاول وفى شهر نيسان ، ويحرقون البخور فى اعيادهم ، ويشربون النبيذ . ولم يقتبوا هذه المادة من النصارى ، بل سرت اليهم من الاقوام لشرقية .

ومن المعلوم ان هؤلاء يحرمون أكل بعض الحيوانات . وهذا التحريم لم يكن من قبل  
 الهيئة الاسلامية بل يزعمون انه المهي «على» حرم أكل الجمل والارنب والافليس (سلك  
 الحيات) ؛ والاسم «محمد» حرم الخنزير والدم والذكور من الحيوانات ؛ والباب «سلمان» حرم  
 سلك «السلور» الذي يوجد في نهر العاصي وبحيرة انطاكية .

والصحيح ان تحريم هذه الحيوانات كان في الاديان التي قبل الاسلام . وبلي كل حل  
 ان السورين قيدوا انفسهم بهذه القيود قبل التوراة والفرقان ، وقصارى القول ان  
 عقائد الشماليين اليوم كادت تنطبق في أكثر المسائل على اعتقادات اقوام «حران»  
 القديمة .

وما الايتام الخمسة الذين ذكرنا اسمائهم آنفاً ، والمعروفون عند النصيرية بميكائيل واسرافيل  
 وعزرائيل ودردائيل وسالائيل الا الكواكب الخمسة «زحل والمشتري ، المريخ والزهرا  
 وعطارد» ، يبدوا الاقوام القديمة وآلهتهم . وكان الوثنيون مرقداً «حران» يعتقدون  
 ان كلاً من هذه الكواكب هو مقر لاحد الآلهة ، وان كلاً من اولئك الآلهة كان  
 يقوم باحدى الوظائف الخمسة بالايتم الخمسة . ونرى ان المماثلة بين الاعتقادات  
 ظاهرة جداً .

(فرقة الكلازية ، او القمرية) — يخالف اتباع هذه الفرقة ، الفرقة الشمالية .  
 فيقدسون القمر ، مع ان الاولى قدس الشمس وبزعم هؤلاء ان الوحدة الصداقة حلت  
 في القمر ؛ وان قدسية الاله التي بورك في سور كتاب المجموع ، تجلت في القمر لا في  
 الشمس . لان علماً صرح الى التمر بعد ان لبث مدة في ارض وحل به ، وكون اقسامه  
 المظلمة منه . وهو الدم غير مرئي . وحينما ينصل النصيريون من الجسمية ويحلون في السماء  
 ماجدهم التردانية ؛ سيرة آء لهم «على» نافذاته الباقوتية السماوية .

ينتقد بقية النصيريين الكلازيين عادة التمر ، وهؤلاء ينددون على الشماليين ترجيحهم  
 نبي المسلمين على «على» بقراشهم «اؤمن بالوحي محمد» .

ولهم اشارات وترجمات كثيرة ، انبذ المذوف بينهم «عباد التور» الذي يعده  
 الكلازيون «القمر» وانه الشماليون عطلة «الشمس»

يظهر مما قلنا ان اتع بن يقدسور اسماً الشمس والقمر باسمي علي ومحمد وسلمان  
 كما فعل الفيزيون والدرمان من قبل ، لانهم كانوا يعبدون «سبل امر» باسم  
 «الاله الاعلى» و«آله الشمس» باسم «مالايك» و«آله القمر» باسم آتاميول .

ان الاختلاف بين الشماليين والكلازيين كان في تسميتهم «الباب» و«المعنى» ، لان  
 الشماليين يزعمون ان المعنى هو السماء والباب هو القمر ، والكلازيون يعتقدون نقضه اي ان  
 عيا «المعنى» هو «الامر» وسلمان الماربي «الباب» هو «السماء» : وتبقى كلاهما على ان محمداً

« عليه السلام » هو « الشمس » .

أما فرقة الغيبة ، او « طابو الهوا » ، فتزعم ان الله كان مقيماً في الارض ثم اختفى ، وما الزمن الحالى الا ككرة من دور الغيب ؛ وان الله لا تدركه الابصار ، وهو حاضر في كل مكان ، وانه عبارة عن « الهوا » . ولهذا فقد ساهم سليمان افندى مؤلف الباكورة بعباد الهوا .

يبالغ التصيريون بالتكتم واذا احوجهم الامر يتظاهرون بالاسلامية والنصرانية ، وحتى باليهودية . ولما كانت حياتهم بين المسلمين تجدهم يقيمون الصلاة ، ويتظاهرون بالقيام بجميع الفرائض . ويذهبون الى الجوامع ويركعون ويسجدون مع السنيين . وبما ان القراءة في الصلاة لا تكون جهاراً . فهم يقرؤون من سور كتاب المجموع .

يرتكز اساس التصيريين على الانانية وحب النفس . ويزعمون ان الله لما كون العالم جعلهم كوكباً منيرةً . ولكن ما لبث ان اجلاهم الى سطح الارض لاقى منهم السيئات . ويقول مؤسسو هذه العقيدة ، ان ارواح الاقياء من التصيريين تنتقل بعد لموت من جسم الى آخر حتى تنشط من اوزارها ، ثم يكون النشور فترجع الى اصلهم . اى ، تنتقل من الجسمية وتكون كوكباً يلتحق بعالم « المجرة » *Galaxy* ، كما كان من قبل . اما ارواح النصارى فتتقلب في اجسام كثيرة ثم تتمثل في يهودى او مسلماً او نصراني . ويتحقق بها العذاب برهة حتى تطهر من اثار الذنوب وتكون كالفضة اللمعة ، ثم تنساب كوكباً وتلتحق بابنائها في السما . اما المسلمون الذين لا يعبدون علماً فسيبهم ، ان حراً والذرية خنازير ، واليهود قرود . وان الشياطين خالقت من مصاصى الانسان ، وكانت النساء من خطيات الشياطين . ولهذا السبب لا تزال النساء محقرة في نظرهم ، ولا يطاموهن على شئ من عقائدهم ولا اسرارهم .

وقد جاء في السورة الثانية من كتاب المجموع ، ان للروح سبع استحالات تمر عليها ريثما تجرد من المادية ، وتنقلب الى كوكب منير . ويحتمل ان تكون هذه النظرية في الاستحالة ، هي عين الاعتقاد الذى اسسه البابليون بعروج الارواح الى السموات السبع ، وانتقل منهم الى الايرانيين ثم الى الرومانيين .

يستعمل التصيرويون هذه الرموز والكنائيات لمعرفة بعضهم . يسأل الغريب من اهل المنة التى يدخلها . قائلاً :

— هل فيكم من يعرف عمى ؟

فجيبه القرويون :

سبحا اسمه ؟

— بن

وتم القرويون الجلة :

— ابن حمدان .

الفريب :

— الحصبي

او يقول له القرويون :

— كم لعمك من البر ؟

— ستة عشر .

ا ، ادوى عمك غليله ؟

— في عين العلوبة .

وتوجد عندهم بضع كنايات ما عدا هذه .

لا يجوز في مذهب الفرقة الشمالية حلق اللحى ، واكل البنطين واليامية واخافيل  
والبنذرة ، ولا يشبه عندهم استعمال الدخان « اتبع » ولكن الكلاذين لا يبتلون  
بهذا اتبع .

[٧] -- تخاليف الدخول في التصبير - تنقسم اتباع التصبيرة انظارا الى درجة الاطلاع  
على المسائل الدينية الى بضع طبقات ومراتب ذكرها كتاب المجموع في الصورة « ٣١١ »  
وكتبنا آ ثا ن نجح في اثنتين ، اقد اتم المستشرق الشهير « قلهمان هور  
نير » في تصبيره الى « خاص » ، اى الذى دخل في الدين  
والى « عام » ان من لاله نصيب في الدين . شروى الدروز بانقسامهم الى عقال وجهال :  
وبنوف ارتساء العامة الى الطبقة الخاصة على شروط وقود كثيرة . ولا يكون ذلك الا  
بأمر دالاتذ والاطلاع على العقائد بالتدرج .

ان ارادة المعظمي والمحترمين تندى نصيريين ، هم شئ ثلاث مراتب ، فمن كان في  
المرسة الاولى فهو « امام » ، ردى في المربة لانية هو « نقيب » ، والذى في اترتبة  
الثالثة هو « شرب » واكل منهم سلطة تخضع لها الطلبة العامة باسمها ، وكل الاحكام  
التي تصدر عنهم لا يدار بعمل بها .

لما ان اراد امامه لا يدخلون الطبقة الخاصة لا بالتدرج . يدخل اولاً بمن يرشح  
نفسه لذلك الى حضرة الامام وذلك في يوم معين يسمونه بالمشورة . وهناك يبرهن على  
اذلان نفسه بوضع نعل ا ستاذ على راسه ثم ينسرب قدحا من خمر جابس الامام . وبعد

اربعين يوماً يحظى بالثول في يوم يسمونه « الملك » ويشرب القديح حياً طهرج م س .  
ويؤمر بأن يتلو هذه الحروف الثلاثة على ثلاثة ايام في كل يوم خمسمائة مرة ، ويوجد سبعة  
اشهر يأبى المرشح والتقيب على يمينه والتجيب على شماله فيشرب القديح الثالث ، ثم يقدمه  
احد الحاضرين الى الاستاذ الذي يسمونه « المرشد » . وهناك يقرأ التقيب والتجيب بضم  
قصائد دينية . ثم ينهض المرشد ويقف متجهاً نحو الامام ويتلو بعض سور من كتاب  
المجموع . ثم تجرى بين الامام والمرشد محاورة عملة لا حاجة لتفصيلها وبسبب ذلك يطلب  
المرشد تأديب المرشح .

يسأل الامام عن ارشد المرشح ، فيجابه المرشد ، انه مدفوع بهداية المعنى القديم  
والاسم العظيم ، والباب الكريم [ اى : ع م س ] . وهذا الانسان لا ينفك المرشح يتقدم  
ويأخر ، ويشجع ايدى الامام وازياله ثقيلاً : وهناك ينظر البسه الامام بنظرة ملؤها  
التهتم والجد ، ويساله هل يشترى الاحتفاظ بهذه الاسرار المقدسة بحياته . فيقول : نعم  
فيطابه بالامة مائة كفيل ، ولكن بتوسط من حضر في المجلس فيحطون المقدار الى اثني  
عشر ، وهؤلاء يدعون الى حضرة الامام ويرضون بالكفالة ، ويقولون [ عهدنا بميثاقنا  
على ان قتل اخانا هذا الذي كفناه . اذا خالف الواجب واذاغ السر ] . ثم يقوم اثنان  
من الجمع فيكفلان هؤلاء الاثني عشر ايضاً وحيث تنجلي البوسة عن صحيفة الامم فيرحب  
بالجمع ، ويتلواهم بوجه بشوش . ثم يؤكد ايمان المرشح بتحليفه بكتاب المجموع تأمينا  
لصيانة السر ويجازفه في الوعد والوعيد ويقف هنيئة . فيادر الكفلاء ويضعون ايديهم  
على رأس المرشح يأخذون قراءة بضع سور من كتابهم المقدس ، ثم يسقونه قدحاً من  
نبيذ ، ويدعونه ليحفظ هذه الجملة [ باسم الله والله وسر السيد ابي عبدالله ( حسين بن  
حمدان الحلي ) العارف بمعرفة الله سر تذكاره الصالح سره اسع . الله ] .

وبعد انتهاء هذه التقاليد ، يأخذ المرشد [ \* ] بيد الرجل الى بيته وبعد ان علمه على  
اصول الدين ، يشرع في تعاميه كتاب المجموع المحتوى على ست عشرة سورة ، بالادوة  
الشائم التي تتضمن اغلظ السب على ( ابي بكر وعمر وعثمان ) الذين يسمونهم بالاضداد  
الثلاثة . وبهذا يدخل المرشح في طبعة الخواص بعد ما يتكبد عذاب الامتداد ، ونقاسى  
مضض هاتيك التقاليد مدة طويلة .

يجب في المرشح ان يكون نصرياً ، اب وجد ، ويكون متجاوزاً في العمر الى عشرين  
سنة ، ولا يكون من النساء .

ان سورة الشائم تتضمن الشتوم الغليظة على [ ابي بكر وعمر وعثمان وطلحة وسعد

( \* ) ويسمى عندهم « الم » ، وهو بمثابة الاب للمرشح . ولا يسوع له كاح انة المرشد .

ونصليهم ومطالعة على الوثائق وخطبهم وابنه يزيد والخطيب ابو عبد الملك بن سنان واهل الدوف الرشيد ، وعلى كافة المسلمين المنتمين الى المذاهب الاربعة ، واليهود والنصارى بخالده البليوي والخطيب احمد الوفاي ، والشيخ ابراهيم الدسوقي والخطيب محمد المنري ، والشيخ عبد القادر الكيلاني من النصارى ، وعلى الجبل بن كركر واسحق الاخير وقيدار ومسيب الطلس وغيرهم من الجهوليين . (\*)

بنفهم مما فصلنا ان العقيدة النصيرية لا يعرفها الا من كان في طبقة الخواص ، اما العوام ولا سيما النساء اللاتي خلقن من اوزار ابليس ، لا يزالون مبعدين عنها . غير انهم لا يرون بأ-أ بطالاع الرجال من العوام على بعض المعلومات الدينية البسيطة .

[٨] — اعياد النصيريين — ربما يؤمل القارئ ان بحث الاعياد يطلعه على شيء من العقائد . ولكن هذه الفرقة التي قدس على بن ابي طالب لم تكثر في اكثر اعيادها بالتقاليد لدينية مطلقاً .

كانت العوائف التي تقطن الجبال الشمالية من سورة قبل الاسلام تعيش محاطة بالنصرانية ، فحذت حذوها وانتقوا ايام الراحة . ومن المعلوم ان معظم اعياد النصارى كانت موحودة عند قدماء الوثنيين [\*\*] . ثم جاء الاسماعيليون مهاجرين الى انحاء قدموس واثنا سبباً لدخول كثير من اعياد الرب والمجم على الطائفة النصيرية جارتهم . وقد جمع هذه اعياد «ميمون بن العاسم» احد مشايخ النصيرية في كتاب سماه «كتاب الاعياد» . لا يتفطن النصيريون لاعيادهم في الجوامع والكنائس كما يفعل المسلمون والنصارى بل يكون ذلك في بات «صاحب العيد» من بينهم . فيقرأ المشايخ في تلك البيوت الادعية المندوجة في كتاب الباكورة . ثم يشترك الجميع في الوليمة المعدة .

ان اعظم اعيادهم هو (عيد الفدير) الذي يكون في اليوم الثامن عشر من شهر ذي الحجة . وهذا العيد الذي اجمع عليه (سنة ٣٣٥ هجرية) في العراق و (سنة ٣٦٢) في الحطة المصرية انتقل الى النصيريين عن الشيعة .

يزعم الشيعة ان النبي (صلم) كان قائلاً من الحجج ، فزنى عليه الوحي وامر بالبيع فوقف بموكبه البوي في مكان اسمه «غدير خم» وقرأ على الجميع :

(\*) كتاب الباكورة ص ٤٤

(\*\*) من الحلة ، فقد ابدل النصارى عيد (Dies natalis solis invicti) المعروف عندالة ماء بعيد ميلاد عيسى ، واقاموا اعياد سن حان تأسست مكان عيد التحول الصيني . وهذه الاعياد تزوج بين السنة الشمسية والقمرية كما هو عند النصيريين . فيكون بعضهم ثابتاً والاخر متحولاً .

[يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك ، فان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يصمك من الناس] . ثم قال :

[ من كنت مولاه فعلي مولاه . اللهم وال من والاه و عاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله ] [\*] وعليه لا يستغرب من الشيعة الذين يؤمنون بصدق هذه الحادثة ان يعظموا يوم ١٨ ذى الحجة ويحجوه . وقد اختلف العلماء السنيون في عبارة هذا الحديث . والتصيريون يكثرون من قراءة الخطب والادعية في هذا اليوم العظيم . ويوجد في كتاب الاعياد التفصيل الممل عن هذا البحث الذي اضرنا عنه خشية الاسهاب .

ان كل عيد ، بل كل شهر عند التصيريين يمثل شخصاً من رجال الدين . مثلاً : ان عيد المطر عند السنيين هو « عيد محمد » على زعمهم ! وعيد الاضحي هو عيد « اسماعيل بن هاجر » ويوم ٢١ ذى الحجة هو عيد « المباهلة » . وفي هذا العيد الاخير حصل نزاع بين النبي (صلم) وبين نصارى نجران . وكان معه « علي وفاطمة والحسن والحسين » . اما ٢٩ ذى الحجة فهو اليوم الذي دخل فيه ( علي ) فراش النبي (صلم) ومكنه من الهجرة ليسلم من كيد المشركين ولذلك يسمونه ( يد الفراش ) . ولا يتظاهر الصيريون بما يدل على اكتسابهم في يوم عاشوراء\* (١٠ محرم) الذي يمتنحه الشيعة ويخصونه بمظاهرهم الدينية المعروفة . وسبب ذلك هو عدم اتمامهم بقتل الحسين بل يزعمون انه استتر . ويعتقدون عين الاعتقاد في عيسى (عليه السلام) .

ومن اعيادهم ايضاً يوم ٢٩ ربيع الاول و ١٥ شعبان . ويزعمون في الاول ان النبي (صلم) دافيه الى الحسن والحسين ولعن اعدائهم ، اما الثاني فهو يوم الحسين . يجتمع الصيريون ليلة هذا اليوم ويقدسون اسماء الله ويتباركون بذكرى « درجاته » و « ابوابه » . ويتعاطون الحزن الذي يسمونه « عبد التور » ويعبدونه رمزاً لعلي ، على اتم السرور والصفاء . ولهم ما عدا هذه الاعياد « عيد الميلاد » . ويكون ليلة ( ٢٤ - ٢٥ ) كانون الاول . وتلقوا عن قدماء المعجم عيد التوروز ، والمهرجان ويكونا في الاعتدال الربيعي والربيعي . ولهم عيد آخر في ١٧ مارت .

١ - ليلة عيد الميلاد هي الالة التي ولد فيها عيسى (عليه السلام) من مريم ذات طهر والعفاف . ويزعم بعض العلماء ان التصيريين اقتبسوا هذا العيد من النصارى . وانكره دوسو ينكر ذلك ويقول :

(\*) كتاب الاعياد .

الكثيرة ما يعطى الاسراييليين الذين كانت لهم السلطة الثالثة بين النصيريين بمنطقة الاكبان المحلية ثم يضيفون اليها دهوراً ومكان من عندهم . وان يوم الميلاد هو حين اعياد ميلسيرا *Milstra* وميلقار *Milquart* عند القدماء . وكان معدوداً من الايام المعروفة عند الرومانيين .

وقد اخذ النصارى هذا العيد ، وكثيراً من ايام الوثنيين ، وقدمى الاقوام الحراتية ايضاً ما افكروا يعظمون هذا اليوم ويقدسونه الى ان تسلط عليهم العرب . ولذلك لا نخطأ اذا حكمنا على ان النصيريين الذين اقتبسوا كثيراً من عوائد الحراتيين ، اخذوا يعظمون يوم الانقلاب الشتوى ، او بالاجدد يوم « ميلاد الشمس » . (\*)

لم يبحث كتاب الاعياد الا عن هذه الاعياد التى ذكرناها . ولكن للنصيريين اياماً دينية فى الدرجة الثانية مثل عيد البهارة *Ste Barbe* (١٦ تشرين الاول) المعروف عند النصارى ، وعيد القديس المصادف لعيد القصب (*Dimanche des Rameaux*) .

[٩] — الطغى فى النصيرة — قبل ان نختم هذا الاجال التاريخى فى الديانة النصيرية ، نريد ان نبحث نبذة عن تعرض المسلمين والنصارى على هذه الفئة ، وما يلقون بها من المعادات الذميمة . من المسلم لدى المتوغلين فى تاريخ الاديان ان العقيدة الدينية اذا كانت قليلة الافراد ، مسورة بالحصوم والمخالفين لا بد لها ان تكون عرضة للظلم والقبح .

لذلك كانت النصرانية فى بادى امرها هدفاً لتعرض الرومانيين ومفترياتهم . ثم ان النصارى ما كادوا يؤسسون الدول القوية فى القرون الوسطى الا وتسلطوا على من يخالف معتقدهم باسلحتهم ومظالمهم وملوكهم المستبدة .

ما زال النصيريون الذين استطاعوا الاحتفاظ بكيانهم رغمًا عن قلة عددهم بالنسبة الى السنين والشيعيين فى سورية ، عرضة للظلم والتشجيع ، والصاق التهم منذ القرن الخامس للهجرة . فهل صحيحة يا ترى تلك التهم ؟ ها نحن نطرق هذا البحث من الوجهة العلمية ، ونفحصه باسم الحقيقة وعلى اتم الحياد .

ما زالت فلسطين ، او بالأصح سورية تعتبر مهد الاديان . ولم تزل دفاتر احوال سكانها وافكارهم محشوة بمسائل الاديان والمذاهب . حلت النصرانية بادى امرها فى انطاكية . ثم اخذت تغطى مركزها الى ان شملت اقطار المصورة ، وهكذا الاسلامية ما كادت تظهر الا وكسرت بسرعة البرق الى جميع الانحاء . ورغمًا عن هذا لم يقسن لسورية ان ترى

(\*) *Histoire des Nosairiens* p. 148.



ويجئ الدين حتى ولا في يوم الميعاد الموعود، فما كبر بارحاً على كمال قوته هذه بالذات هي، هو وجود أكثر من ثلاثين مذنباً بين المسلمين، اليهود، والنصارى، إلا أن جاحشهم ثلاثون مائة من القسطنطينية.

١. من طعن في النصيرين هو « حمزة بن علي » وزير الحاكم بأمر الله (الفاطمي) في الرسالة التي ألفها لهذه الغاية، كان لها الوقع العظيم؛ فذلك لأنه ذاهب من العلم للأوروبي في زمان لم يكن فيه غيرها من الآثار الباقية عن النصيرين.

يقول حمزة [ إن النصيرين لا يحرمون القتل ولا السرقة، ولا الكذب ولا الافتراء، ولا الزنا حتى ولا اللواط. ولا يحجب عريقو النصيرية نساءهم وبناتهم عن بعضهم، ولا يعشون بكل ما يمكن جهوده بين الرجال والنساء. والا فلا يكمل إيمانهم ] سليمان أفندي مؤلف الباكورة السليمانية يقول في الصحيفة (٥٨) من كتابه: [ الزنا عند الكلازيين فرض لازم. فإذا حل الإمام ضيقاً عند أحد الأخوان، يكون من واجب ربه البيت إكرامه بتقديم امرأته له. لأن هذا التقديم فرض لازم، وحق واجب. ومن لم يفعل ذلك فلن يدخل الجنة. أما الطبقة العامة فلا علم لها بهذه الأمور ].

لعل هذه الاتهامات مختلفة. إذ لا يعثر في كتب النصيرية، ولا في أغانيهم على أدنى إشارة تدل على صحتها. وقد اجمع كل من احتك بهذه الطائفة واخبرها على أن لا صحة لوجود تلك الرذائل الأخلاقية فيهم. ولعل مؤلف الرسالة الدامغة استهجن من النصيرين عدم الاحتجاب، فحضر أخاها بإسداسه وتشفى منهم بهذه التهمة المشينة.

لا تبعد، اليس كثيراً من السذج الذين يستأثرون من عدم التحجب ويشنعونه، يرشقون بعين التهمة من لا يحتجب من نساء الأمم الراقية في هذا الزمان العشرين؟

لم تحصر هذه الاتهامات في النصيرين فقط، بل لم تنج منها كل فرقة خالفت ولو قليلاً من المرائض التي أمر بها القرآن الشريف بنص صريح. والنصيريون الذين ما زالوا عرضة لاتهامات المسلمين، وحتى التصادى ومفترياتهم يبالغون اليوم في الامتناع عن الإحهار بحقيقة عقائدهم. ويقول سايمان أفندي: [ إذا لقي النصيريون المسلمين يتمسكون بالاسلامية، ويدعون أنهم يصومون ويصلون. ولكنهم لا يصومون، ويصلون رياءً إذا أوجبهم الأمر ووجدوا في أحد الجوامع مع المسلمين، فيركعون ويجدون. ويلعنون « أبا بكر وعمر، وعثمان » ويمرهم من أصحابه في قيامهم وقعودهم ] (\*\*).

(\*) الرسالة الدامغة للفاطمي، الرد على النصيرية.

(\*\*) الباكورة، ص ٨٢.

## الشدائد: وتعالجها

الشدائد: الشدائد هي الصعوبات التي يواجهها الإنسان في حياته. وقد ورد في القرآن الكريم ما يلي: «وَلَا يَسْأَلُكَ اللَّهُ عَمَّا تَعْمَلُ إِلَّا شَرًّا» (النحل: ١٠٨). وهذا يعني أن الله لا يسأل عن أعمالنا إلا ما هو شر. والشدائد هي الصعوبات التي يواجهها الإنسان في حياته. وقد ورد في القرآن الكريم ما يلي: «وَلَا يَسْأَلُكَ اللَّهُ عَمَّا تَعْمَلُ إِلَّا شَرًّا» (النحل: ١٠٨). وهذا يعني أن الله لا يسأل عن أعمالنا إلا ما هو شر. والشدائد هي الصعوبات التي يواجهها الإنسان في حياته. وقد ورد في القرآن الكريم ما يلي: «وَلَا يَسْأَلُكَ اللَّهُ عَمَّا تَعْمَلُ إِلَّا شَرًّا» (النحل: ١٠٨). وهذا يعني أن الله لا يسأل عن أعمالنا إلا ما هو شر.

[١٠] - كتاب المجموع - ها نحن نأثني بالسور النصيرية المدونة في كتاب المجموع:

## ١. سورة الاول

قد افلح من اصبح بولاية الاجلح [\*] ، استفق باني عبد استفحت باول اجاتي بحب  
قدس معنوية [\*] امير النحل [\*\*\*] على ابن ابى طالب المكفي بجدة ابي تراب [\*\*\*\*] .  
فيه استفحت وفيه استفحت ، وبذكره افوز وفيه انحو واليه الجاء ، وفيه تباركت . وفيه  
استعت ، وفيه بدأت وفيه ختمت بصحة الدين وثبات اليقين .  
قال السيد ابو شبيب محمد بن نصير [\*\*\*\*] بن معين السامري ، يا محي اذا نزلت بك  
نزلة بالحياة ، ودهت بك داهية بالميات ، فادع دعوة عالية خالصة مخلصه ، تقية تقية بوضا  
علوية ، طاهرة زكية مشعشة نورانية ، تخلصك من هذه القمصان [\*\*\*\*] البشرية  
الصحية الدموية وتاجتلك بالهياكل التورانية ، فقل فيك تباركت يا دليلاً بدلته ، يا ظاهراً  
بقدرته يا باطناً بحكمته ، يا مجيباً ذاته بذاته ، يا مخاطباً اسمه بصفاته ، يا هو ، يا كل قديم  
يا ازل لم تزل ، يا معلل الملل ، يا معنى حركات الدول ، يا غاية الغايات يا منهي النهايات ،  
يا عالم باسرار الحفريات ، يا حاضر يا موحود ، يا ظاهر يا مقصود ، يا باطناً بغير غموض ، يا من  
انوارك منك تشرق ، وبك تغرب ومنك بدت واليك تعود ، يا من جعل لكل نور ظهوراً  
واكل ظهور اسماً ، ولكل اسم مكاناً واكل مكان مقاماً ، ولكل مقام باباً ، يرشد الالب  
منه اليه ، ويدخل الباب منه اليه ، وانت يا امير لنحل يا علي بن ابى طالب ، الدليل عليه  
والكل انت هو ، يا هو يا هو ، يا من لا يعلم ما هو الا هو واستلك بمسائل السنين ،  
سالكين سالكاً ، سالا - سالك ، سالك بما سالك به السائلون ، وبدرشد المرشدين ، وعلى

(\*) هو على رضى الله عنه

(\*\*) هي اسم للنصيرين .

(\*\*\*) كنية على عند الحيدريين

(\*\*\*\*) هو جسم الاسان

(\*\*) يقصد من النحل ، النجوم

(\*\*\*\*) هو الشخص الذى ينسب اليه النصيريون

زين الدين والمأيدين ، انت تؤلف ما بين قلوبنا وقلوب اخواننا المؤمنين ، على البر والتقوى والتقويم والعلم والدين ، نذكر حضرتك الطاهرة وقدرتك الباهرة ، ورحمتك الشاملة والفرص اللازمة ، والحق الواجب ، هي اسرار وتذكارات وجلال والافتخار ، ومن انتصار وطلعت الزاهرة ، وقبايك الفاخرة وقبة العلى وتاج الهدى ، والدين القيم والصراط المستقيم ، ومن صرف باطنه وظاهره وقاز ونجسا . الذى قد عرفنا به سيدنا سلسل سلمان يتلى ، وقد دلنا عليه وارشدنا اليه شيخنا وسيدنا تاج رؤسنا وقدة وديننا وقرة اعيننا ، السيد ابو عبدالله الحسين بن حيدان الحصىي قدس العلى روحه لان مقامه مقام الصفا وعمله محل الصدق والوقار بسم الله وبالله وسر السيد ابى عبدالله العارف معرفة الله سر تذكاره الصالح سره ، اسعده الله . انتهت .

## ٧ سورة تهدية ابن الولي

يا حسن ما يرى التام في منامه ، وهو يسمع الحس ، ولم ير الشخص وهو ينادى ويقول ليك ليك يا امير النحل . يا على بن ابى طالب ، يا رغبة كل راغب ، يا قدما باللاهوت ، يا معدن الملكوت . انت الهنا باطنا وامانا ظاهرا ، يا من ظهرت فيما ابطنت وابطنت فيما ظهرت ، وظهرت بالاستتار ، واستترت بالظهور وظهرت بالذاتية وتعاليت بالعلوية ، واحتجبت بالمحمدية ، ودعوت من نفسك الى نفسك بنفسك . انت يا امير النحل يا على ، اشرق نورك ، وابرز سفورك ، وسطع ضياك وتمظلت آلائك ، وجل ثنائك بان تؤمنى من شر مسوحياتك لنا وجميع اخواننا المؤمنين من شر الفسخ والنسخ والمسح والوسخ والرسخ (\*) والقش والقشاش انك على ذلك قدير سر ، الولي بن الولي ابى الحسين محمد بن على الجلى علينا من ذكره السلام . سره اسعده الله .

## ٣ . سورة تهدية ابى سيد

اسألك يا مالك الملك ، يا امير النحل يا على يا وهاب يا ازلى يا تواب يا داحى الباب (١) اسالك بالحمة المصطفية (٢) والسة التجلية (٣) وبالسة الكواكب الدرية (٤) وبالثمانية

(\*) النسخ حلول الروح في جسم موزول ، والنسخ حلولها في الحيوان ، والفسخ حلولها في النبات ،

(١) اى الذى امر سلمان الفارسى بالتبشير .

(٢) هي اوقات الصلاة الخمس التى سبق ذكرها .

(٣) الايات الخمسة التى ذكرت في سورة الفتح مع سلمان الفارسى .

(٤) الكواكب السبعة .

## الامامة والمناقب

حقيقة الميراث القويّة (٥) وبالنسبة الحمدية (٦) وبالعشرة الدجاجة، الذكيّة (٧) وبالأجند  
عشر مطالع البابية (٨) وبالأثنى عشر سطر الامامية (٩) بحققهم عندك يا طلبة الكلية . يا ابا  
الفضل يا صاحب الدولة العالية يا من انت الاحد ، واسك الواحد ، وبابك الوحدة  
يا من ظهرت في الميع القباب الذاتية ، بان تجعل قلوبنا وجوارحنا ثابتة على معرفتك  
الزكية ، وخلصنا من هذه الهياكل الناسوبية ، ولبنا القمصان النورانية بين الكواكب  
السموية . نذكر حضرة شيخنا وسيدنا الاجل الاكبر الشاب التقى ابا سعيد الميمون بن  
قاسم الطبراني المارف معرفة الله المكف عما حرم الذي اخذ حقه بيده من قفا ابى ذهبيّة  
وعلى ابى ذهبيّة لعنة الله وعلى ابى سعيد السلام ورحمة الله . سر ابى سعيد الشاب التقى  
الحرم الميمون بن قاسم الطبراني ، سره اسعده الله .

## ٤ . سورة النسبة

احسن توفيق بالله وطريقي لله ، واحسن سمعي واستماعي من شيعي وسيد  
ومرشدي (\*) المتعم على كما انتم عليه بمعرفة (ع م س) وهي شهادة ان لا اله الا  
بن ابى طالب الاصلح الانزع (\*\*\*) المبود ؛ ولا حجاب الا السيد محمد المحمود ، ولا باب  
الا السيد سلمان القادسي المقصود (\*\*\*) وهذا ما سمعته من شيعي وسيدى ، غلب  
ومعتمدى ومهدينى الى طريق التجارة ، وموردنى الى ينبوع الحياة ، ومعتمدى رقبتي . ن  
رق العبودية ، بمعرفة كنه الذات العالية ، السيد الفاضل والضوء العظيم عمى وشخص  
وسيدى وتاج راسى ووالدى الحقيقى احمد . وقد التى الى هذا السر العظيم فى سنة كذا

-- --

- (٥) الخمسة ايتام ومعهم طالب وعقيل وحضر الطيار .
- (٦) هم محمد ، حسن ، حسين ، على زين العابدين ، محمد الباقر ، جعفر الصادق ، موسى الكاظم ، على  
الرضا ، محمد الجواد .
- (٧) الايتام الخمسة ومعهم : وفل ابو الحارث ، محمد بن الحنفية ابو برزة ، عبدالله بن فضله
- (٨) رويه بن المرزبان ، ابو الملا ، رشيد الهرى . كنكر بن ابى خالد الكامل ، يحيى بن ممر ،  
جار بن يزيد الجعفي ، محمد بن ابى زينب الكاهلي ، الفضل بن عمر ، عمر بن الفضل ، محمد بن بصير الكركي  
النجيري ، دحة بن خليفة الكلبي ، السيدة ام سلمة ،
- (٩) هم ما عدا التسعة الحمدية : على الهادي ، الحسن العسكري ، محمد بن حسن الحجة . وهؤلاء  
اثمة الشيعة الاثني عشر وقد ذكرنا هنا محمد بدلاً عن علي . وبهذا الاعتماد يفترق النصريون عن  
الاسماعيليين .

- (\*) هو اسم لمن يدخل احد النصريين فى الطبقة الخاصة
- (\*\*) كناية عن الاسد الذى يشبهه على ويقصد من سر النصيرية الحماة ،
- (\*\*\*) امرئ صريح لسر (ع م س) .

وكذا في كذا ويوم كذا منه وسمع احمد من ابراهيم ، وسمع ابراهيم من قاسم  
 وسمع قاسم من علي وسمع علي من احمد ، وسمع احمد من الحسن والحسين ، وسمع  
 وسمع سلمان من صباح وسمع صباح من يوسف وسمع يوسف من جبرائيل ، وسمع  
 جبرائيل من معلى وسمع معلى من ياسين ، وسمع ياسين من عيسى وسمع عيسى من محمد  
 وسمع محمد من هدا محمد ، وسمع هدا محمد من رضى احمد وسمع رضى احمد من صفدى  
 وسمع صفدى من بلاذرى اسد ، وسمع بلاذرى اسد من حسان الرشيقى وسمع حسان  
 الرشيقى من محمد ، وسمع محمد من مرهف مصر وسمع مرهف مصر من عقد جبرائيل  
 وسمع عقد جبرائيل من عبدالله الجوعلى ، وسمع عبدالله الجوعلى من اسماعيل الفساف  
 وسمع اسماعيل الفساف من جعفر الوراق ، وسمع جعفر الوراق من احمد الطراز و  
 احمد الطراز من ابى الحسين محمد بن على الجلى ، وسمع ابو الحسين محمد بن على الجلى من  
 السيد ابى عبدالله الحسين بن حمدان الحصى ، وسمع ابو عبدالله من شيخه وسيد محمد  
 عبدالله بن محمد الجنان الحبلى من العابد الزاهد الذى هو من بلد فارس ، وسمع عبدالله  
 الجنان الحبلى من محمد بن جذب وسمع محمد بن جذب من السيد ابى شعيب محمد بن  
 نصير المبدى البترى النيرى (١) الذى هو اب الحسن الآخر العسكرى منه السلام ، ابى  
 التسليم ، ومن محمد بن نصير اقام النسب والدين ، وتعالى مولانا الحسن العسكرى عما  
 يقول الصالحون وطلق الظالمون علواً كبيراً ، سر الدين و سر اخواننا الجليلين ابن ما كان  
 منهم مكن ، بسرهم اسعدهم الله اجمعين ، واتهد بان الحسن الآخر العسكرى هو الاول  
 والاخر وهو اباطن والظاهر وهو على كل شئ قدير .

#### • • سورة الفتح

[ اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله افواجا فسيب محمد ربه  
 واستغفره انه كان تواباً ] . اشهد بان مولاي امير التحل على خترع السيد محمد من نور  
 ذاته وسماه اسمه وذاته وعرشه وكرسه وصفاته متصل به ولا منفصل عنه ولا مضاً به  
 بحقيقة الاتصال ، ولا منفصل عنه في مباعدة الانفصال . متصل به بالنور منفصل عنه  
 بمشاهدة الظهور . فهو منه كحس النفس من انفس او كشعاع الشمس من الفرس • •  
 كدوى الماء من الماء او كالفتق من الرق (١) وكلمع لبرق من البرق ، او كالنظرة من

\* سر تفصيل هذه المسئلة في البحث الخاص .

١ يستند الاسماعيليون فيما قبه علمية . فالرق هو حال الكون قبل تكوين الاله والفتق حاله  
 بعد الخلق .





الهدى ، واهتدى وخشى من عواقب الردى ، واطاع الملك العلى الاعلى وافر بر بوبية محمد المصطفى ، السلام على المساية النبى ، واربعة وعشرين الف نبى ، اولهم باب وآخزهم لاحق ، السلام عليكم يا عباد الله الصالحين ، جمع الله شملنا وشملكم فى جنة النعيم ، بين الكواكب السمايين .

٨ . سورة الاشارة (٥)

سبحان آله خضعت له الرقاب ، وذلت له الامور الشداد الصعاب ، فقد ارتفع العقد والاشارة من السيد محمد المصطفى فى يوم عين الغدير خم الذى شرفه وفضله عند الله مقام عظيم ، انا عبد من المشيرين اليك يا امير التحل يا على يا عظيم بالتوحيد والتفريد والتزيه والتجريد لك يا على يا عظيم يا ازل يا قديم يا بارى يا حكيم اسألك بحق الدعوة التى دعاك بها السيد محمد وهو خارج من باب مكة ، وراكب المطية البيضاء وهو ينادى ويقول الجهاد الجهاد ، الحراب الحراب فى سبيل الله وهذه اشارتى اليك يا نور التور يا قاتل الصخور وزاجر البحور ومدبر الامور ان تسكن المؤمنين فى جنتك العليا التى رضوان خازنها ويا فوز عبد رجاها ، فاذا بالذى من قبل السلا من جانب الطور الايمن من الشجرة المباركة ينادى ويقول يا حبيبي يا محمد اى عبد دعانى بهذه الدعوة بصفو قلبه وخالص يقينه نهار الخميس النصف من نيسان ، او عشية الجمعة او ليلة النصف من شعبان او فى خمس ليال من شهر رمضان او يوم القديس او ليلة الميلاد او يوم عيد الغدير ، الا جعلته من امتى واسكنته جنتى ، واسقيه بكأس رحمتى واجعله مع المؤمنين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . رفعت اشارتى بسر العين العلوية ، بسر الميم المحمدية ، بسر السين السلسلية بسر ( ع م س ) ، اول دعائنا نشير لمعانا ، ونقول باسم الله الرحمن الرحيم وآخر دعائنا نشكر من هدانا ، ونقول الحمد لله رب العالمين ،

٩ ، سورة العين العلوية

بسر العين العلوية الذاتية الظاهرة الازوعية ، بسر الميم المحمدية الهاشمية الملوكوتية الحجابية ، القرصية التورانية ، بسر السين السلسلية الحبرائيلية السلمانية البابية البكرية النصرية ، بسر ( ع م س ) .

(٩) هى اشارة الى ان الهى صلعم نصب على حليمة من بده فى محل يدعى غدير خا والمدرون يسطون اكفهم على بطونهم حين قرائتهم هذه السورة يشيرون بها الى الوحدة الصيرية التى تركب من حسة اشخاص . ويضمون اصابعهم كالمصارى ، يشعرون بها الندامة . اما الكلازيون او القمريون فاسهم يضعون ايديهم على صدورهم بصورة تشبه للاشارة الدينية التى كانت يشار بها المرهء ( وهوس فى الشرق .



اشهد ان الله حق وقوله حق ، وان الحق المبين علي بن ابي طالب الأئمة الطيبين ،  
والنار مشوى للكافرين ، وألجنة روضة للمؤمنين . والمسلم من تحت العرش يطوف وفوق  
العرش رب العالمين ، وحالة العرش الثمانية الكرام الذين هم اليه مقربون ، عدنى في  
شدتى وعدة المؤمنين ، سر عقد م س .

١١ . سورة الشهادة ، والعامة تسميها الجبل (١٠)

شهد الله انه لا آله الا هو والملائكة واولو العلم قائماً بالقسط لا آله الا هو العزيز  
الحكيم . ان الدين عند الله الاسلام . وبنا أمتنا بما اؤتت واتبعت الرسول فاصتبا مع  
الشاهدين بشهادة م س . اشهد على ايها الحجاب العظيم ، اشهد على ايها الباب الكريم  
اشهد على يا - يدى المقداد العيين ، اشهد على يا سيدى ابو الدرداء الشمال ، اشهد على يا عبد الله  
اشهد على يا عثمان ، اشهد على يا قنبر بن كاذان ، اشهد على يا قنبر ، اشهد على يا نجيب ،  
اشهد على يا مختص ، اشهد على يا مخلص ، اشهد على يا ممتحن ويا مقرب ويا كروبي ويا روحانى  
ويا مقدس ويا سائح ويا مستمع ويا لاحق ، اشهدوا على يا اهل المراتب . ويا عالم  
اصفا (١) اجمين انى اشهد بان ليس الهأ الا على بن ابي طالب الاصلح المعبود ، ولا  
حجاب الا السيد محمد المحدث ، ولا باب الا السيد سامان الفارسي المقصود واكبر الملائكة  
الخمسة الايتام . ولا رأى الا رأى شيخنا وسيدنا الحسين بن حمدان الحصبى الذى شرع  
الاديان فى سائر البلدان . اشهد بان الصورة المربية التى ظهرت فى البشرية هى الغاية  
الكلية وهى الظاهرة بالنورانية ، وليس آله سواها وهى على بن ابي طالب وأنه لم يحاط  
ولم يحصر ولم يدرك ولم يبصر . اشهد بانى نصيرى الدين ، جندى الرأى ، جنبلا فى الطريقة  
خصبى المذهب ، جلى المقال ميمونى الفقه (٢) واقر فى الرجعة البيضاء (٣) والصكرة  
الزهرى ، وفى كشف الغطاء وجلا العما ، واظهار ما كنتم واعلان ما خفى وظهور على  
بن ابي طالب من عين الشمس ، قابض على كل نفس ، الاسد من تحته وذو الفقار

(\*) ويتضح من هذا العنوان ان الطبقة العامة لم تكن منجاة عن الامور الدينية بالكلية .

(١) لا ننسى ان هذه السلسلة هى عين التى فى السورة السابعة

(٢) راجع الاسماء الموجودة فى النصف الاخير من السورة الرابعة

(٣) ان الرجعة فى نظر السنيين هى البعث والنشور وعند النصيرين هى رجوع الروح بعد الموت الى

عالم الحياة مره اخرى فى جسم لا يعاقل الجسم الاول ، فالرجعة البيضاء هى الاستحالة الاخيرة اى الرجوع  
الى جسم سماوى

## الادب والادب

بيده (١) والملائكة خلفه والسيوف بيده والمهاوي يفتح لمن بين يديه ، والسيوف محمد ينادى ويقول هذا مولاكم على بن ابي طالب قاهر قلوب وسجود وعظموه وكبروه هذا خالقكم ورازقكم فلا تنكروه ، اشهدوا على يا اسيادى ان هذا ذى واعتقداى وعليه اعتمدى وبه احببنا وعليه اموت ، وعلى بن ابي طالب حى لا يموت بيده القدرة والجبروت ان النسخ والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا . علينا من ذكرهم السلام . تمت

## ٩٢ . سورة الامامية

اشهدن على ايها النجوم الزاهرة ، والكواكب النائرة ، والافلاك الدائرة بان هذه الصورة المرئية ، العائنة التاطرة ، على بن ابي طالب القديم ، الاحد الفرد الصمد ، الذى لا يحزأ ، ولا يتبعض ، ولا يتقسم ولا يدخل فى عدد ، فهو ائبى وآلهكم ، وآلهكم والهى ، امامى وامامكم ، وامامكم ، امام الائمة ، وسراج الظلمة ، حيدرة ابي تراب الظاهر بالصلح ، الباطن بالانزع ، الظاهر من عين الشمس ، القابض على كل نفس ، الذى له ، ولعظم جلال هيئته ، وكبرياء سنى برق لاهوته تخضعت له الارقاب ، وذلت له الامور الصعاب ، سر آله فى السماء ، وهو امام فى الارض ، سر امام كل امام ، سر على بن ابي طالب قديم الزمان ، سر حجاب السيد محمد ، وبابه السيد سلمان باب الهدى والايمان ، علينا من ذكرهم الرضى والسلام .

## ١٣ . سورة المسامرة

سبح لله ما فى السماوات وما فى الارض وهو العزيز الحكيم ، اصبحنا واصبح الملك لله . وسبح الملك لله ، بسم الله وبالله وسر السيد ابي عبدالله سر الشيخ واولاده المختصين الشارين من بحر عم س . منهم واحد وخمسون ، منهم سبعة عشر عراقى ، وسبعة عشر شامى ، وسبعة عشر مخفى (٢) وهم واقفون على باب مدينة حران (٣) ياخذون بالحلق وسطون بالحلق (٤) من يتدين بدياتهم ، ويعبد عبادتهم ، وفقه الله الى معرفته ومن لا يتدين بدياتهم ، ولا يعبد عبادتهم فعليه لعنة الله . بسر الشيخ واولاده المختصين بسرهم . اسعدهم الله اجمعين .

(١) اسم لسيف العاصى بن منابه الذى قتل فى وقعة بدر . وقد اعطاه النبي الى على بن ابي طالب

(٢) ان هؤلاء الواحد والحسين هم كوكب ينتمى الى العالم النوراني الاصفر

(٣) القصد من مدينة حران ، هى السماء

(٤) اى ينقدون من يروم شفاعتهم بتضحية الضحايا ، ويسوقون ارواح الكمار الى الحيوان والحباد

( الباكورة ص ٢٩ )

## ٩ . ١٤ . سورة البيت المسود

والطور وكتاب مسطور في رق منشور ، والبيت المعمور ، والسقف المرفوع والبحر المسجور ، بسر طالب وعقيل ، وجعفر الطيار ، هم اخوة علي بن ابي طالب ، نور من نور وجوهر من جوهر ، وعلي بن ابي طالب ، نزه عن الاخوة والاخوات والآباء والامهات ، احداً ابداً موجود ماطن بغير غموض ، سر البيت وسقف البيت وارض البيت وارباع اركان البيت . اما البيت فهو السيد محمد ، وسقف البيت ابو طالب ، وارض البيت فاطمة بنت اسد وارباع اركان البيت هم محمد وقاطر والحسن والحسين ، سر الراوية الغامضة الحمية التي هي في نصف البيت هي محسن سر الحفي ، سر صاحب البيت (١) العلوي الشريف الهاشمي الذي هثم القرون وكسر الاصنام ، علينا من ذكره الرضى والسلام . (٢)

## ١٥ . سورة الحباية

سر الحجاب العظيم ، سر الباب الكريم ، سر سيدي المقداد اليين ، سر سيدي ابو الدر الشمال ، سر الملكين الكريمين الطاهرين هما الحسن والحسين ، سر الوليين هما نوفل بن حارثة وابو بردة ، سر الصفي وعالم الصوى ، سر كل كوكب في السماء ، سر قدس العلى وسكانه علينا من ذكرهم الرضى والسلام .

## ١٦ . سورة النقية

فتقبوا في اللاهل من محيص . نذكر اسامي السادة القباء الذين اختارهم السيد محمد من السبعين رجلاً في ليلة العتبة في وادي منى . اولهم ابو الهيثم مالك بن النبهان الاشعري والبر بن مغرور الانصاري ، والمنذر بن لودان بن كناس الساعدي ، وراعي بن مالك العجلاني ، والاسد بن حصين الاشعري وعباس بن عبادة الانصاري ، وعبادة بن صامت

## [١٧] صاحب البيت محمد صلعم

[٢] يتصل من هذه السورة قصد الصبريين من الحج . يزعمون ان البيت الحرام هو محمد والصما هو مقداد ، وعنتبتا الكلمة هما الحسن والحسين ، والمروة هي ابو الدر ، والشعر الحرام ، سلمان الفارسي شعرة هؤلاء هي عين الحج . وان محمد بن صير كان يكر على السنين فريضة الحج ، وله خطاب في كتاب الاعياد يحاطل به النبي عليه السلام . ويقول ان الذين طنوا لك مدفون هنا حلوا لك ضريحاً وهوا لريارتك ، ولكنهم كادبون [ ، وان الشيخ محمد الكلازي الذي ينتسب اليه الكلازيون ، اعرق في الافراط ، وروى هذه الحرافة ، ] ان المصل استمر يوماً من حفر الصادق عن بيت الله الذي ينج اليه المسلمون ، فقال له ، ان هذه التقاليد كفر . لان الكلمة مبسة من المحارة فهي بمثابة الصنم ، « الناكوره ، ص ٣١ »

المؤلف: محمد بن عبد الله بن محمد بن جبر، الإصطاني، وسالم بن محمد بن الجزي، محمد بن عبد الله بن كعب، ورافع بن ورقة، وبلال بن رباح الفتوى، سهر قبيب التقبلي، ونجيب التجياني، سيدنا محمد بن عبد الله بن سنان الزاهري (\*) علينا من ذكرهم الرضا والسلام.

— ٨ —

## المهاجرة

و

### تناقص السلطة في سوريا

لا جرم، ان المهاجرة هي احدى المسائل التي لا تزال تشغل اذهان الوزارات، وادمة المفكرين في هذا المصير. ولا ريب في ان رقي البلاد وعمرانها وتمكنها من اشغال مقام رفيع في نادي الدول، يتوقف على كثرة سكانها وثباتهم ونجاحهم في معترك الجدال الحياتي. لم يخطأ قديمي المؤلفين في تشبيههم الامة بالشخص. لان المرد القوى القادر يقتدر على ان يسعد ويرقي بعلو الهمة والعزم الصادق. وهكذا الامم فان سعادتها وشقاؤها وانتصرها في الجدال الحياتي او عدمه، يختلف باختلاف قدرة افرادها وضعفهم، وكثرة اقويائها واذكياتها وعلمائها او قلتهم.

ولذلك نرى الدول الراقية لا تدخر وسعاً في تحرى الوسائل الفنية والاجتماعية والاخلاقية التي من شأنها ترفيه عيش رعيته، او ملاحري دطام عزها وسلطانها، وتزيد عددهم.

ان الدولة الفرنسية التي قضت عليها بعض الاسباب الاقتصادية والاجتماعية بتناقص السكان ما فتئت مد حسين سنة وهي تسعى السعى الحثيث لايجاد ما يدرأ عنها هذا الوبل الحياتي من الوسائل. فتسن القوانين وتضع النظمات، ولا يزال نسلها يرزح تحت ضغط ذلك اللام القاهر (\*\*). حتى ان الامة الالمانية، الاليتالية المشهورتين بكثرة اللدات لم تقمدا قط عن التدع بالتدابير القانونية والاجتماعية لاحتل تزايد السكان. ومع هذا فان كثرة اسراب المهاجرين من البر التيق الى البر الجديد لا تزال تعرقل مساعي الدول في امر تزايد السسل.

(\*) ان محمد بن سنان الزاهري محترم لدى الاسماعيليين ايضاً .  
(\*\*) لا تتجاوز زيادة النفوس في مراسا (١٠٠) ألف نسمة في كل سنة .

بعد أن كانت مقرها في كولومبيا، غادرت إلى ألمانيا، وأصبح الأوروغويون، بشو في الأول من  
 على ما حكاه من الثورة. ولعل من ذلك في القرن السادس عشر الميلادي. اتخذ  
 الوف من الأسر الانكليزية والالمانية والاسبانية والبرتغالية، وبأذن، أو على الأقل، وتحت إشراف  
 وافوجاً على ذلك المهجر التي حيث تستقر فيه وتتخذ مسكناً ووطناً. والكيان الاجتماعي  
 لم يكن يومئذٍ على حالة يتأثر فيها من هذه الحادثة. لان الامم ما كانت تحتفي ما تراه اليوم  
 من الجنود الدائمة وما كان نطاق المزاحمة الاقتصادية متسعاً بعد.  
 ثم جاء القرن التاسع عشر وحدث فيه التبدل الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في حيات  
 الامم الراقية. فنهضت كل دولة تحررى ما يؤمن بقائها ويؤيد تجارتها ويمكنها من تحكيم  
 بسطها بين باقي الامم.

على ان ضنك المعيشة ما زال يغلد الاقبال على المهاجرة. واخذ السكان في هذه الايام  
 ايضاً يتسربون من ألمانيا وإيرلانده وإيطاليا وروسيا وأمستريا الى القادة الجديدة افواجاً  
 افواجاً. ولم يلبث هذا الحادث الذي كان غامضاً في اواسط هذا القرن، ان دخل اليوم  
 في دور جاد واستلفت انظار الرجال السياسية. ولا يحمل دخول مسئلة المستعمرات في  
 سياسة جميع الدول الغربية — ما عدا انكليزية — الا على امر المهاجرة الخطيرة. فاذا شئنا  
 التفتيح عن سوانق « الغلو » في السيطرة، (إمبرياليزم) نضطر لان ندخل فيها درس المزاحمة  
 التجارية، والمهاجرة ايضاً الذين هم من امهات المبادئ الاجتماعية. لان الاولى بالايدي  
 العاملة القوية من ابناء الوطن ان تدأب في بلادها او مستعمراتها، ولا تموت وهي منكبة  
 على استثمار انحاء « سنه لوران، ميسيبي، وأمازون ».

هاجر في القرن التاسع عشر للميلاد من بلاد ألمانيا التي تبيع كل سنة (٨٠٠٠٠٠٠)  
 من انسمات ما عدا الوفيات (٦-٧) ملايين. وفي سنة ١٨٨٠ غادر البلاد الالمانية  
 (٢١٠٠٠٠٠) من المهاجرين يرتادون العيش الرغد في الاسقاع الاجنبية والبقاع الخصبة  
 الغنية. ولكن ما لبث هذا المقدار ان نقص بما تذرعت به الحكومة من التداير الاقتصادية  
 الإجتماعية. فكان في سنة ١٨٩٠ (١٠٠٠٠٠٠) وانخفض سنة ١٩٠١ الى (٢٠٠٠٠٠) نسمة.  
 ولم يزد عن (٢٠) ألفاً في السنة التي اشهرت فيها الحرب العامة. (\*)

ومقابلاً لنجاح هذه الدولة فقد احدثت المهاجرة في ديار الامة الايتالية خلواً ملموساً  
 وفراغاً محسوساً. اذ ما زال يهاجر منها كل سنة مقدار (٦٠٠-٧٠٠) ألفاً من النساء منذ  
 سنة ١٩٠٥ ويتكون الحالة الاقتصادية، والوسائل الدفاعية في اوطانهم عرضة للمشاكل

[\*] راجع كتاب « اهم حكومات الدنيا » لشراده روطالوثه ده، ص ٢٦٥ يارس ١٩١٣

يقول المؤلفون اليابسون في هذا الموضوع: «... يمكن ان يساهم لهيكل المهاجرة التي كانت تكون البطالة والكثير من البطالة الى الصينين و  
الاول: كثرة الديار (مصر) وقد انما ما يقوم بها منهم من الاراضي الممتدة...»

والثاني: كون الأحوال الاقتصادية في ايطاليا غير كافية لدرء الحائضات المصيرية.

لم تنجح سورية ابداً من هذه المهاجرة التي شملت جميع انحاء البر والبحر على درجات مختلفة. بل نهض أكثر اقوامها منذ ربيع قرن وبعدها كانوا قبل ذلك المهجرة من مواطني باوطانهم رطباً وثقاً. واخذوا يهاجرون الى اميركا مقلدين الانجانب الذين قصدوا ههنا بالتقى وحصلوا على جانب عظيم منه. وانهم لما ورنوا خصائل الفتيقسين الذين طبعوا على حب الاسفار الطويلة كان الميل للهجرة بين تلك الحشائل ايضاً.

اول من هاجر من سورية بضع عائلات من قصبة بيت لحم. وكانت عزفهم في مهجرهم بيع المساج والصبايا وهاكل صغيرة لاهراء الدين. وبدأت الهجرة قبل ثلاثين سنة بصورة خفيفة. ثم اخذت تتدرج بالتوسع حتى اصبحت في السنين الاخيرة على درجة هائلة دهر منها كل محب للوطن. وبلا لاسف لا علم لنا بعدد المهاجرين الذين ماتوا في يابارحون هذه الربوع العثمانية الثينة منذ ربيع القرن الى الان. وان دورنا الرسمية التي ما زالت بعيدة عن الاحاطة بمقدار نفوسنا؛ املت هذه المهمة ايضاً. ويرى ذلك من الامور العادية. ونحن وان لم نغف عن هذا الاهمال ولكن لا يستعنا الا ان نقابله بما عهد فينا من عدم المبالاة والاناة ونعرض لانظار المدققين الذين رأوا قبل الحرب كثيراً من البيوت المقفلة في القرى والقصبات والامصار وشاهدوا القرى الخاوية. ومحسوا بنقص النفوس المتسارع، ان قد هاجر من سورية الى البلاد المتحدة فقط سنة ١٩٠٥ (٤٨٢٢) وسنة ١٩٠٦ (٥٨٢٤) وسنة ١٩٠٧ (٥٨٨٠) وسنة ١٩٠٨ (٥٥٢٠) نسمة. فيكون مجموع ما فقدناه في هذه السنين الاربع ٢٢٠٤٦ نسمة.

ويقرب عدد المهاجرين الى اميركا الجنوبية ومصر واوروبا وافريقيا الشمالية والانحاء الاخرى قريباً من ١٥٠٠٠ من النسب. وبذلك يكون مقدار المهاجرين السوريين قريباً من ٢٠٠٠٠ من النسب في السنة (\*\*). وبهذا نطلع على ما يلزم بحياتنا القومية والاقتصادية من البلاد.

[٥] راجع كتاب « اهم حكومات الدنيا » لفراده وروالوود. ص ٣٠١: باريس ١٩١٣  
[\*\*] يوجد في ايطاليا ١٢٠ نسمة في كل كيلومتر مربع، وفي بلجيكا: ٢٤٨، وفي انكلترا ١٤٤  
وفي المانيا: ١٢٢، وفي اليابان: ١٠٣ وفي النمسا والمجر: ٧٦ وفي فرنسا: ٧٣.  
[\*\*\*] مجلة المشرق سنة ١٩٠٥، ص ٨٢٨

ان دولة المانيا التي مساحتها ( ٥٤٠٠٠٠ ) كيلومتر مربع ، وتقوسها التقدير ( ٧٠ ) ميل نأ لا تفقد في كل سنة الا مقدار ( ٢٢ ) الفأ من رعاياها ، لم تقصد هنا ان تصل من القرية الى المقاطعة بلادنا بالبلوك الألمانية التي ادركت مستوى الكمالات في الأحوال الاقتصادية وبلغت الدرجة القصوى في الرقي التجاري والصناعي حتى أصبحت وهي اليوم من أغنى وادنى البلاد المعمورة ، ولكن سورية التي تضم لمن الاراضى ما يبلغ التساعاً ( ٢٩٦٠٠٠ ) من الكيلومتر المربع ، ولا تحتوى الا على ثلاث ملايين من النسمات ، هي وبأ الاسف على عين الدرجة مع المانيا في المهاجرة فيمكن ذكرها بازائها . وعلى كل حال ان ضياع عشرين الفاً من النسمات في اكن سنة من هذه القطعة الثمانية التي لا تتجاوز كثافة نفوسها العشرات والتي خيم فيها الجهل والفقر هو جدير بان يدعونا للافتكار والاهتمام .

ان سورية التي كانت تدير عشرة ملايين من السكان ما زالت تهيج اطباع الاناء بما فيها من الكنوز الطبيعية ، والسواحل التي كونت كما نشاء التجارة ، وبجبالها اللطيفة ووديانها الخصبة ، وبارتكاؤها في منتصف البر العتيق . وقد اصاب هذه البلاد باهانتا الميهود من الدمار ما جعلها تمجيز عن اعاشة ثلاثة ملايين من اولادها . واضطر اهلها المطبوعون على القذآ والعزم والمفطورون على استعداد كامل في الامور الفكرية والتجارية ، لان يتقبوا في البلاد وبرتادوا سبيل العيش . فاقوت القرى واقررت السهول وعطلت الارض عن الزرع وكأ ، اءلوا الغاية من الصهيونيين في المرصاد ، فاهوى بهم الحرس على امتلاك ثروة البلاد فاذا ، وعلى تلك القرى التي اضاعت اربابها ، وشروها بثمان بخس باسم مهاجرة اليهود الذين جلبوهم من البلاد الروسية والرومانية . (\*)

كثرت الكتابات في المهاجرة عليها ولها . فقال المحبذون :

اولى للمرأة من ان يخلد الى ارض جفت نعمها ؛ ويرضى من العيش باجرة زهيدة ويضافاً حياته جراً وزحفاً ؛ ان يذهب الى اميركا ويشاهد ما هي الحياة المدنية ، ويحصل على الثرة الطائلة . والوطن من البلاد ما يعيش فيه المرء ناعم البال ، راغد العيش ، سعيداً ماستطاع . وليت شعري هل يصدق من يقول « وطني الحبوب ! » لبقعة لم ير فيها وجه الراحة ، ولم يكن له ولمائلك فيها ادنى سعادة ؛ ثم لم يجد فيها اماناً ولا اتصافاً وعدلاً ؟ . ان كثيراً من السوريين الذين غادروا اوطانهم من التربة ، وضنك المعيشة ؛ او لخلوها من الانساف والعدل ، اصبحوا اليوم وهم من اشهر التجار في نيويورك . او شيكاغو ، او ريوده جانيرو ، او بوئه نوس آيرس . وان ما يملكه اليوم عشرة الاف من السوريين من الاوال المنقولة وغير المنقولة في الحطة المصرية يقدر بثلاثين الف ليرة انكليزية . وان

مجموع هؤلاء الوطنيين في اميركا وغيرها من البلاد لا يقل عن ٢٠٠ مليون ذهباً انكليزيا (\*) لا ينكر ان سورية عطلت الى الان مدس نفوسها العمومية ، ولكن لا تنسى ان لو ظل هؤلاء في اوطانهم لما استطاعوا الاستحواذ على هذه الثروة ، ولا فتوا حياتهم كالمى ترج بهم البطالة في الذل والمسكنة .

وقال ( آلن مكلولن ) احد اطباء دائرة الصحة في الولايات المتحدة ، في كتاب الفه باحثاً فيه عن المهاجرة :

ان النجح المهاجرين بعد اليهود هم السوريون . وعدد من لم ينجح من مهاجري اليونان ٦٨ ، ومن البولونيين ٦٣ ، ومن الايتاليين ٥٩ ومن السوديين ٣٤ ، ومن اليهود فقط ٩ في المائة (\*\*)

نضطر في نقطة واحدة الى التسليم بقول هؤلاء الذين تكلموا عن المهاجرة مستدين على الماديات المحضة ، ان السوريين ولاسيما اولاد السواحل منهم لا يزالون معروفين بالعزم والاقدام ، ومشهورين في عالم التجارة بنجاحهم ، وكثيراً ما تحدث الرقابة الاقتصادية بين التجار المعروفين في بيروت او طرابلس الشام او يافه او غيرها من الثغور ، وبين التجار الاجانب فيكون الظفر في اكثر المراد للتجار السوريين . والسوريون لهم 'جمل الذكري في عالم التجارة المصرية وجميع المطبوعات هناك كادت ان تكون في ايديهم . والمحازن الثمانية في اهم ثغور البر الجديد ، هي من الانتظام والكمال في درجة يحق لكل وطني ان يقتخر ويباهى بها . وما عدا هذا فان هؤلاء المهاجرين غير مةطلى العلاقة مع اوطانهم ، وما زالت سورية تتقاضى من ابنائها المهاجرين في كل سنة مقدار ( ١٤٠٨٠٠٠ ) ليرة بواسطة الشعبية البيروتية للمصرف ( البانك ) العثماني فقط .

حتى ان الربع منهم يرجع الى بلاده بعد ان يحصل على شئ من الثروة ، ويبدله بظنفة القديم برفاهية - مدينة ، ويعيش عمره دائماً في احيا الاراضى الموات وزرعها . عل ان جميع هذه الفوائد لا تصلح لتبرير المهاجرة والتحييد عليها . والاطوان لا ترقى وتعمد الا بهمة اولادها وساعدهم . اما النقود التي تدخل البلاد اكثرها يصرف في تشييد التصور الشاهقة والابنية الجسيمة اما في لبنان ، او جبل طامل ، او في احدى قصبات الساحل ، واكثر عائلات المهاجرين في سورية تعيش عيشة الطير ، وذك جديد في يوم جديد . فتدوم الحياة الزاهية ما دام لراتب الاميركي متصلاً ، اما اذا ابطأ ذلك المدد او انقطع فلا بد لتلك السعادة ان تنهب الى الشقاء ، وتستحيل الرفاهية الى الشظف في آن واحد . وهذا

(\*) مجلة الهلال . جلد ١٣ . ص ٣٠

(\*) مجلة المقتطف سنة ١٠٠٠ ص ٩٠









اللطيفة ، بل يظن نفسه في بلاد لم تصل اليها يد الاندمان ، ولم تقدمها الحظى البشرية . نعلم ان القسم الشمالى من الولاية لم يجعل الاهال له شيئاً من آثار العمران . ولا جرم ان التصيريين الفاطنين تلك الاصقاع لم يتقدموا على الاحتفاظ ببحوثونة طباعهم وغلظة ثمالهم الا بهذا الاهال العمرانى . فمن محم الوظائف على حكومتنا المشروطة ان تجعل تعبيد الطرق فى مبدأ مسعاها الذى تريد صرفه لتأمين الامن ، وورق الفلاحة الزراعية .

طريق طرابلس — حمص — حما . — يقطع هذا الطريق قضائى طرابلس وحصن الأكراد من الجنوب الغربى الى الشمال الشرقى ويدخل الى ولاية سورية فى محل عين السود الواقعة على الكيلومتر (٦٢) ثم يتناول الى ان يصل حمص ، ثم ينقطع فى هذه البلدة من الجنوب الى الشمال ويمشى الى حما . والمدافة من عين السود الى حما هي (٧٩) كيلومتراً . وتنشعب شعبة من مصب نهر العرقا وتصل الى قبة حلبا على مسافة (٢١) كيلومتراً وقد احتفظت احدى الشركات بامتياز اجراء المناقلات على هذا الطريق . وكانت قبل الحرب ، ولا سيما قبل تمديد خط الحديد من طرابلس الى حمص ، تسافر على هذا الطريق المركبات الجسيمة ( دبليز انتر ) لتقل الركاب ، والمجالات لجر الاثقال . والتي انشأت هذا الخط هي شركة فرنساوية .

طريق بيروت — الشام . — حصل على الامتياز بفتح هذا الطريق (قوت پورتويس Comte de Pe-thuis) سنة ١٨٥٩ ، اتم عمله سنة ١٨٦٣ . وما زال هذه الشركة التي تأسست فى اوتها من حيث الياام بالانشآت ، اجراء المناقلات ، تستفيد من هذا الامتياز الى سنة ١٨٩٢ . ثم اتفقت مع شركة فرنساوية اخرى ، ومرتعت عن امتيازها . وقد كانت هذه الشركة حائزة على امتياز بتديد خط حديدى (شندوفر) (سنة ١٨٩١) من بيروت الى الشام على طول ١٤٦ كيلومتراً . وفى عين التاروخ جاءت شركة باجيتية وحدهات على امتياز بتديد خط حديدى من الشام الى مزارب . فالتحد الشركتان وكانت منهما (شركة الخطوط الحديدية الاقتصادية سبانية فى سودية) .

ثم ما لبثت هذه الشركة ان حصلت على امتياز آخر بتديد خط عربض من دياقار ، حما ومنها الى حلب . وهذا الخط مضمون على ١٥٠٠٠ فرنك ولكن متى اتصل بخط بغداد ينزل هذا المتماد الى نصفه .

الحواط الحديدية . — ان الخطوط الحديدية فى البلاد العربية من اوروا تأسست بعد تمديد الطرق ، ونموية ، ولذلك نراها تتعجب هاتيك الطرق ؛ اما فى آسيا الغربى فكان الامر معاكساً ، اذ خطت وسبوا الخطوط الحديدية اولاً ، ثم سرع بتديد الطرق . وهذان الطريقان من ضروريات بعضهما . لان الطرق المعبدة تنهض بالتجارة أيضاً كالطرق

الحديدية . ويجب في هذه الطرق ان تكون صالحة لاستعمال اصحذت الوسائط الثقيلة .

كتب المهندس ( ويلهلم فون برمسيل ) كتاباً مهماً جداً ويبحث فيه عن الخطوط الحديدية في آسيا الصغرى ، ووجد لائحة في ما سيؤمّن في الاناطول ، وبلاد الجزيرة من الخطوط الحديدية .

بما لا يخفى ان الخطوط الحديدية تقيد وتدوم في الاصقاع التي يمكن ، او يحصل اجراء المناقلات الجسسية فيها . ولهذا يجب ان تكون الانحاء التي يمر عليها الخط خصبة منتجة ، وسكانها مستعدين للاشتغال بالتجارة . وعليه فالتقود التي تصرف لتمديد الخطوط في الاراضي المقفرة لا جرم تذهب ضياعاً .

وبما هو جدير بالبحث مسألة الخط المنفرد ، او المضاعف . والعريض بمقدار ١٥٤٤ متراً كما هو في اوروبا ، ام الضيق الذي عرضه مترو واحد . فاي هاتين الطريقتين هي الراجحة يا ترى ؟

اذا صرفنا النظر عن الوجهة العلمية والفنية في هذه المسئلة ، ونظرنا اليها من حيث التجارة نجد ان للخطوط المضاعفة منافع جمة . ولا جرم ان رأس المال في الخطوط المضاعفة يكون على غاية من الجسامة . ولكنه يتلافى بما يحصل عليه من زيادة الوارد . اذ بهذا التدبير يمكن تضعيف عدد القطر . هذا وان كانت المسئلة تجارية ، فان الحكومات عليها ان تفكر حين تفويض الامتياز براحة الاهلين ومنافعهم ، وتأخذ بالشرائط التي تكفل لها السرعة الممكنة لكي لا ترتكم الامتعة بين منبع الحاصلات ومخرجها . فاذا كان الخط واحداً فان اقل مائة توجب تعطيله الزمن المديد . وترتكم العجلات في المواقف ، وتبلى الاموال في المستدعات .

يرجح الخط المضاعف على الخط المنفرد بهذه الاسباب ؛ ولكن لا ننسى ان الخط المضاعف يحتاج الى المغرم الباهظ . ولهذا يمكن ان يكتفى في بادئ الامر بخط واحد بشرط تأهيل الممر لاستيعاب خط آخر . فتشيد الجسور ، وتعد الاتفاق ، وغيرها بالنظر لهذا الاحتمال . وبهذا تمكن حين اللزوم مضاعفة الخط على اتم السهولة لان الاساس يكون حاضراً ، فلا يحتاج الا لتمديد القضبان .

اما المسئلة الثانية ؛ فهي اخطر من الاولى . وان الحكومة العثمانية لم تؤثر الخطوط الضيقة في بلاد الاناطول بل كل امتيازاتها كانت مشروطة بعرض ١٥٤٤ متراً ومع هذا فان الخطوط القديمة في سورية كانت كلها ضيقة .

على ان هذه الخطوط التي عرضها مترو واحد ، تقوم بعين الخدمة . ولا سيما انها اقل





جزءاً من الأولى. (٦)

خط عكا - المقام. — اعطى امتياز تمديد خطه حميدى من عكا الى الشام ( فى ٣١ ايلول سنة ١٨٩١ ) الى رجل انكليزى اسمه بelling، ويوسف الياس من اصول هذه الديار. وان الحكومة لم تضمن هذا الخط الذى طوله ٢٥٣ كيلومتراً على عرض ١٥٤٤ متراً بمبلغ ما. ولكن حصل اصحاب الامتياز لقاء هذا على رخصة من الدولة بتسيير السفائن فى بحيرة طبريا، واذنوا بانشاء رصيف ومرفأ فى قرصة عكا او حيفا فى مدة اربع سنين اعتباراً من تاريخ الامتياز. فتأسست هذه الشركة بعنوان *Syria Ottoman Railway* واصدرت (٣٠٠٠٠) من الاسهام قيمة كل واحد (١٢) ليرة. واذنت باصدار (١٥٠٠٠) من الاسهام اذا اوجب الامر. ثم ما ابطأت ان شرعت بالعمل، ولكن لم يتمكن المؤسس بelling من الحصول على ما يحتاجه المشروع من المال لغاية (سنة ١٨٩٥).

وعليه اعانت الحكومة الشمانية افساخ امتياز هذا الخط الذى كانت حصة ولاية بيروت منه ١٠٠ كيلومتر، وصادرت الرهنية المدووعة فى المصرف ( بانق ) العثمانى. وهى ( ١٠٠٠٠ ) ليرة شمانية. وما لبثت ان ردتها الى اصحابها بعد مناقشات ومدافعات طويلة وبهذا تخلى بelling عن المشروع، وغادره الى شركة انكليزية ما ابطأت ان شرعت بالعمل ايضاً. ولكن كان العمل على غاية من البطالة حيث دخلت سنة ١٩٠٠ ولم يبه د عن حيفا الا ( ٥ ) كيلومترات. وفى ذلك التاريخ اردت الحكومة اىصال السكة الحجازية الى حيفا فامرت الشركة بتعطيل العمل متمسكة بافساخ امتياز بelling منذ امد بعيد. فاحتجت الشركة على هذا العمل، وراجعت سفارتها، وبتوسط السفارة اتفقت الحكومة مع الشركة ( ١٩٠١ ) وابتاعت حريتها فى هذا المشروع ثم كان ذلك الخط الفرعى.

وفى اول سنة للحرب شرع باجراء المناقلات على الخط الفرعى الذى مدد من حيفا الى سكا بطول ( ١٧ ) كيلومتراً. ولكن لم يكن حظ سكان حيفا من هذا الخط اكثر من تهرين. ثم قامت قضبانها وانشاء منها الفرع المصرى من السكة الحجازية. ثم عمد الى موقف عفولة من فرع حيفا ومدد الخط منه الى القدس، ثم الى بئر السبع، وارغل به فى شه جزيرة سيناء واخذ يستخدم فى العمليات العسكرية.

خط طرابلس — حمص. — هو على طول ( ١٠٢ ) من الكيلومترات. وقد قامت به شركة فرن اوية رأس مالها ( ٣٠٠ ) الف ليرة فرنساوية وذلك بمظاهرة شركة الشام — حما، وانتهت فى مدة سنة ونصف. وجمع الشركاء فيها من الفرنساويين، وقيمة السهم

(\*) فائق صبرى، عثمانى جغرافى اقتصادى: صحيفه ٢٣٦ — ٢٣٨.



فيها خمس ليرات . ومن جملة شرائط المفاولة ان لا يكون للاهلين حق بالاشتراك في رأس مال الشركة . وقد قلمت قضبان هذا الحط ونقلت الى فرع رأس العين من سكة بغداد . وبذلك جردت بلدة طرابلس الشام من خطها الحديدي .

— ١٠ —

## نبذة من تاريخ سورية (١)

### ١ — الممالك البحرية

الممالك البحرية . — كان الممالك من الجنود الخاصة لسلطين مصر . وفي اواسط القرن الثالث عشر للميلاد ، قام التاتار من آسيا ، واندفقوا على الانحاء الغربية حيث هددوا بخطرهم بلاد العجم ، واصقاع العراق ، وعهد الافرنج لانحاء سورية وتوقفوا فيها لاجلها . حكومتهم البائدة . اما الخوارزميين الذين فروا من هول التاتار الى الجهة الغربية كانوا يرددون البلاد الفلسطينية بخطرهم . وفي هذا الزمان الحرج جلس الملك الصالح سابع الملوك الايوبية على عرش السلطنة في مصر ، فرأى من الصواب ان يخار لنفسه جنوداً خاصة ممن يشق بصدافتهم . وكانت افراد عشيرة القبيحاق مشتة عن اولادها بسبب اكتساح المغوليين بلادهم وقد اتبع منهم عدد وافر وقدم الى سلطان مصر باغبان التمن . والملك الصالح الذي ما زال يترص العرص لم يميل امر هؤلاء الافراد ، بل سربهم وقرهم اليه دون الاكراد الذين كانوا من دعاتهم جنوده . وكان عند هؤلاء الاتراك المهاجرين ، المحبة والاحترام لسيدهم ما يفوق الحد المعروف . فبنى السلطان لهؤلاء الجنود كنيسة في جزيرة الروضة الواقعة بجاء القاهرة واسكنهم فيها . وبمان هذه الجزيرة كانت تنسب الى بل سمي سكانها بالممالك البحرية ، وكانوا يسمون بالحلقة لانهم يحيطون بالاساطيل . لم يكتف السلطان باقامة الاتراك في الكنة ؛ بل رتب لهم دروساً عن كيفية ادارة البلد . والجنود ؛ واعتنى بتدريسهم ايها . وكان الملك الصالح على غاية من السرور بنجاحه في تأسيس

\* ١. يوجد في القسم الشمالي من الولاية كثير من الحوامع والكتايا ، والمدارس ، والحصون والقلاع والاسم الالهم من الكتابات التي رفعت على حدبان هذه الماني التاريخية لم يزل على ما هو : فائزاً دائماً للقادة ان نقل عين هذه الكتابات المهمة ، وندرجها في كتابنا وقد استندا في النقل الى كتاب Corpus Inscriptionum arabicum للمستشرق المعروف ( سويرنهيم ) ( J. A. S. ) وقد أثرتنا دوحياً ايضاحاً لما يمر في هذه النبذة التاريخية ، وما سناه ائماً الحث عن الصليبيين ؛ وما تضمنته تلك الكتابات العربية من اسماء الاشخاص والوقوعات .

هذه المؤسسة التي اعدتها قوتها لتأييد سلطة مابرتها وظن ان هذه القوة تكون سلاحاً لمراعاة اخلافه من التجاوز والتدبر . ولكن الحادثات التي كانت بعد وفاته كشفت عن دوسجة خطاء في هذا الاجتهاد .

جلس على كرسى السلطنة بعد وفاة الملك الصالح ابنه توران شاه ، ودعى بالملك الاعظم فزل اكثر قواد ابيه ، وعقد هدنة مع سن لوفى ملك فرانسة دون ان يستشير بشأنها احداً . وكان من شرائط هذه المعاهدة ان يسلم الفرنساويون قلعة دمياط التي استولوا عليها الى المسلمين ورضى السلطان المعظم بك سن لوفى من الاسر بغدية باهظة ، فنهض الوزراء والقواد الذين لم ترق في اعينهم سياسة هذا السلطان الجديد ، واستمالوا رؤساء الحلقة لهم ، واجمعوا على كيد السلطان .

وبينما كان السلطان راجعاً من الولية التي اقيمت بسبب المعاهدة بوغت بهجوم رتبته المملوك ( ركن الدين بيبرس ) الذي سترى تسلطه على الديار المصرية . واصابته جريح في زنده . وقد علم السلطان ان هذه المكيدة كانت من الممالك وتحفز لبيطش بهم ديتسم لنفسه . ولكنهم عاجلوه قبل ان يقضى عليهم وعمدوا الى قصره فشبوا فيه النار . وحاول الملك المظلم ان ينجو بنفسه من هذا البلاء ، فانهج ، واقتحمه ممالك ابيه فقتلوه . ومع ذلك فقد جددت المعاهدة مع الفرنسيين . ثم اجمع الممالك بعد قتل السلطان على اياة ابنه ( شجر الدر ) واقعدوها على كرسى السلطنة . ثم تزوج بها ( عز الدين ايبك ) من الممالك ونصب نفسه وصياً لها . ولم يطل عليه الامر حتى استصعب ادارة الملك بالاضمة الى فخلع زوجه من السلطنة واعلن سلطته واخذ يدير البلاد لوحده . ثم احس اكثر الوزراء بشدة وسنة الفوضى . وعمدوا الى موسى من اخفاد السلطان الكامل واجلسوه على تخت الملك وهو يومئذ في اثمائة من عمره وسماه الملك الاشرف . وبعد اربع سنين ( ١٢٩٤ م ) انتهز عز الدين ايبك مساعدة الظروف ، ولم يضق الشراكة في السلطنة فخلع آخر بني أيوب واستبد في الادارة وحده للمرة الثانية . ثم قصد ان يتزوج بابنة بدر الدين امير الموصل ، فاغتالت زوجته شجر الدر منه ، وساقتهما القيرة الى الجراة على قتله فختنته في الحمام . وبعد وفاته اجمع الممالك على تولية ابنه نور الدين على ، فكان سلطاناً لمصر بعد ابيه .

ثم نهضت والدة السلطان الجديد للانتقام من شجر الدر . ونصبت لها مكيدة فاغتلتها فيها . وقتلت تلك التي ابنت البلاء الحسن في ايام انحطاط السلالة الايوبية ، ولم تستمع الاحتفاظ بحسن سيطها لما طبعت عليه من حب الحرس والطمع ثم جردت من ثيابها وحذفت جسها الى الكلاب في خندق القصر .

وبناءً حدوث هذه الجنايات الغليظة كان الشرق معكساً للوقوعات الهائلة . لان هلاكه

كان خيماً بجنوده من التاتار على ابواب بغداد ، ومحاصراً لخليفةها ، بسدد ان اضيق آسيا  
الغربية في بحر من الدم .

لما تقرب هلاكو من انحاء بغداد قابله الخليفة بجنوده وتحارب الطلائعان فطلب الخليفة  
وكراً واجتمع اليه بعده ، ثم طلب الوزير ابن الملقى من الخليفة ان يذهب الى هلاكو ويدعوه  
دعوة حية الى الدخول في بغداد . وبرر على رآيه بان سبق لارطغرل بك ان قوبل بذلك  
وادخلها . ولكن لم يجسر الخليفة على هذا العمل ، فذهب بن الملقى لوحده الى هضم هلاكو  
وحصل على الامنان لنفسه . ثم عاد الى الخليفة وخبره ان هلاكو يبذل الى الصلح وانه يريد  
ان يزوج ابنته من ابن الخليفة ، واصر عليه بالذهاب . حتى وافقه وذهب ، واذاغ بن  
الملقى خبر النكاح واهاب بالناس لان يحضروا في الاحتفال به ، واخرجهم الى خارج  
البلدة .

ولكن التاتار انتهزوا هذه الفرصة ، وحكموا سيوفهم في الرقاب واندادوا جميع الناس ،  
ولم ينج ابن الملقى ايضاً من هذا الظلم العادل بل جوزى بما كسبت يده من الحيانة  
(١٢٥٥ م) .

داع بعد فصائح العراق ان التاتار يزعمون اكتساح سورية ومصر ايضاً . ولذلك وجب  
نصب وصي للسلطان المراهق لاجل التذرع بوسائل الدفاع ، والقيام بما يقتضيه الامر من  
التدبير . فانتدب لهذه المهمة سيف الدين قوطوز احد مماليك عز الدين ايبك واعلنت  
وصايته . وكان قوطوز قائداً شجاعاً ولكنه منطوّر على الطمع والحرص .

ولم ترق في عينه تلك السلطنة المشتركة فعمد الى نور الدين على فعله ، ونصب نفسه  
سلطاناً على البلاد باسم الملك المظفر . وكان قد جهز الجيوش ، فمضى بهم الى سورية حيث  
التقى بالتاتار في وادي حرر فزق شملهم وغلبهم شر غلبة . ثم بالغ في تنسيق ادارة سورية  
وحكم ربطها بمصر . على ان هذا السلطان الذي امده الحظ ومضى في ركابه لم يقتدر على  
ضبط « ركن الدين بيبرس » ، قاتل الملك المعظم . فانه وعدده مد الظفر ان يقطعه ولاية حلب  
ولم ينجز بوعده ، وما لبث ان قتل بيد ذلك الخصم القاهرة . وبهذا تمكن بيبرس الذي لم  
يستطع ان يفتح اولياء الامور بانه اهل للرياسة ، من الارتقاء الى عرش السلطنة المصرية ،  
واخضع لسلطانه جميع ولاه سورية ثم قفل الى قاعدة ملكه .

وظفر هناك باحد احد امراء السلافة العباسية الذين مزقت سلطتهم بايدي هلاكو ، فلقاه  
باحتراف عظيم ، وقابله بالحفاوة الكاملة . ثم لم يلبث ان اعلن خلافة وسماه « المستنصر بالله »  
ورأى الخليفة الجديد ان يجزى حامي بيبرس ويقابله على احسانه ، فحياه عنوان  
« السلطان » .

وقد كان بيبرس يقدر قيمة هذا العنوان الصادر عن مقام جليل ، لما يعلم من وقعه العظيم

لدى الناس . وما ابطأ بيبرس ان يستجيب للخليفة وقصد سورية للمرة الثانية وبهذه السفرة فقد الخليفة في الطريق ولم يعلم بما نزل به ، اُقتل ، ام مات مسموماً ، او ضل عن الطريق في ذلك المهمة القفر ؟

ثم عاد بيبرس الى القاهرة وبعد ان شيد فيها المباني الجسيمة المزخرفة ، عمد لاشهار الحرب على الافرنج ، واستولى في بادئ الحرب على قيسارية ، وما في جوارها من القصبات وفتح قلعة صفد عنوة (١٢٦٠ م) .

وبعد سنتين هدم يافا ، ونهب طرابلس ، ثم حاصر انطاكية وفتحها . وظل هذا السلطان الذى لا يعرف الكلل يهاجم الافرنج ويظهر عليهم مراراً عديدة . وفي سنة (٨١ ٨١) عقد الهدنة مع ملك القدس ، ثم اندفع على حكومة الارمن في شمالي سورية ونكل بها . وبعد اربع سنين استيقظ التاتار وعادوا الى ما عهد فيهم من ايقاع الفساد ، واصبحت البلاد ولا سيما سورية من توالى هجباتهم على شفا الدمار . وكان السكان في اشد الحاجة لمخرجهم ، وينقذهم من هذا البلاء الذى جعل امه الهم وارواحهم تحت الحط . ولم يطل الامر حتى قدم بيبرس بجيش عرمرم ، واقتحم جنود التاتار فزتهم كل ممزق . وهذه العزيمة الصلبة والمهمة العاتية سحرت للسلطان المذكور فلوب جميع الناس وآسبته حبة راحتهم . وفي سنة ١٢٧٧ م توفي هذا السلطان النشيط في مدينة الشام بعد ان اشغلت الساحة مقدار (١٩) سنة ودفن فيها (\*) . ولم يتسع نطاق حكومة المماليك التى استت في مصر الا بهمة هذا السلطان .

نعم ان برس قوي مركز حكومة المماليك مرد غارة المغوليين عن سورية ، ركعج حجاجهم . واشدد على تخليص اعظم الالاع والمقاتل كصفد وحسن الأكراد وانطاكية ، من المدي الافرنج . ركزت مملكة المماليك حين وفاته ممتدة من صحراء اللوبة الى وادي لفرات . وكان قد عهد للملوك من بعده لابنه « بكه خان » . فلما مات صار الملك اليه وسعى بسعيد ناصر الدين . ولكنه عجز عن الادارة ، فالتفت الى العواد فلي بمهل الـ ستين رجا عن سيرر الساطنة واياب كنه حود بدر الدين ، لاملش وسعى الملك العدل ، وندم انقامه سيف الدين قلاوون رصه له ١٢٨٩ . وندم من هذا التنازع حين هذا السلطان الذى لم ينجح وراءه الساحة من عمره واحلى الى قامة حصر الأكراد ، ونفى اخيه . ثم وقع الخلاف بين العواد والملك الساطنة ، فامام الاير - في الشام وادامنا لدهه وعارضه

(\*) كان برس من عتية ، حاق ، ومن مماليك ، الملك الصالح . وعدوان الصالحى ) الذى نراه في الكتابات التى كتبت في زمانه ، من منعت من هذا السب .

قلاوون من امراء المماليك ايضاً ، فافضى امرهم الى الحرب ، حيث كان الحفظ موآزراً قلاوون فتهر خصمه ، وانتهى الخلاف ، واذعنت جميع الامراء لسلطة هذا القائد المظفر . (١٢٨٠م) .

ان قلاوون هذا الذي سمي بالملك المتصور كان من احسن ملوك المماليك وقد حذا بسياسته تجاه الافرنج في سورية حذو الملك بيبرس . وبعد اربع سنين عهد قلاوون الى حصن « مرقب » الذي هو من اعظم معاقل الافرنج وانتزعه عنوة من ايدي صليبي « سن جان » ، ثم استولى على بلدة طرابلس (١٢٨٩م) . ونقلت البلدة الى مسافة ثلاثة كيلوات عن الساحل وبُنيت من جديد . وفي السنة التي بعدها توفي قلاوون الدالح على الطريق بينما كان قاصداً عكا ليفتحها . ودامت سلطته احد عشر سنة وثلاثة شهور .

وكان خليفته ابنه « الملك الاشرف » صلاح الدين خليل . فعهد هذا الى محاصرة قلعة عكا عملاً بوصية ابيه . وقد بالغ صليبيو « سن جان » وتوتون « في الدفاع ، واشتدت المحاصرة ودامت خمسة اسابيع ، ثم سقطت تلك القلعة التي هي آخر قاعدة لحكومة الافرنج بعزم السلطان خليل الاشرف ومهته (١٢٩٧م) وفتحت بعدها قصبة صور وبهذا أُجلى الافرنج عن الارض المقدسة .

وقد قتل الملك الاشرف الذي اباد حكم الافرنج من سورية ، أثناء انشغاله في الصيد . (١٢٩٣م) .

ثم اصبح الامر فوضى في تلك الحكومة ؛ لان اللطنة لم تكن منحصرة في سلالة خاصة ، بل كانت تتداول بين الامراء ؛ ومكنت مدة في سلالة سيف الدين قلاوون سابع ملوك المماليك ولكن لم تجد فيهم اهلاً تستقر عليه . ولم ينج منهم من الخلع او القتل الا قلاوون . وقد اعمل في دورهم امر العمران لسبب الفتن والفساد ، حتى شنت مصر على الحراب . ثم انتهت دولة المماليك في اواخر القرن الرابع عشر للميلاد (١٣٩٢م) وانتقل الملك منهم الى ملوك الجراكسة وفي زمن هؤلاء الامراء كانت البلاد اشد نعاسة ، واعظم بلاءاً ؛ وتجرعت اهلك الثورات ، ودام حكم الامراء الجراكسة مائة وخمس وثلاثين سنة (١٣٩٢-١٥١٧م) .

تحارب ( قانصو الغوري ) الثاني العشرون من هؤلاء الامراء مع السلطان سليم باوز في صريج دابق فغابه وقتل في تلك الوقعة ، اما خلفه ( طومانباي ) فقصد اسره السلطان سليم بعد مرور سنة من تلك الوقعة ، وصلبه في مصر ، وبهذا دخلت سورية ومصر في عداد البلاد العثمانية .

## ٢ - الصليبيون في سورية

كانت حومة التواريخ في القرون الوسطى مجالاً تلعب فيه سلطة الأئمة العظميين ،  
أمة محمد ، وأمة المسيح .

فكانت سلطة الاسلام في آسيا وأفريقيا ، وقسم من اوربا ، وسلطة النصارى في اوربا  
وقسم من آسيا .

وكانت الأحوال تدل على ان لا بد من تناطح هاتين الطائفتين المتقاتلتين برئاسة الخليفة  
والبابا السياسية . وما لبثت ان وقعت تلك المصادمة باسم الصليبيين .

لماذا تصادم يا ترى هاتان الفرقان اللتان تقاسمتا البشرية في ذلك الزمن ؟ واي فرقة  
كانت اقدر على لغفر من هاتين الفرقتين لدى اول خطوة تجاوزية ؟ واي الطائفتين كانت  
على الحق ؟ لقد كتب مؤلفو الاسلام والنصارى ، من المؤلفات ، هذا الموضوع الواسع ما  
يكون المكتبات الحشدة . ونحن لا نريد الآن ان نطرق هذا البحث المعقل ، ونبتعد عن  
موضوعنا الاساسي . بل اننا نعلم ان بلادنا ظلت في ادارة الافرنج مقدار ( ١٩٥ ) سنة  
ولذلك نريد ان نطلع على كيفية ادارتها في ايدي اولئك الاجانب .

يدلنا اسم الارض المقدسة على انها ما زال - البقعة المباركة في نظر جميع اهل الكتاب  
لا سيما ان تيمنا وقديسيتها في نظر النصارى عظيمة جداً ، لان عيسى عليه السلام هبط  
الى عالم الوحدة في هذه البقعة ، وصعد بكلام الله ، وتكبد الآلام والاذاب لائمه فيها .  
ويزعم ان هيلانة ابنة قسطنطين الكبير ، لما قدمت القدس بقصد الحج ، تحذرت الصليب  
الذي صاب عليه المسيح ووجدته ووضعت في الكنيسة التي بناها فوق المغارة التي دفنت فيها .  
ومنذ ذلك الزمن كان الحج الى القدس من التقاليد الدينية عند النصارى .

لم يحس حجاج النصارى بوطأة انتحال القدس من ايدي النصارى الى ايدي المسلمين  
لان الرب لم ينفذهم عن زيارة القدس . ولم يمارضوهم في تقاليد دينهم . ثم لم يلبث  
الحنساء الذين كانوا موادعهم الا ان تراخوا بايقاع طيقهم المفدنة في زمن  
الامميين ، واختاروا شؤون الادارة منذ ولج امرها من قبلهم الى الامراء والوزراء  
والخزائن المسلمين في الدين . فندرا يتفادوا من حجاج النصارى الضرائب والرسوم  
ويعتبرونهم هؤلاء الزائرين تكبد الاوص .

ولما ان بعض البابا حامي المذهب النصارى ، راخذ يدهم النصارى جميعهم بتحصنوا  
ويتمنوا على مهاجمة المسلمين واللاتمام من الملاحين بسبب بضعة افراد من تشردي النصارى  
فبدت اول حملة لفصليين سنة ١٠٦٦ ثم تكررت ثمانية مرات ردامت ان سنة ١٣٩٩



## نبذة عن تاريخ سورية

لوطية فكانت جيوش الاسلام تتقدم من الحاتيكة الوديان ان تلمذ الثغور الافرنجية وقد  
شيد الافرنج في حقله الانحاء قلعة المصيف Chateau de Castel et Beaufort  
في صفد وفي جنوب البحيرة قلعة بووار Beaufort. وما عدا هؤلاء فقد كان للافرنج  
في الجهة الغربية قلعة تياس.

اما في الجهة الوسطى فان الحدود التي تفرق مستعمرة الصاوي عن بقية الشام هي  
جبال لبنان التي كان سكانها من المسيحيين ولذلك لا تحتاج الى القلاع والحصون، اما في الجهة  
الشمالية فنهراهم (أديس الفينيين) الكائن بين روت وحيل، الذي يصب على البحر  
من وادي عميق بصد أن يقع من شواهي لبنان، هو فاصل الحد الشمالي للحكومة  
اللاتينية.

وعتباراً من ضفاف هذا النهر تبدأ حدود أيلة طرابلس. وتوجد جبال التصيرية في  
الجهة الشرقية الشمالية من هذه الأيلة. وقد شيد الافرنج، تلك الاصقاع قلاعاً وحصوناً  
عديدة ليمكنوا من الدفاع عن كيانهم تجاه ما وراء العاصي من مسلمي حصن وحما. ويوجد  
في جبال مكار حصار عكا، وان حصن عسقا الذي تراء اليوم خراباً، شيد لاجل الدفع  
عن البلاد في بحر النهر الكبير. وما عدا هؤلاء يوجد في بلاد الشام، في وادي العاصي، ثم  
في الشمال منه قلاع آرمه، الحاكم على المدر الذي يصل سبغ البحر في وادي العاصي، ثم  
بعضهم بين ج قيعتها، الدرجة الثانية.

اما ايلة انطاكية فهي عبارة عن الانحاء لشمالية من جبال النجدة، والجانب السفلي  
من وادي العاصي، ومن انهر بلادها في الساحل: موانى اسكندرون، يوربوتل  
سودون او سن سيمهون، لايش، زيبيل، وفي وادي  
العاصي: نصبتى الثغور، وفي الجهة الشرقية بلاد البارا آرتيزي، قافاردان، روح  
اما انحاء قديموس، ابقا، ميعاد وكانت مسكونة الاسماعيليين الذين كانوا تجاه الافرنج عن  
نوع شبيه. لاستقلال اما القلاع والمعازل التي كانت في جبال الصبيد، فقد اقطمها امر  
الايالات الى جملة الزداد الصايبيين، اسب اشكال المحافظ لها وادافه عنها.

جمية الزهاد الصايبيين — ان جميع الزهاد لماحه التي خلت ان حرب الامايبيين،  
كان لها ايد البضة في تمديد حياة الحكومة المدنية. وأولها الزهاد ثلاث جماعات:  
المعبدية Les Chevaliers du Temple، وفسان سرجان، والتوتونية Les Chevaliers du Temple.  
والشركة التوتونية Les Chevaliers du Temple.

قلعة، من هؤلاء تأسست سنة ١١١٨ من قبل هوك دويون ورفقائه بقصد الدفاع عن  
نصارى الارض المدمسة. وقد اهداهم الملك بويرين الثاني، بيتاً تجاراً الى



معبد سليمان عليه السلام، ليأخذوه مركزاً لجمعيتهم. ولذلك سميت بالمعبدية. وقد تمكنت هذه الجمعية بعد تأسيسها بأقل من قرن، أن تحصل على مكانة تامة، وتشغل مقاسماً مثيناً. وكان رؤسائها *Henri, 1777* بمثابة الامراء، لهم جنود وقواد وقسلاخ، ويزعمون دخل هذه الجمعية في اوروبا كان يربو عن مائة مليون. وكان لها في سورية ١٨ قلعة مع توابعها. وطرطوس — *Tréport*، عتبات *Tréport, 1777* كانتا من اهم تلك القلاع. وكادت هذه الجمعية ان تكون على اتم الاستقلال في الامور الحربية. وقد عدت مباشرة مع المسلمين هدناً عديدة. ولم سقطع المناسبات بين رؤساء المعبدية وامراء المسلمين، وكان لامراء يطلبون كفاها المعبدية في اكثر هدهم مع اللاتينيين. وقد اقيمت هذه الجمعية بامر البابا قله من الخامس بايسار ملك فرانسه وطناً بما عندها من الثروة.

امارسان سيجان، وتسمى بزهاد رودوس ومالطه ايضاً فقد اسسها زهدارطوم — *Henri, 1777* سنة ١٥٩٩ لحماية الصاري الذين يقصدون القدس لاجل الزيادة، ولمدواتهم اذا مرضوا، وادارة مستشفياتهم. ثم توسعت هذه الجمعية في الموضوع ولم يلبث مریدوها ان شرعوا بالاشتغال في الامور الحربية ايضاً (١١٢١ م). ولما فتح السلطان صلاح الدين ابوين بلدة القدس، نقلت هذه الجمعية من ترها الى عكا. ومن ذلك التاريخ اخذت عكا اسم *Tréport*. ولما طرد الصليبيون الطرد النهائي من سورية انتقلت هذه الجمعية من عكا الى قبرص، ثم الى رودوس وبض هيك. وندار قرتين. ولما فتح السلطان سليمان الثاني تلك الجزيرة طرده منها بذهبه الى مالطه ولما هناك الى زمن تالليون يونانارت، وكانت قلعة مرموقة. والاكراذ *Tréport, 1777* في ايدي هذه الجمعية، وكان امراءهم والادع عنها من طائفتها.

اما لمرقة توتون *Tréport, 1777* فقد اسسها صليبو الالمان سنة ١٢٨ وقد كانت هذه الجمعية معرضة من الامور الدنيوية، ومنكبة على الحرب من سلاسله. وقد دخلت هذه الجمعيات تحت حماة البابا منذ تأسيسها لانها كانت عمدة الآلة البحرية. بمشيئته من مهابت اي امر اداده وقد حاربوا في نظام مخصوص وطائفة هذه الجماعات وبين طوائفها فكانت عمدة (اسن حايين) صليب ابيض على ثياب حمراء. والمعبدية صليب احمر على لباس ابيض والتموتونين صليب اسود على ثياب بفض. وهذه الاء كانتا مرموقة. والصوف الروحية لذلك كانوا مذكرون بالراج. والاسس منهم البابا وعلم هؤلاء الزهاد، ومناحة الابطال الذين تاطرو زمراء في حرب المسلمين في اقدس سكر لهم البابا سياهم، وبعده عن ذرهم، لم تكذب تنق شيت في محاولة سكره.

القدس . بل تمكن المسلمون بعد معارك دموية دامت ١٩٥ سنة ، من طرد هؤلاء الفاضيين عن ملكهم ، واحتفظوا باوطانهم ، ولم تزل الارض المقدسة في ايدي اصحابها المسلمين .

— ١١ —

## الكتابات التاريخية

(١) ( كتابة السلطان خليل ) ٩٩٣ هـ ، في الجامع الكبير لطرابلس -- ا ، هذه الكتابة محفورة فوق باب الجامع الشمالي المبنى على الطراز العوتي وعلى الحائط الان هو على يسار ذلك الباب :

« البسملة . . . امر بانشاء هذا الجامع المبارك مولانا السلطان اعظم سيد ملوك العرب و امجم . فاتح الاصدار ، و سيد الكمار الملك الاشرف صاحب الدنيا والدين . خليل قسيم امير المؤمنين بن مولانا السلطان المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون الصالحى خلد الله ملكه ، في نيابة الامر العالي الاميرى الكبرى النزي ، عن الدين ايبك الخزندار لاشرف المنصورى نائب السلطنة بالفرجات والسواحل المحروسة عفا الله عنه وذلك في سنة ثلاث وتسعين وستماية والحمد لله وحده . »

تولا عامر . هـ . الجامع ابارك لعبد الفقير الى الله تعالى سلم الصهيوني بن ناصر الدين المعجمي عفى الله عنه .

ومما يقاب على الظن ان هذا الجامع كان كنيسة في زمن الصابيين . فقولها « سلطان قلاوون الى جامع ، وبابه الذى كان مبني على الطراز العوتي ، قاب في زمن خليل لاشرف بن لاوون ونحى على الطراز العربي . والظاهر الموجوده في حريم الجامع ومنبره للطيف شديد في زمن . لمطنة محمد الناصر ثاني اولاد قلاوون وهذه الكتابة تبرهن عنه :

(٢) — « البسملة . . . انما يعمر مساحد الله من آمن بالله واليوم الآخر . امر بانشاء هذه الروايات ، بملة الجامع المبارك مولانا السلطان محمد ، قلاوون خلد الله ملكه في نيابة مصر الشريف الى الدينى كستاي الناصري ، كافل المائة الشريفة الطرابلسيه عن الله انصروه بانصاره المرالى (\*\*) البدر محمد بن ابي بكر شدد الدراوين (\*\*) اممودة ادم الله نعمته وكان الدراغ منه في شهر سنة خمس وسبعماية وصلى الله على سيدنا محمد .

(١) هي من المراتب العالية .

(٢) المناظر على الدواوين .

تولا عمارته العبد الفقير الى الله تعالى احمد بن محمد بن البعلبكي. (٣٤)

(٣) — كتابة الامير قرطاي على المنبر (٦٢٦ هـ). — « امر بانشاء هذا المنبر المبارك العبد الفقير الى الله تعالى قرطاي بن عبدالله الناصري اثابه الله فاقام به من ماله بكتوان بن عبدالله الشهابي ، تقبل الله منه وذلك في شهر ذى القعدة سنة ستة وعشرين وسبعية » .

حفرت هذه الكتابة باحرف صغيرة لطيفة . والامير قرطاي المذكور في الكتابة هو من بمالك السلطان قلاوون . وقد نصب (مقدم الف) . ووجد وال في طرابلس مر سنة ٧١٦ الى ٧٢٦ . وقد توفي في هذه البلدة بعد هذا التاريخ بتأني سنين . وقد خلفه : الامارة الامير طانيال الذي سيمر علينا اسمه .

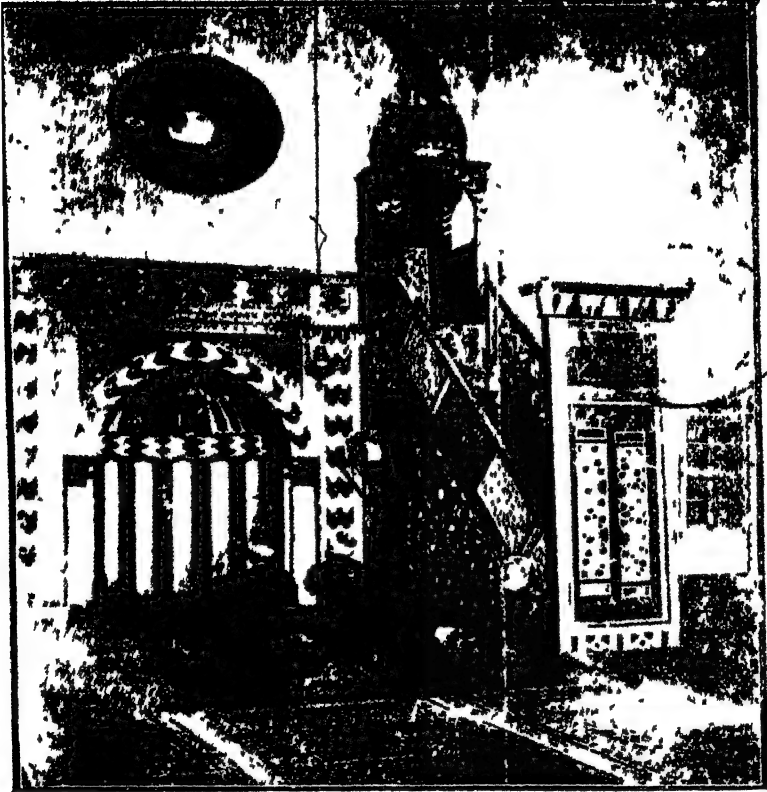
(٤) — صورة امر السلطان صالح (٨١٧ هـ) — نقش هذا الامر فوق الباب الواقع في الجهة الجنوبية الى الشرق :

« الحمد لله . . . رسم بالامر العالي السلطاني الملكي المؤيدي ابي انصر شيخ اعلاه الله وشرفه وانفذه وصه بابطال المظالم المحدثات على اهل طرابلس من التحجير على قوت العباد من القمح واللحم ، والحز والطرح وغير ذلك بحيث لا يعود ، ويبطل ذلك جميعه في هذه الايام الزاهرة خلد الله سلطانها وادام قدرته على المسلمين بتاريخ خامس عشر شهر ربيع الاول سنة سبعة عشر وثمانماية والحمد لله (\*\*) »

يعلن في هذا الامر ، وفي الكتابة المحفورة على الباب الشرقي الموصل الى حريم الجامع اشدأ . منع ، حثكار في الحاجات الضرورية ، كاتنج ، واللحم ، والحز . ويصرح في تلك الكتابات ايضاً ، لغوكل ضريبة لم يامر بها القرآن .

(٥) — كتابة امير ازدمير « ٨٨٣ هـ » . — منقوش على احد محاريب الجامع الكبير : « امر بترخيم هذا المحراب المبارك العبد الفقير الى الله تعالى ازدمير الاشرفي كافل المملكة الشريفة الطرابلسية المحروسة اعز الله انصاره في ايام مولانا وسيدنا قاضي القضاة الشافعي الامام . في مستهل ربيع الآخر سنة ثلاث وثمانين وثمانماية ، ببشارة محمد الشاد » ترى اسماء القضاة الذين كانوا على غاية من التفوذ في اواخر ايام الممالك ، مكتوبة في اكثر الكتابات المحفورة في ذلك الزمن .

(\*) هذه الكتابة مكتوبة على حائط يرمي الى الجنوب في حريم الجامع .  
(\*\*) نقش عين هذا الامر على الحائط الشمالي في جامع طوبا في طرابلس ،



المنبر الطريفي في الجامع الكبير الطرابلسي



## الكتابات التاريخية

يوجد أسماء قضاء كثيرة في هذا القيل في شرب بعلبك .  
لم يكن اسم ازدمير معروفاً قبل تسلطن قايتباي « ٨٧٩ هـ : ١٤٧٤ م » ولكن هنثلاً  
كان من قرباء السلطان ، فتبع بسرعة زائدة . ثم توفي وهو وال في حلب « ٨٩٨ » بعد  
ان صار وال في صفد وطرابلس . وشهد الوقائع الكثيرة .

\*\*\*

الكتابات في المدرسة الشمسية — يوجد ثمانى انواع من الكتابات على الحائط الجنوبي  
لهذه المدرسة الملاصقة للجامع الكبير من الجهة الشرقية . وكانت الكتابة الاولى اثناً  
ولاية « سيف الدولة قصروه » من بمالك الامير نيرار الظاهري ، منع فيها الملك الاشرف  
برسباى في طرابلس تسخير حيوانات الركوب والنقل للاستخدام في نقل البريد « ٨٢٦ هـ »  
ومنع في الثانية الملك الظاهر جقمق اثناً . ولاية برسباى الناصري الظاهري [\*] ، جباة  
الضرائب والرسوم الباهظة التي كانت مضوبة على صانعي التساج ، وعلى الصكروم .  
« ٨٤٦ هـ » ، والثالثة منع فيها الملك الاشرف ابو النصر قايتباى ، جباة « ١١٤ » درهم  
التي كانت تجبي كل يوم من مسلخ طرابلس باسم والها « سيف الدين اتيال الاشرف » . ثم في  
زمن وال آخر لطرابلس اسمه « اتيال الاشرف » [\*\*]  
وايام سلطنة قايتباى حجب في احدى الكتابات على الحكومة ان يتابع من الاهالى الصابرين  
والزيت والجنب . وغيرهم من الحاجات الضرورية بمن يحبس ثم يتبعه بمن غال . قد افصحت  
الكتابة عن ان هذا القرار كان بعد شكاية قدمها التجار الى الحكومة .

\*\*\*

(٦) — صورة منشود السلطان قايتباى (٨٨٩ هـ) — محفوظ هذا المنشود السلطاني على  
نفس الحائط بين النافذة الثالثة والرابعة :  
« الحمد لله لما كان بتاريخ العشرين من شهر الله المحرم الحرام سنة تسع وثمانين وثمانمائة ،  
ورد مرسوم الشريف العالي المولوى السلطاني المملكي الاشرفي السيفي ابو النصر قايتباى  
اعلاه الله وشرفه وافقده في الآفاق ؛ وصرفه بابطال مكس الدوايب الحرير ، والقصانة الكوف

(\*) كان رساى الناصري من ممالك (السلطان الناصر فرج . طعان حقيق) الذي ردى الى  
السلطنة بعد ان كان رئيساً لحجاب السلطان برسباى ٨٤٢ هـ ، وآزره على تأييد ساطته ، وعليه  
جزاء جقمق باقطاعه ولاية طرابلس .  
(\*\*) ان اتيال الاشرفي كان وال في طرابلس من سنة ١٨٨٦ الى ٨٨٩ . ثم التحق بالامير  
(اقباردى) الذي شق عصا الطاعة على (السلطان محمد الناصر) خليفة قايتباى ولكن ما لبث ان غلب مع  
سيده في مرعش وقتل :

والقدموس وابطال مكس نجيلة البقر والجادوس وقطع الضأن، وقدم الامانة كلفة. بالقدموس والحقايق على حكم ما يودهم من المراسم الشريفة على جاري طاعتهم بقصته بالخط الشريفة المرفوعة من اهل الكهف والحوابي والقدموس بتاريخ تاسع شهر رمضان المعظم قدمه سنة ثمان وثمانين وثمانماية .

صرح في هذا الامر بالغا الضرائب والمكوس التي كانت تجبي من تجار الحرير والقصاين في قلاع الكهف والقدموس، والمكوس التي كانت تجبي من اساكفة قدموس وخوابي، ومكوس نجيلة الحيوانات وهاتين القصبتين. وان بعض هذه المكوس تشبه (ضريبة التوافذ) التي تجبي اليوم في فرانسة. اذ كانت تطرح مبدولة في تناسب مع نتيجة السعي. وقد جاء في الكتابة ان كثرة الوارد وقلة ما يتبع كثرة معلى الصنعة (قرم الاساكفة) وقلتهم. وعليه اذا كان في احد المصانع معلان، وفي الآخر خمسة، يكون مكس الاول اقل من الثاني، ولو كان مقدار العمال في المصنعين واحداً .

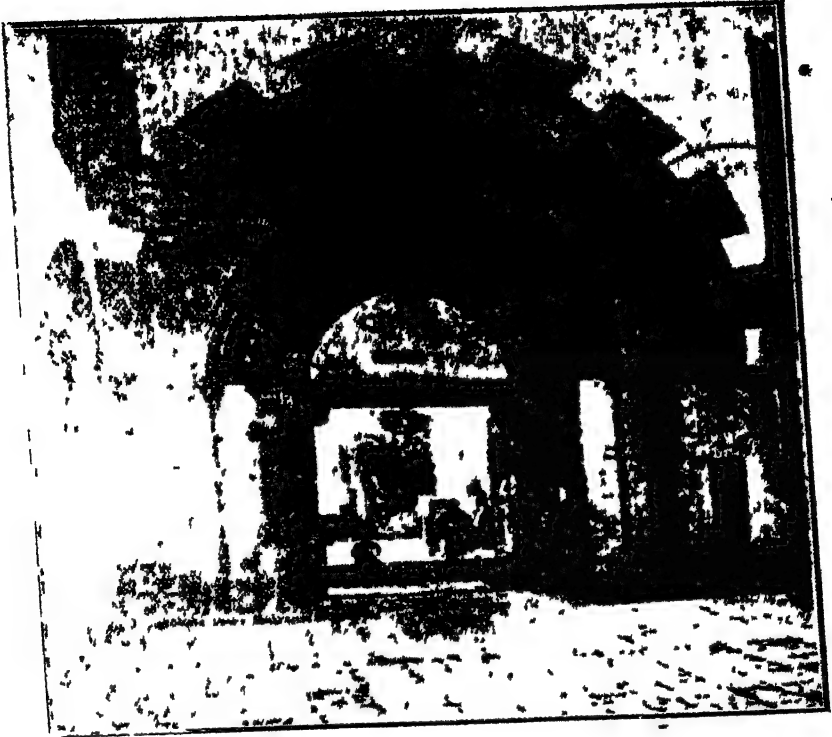
اما الكتابة الثامنة فهي على نفس الحائط بين النافذة الثانية والثالثة وقد جاء فيها [ ان الولى «قصوة الجياوى» سمع بان ناظر القصر يدفع نصف ما يجب عليه دفعه من شخصات الحرمين الشريفين في كل سنة، ويجبي النصف الاخر من قروى الاراضى الموقوفة. وبين فيها ان هذا العمل اختلاس، انه ممنوع البتة ويؤمر فيه بان لا يؤخذ من هؤلاء القرويين الا الجزية الشرعية، او المال المقرر (اي الحراج).

\*  
\*\*

جامع طابلان، وكتابات — يوجد هذا الجامع على يسار «نهر ابوعلی» خارج السور وكان كنيسة من بناء الصليبيين. ولما فتح السلطان قلاوون البلدة (سنة ٦٨٨) بقى هذا المعبد مهملًا، ولم يزل الى سنة (٧٣٦) حيث حوله سيرة الدين طابنالى والى طرابلس الى جامع. وهو مستطيل الشكل يتألف من رواقين مسقوفين. وله غرفة على عين الباب معدة للخطيب. ويفهم من الكتابة التي على المزار، انه كانت في الجانب الاخر من الباب غرفة اخرى. ويدخل اليوم الى غرفة الخطيب من باب خارجي. وتوجد على الرخام فوق الباب العام هذه الكتابة

«٧» — «بسملة». «مر بانشاء هذا الجامع الشريف بطرابلس المحروسة، تماماً المبارك المآثر الاشرف العالى المولوى الاميرى نائب السلطنة فى ايام المسالك الناصر فى شهر رجب سنة ست وثلاثين وسبعماية» .

وتقفية الجامع. — ان هذه الوقفية الجملة محفورة بحروف نائنة على الحجر الكائن فى الرواق الاول على الناحية الشمالية الغربية من الباب :



أكبر أبواب الجامع الكبير في طرابلس





« (٨) - « البسملة » - امر بإنشاء هذه الجامع المصنوع بذكر الله تعالى مولانا المير  
الاشرف العالي المولوى الكافل ، السيدى المالى المندوبى السفى طينال الملكى الناصرى  
تكفل الممالك الشريفة الطرابلسية بلفه الله آماله وتقبل فى الصالحات اعماله ، ووقف عليه  
لمصالحه المعينة فى كتاب وقفه جميع البستان المعروف بالجوى بظاهر طرابلس ، وجميع الحانوتين  
الملاصقين لبابه ، وجميع البستان المعروف قديما بالططاش بسقى طرابلس وجميع الحانوتين  
الملاصقين لسوق السلاح بجوار الحمام المعروف باستدمر ، وهى الان ملك الواقف وجميع ثلث  
الحان المعروف بدار الوكالة البديعة ، وجميع القرية المعروفة مارزونية من عمل عرقا بجوى  
طرابلس وشرط انه مهما فضل عن ريع هذا الوقف عن ارباب وظائفه ومصالحه المعينة فى  
كتابه يصرف للفقراء والمساكين المقيمين بطرابلس ، والواردين اليها حسب ما يراه الناظر فى  
ذلك من غير ان يرتب لاحد فى كل شهر او كل يوم ، ومن غير ذلك او بدله او رتب شيئاً  
مستمراً كانت عليه لعة الله والملائكة والناس اجمعين . »

وعلى رواية الصفدى والمقرئى ان الواقف الامير سيف الدين طابيال مملوك السلطان  
محمد الناصر وحاجبه ، وكان قائداً لمائة من الجنود ثم ولى ولاية طرابلس مرتين سنة ٧٢٦  
٧٣٥ . وقد بنى الجامع المسما باسمه اثناء ولايته الثانية . ويروى المؤرخون ان طينال  
هذا ان من الولاة الادكاء والمديرين ولكنه عرف بالحسة والطمع . وقد توفى سنة ٧٤٣  
اثناء مروره بالشام . واكن لم يتضح مدقته أفى طرابلس ام فى الشام ام فى بلدة صفد التى  
ولى امرها مدة . وتوجد فى الشام مدرسة تسمى باسمه .

وقد بنى هذا الامير تربة فى الجامع نفسه لتكون مدفناً له . وحفر على بابها  
وقفية اخرى . عدد فيها من الاملاك والعمارات ما يحمل اليوم أكثره ، ووقف ريعها  
ليصرف على هذه التربة . وتوجد هذه الكتابة منقوشة على المنبر :

(٩) - « البسملة - انما اعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلوة  
وآتى الزكاة ، ولم يخشى الا الله فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين . تكمل هذه التبر  
فى شهر ذى القعدة سنة ست وثلانين وسعمائة .  
ومنقوشة على التبر هذه العبارة :  
« عمل المعلم محمد الصفدى رحم الله من ترحم عليه . »

« الكلمة المختلطة تم اخذ مكتوبة خطأ . لان المنبر مذكور فيجب ان يكون اسم الاشارة  
مذكراً ايضاً . ونظراً لاتمام انشاء الجامع فى شهر رجب كما مر فى الكتابة السابعة يكون  
الشروع فى المير بعد ثلاثة شهور من ذلك التاريخ .  
قاعة طرابلس وآدابها - حاصر ديموند الرابع امير (قونت) طولوز طرابلس فى ايام

الصليبيين (١١٠٤ م) وبناءً على استئصال السكان في الدفاع دامت تلك المحاصرة خمس سنين فعمد المحاصرون وبنوا لهم حصناً فوق هضبة جبل الحاج . وشرع في بناء البلدة حول هذا الحصن في زمن استدمير الكرسي الذي ظل وال في طرابلس من سنة (٧٠٠) الى (٧٠٩ هـ) وسفح هذا الحصن من الجانب الشرقي عمودي يهوى الى اعماق وادي (نهر ابو علي) . وهذا الحصن يشبه اجمالاً حصون البيا في اوينيون Oignion احدى البلاد الفلانيوية .

(١٠) — منشور السلطان شعبان العسكري — حفرت هذه الكتابة على باب القلعة الثاني ، المثل على الناحية الشمالية « البسمة . . . لما كان بتاريخ العاشر من شعبان المكرم سنة ست واربعين وسبعمائة للهجرة النبوية ، برز مولانا السلطان الاعظم ، المالك الملك الكامل سيف الدنيا والدين شعبان بن السلطان الشهيد الملك الناصر محمد بن السلطان الشهيد الملك المنصور قلاوون لا زال مراسمه نافذة في الافاق ، هائلة سحب سماحها بالاغراق والاطلاق ، ان يساح جميع الجيوش المنصورة الاسلامية والامراء والممالك السلطانية والجزء الحقائق والاحزاب والامراء والاتباع بما لعله يتعين للديوان المعمور على كل مفصل منهم من بقية خدمه او تفاوت ايام الديوان ما بين السنين الشمسية ما بين السنين الشمسية ( تكررت الجملة مرتين ) والقمرية ويبطل تخريج ما قبل ذلك بديوان الجيوش المنصورة بالممالك الاسلامية بحيث يبقى الديوان المرتجع مدخل في اقطاعات المقطعين ويكون جمع ما يتعين من الديوان محاسبات مسموحاته داخل في هذا الانعام على توالي الايام مشتمل عليه البطاء الذي شمل جوده الخاص العام . ومثوبة محمد اجرها في دار الكرامة وسنة حسنة له اجرها واجرم من عمل بها الى يوم القيامة ومن تابر على لاقتداء فيه فيه ( تكررت الكلمة مرتين ) حقق الله من الخير ظنونه ، ومن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ، ومن تقصه او قصد تقصه على مر السنين فيكون الله عز وجل خصمه ونبيه محمد سيد المرسلين ويحقق عليه امانة الله والملائكة والناس اجمعين . وبالاثم الذي يخسر به الدنيا والاخرة وذلك هو الخسران المين . . . . . ومن . . . . . وهو خير الوارثين في ايام ملك الامراء الامر الاشرف العالي الكافى السيفى قارى الحكامى كافى السلطنة اشرفية بافتوحات الطراباسية عز نصره . »

كتب هذا المنشور الباحث عن الميزانية العسكرية في ايام شعبان بن محمد بن قلاوون من سلاطين الممالك ( ٧٤٦ -- ٧٤٧ هـ ؛ ١٣٤٥ — ١٣٤٦ م ) .

وقد بحث المؤرخ المعروف ابو الفدا . وابن الوردي عن هذا المنشور وقال ابو الفدا وفي هذه السنة كتبت الكتابات على قلعة حلب وغيرها من الحصون .

وقد طمست هذه الكتابات في قلعة حاب ، والشام ، وبصرى . اما في حصن الاكراد

## الكتابات القديمة

٤٥٤

ليس على شك! ولا تكاد تقرأ إلا بصحوة . وأما في طرابلس لمحي لثقي غاية من الوضوح ولكن أسلوبها همد غير واضح . والكلمات التي خط تحتها اما مكرونة ، واما فيها خطها . ولا يمكن الاطلاع على مضمون هذه النشرة البعيدة بأسلوبها عن العربية ما لم تراجع الكتب التاريخية التي كتبت في ذلك الزمان .

وفهم من هذا المنشور ان الرواتب كانت مرتبة على الحساب الشمسي غير انها تدفع عند انتهاء الاشهر القمرية . وكانت الامراء والقواد والجنود تريح كل سنة راتب احد عشر يوماً ويكون هذا الرخ عطية سلطانية . ويروي المؤرخون انه اذا توفي احد القواد او الجنود دون ان يتم مدته المقررة . يلزم وارثوه برد المبلغ الذي كان اخذه . ومنشور السلطان شعبان الذي يبحث عنه قصي بفسخ هذا الاصول ، واقل اسر منسوي الجندي هم هذا الدين العسر .

لا يفرنا هذا المنشور بمضمونه الحسن فنحكم بسببه على بعد نظر السلطان شعبان في الشؤون الادارية واعتناؤه بتنظيم الامور العسكرية . بل ان شعبان هو الاجدر بالكراهية والفرة بين سلاطين المماليك لانه كان منكبا على السفاهة ، وغارقا في اللهو والهوى . والغاية من اصداره هذا المنشور هي تطليب نفوس الجنود الذين كانوا على غاية الاستياء منه واستمالة قلوبهم نحوه . ولم يكن اعفاء اسر القواد من هكذا دين متكررا . وقد اسهب ابو المحاسن في كتابه « المنهل الصافي » في تفصيل ما ارتكبه السلطان شعبان من الظلم والجور على الرعية ، وما كان عليه من حب المال والحرس على جمعه .

(١١) -- كتابة السلطان سليمان القانوني ( ٩٢٧ هـ ) . - تقرأ على باب القلعة الاول المطلق على البحر هذه الكتابة :

« بالبسملة . . . رسم بالامر الشريف العالي السلطاني الملكي المظفرى سلطان سليمان شاه بن السلطان سليم شاه لا زالت اوامره النيرة مطاعة في الامراء بان يجدد في هذا البرج المبارك ليكون حصناً منيعاً على دوام ، وكان الفراغ من عمارته في شهر شعبان المبارك سنة سبع وعشرين وتسعمائة »

من المعلوم ان السلطان سليم الاول فتح سورية ومصر معاً ، و اضافهما الى الملك العثماني سنة ( ٩٢٢ هـ و ١٥١٧ م ) . ثم خلفه السلطان سليمان القانوني ٩٢٦ - ٩٧٤ هـ . وبعد تسلطه ببضع شهور جاء الى سورية ، وجمع ولاية الايلات في مجلس تحت رياسته . وقرر فيه على اصلاح قلعة حلب وطرابلس . وري في الكتابة انه اضيف لاسم السلطان عنوان « شاه » هو تعبير يراني . مع انه قد استعمل في الكتابات العثمانية الموجودة في مصر عنوان « خان » الذي يستعمله المغوليون . وقد نبه على الاغلاط في هذه الكتابة رسم خطوط تحتها .

جامع العسكرية في طرابلس لما فيه من الكتابة — هو على الضفة اليسرى من نهر ابو علي وقريب من جامع طرابلس. وان هذا المسجد الذي قوض بنيانه واشفى على الانداس ، هو الآن مسكن تقيم فيه احدى العائلات الاهلية ، وله اوقاف كثيرة كتمان غيره من المؤسسات الدينية في البلاد الاسلامية . وقد قبض الطمع له من سلبه جمع اوقافه من الايدى الجائرة ، فاصح والحراب ينقصه من جميع اطرافه . وان وقفية هذا الجامع التي درجناها هنا ، هي مما يدع العقل في حيرة ووله . فكيف ممكن اولئك الظالمون من الجناية على هذا المسجد ، وسلب جميع مستغلاته التي تربو على المثل بحساستها ؟ .  
ون هذا البيان المقدس الان هو على ما ينظر له الفؤاد من سؤ الحال والحراب .  
(١٢) وقفية الواقف (٧٦٠ هـ) — مكتوبة هذه الوقفية على الصفحة الجنوبية من

الجامع :

« باسملة . . . وقف الجانب الكريم اقطرق الحاجب هذا المكان المبارك ، بجدا لله تعالى ، وتربة للدفن ووقف على مصالحه وعمارة ائامه وتطاويقه ، جميع المزرعتين المتلاصقتين من عمل حصن الاكراد وهما مرج السلطان وقيمرة وجميع البستانين المتلاصقين بقرية رشعين من عمل طرابلس احدهما يعرف بمحوود والاخر بابن الاقرمي ، وجميع الحوائت الاربعة المتلاصقات بالصف الشرقي من سوق الحلاويين طرابلس وجميع الدار الملاصقة للمسجد ، وجميع الآدر الثلاث المتلاصقات بخان المصريين بطرابلس وجميع الحصة الشايعة وقدها . والنصف ، والرابع من جميع الدار شمالي خا ، المهندس بالجسر المتق وجميع القرن المعروف بكرخولد للمسجد المذكور وفقاً شاعياً يبدأ من ريعه وعمارة واصلاحه ويصرف منه في كل شهر اربعون درهماً للامام بالمسجد المذكور وخمسون درهماً الى مؤذنين بالنوبة يؤذنان ، اذنة المسجد المذكور وثلاثون درهماً الى قيم المسجد والعربة وخمسون درهماً في ثمن زيت وقنادل وآلة الكنس والاستسقاء . وبصرف في يوم الاثنين من كل اسبوع ثلاثة دراهم في ثمن خبز يفرق بسباب التربة ودرهم واحد في ثمن ماء ونلج وكذلك يصرف في يوم الخميس من كل اسبوع ، وبصرف في كل شهر احدى عشر درهماً في ثمن كدوة من قيص او لباس قميص وغه ، ذلك للايتام والارامل والفقراء المسلمين وما فضل بعد ذلك يصرف الى من كان به برأ محتاجاً من اولاد الواقف وانساله ومن عتقه بالسوية فان لم يكن فيهم محتاج صرف الى . . . المسلمين في باب التربة وشرط الواقف ان لا يورثه من اولاده وانساله والى . . . كا ، امير حاجب كبيراً بطرابلس وشرط الواقف ان لا يؤجر وقفه باكثر من ثلاث سنين ، وبصرف هذا ، ولا تقدر عليه . ظالم ومكوس حديما ضمن ذلك كتاب الوقف المؤرخ بمصنف ذي الفعدة الحرام سنة سبع وخمسين وسبعماية الثابت المحكوم به بمحاضر الحكم العزيز بطرابلس المحروسة ونقش ذلك في ربيع الاول سنة ستون وولاء لهذا المسجد من الم »

بحق ولديهم نصفه أربع أصبع من قنطرة طرطوس (١٢٠) . . . . .  
 المدونة الخالوية في طرابلس - سميت هذه المدونة بالخالوية لانها بنيت على تقفة  
 (ارغون خاتون) ، بمعارفة زوجها ، وكانت على الضفة اليسرى من نهر ابو علي ، قريبة  
 من باب جامع طرابلس ، وهي الآن محولة مهلة ، لا يحدها الا ذوات الحاجة للرحاض .  
 وكان لهذه الدار الخيرية اوقافاً غنية الدخل وهذه الوضعية تطلنا على محيطها ؟

(١٣) - وقفه المؤسس عز الدين ايدمر الاشرفي (٧٧٥ هـ) - البسملة . . . الحمد  
 لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد انشأ هذا المكان المبارك مولانا المقر الاشرف العالي  
 المولوى الخدومي الكافى المرى ايدمر الاشرفي مولانا ملك الاسراء عز الله انصاره في  
 شركة آدره الكريمة الجملة المصونة ارغون ، تقمدها الله برحمته حسب وصيتها المتقدمة  
 ووقفت جميع القيسارية المعروفة بالدهيشة .

وبساتين الحريرين والخوانيت التسعة والمتعدان لدى

ذلك خارجها ومعروفين بها ويعلق عليها باب

بالمقعد خارج الباب القبلى ملاصق له عن يمينه الداخل

منه ومن الخوانيت التسعة اربع حوانيت كبار ملاصقات لها عن

يمينه الداخل من بابها القبلى خاتونان وعن يسره خاتونان

والخمس اقباب ملاصقات القيسارية ايضاً وجميع الحوانيت

الثلاثة المتلاصقات تنجاء باب القيسارية القبلى

وجميع الحوانيت المتلاصقين بوسط السوق الشرقى

بالصف الشرقى بالقرب من قيسارية التجار وموقع

ذلك جميعه بطرابلس المحروسة على نفسها مدة

حياتها ثم من بعدها يصرف ذلك على الوجوه الاتى شرحها فيه ؟ وهو ان الناظر في  
 الوقف شرعاً يقرر بالتربة التى عينت للواقفة ، وتدفن بها اربعة حفاظ من القرآن  
 العزيز ، ويقرر لهم من المعلوم ما اقتضا رايه على انهم يرددون كل يوم الى تربة الواقفة  
 ويقروء بها ربعاً كاملاً من القرآن الكريم ويدعون عقيب القراءة للواقفة ومعتهها  
 زوجها المشار اليه اعلاه ويترحمون عليها ، ويسألون الله عز وجل لهما بالعفو والمغفرة  
 ويهدون ثواب القراءة الى زوجها ، ويشركون جميع المسلمين فى الدعاء ويختمون الدعاء  
 بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجعلون ختم القرآن فى كل ليلة جمعة بحسب

(\*) لم نثر فى الكتب التاريخية الى ما يعرفنا بهذا الواقف

## ولاية بيروت

أهم ما كان عليه أهل بيروت على قبرها في كل سبعة أيام ختمة كاملة . فإذا كانت ليلة الجمعة يهتفون بالترية  
فمن يهتفون بهم من المسلمين ومساكينهم يختمون الختم الشريفة على قبرها . ويذهبون  
فقد يكون كما تقدم وإن يعمل الناظر الشرعي في لوين من الطعام حسبما يقتضيه رأيه ويحضر  
قبطاً من خبز الخلطة الطيب الصافي ويوضع بالتربة ويفرق على الفقراء والمساكين من أمة  
محمد صلى الله عليه وسلم ويكون ذلك كل ليلة جمعة عند ختم القرآن العزيز وإن يصرف  
بالتربة ما يحتاج إليه من فرش وغيره شيء ومغاز قائم مقيم يقوم بها بكنسها وتنقيضها وفرشها  
وتنويرها وأن يجعل لطرابلس كتاب إيتام يحلس لهم الفقيه على العادة يقرهم القرآن  
ويعلمهم الكتابة وكل ما ختم القرآن العزيز ؛ أو مات أو أعرض عن الحضور للتعليم يرثيه  
الناظر غيره من إيتام المسلمين ، وإن يقرر تعلم في شهر مبلغ ثلاثين درهم يصرف إليه  
وإن يصرف إلى كل واحد من الإيتام كل يوم ربع درهم ويكسى كل منهم كسوة كاملة  
حسبما رآه الناظر من قبض وقبع ولباس وجبة ومتاع ومال هذا الوقف عند انقطاع سبله  
وتعدية جهاته إلى الفقراء والمساكين من المسلمين والبداء من ربع ذلك بعمارته ، وشرطت  
البيصر لنفسها ولها أن تثبت وتوكل فيه وتسند إلى من شئت ثم من بعدها يكون النظر  
لمعتقها مولانا ملك الأحرار المشار إليه أعلاه اعز الله انصاره ثم الارشد بالارشد من اولاده  
منها ، ثم إلى من شرطته في كتاب وقفها المؤرخ في الثالث والعشرين من شعبان سنة ثلاث  
وسبعين وسبعماية وتولى عمارة هذا المكان المبارك جميعه الفقير إلى الله تعالى الامير جلال  
الدين يوسف بن المرحوم العزى غزان الشفي انا به الله تعالى بالاجر العالي اعلاه الله تعالى  
وكان الفراغ من ذلك في سنة خمس وسبعين وسبعماية .

ان اردغون خاتون صاحبة هذا الوقف التي ذكر اسمها في الوقفية هي معتقة عن الدين  
ايدير الاوتوكى التاصرى الاشرفى والى طرابلس ، وزوجته . وبنيت هذه المدرسة  
والترية بهتهما . وقد بحث ابوالحسن وابن حجار ، والعسقلاني ، والمقرئى من المؤرخين  
في كتبهم عن ايدير بحثاً شافياً .

وعز الدين هذا كان من ممالك ( اوتوك ) ابن السلطان محمد الناصر قلاوون . ثم دخل  
في الجنود الخاصة وعلت مرتبته حتى اصبح من المقرين . وقد اجلى الى سورة حد ان قتل  
السلطان ولم يلبث الا قليلاً حتى صار ( مقدم الف ) في القاهرة وبعد برهة وجيزة ، نصب  
وال على طرابلس . وبقي فيها الى سنة ( ٧٧٣ ) ثم بارحها ورجع اليها في سنة ( ٧٧٤ ) . وتوفى  
وهو مستشار الجيش ( انا بك ) سنة ( ٧٧٦ ) .

لا نعلم كيف استطاع الظالمون عباد الطمع اختلاس هذه المستغلات الوقفية ، وهضموا  
حقوق هذه المؤسسة الخيرية كما فعلوا بوقف السكرية ؛ واهووا بها من شامخ مجدها  
الى حضيض المهانة والذل .

«ولما أجهلنا الدقية من طلبة الأنطولوجيا الشرقية من الحسن . لأنا ما خطي بحجب العجاب من المهارة في سيرة الاملاك الوقفية والختلاسات . لسمع بلن يأخذ بيد الحكومات في الغرب من التمويل ويعدنا بالاموال الطائلة لتنهض بالمر معارف البلاد ، ويشيد المؤسسات الكافية لهذه المهمة في قاعدة الملك ، وغيرها . فتجذب على هذه الاعمال الشريفة وتصدق بامتداحها وتظهر في مظهر عبي السور والاحسان ، ولكن لا نأخذنا الاربعية لتأيس المستشفيات التي تدور عنا الامراض السارية ، ولا لتشديد المدارس التي تقوم أعوجاج اخلائنا . ولتأقف عند هذا الحد ؛ بل نجد أكثر ما شيد الاسلاف من الاوقاف الخيرية في اربع اقطار البلاد الاسلامية اصبح اليوم منطمس المعالم ، دارس الآثار ، اهمته افواه اولئك التغلبن الظالمين الذين ختم الله على قلوبهم فلم يعلموا اهم ياكلور ناراً تصهر ما في بطونهم . ويدعى المدعون انه موجود في طرابلس من الاوقاف أكثر من ٣٦٠ مؤسسة معدة لافانسة الفقراء واليتامى والساكين ، والايتام من النساء ، والتخفيف عنهم والقيام بجميع حاجاتهم الضرورية . وقد علمنا ان دائرة الاوقاف في طرابلس ان قيمة الاوقاف المضبوطة فيها اليوم تناهز سبعة ملايين غرشاً ، ودخلها السنوي (٢٢) الف غرش ولا يمكن ان نين — ولو على وجه الاجمال — شيئاً عن الاوقاف غير المضبوطة . ولكن من الحق ان هاتيك الاوقاف التي لم تزل تحت رحمة متزليها لا تقل عن عشرة امثال الاوقاف المضبوطة . فإين تذهب هذه الغلال يا ترى ؟

ومن البعث ان ترتاد في طرابلس ما ينطبق على حقيقة المؤسسات الخيرية . ومن هذه الغلال التي تقدر بثلاثة ملايين من القروش لا يصرف ولو واحد من مائة في ما وصله . ونرى ان هذه الثأبة الاجتماعية والاخلاقية الموجودة في جميع البلاد الاسلامية ؛ وسلت من الافراط الى درجة جديرة بان يهتم لها اوليا الامور وينظروا فيها ، بل كان من الواجب التوسل بالتدابير المؤثرة لقلب هاتيك الاوقاف الى ما تقتضيه المدنية من المؤسسات الخيرية او العلمية .

سبيل التينة في طرابلس — يوحد هذا السبيل في موقع مرتفع على الضفة اليسرى من نهر ابو على وتجاهاه الجامع المعلق . وقد كتبت هذه الخطوط في اعلاء :

«البسمة . . . انشأ هذا السبيل الفقير الى الله تعالى محمد بن المرحوم زين الدين مبارك شاه العلای في مستهل سنة ست عشرة وثمانئة .»



منقوش في اربعة اطراف الكتابة على هذا السبيل الذي نشأ (محمد بن زين الدين مبارك شاه العلای) هذه لاشارة التي تشبه الكتابة الهيرغليفية : ونرى اكبر ملوك الممالك يستعملونها في شعارهم .



Conte de la ville de ...  
 Etude de l'histoire de la ville de ...  
 الجامع الكبير في الشام ، وعلى سبيل الدجينة الذي بناه السلطان الناصر فرج في ...  
 وأرتين باشا ينسبها الى السلطان الناصر ، وسبيل التينة في طرابلس لا يمكن ان يكون من  
 آثار السلطان الناصر الذي كانت سلطته من سنة (٨٠١) الى (٨١٥هـ) ، لانه بنى سنة  
 (٨١٦هـ) .

(١٤) — كتابة المدونة الرفاعية في طرابلس (٨٧٠هـ) — حفر السلطان خشقدم  
 هذه الكتابة على الجدار الشمالي لهذه المدرسة الكائنة على الجانب الايسر من نهر ابو على قريباً  
 من الطريق الكبير الذي يصل البلدة بالمينا :

« الحمد لله ، لما كان بتاريخ مستهل ربيع الآخرة سنة سبعين وثمانماية ، ورد المرسوم  
 الشريف السلطاني الملكي الظاهري ابوسعيد خشقدم نصره الله تعالى وخلد ملك مالكمها  
 وادام اقتصاده الى المقر الاشرف الناصري محمد بن مبارك مولانا ملك الامراء كافل المملكة  
 الطرابلسية المحروسة اعز الله انصاره من مضمونه ان لا يؤخذ من التجلج حاة وغيرها من  
 السمسرة والترجة الا ما جرت به العادة القديمة وهي على الالف عشرة دراهم لا غير من غير  
 زيادة على ذلك وان لا يتاول الاحرة الا من باشر العمل بنفسه من ابناء السبيل ومنع التصاري  
 من الترجمة والسمسرة ولا يؤخذ شيء ممن باع سلته بغير دلال ، ومنع من يعارض ابناء  
 السبيل وابطال ما جدد على ذلك وهي الخمسة الزائدة على كل الف حسب ما شهد به المحضر  
 الشرعي وان تسطر هذه المثوبة رفعا للظلامة في الصحائف الشريفة اقتناء بقوله تعالى  
 « فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم » وسم ان  
 يستمروا ابناء السبيل في السمسرة والترجة . وملعون ابن ملعون من يغيره او يبدله او  
 يسمى في ابطاله او اعادته او يشا عنه كان عليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين وصلى الله  
 على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم »

ان الملك الظاهر خشقدم من ملوك المماليك حكم من سنة (٨٦٥) الى (٨٧٢هـ)  
 وكان والي طرابلس يومئذ من العرب لا من الترك خلافاً للعادة . وهذا المنشور يبحث  
 عن التجار والسماسرة ، وهاتان المهتان كانتا في الشرق الادنى منذ امد بعيد . وكان  
 التجار الافرنج الذين يأتون من او ، وبا . ومن سورية في زمن اهل الصليب يحتاجون الى  
 ترجمان لعدم وفوقهم على اللغة العربية .

(١٥) — كتابة السلطان قايتباي في جامع آرغون شاه (٨٨٠هـ) . — حفر هذه  
 الكتابة السلطان قايتباي فوق مدخل هذا الجامع الكائن على الضفة اليسرى من نهر ابو على  
 بين جامع السكرية ، وباب جامع طايلان :

## الكتابات التاريخية

١٠٠٠ هـ : لما كان بتاريخ شهر جمادى الآخرة سنة ثمانين وثمانمائة ورد من الشريف صريع جيتي من الابواب الشريفة السلطان الملك الاشرف قايتباي خلد الله ملكه ، بان جهات وقف المرحوم ادغون شاه بالسقي بطرابلس المحروسة لا تؤجر لا لتجوه ولا ذى شوكة واجهار التدي لزراع الاراضى بالحماية والرباطة ومنع من يعارضهم حسب ما شرط به الواقف في كتابه وتسليم الاراضى للسيد الحبيب النسيب السيد نور الدين محمود الحسيني الادهمي الناظر والشيخ بها بالزاوية المذكورة فاشار به المقر الاشرف العالى المولوى السيفى ازمير الاشرفى مولانا ملك الامراء كافل الملكة الطرابلسية اعز الله انصاره وورسم بنقش ذلك على باب المدرسة حسب ما شرط به الواقف في كتابه وملعون من يغير ذلك ويسى في تجديده .

يظهر من الكتابة انها خطت في زمن السلطان قايتباي ( ٨٧٢ — ٩٠١ هـ ) وفي امان ولاية ازمير الاشرفى الذى ترجمنا عنه في الكتابة الخامسة . وهذه الكتابة حفرها جيد وخطها واضح ومقرؤ .

( ١٦ ) — مرسوم السلطان قايتباي في جامع الداغين ( ٨٨٢ هـ ) . — ان هذا الجامع هو على الجانب الايسر من نهر ابو على قريب من الجسر الجديد ، في جواد جامع الطوا . ومحفورة هذه الكتابة على حجرين فوق الباب :

الحمد لله . لما كان بتاريخ ثالث وعشرين جمادى الآخرة من شهور سنة اثنين وثمانين وثمانمائة برز المرسوم المولوى السلطانى الملكى الاشرفى ابو النصر قايتباي خلد الله ملكه اشريف عند حلول ركابه بطرابلس المحروسة بابطال ما على جاعة الداغين بطرابلس من المكس المقرر لديوان الواقف الشريفة وان لا يكلفوا الى الدرهم الفرد وان ينقش ذلك في بلاطة على المسلخ بطرابلس لتسطر هذه المثوبة في الصحائف الشريفة وملعون بن ملعون من يحدد ذلك او يغيره .

وليس اليوم من اثر للمدبة التى يجب ان تكون على الضفة اليسرى من نهر ابو على . تحول السلطان قايتباي سنة ( ٨٨٢ هـ — ١٤٧٧ م ) في سودية لاحل المشارفة على الاعمال ، والى المكوس التى كانت تؤخذ من الداغين باسم الخزينة الخاصة :  
وفى محل آخر من هذا الجامع ، يوجد هذه الكتابة :

( ١٧ ) — « جدد هذا المسجد المارك ( . . . ) بن يوسف شيخ الداغين بطرابلس المحروسة بتاريخ عشر شوال سنة ٩١٣ ووقف عليه بعد وفاته دكان وولد [\*] ومخزن . . . »

اصلاح هذا الجامع . . . بن يوسف بن علي الملقب بـ «الملك» في أيام الملك (الشيخ) قاتوني الموصوف الذي قهره السلطان سليم بن يوسف الملقب بـ «الملك» في أيامه (٩٢٢-٩٢٣ هـ) . . . جامع الملقب بـ «الملك» هذا الجامع يعلمه في ذلك يسمى بهذا الاسم وهو في مدينة قيسية تقع عن طريقها من هذه المكتبة تدعى على اسمها أنما في زمن الشهابيين (٩٢٤ هـ) «البسيطة» . . . إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين . انشأ هذا الجامع المبارك العبد الفقير محمود بن المرحوم لطفى الزعيم رحمه الله وكان تمام النشاء في شهر ربيع الأول من شهر سنة سبع وستين وتسعمائة .

ومحمود بن لطفى الزعيم هذا كان في زمن السلطان سليمان القانوني الشهابي (٩٢٦ هـ - ٩٧٤ هـ) . ورغماً عن هذا فإن الجامع ، وما حضر عليه من الكتابة هو على الطراز السابق في دور الممالك .

جامع الطوبا — هو قريب من جامع الدغنين ، وقد شيد سنة (١٠٢١) هجرية ، وهذه كتابته :

(١٩) — «الحمد لله الذي من على عبده من جريان فيض فضله ويسر هذا الخير على يده وهداه إلى العمل بقوله سبحانه وتعالى ، إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله ، وحصل وجدد هذا الجامع الشرف لوجه الله الكريم بعد هدم جداره ومنبره ومحرابه ، وسبيل مائه من الفيضة الكبرى في سادس عشر ذى القعدة سنة عشرين بعد الألف ، الواثق بالملك الباري أحمد بن محمد الشرابداري الانصارى كتحداى حضره حسين باشا بن يوسف باشا السيفي امير الامراء بطرابلس ايد الله تعالى الدولة والسعادة عليهم وعسا عنهم وعن المسامين اجمعين آمين ، وتم بناء في شهر ربيع الآخر سنة احدى وعشرين والف ختمت بالحير» .

تتميز هذا الجامع الشهابي عن المؤسسات الدينية التي كانت في دور الممالك بوضوح كتابته وسهولة قرائتها . والفيضة التي ذكرت في الكتابة كانت في زمن السلطان أحمد الأول (١٠١٢ - ١٠٢٦) ، وقد بسفت كثيراً من الابنية ، وهدمت جدار جامع الطوبا ومنبره ومحرابه وسبيله ثم اصلحه أحمد بن محمد شربتدار عمدة حسين باشا بن يوسف باشا والي طرابلس وهذا كان معروفاً بالطمع والحرص ، والانهماك في الحرب والجidal . وقد افنى عمره وهو في جدال مع الحكومة ، ولا سيما مع فخر الدين امير الدروز المعروف . مدرسة خيرية حسن — قريبة من جامع السكركية (الحاتونية) . ولا يوجد تاريخ في هذه الكتابة .

(٢٠) — «وقعت جهة المرحوم قطلو المصنعه والمصرة ، والربع فوق المصرة وحسن



في منصب سام ، وبعد تسع سنين نصب قائداً على اسد الفيلق ، وسير إلى بولسنة فتوفي على الطريق في «طلة اوغزة» وقد لحاز على الشهرة الرفاة بين الأمراء بضجائعه وبأسائه وكروحه وقصواه .

وجقدار تتركب من كلمة ( جق ) التركية ومن ادات ( دار ) الفارسية ومعناها « ذو المقبضة » ويشترط فيمن ينال هذه الرتبة ان يكون مهتماً ذا همة . وكان الجمقدار يقف في الايام الرسمية على يمين السلطان وفي يده مقبضة من ذهب . وسنجر الجمقدار هذا هو من رجالي محمد الناصر ، واسم ( بكجري ) مركب من كلمة ( بك ) ومعناها الرئيس ومن ( جري ) ومعناها العسكر . فيكون معنى التركيب رئيس العسكر .

كتابات حصن الأكراد . — ان هذه القلعة مبنية فوق الجبال التي تفصل وادي العاصي عن ايلة طرابلس . في موقع يهدد الطريق الواصلة حماو حص بطرابلس وطرطوس وكانت في زمن الصليبيين من اهم القلاع الموجودة في حوزة فرسان سن جان . وقد استولى عليها سنة « ٥٠٣ هـ ١١١٠ م » تنكريد *Gancrede* امير انطاكية بعد ان غلب مسلمي حصن عليها . وبقيت هذه القلعة في ايديهم الى سنة « ٦٦٩ هـ — ١٢٧١ م » وذلك باسمائة فرسان سن جان في الدفاع عنها . وفي هذا التاريخ هاجمها السلطان بيبرس من الملوك البحرية ، وحاصرها بمقدار سبعة اسابيع ثم سخرها عنوة ، وطرد الصليبيين عنها واصلح شعبها ورأب صدوعها . وبرهاننا على صحة هذا الادعاء هي هذه الكتابة المنقوشة على مدخلها :

( ٢٣ ) « البسملة ... « صورة اسد » [\*] امر بتجديد هذا الحصن المبارك في دولة مولانا السلطان الملك الظاهر العالم « صورة اسد » العادل المجاهد المرباط المؤيد ، المظفر المنصور ركن الدنيا والدين ابو الفتح بيبرس قسيم امير المؤمنين وذلك بتاريخ نهار يوم الثلاثاء خامس وعشرين من شعبان سنة « ٦٦٩ هـ »

والكتابة الثانية محفورة فوق البرج الاسطواني الذي بنى باسم السلطان بيبرس وولى عهده بركخان في الزاوية الغربية من الدور الخارجي وهي :

( ٢٤ ) — « البسملة ... « صورة اسد » امر بتجديد هذا الحصن المبارك مولانا السلطان الملك الظاهر ركن الدنيا والدين ابو الفتح بيبرس قسيم امير المؤمنين وولاه الملك السيد ناصر الدين وذلك بتاريخ نهار الثلاثاء خامس وعشرين من شعبان سنة « ٦٦٩ هـ « صورة اسد » .

(\*) ان كل الكتابات التي كتبت في ايام السلطان بيبرس يصور عليها صورة الاسد التي كانت شعاراً له .

## الكتابات التاريخية

ويكتب باسم السلطان بيبرس وولي جهده البنية ، على الموضع السلطاني بالواشيم في الزاوية الجنوبية الشرقية للسور الخارجي هذه الكتابة : (١) سنة ١٢٦٩

(٢٥) — «صورة اسد» البسمة... امر بتجديد هذا الحصن المبارك في دولة مولانا السلطان الملك الظاهر ركن الدنيا والدين بيبرس امر الله نصره وولي جهده السلطان الملك السعيد ناصر الدنيا والدين وذلك بتاريخ نهار الثلاثاء خامس وعشرين من شعبان سنة ٦٦٩ «صورة اسد» .

وهذا الكتابات الثلاث التي تنطق على ان قلعة حصن الاكراد اصلحت في زمن السلطان بيبرس حفرت كما جاء فيها سنة ٦٦٩ يوم الثلاثاء .

كتابة السلطان قلاوون — هذه الكتابة خطت على البرج المربع الكائن بين جداري الحصن من الجهة الجنوبية :

(٢٦) — «البسمة... جدد هذا البرج السعيد في ايام مولانا السلطان الاعظم السيد العالم العادل المؤيد المجاهد الغازي المرباط المتأخر المظفر الملك المنصور سيف الدولة والدين قلاوون الصالحى قسيم امير المؤمنين خلد الله ايامه ونصر اعوانه وكانت عمارة في سنة ٦٨٤» (١٢٨٥ م) .

اشتدت ثورة الصليبيين سنة ١٢٨٤ . وبلغت الى درجة جعلت حصن الاكراد تحت خطرهما وتهديدهما . ثم مهدت امارة طرابلس ، وجماعة «سن جان» واشهروا الحرب على السلطان قلاوون وغما عن الهدنة التي عقدت بينهم في السنة التي تسلمن فيها قلاوون (١٢٨٠ م) وعليه اراد السلطان ان يفرع من ايديهم حصن مرقب الذي هو أكبر معقل لهم مهما كلفه الامر . فحشد الجنود وولى امر قيادتها الى (بالابان الطباخ) (\*) . ثم تفقد صدوع السلعة قبل ارسال الجيش فاصلحها وحفر عليها هذه الكتابة .

وكتب محمد بن قلاوون هذه الكتابة في الزاوية الجنوبية الشرقية من السور الخارجي على ارتفاع عشرة امتار :

(٢٧) — «جددت هذه البنية المباركة في ايام مولانا السلطان الملك الناصر محمد بن السلطان الشهيد المنصور قلاوون الصالحى قسيم امير المؤمنين وذلك في ايام الجنب المالى الاميرى الكبيرى البدرى بيليك السديدى نائب حصن الاكراد المحروس في شهور سنة ٧٠١» ويوجد في حصن الاكراد من الآثار الاسلامية ما عدا هذه تربة بدر الدين البيدارى من مماليك بالابان الطباخ ، وكنيسة مهدومة حولها بيبرس الى جامع ، وتوجد اقتض

(\*) راجع عدد «٢١» من الكتابات

منذ ولايتي

التي كانت في سنة ١٢٨١ هـ. وكانها هي التي يتكلم بها من هذا البيت. والاشرف في كتاب السلطان في حسن  
الاعراف. وخصص لهما الدخل الزاخر، سنة ١٢٨١ هـ. والاشرف يتكلم ما عدا هؤلاء. مستثنى  
لأنهم هم على اوقافهم، كثيرة، وهذه بالكتابة الموجودة في احد البيوت القديمة في حصر  
الاشرف. على وجود ذلك المستثنى :

٢٨٨) ربه اليسيرة، . . . انشاء هذا اليمين استبان المباديك للبعد الفقير الى الله تعالى  
بكتنر بن عبد الله الاشرف نائب السلطنة المعظمة بحصر الاعراف انا به الله تعالى واوقفه على  
مرضى المسلمين المقيمين، والواردين وذلك في شهر سنة تسع عشرة وسبعمائة .  
وقد عدد وقف هذه المؤسسة الحيرية. في كتابة منقوشة في كوخ يسكنه اليوم شخص  
يدعي محمد عثمانى .



## المباحث المحلية



## الجماعات المحلية

-١-

## ربوع لبنان

## ١ - من بيروت الى البترون

سفر طويل ، في حمارة الصيف ...  
لا مناص من هذا ، فانه واجبنا المحتم في هذه السنة : وقد كنا على بصيرة بما تكبدناه  
العام الغابر من المشقة المبرحة اثناء التجوال في الانحاء الجنوبية من الولاية ، ولا تزال قلوبنا  
واجفة من ذكرها لا من الرجوع اليها . ولكن لا ندري لماذا هشنا لاقترام هذه الشقة  
واقدمنا على هذا المأزق الصعب ؛ لما قيل لنا :  
— هلم الى القسم الشمالى من الولاية فادرسوه ، وتقربوا عنه !

من اعظم واجباتنا تصفح صحائف هذا الوطن العزيز ، وتعقب سطوره الكريمة قرائة  
ودرساً ؛ وان لنا لسعادة برشف هذا الرحيق الطيب من تلك الاكواب الفاخرة . فذلك  
الواجب الحق ، وهذه السعادة العظمى ، جمعت في عزائمتنا من القدرة ما تلاشت لعظمتها  
تلك العقبات ، وخرت امامها تلك الجبال الراسيات .  
علمنا ان فدآن ان نرمق آفاق بيروت الهادئة بنظرة الوداع ، ونقطع ربوع لبنان الى  
الاصراع الشامية . فتناولنا كتاب « دليل سورية وفلسطين » لبدكر الذى لا يزال يتداول  
في لايدى ، وفتحناه :

— سترون ... من بيروت الى البترون ؛ وثلاثون ... من البترون الى طرابلس !  
اذاً ، علينا لاول وهله قطع مسافة تسعين كيلومتراً . ولو لم يكن الحجر على طريق  
البحر ، لتسنت لنا باخرة توصلنا الى وجهتنا بثلاث ساعات . ولكن اولى لنا من ان نغمس  
في لجة البحر ، ونرمق جبال ملاك لبنان على شاسع البعد ؛ ان نعتنق تلك الآلهة البديعة  
التي ما زالت يعبدها كثير من الاقوام منذ زمن العتيقين .

الآن تدوج مركبتنا بضجائها على الجسر الهرم فوق نهر بيروت الذى سماه القدماء  
( ماغوراس *Magoras* ) ، الفاصل حدود بيروت عن لبنان من الجهة الشرقية ، ولا  
تكاد نحس لهذه الرحلة الخيرية بوطة ما .

«تزلزلت الشمس» وانطمست فوقها هابت تلك الرى الجندراء؛ رى «برماتك  
و«ببديات» ، كانتا عين من حجاب الذهب ، واخذت بمسجد بشماعه الابرىزى سطوح  
الهر والبحر عن شائتا ، واحراج الصنوبر التى التفت من البعد بدناو الايهام فى انحاء  
«رسم باشا» عن يميننا ؛ وكان نسيم الصبح كالمروحة القدسية ، ينفضنا بهبة بليلة ، تحف  
الارواح بنكهة ملاك الجبل العاطرة .

كانت مركبتنا على شفا الدخول بين اجحات القصب فى الطريق ، والتفتنا نرود من  
بيروت بآخر نظرة ، فتجلت وهى معكس للانوار الحافلة ، كانتا صيغت من قوادر .  
فكنا نقول «ودمعة اتبعث من اعماق عيوننا تتدرج على صحيفتنا كانتا شرادة من  
نار :

— بيروت ! ابتها العزيزة ، هل لنا ان ترجع اليك . . . ؟

ثم تغلغل المركبة بين هاتيك الاجاث ، وانطمس علينا ذلك المنظر النضير ، فانقطعت  
مراسم الوداع لذاتها . ولم نلبث برهة ، الا ودخلنا فى بحر من العجاج . . . هانحن نمر على  
قرى لبنان ، بل نمشى فى داخل بيوت لبنان . ما الطفها من قرى ؟ روضة صغيرة ، وبضع  
شجرات ، ويسير من خضرة ثم البيوت المستطيلة المبنية بالاحجار ، يفسح عن وسطها بقنطرة  
كبيرة ، منضدة سطوحها بالقرمذ الاحمر ، او مطلية بالتراب ، وكثيراً ما يكون الطابق الاسفل  
من هذه البيوت حائوتاً كبيراً ، آخذاً نصيبه من اثنور ؛ او مخزناً . ويكون البيت حينئذ  
متعدد لطوابق . اما البيوت التى هى عبارة عن طابق واحد ، فلا بد ان يوجد فى جانبها  
سلم من الخشب ثخين الدرجات وربما وجد تحت ظلال الاشجار بضع بقرات ، او شياه ثم  
الدجاج ، والاقواب مبثرون هنا وهناك .

ترون امام البيوت ، غادات لبنان سقمت وجوههن الشمس ، والمجائز والرجال كل له  
مشغلة يتابر عليها . فالبسات فى ايديهن المخمرات او قطعة من نسج ، والعجائز قبضة من  
صوف ، والرجال فى ايديهم المرور او الماويل . وربما ترونهم وهم منتدون بأسمى الحيا .  
وان المحبة والوفاء والاخلاص والوقار لهن من الاوصاف الطبيعية لهؤلاء الهوم  
لا تنفك عنهم . لا تملكون انفسكم ان تقولوا وانتم مارون بهم .

— يا للسعادة ما احبهم لبعضهم ؟

جل ما ترون من المناظر ، نظرة محشوة بالايهام والود من شاب ، وصوتاً يتدفق  
سروراً من فمى ؛ وسكوناً دون اكتراث من شيخ يعالج جمع قواء لينهض . وثم قهقهة  
الآنسات الرنانة . . . وهذا دائم ومطر . . .

اذا وجد حائوت تحت البيوت ، فيعرض المنظر اوصافاً اظهر وابز . لان تلك الحوائت  
مشهر الاضداد ، او مجمع كل متاع . يجتمع فيها بصورة غريبة كل ما ليس له علاقة بغيره .

## ولاية بلديات

من ليسج بهم الاحذية وبقرها دبطة المحرم مطلقين جنباً للجنب . ولو امعنتم في داخل هذا المظهر لوجدتم فيه الجيوب والحريز والاجبار والحديد ، والمشربات والنعال ... والحضير ، والمخيم الخشب ، وكل شيء . . . . .

في اللبنانيين الى وكونهم الحجرية المبعثرة في انحاء الرياض ، والحقول انجذاب قوى وميل لا يرد . ولو تحدتكم مع ايسر الناس من يقطن الجبل لا يلبث ان يطلعكم على سريره ويقول : لو تعلمون ما اشد ولو عانا في بنان البيوت ، لا نبالي بصرف جميع ما في ايدينا لهذا الغرض . ولا نهتم للنفود كافية كانت او لم تكن . ولهذا : ون هنا نصف سلم ، وهناك بيتاً بلا سقف ، وبضع غرف غير مطلية . . . وعلى الاكثر اكواماً من الحجارة والتراب ، وغيرها من لوازم البناء . . . نهجر اوطاننا لتحصل على ثقافة البنان ونرضى حتى بالذهاب الى اميركا لهذه العاية ، فنسى هناك جهد الطاقة ، ونمضي السنين ثم نرجع ولدينا بضع مآت ، او الوف من الذهب . ونعلم ان من واجبتنا اعمار بقعة من هذا الوطن العزيز ، فنعتمد الى الارض ونجلى عنها الاجبار ، ونفرض البساتين والكروم على الدكك والمصاطب ، ونبنى البيوت . وهكذا الى ان تنضب الجيوب ، ونبذل كل ما في اليد . ويومئذ يستأنف الكرة الى اميركا بلاد الذهب وتتوخي ان نجيلب لبلادنا الوفر والحياة والراحة . واولادنا ونساءنا لا ينقطعون ههنا عن الملل . بل يكسبون اقواتهم بمساعيهم . . . لا نرى مساعاً للحفاظ على النقود والثراء ، بل نرجع كمسة من حجارة ، على جراب من ذهب ، ورقعة من ارض ، على كدس القوائم .

ان هذه الاعترافات التي ينطق بها كل جبلي ، لا جرم هي عين الحقيقة . وهب نحن الآن ندير على الطرق المعبدة في هذا الجبل ، ونرى بلا انقطاع تسلسل البيوت التي تسدتها دنائير مهاجري اميركا على عرض الدروب ، ونسمع الاسماء الرنانة لتلك القرى التي تماهت من اجتماع بضع بيوت : مثل بوشريه . . . دوره . . . جديده . . . وربما رأينا على قارعة الطريق صيدلية لوحدها ، او كنيسة صغيرة .

سرنا في المتحصنة مقدار نصف ساعة ، وقد كاد الطريق يتضح بسببه . ترحزح العجاج . . فكنا نرى عن شمالنا البحر كصحفة الاطلس الزرقاء ، وعن يميننا جبال لبنان الخضراء التي تكل الطرف ، ويرجع عن اختراق شواهدقها البصر خاسئاً ؛ واباً السبيل الذين كانوا يقهون اترنا ، ثم يتحولون عن سبلنا الى انحاء متعاكسة . وكلهم يرمقنا بنظرة ملوها بالاستكناه والاستفسار . يقصون بهوت ، وعلى كواهلهم صناديق البقول ، او قراطليل الاثمار ، وآناً تنظر اليهم نظير الخير والمعجب . ثم ما لبث رفيقي ان انهى اطرافه الذي كان عليه منذ مدة ، وقال : كانه هب من سبات :

أنتس لهؤلاء المخلقة الكريمة على حياة بدوت له... ولولم يكن هؤلاء الجليليون...  
وعليه التفتنهم يرون من غير دوية فرأيتهم يستحسن البحر كالألحاح الجاهل، يكاد ويمضيه  
يلتخذ بالأبسله ويدورها لبنان من جهاتها الثلاث... ثم سمعت رفيقاً يتكلم بصوت وجي  
نحوه... فكان يقول:

... لسرطان ما استحال دبور لبنان...

نعم إن هاتيك الربوع قد استحالته بطرقها، وبيوتها ومكناها، وحيى بلخضر وورقاتها.  
ما كان انظم هاتيك الطرق، وانظف تلك البيوت وأهناها؟ أين قتيان لبنان، بلابيل  
هذه الربوع؟ وأين كواصبه وأترابه، بل أزهار ربيع. لم أين أشياخه ذوو الوجوه الطلق  
والحيا الباسم؟ أم أين كان شبان هذه الديار الذين هم نموذج للقدرة والسعادة بحمرة  
وجوههم، وقوة أجسامهم؟... لا أتركلك ذلك؟  
لم نزل نتحرى ما كنا نعهد في لبنان من الحسن الطبيعي والصناعي، وتلك الحياة التي  
كانت تطفح ابتهاجاً وسروراً.

هذه مركبتنا تغور وتنجد في حفر الطريق الذي بعد عهده عن التفقد والإصلاح،  
وتخترق بنا بحر المجاج الكثيف. وكنا نتمن النظر في ما حولنا من البيوت، فترى  
أكثرها موصد الأبواب والنوافذ. ولا جرم أنه قد اتاخ عايبها صرصر التجرب، فخر  
أبوابها وجدرانها. وأحالتها أو كالألوم بعد ما كانت كنساً للظبا. وأصبح أولاده سود  
الوجوه تحسبهم قديداً من التحول، ممددين على عرض الطريق، لا حراك لهم، وبناتها  
تلك الملائك اللطيفة، يقفن على قارعة الطريق حفاة، باطمارهن الرثة، وشموهن المبهدة،  
ووجوههن التي غبرتها الذلة والمهانة، ويمدّن أيدهن إلى أبناء السبيل ويصرخن بصوت خافت:  
... يا للجوع؟ بربكم... كسرة من خبز...

أما الشيوخ فقد وصلوا ديار المقام منذ أممديع. إن القذارة والفتور والمجاعة والمأفة  
نُشت على تلك القرى التي كانت موطن السعادة والرخاء ربحاً عقيماً لا يبقى ولا يذر، وبسبب  
الاشجار واقفرت الحقول وكلحت صحيفتها، وغارت تلك المياه الفضية عن مجارى الطواحين،  
وجف رى الشفاء، وانطفئ سراج الحظ واخذ كل شيء يركض إلى قصارى بلاءه.  
كنت أقول لنفسي:

ماذا لي لجليلين لو كانوا حازمين ومقتصدن؟ ما أشد البلاء بعد بذل الوحدة على  
تشدد الأمانة ونضوب الورق؟ يا له من رأى قائل كيف لا يلامون في التسرع بافناً ثمرة  
سعيهم في تدويرها بحياتهم، وبكبد، إلا حياها في أميركا امر العمر؟ كيف لا يلامون على قد  
الآساف بنفسا، لأنهم السراية في أميركا واتكأهم عليها ورضائهم بذمير العيش، واعتناق  
البطالة والكسل، كيف لا يلامون على خلودهم في الجهالة المظلمة، ثم أصرار الحيلة على

خطب خطبوا في هذا الزمان ، هذا يتطلب العمل ، هذا يتطلب "التضحية" يحتاج لكبح  
الغريزة ، وكبح مشر ، لا تلمد الا الايدي العاملة التي تجعل لبنان ، بل لا لا سويسرا ، هم يحسب  
الليثانيون الناشطون عن كل قيد ومعرفة ، البعيدون عن الحزم والتبصر ان ميزان الذهب لا يزال  
تألهأ بينهم وبين امريكا ؟

ها هي « الحرب » ؛ تلك الطامة الكبرى ، ما لبثت ان مزقت سراب امانهم المذهبة .  
وها هي اطفالهم ولبنانهم وكهولهم اصبحوا يتامى ، ايامى لا كافل لهم وازحين تحت اعباء  
الرزايا .

ما عادت تعدهم امواج بحر الابيض بالسعادة ، وامسكت عن ايصال الاخبار والبشائر .  
ولا قبضة من ذهب ، حتى ولا طيف سلام يقر العيون من اولئك الآباء والاولاد ، او  
الاخوة والاخوات . وعجز لبنان بحجائه وصخوره عن تأمين حياة ابنائه ، فاخذ الدم  
القياس الذي اعدته الايام السعيدة يتدرج بالجفاف قطرة قطرة .

كنا تقطع تلك المسافة وقلوبنا تمض نجاه الايدي الممدودة من اولئك الاشخاص الذين  
اكل الجوع لحومهم وشرب دماهم ، وتحرى على اقل وسيلة تمكنا من الفرار من امام هذا  
المنظر الفجع .

اخذت اشغل فسى بتدقيق ما على طريقا من العوارض الطبيعية : فما نحن نجتاز جدولا  
صغيراً [ نهر الموت ] ، وهذا جدول آخر [ عين برشلو ] . وتراثت عن يميننا شواهد « ديك  
المهدى » بعد جبال « برمانا » .

ما لبثت شمس حزيران ، المحرقة الا وتسلفت الافق ، واخذت تسلق بشعاعها الذرى ،  
ما كان على حفاف الطريق من شجر الليمون .

اجتزنا بيوت « جل الديب » ووصلنا الى موقف ( أنطلياس ) الكائن على السكة الحديدية  
بين بيروت والمعاملتين وهنا رأينا شيئاً من آثار الحياة .

ومن هنالك اطردت المنازل ، فكان البحر عن يسارنا والجبال البعيدة عن يميننا  
وبين ايدينا الطريق الفاسد بفجائه ، ثم الجداول الصغيرة ، وسلسلة مقطعة من كوم  
الاسجار .

ان هذا الاطراد في المشهودات اهاب بذكرى الماضي ، فبعثها من مرقدتها وتمركب في  
فكرتي كأنها تطلب ان تحيا . ما تراثت ادغال موقع ( ضبيه ) من بعيد الا وقضت في هاتيك  
الذكرى روح الحياة ، اذ كنت اعهد :

ان هذه الربوع وهذا الطريق ، ولاسيما موقع ( ضبيه ) ( Dehayé ) كان من انعش  
مقاصف بيروت والطفها . مات من المركبات كانت تندفع الى هذا الساحل الجادب في كل  
يوم ، ولوف من المترفين كانت تنفض على هذه الآفاق من سرورها ، وتملى عباب جوها

## ديوح البديع

قديماً... يوماً. إما اليوم أو أمس أو قبله، نود الحياة، وما هو، يدورج بالانطفاع...  
يسمى... ولا...  
قربنا من الضيعة فتدعى... للاشجار العظيمة معمل شركة... المساء...  
(Beyrouth water works Company Limited)، التي تسوق الماء العذب  
الى مدينة بيروت في أنابيب من حديد. ثم لم نلبث ان اجزنا شلالات الضيعة التي لا تزال  
تسحر ارواح البيروتيين بلطافتها. ومرت مشجرة الضيعة ايضاً ثم اقفر سيلها فكانت  
الجبال الوعثة عن يميننا وعن شمالنا البحر والرمل، ثم سكة الحديد السوداء الممددة. وبعد  
ربع ساعة وصلنا الى (جبل مار يوسف البرج) العالي، وبعد عطلة صغيرة اتينا موقع (نهر  
الكلب).

ان هذا المكان هو ابداع المواقع في لبنان. تصوروا واد يتغلغل في البعد حيث تطلع  
الشمس ويتلوى بمنة وشمالاً، بين اطواد تنطح السحاب بشواهدها الخضراء،  
يسيل فيه سيل كذاب النور حيث ينغمس في زوقة البحر، ويتلانى هده وسكنية، وضوء  
روضة خضراء في حوض البحر اشلالاتها، واشجارها ومروجها لتكون مصطافاً بديلاً.  
ثم ابثوا من اعلى تلك الذرى نسيماً يمشط الغابات ويمشئ الوادى على امتداده، واجملوا  
العواصف الطائشة تبعث من كبد البحر حيث يلتقيان في تلك الجنة البديعة، ويمتشان  
نحرًا لنهر.

هذا هو نهر الكلب... كان محترماً للبدايع الممتازة. وقبل بضع آلاف سنة  
عمد قوم من عباد الجبال الى هذه الدمنة الخضراء واقاموا فيها تمثالاً عظيماً. وكانت  
عواصف هذه البقعة تندفع في جوف ذلك الهيكل فتصبت مثل الذئب، وعلى دوايمة مثل  
الكلب. ولكن (ليقوس Lycos) الذي ساء الاقدمون بنهر الذئب او بنهر الكلب  
اصبح اليوم في معزل عن ذلك الصدى الذي انغمس في بحر التاريخ.

وقفت اسائل (ليقوس) عن ذكرى ماضيه فاتمحف ووحى بنكهة عنبرية ثم قال :  
— كم من ذكرى ثمينة دفنت في هذا الوادى الذي ما زالت تموى فيه الرياح الطائشة .  
وان صدى الاجيال النابرة لا يزال يصرخ فوق هام تلك الذرى التي ترونها تحترق  
السحاب . اذا شتم ان تروا آثار المصريين والاثوريين واليونانيين ، والرومانيين ،  
والصليبيين في هذا المدخر التاريخي ، فانظروا في ناصية جاري ، هذا الجبل الهرم ...  
حولنا النظر الى ذلك الجبل ، واخذنا نتمن في نقوشه :

ما ابلغنا نقوشا من عبر تاريخية نطقت بذكرى الملوك كسيروستريس او رامسس الثاني  
وسالماناسار واسرحدون وامثالهم :  
هذا نقش آتوري : ملك رافع يمينه . ويقر به منظر رأس فقط ، وهو الاثر الثاني

الذين هم من سكان يافا، وكانوا يقيمون في بيوتهم على شاطئ البحر، وكانوا يسمونهم "مصريون"، وهم يقيمون قرب قرية يافا، قرب آلهة الشمس، وعلى غلوة لينة، كما ذكر في "أوسيونوم" (1) .

منحت على الطريق الذي مهد (Caracalla) إمبراطور الرومانيين بعد الميلاد بقرنين، ومرت على تلك القوش والكتابات التي بناهز عددها الاحدى عشر، وكان دماغها يعلو بها هذه الحطرات الخالدة تعظيماً واجلالاً، لقدرها، وكانى اسمع التاريخ يتف بذه الأسما السامية التي اختارتها حافظة الكون من مشهر الاقوام الحالية . وهذا جسر قد تم ايضاً تحفناً بذكرى ايام السلطان سليم ياوز .

وقد سكرت فكرتى من تصفح تلك الآثار القديمة واصبحت تأبى ان تشفى ولو فطرة ماريجية فقط .

ثم سادت مركبتا على الجسر الجديد الذى شيده السلطان السابق (عبد الحميد) وامضت في الاسراع، فكدت نرى على يميننا فوق قمة الجبل قرية (سوق مصيح) Souk Misbeh (سوق مصيح) وهضمة بيوت بعدها وما كان اكثر من ساعة الا ومرت علينا جبال [ دكان الصنوبره، ذوق حريصا ] وقرى "درعون"، غستا، وموقف (قاسليق) وجبال (سوق ميكايل) Souk Mikail (من ورائها موقع (بكره) الذى فيه البطيركية المارونية... ثم قرية (صربا) Sarba )

وبعد برهة . اشرفنا على مينا "جونية"، مصدر الحركة النصرانية في لبنان وموردها وتراى لنا تمثال "سيده لبنان"، فوق قمة الجبل .

لا جرم ان هذا التمثال الذى يمثل محيا العذراء، هو رمز النصرانية في هذا الجبل . كانهم يريدون ان يقولوا بهذا الهيكل المطل على المرأة الزرقاء في جونية التي هي اصلح مدخل بحرى في لبنان؛ وعلى بيوتها الرخامية البيضاء التي تجملت بالطب الذوق الصناعى وعى جميع لبنان وحتى على بيروت ايضاً :

— ان في لبنان روحاً مسيحية .

ونحن ايضاً قد الهانا الامعان في هذا الرمز النصرانى، فما كنا نشعر بمن يساور مركبتنا من مطاعين الجوع، ولم نكد نسمع صراخهم الموجه .

[\*] يقال ان الكتابة التي حفرت هناك تذكراً لدخول الجنود العرساوية هذه الديار ١٨٦٠ — (١٨٦١) قد حيت بعد الحرب العام .





لويطة ~~البلد~~ «لويطة» و «معروف القيدار» كما وعن الشمال انقاض قلعة «برج محاج» ،  
ثم نهر «قيدار» وجسر «ثم عن اليمين قرية «مستيتا» على الزبوة ، قريبا من «حروف»  
ونجد ان قلعنا عقبه وحره ، رأينا عن اليمين سلسلة من القرى . ثم خرج الصنوبر ،  
وقرية «ارطوبون» وورائها قرية «بلاط» . وها نحن داخلون بين بيوت جيل ذات  
للقرميد الاحمر .

سمى التاريخ قصبة «جيل *Djébeil*» باسم مختلفة . وروى [\*] ان هذه البلدة  
القديمة الفينيقية التي كان اسمها «افايا» ، يسميها العبرانيون «جبال — *Gébal*» ،  
واليونانيون «بيلوس — *Byblos*» والصليبيون «جبله — *Giblet*» ثم عربت فكانت  
«جيل» . ولأول نظرة الى هذه القصة يعلم الانسان انها غنية بالآثار التاريخية بما فيها  
من البروج القديمة ، وغيرها من آثار الأديار الاولى . ولا سيما «قلعة جيل» التي هي  
آثار الصليبيين ، فانها موجودة بأكثر اقسامها في حجر البحر .

فارقنا حيل ، وقطعنا واد صغير ، ثم «جسر الجبج» ثم مرتقى قطعناه في ساعة .  
ومررنا من قرب عمشيت التي هي اغنى بلاد الجبل ، وسرنا بجانب كروم التين برهة ،  
ومن هنا اصبحت القرى منفصلة عن بعضها . وبعد نصف ساعة ترائت لنا قرية «حصراثة»  
و«ريحانة» من بعيد . وبعد مرورنا بجسر التزوه وقرية «بعشته» ونهرها ، وجسر «  
مرت عاينا قرية «حلو» و«براره *Berbara*» ، وبالنهاية شاهدنا «البترون» من بعيد  
على رأس الشاطئ . وكان يلزمنا سير ساعة حتى نصل اليها .

وبما اننا كنا نتوقف لأجل الراحة في اكثر المواقع التي نمر عليها ، ما كدنا نصل  
لهذا المحل الا وكادت الشمس تقرب . والآن كانت شمس آفاق الفينيقيين المحرقة متأهبة  
للانغماس في مغربها ، وتنثر انوارها الذهبية على تلك الاصقاع وغدت اعشاب الطريق  
تصفى ، ثم شرعت تحمر ، ثم طبق ظل العشي واخذ يتسرب الى منتهى الآفاق رويداً رويداً  
وبهذه البرهة كانت قرية «طحوم — *Lehoum*» و«جسر المدفون» و«نبع طحوم» تفر  
من امام اضارنا . ثم قطعنا قرية «قدعوس» كفرميتا — *Kafr Albita* ومشجرة  
الزيتون التي هي على يميننا ، ووصلنا البترون — *Batzoun* «وقد هدات عليها  
استار لظلمة» .

## ٢ — من بترويه الى طرابلس

ما بخل لبنان على ارواحنا ببدايه ، ولا بآثاره التاريخية ، في هذا اليوم الذي مر  
بحره وبجره دنما وصلنا الى البترون . ولكن لم يزل صاخنا يطن بصدى اصوات النساء  
والاطفال الجليين التي اخفتها الجوع ، وخفتها الغافة . ولا سيما ان تدرج المركبة زلزل

قوانا ، وجعلنا لاتبى حراً كما من الوقي .  
 اما نزلنا الذي يمثل بيتاً كبيراً . من بيوت بيروت ، فكان يعدنا براحة ثمينة . ورغماً عن  
 هذا فقد ازمعنا على ان نلبث هنية في البهو المطل على بيوت البترون البيضاء التي طامت في  
 بحر من نور القمر ، وعزمتنا على التمتع بهذه المناظر الشعرية ، ولكن لم تمهلنا ربة الزل  
 المعجوز ، بل جأشنا واخذت تشكوا لنا ما ألم بها بصوت مرشح للانطفاء فأضمرت في  
 افئدتنا ناراً حامية . كانت تلك البائسة تكف دمعها وتقول :

— انشدكم الله ، نبثوني ، متى تنتهي هذه الحرب الطلحة ؟ امجدد بأصابعي هذه التي  
 كانت تلعب بمآت ، بل بالوف من الدنانير ، ان تبحث في فضالات البيوت على قارعة  
 الطريق . ام اكون مثل المود اليايس كهؤلاء الذين عرقهم الرزايا ثم اسقط مددة في الشارع  
 وادع الحياة ؟ كانت هذه البائسة تمجدد للافصح عن دأبها ، وقبضتها مدفوعة الى الام  
 تشير بأصبعها اشارة اليايس الى ما وراء الآفاق ، كأنها تريد اميركا ، وتقول :  
 — اولادى هناك .... لو كانوا لى ...

اما نحن فكاننا نستعيز عن جبال ليل البترون ، بهطال الدموع ، ثم اضطررنا للانسحاب  
 الى غرفتنا وقلوبنا كادت تنفطر . ذهب اكثر من نصف الليل ، ولم نزل نسمع في الخارج  
 صوتاً يقول بلهجة جبلية :

— جيعان ، جيعان ....

وكان هذا النداء من صفار الفقراء يمزق احشاء ذلك الليل المقمر ، ويمأؤ بذلك  
 الصدى الفجيع ، انحاء الآفاق .

هينا من النوم بعد ما غرقت الشمس بضياءها هاتيك البيوت التاسعة ، في تلك البلدة  
 الفينقية التي سماها اليونانيون ببلدة « بوتريس — Botrys » . وما كان الطف منظر هذه  
 البلدة القديمة التي يعزى تأسيسها الى « ايتوخل » ملك صور وذلك قبل الميلاد بزهاء  
 خمسة عشر قرناً .

كان نظرنا يزلق بين تلك البيوت البيضاء ، البسامة . ويتغلغل في البعد الى ان يصل الى  
 الشاطئ ، ثم يقف ويرمق ما هناك من الآثار القديمة . وفكرنا مازال باهتا بما رآه من  
 آثار اقرون الحالية .

ثم عدنا الى مركبتنا بعد ما جملد ربة الزل بما يلى عن قوادها شيئاً من الاكسدار .  
 وها نحن الآن نسير بين اشجار التوت ، واجات القصب ، وبعد ربع ساعة مررنا بقرية  
 « كهو / Kheila » ومن ورائها قرية « مسيلحه Mseilha » الى رأس قمة الجبل . ثم  
 واصلنا السير في ارض مرمله فقراء واتبعنا شاطئ البحر ، وصرنا عن اليمين الى « برج

## ولاية بيروت

المتنق « وعن الشمال الى « حنوش » التي تتألف من بضعة بيوت. وهناك أيضاً رأس  
الحقعة على بعد يكامل سموه وعلوه .

شرعنا الآن قطع الاقواس القصيرة ، والمشي على السكة المحدودة . وأخذنا نسير  
في جبل شاهق وعمر : وكانت المركبة تسير بصعوبة في هذا الطريق ، ثم بعد نصف ساعة  
وصلنا الى سفح منحدر . وهذا الموقع هو « رأس الشقعة »

لأريب في ان « رأس الشقعة » هو ادهب موقع في سورية على شاطئ البحر الأبيض .  
وهذا الموقع عائل في الارهاب والادهاش الفضالة الجبلية الكائنة بين عكا وصور ، المسماة  
بـ « رأس الناقور » [\*]

تصوروا فوقكم شاهقاً يخترق السحاب ويكاد يهوى ، عايكم من علوه ، وتحتكم على  
عمق « ٣٠٠ » متراً خضياً رهيباً تضطرب وتقصف امواجه الهائلة ، واتم تسيركم في  
تقب « طريق الجبل » كلشي مائل ، لا يكاد يستوعب المركبة من ضيقه . لا جرم ان مجرد  
تصور العتور هناك يبعث الدوار في الدماغ :

كثرت برهة من الزمن تقابل الميوق وجها لوجه على ذلك المنبر المعلي الذي لازالت  
تنطحه الحفافات الطائفة . وهذه الفضالة الجبلية التي سماها القدمون « ابن السمعي  
المؤرخ بـ « وجه الحجر » وسماها الادريسي المؤرخ بـ « انف الحجر » من العظمة في درجة  
يصغر لديها الانسان الذي انطوى فيه العالم الأكبر . ولم يخطئ قدامى اليونانيين في تسميتهم  
له بـ « ثيودوروسيون *Θεοδωροσιον* » اي « وجه الله » .

هنا نحن الآن نطل على ساحة واسعة شحنت بأبهي البدائع تنهي ن الجنوب في  
بيروت ، ومن الشمال على زبال « رأس الناطور » ، « رأس المينة » . وترسل الطرف  
يرتاد كل ناحية . هذا الموقع الذي ما زال يسحر تخيلاتنا بلباله الثيرة ، وعشابه المغندة .  
فارقنا هذا المنبر الدامي ونسيه المعصر بذهمة الآس لا يزال يسر الابناء وقت مد تراى  
لنا على هام الجبل دير ( بيعة حنوش ) الماروني ، وفي جانبه دير « النودة » للروم  
الاوردودوس .

دخلنا في بضعة اتفاق ، ثم اتبعنا منحدرأ يرمي الى ساحل البحر فقطعناه بنصف ساعة  
وكان امامنا قوس ساحلي يمت الى موقع « انفه » . وكذا نمشي قريباً من ماء البحر لدرجة  
لم تكدر كبتنا تحطوا الا على كسرة الامواج بين الرمال البض .

وصلنا الى ( الهرى ) وهي قرية للمسلمين بعد ان احتزننا بحجرة من الزيتون على شاطئ  
البحر . ثم قطعنا جسر الهرى ، فكلت على يميننا اشجار الزيتون والبوتة . وض اشجار

الهباق ، وما لبثنا ان وصلنا إلى قرية « *Chakha* » وكان لها منظر لطيف .  
 يقبها الأصفر . رأينا ان تكثر هناك حبة وبشما يستريح . لأننا لا نلبث ببدء هذه الساحة  
 اللطيفة ان ندخل في اوصع الطرق الجبلية ، لا سيما وان الطريق الساحلية بين ( شكا )  
 وطرابلس كانت قاسدة لا سبل لسير المركبة فيها . ولذلك كنا مضطرين إلى التحول  
 عن طريق [ أفقه — زكرون — رأس الناطور — فالامون ] إلى طريق أطول  
 منه بضعفين :

ومع هذا ماكدنا نلبث الا وغادونا شكا وانعطفنا نحو الشرق ، واخذنا نتسلق الجبل  
 وكنا كلما اوغلنا في التسلق تزداد انشراحاً ونشاطاً بدلاً عما توقعناه من المشقة والام .  
 كنا نرتقي معارج الجبل ومنعطفاته المقوسة ونرى تحتنا في حضن البحر ، شكا ، وقرباً  
 منها افقه ، ونتمتع بتلك المناظر التي لا تيسر رؤيتها الا للحائات الجو . ووددنا ان لو  
 لو طالقت هذه المنعطفات زمناً مديداً :

امتد هذا المرتقى بعد خرابة « شكا العتيقة » أكثر من ساعة ونصف . وكانت الشمس  
 فوق هاماتنا تزج على الافاق سهاماً من نار ، بشعاعها ، على ان النسيم العليل في ذلك الجبل  
 العالي كان يخفف وطأتها ، ولم نستوحش اليوم من هذه الجبال المسماة بجبال « عين كين »  
 رغمًا عن اطراد منظرها الذي هو عبارة عن سلاسل متتابعة من الطبقات الكلسية . ولكن  
 لم يطل الامر الا واقلب ذلك المنظر القاحل إلى منظر خصب منذ اشرقنا على قرية  
 « فرحه زير » .

زائت لنا من البين من بعيد قرى « آميون *Amioun* » و « كسبه *Kesba* » ثم  
 المشجرات الزيتونية في انحاء الكورة ، وعلى غلوة منها قرى « كفرعكا *Kaf. Akha* »  
 و « كفرسالون » ، وعلى يمينهم من بعيد قرى « كفرحوتا ومقبورا » وكفتون . او قد  
 لمع اراء هؤلاء جبال « ارز لبنان » . ثم اخذنا بالانحدار ، فتأبعت على انظارنا اشجار  
 الزيتون الخضراء ، واشجار التين والحقول والمشجرات . وبعد ان جاوزنا عن البين قرية  
 « بشمزين *Beshmzin* » شاهدنا على يسارنا من بعيد قرى « عفصديق » و « قيع »  
 و « الحاد » .

وبعد يسر وصلنا إلى « البتورون *Blouran* » . ويوجد هناك اخصاص لدود  
 الفز تحض اغنياء طرابلس الشام . سرتنا بين شجر الزيتون مقدار نصف ساعة ،  
 وأخذت تبدو لانظارنا عن الشمال قرى « طراطيش وغابه » و « عين البين » « بصرما »  
 و « ها قرى » « در سيدة الحجا » و « كفرقاهل وبشئين وعول » فوق هضاب عالية ، ثم  
 « داره » و « كفره » ورأس كفه و « كرم سده » و « سبميل » غيطو ، ثم « جبال الاربعين » التي  
 حشرت فيها هذه القرى الظريفة اللبنانية الخضراء . وكان بين طريقنا وبين هذه القرى

« نهر ابو علي » الذي ينبع من « وادي اهاب » و « بشري » الذي ورأه ، ثم ينصب عليه جدول « نهر رشفين » و « نهر جوعيت » ويجزئ ميمماً طرابلس الشام . ولهذا كان لمظهر هذه البقعة طبعاً جدياً .

تخططنا مكان « دكاثة خضر » التي يتألف من بضعة بيوت ووصلنا الى قرية « كفتين : Kéftin » . وهناك ظهر لآعيننا البحر بلونه الازرق بعد ان فقدناه منذ بضع ساعات . لم يبق بيننا وبين طرابلس الا مسافة ساعة واحدة . فاخذت مركبتنا تسير على التراب الاحمر الى ان وصلنا الى قرية « ظهر المعين » . ولم يبق لنا من الطريق الا مسافة ربع ساعة . ومع ذلك لم نزل في ارض لبنان وكانت هضبة « ابو سمر » لا تزال حائلة بيننا وبين البلدة . فاكثرت اراها رغماً عن قربنا منها .

كنا نتمن النظر في « جبل تربل » الذي كان قريباً منا ، وذهبت لا يزال مشغولاً بخيال الجسور والوديان ، والتجود والاغوار ، والكبير والصغير من القرى التي شاهدها في الطريق . ثم هرولتنا في منحدر ووصلنا الى « جسر البحصاص » الذي تنتهي على اذيله حدود لبنان . وبدأ من هنالك مشجر الزيتون الطرابلسي .

ثم بعد برهة كنا امام بيوت طرابلس البيضاء حلة التجم والهلل وكانت الشمس بعيدة عن الغروب بعد .

## — ٢ —

### لواء طرابلس الشام

#### ١ — الموقع والحود

ان لواء طرابلس الشام الكائن في القسم الشمالي من ولاية بيروت يحيطه من الجيوب لواء جبل لبنان ، ومن الشرق لواء حما ومن الشمال لواء اللاذقية ، ومن الغرب البحر المتوسط . ومساحته ٥٩٦٩ كيلومتراً مربعاً .

#### ٢ — الاحوال الطبيعية

[١] — الجبال والانهار — يتكون لواء طرابلس الشام من سهول « جون عرقا » الحسبة ، التي تمتد على طول الساحل . ومن مرتفعات صفار تتسلسل متقطعة ، وارض ذات عوارض في الداخل . وحبال التصيرية التي تفصل هذا اللواء عن ولاية سورية من

لواء طرابلس الشام  
١٩٣١  
الشرق تمتد من الشمال الى الجنوب حتى تكون قبة لها من مركز قضاء عكار فينقلب اسمها  
الى «جبال عكار» ثم تنعكس في سلسلة لبنان. ويختزق هاتان السلسلتان من بعضهما بواقي  
شهر الكبير.

اما الجبال الموجودة وراء بلدة طرابلس تتعالى حتى تبلغ بارتفاعها عن سطح البحر  
(٣٠٥٠ مترًا) وارتفاع «ظهر السوداء» من «جبال ضيه» يبلغ (٣٠٤٧) مترًا، وارتفاع  
القدم التي تتصل فيها جبال عكار بجبال لبنان هو (٢٠٩٠) مترًا. وتتألف هذه الجبال  
من الصخور البرمية المنتمية الى الدور الثالث. اما جبال حذور التي هي من اجمال مركز  
القضاء فهي مركبة من الطبقات البركانية الحديثة.

وانهار [ابو على، البارود، المبيق، العرقا، الحويق، الشيخ، زناد، النهر الكبير،  
الشلالات، الارش، الصاروت، الغمقة، الحصين] كلها تنبع من جبال عكار وحسن  
الاكراذ وتسب في البحر المتوسط.

فهم نهر ابو على والنهر الكبير هما من الانهار الدائمة في الجريان. اما الانهار الاخرى  
فهي قفيض وتفيض. ان نهر ابو على المذكور في التوزاة باسم «كاديش» ينبع من جبل  
«مالال» الواقع في ناحية «بشري» التابعة لقضاء «البزون»، ويمر بجوار قري «اهدن  
وزغرنا» ويدخل في لواء طرابلس، ثم يسقي اراضي قضاء طرابلس المحيطة. وطوله من  
منبعه الى مصبه يناهز (٣٨) كيلومتراً. اما (النهر الكبير — Eleftri) الذي يسب  
في حوض «عرقا» فهو كما ذكرنا سابقاً اصلح مدخل يدخل فيه من الساحل الى داخل  
سورية.

[٢] — الاقليم — ان اقليم هذا اللواء الذي نبحث عنه هو معتدل وحار ورطب.  
ولكن ناحية الضنية التابعة للمركز التي هي على ارتفاع ٢٠٠٠—٣٠٠٠ مترًا وقراها الكائنة  
على السفح الغربي في «جبل القضيبة» من سلسلة لبنان فهي باردة الاقليم بسبب ترفعها  
عن سطح البحر. والحرارة في الدرجة الوسطى في هذا اللواء هي ١٦.٥ درجة «ساقطيراد»  
وتكون في الصيف (٢٥) وفي الشتاء (٩). والحرارة في الربيع والخريف لا تنخفض عن  
(١٦) درجة. وفي كانون الثاني حيث تشتد سيرة البرد تكون الحرارة (—١.٥) درجة.  
ولا ينذر بلوغ الحرارة الى (٣٩) درجة في شهر اغستوس.

[٣] — العواصف والرياح والامطار — يوجد في طرابلس الريح الشرقي الشمالي،  
والغربي الجنوبي بصورة دائمة. اما دياح الجنوب والشمال والشرق والغرب الشمالي تهب  
بندرة. وفي اواخر الربيع يهب من الغرب الجنوبي رياح السموم وهو حار مخنق، وربما  
يكون العواصف، والزوايع.

ان جنس الشعب الكراني في هذه المنطقة الشرقية من بلدة طرابلس والمقسمين في ولاية بيروت ولواء لبنان هو على ارتفاع (٣٠٣٥) متراً. ويدوم عليه الثلج ثلاثة أو أربعة اشهر في السنة ولهذا السبب لا ينقطع هبوب الريح هناك تارة من الجبل الى البحر واخرى من البحر الى الجبل. يستقر هواء البحر في ليل الصيف فيصعد الى فوق بسبب خفته وفقاً لقانون التوازن، وقبل بزوغ الشمس بساعة ونصف تهب من جانب الجبل دمج باردة كشيقة وتسمى عند المحليين بـ «ريح الجبل» ثم يعقبها الغربي ويهب نحو الجبل.

يزعم ان مقدار الامطار السنوية في طرابلس هو (٥٥٠) ميليمتراً. وقد تشتد سودة الشتاء في شهر كانون الثاني وشباط حيث تهطل الامطار متوالية دون انقطاع. ويسقط الثلج على أكثر انحاء اللواء ويكون بسخن (١٠—١٥) سانتيمتراً، على انه يبلغ في ناحية ضنة ولاسيما في الانحاء العالية منها الى أكثر من ثلاثة امتار. وهنا يسقط الثلج منذ تشرين الثاني الى غاية شباط.

### ٣ — عدد نفوس اللواء

اثبتت القيد الرسمية لسنة (١٣٣١) ان مجموع عدد نفوس لواء طرابلس الشام من ذكور وناث هو (١٧٦٥٢٥) نسمة، منهم ١١٩٠٣٧ من المسلمين والتصيرسين وما بقي (٥٩٤٨٨) من غير المسلمين. وان هذا اللواء بالنسبة لالوية الولاية يأتي في الدرجة الثانية عن بيروت بالنظر لازدحام خلقه، وكثرة غير المسلمين فيه. ويكاد ان يكون ثلثان السكان المسيحيين هناك من الروم الاو رتودوكس. اما المارونيون فيقرب عددهم من (١٥) اماً. وبما ان مجموع مساحة اللواء يبلغ (٥٩٦٩) كيلومتراً مربعاً، يكون نصيب كل كيلومتر (٢٩٦) من النسمات اما تقسيمات اللواء الادارية فهي على ما يأتي :

النفوس	عدد القرى والمزارع	الداخلى
٦٦٥٤٨	مركز قضاء طرابلس الشام	٩٦
٤٢٣٦٣	د عكار	١٧٥
٢٩٧٠١	د حصن الأكراد	١٧٦
٣٧٩١٣	د صافيتا	٣٥٥
١٧٦٥٢٥		٨٠٢

### ٤ — المعارف في اللواء

«ان حياة الاقوام، وخلود البلاد ودوام الامم في هذا العالم البشرى يتبع عزائمهم ومهمهم في الاقبال على امر المعارف. اذا امعنا النظر في ولايتنا التي اشتهرت بين الولايات

التي كانت بمثابة أداة لاجتياح من العالم، والمعارف رنجبت، ولا للاستغناء تلك الشهرة الموكوسة : وما ذلك الرق الملقى الذي نرغمه اليوم بظفر السروود ونباي به الا مفاصد اخلاق، البغيلة تختم علينا ان نهابلها بالهدم والتخريب وصيوننا تقطر الدم لا الدمع ، وما التربية الاخلاقية التي نتلقاها من الاعداء ، الا سكينا مذهب مسمومة النصل، اهديت الينا لتقتل انفسنا بها، اوشكت في اوردتها لهذه الغاية . ان الانقلاب الفكري والتربوي الذي نتولاه لرق المشامية واعلاء كلمتها ، او بالاجدر الاحتفاظ بهذه الهيئة التي اربت سنينا على ستة قرون لا يكون بهذه الوسائل القتالة . اننا اذا لم نخلق المعارف التي ترتكز على اسس عمومية ملية لا قومية ، لا جرم لا يكون لنا حظ من الحياة الاجتماعية .

اذا نظرنا في حالة معارف الولاية قبل ما تأسست الادارة الخصوصية اي قبل سنتين ، نجد تخصصات جميع المدارس الربوطة بادارة المعارف ، والمدرسة السلطانية ايضاً لا تتجاوز عشرة آلاف ليرة . وعدد المدارس قليلة ودرجتهم منخفضة جداً . لم تغرب هذه المسائل عن نظر حكومتنا الحاضرة ، ولذلك اسست اصول الادارة الخصوصية لكي تتمكن من ازالة هذه النواقص ورفعها .

كان الاهتمام بميزانية المعارف سنة ١٣٣٠ - ١٣٣١ على قدر ما يستطيع ، وفي هذه السنة خصص لها (٣٦٥٠٨٢٥) غرشاً . رغماً عن هذا فان التمس في المعارف لا يزال ظهراً ليس بخاف .

وبهذه التخصصات التي وضعت في ميزانية السنة الحالية تمكنا من ادارة قسم واحداث قسم آخر من المدارس التي بينا اسمائها هنا .

المدارس الاعدادية — يوجد في مركز الولاية من هذه المدارس ثلاث خارجية، وفي مركز كل لواء واحدة ما عدا مدرسة المرابلس الشام الذي قلبت الى سلطانية . المدارس النموذجية «نموته» — يوجد من هذا النوع مدرسة واحدة في بيروت مركز الولاية ولم يتم ترتيبها .

المدارس ذات السته صفوف — عندنا منها عشرة مدرّس سبع للذكور، وثلاث للاناث .

ذات الخمسة صفوف — عندنا منها ثلاث عشرة مدرسة كلها للاناث .

ذات الاربعة صفوف — عندنا منها ثمان عشرة مدرسة ، اثني عشرة للذكور وست للاناث .

ذات الثلاثة صفوف — لدينا منها اثني عشرة ، ثمان للصبيان واربعة للبنات .

ذات الصفيين — لدينا منها واحد واربعون مدرسة (٣٣) للذكور و (٨) للاناث .

وحيدة الصف — لدينا منها (١١٨) مدرسة منها (١١١) للذكور و (٧) للاناث .



[\*] ۳۵۹ من و هیئت

(١١٢٠) [\*] من النفوس مدرسة واحدة [\*\*\*] \*

(١٨٣٨) من النسمات مدروسة واحدة

## الشروط .

وذلك بتأثير هذا التفسير الواهي . اول ما يلاحظه الاقوام حين وضع التخصيصات

## للانات

(\*\*) ان هذا الحساب غلط : يجب ان يكون « ٢٢٨٠ » لا « ١١٢٠ »

(\*) جريدة ضبط المجلس العمومي سنة ١٣٣١ ص: ١٦-١٨

المدرسية في الميزانيات العمومية التي لا ينفصل عنها التي تكون على اسم البلديات البلدية وغيرها ثم المعلمون الذين جهزوا بالتربية الفكرية والوطنية . وصرفوا على التلميذ في الواجب ؛ اما نحن فلا نزال نأخذ بالتقيض . ولربما ان تأسيس المدرسة الابتدائية ؛ يكون بوضع هاتين او ثلاثمائة ضريبة في ميزانية الولاية لتكون راتباً لمعلمين . ما زلنا لا قدر على تأسيس مؤسسة تربوية تضم جميع لوازم التدريس ، وتكفل باحة المعلمين في قرانا التي لا يعثر فيها على الراحة . ثم تضمن لنا حياة فتيان الوطن بالتعليم والتربية . فما بالنا نصعد في المجالس العامة ، او بالاجدر امام الامة ونقول : كان عدد مدارسنا بالامس كذا ، واليوم زدناها كذا ، وتزعم بهذا التصريح اننا نركض وراء الرقي بخطى واسعة :

تجولنا في الولاية من باير وبوجاق . . . الى جماعين ، فكم مدرسة رأينا ياترى من اللاتي كملت فيها الشرائط المؤهلة ؛ اولى بنسا من ان تزيد في عدد مدارسنا التربوية الزيادات القشرية التي لا تجدى نفعاً ، ان نلغى بعضها ونعتمد لما بقي منها فنعطيه حقه من الترتيب والانتظام بمعلميه ومبانيه ولوازم تدريسه . وهذا النسب التدابير التي تتطلبها حاجة الامة الى العلم والعرفان . ولا بأس ان يكون عدد المدارس قليلاً لمدة قصيرة ولان اتى الامر متأخراً خير من ان يكون صعباً .

### ٥ - الزراعه في اللواء

[١] - معلومات اجمالية - ان سيف البحر في لواء طرابلس صالح لزراع الحبوب لانواعها ، وغرس الاشجار المثمرة . لان ذلك الصقع يضم من الحرارة ما يبلغ « ٣٩.٨٠ » درجة . وهذا المقدار يكفي لنمو الاشجار واقتدارها على حمل الثمر ، ويساعد ايضاً على انضاج الثمار بعد دور الازهار . وتغرس هذه الاشجار في اسياف البحر الابيض ابان ايبوسة اي ايام الربيع والصيف . وقد سمى بعض علماء النبات هذه الاصقاع ارض الزيتون . يمكن غرس شجر الزيتون في لبنان في الانحاء التي لا يزيد ارتفاعها عن « ٤٨٨ » متراً .

اما شجر التوت الذي تقطف اوراقه في شهر مايس وحزيران ، يشترط في غرسه وامكان الاستفادة منه ، ان لا تقل درجة الحرارة في اقليمه عن ١٣.٥ درجة في ثلاثة شهور . اما الكروم فانها تحتاج الى حرارة كثيرة ولكنها لا تبالي بالبرد الشديد . ولذلك نرى اكثر من مائة كرم في قرية « اهدن » اللبنانية التي لا يقل علوها عن (١٤٤٣) متراً . على ا. هذه الانواع من المغروسات تصير لذينة الثمار في الاقاليم التي يكون ربيعها يابساً وحاراً .

وقد توفرت جميع هذه الشروط في القسم الشمالي من الولاية . . .

احسن ما يكون في الاشجار المثمرة ان تفرس في ارض كلسية *Calatze* . لاسيما ذوات النوى من الاشجار فان ثمرها يكون في هكذا اقليم يابسة على الغاية من الجودة . وان معظم الاراضي السهلية والجبلية في لواء طرابلس واللاذقية هي من هذا النوع . واذا زرع شجر الزيتون في الاراضي المنحدرة تكون حباته اوفر زيتاً واقل . اما شجر السهول فيكون زيتة قليلاً .

يختلف تأثير موقع الاراضي ، وما حوته من المواد العضوية والمعدنية على النبات باختلاف جنس ذلك النبات ، فشجر الليمون ينمو تنموأ تاماً في الاراضي المنحطة التي يمكن سقيها كما هي عليه سهول طرابلس . اما الكروم فانها اقل ارتباطاً بطبيعة التراب . ولهذا فان فرانسة اقامت في كثير من اراضيها المتنوعة في موادها كروماً على غاية في الكمال .

اذا روعيت القواعد الفنية التي يقضى بها علم الزراعة فالتجاح محتم سواء كانت الارض طينية او كلسية . وان لمواقع الاشجار تأثيراً عظيماً على كمية المحصول . فاذا غرسنا اشجار الزيتون في السوح اليسرى من المرتفعات بحيث تكون قادرة على استشاق ريح البحر كما هو الحال في سورية ، لا بد ان نرى عظيم الفرق في المحصول . ولو كانت جبال هذه الانحاء تقطع البلاد عرضاً لا طولاً ، اي لو كانت سفوحها تطل على الشمال والجنوب لا على البحر ، لا جرم تكون عرضة للريح الشمالي البارد والجنوبي الحار . وحينئذ لا يتسنى لسورية ان تستحوذ على هذا الاستعداد الخاص باصقاع البحر الابيض ، وكذا نحرم من انفس اثمارنا العنب والزيتون والليمون .

[٢] — الاموال والمحصولات الزراعية — بما ان الاراضي في مركز قضاء طرابلس خصبة منبثة ، قسمت الى اقسام صغيرة ، وغرس في اكثرها شجر الزيتون والليمون . اما معظم الاراضي في التواحي المربوطة بالمركز فهي منقسمة الى مزارع تزرع اما من قبل اصحابها ، او بطريق الاتجار واما بشركة المناصفة . والشركة شكل آخر ، وهو ان صاحب الملك يدفع اراضيها للشريك ، وهذا عليه البذر والعمل ، ويكون لصاحب الملك من الوارد ثلثه او رבעه اما العشر فيكون من المجموع .

ولهذه اشركة شكل آخر ايضاً وهو ان صاحب الملك يضع البذر والآلات والحيوانات ويكون على المزارع العمل فقط ، وتأخذ ربع الوارد لهاء عمله وهذا الشكل معروف من القديم وهو الشايخ في هذه الانحاء .

## الاراضي المزروعة

تتراوح الاجرة اليومية التي يدفعها صاحب المزرعة للمزارع يستخدمهم في الحصاد من خمسة فروش وعشرة ، اما في الايام العادية فاجرة العامل او الحارس ، او الراعي تكون مقطوعة وسنوية . ومقدارها الوسطى ثمانية شتابل ( ١٨٠ اقه ) من القمح وكيلان ( ١٤٥ اقه ) من البرغل ، ويعطى لرئيس المال والشحنة في السنة ( ١٠ - ١٥ ) شتابل من القمح .

اما الاراضي التي تستعمل لزراع البقول تقدم بتم مرتين في السنة فضل الاعتناء والهمة التي تصرف عليها . اما السجاد فانه يستعمل في مشجر الليمون وبعضاً في الزيتون ، اما الاراضي التي خصصت للزراع الخفيف فلا تسد الا مرة في كل ثلاثة سنين .

اما الآلات الحراثة التي تستعمل في المواء فهي على حالة بدائية جداً . ومع هذا فقد شرع ارباب الزراعة يستعملون الآن آلة العربلة وآلة الحراثة ذات السكك العديدة واخذوا يدركون فائدتها . ولم يكن في جميع اللواء قبل خمسة عشر عاماً ولا آلة واحدة للحصاد . وفي سنة ١٣٢٩ مالية ابتاع الاهالي اكثر من مائة واحدة منها .

ان زرع المحصولات الصيفية « الذرة الصفراء والبيضاء والسمسم » يكون في شهر نيسان ومايس ، و موسم المزدروات الشتوية يكون في شهرى تشرين . اما الحصاد في اللواء يكون في اول مايس للشعير وفي اواخره للقمح والسمسم والذرة الصفراء تنضج في اغستوس وايلول .

ان مستغلات اللواء السنوية هي على ما يأتى :

جنس المحصول	الاراضي المزروعة دونم	الغلال كيله
القمح	٢٩٠٠٠٠	٢١٨٠٠٠٠
الشعير	١٣٠٠٠٠	٩١٠٠٠٠
الذرة البيضاء	٩٠٠٠٠	٢١٠٠٠٠
الذرة الصفراء	٤٠٠٠٠	٢٠٠٠٠٠
الحمص	٢٥٠٠	١٥٠٠٠٠
الصول	١٩٠٠	١٥٢٠٠
السمسم	٣٠٠٠٠	٦٠٠٠٠٠
العدس	١٣٥٠٠	٣٧٥٠٠
الجلبان	٢٧٥٠٠	٥٣٥٠٠

ولا اثر للمعادن الثمينة في هذا اللواء، وتوجد في قضا، صافيتا و عكار مناجم الجلبس، والحجر الرملي. ويستعمل الطرابلسيون في ابنتيم هذه الاحجار ويشترى انحاء متعددة من هذا اللواء على المغرة الحمراء *Acce rouge* والمغرة الصفراء *Acce jaune*.

مركز قضاء جرش ابلس الشام

١ - الموقع والحدود

ان هذا القضاء قائم في القسم الغربي الشمالي من اللواء وهو يحاط بلواء اللاذقية من الشمال ، وبقضاء ساقيتا وحصن الآكاد وعكار من اشرق ، وبلواء لبنان من الجنوب ، وبالبحر الابيض من الغرب .

ويوجد في هذا القضاء ستة نواحي منها ناحية ارواد وحذور الحقت بهذا المركز في الدور الحمدي ، ولكن لا يزال الاهلون غير مرتاحين لهذا الاحاق بسبب بعدهم عن هذا المركز وعدم توافق موقعهم الجغرافي تجاهه ، اذ ليس باليهين على احد الحذويين ان يبادر ناحيته ويتكبد اشق الالم في قطع المسافة التي لا تنقص عن اربع عشرة ساعة ، على ذلك الطريق افاسد ، ويأتى الى ط اهلس لامر مالي او حقوقى . ومن الامور المحتملة ان يهلك هذه الترسيمات الدقيقة الى لا نرى لواء في الولاية مخلو منها .

٢ - المساحة والنفوس

ان مساحة هذا القضاء هي على التخمين الرسمي « ٦٤٣٠٠٤٠٠٠ » مربعات بالذراع القديم . منها « ٥٤٠٠٠٤٠٠٠ » من الاراضي الاميرية و « ١٤٠٠٠٠٠٠٠ » من الاراضي المملوكة و « ٢٠٠٠٠٠ » من الاراضي الموقوفة . اما عدد نفوسه فقد كان سنة ١٣٣١ : « ٦٦٥٤٨ » من النسمات ذكوراً واناثاً . « ٣٥٤٧٠ » من الذكور و « ٣٢٠٧٨ » من الاناث وانقسام هذا العدد على النواحي هو على ما يأتي :

الاسماء	النفوس	عدد البيوت	عدد القرى
بلدة طرابلس	٢٤٠٣٦	٤٢١٤	.
ناحية المينا	٨٥٣٥	١٦١٢	.
ناحية طرطوس	٥١٦٩	٨٦٩	١١
« ارواد	٤٠٥٣	٨١٠	.

### المدارس والالتحاق بها

٢	١٤٦٧	٣٦٩٣	شبه
٣٦	٦٨٢	٩٨٠٧	شبه
٣٧	٣٤٦	٤٧٣٦	حدود
١٧	١٤٦٥	٦٥١٩	القرى العشرة
١٠٥		٦٦٥٤٨	يكون

وعبد الملبين في هذا المجموع (٤٩٥٦٠) وفيه يسير من التصريين . اما  
النصارى قديم الروميون في الدرجة الاولى من الكثرة لان عددهم ١١١٢٤ والمارونيون  
٥٦٥٧ واللاتينيون (٢٠) والكاثوليك (٤٦) والبروتستانت (٦٩) واليهود  
(٧٢) نسمة .

وقد كانت تولدات القضا سنة ١٣٣٢ مقدار ١١٥٨ ووفياته ٣١٢٨ نسمة . وفي تلك  
السنة كانت الحمى التمشية « تيفوس » تفعل افعيلها في ذلك القضاء . وقد جرعت القرى  
والقصبات الامرين وباد فيها خلق كثير . وكانت الوفيات « ٦٣٤ » نسمة في سنة ١٣٢٧  
و « ٣١٨ » نسمة سنة (١٣٢٩) . اما اللدات فكانت (١٢٠٢) سنة ١٣٢٧ و (٤٤٩)  
سنة ١٣٢٩ .

### ٣ - المعارف

يوجد في مركز قضا طرابلس (٧٦) مدرسة . منها (٣١) على نفقة الحكومة .  
وما بقى من المدارس الخصوصية تتفقدتها المحاسبة الخصوصية يسير من المعونة النقدية .  
وهذا جدول يحتوى على مفردات تلك المدارس :





١٩٤٤  
 من هذا الجدول ان مجموع الطلاب في قضاء الميركز هو (٣٦٤٥) منهم  
 ٢١٢٤ ذكور و ٨٨٠ اناث — في نفس طرابلس والباقي في ٧٤٥ طالب في  
 النواحي .

لا ادري هل يجوز ان نسمى هؤلاء الفتيان الوطنيين طلاباً . ان النتائج التي ما زلتنا  
 نحصل عليها من مستاعى المعلمين المتخرجين في مدارس دور المعلمين — مع قلتهم — هي  
 غير متسابة مع ما تتكبد الامة من المفاداة في طريق تعليمهم وارشادهم . وليس اكثرهم  
 بقادر على ادارة مدرسة ابتدائية . اما المعلمون المتخرجون في المدارس الرشدية او المدارس  
 الدينية فابقا في تلك المؤسسات التربوية حرام . لانهم بعيدون عن ادراك آمال الامة  
 التي لم نزل في اشد الحاجة الى العلم والرقى . لا زلت اقول ان المدارس الابتدائية لا تقوم  
 بخدمة ثلاثمائة او خمسمائة غرض . بل الواجب ان نعتق باعداد المعلمين الافذاك الذين لا  
 يعرفون الكلل في سعيهم من المتشربين حب الواجب . لم يمكننا الاطلاع على حقيقة مدرسة  
 دار المعلمين في طرابلس الشام بسبب العطلة الصيفية وقد استطلعنا عن حياتها التدريسية  
 فالفيناها بعيدة عن الغاية الشريفة التي اسست لاجلها . وان في مركز الولاية ولاسيما في  
 البيئة الطرابلسية اندفاعاً محسواً لتزويد عدد المدارس في طرابلس . على ان الاولى بهذه  
 القوة ان تدأب لاصلاح المدارس الموجودة لا لتزويد عددها ، فان ذلك انفع للوطن .

#### ٤ -- المستغلات الزراعية

هذه مستغلات مركز القضاء في نوا طرابلس نثبتها في هذا الجدول

جنس المحصول	الاراضي المزروعة دونم	الغلال كيلة
القمح	٥٠٤٠٠٠	٥٠٠٠٠٠٠
الشعير	٢٠٤٠٠٠	١٤٠٤٠٠٠
الدرة البيضاء	١٠٤٠٠٠	٣٠٤٠٠٠
الذرة الصفراء	٠٠	٠٠
الحمص	٠٠	٠٠
الامول	٥٠٠	٤٤٠٠٠
السمسم	٣٠٠٠	٦٠٠٠
العدس	٠٠	٠٠
الجلبان	٤٤٠٠٠	١٨٤٠٠٠

مركز قضاء طرابلس الشام

كيلو متر

١٥٠٠٠

الترتيز

الشواقي

الشيخ « البخاري »

التنزيلك

## ٥ - اثار القديس والمواقع المشهورة

[١] - في طرابلس والمينا - من البعث ان نناد الآثار القديمة في هذه المينا ان المرفأ محفوظ من الجانب الشمالي الغربي بحاجز قديم للموج يمتد مسافة ميلين. وان الرياح الشمالية اليوم توقع السفائن التي تحط في هذا المرفأ في اعظم الخطر. وهذا الباب كثيراً ما يجر السفائن الشراعية فيحطها على الرمال. وتوجد سلسلة صخرية قبالة المرفأ. واقربها صخر « بكار » الذي يمتد بمقدار (٣٠٠) متراً. وقد كان في ايام الفينيقيين حاجزاً طبعياً يحفظ مرفأ « مشت » الفينيقي من سورة الزوايح وهناك ثغرة خاصة للسفائن والقوارب اسمى ( قايون ) .

وتوجد جزيرة « بيلام » بمسافة « ٤٠٠ » متر من بكار. ولا تزال آثار الخازن والمآكن القديمة مشاهدة عليها الى الآن .

لا يوجد في طرابلس من الآثار القديمة ما يستحق الذكر ، ما عدا القلاع العالية التي ذكرناها في المبحث الخاص (\*) . وهناك ستة حصون مبنية امتباراً من قصبة المينا الى مصب نهر ابو على لم يبق الا انقاضها ويكثر في بعض انحاء الساحل على اعمدة من العوان الاخضر ، يحتمل ان تكون مجلوبة يومئذ من انحاء مصر. يوجد في المينا من هذه البروج اقراض برج المشت و برج المغاربة و برج الشيخ عفان ، وعلى ثمانى دقائق منهم برج المناطير ، وعلى سبع دقائق برج السبع (\*\*) الذي لا يزال محافظاً عليه . وفي الشمال اى عند مصب نهر ابو على يوجد برج رأس النهر . وهذا البرج يبعد عن طرابلس مسافة عشرين دقيقة بطريق واى ابو على . وقد بنيت هذه الحصون في زمن المسلمين .

[٢] - ناحية ارواد وآثارها - ان جزيرة ارواد ، او بالتعبير القديم « آراد » التي بناها الى قضاء المركز ، هي في الجهة الشمالية على بعد خمسين كيلومتراً عن طرابلس ، وتسمى

(\*) راجع ص: ١٥٥ - ١٥٦

(\*\*) كان يوجد في مدخل هذا الحصن اسدان امكن الاحتفاظ عليهما الى بداية القرن الحالى ، ولما سعى هذا البرج ببرج السبع .

كلومترات عن طرطوس . والارواديون الذين هم من اعظم القبائل الفينيقية كانوا من 'رقبا' صيدا وقد ظهروا عليها وتمكنوا من الاستحواذ على السواحل السورية الشمالية ، واسسوا بين طرطوس الحالية وأمريت القديس مستعمرات بالتوس *El Pous* ، وباللات *Ballatona* ، قارن *Qarane* وايدرا *Indra* ، وأمريت *Amrit* . وقد كان منهم ان اتفقوا مع القبائل القاطنة في الأنحاء الشمالية من سورية ، وتحاربوا مع طوطميس الثالث ورعسيس الثاني والثالث من فراخنة الاسرة الثامنة عشر . ولما تحارب الاشوريون والمصريون حربيهم الطويلة كان هؤلاء تارة يطبعون الغالب ويظاهرونه واخرى يخرجون عليه ويمصونه .

ولما استولى الايرانيون والاسكندر الكبير على البلاد السورية ، كان الارواديون يتمتعون بما منحوا به من الادارة الشبيهة بالاستقلال . وقد ظلت التجارة البحرية في القسم الشمالي من سورية مدة واطرة في ايديهم . ولكن ورود الرومانيين صد الارواديين واخرهم لاسيما سكان انتارادوس او آنتي ارادوس و طرطوس الحالية ، التي استأثرها جالية الارواديين ما لبثوا ان زاحموا اوطانهم الاسلية في التجارة ، واحرزوا فيها قصب السبق عليهم .

ان جزيرة ارواد التي طولها ٨٠٠ متراً وعرضها ٥٠٠ ، فيها اليوم ٨١٠ بيوت و٤٠٥٣ نسمة . والعصبة التي استت في الجهة الجنوبية منها كانت مسورة بحصار عريض ليس فيه الا ثغرة واحدة من الجانب الشرقي توخى فيها ان تكون بمثابة المنفذ لهذه القصة ولا يزال قسم من هذا السد موحود في الناحية الشرقية على ارتفاع ٩-١٢ متراً وهناك مخازن محفورة في الصخور ، واصنافا قاض القلعة التي شيدها العرب في ارفع محل من الجزيرة وما عدا هؤلاء بوحده مخازن للماء لم تزال محافظة ، شيائها الى الآن . وايضاً توجد في الجهة الجنوبية منها بنايات تحت الارض مغلقة على جدرانها الكتلات .

ومن الغرائب الطبيعية انه توجد بين قصبة المينا وقرية طلمو ، الكائنة في الجهة الجنوبية بمسافة ساعة ونصف يابيع الماء العذب تفور في عباب البحر على بعد ٥٠-٦٠ متراً من الساحل . وايضاً توجد هكذا ينوع بين طرطوس وجزيرة ارواد على عمق ثمانية امتار من سطح البحر . وكان الارواديون يستعملون انان حروهم من هذا اليسوع بوسائله انابب من حبل يمدونها الى حيزرتهم . ولا يستكبر هذا الحال لان الماء يأتي من هضبة على الساحل يبلغ ارتفاعها ( ٢٥ ) متراً . وان قانون الموازنة في الاجسام السائلة يقضى بترفع هذ الماء الى ان يبلغ سطح البحر .

ان مهنة الارواديين الذين معظم عددهم من المسلمين ، هي الملاحة واستخراج الاسفنج من البحر .

١٢٣٧ سنة ثمانية طرطوس: وأما هذا الضريح الذي يوجد هذه الناحية من الشمال أنهر الحصين وناحية خوي، ومن الشرق والجنوب قضاء صافيتا ويفصلها عن هذا القضاء نهر غمقة. وطولها أربع ساعات من نهر الحصين إلى قرية عين الزوقة التابعة إلى قضاء صافيتا وعرضها ساعة واحدة. أما مساحتها فتقرب من (١٦) كيلومتراً مربعاً.

ويوجد في هذه الناحية التي غربيها الشمال عبارة عن سهول، وجنوبيها من الأراضي الرملية، أنهار حصين وغمقة وقبله. وجمال الشيخ سعد والدور والحريبات في الجهة الشرقية منها. وينبع نهر الحصين من ناحية خوي الكاسة في الجانب الجنوب الشرقي من قضاء مرقب، ثم يقطع مسافة ثمان ساعات حيث يصب في البحر شمال طرطوس بساعة. أما جدول العنقة الذي يصب في البحر، نصف ساعة من العقبة فهو ليس بدائم الجريان. وطوله يبلغ خمس ساعات وينبع من جنوب قصبة برج صافيتا. ثم جدول القبله فقد ينبع بمسافة ثلاثة أرباع الساعة من الساحل ويسقي زهاء ٢٠٠٠٠ دونم من الأراضي ويصب في البحر عند خراطة امريت. وإن هضاب الحريبات التي هي أهم مرتفعات هناك يبلغ ارتفاعها ١٥٠٠ متراً.

إن الناحية تتألف من ٦٥٠٠٠٠٠ دونم. ولا يستمد إلا من ٤٠٠٠٠٠٠ دونم وما في منها وهي الأراضي رملية، أو أراضي موات. مع أن مؤرخي الصليبيين يذكرون أن نواحي طرطوس كانت محشوة بالأحراج الكثيفة.

هنا نحن نبين المحصولات السنوية لتلك الناحية

حدود سنة ١٣٣٩

حاصل المحصول	كيلوغرام
القمح	٥٠٠,٠٠٠
الشعير	١٥٠,٠٠٠
الذرة البيضاء	٢٠,٠٠٠
القول	٣,٠٠٠
الحمص	٣,٠٠٠
الترمس	١,٤٠٠

١٢٣٧ سنة ثمانية طرطوس: وأما هذا الضريح الذي يوجد هذه الناحية من الشمال أنهر الحصين وناحية خوي، ومن الشرق والجنوب قضاء صافيتا ويفصلها عن هذا القضاء نهر غمقة. وطولها أربع ساعات من نهر الحصين إلى قرية عين الزوقة التابعة إلى قضاء صافيتا وعرضها ساعة واحدة. أما مساحتها فتقرب من (١٦) كيلومتراً مربعاً.

ويوجد في هذه الناحية التي غربيها الشمال عبارة عن سهول، وجنوبيها من الأراضي الرملية، أنهار حصين وغمقة وقبله. وجمال الشيخ سعد والدور والحريبات في الجهة الشرقية منها. وينبع نهر الحصين من ناحية خوي الكاسة في الجانب الجنوب الشرقي من قضاء مرقب، ثم يقطع مسافة ثمان ساعات حيث يصب في البحر شمال طرطوس بساعة. أما جدول العنقة الذي يصب في البحر، نصف ساعة من العقبة فهو ليس بدائم الجريان. وطوله يبلغ خمس ساعات وينبع من جنوب قصبة برج صافيتا. ثم جدول القبله فقد ينبع بمسافة ثلاثة أرباع الساعة من الساحل ويسقي زهاء ٢٠٠٠٠ دونم من الأراضي ويصب في البحر عند خراطة امريت. وإن هضاب الحريبات التي هي أهم مرتفعات هناك يبلغ ارتفاعها ١٥٠٠ متراً.

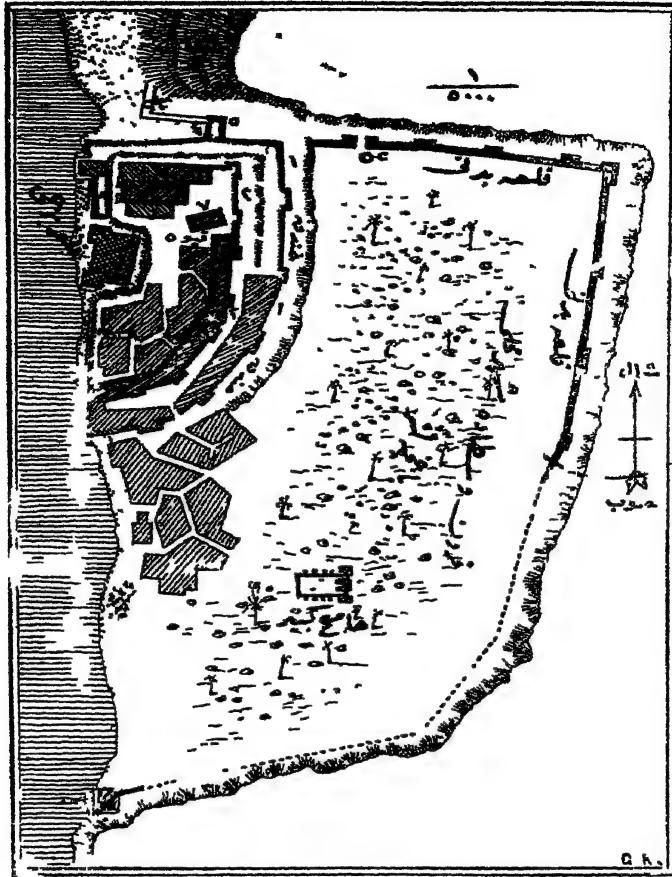
وتألف من مركزها الكائن على الشاطئ والمسيحية باسمها ومن أربع قرى وستين هكتاراً .  
ومجموع نفوسه ذكوراً وإناثاً (٥١٦٩) . نسمة منهم ٣٨١٦ مسلمون و (٨٠٨) من الروم  
الاولاد و (٥٢٧) من المارونيين و (١٨) من البروتستانت . وبناءً على الفقر المدقع  
السائد في هذه الناحية ، ما قومه سكانها يهاجرون الى أميركا منذ خمسة عشر عاماً ، فذهب  
اولاً المسيحيون ، ثم المسلمون والتصيريون . وقد بلغ عدد المهاجرين الى الآن زهاء  
٣٠٠٠ نسمة . ويرسل هؤلاء الى عائلاتهم في كل سنة مقدار (٥٠٠٠) ليرة .

ان قصبة طرطوس ، مركز الناحية هي من آثار الفنيقيين ، اسسها جالية الجزيرة  
المذكورة تجاه الجزيرة واهذا سميت باليونانية (انتارادس) اي قبالة ارواد وكلة طرطوس  
محرفة منها .

ولما حل الرومانيون في سورية اخذت هذه القصبة تسرع في الرقي وزااحت جزيرة  
ارواد . ثم ان قسطنطين ايمبراطور الروم شيد جميع ابنتها سنة ٣٤٦ ميلادية واهذا سميت  
قسطنطينا برهة من الزمر . وقد حصلت هذه القصبة التي ردت الى اسم *Constantia* في القرون  
الوسطى على موقع خطير والحقت بمقاطعة «قوتية» طرابلس . وفي سنة ١١٨٣ شيدها  
فرس ناملية وجعلوها في الدرجة الاولى من التحصين . وفي سنة ١١٨٨ اضطر الفرسان  
«شواليه» لان يسلموا قسماً من قلعها الى صلاح الدين الايوبي ، بعد ان دافعوا عنها جهد  
الطاعة . ولم يلبثوا ان استردوها بعد وفاة ذلك البطل المجاهد ودامت سلطتهم فيها الى سنة  
١٢٩١ .

وفي هذه السنة قهر صلاح الدين خليل من الملوك البحرية فرسان طرطوس وغابهم  
واستولى على هذه القصبة وجميع ممتلكاتها وسلمها الى المسلمين ، واضطر سكانها الى  
«مارحتها» والانجلاء الى جزيرة قبرص . وهذا كان آخر حصن اضطر فرسان ناملية الى  
تسليمه للمسلمين في المحاربات الصليبية

تألف هذه القصبة من الحصن ، وسور الذي شق خندقه في الصخر . وان «مطم  
هذا السور الذي كان على شكل رباعي غير منتظم مجهز بالبروج قد قضى عليه كـ الادوار  
والحراب ولم يبق منه الا الباب في الجهة الشمالية . ويوجد في داخل السور «كـ» من  
النسائين ودير طرطوس ايضاً «هو الان جامع» . وهذا المعبد الذي هو احمل نموذج  
الطرز البناء في القرن الثاني عشر يمتد من الشرق الى الغرب على طول اربعين متراً ،  
وعرضه (٢٧) متراً . وبابه اظريف الذي فتح في الجانب الغربي هو على الطراز العوتي  
وهو قبة ثلاث منافذ ، وتوحد في جهته دائرتان صغيرتان وبهما محراب . وداخل هذا المعبد  
شارة على مدخل يتحمله عمود متوحة تزدان خناها بالاوراق . ويؤمن ان آثار هذا المعبد  
هو «سن بيهر» ولذلك كان حجاج اصارى يخفون اليه من كل الجهات .



المنطقة الدائرية في قلعة حرطوس  
 ١ بدن القلعة الثانية ، ٢ بدن القلعة الثالثة ، ٣ السور ، ٤ باب ،  
 ٥ برج ، ٦ هو كبير ، ٧ الكهنة ، ٨ محور مسقوفة .



أما الحصن المكنى في الجانب الشمال الغربي من القصبه القديمة فهو سيفصل عنها بخندق واسع، وعليه كان لا يمكن المرور إليه الا على جسر نصب فوق هذا الخندق. يدخل أولاً من البرج الكبير الى دكانة قبة ومنه يوصل الى سور القلعة. ثم يقطع السور الثاني من خندق محلو الآن بالتراب الى ثغرة قائمة مكان الباب القديم، ومنها يدخل الى محن القلعة ويوجد على يسار الباب هو فسيح. وهذا البهو القبي هو اجل وافصح من جميع البنايات التي بناها الصليبيون على هذا الطراز لم يبق منه الآن الا قسم يسير. وطوله ١٥ متراً وعرضه ١٥ متراً.

وتوجد في الجهة الجنوبية الشرقية كنيسة. وفي منتصف محنها باب. وكان يوجد في موقع القصبه اليوم بيوت خاصة للفرسان. ويروي ابن الاثير ان برج القلعة المشاهد في الجانب الغربي كان مجهزاً بمقابل مربعة الشكل منها كان الفرسان يدافعون عن القلعة في قيادة رؤسائهم لما هاجتهم جنود صلاح الدين الابوي. وقد كان يدخل الى المحازن الفارغة التي لا تزال اليوم موجودة من باب مطل على البحر. ومنه كانت تدخل الذخائر التي تقلها اليهم السفائن.

[٤] — هرائب امريت — ان هذه الخرائب موجودة في الواجهة الجنوبية من طرطوس على مسافة خمسين دقيقة. وتسمى عند الافرنج «ماراتوس» *Martus* ولربما تكون هذه الكلمة مقابل امريت في اللاتينية.

ان هذه البلدة التي اسسها الارواديون كانت غنية ومعورة جداً اثناء تسلط الاسكندر الكبير على هذه البلاد. وفي سنة ٢١٩ الميلادية قطع اهلها العلائق السياسية مع الارواديين. وقد نشبت بينهم حرب قبل هذا التاريخ في سنة ١٤٨ والقت بينهم العداوة والصفا. ثم ان هذه القصبه فقدت قيمتها في زمن الرومانيين.

ان هذه الخرائب توجد الآن على ضفاف جدول (امريت وقله) وكانت قصبتها مبنية على هضبة صحرية، ثم اخذت تتسع حتى امتدت الى السهل. واول خربة من هذه الخرائب تسمى المعبد وهي في الشمال على مسافة كيلومتر واحد من معب امريت. وهذه البناية عارت عن محسن منحوت في الصخر طوله ٥٥ متراً وعرضه ٤٨ وحداره في الجهة الجنوبية لا يزال قائماً على ارتفاع خمسة امتار ويظهر ان الجهة المطلة على الجانب الشمالي كانت محاطة بجدار فيه بضعة ابواب. وتوحد في منتصف الصحن صحرة مربعة يبلغ ارتفاعها ثلاثة امتار، شقت من الشمال بشو ينادي الوادي، وضربت عليها قبة. وترى آثار السلم في جانبها. يقول اردست رومان في بحثه عن هذه الخربة [هذه هي اقدم معابد الساميين. ولا يمكن العثور على بيان غيرها يشع عن التقاليد الدينية لدى اوائك





وللهذا يمكننا ان نقول: ان طرابلس ممرٌ ضخم للبدايع والخامس، وللأحجار الكريمة  
الى شجانب محجب الانتظار ترصيع لطيف، في تلك الأرض الرائعة، وتشيق ماهر.  
اترن فيها اليافرت والمرجان، والزمررد والزبرجد اقتراناً سعيداً، فكان ذلك المنظر  
البهيج الذي هامت بهيجته الأشجار. وما صدق الشاعر الدوري [\*] الذي اسكركه  
رحيق هذا الانجذاب، حيث قال مترنماً بالوان طرابلس:  
قالبجر والمرج الشهير ورملمها  
فيروزج وزبرجد، مرجان  
وهذا الفيض اللوني المشهور في طرابلس ما زال منذ القدم يحرك اوتار الشعراء. صممه  
وقد قال ابن مامية الرومي:

مارعة سادت وساد مقامها  
على سائر الامصار في البحر والبر  
بايض تلج واحرار كنيها  
وخضرة مرج قد حلا ورقة البحر...

نعم ان طرابلس، كما قال مؤلف «تاريخ سورية» المصلح [\*]، مدينة المطالية سطوحها  
وحدرانها بالكس، هي كالجمامة البيضاء لمرفقة على هر «قادش» القديم الذي يترق  
تلك الديار من اشرق الجوى، الى الشمال العربي  
ان هذا النهر الذي يسمى الآن بهراو، ينبع من الجبال الحوية ثم يدخل لمدة  
طرابلس فيحترقها حيث يكون دحها عن يمينه وثلاثة ارباعها عن شماله. وبعد ان يتلوى  
بين بساتين الليمون، مدار نصف ساعة، يسير الى الحلب الشمال العربي من طرابلس  
ويسلمس في ورقة البحر.

اما الداحية الحوية والشرقية من المدينة فهما لشكل هضتين ويمرانها مائلاً نحوهما  
فادا اضربنا عن هذه البيوت التي يعلو بعضها مائلاً - المدينة عبارة عن شكل (اطع  
ناقص) يتد من الشمال الى الجنوب في ساحة مستوية. فادافكرنا في انبحار الرتوان  
الحصاة التي اشعلت فسحة عظيمة على اتسداد طرفي قطر هذا الشكل المسمى «البحر»  
وتلك القعة الحصاة المكونة من انبحار الليمون وغيرها التي احاطت بالمدينة من الجانب  
الغربي، والشمال الغربي في ساحة لا تقل مساحتها عن كيلومترين او ثلاثة تنتهي عن ردهس  
الامواج البيضاء من البحر. ولم بداعة ان صرالمس ممصنة هامة من رياض حصاة

\* عند الفنى المسمى.  
[\*] تاريخ سورية - حريحى

لاسيما وقد قام في جانب هاتيك الساحة الزرحدية او الاكليل الزمردى، لمجمل طرابلس  
الاماسى، بحر يتغلغل في البعد الى ما وراء مهابى البصر، فكان كمالهم من فيروزج. لذلك  
التاج البهيج يزيد نوراً على نور.

وقصارى القول ان ضواحي طرابلس هي البقعة التي فاضت بالبدائع الجمية، ثم ان  
الرمال الصفراء والحجرا التي غشيت هذه البلدة المفردة من الجانب الشرقي والجنوبي  
لا يزال تلعب فيها ذكرى الكهرباء والياقوت. ولا بد للابصار ان تقمر حينما تبرغ الشمس  
على جبال البعل، وترج بنورها الفضي على تلك البلدة البهيجة. وما الطيف  
طرابلس ايضا. ما اجل ما يراه الناظر الذي يتصفح تلك الانحاء من سنام الهضبة  
الشرقية او الجنوبية يرى عيناً من نور معلقة باهداب الزرقاء الملتصبة في الافق الاقصى،  
يدلق منها سبال ذهبي ينساب على اطلسة البحر، وتتلأش خيوطه النورية عليها. ثم يجعل  
«ميناء» طرابلس القائمة في حجر البحر كأنها صيفت من مينا غريقة في لح من نور، ثم  
يحوس خيال هاتيك الرمال المرجانية، ويتخطاها الى الرياض الزمردية ثم يندفق على  
البلدة حيث ينغمس بالاسها الساطع، فيتموج بنوره المضاض والوانه الجواله برهة وينتشر  
تلك الافاق ازاهرة من طرابلس العطرة، ويتقلب الى رقدة قدسية. فقد طرابلس  
تحت طلال ذلك اللحاف افروش في قبة السما فوق تلك الساحة الفردوسية المرصع بالآلى  
لغة: هنالك تنعطر جميع هاتيك الانحاء بما تبعته تلك المبخرة الصمدانية من الدكة المسكرة  
الى ان تودع الديار مترقة افجار بركان النور من فوق هضاب «بعل» السامية.  
يا دمحب ما اجل طرابلس، وما الضففا!! ان كانت سورية في ديوان جبال الكون  
برج نصيدة، فلا جرم ان طرابلس هي بيت اقصيد لتلك المنظومة الجمالية. لم يخطئ  
من امتدح بوحدة الحسن على اختلاف انواعه؛ وعلى هذا المذهب، ان طرابلس هي  
ابع نموذج للحمال.

البلدة في سورية تستطيع ان تفاخر بمناظرها لوافرة كطرابلس، ولا تكون غنية مثلها  
ما فوقها اسماء ليس لديها بحر. وبيروت ايضا التي هي ملكة سواحل سورية لم تكن  
غنية ببدايع هذه النسبة.

اما الامصار الاخرى السورية، ولا ارى ان ابحث عنها. وعلى كل حال ان طرابلس  
بعضها الحصرا، ورمالها الحمراء، وسهرها المقدس (\*) الذي هو كخنة من سبال الجوهر  
والتي الدرية، ويحصرتها في لا تدهى، ثم يجرح الذي كأنه من مذاب الفيروزج،  
والتي، لفضية، وبلاى نحوهم المبتسمة في كبد سماءها، وبحاسنها المتنوعة هي اجل بلدة  
في سورية. وعلمه فليصر سكانها عابدي التواضع عن تسمية ذلك المشير الجمالي بدمشق الصغرى.  
ان سر قدسها «النهر المقدس»

« حتى ان الفينيقيين الاولاد انهم يقيموا في هذه الساحة الزاهرة وتتوزجاً بالبلدان ، فزجوا اذواق الصوريين والصيداويين والارواديين والوجدوا هذه البلدة الكاملة المؤلفة من الثلاثة بلاد . وايضاً ان اليونانيين يعتبرون هذه البلدة التي يسمونها « تريبوليس » *Tripolis* معادلة البقعة بلاد . وعليه يحق للطرابلسيين ان يفاخرها ببلدتهم التي نجت عن النيل بين البلاد .

## ٢ — المخطوطات العربية في طرابلس

[١] — بعد القصب وبلانها — كانت الساحة التي اشغلها طرابلس في زمن الفينيقيين عظيمة جداً . وكانت البلاد الثلاثة : المجتمع التي اسسها الصوريون ، ولصيدياويون ، والارواديون تفرق عن بعضها بفراغ يسمونه مرحلة (ستاد) تمتد مسافة فرسخ . وحدود هذه البلاد كانت تبدأ في الشرق من موقع مقبرة الروم الارثودوكس القريبة من البلدة الآن في حدود الجبل وتمتد في الغرب حتى شاطئ البحر وتشمل مساحة بضعة كيلومترات . فاول هذه البلاد الثلاثة كانت على شاطئ البحر في موقع « المينا » الحالية التي تبعد عن طرابلس مسافة نصف ساعة ، والثانية كانت في محل الملقبانية ، وهو محل مقبرة الروم الارثودوكس اليوم ، والثالثة كانت في موقع « البحصاص » وهو في الجنوب الغربي من طرابلس .

اما قصبة طرابلس اليوم فهي تشغل السهل الكائن في حفاف هضبة « جبل ابو سمر » وهي كما ينالنا البحث عن سواحيها مطوقة ماشجار الزيتون والليمون . وتكاد تكون على شكل « قطع ناقص » . وطولها من الشمال الى الجنوب يقرب من كيلومترين وعرضها من الشرق الى الغرب يزيد عن كيلومتر . اما ناحية قصبة المينا المربوطة بطرابلس ولكائنة على شاطئ البحر ، في نهاية البساتين التي تشغل بضعة كيلومترات هي واحة بلدة ، وبثمة فضالة لها . واذا ان خط الترام الذي يسير بين طرابلس والمينا يقطع تلك المسافة بعد عشرين دقيقة اصبحت هذه الناحية من مشتملات تلك السلسلة . لاسيما وان العمراى على طريق الترام ١٦ الى تمتد في طرابلس من الشرق الى الغرب ، وفي المينا من الغرب الى الشرق ، ولهذا السبب لا ثالث طرابلس ان تصل الى الشاطئ ، وتخرج منها في السرب العاقل .

ولذلك انه يبعثر الآن على شيء من آثار البلاد الثلاثة القديمة الا على بقايا من مجرى المياه التي لا تزال تشاهد في خارج البلدة . اما البروج الموجودة على شاطئ البحر من مصب نهر ابو علي الى داخل المينا وهي بروج « رأس انهر » و « لاربعين » و « سب »

المغاربة والمهني ، الشيخ ، هم من الآثار التاريخية التي كانت بعد الفتحين ، وإننا نتكلم عنهم حين البحث عن احوال القصة التاريخية .

يتضح لنا من الابحاث المتقدمة ان طرابلس والمينا لا يفترقان ، ولذلك فان الآراء التي سندسها على خطوط طرابلس الداخلية ، ولا سيما على بنائها فهي تتناول عين الاحوال في المينا .

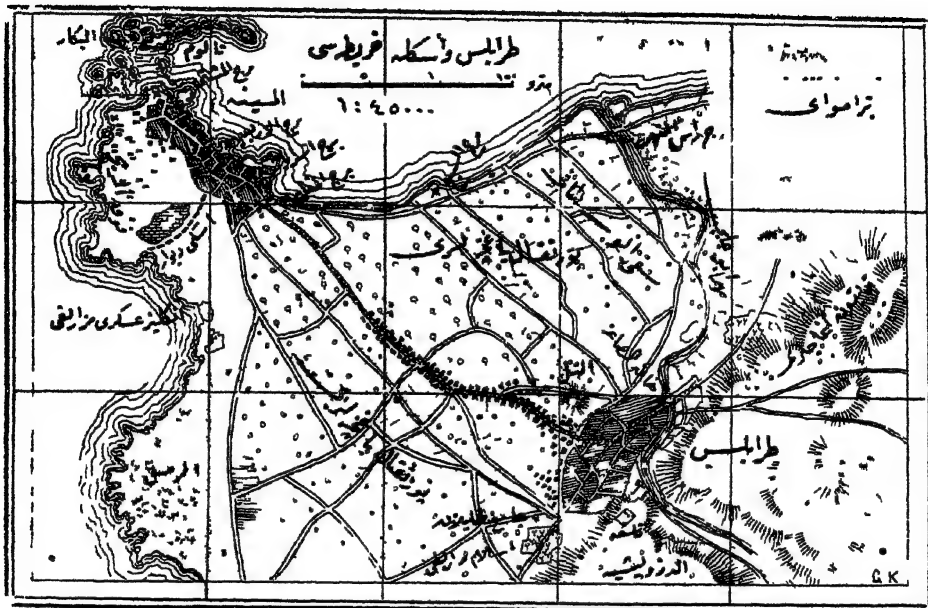
لا يصعب علينا ان نقسم البنيان في طرابلس والمينا الى قسمين ، ونفترق بين الذي القديم في الانشاء ، وبين الحديث منه . ففي القسم الاول يعلب في الابنية تقليد طراز الشام وطراز بنائها ، والثاني يغلب فيه الطراز البيروني .

ولنصنع ، هذه النقطة : من المعلوم ان بيوت اشام قائمة على ضفاف ( بردى ) وتوامه من الانهار ، ولهذا كان من السهل ادخال المياه الى اكثر المساكن . وكثرة المياه هناك حدث بالشاميين لاعداد الرياض الصغيرة والساقى والاحواض في البيوت ، وكثرة الاحجار هناك مكنتهم من تحاد الصحون في دورهم ، وتبليطها بالرخام او لاجار ، واعداد الاحواض فيها . ويننون اكثر اقسام تلك البيوت في الطابق الارضى لينة في لهم التمتع بالماء وماظرها يتعدون في ذلك فيشيدون الابهاء ، وفي منتصفها الاحواض والفتارات الرخامة .

والطراز البيروني ايضا اقلوا على الاستفادة من مياه نهر ابو علي ، واخذوا يقلدون اشاميين حذوا الة بالعزة ، وراهم بهخرون بتسمية لمدهم بالشام لصغرى . ولهذا السبب فان جميع البيوت القديمة في طرابلس مبنية على هذا الطراز .

في اليوم مري الطرابلسيين يحذون حذو بيروت في ابدان ، يشيدون بيوتهم على الصر ، يحدث في مسقوفة الدور ، ويمكن تهيئ هذين شكلين من الابنية سطرة بسيطة فاعمر راثيرم من الة سطوح مستوية مظلية ومعموشة بالكس الابيض ، ما بيوت الطراز الحديث هي . متورة بسطح محددة من اقمرميد الاحمر . وان اثر بيوت طرابلس مدية بحجارة سمرة تصير مله في الاسفرد . وان تلك الاسحار من المقالع الكاسية على ارجل دريا من مينا . قد حذر من بيوت مدحمن عشرة سنة يطلون حذر الموت ، ملات الاسفرد سميتو ، كي لا سدرطو من خلال الاجار ويحدد نها بسطوط شصرنج ، ثم تركر على في شدة اجم و هلال .

وتعدر يقول ان بيوت طرابلس مبنية على حجر رال وقي تارة ، والطراز اشامي احسن ، او تريح هذين طرازين صهما ، وكما تسمى الحجارة ، ولا يصنع من الخشب لا . تها وبوافده وغيره من روع اسفرد . ومص البيوت من الطراز القديم ، واكثرها من ارجار احداث ك . على ضابقين .



المقاربة والمشتق ، الشيخ ، هم من الآثار التاريخية التي كانت بعد الفتيقنين . وانما نتكلم عنهم حين البحث عن احوال القصة التاريخية .  
يتضح لنا من الابحاث المتقدمة ان طرابلس والمينا لا يفتقان ، ولذلك فان الاراء التي سبدها على خطوط طرابلس الداخلية ، لاسيما على بنيانها فهي تتناول عين الاحوال في المينا .

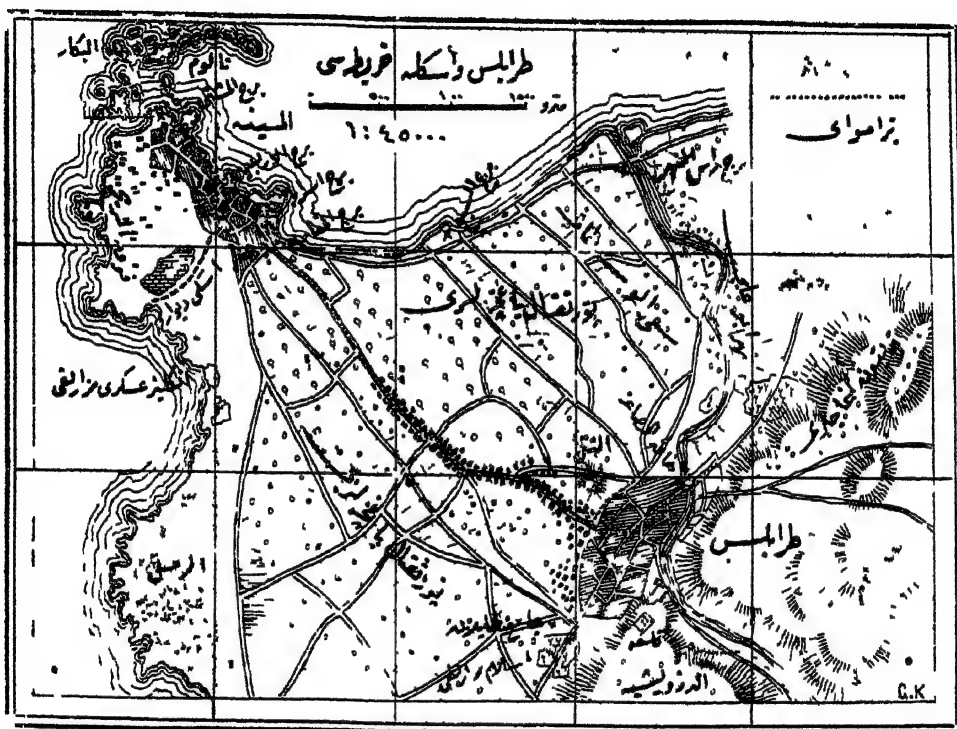
لا يصعب لنا ان نقسم البنيان في طرابلس والمينا الى قسمين ، وتفرق بين الذي القديم في الانشاء ، وبين الحديث منه . ففي القسم الاول يغلب في الابنية تقليد طراز الشام وطراز بنيانها ، والثاني يغلب فيه الطراز البيروني .

لفصح ، هذه النقطة : من المعلوم ان بيوت اشام قائمة على ضفاف ( بردى ) وتواجه من الانهار ، ولهذا كان من السهل ادخال المياه الى اثر المساكن . وكثرة المياه هناك حدثت باسبابين لاعداد الرياض الصغيرة والسداقي والاحواض في البيوت ، وكثرة الاحجار التي كانت من تحاد الصحن في دورهم ، وتبايها بالرخام او الاحجار ، واعداد الامم من فيها . ويانون ان اثر اقسام تلك البيوت في الطابق الارضي ليدني لهم التمتع بالماء ومناظرها يتفنون في ذلك فيشيدون الابهاء ، وفي منتصفها الاحواض والفوارات الرخامة .

والضراية يون ايضا اقبلوا على الاستفادة من مياه نهر ابو علي ، واخذوا يقلدون الشامين حذو الهة المعة ، ونراهم ففخرون بتسمية المدهم بالشام لصغرى . واهذا السبب قال جمع ابيوت القديمة في طرابلس مبنية على هذا الطراز .

ومرى الضرايين يمدون حذو بيرت في المنار ، يشيدون بيوتهم على الصرا حذو بي مستوفة الدر ، ويمكن قفزة هذين الشككين من الابنية بنظرة بسيطة فالمرر . يمد اله سطوح مستوية ، صلبة ومرشوشة بالكس الابيض ، ما بيوت الطراز الحديث من رتوة يصبغ محنة من اترمد الاحمر . وان اثر بيوت طرابلس مبنية بحجارة سدرة تغرب منهم في السدرة ، وفي تلك الاحجار من لمنايع الكاشة على اسطحها ، من سب . وقد حذر سراسر مدحس عشرة سنة يطلون جدر المات ، ملاك لا يصبغ سمته ، لكي لا سد رطوبة من خلال الاحجار ويخددنها بصورة شصرتي ، ثم ترك عن سبب شدة الحم واللال .

وتعدر نقول ان بيوت طرابلس غلب فيها طراز الدقي تارة ، والطراز اشامي اخرى ، او يترج هذا طراز في بعضها ، وكلها بنى الحجارة ، لا يصبغ من الخشب لانه فهاويوا فذه وغيره من روع ابنة . وبض ابيوت من الطراز القديم ، واكثرها من الطراز الحديث ، على ضيقين .







وان تلتقى البيوت في طرابلس التي يبلغ عددها عشرة آلاف بيتاً هلم من الطراز القديم وثلاثها من الطراز الحديث . فالقسم الذي يبدأ من يسار نهر ابو علي وينتبد الى الجانب الغربي من البلدة المسعى بالثل ، او طرابلس القديمة . هي عين دمشق القديمة . والبيوت في هذا القسم وان وجدت في بعضها رياض صغيرة ، وبينها دروب ضيقة ولكنها متممة ببعضها ومسورة بالجدران الطويلة المجتمعة . وان هذه الدروب في القصبة هي على درجة من الضيق تذكرنا بالقرون الوسطى ، وعقدت فوقها الحيايا والقباب الرابطة المطحلبة [\*] فزانتها ضيقاً على ضيق .

ثم ان الرطوة التي احدها رشح المياه من المجارى المارة في اسفل الجدران ، والعفونة الهذرة التي تابعت من مجارى المراحض تحت الطرق جعلت عمر هاتيك البيوت لا يسلك . وداخل تلك البيوت ابصاراً هو على آخر ما يكون من الرطوبة وعدم تجديد الهواء . وهمما ادعى بعض مدافعي طرابلس بان بيوتهم الوسخة ، التي يظنها الانسان مهياة للسقوط على رأسه ، هي نسيئة قديمة من الداخل . فعندى لها الرأى الذي لا يتزلزل . وهو انها لمن الشوائب المذنية والصحية في طرابلس . وعليه يجب ان تحتم حياتها ، ولا يجعل لها نصيب بعمر اكثر من هذا .

ما البيوت من النسق الحديث فهي تشاهد في موق « القبة » العالي المتصل بالمحلات الكائنة على يمين ساحل نهر ابو علي ، ثم في انحاء « التل » من غربي البلدة . ان موقع « القبة » في طرابلس يطل على منظر متناه في اللطافة والحسن ، يستقبل الهواء الجليل الذي يهب من الغرب ولهذا كان ارفع المحلات في نظر اطرابلسيين ، واذا نظرنا الى البيوت التي شيدت في اعلى هذا الموقع ورأينا تباعدها عن بعضها بصورة تقسح الى الهواء ان يترسل فيها . ثم الى ابنتها حيث تطل على جمع الدائع الطبيعية في طرابلس . يسهل علينا ان نطاع على درجة وجعان تلك المساكن وتفوقها .

ثم ان نظارة وجع البو من جهة البلدة لطيف ايضا . اذ يرى الناظر البيوت البيضاء تتدرج الارتفاع بعضها فوق بعض بصورة تكوين جبلاً من العمران . ثم ان الاسم الآخر من الانية الحديثة هو في الساحة التي عرفت باسم « التل » . وكان هذا الموقع من قبل ، عبارة عن سهل رملى . اما الآن فقد شيدت فيه كل البنايات الفخمة التي تفتخر بها طرابلس ثم ان دار الحكومة ، و برج الساعة ، وروضة البلدة ودار البريد والقنصليات والمصارف والبنك ، و مركز الزمام ، واغنى المخازن كلها حشدت في تلك الناحية ، ولهذا اصبح موقع التل له الوقع العظيم في تلك البلدة . بما فيه من الشوارع الواسعة والمباني لرصينة

وما زال يتدرج في الرقي ، ويمكن ان نقول ان طرابلس الجميدة بمباردة من هذا الموقع . ولا يضئ الطرابلسيون يتعمون باستباح ما كان من حصن هذا الموقع قبل نشوب الحرب الامة يزعمون انه كان يلطم نهاراً بأودعهم هائل من الناس والمراكب حتى لقد يصير المرور منه . وان المركبات كانت تضطر كثيراً الى التوقف في الطريق الموصلة الى الميناء حتى تتمكن من المرور . اما في الليل فكان يثار فيه اكثر من ستين مصباحاً تجعله غريقاً في لجة من نور . ولا يمكن تصوير تلك الضجاء وجملة الطرب والمرور من الناس للذين حشدوا في تلك المسارح ومحلات اللهو المتعددة .

نعم لم تقل ثني على حفا في شارع الترام الابنية المتظلة ، التي تناهت في الظرافة والمتانة فاذا توبر على هذا الاعمار ، وكثر عدد تلك الماني ، ترشح طرابلس ان تكون اول بلدة في سورية بخطوطها الداخلية ايضاً كما كانت في ناظرها الخارجية .

ومع ذلك فان طرابلس بجوامعها العظيمة ، وكنائسها الكبيرة تشعر بانها بلدة « شرقية » ويوجد في طرابلس مقدار اربع عشرة جامع منبئة في انحاء البلدة بمنارات ظريفة ناصعة ، رفيعة الذرى ، وقباب بيضاء . منها « الجامع الكبير المنصوري » ، التوبة ، العطار ، الطحسام ، ارغونشاه ، الملق ، طيلان ، عبد الواحد المغربي ، الاويسية ، البرطاس ، محمود بك السنجق النفاص — الحمدي .

ثم اذا علمنا انه يوجد فيها ما عدا هؤلاء الجوامع مقدار عشرين مسجداً ، ومدارس قريبة من هذا العدد ، واربع تكايا ومولوية ( درويشية ) . نعلم ان طرابلس بلدة اسلامية دون شك . ولكن يا للأسف ان اكثر هذه الآثار الاسلامية مهملة لا يباها ، مشرفة على الحباب لدرجة توجب العار والحجل . ثم ان الملة النصرانية اوجدت هناك كثيراً من المعابد الخميرة . مثل كنيسة « ملاك ميخائيل » السيدة العذراء للمارونيين ، و « جاورجيوس » للروم الكاثوليك و « مار جرجس » ، مار نيقولا ، مار ميخائيل ، للروم الاورثوذكس . ومجموع عدد هن اربع عشرة كنيسة . ثلاث منها للروم الاورثوذكس وخمس لللاتينيين [ ومن هؤلاء الخمس ثقتان للفرسيسكان والواحدة تخص « *Filles de la charité* » ، وواحدة اى اللازاريين ، وواحدة تخص « *Carmes* » ] واربعة للمارونيين ، وواحدة للروم الكاثوليك وواحدة للبروتستانتين . وكنيسة لليهود ، وتوجد دار للآيتام ومدرسة للبنات . ص « الاخوات *Sœurs* » الفرنسية . وجماعة « *Les frères des écoles chrétiennes* » دير ومدرسة (\*) ويوجد مسكن يسكن فيه المبشرون الاميركانيون ، ومدرسة للبنات تخصهم وهذا يدلنا على درجة غناء طرابلس بالبنية .

نريد قبل اتمام هذا البحث ان نذكر على بعض المباني التاريخية، وهى لوسية والمخبرين وما  
يماثلها. ولا مره. فى ان ادهم بناء تاريخى فى طرابلس هى القلعة بالكائنة فى الجانب الشرقى  
من البلدة. وبما اننا نذكر عن بناء البحث عن تاريخ طرابلس، نذكر الان عن الدخول  
فى هذا الموضوع. ومع ذلك فان تلك القلعة التى جعلتها اليوم سجناً للمحكومين هى على  
جانب عظيم من اللطافة. وقد كانت مشهورة بمناعتها وحصانتها. ولما فتحها السلطان قلاوون  
هنا هذا الفتح «مجد الدين الحيمى» لشاعر بقصيدة غراء مطلعها:

هيناً ايها الملك الهام

بنصر لا يريم ولا يرام

ثم بعد ان هنا هذا الفتح العظيم، انتقل الى بيت القصيد فقال واجاد:

وظنوا انهم قوم عظام

فها هم فى جوانبها عظام

والآن فان تلك القلعة المسيطرة على موقع طرابلس تسمى كانها تريد تطيح السحاب بما  
تحتويه من رميم العظام.

اما ابانى الرسمية فيها دار الحكومة، ودائرة البلدية، وخان العسكر الذى كان ثكنة  
للجنود، ثم خان الماء، والمستودع العسكرى، وبضع بنايات للمدارس. وكلها ليست من المكانة  
والرصانة بدرجة تليق بموقع طرابلس. ثم يوجد برج الساعة تجاه دار الحكومة، وهو  
خلو عن كل مهارة وصناعة.

ولكن «مستشفى عزمى بك» الذى شيد العام الماضى فى الجنوب الشرقى من القصة  
على هضبة عالية هو اثر عمرانى ثمين جداً، نتعزى به الآن.

اما المخازن والخوانيت والحاتات وما اشبهها فهى كثيرة فى هذه البلدة، ويمكن ان  
يرفع عددها الى الفين، ولا بأس بمخازن الامتعة والاقشة الحربية فى طرابلس. ولا سيما  
أبهاً الحلاقين فلها متاهية فى الزينة ولترتيب وفيها سبعة او ثمانية حمامات وهى تمالى  
حمامات الشام. ويوجد بين خانات طرابلس التى يبلغ عددها الثلاثين ما هو حرى بن  
يسمى مجمع التجارات. اما الخوانيت الموجودة خارج هذه المحلات فانها عبادة عن  
زوايا للاوساخ.

هذا ولنتقل البحث، بعد ما اجهلنا الخطوط العمرانية فى طرابلس الى المينا التى ينسا  
سابقاً انها تمة لهذه البلدة:

ان هذه القصة التى تحتوى على قريب من النى مسكن، وثمانية آلاف من التماة  
هى فرضة متوسطة فى الجسامة.

ما زالت هذه القصة تمنع فى الرقى والعمران بفضل اهتمامها فى الامور البحرية،

حتى دهمتها الحريق ، فسقطت عن مركزها وبغدت تتجرع الحيم الاضطهاد والالاسف . فالجمرك ، والرصيف ، ووكالات البواخر والمستودعات وبيوت التجارة والفنادق وامثالها من المؤسسات التي كانت معروضا للبيع والشراء البالغ ، أصبحت اليوم وهي اب سنب فيها اليوم والخراب ، واغلقت الحوايت وفرغت البيوت واقفرت الشوارع ، وفقدت مقبسة جميع حياتها ما عدا بضعة بيوت كبيرة لثمولي طرابلس في الجهة الشرقية من القصة .

أصبحت هذه القصة التي لا يزيد عدد نساها اليوم عن الالف تتجرع غصص الاحتضار الهائل بيوتها التي كانت ميدان الهمة والعزم ، او معاها الذق والطرب . وانما تنذر زوال هذه الحرب اكث من كل البلاد . ويتمى القاب ان لا يطول انتظارها والافالدمار محتم على هذه القرية الطرابلسية اللطيفة .

[ ٢ ] — محلات طرابلس ، وطرقها ، ومبورها — يجب علينا قبل البحث عن محلات طرابلس ان نعين التقسيمات التي اوجدتها العوارض الطبيعية . نعم ان نهر ابو على من جهة والهبسة الكائنة في الشرق الشمالى من البلدة من جهة اخرى قسمت طرابلس الى ثلاثة اقسام :

فالقسم الاول ، هي الساحة الكائنة على الجانب الايسر من النهر ، وهي تضم ثلاثة ارباع البلدة ، والقسم الثانى الذى على الضفة اليمنى من عين النهر ، القسم الثالث هو النحاء القبة .

توجد على الضفة اليسرى من النهر ثمانى محلات . تمتد من الجنوب الى الشمالى على شكل قطع ناقص ، وهي « بوابة الحدادين والمهاترة » ، « الورية » ، « التربيعة » ، « باب الحديد » ، « العدسة » ، ثم في الجهة الغربية من هؤلاء محلة ( الرمانة ) وبعدها ( تل الرمل ) ، وان احدث هذه المحلات ، احدثها بالبحث هي محلة ( تل الرمل ) التي مر ذكرها . وان توسع هذه المحلة واقبال الطرابلسيين عليها حيث يتحذون مساكنهم فيها ويفقدون انفسهم من رطوبة البيوت القديمة وعفونتها ، هو من الاماكن التي يجب الرض وراحتها ، اما في الجانب الايمن من النهر فتوجد محلة « الجسرين » ، و « باب التبانة » ، وفي الجهة الشرقية الشمالية توجد بيوت « قبة التصر » .

ولا جرم ان احسن محلة بين هؤلاء المحلات من حيث حودة الهواء وجمال النظارة هي « القبة » . ولكن « التل » هي الارجح من حيث العمران وانتظام البنيان . لم تعين المحلات في طرابلس على طريق الاختصاص ماحدى الملل المتخامة ؛ بل ان النصارى الذين هم خمس السكان يقطنون في محلات المسلمين ، ولا يزالون محافظين على هذه العادة . على ان عددهم في محلة التربيعة والرمانة والثورية كثير بالنسبة لغيرها .

الحلقة الأولى









«الجسرين» ثم «جسر العتيق» في محلة التبانة، والثالث «جسر الزامواي» السكان في أقصى الشمال من البلدة. والجسران الأولان هما على غاية من الوهن والتداعي.

[٣] — ماء طرابلس — يمكن ان يقال ان طرابلس غنية بالمياه غناه كاملاً. لان نهر ابو على الذي يقطعها من مبدأها الى منتهاها، وماء رشعين — مع محاذيره التي سنتكلم عنها حين البحث عن الأحوال الصحية — الموزع على أكثر أنحاء البلدة بانابيب الفخار لا زالاً يفيد الحياة الخضراء على تلك البقعة. ونهر ابو على هذا كان الاقدمون يسمونه «قاديشا» كما بينا سابقاً، ويزعم الطرابلسيون انه كان على ضفاف هذا النهر مستشفى اسم صاحبه «ابو على» ونسب نهر قاديشا الجارى من هناك لاسمه: وكان نهر ابو على.

ينبع هذا النهر من موقع يعرف بالدوايب الكائن تحت «ارز لبنان» الشهير وفي جوار قصبة انبرى في لبنان. فيتجه الى الجنوب الغربي، ثم يصب عليه جدول «رشعين» و«المخاض» ويمر من طرابلس متجهاً من الشرق الجنوبي الى الغرب الشمالى ويصب في البحر بعد ان يسير مسافة كيلومترين منها.

كان هذا النهر عرضة لكل وساخة حين مروره من طرابلس. وعليه فالذين لا يتمكنهم الاستعداد من ماء رشعين لا بد علو بؤتهم يستعملون مائه، ولا جرم انهم ليضرون بها انفسهم عبر ان هذا نهر يروى بمائه بعد ان يفارق طرابلس ساحة عظيمة من الحدائق التي جعلت احياة المياصة في طرابلس. وهو الذي انحفت تلك البلدة بمخاضها الزمردية.

ان مياه طرابلس الاساسية تأتي من «رشعين». وهذا الجدول ينبع من موقع في جبل من يسمى بهذا الاسم، ثم بعد ان يصل الى قصبة (زغرنة) يفترق عنه القسم الذي يقو به حارة طرابلس. ويؤتى به الى «تحت القلعة» حيث يوجد مدخر الماء، ومقاسم اتوزع.

وقد يزعم القنطرة التي يجري فيها الماء اليوم هي من زمان الصليبيين. وان تسمية بعض قسامها بقطر ابرنس يدل على صدق هذا الزعم.

بعد ان يرتكز ماء رشعين ومدخر تحت القلعة يسيل في انابيب الفخار الى جميع اطراف البلدة. وهذا الماء ينقسم بعرف البلدة الى اثنين وسبعين مقسماً «قرية»، ثم ان كل قرية تنقسم الى ثنى عشرة شعبة «مشمعير». وعلى هذا الترتيب توزع المياه على بيوت طرابلس حسب استحقاق المعروف في البلدة، والمسجل في دائرة البلدية. ويوجد لهذه المقاسم مقاسم اخرى في داخل البلدة تنقسم فيها المياه مرة ثانية.

ان اصل ماء رشعين هو صرف ونظيف، ولكن اسأته في انابيب العمار التي لا تمنع ترشح الماء

سارح الزهريه في طرابلس الشام





وتحلبه اوجبت تعكير صفوه وتلوته ببدان دخل البلد ، ولو كانت اتاييه مصونة صحيحة لاقاض ما الحياة الحقيقي على هذه البلدة . فيجب على الطرابلسيين ان يفكروا بهذا الامر الحياتي قبل كل شيء . وما عدا هذا يوجد في بعض البيوت الكبيرة آبار من الماء العذب . ولكن عددهم قليل لا يستحق الذكر . ثم يوجد اكثر من مائة صهريج اكثرها في محلة القبة ، تخزن فيها مياه المطر ، ولا جرم لها انظف ، واطيب المياه الموجودة في طرابلس .

[٤] — المنزهات والمقاصف — ان ما مر علينا من البحث عن ضواحي طرابلس صرقتنا بان جميع انحاء هذه البلدة الزاهية هي منتزهات ومقاصف .

نعم ان طرابلس الجديرة بان تفتخر على معظم البلاد بمناظرها البديعة الوفرة ، فيها منتزهات عديدة ومقاصف شتى . فالقبة التي حازت بارتفاعها على ابهى المناظر ، وهضبة « ابو سمر » هما بالنظر الى طرابلس من اجل المواقع الشريفة التي تسهل المهموم من القلوب ثم ان هالة الرياض التي توشحت بها تلك البلدة الطيبة فيها اهنأ الاندية اثر دية لاوى الاذواق والطرب . لاسيما تلك الساحة الخضراء ، اللطيفة القائمة بين طرابلس والمينا لا يكون ابداع منها عند المساء او في الليالي المقمرة ، وان تل الرمل وما في جوارها ، بتسميه الذى يتاقى الارواح بايتساماته المنعشة ، لا جرم هو من اهنأ البقاع ، ارغدها . وان موقع لدرويشية في الناحية الجنوبية المطل على الوادى وما حوله هو لطيف ايضاً ثم « البدوى » في الشمال ، و « برج رأس النهر » مصب نهر ابو على في الجانب العربى ، وغيرها من البقاع هي على ما لا مثيل له بالجمال واللطافة .

يود القلب ان لو كانت الآثار الصناعية والمدنية في طرابلس موفرة وراقية تجب تلك الثروة الطبيعية الممتازة . فتمتع بالسعادة ولعمران . نعم لو كان لها نصيب من البدائع المدنية ، وقامت فيها الشوارع الواسعة النظيفة ، ووسائل الجر الكهربائية والجسور المتينة والمياه النظيفة والمعامل الجسيمة والمدارس العظيمة ، والمؤسسات الخيرية العمومية ، واستمد نهرها لسير السفن ، وشيدت فيها التماثيل وحنايا الظفر ، ودور التمثيل ، وعارض البدائع والمتنديات الحية ، والمطابع الضخمة وكان لها امة حية ، وادمغة كبيرة محترمة . لارتب اتقان الانسان معززاً ابداع الخالق . وكانت يومئذٍ جديرة بان تنحى امامهم الرؤس اجلالاً .

### ٣ — الاموال العمومية

[١] — قصبة طرابلس الشام — ان هذه القصبة كائنة على ٣٤،٢٦ درجة من

العرض الشمالى و ٣٣،٣٠ درجة من الطول الشرقى على شعبة من سلاسل لبنان تبعد عن شاطئ البحر مسافة عشرين دقيقة ، وهى فى الشمال الشرقى عن بيروت بمسافة (٨٠) كم. برآء وهى الجهة الجنوبية من للاذقية بمسافة (١٣٥) من الكيلومترات وان نهر ابو على لى فى النورة «كاديشه» اى المقدس، يجرى فى وسط تلك البلدة ويقسمها الى قسمين . ويذو «ن النهر» من محل «الدوايب» حيث يوجد ارض لبنان فوق قرية البشرى ، ويتجه الى الجنوب الغربى فيصب عليه جدول رشعين والخاصة ، ثم يدخل طرابلس فيقطعها من اشرق الى الغرب ، ويصب على البحر عند برج رأس النهر.

تتألف هذه البلدة من قسمين ، كما هو الحال فى بعض المراكز السورية . فقسمها «سكة النهر» على الشاطئ ، تبعد عن البلدة مسافة ثلاثة كيلومترات ، وهى مركز الناحية التى تدعى «دمها» ، وهى مرسطة بالبلدة بخط ترام اشأ فى زمن مودت باشا .

[٢] — عدد السكان — كان عدد السكان فى بلدة طرابلس سنة ١٣٣٢ (٢٤٠٣٦) نسمة ، فى قسبة النينا (٨٠٥٣٥) نسمة هذه مفراتها :

قسبة النينا		بلدة طرابلس		
الذكور	الإناث	الذكور	الإناث	
٢١٣٦	٢٠٢٠	١٠٢٥٠	٩٧٠٤	المسلمون
٢٣٨٩	١٧٥٩	١٥٠٠	١١٤٣	الروم الأرثوذكس
١٢٤	١١٠	٦٢٨	٦١٤	الروم الكاثوليك
		٩	١١	اللاتين
		٢٤	٢٢	الكاثوليك
		٢٤	٢٧	الروم الكاثوليك
		٣٥	٣٧	اليهود
٤٦٤٩	٣٣٨٨٦	١٠٢٧٠	١١٥٥٨	يافا
٨٥٣٥		٢٤٠٣٦		

كان عدد سكان «رأب» سنة ١٣٣٣ (٢٤٣٦١) نسمة وعلايك بكن مقدار الزيادة فى عدد سكان «رأب» .

العدد السكان سنة ١٣٣٧ ٣٠٧ ٢٥٥ و سنة ١٣٣٩ ١٠٩٠٠ و سنة ١٣٣٢ (٢٤٨) نسمة . و فى سنة ١٣٣٧ ١٧١١ و سنة ١٣٣٩ ٣٢٩ (١٢٦) و سنة ١٣٣٢ بلغت الى (١٢٣١) نسمة .

ان الجدول الاخير يرينا بمقدار بعد ارقامنا عن الحقيقة . لان الحمى النشيبة التي انتجبت  
 مخالفا القتالة في طرابلس وقتكت بسكانها فككاً ذريماً سنة ١٣٣٢ ، لم تهلك ١٨٣١ نسمة  
 فقط ، بل افت خمسة او ستة امثالها . ان البحث عن لدات البلاد ووفياتها هي بمثابة الاستطلاع  
 على حالتها الصحية ، او ما لاجدر هي وزن قدرتها وعظمتها . بيد ان الميزان الذي استعملناه  
 مصنوع بايسر بعيدة عن الحس ولا تعرف قدر الوظيفة تراها لانعياً بمجداول الاعداد الزراعية  
 كانت او صحة او اجتماعية . فالارقام الرسمية التي حررها في كتابنا الاول وفي هذا  
 الكتاب ايضاً ، لا ننكر انها خطأ . لانها ضبطت - لمى غير علم وروية . يود القلب ان لو  
 كانت لدينا ارقام واضحة ومحيحة فطمع منها على ها ، ان طرابلس الشلم احسن حالاً من  
 بيروت ، وعكا ونابلس ، في الامور لصحية والزراعية وغيرها ام لا ؟ ماذا علينا لو اعطينا  
 في استقاء الارقام الصحيحة كفي الدول التركية ، او على الاقل كبلغاريا وصربيه ويونان  
 الذين لم يطل عهدهم بالرقى . ولكن من العتب ان نتطلب الانتظام في قيود النفوس  
 باسنا الحالية ، وبهؤلاء المأمورين الذين لا يزيد راتبهم عن خمس ليرات ، ولا سيما الخاتمة  
 ا. هـ . الذين لا يعرفون معنى الوظيفة . فهل نحصل يا ترى في الآتي على دواء لهذا  
 الداء العضال ؟ ! ...

[٣] — **مجموع تاريخ طرابلس** — كانت هذه البلدة موجودة في القرون الاولى .  
 ويزعم قدامى اؤرخين ان قيقبوس وصيدا وارواد اسسوا مجلساً دائماً يلتئم في  
 ضراس لاجل الاتغال بالامور الخطيرة وقد كانت كل بلدة من هذه الثلاث ترسل مائة  
 عضواً في هذا المجلس ، وقد كان اولئك المعضون يأتون في محلات متفرقة واهذ سميت  
 ( تربوليس دزاد - *Tribolys Dzed* ) ، معناها ثلاثة بلاد . وكانت هذه البلاد في موقع الاسكلة  
 النوم ، والسلفتانية التي هي اليوم مقبرة المروم الارثودوكس وموقع البحصاص .

يظن ان الهاج العام لذل اقامه الفينيون تجاه الايرانيين سنة ٣٥١ قبل الميلاد كان  
 بتراء من هذا المجلس . والفينييون الذين كانت حياتهم في التجارة كانوا يبنون جميع بلادهم  
 على - واحل ، ولذلك اتت بلدة طرابلس مبنية في شبه الجزيرة الموجودة عليها اليوم  
 قصه بنا . وقد كانت كل وحدة من هذه الالاد الثلاثة محاطة بمجندق يعصمها من كيد  
 الاعداء وتجاوزهم .

يعرب الذين نهض بهم قوة الايمان من مكة والمدية ودفعهم الى انتاح سورية تمكنوا  
 من سحق طرابلس وتضوا فيها بالدمار على ساحة الميثاقية التي لم تكن عبارة لاعداء قدرة عبياء  
 اعداء - كل سقاء وورثه . وهذا الفتح كان سبباً لتأسيس حركة علمية واقتصادية في  
 تلك البلدة . فبعض المسلمون بدكانهم اوقاد ، ومشاريعهم العلمية والمدنية . واجتدوا

يستفيدون من استعداد هذه البقعة ، وسلكوا بها سبيل الرقي المدني والعمري . فكانت الزراعة والصناعة والتجارة في آن واحد آخذة في الرقي بنسبة متزايدة . وكان المسلمون لا يألون جهداً بنشر العلوم والسعى لانتارة افكار السكان . ويشيدون الجوامع والتكايا والمدارس . واسست في اكثر انحاء القسبة المكتبات التي كانت تعمل لتحرير الافكار من اسارة الفلسفة القديمة المضرة . وان المكتبة الجسيمة التي اسسها آل عمار في طرابلس في القرن العاشر للميلاد كانت كعبة للعلوم يحج اليها العلماء من كل فج ويحصلون فيها على ما يشتهون من المصنفات المفيدة . وقد تردد ابو العلاء المعري شيخ الفلاسفة الاولين على هذه المكتبة زمناً طويلاً ، واستفاد منها ما شاء له ذكائه .

ولكن لم يطل زمن هذا الفيض العلمي ، بل رمت اوربا هذه البلاد بشرذمة من جهلائها الصليبيين الذين هم اعداء العلم والمعرفة ، فكانوا المانين لبقاء تلك النعمة العظمى . وقد كان موجوداً في طرابلس ابان هجومهم زهاء اربعة آلاف من مصانع الحرير والصوف ، فلم يدرك اولئك الافرنجيون قيمة تلك الثروة البشرية والطبيعية . بل كانوا يخربون كل ما وصلت ايديهم السوداء اليه من آثار العمران . فقلعوا اشجار الزيتون بقصد نكابة المسلمين ؛ ثم عمدوا الى الرياض المحيطة بالبلدة على مسافة بضعة كيلومترات فأبادوها قطعاً وقلعاً . وجملوا خاوية على عروشها . ولذلك فإن الزراعة والصناعة قهقرت بعد استيلائهم على البلدة حتى اشفقت على العدم .

سارع امير طولوز « قونت » [ سن جيل *Reymond de St Gilles* ] الى محاصرة طرابلس ، فاستبسل المسلمون في الذب عن حياضها . ولكنه لم يفر ، بل ثابر على ادامة الحصار وعمد الى هضبة الحاج *Mans Pelleginus* المسيطرة بموقعها على القسبة وشيد عليها قلعة لتشديد الحصار . ولكن عاجلته المنية ، فهلك وهو مشغول بالحصار ( ١١٠٥ م ) . ثم قام الجدال على ساق وقدم بين ابن اخيه كيوم دوجوردهن *Guillaumed de jourd'n* ، وبين دعيه برتران *Bertrand* الطولوزي الذي جاء من فرانسه الى سورية لمجرد الاستفادة من الميراث ، وبعد وقايح دموية ، حصل بينهما اتفاق على ان يأخذ كيوم انحاء عرقا وطرطوس ؛ وبرتران يأخذ هضبة الحاج ، وطرابلس بشرط ان يسخرها وقسبة جيل ايضاً ( ١١٠٩ ) .

لم يلبث كيوم ان قتل في الحرب وانحصر الارث في برتران . فقام هذا وفتح جيل . وطرطوس بمونة الاسطول الذي ارسله له جمهورية جنوه . وقبل هذا بمدة يسيرة فتحت بلدة طرابلس على يد « بودوين » *Baudovin* . ويجب ان نعتبر هذه الحادثة التاريخية مبدأ لسلسلة الظلم والتجاوز المشؤمة التي ارتكبتها الصليبيون في الديار الاسلامية . وانحى جهل اولئك الافرنجيون الضالون على مكتبة آل عمار الثمينة فجعلوها ضحية لجهم انتقامهم .

فأكلت نادرهم السوداء آلافاً من الكتب الفلسفية والعلمية الثمينة ، واحالتها الى رماد تذرده الرياح !!

هذا ولينكر الجزويتيون . ومتصلبوا الكاثوليك هذه الحناية التي استهدف فيها دماغ لعلم وقلب الفضيلة . ماشاؤا ان ينكروا . فحزن تقابلهم على التهمة في مكتبة الاسكندرية الموهومة التي انكرها عليهم اصدق مؤرخي الغرب ، بهذه الحقيقة الناصعة التي يحمر لها وجه الفضل ، وينفطر منها كبد العلم . ولا نستشهد لهم بأقوال مؤرخي الاسلام اذ لا بد ان يلصقوهم بالتحامل والافتراء . وهذه براهين تكفي لاقناع عشاق الحقيقة الذين يرون بياض الابيض ، وسواد الاسود :

« ان الافرنج تسبوا لضياع كثر ثمين بأحراقهم المؤلفات التي كانت في مكتبات طرابلس . وقد كان يوجد في هذا المدخر العلمي كثير من كتب المعجم والعرب ويونان وكان هناك كثير ممن يثابرون على استساخ المصنفات الثمينة . وروى ابن طي ، المؤرخ العربي ان عدد هؤلاء الكتب كان أكثر من ثلاثة ملايين ، وعلى رواية اخرى انها كانت مائة الف وصاحب هذه المكتبة ، القاضي ابو الحسن طاب ، كان انتولى على طرابلس ، وقد الف كثيراً من الكتب النفيسة . وكان يرسل المراسلات الى اقطار البلاد ، ويبدل الأثمان الباهظة ويجلب الكتب النادرة لهذه المكتبة . وما من مؤرخ عربي الا وكتب وبحث على الاسف عن ضياع تلك المكتبة الفظيع . اما متصلبو الكاثوليكين الذين كتبوا تاريخ الصليبيين ، لم نرهم يبحثون عن مكتبة طرابلس البتة ، ذلك ليستروا على الافرنج ذلك التجاوز الذي لا يمكن تلافيه » (\*)

وقد جاء في كتاب لغة التاريخ والجغرافية الذي نشره موسيو بويه — *Boulle* ان الصليبيين احرقوا تلك المكتبة الثمينة ؛ وذكر المستشرق الشهير رونه دوسوفى مقالاته التي كتبها برسه « انسيفلوبيدى الكبير *Grande Enciclopedie* » وبحث فيها عن احوال طرابلس الشام العمومية ، ان مستخلصى القدس من التصارى احرقوا تلك المكتبة العربية الطائفة الصيت .

انتقلت امارة طرابلس بعد الاسرة الطولوزية الى بوهوند السادس والسابع الذي قهره المسلمون في انطاكية وطرده منها . وحاصر هذه البلدة صلاح الدين الايوبي سنة (١٢٨٨م) ثم بيبرس سنة (١٢٦٦م) ، وتيسر للسلطان المنصور قلاوون فتحها وارجاعها الى الحكم الاسلامي (٢٦ نيسان سنة ١٢٨٩) ، ثم ضمت الى البلاد العثمانية في زمن السلطان سليم ياوز مع غيرها من بلاد الشام وبقيت مدة طويلة وهى صر كز ايلة :



[٤] بلدية طرابلس — قلنا في الصحيفة (٢٣٥) من كتابنا الذي نشر العام الماضي :  
[ وللاهلين الحق بأن يطالبوا بزيادة الهمة والعمل من البلدية التي تميل نحو رؤية  
الاعمال سواء كانت سيئة او قبيحة . وجدير بمدينة حيفا التي تزيد في كل عام لاقل من خمسين  
داراً بالحساب المتوسط ان ترى بلديتها اكثر مدنية ، واهور ثروة ، واعظم اهتماماً بوطئها  
بنسبة الامة الموقعية ] .

تنطبق هذه الآراء على بلدية طرابلس ايضاً ، بدرجة اشد واوسع . ان في طرابلس من  
الاسر التي ليست كلاس الحورانية والجليلية في البعد عن الوطنية ، بل هي تم تزل تمتد من  
خير بلادها منذ مات من السنين حتى تسنى لها الحصول على الثروة الطائلة ولهذا كانت  
طرابلس اغنى بلاد الولاية بلدية بعد بلدة بيروت . لان دخل البلدية في حيفا التي بعدها  
المستقبل بموقع تجاري خطير ؛ هي ٢٠٠٠٠٠٠ غرشاً . وفي قصبة نابلس ٢٠٠٠٠٠٠ ، وفي  
صيدا ١٥٩٧٠٠٠ غرشاً اما دخل بلدية طرابلس كان ٧٣٣٧٠٢٨٤ سنة ١٣٣٣ . فمنها  
١٥٠٠٠٠٠٠ من مكوس وسائط لقل ، و١٣٣٩٢٥٠ من دخل تمهيد الصرق الذي يسمى  
« شرمية » و٥٠٠٠٠٠٠ من الرسوم التي تقاضاها البلدية بنسبة الضرائب على بدل ، وبيجار  
الاولا . و١٠٦٠٠٠٠ من المكوس المختلفة فيها ٤٥٠٠٠ غرشاً من دخل بلدية المينا والباقي  
من المكوس وبدلات الايجار .

اما خرجها السنوي فهو يبلغ مقدار ٧٥٦٢٨٤ غرشاً يتفق منه ١٢٤٥٢٨ غرشاً  
على الزايب و٢٢٥٠٠٠٠ على الطرق العمومية و٩٦٠٠٠٠ على التنظيف والتنوير . ثم  
يتمتع منه على استشفيات واعانة الفقراء وتجهيز امواتهم وتكفينهم ، وعلى حديقة  
البلدة وغيرها من المقاتل المختلفة . وما عدا هذه النفقات تدفع بلدية طرابلس كل سنة مقدار  
١٥٢٢٥٦ غرشاً لاجل القيام بامور البلدية في قصبة المينا .

ونعم من هذا ان بلدية طرابلس هي قادرة على اتياء بالعمل اكثر من غيرها في القصبات  
الآخر . ان هذا الدخل الذي ينوف عن سبعة اضعاف من اقروش ، لو كان له رئيس مدوب  
ذكر ، عنده فكرة علمية وفتية ، لانتجح فيها اعمالاً في طريق اصلاح البلدة وتنسيق احوالها  
الصحية ، تقضي مليوناً من القروش . فاذا كانت الاعمال عن بصيرة وحزم ، لاجره يكون  
نجاحها محتملاً .

ان محلة التل في طرابلس هي اطرف واصف بقعة في . وبها منظر زاه جداً بما فيها  
المتينة ودار حكومتها وملاهيها ، ولا سيما بمحلتها الجديدة المطلة على فسحتها ورج ساداتها .  
وشارع البلدة لا يزال موقع الاستحسان وانتقدير باشجاده المعمر . اما داخل البلدة فهو في  
اشد الحاجة الى اصلاح والمبالغة في السعي . وان الصحة العامة تتطلب عظيم الاهتمام وعاجله



السلم تبلغ قيمة الطبخه ٣٤٠٠٠ — ٣٥٠٠٠ غرشاً . ويكون ربحها المتوسط مقدار ٥٠ — ٧٠ ليرة [\*] اما طبخة طرابلس ، فيزعم تجارها انها لا تبيع اكثر من (٢٠ — ٢٥) ليرة [\*\*] . وان ربع تلك الطبخات التي تبلغ في عددها مقدار (١٢٠٠) واحدة يخص آل الذوق . والربع الآخر لاسرة عدو ، والربع الثالث لاسرة عويضة ، ثم ينقسم الباقي بين من يشغل بتلك المهنة من التجار [\*\*\*] .

وهو أيضاً لا يرى اقبالاً على عمل الصابون المعطر ، كما هو الحال في نابلس . لو تسر التجار الطرابلسيون الذين يسوقون الصابون الى مصر ، والاناطول ، وديار العجم و مرق و بخصاوة ، عبر الارباع الجسيمة ، وجلبوا من اوربا آلات تمكنهم من اعمال صابون الزينة ، شكله الظريف ، لكانوا يربحون ضعف ربحهم اليوم .

[٧] — تجارة الحرير — ان صناعة الحرير هي من اهم منابع ثروة هذه البلدة وما زالت هذه المهنة مرفوقة في طرابلس ولبنان منذ لقدم . ويروى انه كان موجوداً في طرابلس قبل مجيء صليبيين قدار (٤٠٠٠) مصنفاً لتدريج الحرير . اما اليوم فقد هبط هذا العدد الى (٢٠٠) .

تسج هذه من الحرير المناطق الزرقاء الظرفية على تقليد اشال ، واقشة القمصان والخبرات الحريرية والمناديل والكلل (\*\*\*\*) وغيرها من التدريج الحريري . ومع ذلك فان مصنوعات الشام هي اطرف وامتن من هذه .

يحصل في لواء طرابلس الشام والقسم الشمالي من لبنان كل سنة مقدار (٣٠٠) رزمة من الحرير (٢٧٠٠٠٠) كيلو من الشرائق . وكانت هذه البضاعة ترسل مباشرة الى امم من . وقبل الحرب تسعين شرع تجار الحرير يبيع عشر حاصلهم الى معامل بيبا . ومع في فرسة رزمة الحرير الطرابلسي الذي هو قل ظرافة ومثانة من الحرير في مصر حتى بنى يتراوح بين (٤٥) و (٦٠) فرنك .

ترتفع اداقته من اشرائق يتراوح بين (١٨ — ٢٨) غرشاً . وتجارة الحرير في طرابلس هي في رت لاسر من يدوية والعددية . هذا وان اشتغل الطرابلسيون في استحصال الحرير . وهذه الصناعة ذات مادات لبنان وكادت تنحصر لهم . لان الفرنسيين الذين كانوا هذه الصناعة الى سورية ، اسسوا اكثر معاملهم في لبنان وعلموا اهلها

(\*) احد لقسم حوزي ص ١٢٠

(\*\*) لا يسي هذه لارهم خمس يوم السلم

(\*\*\*) يرفع ويقل كسبه ان مقدار الربح في طرابلس « ٢٠٠٠٠٠٠ » اقه ، ومقدار الصابون « ٤٠٠٠٠٠ » قصير في كل سنة .

(\*\*\*\*) سمكة وهي الستر الدقيق م

تلك المصنعة . وان الصناعة الخيرية في طرابلس اصبحت في الزمن الاخير بالتفهم والاهلك فاصبحت اليوم وهي على شفا الثلاثي . وحماية هذه الصناعة التي تخرج منها البلاد الارباح الوفيرة ، هي من الوظائف المحتمة على الحكومة اليوم .

[ ٨ ] — خط الترام بين طرابلس والمينا — من المعلوم ان بلدة طرابلس تبعد عن

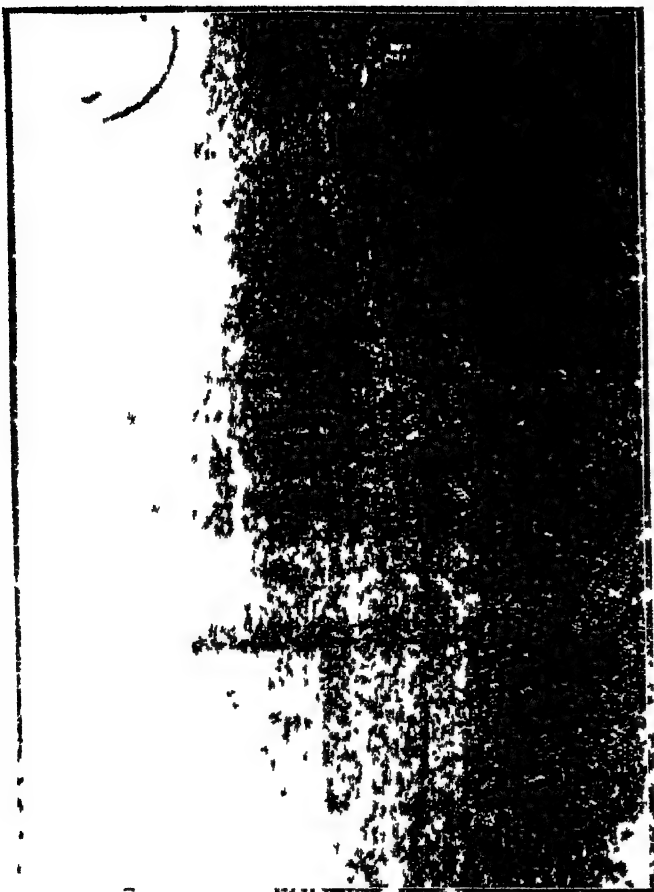
فرضتها مقدار ثلاثة كيلومترات وكثرة المناقلات بين هاتين القصبتين قضت بلزوم تهيئة الطريق بينهما ليسهل النقل وعليه اسس هذا الطريق منذ نيف واربعين سنة . ثم ان مدحت باشا الذي كان وال في الشام سنة ١٨٧٩ اراد ان يجعل نصيباً لطرابلس من آثاره العمرانية التي اوجدها في عدة انحاء من سورية . ورأى لما مر بطرابلس انشاء تجواله كثيرة الازدهار ، ووفرة المنقولات التجارية بين البلدة والمينا فشرع بضرورة تأسيس ترام عمل هاتين البلدتين . وعليه جمع اغنياء البلدة ، وجعلهم يؤسسون شركة لهذا المشروع رأس مالها عشرة آلاف ليرة . فاصدرت تلك الشركة التي ساه كل واحد بخمسة ليرات . ومنحتها الحكومة امتيازاً بلامدة . وان اغنياء الملمين الذين وافقوا مدحت باشا . اقترحه يومئذ لمجرد الاطاعة ، وكانوا على ريب من نجاح هذا المشروع ، ما لبثوا ان رأوا تلك المنافع العظيمة التي كانت لهم وبلدتها ، فشهدوا بالفضل لذلك المصلح المشهور وقل اشهار الحرب بمدة وجيزة كان يباع السهم من هذه الشركة بمبلغ ( ٣٧٠ ) دركماً . وكانت الشركة توزع على اعضائها كل سنة مقدار تسعة في المائة من التمتع . وقد حاسب مهماتها ولوازمها حينئذ التام . ليس من بلاد انكلترا . وبناءً على متانتها لم تزل تستعمل الى الآن .

نهض حضرة عزمي بك افندي والى الولاية العالي الذي هو تمثال العزم والهمة ، وعمل حينما كان متصرفاً في هذه البلدة قبل خمس سنين الى توسيع نطاق هذه الشركة وقلمها الى ترام كهربائي . ثم ابلغ اسهامها من ( ٢٠٠٠ ) الى ( ٣٠٠٠ ) سهماً . واطلى قيمة السهم من مائة فرنك الى مائتين .

منحت ولاية بيروت تلك الشركة امتياز الكهرباء . وما لبثت ان عهدت بالآلات الجرار الى معمل المانيا ودفعت نصف القيمة . ثم حمت تلك الآلات من مريب على الطراز الحديث والاصالة وقضبان الحديد على باخرة محصورة وسيرت من الميناء . ولكن ما كادت تصل تاك الباخرة الى الاسكندرية الا واشهر الحرب . فعصت سبب النقل البحري ، ولم يتيسر لطرابلس ان تظفر بشروعها الكهربائي . ام الاحوال في الشركة اليوم فهي على غير ما يرضى .



مستشفى عزمي بك في طرابلس الشام





فترون سكانها. يعيشون فيميشة الطير، اذ ذاقهم تجدد تجدد الايام. لا يشكرون بالفد مطلقاً ولو ربهم انذارهم يحبونكم بان الله كويم ويلوون اعناقهم، ويهزون اكتافهم كأنهم يريدون اطلاقكم على وجوب التوكل. ولهذا لا ترون في المحلات الاسلامية اثراً للعزم والنشاط. كلهم منفضون رؤوسهم في جيوبهم كأنهم يعدون دقائق حياتهم وان هذا الابلاء عظيم. لان عصرنا بعيد عن المعنويات. هذه الحرب العامة التي ضمت حومتها الى لم يأسره واخذ فيها كل يحرص على الظفر بتضحية الحياة، لم يحمل بطون التاريخ الى الان مثيلها. وما كانت هذه المذبحة الانسانية الا لتأمين الظفر الاقتصادي وهذا صوت القيصر الالماني يهتف بما قاله بعد نشوب الحرب ببضعة شهور، بتلك الصواعق الحقة :

— الويل، الويل لمن غلب !!

يريد بهاتين الكلمتين ان يطلع ابناء وطنه على هول الموقف في هذا الجدار الطاحن. تجولنا في انحاء الولاية العلاء الماضي، وهذا تجوالنا الثاني ايضاً. فابكنا ما رأينا في ابناء اوطاننا وجنسنا من الكسل واقطرت افئدتنا لما رأيناهم ساهين عن الوظائف التي رعى بها هذا العصر الكادح كاهل البشرية اليوم. صعب على قومنا ما اظهرناه في كتابنا الاول من التأثير الذي كان ناشئاً عن تلك الانطباعات المرة. وما كنا في تلك الكرة الا منذرين لهؤلاء الذين اخذتهم غفوة الجهل وموقفين. وما اردنا بتلك الصيحة الشديدة الا تمزيق غشا. العطالة وامسكنة، والصدع بتسريح ما حملنا اياه هذا العصر من الوظائف المفضلة الى الارض. انما لم ترق في عين بعض المستبدين، ولم يستحسنها بضعة من المتغلبين الذين لا يحضونهم من الحق والحقبة لانها كانت عامة تنصر الخفيف، وتأخذ بضبع القرويين الذين مضت حقوقهم وليس لهم من قوة ولا ناصر. دعمهم يفضون، يفضلون ما يشاؤون، فحين دستورنا « قل كذا وامش ». نعم حملنا على العادات السخيفة حملة شعواء، وطغى النسب في نحرها. ولكننا لم نضرب عن قيد المآثر الجالبة التي ثلجت لها افئدتنا وما زلنا نقرح به ونفتخر.

دار باباسيين مع انهم لم يخلصوا من تلك العطالة العقيمة، لم يهتم التجاسح في كثير من صحات احيات الاقتصاد في بلدهم بل ان تجارة الحرير واعمال الصابون واستخراج السفنج، وحتى ان الامانات المصرفية ايضاً هي عندهم على ما يوجب الفخر والمباهات من لولوا. ولا بأس ان تفصل نبذة من هذا الاجل :

[١١] — مصرف الزور وعبد الواحد — تأسس هذا المصرف سنة ١٨٩٣ برأس

مان. راره (١٠٠٠) ليرة فقط على شكل تسمية متضامة وقولا لكيف. ولم يكن يومئذ غير من المصارف في طرابلس. فبنى مؤسسور باصدق والامانة، ولم يطل عليهم الامد حتى



توسلوا في المعاملات المصرفية وحرصوا وكالة المصرف العثماني وقرره في ليوته بوقوشوار ناسيونال في سقوط دوياري ، ومصرف سلاتيك وغيرهم من المؤسسات المالية . وعهدت اليهم اللجنة المالية وإدارة الدخان وإدارة المزارع (ضاد) بنقل نفوذها أيضاً .

تدرج هذا المصرف بالانحسار حتى أصبح وهو يدملك المشاريع التي تبلغ اصعاف رأس ماله . فكانت معاملاته سنة ١٩٠٧ و١٩٠٨ تبلغ في كل شهر الى (٥٠) الف ليرة . وقد هبط هذا المقدار الى (٢٠) الف ليرة بعد ان أسس المصرف العثماني ومصرف سلاتيك في عيهما في طرابلس ، ولكن ما زال ذلك المصرف مثابراً على عمله بتلك الهمة العالية وخادماً لمؤسسيه والتجار الوطنية معا .

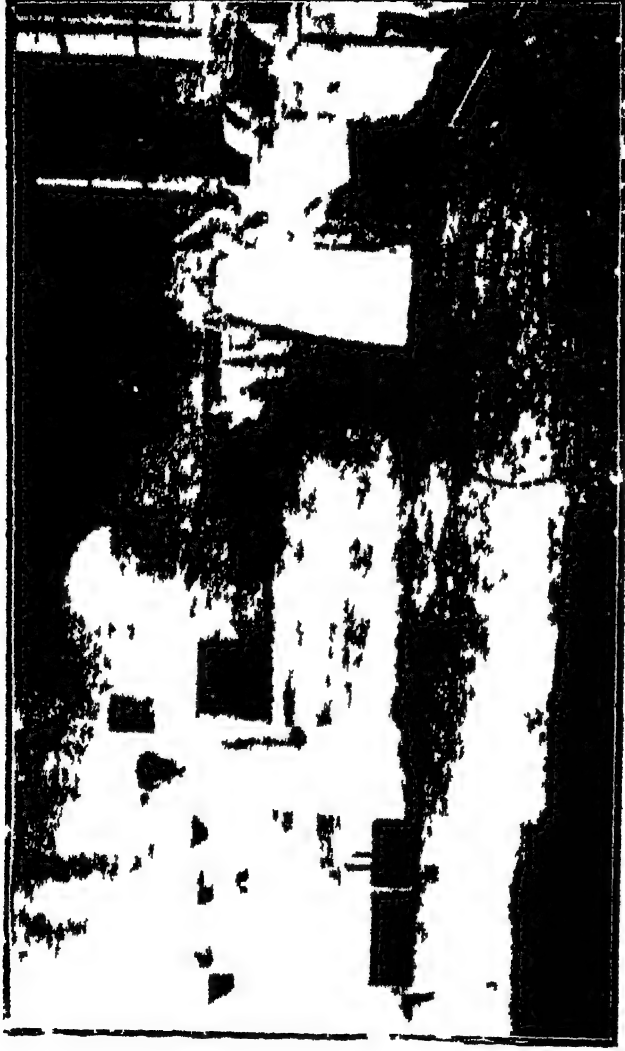
كان مقدار القطع «اسقونطو» الوسطى في هذا المصرف ثلاثة من المائة ، ومقدار المئتين في الاقراض تسعة منها . ويمكننا ان نقول ان ثلاثة ارباع ثروة الاسرتين ، الدوقية والواحدية ، منقولة كانت او غير منقولة هي من ارباح هذه المؤسسة المالية وديعها . وبما ان المصارف هي من المؤسسات الاعتمادية ، يجب فيها ان تكون محلاً للاعتماد بكل معنى الكلمة . والا فلا حياة للمصارف التي لا تكون حائزة على هذا الشرط . فالجدية والامانة والصدق هي بمثابة الروح لهاتيك المؤسسات . واقل شبهة توجب الشك ، او الاحلال بالقيام باليهود يقضي عليها فاعمال العاجل . ان مؤسسي هذا المصرف كانوا على بصيرة من هذه النقاط . وعليه لم ياتوا جهداً في القيام بوجائبهم حتى في ارج الظروف ولما استولى الارمنيون على المصرف العثماني في دار السعادة وذلك سنة ١٨٩٤ تنحى مصرف الذوق ودفع جميع ديون فرع المصرف العثماني في بيروت بظرف احد عشر يوماً رغم عن السحران الهائل الذي كان سائداً يومئذ لسبب تلك الحادثة . وهذه الهمة التي تكملها بالنجاح كانت سبباً لسمو مقام هذا المصرف في نظر التجار والاهالي ، ولا سيما المصرف العثماني فانه ما فتى منذ ذلك اليوم مجازاً باعتماده على هذا المصرف وامنيته له .

[١٢] — فصل الزناك — ان هذا العمل الذي اسسه الشاب رفيق افندي المتعال

للتزيد والتجارة . فيه آلة تتحرك بالكابوقوة عشرين حصاناً تتألف من محرك ، وعشرون آلة سير . وقد جلبت هذه الآلات من اشهر المعامل الأوروبية وهي صالحة لعمل كل ما يلزم ابيوت من الاثاث والفرش على اتقن وامتن طرار . ولهدا العمل دوائر اخرى تشتت صنع الكراسي وصناديق الليون . أسس هذا العمل سنة ١٩١٠ برأس مال قدره (٢٠٠) الف غرش . ثم ضوئف هذا المبلغ وكان (٤٠٠) الف ووسع نطاق المشروع . ولكن لم يلبث ان اوقف عمله في اول سنة اشهر فيها الحرب .

كان يوجد في هذا العمل اكثر من ستين عاملاً تتراوح اجوراتهم اليومية بين الخمسة

امهرى غروف المرضى فى مستشفى عزمى بك





مصريين من اللبنانيين والبيروتيين .  
بدأ صاحب المعمل ببيع مصنوطه في بلدان الجبل واليه . ثم توفق لسوقها الى اللاذقية  
قبل الحرب بسنة وحصل بذلك على ارباح لا بأس بها . ثم شرع بتأسيس فروع في حمص  
وبوشر بالمعمل فيه . ثم ترك لما وقف المركز عن المعمل .  
وقد خدم هذا المعمل خدمة كبيرة في بلدة طرابلس لان جميع صناديق الليجونات كانت  
تصنع فيه ، والاثاث الليبية هناك ايضاً كانت تصنع فيه على احدث الطراز ، وبصفة اقيمت  
بالنسبة الى مصنوعات البلاد الاجنبية . وهذا دخل الذوق العلم في قرش اليوت في طرابلس ،  
ثم سري هذا الانتظام الى المخازن ايضاً فكانت منه على حظ عظيم . فالقروشات وخزانات  
البللور الموجودة في اعظم المخازن كانت من مصنوعات هذا المعمل . وخدم هذا المعمل لرواج الصناعة  
لانه اتقى كثيراً من العمال الذين كانوا محرومين من كل مهنة ، وعلمهم هذه الصناعة الى تكفل  
لهم الحصول على اسباب المعيشة ، وتخلصهم من البطالة والفقر . فيجب علينا جميعاً ان نحذ  
على هكذا مشاريع صناعية . ويجب ايضاً ان نقبل على هذه المؤسسات ونقرش الدوائر  
والايباء الرسمية من مصنوطتها . لان الوطن لا يرقى الا بقيام ابنائه في هكذا مشاريع  
وتتمتعهم بالرجح الوافر .

\*\*\*

يوجد في طرابلس ما عدا هذا المعمل معمل آخر للاثاث وآخر للثلج وواحد لصنع  
الكازوز . فنها الاول يتألف من محرك بقوة اثني عشر حصاناً ، ومن ثماني آلات مختلفة .  
وقد اسسه الشيخ محمد افندي الشهاب سنة ١٩١٠ ، وكان رأس ماله في بادئ امره ٤٠٠٠٠  
غرش ثم ما لبث ان صار (١٠٠) الف . وان محمد افندي صاحب هذا المعمل لا يزال  
معروفاً باتقان صنعة الآلات والادوات الدقيقة وقد صنع بيده بعض آلات قسيده لزرية  
دود القز ، ومنح بالوسام الذهبي لاجل تلك المهارة . وله اليد الطولى بعمل الاشكال المتعددة  
من الصابون ، وصنع الآلات الدقيقة التي يحتاج لها المعمل . وما زال معمله مشابراً  
على العمل الى بعد اشهار الحرب بسنة ثم اضطرته الاساليب الاقتصادية على توقيف  
العمل .

اما معمل الثلج والكازوز فقد اسسها رجل لبناني يدعى راجي افندي دانيه ، سنة  
(١٩٠١) ولم يزل الى المعمل الى اعلان النفي العام . ثم ابتاعها من رقيق افندي صاحب معمل  
الاثاث . وكان هذا المعمل يتألف من محرك ابتاعته الادارة العسكرية قوة اثني عشر حصاناً

ومن آتين لصل التلج والكاوز وكل آلاته كانت كاملة. وهي على حالها، وأحدث نسق، وكان يصنع كل يوم مقدار أربعة آلاف كيلو من التلج، وبناءً على فقدان الآتونياي (الناشادر) والكاوز أصبح اليوم معطلاً عن العمل.

#### ٤ — الاحوال الاجتماعية في طرابلس

[١] — طبقات الأهالي، ونسب المعيشة — يمكن ارجاع الطرابلسيين الذين يبلغ عددهم ثلاثين ألفاً؛ الى ثلاثة اقسام من الوجهة الدينية، الاسلام والنصارى واليهود. وبما ان اليهود لا يتجاوزون السبعين في عددهم، فلا يكون لهم موقع في ذلك المجموع الضخم، والنصريون المعدادون في القيود الرسمية من المسلمين لا يتجاوزون المئتين في عددهم. ولهذا لا نجد لزوماً لاعتبارهم قسماً منفرداً.

وعليه فنظر في تدقيق الطرابلسيين الى ان نرجعهم الى قسمين كبيرين، المسلمين السنيين والنصارى الذين يتألفون من مختلف الطوائف.

ان المسلمين في طرابلس، كما مر علينا في جدول النفوس هم أربعة امثال نصارى في العدد او بالأوضح؛ ان أربعة اخماس الطرابلسيين مسلمون، وخمسم نصارى.

ويمكننا تقسيم المسلمين الذين يتجاوزون في عددهم عشرين ألفاً الى ثلاث طبقات مسماة؛ ولقد يمكن تقسيمهم باعتبار الغنى الى اغنياء وتوسطين وفقراء، الى ان الاوصاف الاساسية الظاهرة المستتنة تسوغ لنا مع قليل من التسامح لان قسمهم الى تجار، وزراة، وصناع.

فالاغنياء الذين تتألف منهم الطبقة الاولى او قسم التجار، وان كان لاسرهم عوان لم تزل تتوارثه منذ احقاب وقرون ونسب طوق بهالة من الاصالاة والشرف، بيد انهم ليسوا على تصلب في المؤود كتصلب سكان البلاد المتحدة عن اقصى عمران بما اتى اليهم من الرياسة التي مزجت بالظلم والجور. ولا بد لنا من البحث عن هذه النقاط وايضاها مع بيان مؤثراتها.

نعم يوجد في طرابلس بضع عشرة من الاسر العريقة في القدم، والمعروفة بالثراء الحقيقي. ويمكن اصال سلسلة النسب في اقدم هذه الاسر الى خمسة او ستة قرون — كما يزعمون —. ويوجد منهم مقدار اسرتين او ثلاث. ثم توجد ثلاث او اربع اسر من اللاتي اربت سنهم على ثلاثة او اربعة قرون. ثم ياتى بعد هؤلاء من يرجع بنسبه الى قرنين، ثم الى قرن واحد وبعدهم من لم يتجاوز عمر اصالتهم خمسين او ستين عاماً ويوجد بينهم بضعة اشخاص ممن لم تعرف لهم ذكرى الاصالاة في الماضي، ولكنهم سمعوا

طرابلس الشام  
٢٢٥  
بأنفسهم وحصلوا على الثروة الطائلة في هذه الأيام ، وها هم مرشحون اسماهم ليصبحون  
لاخلافهم عنوان اصالة وشرف .

من هؤلاء المبرزين الذين بلغوا عددهم الى خمسة عشر ، من تتراوح ثروته بين ( ١٠٠ )  
و ( ٢٠٠ ) الف ليرة ، ومنهم من لا يتجاوز ثروته بضعة آلاف من الليرات وعلى هذا يمكننا ان  
نقدر ثروة اغنياء طرابلس بضع مائة الف من الليرات .

ثم ان الاموال غير المنقولة التي يملكها منتسبو هذه الطبقة ليست بقليلة . فزيم من  
تقدر املاكه بمائة الف ليرة ، واقلهم ملكاً لا تنقص املاكه عن قيمة بضعة آلاف من  
الليرات . وان مجموع قيمة هذه الاملاك هو لا جرم اعظم بكثير من مجموع لثروة  
التقديية .

وقصارى القول ان من الاسر الغنية في طرابلس من يكون دخلهم السنوى بمقدار  
عشرين الف ليرة ، ومنهم من له مبلغ الف او الفين .

ثم ان جميع هذه الاسر الغنية تشتغل بالتجارة والزراعة ، ولاسيما بالفنائس . لذلك يمكن  
ان نسميهم تجارا بالمعنى العمومى . لان الارباح التي تحصل من الصابون والزيوت والحرير  
والغمر والحبوب وامثالها من المواضيع التجارية هي اعظم بكثير من ارباح الزراعة . دخل  
الاراضى . حتى انه يوجد في طرابلس من اسس مصرفاً ، واخذ يصعد به الارباح  
الجسيمة .

ان هذه الثروة التي حصل عليها اغنياء طرابلس ، لم تكن ناتجة — كما يفهم مما اجملنا  
في هذا البحث — الا عن المساعي البالة التي اشغلت السنين الوفيرة . وليس من دليل  
يدل على انهم طفوا وبنوا على مساكين الفقرا ، وهضموا حقوقهم كدأب بعض الظالمين  
الذين تغالوا بالاعتساف والعتو ، ومثلوا ادوار القرون الوسطى حيث شيدوا بنيان عزهم  
وشرفهم على رفات المظلومين وبساتيمهم . هذا وان شفت الرواية عن اندمغ عنصر الحرام  
في رشم تلك الثروة ، وذلك بالتهام الاوقاف الطرابلسية التي دهب ايدى سبا ، فلا نكران  
لما كان من المساعي البالغة لتوسيعها وتزويد مقدارها اضعافاً مضاعفة .

ان طرابلس بموقعها الطبيعي والجغرافى ، هي بلدة خلقت للتجارة . ولذلك فقد سلك  
اكثر اسرها هذا السيل . واذا ان التجارة هي اسهل من الزراعة ، يسون اصطفاة  
الطرابلسيين لها امراً طبعياً ايضاً .

وبما ان اكثر المتنفذين في بلادنا يكونون من ارباب الارضى ، ومنسوت الزراعة . فلما  
تخلق في طرابلس هكذا طبقة بالدية الى البلاد الداخلية . لاسيما وان طرابلس بلدة ساحلية  
تختلط جميع طبقاتها ببعض ، ويخدم هذا الاختلاط لتنوير الافكار اكثر مما عليها البلاد  
الداخلية . وبه لم نكد نجد فيها اولئك الماسلطين النافذين .

وهناك بعض اسباب اخر تصد ارباب الاراضى والزراعة في طرابلس عن التسلط والاستبداد ، فمنها شدة الطبع التى فطر عليها اهالى الملحقات ولاسيما زراعتهم . ثم وجود من يقتدر على التسلط والتفوذ فى الملحقات اكثر من الطرابلسيين ، واننا سنين رأينا فى هؤلاء الزمر اثناء البحث عن قضاء عكار وحسن الاكراد .<sup>١</sup>

وقصارى القول ان هذه الطبقة الاولى تختار الحياة الهادئة ، والعيشة الساكنة فى المنازل الفخمة البديعة ، وتبتعد عن كل ضجة وجلبة . وان لأكثرهم الرياض الغناء والحدائق اللطيفة فى جوار البلدة يمتصون فيها سويحات اللهو والطرب . فيذهبون اليها حينما يشأون ويحصلون منها على بعض حاجاتهم البيتية ايضاً . وعليه فان علاقتهم بالتراب لا تزيد عن هذه الدرجة .

ان أكثر الاغنياء الطرابلسيين اقاموا لانفسهم القصور المشمخرة ، او المنازل الظرفية ، المشيدة على احدث نسق فى الطف البقاع من البلدة او المينا . ومنهم من لا يزال مقيماً فى القسم القديم من البلدة ، لا تؤله تلك البيوت الشامية بطقتها المعقدة . وبغفونتها المزججة ، وبخلوها عن الهواء النقي .

وعلى الاجمال ان طرابلس بسبب وجودها فى الساحل ، وقربها من بيروت ، وكثرة الاختلاط ، لم تكد حياة اسرها الكبيرة تخلو من تحول محسوس — ولو كن قشرياً — وتجدد منظور . ويشاهد هذا التجدد فى مبانيهم وفى ترتيب داخل بيوتهم ، وفى لباس رجالهم ونسائهم . هذا وان يكن ليس لاكثر هؤلاء الاغنياء شئ من الانتباه الفكرى الذى يستد على العلم ، ولم يتمكن نور لعلم من اثارة طائفة نسائهم ؛ فلا ينكر على اوائلك العريقين ميلهم فى المظاهر الى التجدد ، وبعضاً نجاحهم فى الوصول اليه .

ومن جهة اخرى — كما سنفصل بعد — وان لم يكن الشبان الذين تخرجوا فى المارس وكونوا الحزب المتور فى تلك البلدة ؛ من منسوب الطبقة الاولى — ما عدا بضعة اشخاص — فهذا لا يسوغ ان يكون دليلاً على رغبة الاغنياء عن تعليم اولادهم وتنوير افكارهم ، يمكننا التسليم بانهم مبالون الى الجدد والتعلم . ونضطر الى الاعتراف بوجود الامساك والاقتصاد التجارى فى كمية ذلك الميل . ولا جرم لو شاء اركان هذه الطبقة ، لكان لهم النجاح الاعلى فى العيش المرتب والحياة العمومية الداخلية ، ولم يلبثوا ان يقبضوا على محور العلم والمعرفان وينالوا الحياة المدنية الحقيقية ، كما بسطوا ايديهم الى محور التجارة منذ نصف قرن ، واستطاعوا الاستحواذ عليه بالجد والاهتمام . ولكن مع الاسف ان ذاك التور الذى ما زال يحوم فى آفاق طرابلس . ويرفر على سنام قصورها . لم يستطع بعد ان يلج هاتيك القصور ، او ينفذ الى تلك الادمغة . وانما لنزحو حصول هذه الامنية فى القريب العاجل .

اما الطبقة الثانية : ويمكن ان نسميها « المتوسطة » او مع قليل من الاغضاء — كما بنا سابقاً — نطلق عليها « طبقة الزراعة » .

نعم ان منسوبي هذه الطبقة هم الاوساط بالمعنى الحقيقي . ودخلهم السنوي اقله مائة ليرة ، واعظمه خمس او ستمائة ليرة ، وهم السواد الاعظم في هذه البلدة . وان لهذا الدخل مصادر مختلفة ، فمنهم من يشتغل بطبخ يسير من الصابون وبيعه . ومنهم من يتاجر في الحب او الحرير وغيره ، ومنهم من له مخزن يبيع فيه الاقشة ، ثم الذين يشتغلون في بساتين الليمون ، او بالاحرى في الزراعة . وكلهم من المتوسطين . ولا يفهم من تبشير المتوسط في طرابلس ، الا هؤلاء الزراعة ، اصحاب البساتين وتجار الليمون .

وهذا يدلنا على ان الطبقة المتوسطة تفرق عن الطبقة الاولى بان عنوان اسرها اقل شهرة ، وهي اقل مالاً ، ومشاغليها التجارية متنوعة ومختلفة بصورة تستلزم السعي الشخصي . ولا جرم ان هذه الطبقة احط من الطبقة الاولى بمنازلها وكسوتها ، وينسق معيشتها . واكثرهم يلبس في رأسه طربوشاً قصيراً ويتعمم بعمامة بيضاء خالصة او منقوشة بالحرير . ولهم سراويل من الجوخ الرصاصي ، فوقه صدار من قاش ثم جبة من جوخ .

ومن العجب ان هذه الزمر المسرولة المتعممة ، هي ادنى واحط من ارباب الطبقة الاولى في لعلم والمعرفة ، ولكن الشبان الطرابلسيين المتخرجين في المدارس ، وارباب الفكرة العلمية هم من اولاد هذه الطبقة . ولا جرم ان هذه الحركة العامة في الناس ، وميلهم الى العلم هي جديرة بالاستحسان .

اما الطبقة الدنيا التي تتألف من الصناع والعمال ، فهي صنف الفقراء . وهؤلاء يشتغلون في الوتية وصيا السمك والحمل ، او يكونون عمالاً في الانشآت ، او اعداد البساتين ، او يشتغلون ببيع البقول او غيرها من الاعمال التافهة التي يحصلون منها على اقواتهم اليومية بشق الانفس . ويباغ عددهم الى قريب من ثلاثة آلاف .

وهؤلاء يسكنون في اسوأ المحلات الطرابلسية . ويكونون في حالة السعي الدائم ليتيسر لهم تأمين لعيش . ويلبسون في رؤسهم قبعات من صوف طويلة ترابية اللون ، وسراويل باليات تم السراويل ، وفي ارجلهم العرا حذاء ممزق . اما نساؤهم فانهن في الحد الأقصى من سوء الحال والمذلة .

ومع هذا فان الفقير لا يعدم هناك تأمين معاشه ببذل بدل يسير ، لان البلدة ذات



فيض عليم وخير وافر . ولا بد ان يجد كل واحد منهم شغلاً يشتغل فيه ، ولهذا لا نرى منهم احداً يسقط في الدل والمهانة مهما كان فقيراً ، وان الحرب التي حطمت بصوتها البلاد في هذه السنين الاخيرة لم تدمهم لا بقليل من ويلها .  
أذا اردنا ان نجمل ما فصلنا الى الآن نقول ان في حياة طرابلس الاجتماعية لطبقات المسلمين ، بعض آثار تظمن القلب ، وتعد اولئك السكان الذين اكثرهم من المتوسطين ، بات ينطوى على آمال عالية مفيدة .

\*

بعد ان بينا رأينا في الطاقة الاسلامية في طرابلس ، نرى من الواجب نقل البحث الى الطاقة المسيحية . ان ثلثي المسيحيين الذين هم خمس السكان في طرابلس ، هم من الروم الاورثودوكس . اما الثلث الآخر فهو من المارونيين والكاثوليك واللاتين والبروتستانت . ويزعم بعض افراد الطبقة المتورة منهم ان تاريخ الطاقة النصرانية في طرابلس قديم جداً . ويروى عن بعض الاسر النصرانية المعروفة انها من احفاد القسائين . ومع ذلك فار في طرابلس من النصارى الذين جاؤا من الخارج وتوطنوا فيها ، ثم توحد بينهم جالية اليونانيين الذين اختاروا الامة فيها ، وكاد ان يكونون من الوطنيين .

يقاس بعض الباحثين الحالة الاجتماعية والتجارية في نصارى طرابلس قبل خمسين سنة بحالهم اليوم وزعموا انهم اصبوا من انحطاط محسوس . ويفضون بتعليل هذا الانحطاط وتشريح اسببه :

كانت التجارة قبل نصف قرن في ايدي النصارى . وكانت ثروتهم في ذلك الزمن بالغة جداً . اما المسلمون فكانوا ارباب حقول ومستغلات . ولم يكن لديهم شيء من الفساد . ثم شرعوا باستقراض النقود من النصارى واخذوا يتعاطون التجارة . وما لبث اغنياء النصارى ان اهلوا اتحدرة مسندس على ثروتهم التقدية الطائلة وربحها الوافر ، وامنعوا في اقراض النقود ائضى ما حش ، - نعمسوا في مسائل الصرافة ، حتى غشيم البحران لمالى سنة ١٨٧٢ ودام ح - سنين ؛ ثم انضمت عليه اسباب أخر حتى خسر المسيحيون اموالهم ولم يبق لديهم طول لاهوض من هذه العثرة . وكان عددهم ملبساً ، وفادر بعضهم طرابلس مهاجراً الى مصر وهذا حلى الجو للمسلمين وخلصت لهم امور التجارة فانفردوا فيها ، ومن ثم كانت ثروتهم ولم تنزل .

والان لا يزال بعض الاسر المسيحية من الطرابلسيين في مصر يتعاطون التجارة ، ولديهم من الثروة ما يفيض عن ضعف مائة الف من المرات . وان ما يرى اليوم من الثروة في ابدى الاسر المسيحية في طرابلس هو من الثروة التي تكتسب في الخارج وتدخل الى طرابلس . والا فان داء صرافة الاسكندرية قد امد ثروته نصارى طرابلس منذ مد بعيد .

يمكننا هنا ان ندقق ما تملكه المسلمون والمسيحيون في خزانة الكس من الاموال المنقولة وتغير المنقولة وتؤسست منهنما اجمالا او بالاجدر تدعى بينهما قياتا . اذا كان مقدار القوة التقديرية مليوناً من الليرات على التخمين فان عشرها هي مائة الف ليرة منها في ايدي المسيحيين . على اننا لو نظرنا الى مقدار النفوس لزأبنا من الواجب ان تكون تلك القوة ضعف ما هي عليه . ولهذا السبب فلم ان المسيحيين على تآخر .

اما الاموال غير المنقولة يجب ان تقسم الى ثلاثة اقسام : القسم الاول ويتوزن طراس ، و لثاني البساتين ، والثالث العقارات والمسقات . اذا قدرنا قيمة الزيتون في طرابلس بثلاثماية الف ليرة ، يكون لهنها مقدار ثلاثين الف ليرة ، اي عشرها في ايدي المسيحيين . وهذا قليل ايضا . اما قيمة البساتين فانها تقدر باكثر من نصف مليون ليرة . وحظ المسيحيين منها مقدار عشرة آلاف ليرة فقط . وعليه تكون نسبتهم الى المسلمين واحداً من ستين . ولا حاجة للاشارة على قلة هذا العدد . اما العقارات والمسقات ، فان قيمتها بالنظر الى القيود الرئيسية ، هي ثمان مئليون من الليرات ، ولكن حقيقتها تربو على مليون ونصف . والذي في حوزة النصارى منها يقرب من الخمس ، اي مقدار مائتين ، او مائتين وخمسين الف ليرة . وهذا يدلنا على وجود التوازن في هذا القسم من الاموال بين المسلمين والنصارى .

وبعد هذا الاجمال في الحالة المالية بين المسلمين والنصارى ننتقل الى طبقات النصارى وحالتهم الاجتماعية . نستطيع تقريقر النصارى ايضا الى ثلاث طبقات ، كالكثليين ، الاغنياء ، والمتوسطين والفقراء .

ان اغنياء النصارى عبارة عن ثلاث او اربع اسر . وقدر ثروة كل منها بخمسين او ستين الف ليرة . اما حياتهم الاجتماعية والعائلية هي ارق بكثير من حياة امثالهم ، حتى من فوقهم بالنقى من المسلمين . وربما يكون اطلاعهم على اللسان الاجبية هو الذي قربهم الى المدينة ، وربطهم بها .

اما موقعهم الاجتماعي فانه مكن وسعيد لان الرجال والنساء من منسوى هذه الطبقة كل له نصيب من نور العلم والمعرفة .

اما الطبقة المتوسطة المسيحية ، فيكاد يدخل فيها جميع المسيحيين هناك . وهم يدأبون لتأمن معاشهم بشاطى التجارة او معائنات الحرف وغيرها من وسائل المعيشة . وهؤلاء ايضا يرجحون على غيرهم من المتوسطين ، ان لم يكن بالعلم فباتظام العيش .

وكسوتهم مبالاة لان تكون ضريبة الشكل ، على ان الفرائض الشرقية ما زالت مستأصلة في طباعهم . وما كان نساؤهم يدخلن الاسواق الا باذن يسمونها الجبرات ، حتى العهد القريب . والان ايضاً يعثر على بقية هذه العادة . وهم مريوطون رجال دينهم ومعايدهم ربطاً وثيقاً .

ويمكننا ان نصف طبقة الفقراء منهم بهذه الاوصاف العمومية التي لا يشذ عنها نصراني . على ان طبقة الفقراء بين النصارى محدودة . وفقراؤها قليلون جداً . وهم عبارة عن بضعة اشخاص من المارونيين وما زاثراً يتدرجون في الناقص . وفهم مما شرحنا ان نصارى طرابلس ايضاً ليسوا على شئ من آلام الحياة والمعيشة . فعملهم ان لا يكونوا في رهب من الآتي .

[٢] — **الارقام الاجتماعية** — نريد ان نثبت ما عثرنا عليه من الارقام الاجتماعية قبل ان نختم كلامنا في البحث عن احوال طرابلس الاجتماعية والعمومية . يجب في هكذا ارقام ، يستند عليها في القياس وابداء الرأي ، ان تكون ذات قيمة علمية ، او بالوضح ؛ ان تكون محرزة بالوسائط الكاملة والصحيحة المستندة على المعلومات الصادقة وتختلف الازمنة لتكون اساساً للمقاييس الاجتماعية . ونسأ نرى جميع ما عثرنا عليه من هذه الارقام لا يخلو من ان ينقصه شرط او شرطان ، او كثير من هذه الشروط المحتمة . ما جال في خاطرننا الى الآن احصاء الحوادث الاجتماعية بالارقام . وما اثبتنا هذه الارقام — مع اعتقادنا بعدم صحتها — الا لسببين :

الاول — اطلاع القراء على بعض الارقام الاجتماعية ، ولو كانت ناقصة

الثاني — ايجاد جريان احصائي يكون وسيلة لدفع هذا النقص في المستقبل ، وتمهيد السبل له . وبهذين الساهين الذين يتناول احدهما المبدأ ، والثاني الغاية ، آثرنا ان نثبت هذه الارقام التي هي جزؤ من الاحصائيات الاجتماعية . على علائها :

[ القتل والقانون ] — رأينا في جدول حصلنا عليه ان قد حدث في طرابلس وتوابعها من هذا الجرائم (٢٢) ، سنة (٣٣٠) و (٩) ، سنة (٣٣١) و (٢٦) ، سنة (٣٣٢) . وان سقوط عدد هذه الجرائم من (٢٢) الى (٩) سنة (٣٣١) يمكن ان يفسر بالارتباك الحائلي الذي حصل فورياً بسبب اعلان التفرير العام . ورجوع هذا العدد الى نسبته القديمة سنة (٣٣٢) يؤيد رأينا .

لم يمكن ايضاح اسباب حدوث هذه الجرائم . ولكن كان بالنظر لمجموعها في السنين الثلاث ، وهو (٥٧) حادثة ؛ منها (٢٦) ناشئة عن المداوة و (٣١) عن اسباب متنوعة . ونرى ان هذين المدين مخوفين بالابهام ، والبهكم .

اما شخصية القاتلين فيمكن تعيينها: ان (١٧) من (٥٧) في السنين الثلاث كانوا من العزاب و (٣٦) من المتأهلين و (٤) من الارامل . ثم من جهة المهنة : منهم (٤٢) من الزراع و (٧) من العمال و (٨) من ادباب الحرف ثم الذين يحسبون بالمقوماته والكتابة بينهم (١٠) والاميون (٤٧) .

( الجنائيات والجرح ) — حدث في لواء طرابلس سنة (٣٣٠) ، (١٤٤) وستة (٣٣١) (١٦٠) وسنة (٣٣٢) ؛ (١٦٦) جناية . ونرى ان هذه الجرائم محافظة على نسبتها ، وهذا يدلنا على ان الجنائيات تقع في هذا اللواء في كل يومين مرة .

اما الجرح — فعددها (٨٣) سنة (٣٣٠) و (٩٢٠) سنة (٣٣١) و (٩٣٧) سنة ٣٣٣ وازدياد العدد على تداول السنين يجب حمله على كثرة السرقات بسبب ضنك العيش . وعلى هذا الحساب يكون عدد هذه الجرائم في طرابلس كل يوم (٢-٣) . واذا نسبنا هذا العدد الى مجموع السكان نجد ان كل واحد من ثلاثين تصيبه جنة في السنة .

[ النظم والطموح ] — ان المسلمين في مركز طرابلس الذين تزوجوا بعد استحصال الاذن من المحكمة الشرعية وفقا للقانون كان عددهم سنة «٣٢٨» ، «٨٤» ، وسنة «٣٢٩» ، «١٠٢» ، وسنة «٣٣٠» ، «٢٩» ، وسنة «٣٣١» ، «١٧» ، وسنة «٣٣٢» ، «١٢» . ونرى من هذه الارقام ان الزواج في السنين الثلاث الاخيرة ، انخفض الى عشر ما كان عليه من قبل . ولا جرم ان هذا التخفض ناشى عن وجود الشبان في الخدمة العسكرية . اما الطلاق ، فقد حدث منه «١٩» حادثة في سنة «٣٣٢» ، ولم يمكن الاطلاق على حادات السنين الاخرى ، ولذلك لانجد مجالا للتكلم عنه .

[ السجناء ] — يوجد في طرابلس «٢٦٠» سجيناً و «١٠» من النسوة السجنى . ثم لم يمكن الاطلاع على عدد السجناء في السنين الاخرى . وهؤلاء السجناء يكثرون في السجن ، ويأخذون نصيبهم من البطالة والكسل .

[ المتأهلون والعزاب ] — لم نستطع ان نطلع على كمية المتأهلين ، ولا العزاب . ولكن يزعم ان «٤٠» في المائة من الذين يتراوح سنهم بين «١٥» و «٢٥» ، هم متأهلون و «٦٠» في المائة منهم عزاب .

[ العائلات ] — - يظن ان سكان طرابلس تتألف من «٥٠٠٠» عائلة ، وربع هذه العائلات تتألف من سبعة اشخاص واكثر ، وافراد الباقي اقل من هذا العدد .

[ ما يتعلق بالمرات ] — وجد بين اللدات التي حصلت في ظرف خمسة سنين «١٣» ، توأماً من الذكور و «٥» من الاناث .

اما محمد الداتج المحمدي (البلدين) فهو ١٢٠٠ م من الزكريه و١٢٠٥ م من الايات انشاء  
خمس سنه

[ ما يتعلق بالنفوس ] لم يمكن الاطلاع على عبيد التجار والزراعي والعمال  
وغيرهم من العنوف الاجتماعية بين سكان طرابلس ، ولكن يزعم ان عدد ارباب الاملاك  
هو ٢٥٨٠ ، وبهذا يكون عشر السكان من ارباب الاملاك .

[ زور العاشر ] - يوجد في طرابلس من الصم والبكم ، عشرة من كل صنف

[ اشباع الطرائق ] - يروي عن وثوق ان في طرابلس ثلث من اشباع الطرائق  
المختلفة . فاتباع الطريقة « الحلوتية » [ ٤٠٠٠ - ٥٠٠٠ ] شخصاً ، واتباع الطريقة  
القاذبة مثلهم واتباع الرفاعية ١٠٠٠ ، والشاذلية ٣٠ - ٤٠ ، والتقشيدية ١٠ - ١٥ ،  
شخصاً . فاذا سلمنا بصدق هذا الحساب ، يكون جميع الرجال في طرابلس منتسبين  
الى الطرائق .

[ ٣ ] - العادات الاجتماعية - ان لكل من الطائفتين ، الاسلامية والنصرانية في طرابلس  
عوائد ، وتقاليد اجتماعية تختص بها ، وهي منفصلة عن بعضها . وان هذه العادات  
والتقاليد في الفريقين متباعدة عن غيرهم ؛ مثلاً ان طرز المعاشرة ، وغيرها من المناهج  
الاجتماعية عندهم ، هي على عين ما هو معروف عند اسلام بيروت ، ونصارى القسم الشمالي  
من جبل لبنان المجاور لطرابلس ، او هي قريبة منها . وان المناهج الاجتماعية في مسلمي  
سورية تنقسم الى ثلاثة اقسام ، الاول يختص بسكان السواحل والمدن ، والثاني بسكان  
الداخل والقرى ، والثالث بالمشائر . ولهذا السبب فان العادات ، والتقاليد الموجودة في  
بيروت وصيدا مثلاً . توجد مع يسير من الفرق في طرابلس واللاذقية ، وحتى في الشام  
ايضاً . وفي القرى الداخلية ايضاً يسود عين الدستور ، فترون العادات الموجودة في احدها  
متفشية في سائر القرى بفرق يسير بصورة تحصل من هذه المبالغة وحده يمكننا ان نسميها  
« الحلال القروية » .

على اننا نجد العادات الاسلامية في سورية مدنية كانت او قروية كلها تستمد اساساً من  
الشام ، تلك البلدة القديمة التي هي ام عوائد هذه البلدان . فاذا شئنا استقصاء العوائد  
الاجتماعية في سورية لانجد لها مصدراً اساسياً الا الشام . اما البلاد الاخر فتكون بمثابة  
الفروع الكبيرة والصغيرة . وحتى ان عوائد القرى والقرويين كلها ملهمة من هذا المركز  
الحافل . واما الفروق التي يكثر عليها هناك في هذا الخصوص هي من تأثير تقاليد المشائر  
البدوية وعوائدهم لان عوائد تلك المشائر هي على بون شاسع عن العوائد العريقة في المدينة .  
وخلاصة القول ان بين البلدين المدنيين ، وعشائر البدو من سكان سورية فروق اساسية

بالنظر الى العوائد الاجتماعية اما عادات القرويين فهي قائمة بين هاتين الطائفتين وهي  
إحدى الفاصل بينهما ولهذا يكون لها نصيب من كلتي الجهتين .

لهذا السبب يجب حين البحث عن العادات الاسلامية في طرابلس الشام ان نلتفت الى  
عادات الشام ، او على الاقل بيروت ؛ وننظر الى عادات بيروت ايضا ، ولا سيما لبنان  
في البحث عن عادات التصاري وتقاليدهم الاجتماعية . واننا الآن نرجى التكلم عن هذه  
التقاط الى بحثنا عن عوائد بيروت الاجتماعية . ونكتفي الآن بقيد النقاط الخصوصية التي  
عثرنا عليها في طرابلس .

\*

لا اثر في طرابلس للاشكال بخصوص انتقاء الأزواج . ولا تصلب بين طبقات الاهالي  
على بعضهم في مسائل التكاح . وان وجد بضعة اسر لا تنكح الا من افرادها ، ولم يزل  
بعضهم يعتنق بمثالة الطرفين وكفائتهما لبعضهما في الذب ودرجة الموقع الاجتماعي ، ولكن  
كون الطرفين من ارباب اليسر والغنى هو المرحح عندهم عن الجميع . وعنه فان السن  
والصفة الاجتماعية ، وغيرها من اوصاف الكفائة محكوم عليها بالسكون تجاه هذا  
المقصد الاساسي .

ان من قصود الزواج في طرابلس معرض — كما هو الحال في اكثر بلادنا —  
للمفادات بوجده . وتكبد النفقة الباهظة في المهر ، وتقاييد لكاح والازدواج ، ربما  
اوقعه سوء اتيدير تحت الديون الجسيمة التي ترزحه السنين العوال . يمكن ان يعنى عن  
الاغنيا . ببذل تلك الثروة الطائلة في هذا السبيل ، ولكن لا يفضى عن قصور ذوى الثروة  
المحدودة باستسلامهم لتلك المظاهر الواهية ، وتكبدهم من النفقات ما هو فوق طاقتهم ،  
واخراجهم انفسهم . وايضا ان حملهم على صرف النفقات خطأ اعظم .

اذا علمنا ان مقدار المهر في طرابلس ربما يبلغ الى ما تقي ليرة او الاثمانية نصح على  
عظم ما يجب اتقاؤه في طبق الاحتفال ، وتقديم الهدايا وغيره من موجب البذر . ونرى  
من الضروري ان نوسع ه البحث ، رقيقض يسيراً في شرحه :

ان الاحتفال بالعقد في طرابلس جرت العادت فيه ان يكون في بيت المخطوبة ، اما  
ما يجب صرفه من المشروبات ، والهدايا وغيرها يكون من جانب الخاطب . ثم على الخاطب  
ان يرسل يوم العقد العربون الذي يسمونه « العلامة » وهو اما خاتم ، او قطعة من الحلبات .  
ثم يدفع المهر بعد العقد ، وبجوب على العريس ان يقدم هدية حين اعداد هذا تبلغ قيمتها  
ربع المهر ، او يرسل نقوداً بهذه القيمة .

بعد ان يتم الجهاز وينقل الى بيت العريس ، يجب عاده ان يحامل احده بارسال مقدار  
من السكر ، والقهوة والتبغ وغيره مما جرت العادت بتدعيمه . ثم تكون وليمة العرس

في بيت العروس . وبعد ان يأخذوا نصيبهم من اللهو والطرب على احساب العريس ، تنتقل تلك الوليمة الى بيت العريس ، باعظم مما كانت عليه قبل . ولا حد لمقدار النفقة التي تصرف هناك على المآكل والمشارب ، وعلى المطربين ، والهدايا .

يدعى العريس ليلة الزفاف الى بيت احد اصدقائه ويمكث هناك الى بعد العشاء . وقد كانت عندهم عادة تقضى بان يقدم صاحب البيت الى العريس خلعة . وبعد صلاة العشاء ينعقد موكب الزفاف ، فتقدم الموكب الشموع والمصابيح ، ثم آلات الطرب وبلتف حول العريس قربانه واصدقائه ومعارفه ، ويوصلونه الى بيت الزفاف . واذا مر الموكب على احد الملاهي « القهوة » . ينثر امامه حب القهوة ، فيقابلهم بالمطايا ، وهكذا الى ان يوصل به الى البيت ، وهناك يتحم نثر النقود ايضاً .

ثم في الغد يجب تقديم هدية الى العروس يسمونها « الصباحية » ، وهي قطعة من الحلويات وهكذا تتوالى سلسلة البذل ، والاتفاق ...

وقصارى القول ان احتفال الازدواج يكون على غاية من البذخ والاسراف ، ويعرض الرجال فيه الى تكبد ما هو فوق طاقتهم المالية من النفقات فعلياً ان تؤمل ازالة هذه العقبات ، او تخفيفها على الاقل . والا فان هذا السبب يقضى بتبديل الازدواج ، فيمتنع النسل الذي فيه حياة الامة ، على ان لهذه الصعوبات فوائد غريبة ، بمنع تعدد الزوجات ، وتقليل كمية الطلاق . اذ ينذر تعدد الزوجات في طرابلس ، والطلاق قليل جداً . هذا وان يكن لطرابلس بعض خصوصيات قف امام تعدد الزوجات ، ولكن لا ينكر تأثير تلك النفقات الطائلة التي يجب بذلها حين الزواج . اما قلة الطلاق فيجب تأويلها بخضوع النساء الطرابلسيات لازواجهن وخنوعتهن لهن من جهة ، ووفرة مقدار اهن . انؤجل من جهة اخرى . لان كثر هذا المبلغ لاجرم يردع الرجال عن ايقاع الطلاق بلا سبب ، ويكون اكبر مانع له .

يتأخر الطرابلسيون في ختان اطفالهم ، ولا يكون ذلك الا بين السنة السادسة والعاشرة من عمر الاطفال ، ومن عاداتهم الاحتفال بهذه العادة ايضاً وعوامهم يكون احتفالهم عبارة عن اركاب الاطفال على الجياد المزينة ، والاغنياء يكفون بالام واللائم . فتعزف آلات الطرب ، وتجرى الالعب المختلفة التي من شأنها تسلية الطفل . والعادة تقضى على المدعويين بتقديم الهدايا .

اما في مسائل الوفات ؛ فمن عوائدهم اعلان وفات العلماء ، والمشايخ ، او احد افراد الاسر الاصيلية ، على المنارات بوجه مخصوص ، ولكن تشييع الجناز عندهم يكون على

اتهم المكينة والهدوء ، والخضوع الدينى اما اذا كان المتوفى من اتباع الطرائق ، فقد يشيع مشايخ طريقته جنازته بنثر الدفوف ، او يكتفون بترتيل كلة التوحيد امام الجنازة حتى يصلون بها الى المقبرة .

يوجد فى طرابلس اربع مقابر عمومية ، وخمسة عشر مدفنًا خصوصياً للمسلمين : فأول المقابر العمومية هى مقبرة « باب الرمل » الكائنة فى جنوب طرابلس . واثانية « الزعينة » وهى فى الشرق قريبة من القلعة . ثم مقبرة « الشهداء » الكائنة فى محلة الحديد وهى الآن معطلة لا يدفن فيها . وان لكل من الطوائف المسيحية مقبرة فى خارج البلدة ، واليهود أيضاً لهم مدفن يختص بهم .

يعتق فى طرابلس بترتين القبور ، وزخرفها بصورة عمومية . ولقد يوجد فى المقابر مواقع تختص ببعض العائلات مشيدة بالرخام على طبقات متعددة ، اخذت الزينة فيها مبلغها ، مسورة بقضبان معدنية .

يهم الطرابلسيون بقراءة القرآن فى الجوامع من الظهر الى العصر ، ومن المغرب الى العشاء كل يوم اعتباراً من يوم وفات الشخص الى سبعة ايام بعده . ويذهب اقاربه واصدقائه ايضا لزيارة جدته .

ثم لانجد نساء طرابلس يركضن وراء الجنازة بالصياح والمويل ، وتخمش الوجوه ، بيد انهن يخرجن الى البرية بعد العصر ، ويسمونها بالعصرية .

## ٥ — الاموال الروحية

[١] — المزاج والافهوه والطباع — الطرابلسيون ؛ بصحاتهم المشربة بالسمره ، الضاربة بلونها الى البياض وبميونهم الشهل المبرقة ، وباجسامهم النحيفة ، وقد ودهم الربة ؛ يمكن ان يقل اهم باعتار الامرجه اربعة او خمسة فى المائة دمويون ، تجاه خمسة واربعين من العصبيين وخمسين فيها م . العصبيين النفاوين .

ان المحيط الريان فى طرابلس اجد هذا المزاج لاساسى من جهة ، واقليمها المتحول ومناظرها البديعة ، وسخاء الطبيعة مع رخاء العيش فيها من جهة اخرى اوجدوا فى الطباع الروحية والسجايا الاخلاقية خللاً ملونة ، ووصافاً غير مستقرة .

لا جرم ان ادى لضبط تلك الاوصاف الابية المتوجة ، لاجل الحصول على مفهوم كلى واوصول الى كنه المؤثر اخفى ، والاطلاع على اوصافه الفرعية هو صعب ، بل مستحيل لدرجة تقضى بالحكم على ان الحالة الروحية العمومية هناك هى على عدم اطراد محسوس .



ولذلك لا يصح ان يوصف الطرابلسيون بالاصرار الجامدة ، او العنشاء المنقرطة ، ولا يسوغ ذمهم بحب النفع ولا خشونة الطبع ؛ بل هم اناس فخر ولهو ، واخذان اذواق ونشوة .

نعم انهم اناس فخر ولهو ، أكثر من كونهم ارباب حرص وطمع ، او اضلال وافساد . حتى ان هذه الاوصاف الخاصة تظهر على عنوان الاصلة في الاسر الطرابلسية . وقصارى القول ان الحالة الروحية في طرابلس تمثل كتاباً ملوناً ؛ على غاية من الظرافة والتذويب ؛ وكل صحيفة بل كل سطر من هذا الكتاب النادر الغزير الصحائف ، مملوء بالرموز المتنوعة . ولذلك هو جدير بالدرس والتدقيق .

ان عنوان هذا السفر الرسمى . هى كلمة «الانس والانسانية» الفصحى . تجدون كل من تعاشر من الطرابلسيين على اختلاف طبقاتهم انيساً متقرباً يتبسم بوجه مسرور ، وتبرق عنه عن اطمئنان وانشاط ، يقابلكم برفقة العواطف والتواضع بما يجملكم تحتزنون منه خشية اصاله الى التعلق والرياء ؛ وتمجبون لما ترون انه لكم دانه . للثبته بقرينكم عن غير اختيار منها .

يسرركم هذا المخاطب بدلالة لسانه ، وبلاغة بيانه ثم لا ينفك يعدكم ولو بما يستحيل تحقيقه ولا يبع عنه ان يستسلم لكم بجسمه وروحه ليظفر بآمال سرابية تكسبه فخراً وميزة هو على يقين انها فوق لباتته واعلى من استطاعته

اما اذ علم مدبره اشكال «الامر» يتخفى بكامل الحلم والسكينة الى لدفاع والاقصاع بعين تلك الطاعة البسامة ، وهاتيك العيون البراقة . فتشعرن وتشد بزمام تخفيف الوطنته عن مخاطبكم هذا المتواضع بصفا ، قاب دانسية .

وبع هذا فان لتلك الشخصيات اللينة المطبوعة الانيسة بعض اوضاع غريبة ومعكوسة ، وارواح مصدبة تهورة تحماكم على غاية من الحيرة والمعجب . على انه لا يقنطكم هذا المظهر ولا يثقلكم . لا . هذا العناد القاسى وقى واضطراى . وكونوا على يقين ان مخاطبكم هو ابن الحس واسير الالهواء . فاذا اطلعت على المهيج الحسى ، المدير ملكوت روحه فى تلك الملاحظة واستطعتم تنله الى غير هذا المحرك ، لا يلبث ذلك الهياج ان يخمد وينقطع اثره . ولا يبع . عن هؤلاء المخاطبين المجولين بالعصية ان يبقوا صادقين ممكن . ولعين الاسباب لا يسوغ لكم ان تستسلموا الى الشكوك واشبهات مفكرين ان هذه الروح الجزلة ستقلب بعد برهة الى روح مستائة فى تابعة لكم قبل كل شئ . فاذا عجزتم عن ربطها بكم فاعلموا ان القصور منكم فقط .

ان الفكرة جيدة كانت او سيئة ، نيرة او محلولكة ، لا يكون لها صدى فى آفاق طرابلس ما لم تدخل اليها من باب الحس ، وتستهوذ منها على الطيف برج تستقر فيه .

ثم تكون بعد ذلك اعتقاداً راسخاً ، فتجوس خلال الارواح وتمكث هناك الى ان تزال الجحشا ففكرة اخرى تتزعج منها ما استحوذت عليه من عرض الحس ، وتقذف بها من حلق . ولذلك كثيراً ما ترى المتمسكين بتلك القنوات والمعتقدات ، وجتي ، المتصلين بخصوصها يعفونها بعد برهة ويكونون منها احراراً برآ فتلاشي بسرور مخلقة على تلك الانظار والوجوه الابتسامة المعهودة .

لا تنسى ان الطرابلسيين الذين هم اصدق ، واعشق اسرى للحس ؛ يهشون لى الكارم ويميلون الى المعالى ، فيوجدون من المآثر الجليلة والآثار الانسانية ما يكون بالعلو كالشواحق ينطح السحاب .

ان للطرابلسيين الذين لا يفادرون فرصة الا وبرهنون فيها على انهم ذوو كرم وقرى بعض ذوات طاهرى النفوس يطعمون لوجه الله كل يوم مائة من الفقراء والمساكين جبا بالانسانية . ولهم بعض مآثر مدنية واجتماعية كالمصرف الاهلى ، وشركة الرصيف ... الخ مما يدل على ان تروتهم المادية معززة بالثروة الروحية ايضا .

ولكن يا للأسف ؛ ان اقل تبدل فى اعواطف يقوض تلك الشواحق فيذرهما قاعاً صفتاً ، ويحدث مكانها مهاو ووديان من الاهال والنسيان متسعة لارجاء بعيدة الاغوار . بسبب تلك العصية الروحية ، والقلب النفس المحسوس فى طرابلس بصورة واحدة كانت الطباع كالفرش . تفرق كل آن فى ساحة ، ثم تقف ؛ وربما ترج بنفسها وتذساب فى ميادين غربية ، وراء الآفاق الطبيعية المعهودة . توحد فى طرابلس مودات ومعارفات محسوسة ، وموالات وصداقة غربية . ان بعض الطرابلسيين يأبى الا ان يعيش مشغوعاً بقرين . ويلفت النظر عدم الممانلة فى السن بين هؤلاء القرناء الذين يتجولون ويشتون ويقعدون ازواجاً . ويكونون من الالغاز المطلسمة فى نظر الغير لشدة ارتباطهم ببعضهم . لا يحتاج الانسان لذلك حاد وبصيرة نافذة لكشف ان الحدث من هذين الصديقين هو صاحب الكلمة العليا . والساطة النافذة . لان الانجذاب المفرط للمتهود فى الرجال هناك يتجاوز حد الجمالة والخلوص .

ان هذه الالفة والرابطة المشهودة بين بعض الاشخاص فى طرابلس تدوم على ما يروى مدة طويلة . ويقال ان سبب ذلك هى الروح المتنوعة والنفوس الهادئة المتكبة على المحافظة فى بعض الطرابلسيين . فانهم لا يرضون بفراق صديقهم بعد ان يستيقظوا بحبه وخلصه . ولذلك يريدون ان يكون معهم اينما كانوا وحشما حلوا . وتمين روية الشخصين ودرجة اختصاصهما ببعضهما تدجبل فى خواطر الطرابلسيين ، فى تلك الصحيفة الحية . وهذه الموالات المعروفة قد تصل من المانة والتأصل الى درجة يشاهد فيها بذل الاموال الطائلة . الا وان ذكرى هذه الزمر فى الخارج لا تزال تاقى فى قلوب الغراء ، وحتى فى قلوب

الطرابلسيين انفسهم ، آذماً ممضة .

وبالنتيجة نقول ان سرمدى الصلاح ، لا يشتهون وجود هكذا محائف في لكتاب اخلاق الطرابلسيين . وعليه يكون تمنى سعى الطرابلسيين لطفى تلك الصحائف وازالتها وبذل الجهد والاستطاعة لامحائها ضرورياً .

[ ٢ ] — الحالة الروحية — اذا اردنا ان نطلع على درجة الرقى الفكرى في طرابلس ونقف على مقدار نصيبها من العلم . يجب علينا ان نتمع النظر في افراد طبقاتها الاجتماعية . سبق ان بينا انشاء البحث عن الاحوال الاجتماعية ، ان بعض اولاد منسوبي الطبقة الاولى المعروفين باسم الاغنياء في طرابلس ، درسوا اما في مدارس بيروت ، او استانبول ، او غيرها . وكان لهم نصيب من العلم على ما امكن . ولكن المتقدمين في السن من اولاد عين الاغنياء لا نصيب لهم من هذا البتة ، ولا يتطلب هذا الادعاء اقامة البرهان لانه بدى . انهم وان يكونوا على شئ من المكتسبات التقليدية ، ولكن لا تكون المكتسبات التقليدية من الجهاز الكافى للدماغ في هذا العصر . اما الذين لهم المام بالعلوم الصرفة والشرعية فلا حرم انهم يشعرون بخطأهم ونقصهم لسبب اكتفائهم بهذه الاجهزة الحياتية اليسيرة ولهذا فان الثروة الفكرية القديمة في هذه الطبقة لا تستطيع ان تستغل لطرابلس دخلاً توفر في اسباب الكفاية والاستفادة .

اما منسوبي الطبقة الثانية ، فان عددهم كثير . يشمل السواد الاعظم من سكان طرابلس ، وبما ان الاكثرية في طيفهم فان جميع الشبان الذين اتموا دروسهم في مدارس مختلفة ، هم اولاد منسوبي هذه الطبقة . من الضروري ان نعترف بان التعام يوجب التنوع ولكل يلزمنا ان نحكم في الامر بالنسبة الى درجة ذلك التعلم . واذا شئنا ان نضع جدولاً نحصى فيه عدد الشبيبة الطرابلسية المتعلمة نرى ان عدد الذين تخرجوا في مدارس اوروا من مسامين ونصارى ، هو « ٩٥ » . ومتخرجى المدارس العالية في قاعدة الملك ، « ٧٠ » ومتخرجى المدارس التالية « ٣٠٠ » شاباً . اما الذين درسوا في المكاتب لابتدائية وقد آتونا ان نعتبرهم من الذين يعرفون الكتابة والقراءة فقط ، لا من صنف المتعلمين .

وعليه ان زمرة المتعلمين الذين يبلغ عددهم الى « ٤٠٠ » كادوا ان يكونوا كلهم . الطبقة الثانية . واذا فكرنا بان ارباب الطبقة الثالثة ليسوا بقادرين على تعليم اولادهم ، يظهر لنا الدليل الكافى على صدق رأينا .

يمكننا الان ان نتمعن في التدقيق ونطلع على عدد المسلمين والنصارى من هؤلاء المتعلمين ونفرقهم عن بعضهم ونستبسط النسبة في العلم بين هاتين الطائفتين :

ان اذلاء كل من متورتي المسلمين والنصارى واتفاقهم، يمكتنا من ايجاد هذا الجدول :

المسلمون	النصارى	يكون
١١	٤	١٥
٥٥	١٥	٧٠
١٠	٥	١٥
٢٣٠	٧٠	٣٠٠
٣٠٦	٩٤	٤٠٠

يكون الجميع

اذا امعنا في هذا الجدول، وعلمنا ان مقدار النصارى هو خمس مقدار المسلمين، نجد ان درجة المسيحيين في العلم كادت ان تكون معادلة للمسلمين، وحتى راجحة في بعض النقاط. لذلك فان زعم بعض الطرابلسيين بان عدد المتورين في المسلمين اكثر من عدد المسيحيين لا يخلو من المبالغة. والاصح في ذلك هو الاعتراف بوجود التوازن بين هاتين الطائفتين.

بعد ان ذكرنا المتخرجين في المدارس الرسمية، نريد ان نبحث نبذة عن المشايخ الذين تخرجوا في المدارس الدينية ايضاً :

يوسد في طرابلس خمس عشرة مدرسة رافقت القرون بقدمها فنمها : السقرية والخوانية والطواسية، ومدرسة المطار والقرطائية]. وقد كان عدد هذه المدارس التي خصصت لها الاوقاف الوافرة كثيراً جداً. ويروى انه كان في طرابلس مقدار (٣٦٦) من المدارس، وكان لها اوقاف غنية. فما زالت تلمب بها الايدي حتى لم يبق منها الآن الا خمس عشرة مدرسة مشرفة على الحراب. اما البقية فلا يعثر لها على اثر.

ولو بحث عن هذه الاوقاف وانتزعت من ايدي الفاسيين ثم اسس بتلك المبالغ الجسيمة في طرابلس بضع مدارس علمية ومدنية منتظمة تنطبق على المصلحة العصرية، واصبحت بها المدارس المحلية، لكان بها لطرابلس من المؤسسات العلمية ما يجعل لها الحظ الوفير من العلم والمعرفة.

ولا ينكر ان طرابلس قد استفادت من هذه المدارس العامرة، وان معظم ذوى السوء الملية في هذه البلدة له اتماء اليها. وقد سبق ان وجد فيها معلمون من فحول العلماء واطامها.

فاذ علمنا ان عدد الطلاب التي تنال الاجازات من هذه المدارس خمسة عشر في كل سنة نعلم ان تلاميذها يتجاوزون المائتين في عددهم. واكثر هؤلاء يستخدم الآن بوظيفة

القضاء في أكثر أنحاء الولاية، الإنسانية . ويوجد بينهم مقدار خمسة عشر من العلماء المتعلمين في العلوم الشرعية ، ولا جرم ان اطلعهم على العلوم العربية واسع ايضاً . ولا يفوتنا ان هذه المدارس وان خدمت لتنوير الاذهان بالقراءة والكتابة خدمة لا تنكر ، غير ان دروسها تنحصر في العلوم الشرعية والعربية فقط ، ولا تتعرض للعلوم والفنون الحديثة ، ولهذا فان متخرجيها يميلون بالافكار الطرابلسية الى ما هم مختصون به من العلوم ويهملون الجهات الاخرى ، ومنها كانت هذه النتيجة التي خالفت المصلحة العصرية .

ومع هذا فان هذه النتيجة لا تزال تخفض بتاثير همة الشبان المتخرجين في المدارس الرسمية ، الذين يزداد عددهم على تداول الايام . ثم ان كثرة المناسبات والمعاملات التي اوجبها قرب طرابلس الى بيروت ، ووجودها على ساحل البحر ، وسهولة الطبع والاخلاق في الطرابلسيين ، الناجمة عن المؤثرات الطبية المحلية ما زالت تعدل تاثير تلك النتائج ، وتخفف وطئها .

لا جرم ، تنقبض قلوب الشبان الطرابلسيين لما يرجعون الى بلدتهم واهليهم ، من الجاهلين ، او غير المتورين من مواطنهم ، على انهم يتعززون بما عند اولئك الزمرة من لين المريكة والتلون الروحي والحياة النشيطة ؛ وبما في طرابلس من البدائع الطبية والفيض الدميم ، ولا يشعرون بلزوم مبارحة اوطانهم لهذا السبب .

نرى من الواجب قبل اتمام هذا البحث ان ندرس تجار العبقة الاولى والثانية في طرابلس ونستطاع كيف ، امكنهم النجاح بغير علم ، معرفة ، وننظر الى ما يرمى اليه الطرابلسيون بان هذا النجاح هو دليل على المزية العلمية والتور الفكري ، ونصحح ذلك الاعتقاد والادعاء .

لو سلمنا نجاح الطرابلسيين في مشاريعهم ، ولكن يجب ان يحمل هذا النجاح على ذكائهم المعلوم واستعدادهم الطبيعي اكثر ما يحمل على علمهم ؛ وعلى تجاربهم العملية ، اكثر من نظرياتهم العلمية . وهم يعملون على ما كان يعمل اسلافهم — دون ادنى تاثير علمي — فتجاحهم بتأييد الموجود وادامته لا يكون نجاحاً بفسح لهم عن طريق الرقي والكمال . ولو انهم اضافوا لهذا الاستعداد الفطري ، مدبراً علمياً لكان نجاحهم اوفى واغنى ، ولا تقتضوا اثمار الرقي ، عوضاً عن احتفاظهم بالموجود .

بعد ان بحثنا عن الحالة الفكرية في طرابلس يجدر بنا ان نطلع على مقدار من يحسن القراءة والكتابة من المسلمين والنصارى فيهم . وتقارن بين هاتين الطائفتين من هذه الوجهة .

ان الربع من رجال المسلمين ، وخمس في المائة من نساؤهم — على التخمين — يحسنون

لقراءة والكتابة . وعلى هذا الحساب يكون مقدار الرجال من هذا الصنف ( ٢٠٠٠ - ٢٥٠٠ ) ومقدار النساء ( ٥٠٠ ) فقط وبأقل تفكر نعلم قلة هذا المقدار ولا سيما درجة لاختطاط التفكير في النساء ، وضعف الحالة الروحية فيهم . وإذا لمطلبنا على ان مقدار لتخرجين في المدارس الابتدائية لا يزيد عن ( ٤٠٠ - ٥٠٠ ) في السنة ، نحصل على لعلم القطعي بدرجة تعلم الذين يحسنون القراءة والكتابة في طرابلس . .

اما الطاقة المسيحية ، فعلى زعم المتعلمين منهم ، ان تسعين في المائة من الرجال اى ( ٢٠٠٠ ) ، وثمانين فيها من النساء اى ( ١٥٠٠ ) يحسنون الكتابة والقراءة . وان اثنين في مائة من هؤلاء النساء متخرجات في المدارس الاجنبية . لاجرم ان هذا الحساب مبالغ فيه . على اننا لو اخذنا نصف هذا المقدار على علته ، بشرط مراعاة النسبة في النفوس رأينا ان الطاقة المسيحية ارجح وارتقى من اخاتها الالامية ، وبما ان المسيحيين اميل الى اللغات الاجنبية واعرف بها ، وانهم غير مقيدون في معيشتهم ببعض القيود الاجتماعية كانوا اعلق بالآثار الحديثة الاجنبية واوفر وسائل للتطور بسبب اختلاطهم وعشرتهم . وعليه فان سويتهم الفكرية ارتقى درجة من سوية المسلمين .

[٣] — مناقب الشيخ العمري — نرى ان نمزج هذا البحث بالتكلم عن « الشيخ على العمري » الذى ما زالت شخصيته تشغل الاذهان الطرابلسية منذ السنين الطوال ، ثم نحول هذا الاشغال الى اطمئنان ، ثم الى عقيدة ، ولم يلبث ان كان ثمنشنة راسخة وزوى شيئاً من مناقبه التى تتناقلها الالسن والافواه في طرابلس .

يجب علينا ان نعلم اولاً ، ان تعبير « الشيخ » في سورية يد — في نظر الناس — على من يلبسون الكسوة العلمية . ولذلك لا يشترط العلم لاجل احراز هذا العنوان . اتفقت الروايات على ان الشيخ العمري كان امياً حتى آخر نفس من حياته ، ولكنه استطاع جلب قلوب الناس اليه ، واكتسب حبهم واحترامهم .

وان امعانه في الصلاح والتقوى ، واطمئنان الناس بشئ من قدسيته واعتقادهم ببعض مناقبه وسيره التى يتلقونها من قبيل الكرامة ، جعل له المكانة العظمى ، والسلطة التامة في قلوب الناس . اجمع القوم على ان الشيخ العمري كان معدن الخير والانسانية . وان شخصيته التى هى تمثال الحسنى كانت محترمة وموقرة عند الكبير والصغير من طبقات الناس والمأمورين وحتى عند جميع الطوائف غير المسلمة ايضاً .

اعتاد الشيخ على عدم الخروج من بيته فاذا صدف وخرج مرة في السنة لا يلبث ان تخف اليه الزمر من مسلمين ونصارى . وغيرهم ، ويشبعون ايديه ثقيلاً : لم يضق الشيخ ذرعاً بامر حياته بل كانت الامانات التى يضعها الزائرون تحت سجادة

تكفى لتففته وتريده ، وانه كان جوالداً على الفقراء ولهذا لم يتوكل شيئاً يذكره من الوفرة بعد وفاته رغماً عما كان له من الصلابة البالغة ،

توفي الشيخ سنة (١٣١٩) هـ واهبط جثثه واهبطه جميع الطرابلسيين يودعونها بالجمع المساكين . ودفن في مقبره الخاص في اترية القريبة من باب التبانة ويرعى اولاده انه عاش قديماً من مائة سنة .

وقصارى القول ان الشيخ العمري على ما يروون عنه من حب الخير ، والطاعة الباشة وبحركاته القدسية الحارقة للطبيعة وكراماته ، كان معتمداً عظيماً في نظر الطرابلسيين . ولا بد لكل من الطرابلسيين اذا حادثوه ان يطلعكم على كثير من مناقب الشيخ التي لا تنتهي ويقول لكم باطمئنان كامل :

— انني مطمئن على ان « الشيخ العمري » « ولي » بكراماته . وانا اعتقد بذلك .  
 لاسيما اذا وجدتم في ناد يضم بعض افراد ممن يدينون بهذا الاعتقاد . نعمون كثيراً من هذه المناقب . وتسلسل الروايات بما تروى الشيخ . فتعلمون بتلك المنقولات التي تجعل الانسان في حيرة . انكم تشاهدون الاحوال الروحية قائمة على سوقها .

ومنا الصدفة ذات يوم في مجلس ، حشد ارباب المناقب ، وحفاظ الروايات . فتقاطرت علينا جميع منقولات الشيخ ومآثره . وكان احدهم يقول :

— ركب الشيخ مركبة في احد الايام ، واتى الى امام دار الحكومة في طرابلس آه شريطان ، وارادوا ان يأخذوا بيده اجلالاً لقد ، وينزلوه من المركبة . فاعطاهم يده وقال : اسحبوا ما نستم ، وابدلوا جهديكم . فأتى الشرطيان على يده جراً بجميع قدرتهم . ولكن لم يقدروا ان يحركوه .  
 ثم قال الآخر :

— كان الشيخ امياً ؛ ولكن كان اذا شاء اخذ عوداً وغمره في فيه فكتب بمداد اسود خطاً كامل المعنى .

ثم ان احد المسيحيين قال :

— قل لي رفيق هذه الحكاية : كان يسافر الشيخ العمري فجلسوا في محل لاجل الراحة . وحصد ان قدم لهما قدحان من قهوة . فشرعا يشربان . ثم قدم الشيخ قدحه الى رفيقه قائلاً :

— الا تشرب منه : فشرب الرفيق وشعر ان القدح يتصوع منه المسك .  
 ثم قال الآخر :

— اعلم روايتين عن الشيخ ، ولم اكد انساها . وها انا اتلوها عليكم :

— حصد الشيخ احد معارفه وهو سائر في الطريق . وسأله الى اين يذهب ، فاجابه

انه دعى هذا المساء الى مأدبة ، فقال له الشيخ اليك ان تتأخر الى بعد الساعة السابعة الطويلة «غروبية» . ثم اخذ الشيخ سبيله وسمع وهو يقول لنفسه « حرق الله لحيته من يفتا بلحمه » وربما يقتل الله جملأً ليطعم بعوضة . ثم ان ذلك الرجل رجع الى بيته في « الوقت » الذي حده الشيخ ولم يلبث نصف ساعة حتى مات . وقد قصد الشيخ « في كلامه » الآية القرآنية « ولا يقتب بعضكم بعضاً » وانه قصد في الجملة اثباتية ايضاح معنى هذه الآية ، واخبر سلفاً ان ذلك الرجل سيموت .

ثم يروى عن الشيخ انه دعى لعيادة مريض وقرائته . وكان المريض مشرفاً على الخلف فدخل الشيخ الى البيت وقال للحاضرين « اذا وهبتموني فرساً ، شفت عليكم » فرفضوا بالشرط . ولم يلبثوا ان سمعوا في الاصطبل صوتاً هائلاً ، فاسرعوا اليه واذا باحد الافراس قد انقطرت . ثم شفى المريض .

ثم اجمل احد الحاضرين مناقب الشيخ العمري وقال :

— ان اهم مناقب الشيخ انه يغمس القدح في الحيرة فيكون الماء فيه شرباً ، وياخذ عوداً ، او ورقة ثم يبلها بريقه ويمسح بها العين الرمضاء فيشفيها ، واعظم من هذا انه ياخذ عوداً فيذبح به شاة ويسلخها ....

ان هذه المناقب التي تؤثر في طرابلس عن الشيخ العمري لاتزال تكرر لها الالسن في كل يوم . وقصارى القول ان عقيدة الشيخ العمري المؤيدة بهذه المناقب وامثالها ، هي على غاية من الاستقرار والتأصل في النفوس . وانما لا نرى حاجة لتبكم عن هذه الروايات الحارقة ، الاخرى عن تلك الحالات الروحية الملموسة . ولهذا السبب اكتفينا بنقلها ونحريها على علائها .

## ٦ — الاموال الصمية في طرابلس

[١] — الحالة الصمية — بنا آفأ ان طرابلس الشام ، هي بلدة لها اقليم معتدل ولطيف ، كباقي البلاد في سورية . وبما انها محاطة بالرياض الواسعة التي تسقى من ماء النهر تكون الرطوبة فيها على ازدياد دائم . ولهذا كان هواؤها اربط واقل من هواه بيروت . ويزعّم اطباؤها ان حرارتها في الصيف لاتزيد عن ٣٣ و ٣٠ درجة سانتيفراد وفي الشتاء لاتنقص عن سبع درجات ولهذا تكون حرارتها الوسطى ٢٧ و ٢٨ درجة في الصيف و ١٤ و ١٥ درجة في الشتاء .

الا بنا حين البحث عن الحطوط الداخلية في طرابلس ، ان بيوتها القديمة متصلة ببعضها ، وان الطرق بين تلك البيوت ضيقة ، واكثرها مستور بالحنايا المسقوفة ولهذا كانت البيوت والطرق محرومة من الشمس ، ومن جريان الهواء . ومع هذا فان الطرق التي فتحت



حديثاً هي واسعة ، والبيوت الحديثة — كيوت القبة والتل — آخذة نصيبها من الهواء والشمس .

اما ماء طرابلس فهو كما قدمنا يفرق من جدول « رشعين » وهذا الماء باوصاه الخارجية . اى بصفاته ونظافته وطعمه هو صالح للشرب غير انه مكشوف المجرى اعتباراً من منبعه حتى يدخل البلدة . ويمر على بضعة قرى من اعمال لبنان ولهذا اصبح مائه معروضا للكدورة والاساخ بنسبة ابتعاده عن منبعه . وعليه فان هذا الماء له التأثير العظيم بانتشار مرض القوليرا ، وامثالها من الامراض التى تمكن سرايتها بواسطة الماء . لاسيما وان المجارى فى وسط البلدة تمر ماسة بمجارى المياه القذرة وغيرها فتلوث بما يرشح من هاتيك المجارى وتفسد ، ولهذا يجب على الذين تهتمهم صيانة هذه البلدة ونظفها من الامراض القتالة ان يسعوا لاسالة هذا الماء بانابيب من حديد محفوظة من كل مدنت .

ويجب علينا حين البحث عن المسائل الصحية ان نعلم ان كثيراً من الناس فى طرابلس لا يقدرون قدر الصحة ، ولا يعلمون من التدابير الصحية شيئاً ، هذا وان كان يؤثر عن الطرابلسيين ان داخل بيوتهم نظيف ، ولكن الشكل الخارجى غير منطبق على النواعد الصحية البتة . لاسيما وان السواد الاعظم من الطبقة الثانية ، وحموم افراد الطبقة الثالثة هم من الجهالة العباءة فى درجة جعلتهم يفضون عن التدابير الصحية بصورة واضحة . ثم ان اعتياد بعضهم على اكل بعض البقول او الاثمار دون ان يطبخوها ، واستنقعات التى تحصل فى الرياض والبساتين ، بسبب الدقى هى من الاسباب المضارة التى لا تزال الصحة العمومية فى طرابلس تحت خطرها وتهديدها .

[٢] — امراض البلدة ، والامراض الطارئة — ان اكثر ما يمرض فى طرابلس من الامراض الموقعية هى « الحمى المرزغية » ولا يخلو بيت فيها من تسلط هذه الحمى على افرادها بضعة مرات فى السنة . واكبر داع لتأصل هذا المرض هى المستنقعات التى توجد فى البساتين ، ثم عدم انتظام مجارى المياه ، وعدم حفظها وصانتها . ويقول اطباء البلدة ان هذا المرض يبتدأ فى « اواخر الصيف ، وتشتد سوره فى فصل الخريف لدرجه هائلة . ومع ان هذا المرض ليس بقاتل ، ولكن اكثر الممرضين به يموتون بفقر الدم وبامراض الكبد والطحال .

اذا شئنا ان نرتب جدولاً لهذا المرض فلا نبالغ ان قلنا ان عدد المصابين به فى اليوم يتراوح بين الخمسة عشر والعشرين . ثم اذا علمنا انه يوجد من يصاب بعين المرض مرات متعددة فى السنة ، نطلع على ضرورة التدورع بالتدابير والوسائل الفنية التى يمكن بها تخليص حياة هذه البلدة من هذا الداء العمومى .

وباعتبار الكمية يأتي في الدرجة الثانية مرض « ديزانترى » . ولربما يعثر في طرابلس أيام الصيف على بضعة أشخاص من مصابي هذا الداء في كل يوم . ويصاحبه تصاعد هذا المقدار الى ثلاثين او اربعين ايضاً .

وسبب تقشي هذا المرض وتأصله هناك يحمل على عدم صون الماء من جانب ، واتهمناك الطرابلسيين بكل الاتهام والبول بلا طبع من جانب آخر . وهذا المرض يفتك بهذه البلدة فتكاً ذريعاً . والجداول الرسمية (\*) تنطق بان عدد الوفيات من هذا الداء كان سنة (١٣٣٢) ٢٥٢ متدار . فإذا نظرنا الى هذه الكثرة في الوفيات . نعم ان الـين يصابون به هم أكثر من هذا المتدار واعلم . حتى ان عدد الوفيات من هذا المرض كان في الشهور الاربعة الاولى من سنة ١٣٣٢ قبل حلوله الصيف (٢٣) شخصاً . وما به يجب التذرع والتدابير العاجلة لداء هذا الخطر الجأت عن طرابلس .

ثم ان اعلم مرض في طرابلس بعد مرض « ديزانترى » هي الحمى التيفوئيدية . وبسبب ارتباطها وتفشها هو المصاعب ايضاً . ومجموع الوفيات السنوية من هذا تقرب من مقدار وفيت ديزانترى .

ويعثر في طرابلس على امراض « ذات الرئة » ، و« الروماتزم » وذلك لاهلها بلدة رطبة اما مرض « السل » فقد كان فيها كثيراً قبل بضع سنين . ولكن تنقص مقداره في هذه الايام لاعتناء السكان بالامور الصحية لدرجة . رتبا الجداول الصحية ان الوفيات من الـ الرئة كان مقداره (٢٨) سنة ١٣٣٢ اما في الاشهر اربع من سنة ١٣٣٣ لم يتوف بهذا الداء الا شخص واحد

ثم ان الامراض الكلوية والقاوية والمعدية كثيرة جداً . ونرى في عين الجبل لانه توفي سنة ١٣٣٢ من الامراض الكلوية (٥٦) ومن لامر ض الكاوية (٤٨) ومن الامر الس المعدية (٧٦) شخصاً . وفي الاشهر الاربعة من سنة ١٣٣٣ توفي من الامراض (٨) و(٢) و(٤١) شخصاً .

يجب ان لا ننسى حين البحث عن امراض طرابلس ، امراض الجوارح . الامراض الاقترن بها . ان مرض الجرد قد تقشي في الايام الاخيرة بصورة . تلكه حتى انه . مع الطبقات الاجتماعية هناك . يضمن . دار الـين به اليوم يتراوح بين (٣٠٠ و ٢٠٠) شخصاً .

اما الاقترن بها فهو على امثال الجرب و مندر انصاين وان هذا المرض الذي لم

\*) لم يتمكن من الحصول على تنبؤ من الجداول الصحية ، الا على جدول وفيات سنة ١٣٣٢ ، ر ر  
دول اربعة شهور من سنة ١٣٣٢ ، فقط

يمكن له اثر قبل بضع عشرة سنة اصبح اليوم متفشياً بنسبة عظيمة ، وعلى التخمين للموثوق ان نسبه تجاوز واحد من ثلاثين بالنظر لمجموع السكان . ويوجد غير هذا من الامراض السمية الاخرى . ولكن لا تبلغ درجتها الى مقدار مرض الافرنجى . ثم يوجد المرض الذى حاولت افهامه حين البحث عن الاحوال الروحية ، وهو يتناول أكثر من نصف السكان . وما يوجب اسره ان مقداره لا يزال فى نقص متوال .

اما الامراض الطارئة التى نتجت بالطرابلسيين بهذه الايام . فهى « الحمى التيفية » و « القوليرة » .

تولى من مصابى الحمى التيفية سنة ١٣٣٢ مقدار ثمانية من المائة ، وفى الاشهر الاربعه من سنة ١٣٠٣ لم تتجاوز الوفيات اربعة من المائة . ومجموع هؤلاء الوفيات سنة ١٣٣٢ ( ٥٧ ) ، وفى هذه السنة ( ٥٤ ) شخصاً .

اما القوليرة فما كانت شديدة الوطئة فى هذه السنين . وقد كان يتوقع منها ان تكون اشد مما كانت ، ذلك بسبب سوء الحالة الصحية فى طرابلس . سبق ان دخل ذلك المرض هذه البلدة قبل خمسة عشر عاماً . فكان عدد الوفيات يتراوح بين الخمسين والمائة فى كل يوم . على ان جميع الوفيات التى كانت سنة ١٣٣٢ من القوليرة لم تتجاوز ( ٦٥ ) شخصاً . اما المصابون فمرددهم اكثر من هذا بعشرين مرة . وفى الاشهر الاربع من سنة ١٣٣٣ فلم يحدث اصابات من القوليرة البتة .

ثم يجب علينا قبل اتمام هذا البحث ان نتكلم عن الذين يميتهم سوء التغذية ، او بالإباض الذين قفاهم الجوع . ومقدار هؤلاء بموجب الجدول اترسمى ( ٢٤٠ ) شخصاً سنة ١٣٣٣ ثم ازداد . المقدار فى الاشهر الاربعه من سنة ١٣٣٣ فكان « ٢٨٨ » شخصاً فاذا دام هذا الحان فانه طرئاً سيقف فى السنة واحداً من عشرين من مكانها .

واذا اضفنا الى الوفيات التى نخشا عنها مقدار الوفيات التى تكون بسبب الجدري ، والامراض التنفسية والدماغية فبكون المجموع سنة ١٣٣٢ مقداره ( ١٤٥٤ ) وفى الاشهر الاولى من سنة ١٣٣٣ مقدار « ١٥٤٣ » من التسمات . ثم اذا علمنا ان معظم التسمات منذ عشرين اليوم فى سلك الجدنة ، واطلعت على ان هذه الوفيات كانت من التسمات التى تدرك حطوة هذا المقدار الى حياة البلدة ؛ لاسيما فى هذا الزمن الذى تندرف فيه الاموات . فلا ريب ان طرابلس اضاعت ربع ، او على الاقل خمس سكانها فى هذه الثلاث سنين . وجسامة هذا المقدار جديرة بان تدعونا الى التفكير والامعان .

[٣] — الاسباب الصحية — من الضروري ان نحكم على عدم كفاية الاسس الصحية .

بعد ان رأينا جدول الامراض على هذا النمط . اذ لا يوجد الآن سوى طبيبين رسميين الواحد في بلدية البلدة ، والثاني في بلدية المينا . والاطباء الخصوصية لم يبق منهم الا خمسة او ستة . وبالنظر الى طرابلس التي كان فيها قبل الحرب ، مع قلة الامراض اكثر من ثلاثين طبيباً . لاجرم ان هذا العدد من الاطباء قليل جداً .

ويجب إيجاد المستشفيات ، ودرر التجريد في هذا البلدة ذلك لأن التوصل بالتدابير الجبرية تلامس هؤلاء الأهالي الذين لا يدركون معنى الصحة ، ضروري وبديهي . وقد تأسس مستشفى للبلدية في بناء العذرية ، وشرع في تجريد مصابي الحمى النخسة ، على ان هذه التدابير الوقتية لا تقوم بهذا الواجب الحياتي .

وان المستشفى البلدي الذي شيد في الطنف بقعة في طرابلس ، وعدفه خمسين سريراً ، وسعى « مستشفى عزمي بك » هو بالرغم عن ضيقه اثر خسرانه ، لأنه يقوم بدفع قسم من هذا الاحتياج الحياتي العظيم . وارتأس هذا آثار فيها الجبر المميم لحياة العموم هو من الآمال التي يرام تحققها .

اما « مستشفى يدسار » المخصوص المبني في مكان لطيف من البلدة ، هو بمثابة مستشفى جراحى ، وقد كان يوجد فيه اكثر من ثلاثين مريضاً . اما اير فوجيده لايزيد عن اثني عشر او ثمان .

فدا اضفنا لهذه المؤسسات الصحية خمس ، او ست صيدليات في البلدة ، وثلاث في المينا . وما موراً للتطعيم ، وعلمنا ان تلك الاسس مع نقصها محرومة من كل الوسائل الصحية ، الفنية ، نصلح على نسبة احتياجنا الى تنظيم تلك الدائرة واتمامها ، ونعلم ان الانتظار لتحقيق هذه الاماني شديد جداً .

## ٧ — اللغة والادبيات ، والفنون الجميلة

[١] — اللغة — ان اللغة المستعملة بين الطوائف ، والصبقات المختلفة في طرابلس ، هي لاجرم اللغة العجمي ، ومع هذا فان هذه اللغة هنا بعض شذوذ . وهذا الشذوذ ، او تبدل اللهجة لا يظهر تماماً في مسيحيي طرابلس ولكل المسلمين وخصوصاً الطبقة الثالثة منهم . لا تزال تنهج سبيله .

وبما ان طرابلس هي بلدة تميل باوصافها لتمثيل بيروت والشام معاً . كانت لهجتها ايضاً تقسم بين هذين المراكزين السويديين . وغدت لغتها في متوسط اللقنين ترمي متضخم الفاظ الى البيروتية ، وتخفيفها الى اشارة اشامية . ثم انها تميل مرة لؤد واخرى لئلك واونة بتمسك عن كليهما . فاذا اردنا ان نقصص عن هذه اللغة ، يجب علينا ان نطلع على

الفروق الظاهرة التي تفرق اللهجة الطرابلسية عن البيروتية .

اولاً — ان الطرابلسيين يخففون الالفاظ ويرققونها ، مع ان البيروتيين يفخمون الكلامات وينطقون بها بصوت مفخم .

ثانياً — يقصر الطرابلسيون مد الحروف الصوتية ، والبيروتيون يطيلون مداها .

ثالثاً — ان البيروتيين يفرقون بين كلامهم ويفصلونه بإيراد لفظة « نه » وقصدون بها الاستفهام . اما الطرابلسيون فهم يصلون كلماتهم ببعضها ، ولا يستعملون هكذا استفعالها .

رابعاً — يلفظ البيروتيون حرف ( أ ) كالياء ، او يميلون بها الى الكسرة اما الطرابلسيون فيجعلونها كحرف « و » . مثلاً يلفظون كلمة ( نار ) بصورة « نور » .

خامساً — يبدل الطرابلسيون حرف « القاف » الى همزة .

ورغمًا عن هذا الشذوذ الخصوصي ، فاللغة الطرابلسية ليست بلغة غليظة . بل هي لهجة رقيقة ، لطيفة الوقع ، على السمع .

لا سيما وان في طرابلس اعداد اوضح الادب — كما ذكرنا ؛ وسنذكر — ولهذا تزداد الطرابلسيين لا يألون جهداً بالسعى لتقريب لغتهم الى حدود الفصاحة ، ويوجد بينهم آثار من ماء شخص يتكلمون بالعمريه العصى . واكثر منسوبي الطبقة المتورة لهم نصب من هذه القدوة . ولا بد من التسامح بان للمدارس الطرابلسية اليد البيضاء في إيجاد هذا الميل .

ولا ينكر في هذا الخصوص تأثير المدرس الرسمية ايضاً . وما كان الاطلاع على اللغة التركية في طرابلس اكثر من غيرها الا بفضل هذه المدارس ثم وان لم يوجد بين خمسة الاف من المسيحيين الا بضعة اشخاص لهم الملم باللغة التركية ، غير ان اكثر المسلمين يثقفونهم ، او يتكلمون بها . ويسهل علينا بيان السبب في ذلك ، لان المسلمين ما زالوا لا يرغبون بوضع ابنائهم في المدارس المسيحية الخصوصية ، او في المدارس الاجنبية ، بل انهم يحنثون المدارس الرسمية . ولهذا السبب فانا نرى ماء عواماً مآذونى المدارس العالية وانما ، مآذونى المدارس الابتدائية ايضاً الذين يتجاوزون في عددهم خمسمائة شخصاً ككلم يتكلم باللغة التركية على قدر الامكان .

اما المسيحيون فانهم يضمون بنائهم في كل مدرسة ، ما عدا المدارس الرسمية وانما فان اللغة الفرنسية والانكليزية متفتية بينهم . ويدعى منورو هذه الطائفة ان خمسة وسبعين في المائة من الرجال الذين يحسنون القراءة ، يتقنون اللغة الفرنسية ، وحوالي عشرين . المائة منهم يحسنون اللغة الانكليزية . اما نساؤهم ففهم خمس وسبعون في المائة يعاملن اللغة الانكليزية ، وخمس وعشرون منهم يتكلمن بالفرنسية .

. فإذا كان هذا الادعاء نكالا عن الباطل، يكون في المسيحيين هذه العالمين باللغة الفرنسية ١٥٠٠، وباللغة الانكليزية ٥٠٠، من الرجال، ومن النساء ١١٢٥، ممن يحسن الانكليزية و٣٧٥، ممن يتقن الفرنسية. وهذا المقدار يجب ان يلفت نظرنا الى مساعي المؤسسات الفرنسية والانكليزية بتعميم لغاتهم، وحلولهم في الطوائف المسيحية الطرابلسية.

\*  
\*\*

[٢] — الادبيات والفنونه الجميله — نريد بعد ان رسمنا خريطة اللغة الطرابلسية، وبيننا خطوطها على وجه الاجمال، ان ننقل الكلام الى ما لديها من الثروت الادبية ونصور خطوطها على صحيفة مجملة.

ان السكان ذوى الذوق السالم، وعاشق الجمال من طرابلس التي شحنت بالبدائع الطبيعية، يظهر فيهم استعداد الادب منذ حداثتهم، ومازلنا نقول ان لهؤلاء المغرمين بالاذواق البديعة، ثروة روحية من نكهة تلك الحداثق العاطرة، ولهم خيوط حريرية من نور قرهم المنير. وان الالحان الموسيقية التي تسخر الارواح، والنفثات الشعرية التي تسحر الابواب هي عندهم على اعظم قيمة بديعية. ولهذا فلا بد للطرابلسيين ان تحذو بهم تلك المنح الطبيعية لاداع فسطاط من الادب منسوج بالاصوات والالفاظ. وعليه فان الشعر والموسيقى يعتبران في طرابلس بتجليهما الساحر الخالب مصدرى وجد ثمين لقلوب المغرمة. ثم ان بقية الفنون الجميلة هي على استعداد لان تكون ذات فيض محسوس لدرجة. ولا نكر ان الفنون الجميلة الاخرى هي كالفدند الساكن بالنسبة الى ما شيده الطرابلسيون من شواهد الادب، لدرجة لو اوجدت يد الطبيعة في ذلك المهمة شيئاً من كتمان البدائع فلا يمكن اعتبارها تمثلاً للصناعة.

وقصارى القول ان الشعر في طرابلس، مستحود على جميع الديار الروحية. ولا جرم ان الذوق الادبي لم يبلغ رنده لدى الناس، ولهذا كثيراً ما نراهم يترنمون بالقنا الذي تتغنى به المتبرجات على مسارح الشام وبيروت. بيد ان هذا الخطأ عمومي. وسنذكر أثناء البحث عن مدينة (بيروت) ان الاغاني [٢] التي تتردد على السنن الناس في سوية. ولا سيما في بلاد الساحل ومدائن الداخل، مرتبة على نسق يناسب شأن الرقصات اليهودية، والنصرانية. وهي خلو عن المعنى، والذوق، والشعور البديعي، ولهذا لا يسوغ اعتبارها معكساً للبدائع السورية، ولا نموذج انداع منبعث من روح سورية. لانرى لزوماً للاسباب في ايضاح تأثير تلك الهازيج التي تشبه الهازيج القديمة في

[٢] اتنا سنبحث عن ماهية هذه الاغاني في المجلد الثالث، المصمم على تاليفه

استأنبول بموالتي لا يتغنى بها الا اثناء الرقص ، وشاعرتهم للافواقي المسليقة . على ان هذه القطع تجلب النظر من حيث كونها شعوراً تامياً يشف عن سوية افواقي الناس . ولو قمعت طرابلس بهذه الاظف المبرجة التي هي مصدر لذواق ، وطرب طبقة اكثيفة من الناس لما كان محيطها نصيب من الشعر ، والصفة الادبية البتة . ولكن لها رجال يهيمون بمحاسن الشعر ، وبالعاجون ان يكون لهم انجاح بالتعبير عن شعورهم الذكية الطاهرة ، بالفاظ زهت عن كل شائبة وثين . ويجب اعتراف بأن الطبقة المنودة في طرابلس مشغوفة بحب تلك الآثار وعندها لها الاقبال العظيم .

اذا تنقبتنا عن ماضي طرابلس في الادب نرى ان شعرائها ، ومن اتقى الى الشعر فيها كلهم من منسوبي الطبقة العلمية . ولو صرفنا النظر عن ضاعت اسمائهم في جلي الاجيال الفائرة ، وبدأنا من القرن الخامس للهجرة ؛ من « ابن المنير الطرابلسي » حتى فصل الى القرن الثاني عشر وفيه « يوسف افندي الدوق » ثم شعراء القرن الحديث ، « الشيخ عبد الغني افندي الرافعي » و « الشيخ حسين افندي الجسر » . وحتى شعراء ايوم نراهم جميعاً من رجال العلم :

فاذا علمنا ان هؤلاء الرجال تخرجوا في المدارس العلمية ، وكان بعضهم يعد من فحول العلماء في عصره ، نطلع على ما يجب ان تختص به آثارهم من الاوصاف الميزة ، بنظرة بسيطة . وهانحن نتصفح كتاب « البدر التمام في مولد خير الازم » الذي نظمه المرحوم الشيخ حسين افندي الجسر ، ونتخذ ذريعة لايضاح المقام . ونكتفي بتحليل موضوعه واظهاره .

ان هذا المؤلف الذي الفه افضل علماء طرابلس ونشره سنة ( ١٣١٥ ) « هو كما يدل عليه اسمه يتضمن قصة المولد النبوي بعبارة منظومة ، وله قيمة عالية من حيث الشعر لانه منبعث عن انجلا ب ووجد ديني .

مهما كان موضوع الشعر معلوماً وعموماً ، فان النجاح باتقان الافادة والتعبير هو الذي يكسبه الميزة والحسن . لاسيما وان النجاح في هكذا مواضع فكرية يتوقف على ترفيق الموضوع بعواطف حارة وشعور حية . ويمكننا ان نسلم بنجاح « الشيخ حسين افندي الجسر » اذا نظرنا في مؤلفه من هذه الوجهة : ان فاتحة مقال هذا المصنف هي :

حداً لم يبعث النبي رحيماً  
بالمؤمنين وزاده تكريماً  
أنشاء من اصل زها تفخيماً  
وانار فيه الكائنات عموماً  
صلوا عليه وسلموا تسليماً

وهذا التأليف الخمس الذي بدأ بهذه القطعة لا يزال يتسلسل حتى النهاية على هذا النمط من الاسترسال ، وسهولة الذاكرة .

ان هذه المنظومة التي تتألف من مائة وخمسين قطعة لا جرم صدرت عن شعور حتى يتدفق بالوجد والهياج .

ثم حكى عن المشهودات التي تجلست أثناء الولادة النبوية وقال :

ورأت كأن جناح طير ابيض

مسح القواذ لها بمسح مرتضى

وقد ابدع الناظم في هذه القطعة التي جعل مطلعها هذين البيتين ، فيبينما كان يترجم عن شعور « آمنه » رضى الله عنها ؛ نفتت الروح الحقيقه في هاتيك الاذمنة الخشالية ، واجياها بسلاسل رحيقها ، وبهيف تسائها . وبملائكتها المنتظرين قدوم النبي وفي ايديهم اكواب الفضة ويطيورها التي تحفق بأجنحة من الياقوت والزمرد .  
ثم قال بعد الولادة :

اهلاً بشمس الكائنات وبدرها

اهلاً ببهجتها وغرة فجرها

اهلاً بحكمتها ونقطة سرها

اهلاً بحكم المرسلين عموماً

ما اوضح قناعته الدينية التي بينها وهو يرحب بقدوم النبي ، ويعرف انه شمس الكائنات وبدرها ، وحكمتها وسرها .

وقصارى القول ؛ ان « الشيخ حسين افندى الجسر » بتأليفه هذا طرق موضوعاً فكرياً لم يزل يطرقه الشعراء منذ الف ثلاثه عشر قرناً ، فشحنه بالشعور الحي الحار مع انه « مستعد لان لا يهيج الحس لاعتباد الاذهان عليه . ولهذا نرى الناس في طرابلس وغيرها مقبلين على هذا المؤلف اقبالاً عظيماً ، ويحبونه محبة شديدة .

وقد اضاف المؤلف الى مصنفه قدوداً اعدّها لتشد اثناء تلاوة المولد . ويوجد بين هذه القطع الصغيرة ، مما هو جدير بالاستحسان : ولاسيما خطابه لآل النبي ، حيث يقول فيه :

اضائتم شمساً بافق الحجاز

وفيكم انارت قلوب العباد

هداكم دعانا لخير المجاز

ففزنا جميعاً ونلنا المراد

اليكم شكونا صروف الزمان

وجاء الرزايا وطمم الطغام



وفيكم رجونا بلوغ الامان  
ونيل الاماني بدار السلام  
فيا آل طه اغثوا الدخيل  
وهنوا بوصل شفاء القلوب  
بحياه النهامى العظيم الجليل  
شفيع البرايا بيوم الكروب

وهذه الابيات تمتاز عن غيرها ، من حيث الوقع والمضمون . والمسحة الشعرية .  
ويروى ان للمرحوم مؤلفات لم تطبع ، غير هذه القطع ، وعليه لم نرمسها لابداء  
الراى دون ان نطلع عليها . ولكن لا بد ان تكون مشحونة بالحسيات الدينية كبقيّة  
مصنفاة .

ولا ريب ان الوصف الدينى والعلمى له نصيب فى « الشيخ حسين اقدى » أكثر من  
السجية الشعرية .

ونرى هذا لوصف الخاص يتجلى فى اشعار جميع العلماء الطرابلسيين ، بمن يضاهاى الشيخ  
المرحوم ، او يقاربه فى الوصف .

اما شعراء اليوم فانتا نخص بالبحث منهم « عبد الحميد اقدى الرافعى » ، وهو اشهرهم  
واعرفهم :

ولد عبد الحميد اقدى فى طرابلس سنة (١٢٧٨) . ووالده « عبد الفنى اقدى الرافعى »  
كان من اشهر علماء الثغر وشمراته . وينتهى نسبه الى « عمر القادوق » رضى الله عنه . وكان  
يتلقى علومه عن الشيخ حسين اقدى الجسر منذ حداثة ، وكان الشيخ لا يخلو من  
الاحجاب بذكائه الحاد لانه كان يحفظ القصيدة المولفة من عشرات البيّرات بتكرارها مرة  
او مرتين . ويبرهن عن قوة حافظته وفرط ذكائه . ون السليقة الشعرية التى رثها عبد  
الحميد اقدى عن ابيه الشاعر كانت تنمو بتأثير البواع الطرابلسيه من جهة ؛ وتنكشف بما  
يتلقه من الارشادات الادبية من والده وشيخه من جهة اخرى . ثم ان اشتغاله بالحصول  
المدرسى مقدار اربع او خمس سنين احدث له علاقة فى العلوم الشرعية واللغوية . ثم سافر  
الى مصر ودرس العلوم فى الكلية الازهرية مقدار اربع سنين ، ثم قفل الى وطنه . وقد  
صقل المحيط المصرى سجيته العلمية والشعرية .

وبعد رجوعه الى طرابلس استخدم فى بعض الوظائف العدلية ، ولم يلبث ان سافر  
الى دار السعادة سنة (١٣١٥) ، فالف كتابه (مدح السيد الرافعى) وقدمه لى ابى  
المهدى اقدى الذى كان من مقربى السلطان عبد الحميد . وعليه نال القائمة ورجع الى  
سورية . وكانت مأموريته فى قضاء عجلون والناصره والحصن . ثم احيل على التقاعد .

برهن عبد الحميد اقدى عن ذكائه ودرابته في كل وظيفة تقلدها، ومع ذلك فاز كان محكوماً لسجيته الشعرية . وقد بدل اللباس العلمى بعد تقلده القائمةامية . ولكنه لما نزل متمسكاً باوصافه العلمية . وهو على غاية من حسن الخلق والقوى ، وله الميزة الحقيقية بغضه وعلمه ، وهو شاعر قبل كل شيء ، ويعرف لدى منتسبي الادب بشاعر الفيحاء . وهو اليوم لا جرم اعظم شاعر عصرى في سورية . وقد كان في الدور السابق ينشر اشعاره بواسطة ابي الهدى اقدى ، اما بعد الدستور فشرع ينشرها في مجلات مختلفة . وانه لم يجمع اشعاره المتفرقة ، ويطلعها في ديوان آخر .

لقد ابداع عبد الحميد اقدى كل الابداع ، واقتدر على اظهار براعته وورقته الشعرية في ديوانه الذى اتحف به ابا الهدى اقدى ، ومع ذلك فان انفس اشعاره ، هى التى اشتهرت في مجلة الزهور المصرية . ومنها قصيدة « انشيب » التى مطلعها :

يا شيب عجبت على ابنى  
ظلماً فابن التورما اظلمك  
بدلت بالكفور مسكى وما  
اضواء فى عيني وما اعتمك

ان هذين البيتين اللطافين بتألم الشاعر من معالجة الشيب له ، فيهما الدلالة الكافيا على رقة شعوره . ، تراهة خياله . ثم قال بعد هذين البيتين :

” من يقبل الفاضح من سائر  
فهات ليلاي وخذ مريمك

وهنا ايضاً قد تفخ من روحه فى خياله حتى جعله حياً محسوساً .  
ثم قال فى آخر القصيدة :

يارب ما طال زمان العسى  
كانه طيف سرى وانهمك  
وهكذا لا يام تطوى بنا  
سبحانك اللهم ما اعظمتك  
رضيت يا ربى بما ترتضى  
فلا نخيب مذنّباً يترك  
وانت يا شيبى خذنى الى الـ  
تقى عسى الرحمن ان يرحمك

وها تسلطت القوة الديانة على الشاعر منقلته الى الديار اذكورية ، ولكننا لم نصدق عن عرش شاعريته .

وله قصيدة عنوانها «عطاء الحبيب» نشرتها مجلة الزهور أيضاً، وهي من قصائده الغراء.  
وقد قل في مطلعها :

سلوها لماذا غير السقم حالها  
تري شغفت حبا والا فما لها  
ثم شرع يث الى محبوبته ، ادق شعوره ، وانزهها . فقال :  
وكم ضربة قاسيت من اجل حبا  
اجوب الفيا في سهلها وجبالها  
ولولا الهوى ما هام في الكون واحد  
ولا فارقت اسد العرين دحالها

ويمكن ان يقال ان الشاعر توفق في هذه القصيدة الى التعبير عن جميع اضطراباته  
الغرامية ، بلسان رقيق ومؤنس .

وله قصيدة اخرى نشرها في المجلة عينها وسماها ( سجن الهوى ) ، ومطلعها :

اصل سقى من الميون السقيمه  
وانحنائي من القدود القويمه

وقصيدته التي عنوانها « الى شاعر الامير » . وقد خاطب بها احمد شوقي ، اشهر شعراء  
العصر في مصر . ومطلعها :

خلق فكري في سماء الخيال  
وساح في سوح المعاني وجال

وها من غرر قصائده .

٦١ بد ان اذكر بضعة ابيات لعبد الحميد افندي قاهم متحسناً كبقية الطرابلسيين في  
خال بين حاجيين :

#### الخال

قلت لخال بين حاجيها  
انت الذي تلعب بالسيفين  
فقال لا لكنني عنبرة  
تمد من دخالها قوسين  
اصون بالبخور حسن وجهها  
خفاً عليه من سهام العين

وهذه القطعة هي نموذج للشعر الشرقي يحثها عن اللعب بالسيف ، واستعمال البخور ،  
ونظرة العين ، من العوائد الشرقية وقصارى القون ان الصفة الخاصة في شعر عبد الحميد

أقدي، هي الرقة والاندية. ولا مخرج على الطرابلسيين مهما اقتضوا بهذا الشاعر الفرد. ولهذا فان اشعاره لا تزال تهفو اليها القلوب في طرابلس وسائر الأقطار والامصار. واسرة «الرافعي» التي ينتهي اليها عبد الحميد أقدي لم تزل مصدراً للشعراء الجيدين، ولهذه الاسرة شعبة في مصر، نسخ فيها مصطفى أقدي صادق الرافعي ابن عبد الرزاق أقدي الرافعي، المولود سنة ١٢٩٨ في قرية بهيم من اعمال مصر، هو اليوم من الطبقة الاولى بين شعراء القطر، وله ديوان اشعار جمعه في ثلاثة مجلدات. وله تأليف آخر سماه «النظرات».. (\*)

\*  
\*  
\*

علمنا من هذا الاجال في ادبيات طرابلس ان محيطها البديع نال على الحظ الاووي من هذا الفن الجميل. ولها اليوم عدة شعراء من الشبان، ينتظر الآتي منهم التجراح الكامل. وعليه فان القلب مطمئن من آتي لادبيات في هذا النثر، ولكن فن الموسيقى لم تنجلي عنه الغشاوة الاهالية هناك وبالإلأسف.

هذا وان كان أكثر من نصف الطرابلسيين رجالاً ونساءً يحنون الى اعيادهم. ويحبون انين اراغهم «بيانو» وأكثرهم يستمد سروره من صوته مطرب. ولكن لا نعثر على دليل يبرهن لنا عن ابداعهم شيئاً في هذا الفن الجميل. والرقص ايضاً لا يزال مهمللاً كالموسيقى، وهو على حال ابتدائي. اما الفنون الجميلة الاخرى، فلا اثر لها في ذلك القصر ولو ان الطرابلسيين غمسوا مرسمهم «فورشاة رسم» في الوان محيطهم البديع لتسفي لهم ابداع صحائف لا مثيل لها. اما الفنون الباقية، كالحجرات الهياكل ولتماثيل، وفن المعمارى فلا ادري باى حق نستطيع ان نتحرى عليهم. انه اولى لنا واسلم ان نسكت على مضمض ونكتفي بالموجود ونقتنع به.

## ٨ — النهضة العلمية، وحياة الطباعة

[١] — النهضة العلمية — اذا اردنا الاطلاع على درجة النهضة العلمية في طرابلس يجب علينا اولاً ان نلفت لفتح المؤسسات التي هي مصدر العلوم، ثم ندقق انؤافات الموجودة، اى نضطر للاقبال على تدقيق النتائج المادية والمعنوية. سبق لنا ان بحثنا عن المؤسسات العلمية التي هي اقوى المؤثرات في النهضة العلمية. فاداءً سجلنا ما فعلنا هناك، نصل الى اساسين :

(١) — المدارس العلمية ؛ (٢) — المدارس الرسمية .

ان قيام المدارس العلمية في طرابلس بنهضة علمية ، هو مما لا ينكر . ولكن يجب علينا ان نثير ماهية تلك النهضة . من المعلوم ان العلوم التي تدرس في هذه المدارس هي العلوم الشرعية واللغوية فقط ، ولهذا تكون ماهية النهضة منحصرة في تعلم التفسير والحديث والفقه . وعلم الكلام من العلوم الشرعية ؛ واللغة والصرف والنحو ، والبديع والبيان وغيرهم من العلوم اللغوية والادبية .

ثم اذا علمنا ان اكثر المتخرجين في مدارس طرابلس ممن ايد النهضة العلمية باشتغاله بالتدريس ، وتأليف الكتب ، كان من المخرجين في كلية الازهر ، نعلم ان المؤثر الحقيقي في النهضة الشرعية والادبية . هي المدارس المصرية .

لا دور في خلدنا ان تؤمن بلا ترو ان هذه النهضة على شكلها المعلوم خلقت الاتباء ، والرؤى الكرى ، بل نجد من الضرورى ان ندقق الزمان ، وننظر الى ماهية العلوم التي كانت النجاسات لتلك المدارس .

نت اصول التعليم قبل العصر الحاضر الذي توجهت فيه العلوم والفلسفة الى غايتها الكمية ، مبنية على النظريات القديمة ، وعلى فان المناهج والحيليات التي غشيت اصول التدريس في ذلك الدور ، هي جذيرة بالحق والاعضاء ، اما بعد الآن او بالاحرى في هذا العصر الحديث ، فلا يسوغ للمدارس ان تحفظ عن تقائصها القديمة . لاسيما اذا علمنا ان العلوم الدخيلة والآلية كانت تلعب الادوار الخطيرة في المدارس القديمة الراقية ، فبماذا تفسر اليوم عدم تمكين العلوم المصرية من نارة هذه الحجرات التي حققتها الظلمة ، ام كيف يمكن الاتباء والرقى ، اذا اتقينا بالعلوم الشرعية ، ودراسة الادبيات على شكلها المدفون في بطن الفرون الحالية ، رأهنا المعلوم المبتنة والتجريبية ، واغضينا عن الاصول الحديث وهم من امهات المؤثرات في حصول اليقظة ، وتطرق منهاج الكمال . . ؟

هذه الاسباب لا يجوز لنا ان نلوم لعلماء الذين سجلت اسماؤهم في تاريخ العالم الطر ، قبل هذا الدور اما منتسبو المدارس في هذا العصر فلا يبدرون على ابتعادهم عن ارضي العصري ، ولا يحذرهم ان يكثروا واقفين على علوم بلغت كمالها في انثرون الماضي ، ويجهدوا انفسهم لتأليف كتب لا يمكنهم ان يبلغوا بها كعب الفطاحل من العلماء الاقدان ان سعيهم هذا مردود في الحافرة . وانهم عليه للمومون

... وان يكن وجه بينهم غامض تضلعا في علوم التي اختصوا بها ، ونالوا الشهرة العظيمة تدريسهم العارم في المدارس ، ويمثله انهم المطبوعة وغير المطبوعة ، مثل « الشيخ درويش اندمري » و « الشيخ عبدالله الصدى » و « الشيخ عرابي » و « الشيخ محمود النشاب » و « الشيخ عبد العزى الراقى » وغيرهم من العلماء الاجلاء . على ان النهضة

الطبية التي قام بها هؤلاء العلماء في طرابلس ، كانت واقعية الفتيحة لانها لم تستهدف الفلانة المصرية ، حياتية او علمية ، ولم يمازجها شيء من فلسفة العصر الحديثة . ولهذا فان هذه النهضة لم تكن تحدث شيئاً من الالتباء واليقظة التي تناسب هذا العصر ، تريد قبل ان نتم بحثنا عن المدارس ؛ ان نبحت عن ادراك هذه النقائص ، وحاول تلافي الامر ، بمزج الاحكام الدينية ، بالاحكام الفنية والفلسفية .

ما لبث هؤلاء ان نهضوا وشرعوا بالسعى لتحقيق امانيهم ، ولكن عدم اطلاعهم على الفلسفة ، والعلوم المصرية اوقعهم في عسر الاشكال ، ومع هذا فاننا لا ننكر انهم توفقوا الى تبديل الحركة القديمة — وان لم يستطيعوا توجيهها الى هدفها الحقيقي — واوجدوا في محيطهم استعداد التوجه في الآتي الى هذه الغاية المثبتة .

نخص بالذكر منهم « الشيخ حسين افندي الجسر » الذي بحثنا سابقاً عن منظوماته . ولد هذا العالم في طرابلس سنة ( ١٢٦١ ) هجرية . ومنذ حدثه اخذ يتلقى مبادئ العلوم من « الشيخ عرابي » الذي كان من اشهر العلماء في عصره ، ومن صهره « الشيخ عبد القادر افندي ، الرافعي » . ثم سافر الى مصر سنة ( ١٢٨١ ) واقام هناك الى سنة ( ١٢٨٥ ) يتلقى علومه في الكلية الازهرية من « الشيخ الانبائي » ومن « الشيخ عبد القادر افندي الرافعي » مفتي الديار المصرية . وبعد ان اتم الدراسة قفل الى وطنه في هذا التاريخ . وشرع يشتغل بالتدريس في المدرسة « الرجبية » ، وخف اليه كثير من التلاميذ . وكان يدرس العلوم الشرعية ، والآية ، والدخيلة ، وعلم الكلام . ويلقب ملك الامام « مخر الدين الرازي » ايضاً .

اسس الرهبان « فره » مدرسة في طرابلس سنة ( ١٢٩٧ ) فرأى الشيخ حسين افندي ضرورة تأسيس مدرسة اسلامية في هذه البلدة ، ونهض فأسس « المدرسة الوطنية » وكانت تدرس فيها العلوم الشرعية وغيرها ، واللغة الفرنسية . وقد حصلت هذه المدرسة على الرغبة العمومية لانها كانت تقبل التلاميذ من غير المسلمين ايضاً . حتى انها حصلت على تقدير مدحت باشا الشير ، وعاجبه . ولكن لم يطل امر هذه المدرسة ، بل عطلت سنة ( ١٢٩٩ ) ثم بعد سنة اسست المدرسة السلطانية في بيروت ونصب الشيخ حسين افندي مديراً لها . ولكنه لم يلبث فيها الا مدة وجيزة ، ثم استقال منها ورجع الى طرابلس وعاد الى تدريساته المدرسية . ثم نشر رسالته الدينية المشهورة المسماة بالرسالة الحميدية التي ترجمها اسماعيل حقي افندي الماستلي الى التركية ، وفسر مضمونها احمد مدحت افندي . ويروى ان هذا الكتاب نقل الى الفرنسية ، ولغة « اردو » ايضاً .

ان هذا المؤلف اظهر الى الناس علو مقام الشيخ حسين افندي ، واعلى رفقته . ثم دعاه السلطان عبد الحميد سنة ( ١٣٠٩ ) الى العاصمة ، فذهب اليها والف كتاب التوحيد

الذى سماه « الحصون الحميدية » فى قصر بيلاديز . وقد بحث الشيخ فى هذا الكتاب عن الشبهات الدينية ، وتونخى فيه التأليف بينها وبين الاسس الفلسفية والفنية الحديثة . ونقل هذا الكتاب الى التركية بquam « يابان زاده مصطفى ذهنى باشا » .

اقام الشيخ حسين افندى فى العاصمة مقدار تسعة اشهر ، ثم رجع الى طرابلس ، وعاد الكرة الى العاصمة مراراً عديدة ولكن كان يمضى اكثر ايامه فى طرابلس وكان يشتغل بتدريس العلوم فى جامع ( طينال ) [\*] ، ونور كثيراً من الطلاب بهذه الواسطة . ولم يزل منكباً على هذه المهنة حتى عاجلته المنيّة سنة ( ١٣٢٧ ) هجرية .

والف الشيخ حسين افندى كتاباً سماه « مذهب الدين » بحث فيه عن ازالة الشبهات الدينية بلسان عامى ، وله فى جريدة ( طرابلس ) مقالات عديدة ، دينية واجتماعية . وقد جمعت اداة الجريدة جميع هذه المقالات ودونها فى كتاب مخصوص ، وسماه « رياض طرابلس » .

ومن مصنفات الشيخ المطبوعة منظومته المولدية المسماة بالبدر التمام فى خير الانام ، التى مر علينا بحثها فى فصل الادبيات . ويروى ان له ديوان اشعار غير مطبوع حشد فيه اكثر من ستة آلاف بيت من الشعر وتأليف آخر فى البديع والبيان اسمه « الجوهر المكون » وهو لم يطبع بعد .

فاذا معنا فى مصنفات الشيخ حسين افندى ، بصرف النظر عن قيمتها الادبية التى مر ذكرها فى البحث الخاص ؛ نجدها مبنية على فكرة دينية . وعليه فان الافكار ، والاسس الاجتماعية والفلسفية التى وجدت فى تلك المصنفات ، ما هى الا واسطة لاطهار تلك الغاية الاساسية . ولهذا نرى من الضرورى ان نضرب عن ابداء الرأى ، وبيان الفكر عليها :

ولا بد لنا ان نعترف بعلو مدارك الشيخ حسين افندى الذى اطلع على احتياج الناس ، واطلق العنان لقلمه على ما يناسب المقام مع شدة تمسكه بمحافضة القديم . ونجح بان التقي بمقالاته فى المحيط ، وعالم الطباعة حركة محسوسة . ونسلم بمزيتة العلمية وفضله .

\*\*\*

ها نحن ننقل البحث الى المدارس الرسمية او الحديثة ، بعد ان بحثنا عن النهضة العلمية فى المدارس الشرعية او القديمة .

نعلم ان هذه المدارس خلقت لاجل افهام الناس ضروريات المدنية ، وتعليمهم الفنون الحديثة واللغات الغربية ، واخذت على عهدتها اكمال نواقص المدارس القديمة ، واعداد

(\*) يعرف عند الطرابلسيين باسم ( طيلان )

نهضة علمية ، وتكوين محيط ، نور يضم الحرية والمدنية . ولهذا فالتا سندوس هنا المدارس الحديثة التي اُسست في طرابلس ، ونسعى لتطلع على درجة انطباقها على هذه الغايات .  
ذكرنا سابقاً ان المدارس الحديثة الرسمية او الخصوصية تنقسم الى ابتدائي وتال ، ثم رتبنا جدولاً حررتنا فيه عدد الذين تخرجوا في هذه المدارس ، والحفا بهم المتخرجين في مدارس بيروت واستانبول واوروياً . ومن هذا نعلم ان قد وجدت في طرابلس طبقة منورة ، عندها المام بالفنون الحديثة ، ومعرفة بالمدنية واسباب الرقى ، وانها لا تزال تتدرج بالازدياد والتكاثر .

ولكن ما رأينا الى الان احداً من هذه الطبقة التي تقلد أكثرها بوظائف الدولة ، اوجد مصنفاً مادياً يخدم به العلم والعرفان . وهذا يدلنا على ان هذه الحركة العلمية التي كان الواجب فيها ان تستهدف النور المحض ، لم تجد قدرةً للمثابرة على سيرها في هذا الزمن ، ولهذا السبب لم ينضج لها ثمر . ومع هذا فلا بد ان يأتي يوم ينبغ فيه ذوو الاختصاص من ابناء هذه الطبقة ، وهناك يكون للعلم ما يشاء من الحظ الاعلى في مساعيهم وخدماتهم .

لا بد لنا ان نستثنى من اجمالنا هذا رجلين جديرين باحسن الذكر من رجال طرابلس . وهذان الركنان هما من متخرجي المدارس الحديثة ، وهما بمثابة مبشرين للنهضة العلمية في طرابلس . وهما « نوفل افندي نوفل » و« جرجي افندي نجي » .

اما نوفل افندي (\*) فقد ولد في طرابلس سنة (١٨١٢) ميلادية . وهو ينتمي الى اسرة مسيحية عرفت بقدماها . وابوه « نعمة الله » وجدوه « جرجس نوفل » . وقد اشتهرت هذه الاسرة بخدماتها في الدولة العثمانية منذ أكثر من ثلاثة قرون .

درس نوفل افندي العلوم الابتدائية في طرابلس ، وتعلم مبادئ اللغة العربية ، وتلقى عن والده الحظ والانشاء . ثم سافر والده الى مصر سنة (١٨٢٠) واخذ معه ، فدخل هناك المدارس الحديثة التي اسسها محمد علي باشا . وبعد ان اتم تحصيله انتسب الى قلم التحريرات في الديوان الخاص الذي كان ابوه مستخدماً فيه ومكث هناك مدة .

رجع نوفل افندي الى طرابلس سنة (١٨٢٨) ورغماً عن حدائه سنة استخدم في مأمورية المحاسبة في طرابلس واللاذقية مقدار سبع سنين . ولما قدم ابراهيم باشا المصري — الذي قتل ابا المترجم نعمة الله افندي سنة (١٨٣٠) — الى سورية اراد ان يكفر السيئة التي اقترفها فدعى نوفل افندي اليه واحسن صلته .

تقلب نوفل افندي في عدة مناصب ادارية ومالية في انحاء سورية الى تاريخ (١٨٦٣)



ثم جاء الى بيروت ونصب ترجماناً في القنصلية الألمانية ، ثم في القنصلية الاميركانية . ثم ادركته المنية سنة (١٨٨٧) ميلادية .

أضى نوفل أفندي عشرين سنة من اواخر حياته في سعى متصل . وكان يشغل بمطالعة الكتب . وكان له مكتبة فيها مائة من الكتب التركية والعربية . وقد وقف هذه المكتبة الى المكتبة الاميركانية ، وعليه فقد سلمت بعد وفاته الى هذه المكتبة .

كان نوفل أفندي يتصفح المصنفات من جهة ، ويحرر المقالات والرسالات والكتب من جهة اخرى . وكان ينشر مقالاته في مجلة « الجان » وجريدة لسان الحال .

وكان يترجم في بعض الاحيان كتباً عن التركية . وقد نقل الى العربية عن التركية « قانون المجاس البلدية » و « اصل الجراكس » و « مقدمهم » و « الدستور العثماني » و « حقوق الدول » .

ولا جرم ان مصنفات نوفل أفندي هي البرهان الناطق في الدلالة على غزارة علمه ، وسعة اطلاعه . اما مصنفاته فهذه اسماؤها :

١ — ( زبدة الصحائف في اصول المعارف ) . طبع هذا المصنف في بيروت سنة (١٨٧٣) . بحث نوفل أفندي في هذا الكتاب الضخم عن تاريخ العلوم القديم والحديث عند الامم المتقدمة . ثم عن تاريخ فلسفة الكلدانيين والفيثقيين والاييرانيين والهنديين والصينيين والمصريين واليونانيين وعن فرق الفلاسفة ، وبالنهاية عن فاسفة العرب . ثم نقل البحث الى اصول العلوم وتاريخها ، وبحث عن المنطق واللغة وغيرها . وبعد ان بحث عن اصول العلوم الرياضية والطبيعية والطبية والتاريخية والجغرافية ، انتقل الى العلوم الحديثة وبين الآراء الفلسفية والتاريخية في علم الطبقات الارضية الكيمياء والمعادن والنباتات .

٢ — ( زبدة الصحائف في سياحة المعارف ) . وهذا الكتاب يبحث عن استحداث الفلسفة والعلم وتداولهما .

٣ -- ( سوسة سليمان في اصول العقائد والاديان ) . وهذا المؤلف عبارة عن تاريخ مفصل في اديان .

٤ — ( صناعة الطب في تقدمات العرب ) . وهذا الكتاب يشهد بؤلفه بتضامه في الادبيات العربية ، وسعة اطلاعه على اخلاق القوم وعاداتهم .

بحث في مئة مئة هذا الكتابة عن الاحوال الجغرافية في جزيرة العرب ، ثم انتقل الى العرب فبحث عن اقسامهم وديانهم ومعادهم اخلاقتهم ونحمتهم ، فصحاتهم ، ثم ذكر اسلحتهم وحرهم وتكلم عن الادبيات العربية . ونيل هذا الكتاب بفضل تاريخية بحث فيها عن الحكومات العربية منذ الخلفاء الرشدين الى العباسيين .

٥ — ( الرد على الغضنفي ) . وهو كتاب شقادي .

وقصارى القول ان نوفل افندى من الذين لهم الموقع الاسمى في تاريخ العلم السورى  
لا فى النهضة العلمية الطرابلسية فقط . وعليه فليقتخر الكيان العلمى فى طرابلس بما خلفه  
هذا المبشر المبجل من الآثار النفيسة .

\*

ان المبشر الثانى للنهضة العلمية فى طرابلس هو « جرجى افندى بنى » كما  
ذكرنا سابقاً :

درس جرجى افندى مبادئ العلوم فى طرابلس، ثم دخل لكلية الاميركانية في بيروت  
واتم تحصيله فيها، ثم انكب على مطالعة الكتب الفلسفية والاجتماعية والتاريخية، وامتد  
يداب لتأليف الكتب. وبعد اعلان الدستور اتفق جرجى افندى مع اخيه « سموئيل  
افندى بنى » واسس مطبعة « الحضارة ». وانشأ مجلة شهرية سماها « المباحث ». وسد  
مكانات هذه المجلة تضم المقالات التاريخية والاجتماعية، والادبية والفنية .  
ودامت هذه المجلة الى اوائل ايام الحرب العامة . ان « جرجى افندى بنى » مؤلفان عريضة  
نكتفى بان تذكر من مطبوعاتها « تاريخ سورية ». طبع هذا التاريخ سنة (١٨٨١) فى بيروت.  
وهو زبدة اتماع جديدة، ونتيجة تدقيقات عميقة؛ ويتناثر سمانة صحيفة، ويتألف من  
مقدمة بحث عن الاحوال العمومية فى سورية، ثم من مجمل تاريخ اسم السورية منذ  
الفنيقيين الى يومنا هذا، ثم يتبعه اجمال تادى بنى عن اشهر ابلاد السورية، وان اندية  
التي تجت فى هذا الكتاب هى جديرة بالذكر .

وقصارى القول ان جرجى افندى الذى اربى سنه اليوم على الحسين، يعتبر من اركان  
النهضة العلمية فى طرابلس ومؤلفاته وسعة اطلاعه .

[٧] — مبات الطباعة — ان نهضة المدنية التى نهضت فى طرابلس فى اثنى  
الاحيرة، كانت سبباً لايجاد الحياء فى الصناعة المنشرية .

نعم اذا نظرنا الى ازدياد عدد المطابع والجرم فى طرابلس على مر ايام، وندمنا ان  
النشريات الطرابلسية وغيرها تنفق فى ربوع طرابلس، وتروج نحكم بان للطباعة فى تلك  
الحيط « ستة لآ حسنة ». هذا وان كان اكثر الجرائد الموقوتة التى تنشر فى طرابلس، بدة  
عن المزة النشرية التى يمدن التبرع، — كما يقوله المحققون —، وعادة ما يه  
التجادة التى يجب ان تكون من لدرجة ثنية؛ مع الاغماض عن الغاية الاساسية فى  
الصحاف، ولكن لا يسوغ لنا ان نطالب طرابلس بالطباعة الحديثة بهذا الكم الذى يسط  
فيه مرور الايام الطوال . ولا بد من هكذا ادور بتدائه يمر عليها هذا الطفل بحبه،  
فى اى محل كان . وعليه فان طرابلس مودة على هذا النقص .

إذا رأى لا يهمل ، على أننا لا تقوى على قطع مرحلة تمتد اثني عشر ساعة ، من طرابلس الى طرطوس . لا سيما على ظهور الخيل :  
لو سلمنا بوصولنا الى الشمال :

- ربعد ... متى نتجول في الداخل ؟  
مع أننا كنا نهموا الى تسلق الجبال ، واجتياز الانهار ، وقطع السهول ، او بتعبيرنا المشتبه الى لانيماس في عمان المجنولات .  
-- فاذاً الى حلبا ... سفر في المركبة لا يتجاوز بضع ساعات ، ثم من ورائه الدال ليجت ...  
هذا الاقتراح الذي لا يخطر لي الآن هو صاحبه ، كان في نظرنا مناسباً ومقنعاً ، حتى لم نتردد بشأن قبوله البتة .  
- المركبة ؟ ثم حلبا ، مركز قضاء عكار :

بعنا في العد على مركبتنا ، والشخص كانت ناهضة في الافق ، قريبة من الزوال .  
نا نسير على الطريق المحاذي لبقية الخطوط الحديدية المتروكة في الجهة الشمالية من طرابلس ، ونمر على الجسر الجديد فوق نهر ابو علي ، ونرى المنازل الجديدة في طرفي الشاح يتسم لنا . ثم بعد برهة تركنا طريق الفة على يميننا واخذنا نطوي المراحل الى السما . هانحن نسير بين اشجار الزيتون الخضراء . ودام طريقنا على هذا النمط مقدار نصف ساعة .

صا الى موقع « البداوى » الذي هو من الطف مقاصف طرابلس . وكان هذا الموق مارة عن بضعة بيوت واكوخ ، ثم يسير من الاشجار . ثم على يسار الطريق جامع صبر ، وصحن مبلط بـ « تجارة » وبحيرة ينبع منها ماء كمين الديك ، ياخذ البصر ببيئة . وهذا الموضع الذي ضم مزارا لاحدا اولياء هو على غاية من القدسية في اعتقاد القو . واسماكه الكثيرة التي رافقت الاعوام لا تزال مصنونة عن التعرض بتسلط ذلك الاعاء التين .

كرنا هذه الاسماء بمعتقد الاقوام القديمة . لانهم كانوا يتخذون الاحواض قريبا من ، نيب ، آهتهم ، وان احرص الذي اعد امام هيكل « عشتروت » كان فيه اسماء لا تعد ولا تحصى [\*] .

ان فارقنا موقع البداوى ، تحولت وجهة الطريق من الشمال الى الشمال الغربي .

--

وكانت الرياض تتراى عن يسارنا من بعيد على امتداد الساحل . وعلى يميننا وى «التربل» وكنا نسلك طريقاً صعباً ، وما لبث ان هب من جهة الغرب ريح زعزع ، خلق بحراً من العجاج تلتطم امواجه على امتداد الطريق . وكانت الشمس قريبة من الزوال ، وسلط علينا ذلك اليوم القموزى ثلة من ناره شوت اجسادنا ، وكبدتنا اشد العذاب .  
مررنا الآن على الحقول المزروعة بالذرة ، وها هو البحر الازرق تتدفق امواجه وراء تلك الحدائق الخضراء .

انتهى منظر الرياض عن يسارنا بعد نصف ساعة ؛ وكنا لا نفتأ نطوى المرافات في سكة طرابلس - حمص . وكانت على يسارنا كسارة الاحجار في السكة الحديدية الى تمتد الى حمص كأنها انقاض عمرانية ، وطريقنا ايضا كان مفعماً بها . ولهذا كانت مركبتنا تسير بصعوبة .

ثم بعد برهة تركنا مخفر (تاتور) على يميننا ، وابصرنا على يسارنا رأس (عبد) وكان بعيداً . ثم طفتت تتراى عن يميننا القرى المتقطعة . فررنا بقرية «دير عمار» النائية في جانب جبل التربل ثم بقرية «البرج» و«برج اليهودى» وغابت عن انظارنا بسرعة . كانت وجهتنا دائماً الى الشمال . وكنا تقرب من قصبة (مينيه) التى احيطت بشجر الزيتون وكانت تتراى لنا كيدان محشة بالحضار ، لا على شكل مركز لناحية .

لا تزال مركبتنا على سير متواصل وانقلب الطريق الصعد الى منحدر سهل ، والمنظر امامنا عبارة عن شئ من جبل ، وضع حدائق مزروعة وطريق فاسد ، وانقاض السكة الحديدية ثم البحر . . . لم يدم هذا المنظر الا قليلاً ، ثم اجتزنا «نهر الخاضة» على جسر صغير . وها نحن بين البساتين المحيطة بمينيه .

استحال طريقنا بعد ان غادرنا بيوت القصبة الى ادفال خضراء . وكنا نرى دئى الاثمار من رجال ونساء امام جميع ابواب البساتين التى اقامها القدم ، مرتكمة امامهم على التراب اكوام الاثمار من ليمون وكثرى وقناح وبطخ وخوخ وغيرها : وكل افراد العائلة يتغفلون بالبيع . ونساء الماسمين هنا يلتفون النظر بازدهم . مع ان نساء القرى فى القسم الجنوبي لا يعبئون بهذه الدثر .

مازلنا نسير على طريق طرابلس - حمص . وعلى يسارنا البحر وسكة الحديد ، وعلى يميننا الرى الصغيرة . غادرنا قرية «المحمرة» وبعد مدة اجتزنا جدول «النهر البارد» على جسر حجرى . ورأينا عن يميننا خرابة كانت محطة لمركبات الجر الكبيرة «ده ليژانس» ، ثم مررنا نراضى خالية ، ووصلنا الى محطة «عب» الكائنة على الساحل الشرقى من مرفأ صغير . وهى عبارة عن خانين متداعيين ، وكوخ صغير للمحطة .

لبثنا قريباً من ساعة في هذا الظل الحزين من عبده ، تلك الروضة الخضراء الساحلية ؛  
ثم عدنا الى السير على الطريق . وبعد قليل تركنا سكة حصص ، ولوينا العنن الى الشمال  
الشرقي ، وسرنا في طريق حلبا .

هذه المسلة من الغرى ترائت لنا عن اليمين . وهي تمتد من قرية « تبنين » ، من  
« وادي الجاموس » ، متسللة الى حلبا .  
كانت تلك لقرى تظهر متوالية ، وكنا نعيد بسيرنا عن البحر الذي يعشى البصر ،  
ونركض نحو الداخل .

سرنا مدة بين الحقول ، ثم ابصرنا عن يسارنا من بعيد قرية « القليعات » ، وكانت  
الجداول الصغيرة التي تحلب من الجبال تركض عن يميننا لتقطع علينا الطريق ، ثم  
ترأثت على بعد قرى « القبة » ، وادي السليم ، كفر مالكة ، ميرليا ، تل الحياة ، عن يسارنا  
وانحلت عن يميننا قرية « بيت حداده » ، و « طنيطره » .

وبينا كنا نمر على اليمين بقرى « ذوق الحصنة » ، الجباصه ، الجرد ، المشالحه ، والحاكود ،  
كانت الفسحة بين الجبال عن يميننا وبين البحر المرئي على بعد تسع بحقولها  
المزروعة .

تسود السكينة اليوم على هذه الربوع التي استخدمها الفتيقون السنين الطوال في زرع  
حبوبهم . وما من شيء يخل بهذا السكون الا ما يمر بنا من المكارية ارباب الجمال والحميز ،  
ثم على البعد في بعض الحقول المحصودة يوجد بضعة جمال واقفين ترجمهم شمس تموز  
بشررها المحرق ؛ يستظل بهم قروى ملقى بنفسه على الارض ، او واقف يستريح وعصاه  
من وراء رقبته على كتفيه . قابض على طرفيها

ثم بعد الزوال بساعتين ، مررنا من « نهر النزقا » وهو يجري في واد بين هضبتى  
« الحاكود » و « المينارا » .

بعد ان اجتزنا حسر العرقا ، انعطف طريقنا الى الغرب وبدأنا نسير في مرتقى ، ها  
نحن نتسلق جبل « ميربلا » .

عن يه اذنا مرج لا تحيطه مراعى النظر من الاتساع ، يمتد حتى ساحل البحر وعن  
يميننا قرى « داردلولوم » ، كرم العصفور ، منياره ، تناسل ورا . بعضها .

ثم بعد ن ترائت قرية « الجديدة » ، اصبحنا في سهل مستو ، نطوى المسافات على يسار  
المرج . ثم بعد ثلاث ساعات من الزوال قربنا من حلبا الممتدة بهدوها في جانب هضبة  
صغيرة . وهذه القرية الصغيرة المؤلفة من بضعة بيوت كانت تشعرنا لأول نظرة بانها  
بعيدة عن ان تكون مركزا لقضاء .

## ١ - موقع قضاء عكار وعمره

ان هذا القضاء عبارة عن اراض جبلية تمتد من الجهة الشرقية الى الشمال من مركز لواء طرابلس الشام . ويحده من الشمال قضاء صافيتا وحصن الاكراد ، ومن الشرق قضاء حمص ، ومن الجنوب لواء لبنان ثم البحر الابيض من الغرب . وطوله سبع ساعات ونصف من قرية «عدوه» الكائنة على حدود ناحية ضنية الى قرية «خربة الغزال» القريبة من قضاء صافيتا ؛ وعرضه من مرعى جردميرى الى قرية شبنخ (ناد الكائنة على الساحل يقرب من تسع ساعات .

## ٢ - مساحة القضاء وعمره

١ - مساحة قضاء عكار تبلغ ٣٧٦٨٤١ دونماً . منها (٢٨٥١٦٣) دونماً من الحقول و(٩٠٢٨) من مشجرات التوت والزيتون ثم (٢٥٦٢) من الكروم والبساتين . اما الباقي وهو (٣٠٠٨٢) دونماً هو مخصوص لرعى الحيوانات .  
اما عدد السكان فهو على ما يأتى :

جدول سنة ١٣٣٢

الذكور	الاناث	
٩٧٧٠	١٠٥٣٧	المسلمون
٦٩٦٧	٥٨٥٢	الروم الاورثوذكس
٤١٨٩	٤٠١٩	المارونيون
٣٥٦	٣١٣	الكاثوليك
١٨٥	١٧٥	البروتستانت
٢١٤٦٧	٢٠٨٩٦	يكون
٤٢٣٦٣		

كان عدد عموم السكان سنة ١٣٢٣ (٣٠٩١٢) نسمة . فتكون الزيادة في مدة عشر سنين «١١٤٥١» نسمة ومن العيب ان نحاول الاطلاع على اسباب هذه الزيادة . لان قيود

النفوس في هذا القضاء الذي تكون أكثر أنحائه من جبال عكار لم يعتنى بها كما يجب ، والاحوال الصحية ايضاً لم تعطى حقها من الدروس والتنقيب . ولهذا نرى ان سهل الطرائق حل هذا المعنى ، هو حمل هذه الزيادة على سقاية القيود الرسمية . اما اللدات والوفيات في القضاء فهي على ما يأتي :

كانت اللدات في هذا القضاء سنة ١٣٢٧ (٢٦٣) ، وسنة ١٣٢٩ (٥٢٥) ، وسنة ١٣٣٠ (١٨٠) . والوفيات (٩٥) و (١٦٤) و (١٥٧) في السنين الثلاث . ويجب ان لا نعتقد بقيام القرويين المبعثرين في أنحائه جبال عكار ، بوظيفة الاخبار عن حادثات النفوس . ومن المحقق ان هذه الارقام حررت في سجلات النفوس بحسب الالهواء ودرجم الظنون .

### ٣ -- الاحوال العمومية في القضاء

يمكن تقسيم القضاء الى ثلاثة اقسام حسب طبيعة التكون . فالقسم الاول شبة عن السهول ، وطوله ست ساعات ونصف وعرضه ثلاث ساعات فقط ، وارضيه عبارة عن الاتربة اللحية كما هو الحال في سهول طرابلس وهو على غاية في الانبات ، ولا سيما الانحاء الريانة منه . ويوجد على الساحل سلسلة من الهضاب تبعد عن بعضها مقدار ساعة ، وتوجد فوق كل واحدة منها آثار لقلاع منهدمة .

اما القسم الثاني فيسمونه « الوسط » ، والثالث « الجريد » وارتفاع الاول عن سطح البحر يتراوح بين ( ٣٠٠ ) و ( ٦٠٠ ) متراً . اما ارتفاع الجريد فهو يتراوح بين ( ١٠٠٠ — ١٥٠٠ ) متراً على التخمين . وهذا القسم الثالث الذي هو اعلى نقاط هذا القضاء لم يزل مستوراً بالاحراج الكثيفة حتى العهد القريب . وشجر الزيتون والتوت لم يزرع الا في قسم « الوسط » على سفوح الجبال . ولذلك فان قرويو تلك الناحية يشتغلون بالحرير ثم باستحصاال الزيت .

ليس لهذا القضاء نواح رسمية ولكن السكان وحتى الحكومة نفسها يعتبرون اطراف (قطع) التي تضم قرى (برقايل وفندق) واطراف «الجومة» التي تحتوى على قرى (منياره ورجبه وبنو) اللاتي يسكنها النصارى ، نوعاً من النواحي . ثم ان سكان هذا القضاء المؤلف من (١٦٨) قرية فيهم المسلمون ، والناصريون واثنتاهم الناصريون فانصيريون يسكنون قرى (مصلى ، عين الزيت ، عين تفتا ، خربة الرمان ) وقرية الزاهده في الساحل . واكثرهم مزارعون في تلك القرى .

وقرى [قيات ، عندقيب ، بينو ، قبولا ، برج عيات ، عين يعقوب ، بزيينه ، العيون

بيت ملات ، تل الشطاحا ، الرحبة ، عكار العتيقة ، جبرائيل ، الحربية ، الكوشة ، البلدة  
مزروعة البلدة ، الهد ، دير جنين ، كفر حاره ، حيزون ، الفنديق ، القريبات ، الحرار ،  
المشمش ، المنجز ] في ناحية الوسط كاد يكون جميع سكانها من النصارى . وصناعة الحار  
ارقي من غيرها في هذه الناحية . وان ثمانية اعشار الواردات التي تحصل من هذه الناحية  
هى من تلك الصناعة . ويوجد في قرية قيات وعنديق ستة مصانع للحريز . وكادت هذه  
الصناعة ان تنحصر في مارونى عكار .

ومن الصناعات الراقية في هذا القضاء ، صناعة السجا . ايضاً . وتاريخ دخول هذه الصناعة  
الى البلاد السورية لا يزال مجهولاً . ومن المحقق انها انتقلت من الاتراك الذين يسكنون  
بضعة قرى من هذا القضاء الى من في حوارهم من القرويين . وقد كان السجاد الذى  
يصنع في هذه الانحاء مرغوباً كثيراً لدى السوريين . و بب هذه الرغبة كان عن متانة  
المواد الابتدائية واستقرار الالوان على بهجتها مدة طويلة .

ثم ان السجاد الخفيف الرخيص الذى اخذت تسوقه اوربا الى بلادنا اضر بعالم  
هذه الصناعة اضراراً عظيماً ، وحكم عليها بالعقاة الدائمة . وكانت هذه الصناعة منحصرة في  
اتراك عديمون ، ولكن ما لبث نصارى عكار ان اقتبسوها وتعممت بينهم . واسمت عدة  
مصانع لهذه الصناعة في المغراقة والجديدة والنهرية والرماح ، وكانت تسنع قطع السجاد  
من قبل على شكل مربع ، طولها مساو لعرضها . اما الآن فيجعلون لارض ذراعاً  
او ذراعين ، ويجعلون الطول على ما يشأون . والالوان اما قديمة او جديدة . وقد كان  
الاحمر والازرق من الالوان الثابتة لا يتبدل ، ولكنه اهمل اليوم وتندر استعماله .  
واكثر ما يستعملون اليوم اللون الاحمر الخفيف ، من عمل اوربا وهو يتبدل سريعاً .  
لهذا فان استعماله في هذه الصناعة لما يوجب الاسف . كان بباع الذراع من السجاد  
المصنوع بالالوان الثابتة باحد عشر فرانك ، اما الجنس الخفيف فكان يباع ذراعاً بستة  
فرنكات .

اما شجر الزيتون فيوجد في الوسط ، واكثره فوق السفوح المشرقة على قرية حلبا  
اما في الداخل ، الجرد فلا اثر له . واحر نزع من الزيت يكون في قرى ( الحاكورة ،  
برقايل ، الشيخ طابه . ومعظم اشجار الزيتون والنوت مغروس في الاراضى التي اعدت  
لزرع الحبوب واكثرها في حوزة النصارى . واشجار لتوت تشغل عشر اراضى القضاء  
على التقريب . اما زرع الحبوب فهو شائع في انحاء السواحل ، وينزع على هذا المحصول في  
انحاء الوسط والجرد ايضاً .



## ٤ — معارف القضاء

يوجد بين المسلمين خمسة في المائة ، وبين النصارى خمسين في المائة ممن يعرف القراءة والكتابة . وان مدارس البنات في هذا القضاء ليس لها رواج ، بسبب غلو المسلمين في التضييق على حرية البنات . ويوجد في مركز القضاء مدرستان الواحدة للذكور والآخرى للاناث . وعدد الطالبين في الاولى ( ١٠٠ ) وفي الثانية ( ٥٠ - ٦٠ ) . على ان ثمانين في المائة من هؤلاء البنات لسن من الحليات ولا توجد المدارس الرسمية الا في ست قرى بين ( ١٦٨ ) قرية . ولكل من هذه المدارس مقدار ( ٤٠ - ٧٠ ) طالباً . وان وظيفة التعليم ولادارة في هذه المدارس ليست في ايد قادرة على القيام بها كما هو الحال في سائر الانحاء . اما المعلم الموجود في مركز القضاء فهو نبيه ، قاد على ادارة التحصيل الابتدائي ، ولكن يؤثر عنه انه يشغل بهذه الوظيفة بصورة وقتية . ولا يلبث متى زال مانعه ان يترك المدرسة ويرجع الى مسلكه الاساسي .

اما النصارى الذين لم يسبق لهم وضع اولادهم في احد المدارس الرسمية لهم في منيار . مدرسة وحدة المذكور والاناث . وقبل نشوب الحرب كان عندهم بضع مدارس اجنبية ومن الجملة انه كان المرويين مدارس المذكور والاناث في قرية « ديردولوم » ، مينياره ، جبرائيل ، الرجب ، بينو ، حاكور . وكانت الجمعية الماسطينية الروسية ترسل الى هذه المدارس المعلمين ، وتهيئ للطلاب الكتب والدفاتر والاقلام وباقي لوازم التدريس بلا عوض ولا تتكلف الاهاى الا باعدا . مباني المدارس . وقد كان يوجد في كل واحدة من هذه المدارس خمسة او ستة من المعلمين و ( ١٥٠ - ٢٠٠ ) طالباً .

وقد اسس المبشرون الاميركانيون في مينياره والحاكورة وبينو وجبرائيل وتل عباس . مدارس تضم الذكور والاناث معاً . وهي الآن معطلة لانها استست بدون اذن الحكومة . ويوجد ما عدا هذه المدارس مدرسة خارجية في عندقيت للذكور والاناث ، وفي دير منجز مدرسة داخلية ، وفي قرية « بيت » مدرسة خارجية ؛ هؤلاء للجزويت . ثم توجد مدرسة ايتالية في قرية قيات . فالاورتودوكسيون من السكان يدخلون المدارس الروسية ، والمارونيين يرجحون المدارس الفرنسية والايثالية . اما الاغنياء فيرسلون اولادهم الى المدارس الاميركانية التي يتقدمون انها ارقى من غيرها من حيث العلم والتربية .

والرسيون لم يتيسر لهم تعميم لغتهم البتة ، ولو لم تكن العلاقة الدينية لها وجدت مدارسهم الحالية عن كل منزلة علمية حتى ولا طالباً .

اما اللغة انكليزية فاتها متفشية بين جميع السكان بسبب رغبتهم في المهاجرة واقبالهم عليها .

## ٥ — الفول الزراعية في القضاء

ان أكثر انحاء هذا القضاء جباية التكون ، ولكن يوجد قريبا من الساحل سهول جيدة ، تجري فيها الانهار وهي منبتة خصبة . اما غلال القضاء فهي على ما يأتي :

جنس الغلال	الأراضي المزروعة	مقدار الغلال
	دونم	كيله
القمح	٧٠,٠٠٠	٤٩٠,٠٠٠
الشعير	٤٠,٠٠٠	٢٨٠,٠٠٠
الذرة البيضاء	٢٠,٠٠٠	٦٠,٠٠٠
الذرة الصفراء	١٥,٠٠٠	٧٥,٠٠٠
الحمص	١,٠٠٠	٦,٠٠٠
الفول	٤٠٠	٣,٢٠٠
العدس	٦,٠٠٠	١٢,٠٠٠
الجلبان	٨,٠٠٠	١٦,٠٠٠
السمسم	٢٥,٠٠٠	٥٠,٠٠٠
الزيت	٧٠,٠٠٠ شجرة	٣٥٠,٠٠٠ اقه
البصل	؟	٤٢٥,٩٥٣ كيلوغرام
الفاصولية	؟	١٦,٤٣٢ »
الكروم	٤١١	١٠٠,٠٠٠ » غنب
		٢,٠٠٠ » عرق

وما عدا هذا ، يعتنى في كل سنة بترية ٦٠٠٠ علبة من بذور الحار ، ويستغل منها ١٨٠٠٠ كيلو من الشرائق .

## ٦ — آثار القرية في القضاء

توجد اليوم على هضبة امام قرية عكار القبة ، انقاض حسن عكار الذي كان يسكنه فرسان سن جان في ايام الصليبيين . ويروى ان مؤسس هذه القبة هو رجل يدعى « محرز بن عكار » . وان قد ظلت في حوزة احفاده الى سنة (٤١٤) هجرية . واستولى عليه في هذا لتاريخ « صالح بن مرداس » حاكم حلب ، ثم بعد عشرة سنين ضمت الى السلطنة المصرية في زمن « الزاهر » من الخلفاء الفاطميين .

وانتقل هذا الحرن سنة ٤٨٧ الى الساجوقيين في زمن « تاج الدولة توتوش » وبعد

ذلك استولى عليه الاقرنج بعد ان غلبوا صاحبه « اتابك طوغتكين » .  
لما استولى الصليبيون على طرابلس في ١٢ تموز سنة ١١٠٩ هاهدوا اتابك على ان  
يحتفظوا على قسم من سهل البقعة ، وحصون منبره وعكار . وان يتركوا مصباد وحصن  
الودي وحصن الاكراد الى المسلمين ويتقاضوا منهم لقاء ذلك في كل سنة مبلغاً معيناً  
والكر لم يلبث « طانقرهه — طانقرهه » امير « قونت » انطاكية ان اخل بهذا العهد ،  
وحصر حصن الاكراد وفتحه .

ويقلب في الظن ان المسلمين استردوا حصن عكار في زمن نور الدين . على ان هذا  
الظفر لم يتبادى لان الصليبيين استردوه مرة ثانية سنة ١١٧٠ . ثم ان السلطان بيبرس لذي  
كان عالماً بمكانة هذا الحصن الحاكم على طريق طرابلس — حصن — بعلبك وقيمتيه  
الحربية ، لم يلبث ان هاجم بعد ان فتح حصن الاكراد واستولى عليه ( ١٢٧١ م ) وبعد ان  
فتحت طرابلس في ايام السلطان قلاوون ، قل الى تلك الانحاض مركزه من حصن الاكراد  
الى حصن عكار .

وكان هذا الحصر في زمن العثمانيين في ايدى آ. « بيت سيف » . ولما سخره فخر الدين  
امير الدروز ، هـ . حامعه وتكتيه . ثم اشئت التكية من جديد سنة ( ١٦١١ ) . وقد  
تقلنا عين الكتابة لى كتبها السلطان قلاوون على مدخل جامع عكار العتيبة في المبحث  
الخاص [٢] .

ويوجد في قضاء عكار ما عدا هذا الاثر اثار فخى ثلاثة خرب تسمى « عروبه »  
و « مرجحين » و « قاتعات » هي من بقية اثار الفنيقيين والرومانيين . وناقض قصبة  
« عرقا » القديمة . وهى القصبه على مسافة ساعه من « نهر البارد » القديم ، وعلى  
الجانبا الايمن من طريق طرابلس اليه ؛ مبنية على هضبة تدعى باسمها ، وكانت معروفة  
في ايام الصليبيين وحاصرها قاعدتها دهيمون ، ثم سخرها الفرسان المعبديون

بنيت هـ . القصبه على بلدة قديمة من بلاد الفنيقيين . ويوجد الآن بعض آثار من  
هيكل الزهراء الذى شيد . الاسكندر الكبير في هذه القصبه اثنى كانت تسمى قبل دخول  
الرومانيين بقصبه « سه زار لياني » . « سه زار » . « سه زار » . « سه زار » . « سه زار »  
من الملوك لرومانيين ولد في عرقا (\*\*) .

\* راجع ص ١٦٤

(\*\*) ولد سنة ٢٠٩ ميلادية . تسلط في الراجة عشر من عمره . وقد اصالح البلاد ، واقبل  
على حماية العوام والصناع . قد اشهر الحرب عليه ، اردشير من الاكاسرة الارانيين ولم يحصل على فائدة  
به . ثم عمد الى اصلاح حدوده وتربيتهم ليتسنى له اخضاع الجرمانيين . ولكن قتله اولئك الجود بدسائس  
ماسيين ، وصار الملك الى رقيه من بعده ( ٢٣٥ ) .

أما حصار القليعات فقد كانه يسمى في القرون المتوسطة «قويات Cuallith» ثم سُمي «يونس» أمير طرابلس هذا الحصار الصغير إلى «Hôpital du Mont-Pelerin» ولم يطل الأمر حتى فتحه السلطان بيبرس سنة (١٢٦٦). وقد كانت سهول القليعات التي يوجد فيها هذا الحصار مساة في اقرون الوسطى بملك الخليفة. وهذه السهول تسقى من ماء نهر عرقا.

ويوجد في قرية عين يعقوب التي تبعد ثلاث ساعات عن مركز القضاء مقام يعقوب عليه السلام، وفي قرية عياش التي هي على عين البعد من المركز مقام الحضر عليه السلام. وفي عكار القديمة التي تبعد مسافة خمس ساعات، ضريح الشيخ جنيد، ثم على ساعة منها في اراضي ميناره ضريح الشيخ بدر، وعلى ساعة ونصف منها ضريح الشيخ زعي.

## ٧ - موقع حلبا، ومنظر ضواها

ان قصبة حلبا، مركز قضاء عكار من اعمال لواء طرابلس اشام مبنية في السفح الغربي من احد الهضاب الصغيرة المتسلسلة من الشمال الى الجنوب. وهذه القصبة التي لم تتجاوز بيوتها، او بالتعبير الاوضح اكوام حجارته المائتين في عددها. محاطة بما يماثلها من القرى، ففي شمالها قرية «الشيخ محمد» مبنية على السفح الغربي من هضبة صغيرة، ثم فالجنوب عن عين الوضع قرية «الشيخ طابه والزويره الجديدة».

وهذه القرى الكامنة في احضان تلك السلسلة الصغيرة، هي مختصر النموذج للصيفيات (لبنان) او بالتعبير الحقيقي، هي صورة لتلك الربوع خالية عن الاقن واتهديب. على ان تلك القرى جبلية منظرًا زمرديًا، مملوءة بالاس والطفة ولو لم تكن تلك الحجارة السوداء. مطوقة بأشجار التوت والتين والريتون، والحضرة المتعة ثم هوائج الصبار بتلك الحضرة الخالدة، لكانت عبارة عن ركام صحرى وسلسلة احجار مصفوفة.

ما اللطف واجل ما نرون اذا صعدتم من الجانب الشرقي على «ظهر حلبا» وترتم من قرية «عديب»، وطوحتم بنظركم الى تلك الهالة الزمردية التي طوقت حلبا واحاطت بها. هذا مستطيل منتظم يمتد من الشمال الى الجنوب؛ حشدت فيه الطبيعة صبرة من الألوان تخسأ عن خلقها يد الصنعة والعمران، وجعلته منبراً للنضارة والحس.

بحسب هذا المستطيل الاخضر المائل من الشرق الى الغرب، انه قد اعد ليكون فاصلاً بين تلك الهضاب الصغيرة في الشرق وبين القضاء الواسع في الغرب. وهذا القضاء الذي امتد في الجانب الغربي من القصبة على مسافة بضعة ساعات، وانتهى على اذيال الساحل جعل حلبا تحكم على محيط فضاء، اما في الجانب الشمالي فتلوح جبال طرطوس من

وراء ذلك البعد الشاسع مغشاة بالابهام كأنها خطوط من ظل . ثم هناك القرى الرابضة في اكثاف ذلك الفضاء ، والنلال الصناعية تلوح كأنها اشباح ظلية .

لله هاتيك الربوع ما اغناها بالبدائع الفياضة ! وما اجملها من ساحة تتجلى في عشائها اللطف المحاسن وازهى البدائع ! هنالك تنفجر عين من نور فوق هام البحر المصفر الذي ينساب وراء الافاق المرتبة ، ترتبث سيالاً من التور الذهبي يغسل القليعات ، في حضن البحر ، ثم كغز ملكة ، و « ميرليا » . فتتمتع حلبا بمشاهدة ذلك المنظر البهيج ، و اساطير الذهب التي تمثل بالحور الصفر . ويدهم هذا المسرح المذهب حتى تذوب نتف انور فوق ذلك المرج الأخضر .

ثم الشروق في حلبا لا يقل لطافة عن الغروب . تتأخر الشمس في الزوغ بسبب قيام الهضاب الصغيرة في الشرق ثم تنهض فتهرق ذلك السيل الذهبي وترد لتلك الساحة في الشروق ما اغتصبت من نور ما ابان الغروب ويتمشى النقص في الظلال حتى يذوب وتفسد تلك الميادين الزمردية في بحر فضي . وقصارى القول ان حلبا اخذت نصيبها من جميع المحاسن المختصة بالسواحل السورية بتلك البقعة الفتيقة .

ويمكن ان يقال ان هذه القصة — مهما كانت صغيرة — هي في جمال المنظر ، حيفا او طول كرم ، وحتى انها جديدة ومرجعون ، وصفداً ايضاً . ولهذا لا يسوغ لها ان تتألم من فقرها بالعمران . لانها سورية ، نعم سورية حسناء

## ٨ — المخطوط المراهلية في حلبا

من العيب ان نسهب في ايضاح خطوط حلبا الداخلية ، من حيث انها مركز القضاء . لانها — كما بينا سابقاً — قرية صغيرة تتمكن الاحاطة بها بنظرة واحدة . اذا اغطينا عن الحاسر الطبيعية في مستطيل حلبا المثل ، نجد عبارة من ركام من الحجارة ، لا طلاء ولا كلس .

والبيوت التي رعى بها نحر الصخور المقورة في الجانب الغربي من التل ، كل منها يتألف من قسم او قسمين . ولا يسوغ ان تسمى هذه الاقسام بغرفة ولا حجرة . وهي مرصوفة بالحجارة من فوقها وعن ايمانها وشمالها ؛ وارضا من التراب . ويندر فيها الطلاء او الرش بالكلس . فاذا كان فهو البيت المفتخر في حلبا . والحلباويون يسكنون هذه الاوكان الحجرية مع الآلات الزراعية الحية جنباً لجنب ... ولولا رحمة الاقليم بهم لصدأت تلك الآلات في مقبرها ، ويست تلك الايدي الى تديرها ودبرها .

ويوجد بين ذلك الرديم الحجري بضعة عمارات قريمية تشبه البيوت ، ثم دار الحكومة

ودائرة البلدية ودار القامعقام بالمناقص المصفحة بالبلور، ولت شعري هل هؤلاء بيوت؟ أم ماذا أقول؟ وعلى كل حال يتحتم علينا أن نسجل على اسم حلبا فقراً مدقماً من العمران والانتظام. هذا وإن كانت الأشجار الخضراء التي تتخلل تلك الركام الحجرى توجب تسلية الفؤاد وترينا حلباً بشكل محبوب، بيد أننا نعتز بوجود عدم الدخول إلى بيوتها وعدم السير في دروبها. وكيف يسوغ للإنسان أن يطلق على تلك الانقاب الجيلة أو المزلقات الصخرية الضيقة المعوجة، اسم الطريق. ومن الغرائب أن الحلباويين يفضون ابصارهم عن الاصقاع المعورة، ثم تأخذهم غفلة الطفل فيزعمون أن بلدتهم العاجزة فيها أربع شوارع! يسون الطريق الممتد من الغرب إلى الشرق «طريق الجومة». ومرحى لهم إذ لم يتكبدوا مشقة الافتكار لانتفاخ الاسماء لطرق الممتدة من الشمال إلى الشرق، ثم من الغرب إلى الشرق. ولا أرى هل يستطيع شخصان أن يمشيا مرتاحين في هاتيك الشوارع!!

واغرب من هذا أنهم قسموا هذه القرية التي لا تتجزى إلى خمس محلات وسموها «حارة الذوق»، «حارة الاسلام»، «حارة المسيحية»، «حارة الظهر»، و«حارة الوسطانية». ولا يستكبر على الحلباويين هذا الفكر، لأن كثيراً من المخلوقات تكون لديهم قطرة الماء بحراً خضماً.

هذا ولكي لا ينقصنا من تعريف حلبا شئ، يجب أن نذكر بضعة حوائثها المتداعية وجامعها الوحيد الأبر (لا منارة له).

ولا ننسى أن ليس في حلبا كنيسة مع أن أكثر سكانها نصارى. وهم يذهبون إلى كنيسة قرية «الشيخ محمد» ليقوموا بوجائب العبادة. ويجب أن لا نعجب من هذه القرية التي لا ذنب لها إلا كونها مركز للقضاء. لعدم تقربها من مرقة العمران.

فألى متى يا ترى تحتفظ هذه القرية بمركز القضاء؟ وهذه هي النقطة التي ما زالت تشغل فكري، وتقضى بعجبي.

## ٩ — الاموال العمومية في حلبا

أن مركز عكار هي قرية حلبا الكائنة بين (٣٤-٣٥) درجة من العرض الشمالى و٣٣°٤٥' من الطول الشرقى. المرتفعة عن سطح البحر بمقدار ثلاثين متراً. ومجموع عدد سكانها من ذكور واثاث (١١٧٠) نسمة منهم (٥١٧) من المسلمين و(٥٢٥) من الروم الاورتودوكس و(١٢٨) من المارونيين. وأن الطريق الذى فتح من «خان الايده» الكائنة على طريق طراباس-حمص والبعيدة عن طراباس بمقدار خمسة عشر كيلو متراً،

الى قرية حلبا، كان واصلاً ذلك القضاء بمركز اللواء، وسبباً لهوق كثير منهم الشرائق والحبوات الى الخارج.

توجد دائرة بلدية في هذا القضاء لها ملهى «قهوة» لم يكمل ودائرة مخصصة بها ودخلها السنوى عبارة عن (٤٥٠٠) غرشاً.

كان مركز القضاء قبل ثلاثين سنة في قرية «البرج». ثم قدم محمد باشا والد على باشا احد متنفذى حلبا قائمقاماً لهذا القضاء، فنقل المركز الى قريته. مع ان قرية برقابل، قديق، مينايرة، دجه، ينو، كلها تفوق على حلبا بعدد السكان.

ومن شهر قرى القضاء بسهولة العيش هي قرية ينو التى سكانها نصارى، ثم اعظمها بكثرة السكان هي قرية قبات التى سكانها مارونيون. وزى الامكار متضاربة بخصوصية المركز في حلبا او نقله لمحل آخر. ومن رأينا ان حلبا لا تصلح ان تكون مركزاً البتة. يمكن نقل المأمورين الى قرية الشيخ رند القائمة على الساحل، او الى قرية الشيخ جابر الكائنة على حدود صافيتا.

#### ١٠ - الاموال الاجتماعية

[١] - الحياة الاجتماعية في حلبا - اذا فكرنا بقلة عدد السكان في حلبا بحسب لا تجوزون الالف الا بقليل، فلم عدم امكان وجود الطبقات المختلفة، المتفاوتة بالادوار في تلك الفئة القليلة. نعم ان الحلباويين هم على ويرة واحدة من وجهة السجيا الاجتماعية ولا يكن تفريقهم، بيان الرأى فيهم الا باعتبار الدين فقط.

نظمت قية النفوس بان اقل من نصف الحلباويين مسلمون، الباقى من المسيحيين. واكثر الميامين اليوم في حلبا لا يزيدون في عددهم عن ربع السكان.

ويوجد بين اقيدين اسم الامام عاتقان من لاسباعيين بضمون بضع نسبات، ثم البافون كلهم من السنين.

والآن بسبب وجود الشبان في الخدمة العسكرية، لا يوجد في حلبا اكثر من عشرين ثلاثين جلاً من المسلمين. اما النساء، فقد يصيب كل رجل اربع او خمس نهن.

ن حياة المسلمين وعينهم في ما هو على غاية من الفقر والحاجة ويسدر فيهم من يكون دخله السنوى سبعة او ثمانية آلاف غرش. ثم ما بقى منهم اما يشتغلون في الزراعة بصورة محدودة، واما يتخذون الحوנית ويتعاطون البيع والشراء ويحصلون على اقواتهم اليومية بكل شقة وعسر.

... وربما يهاجرون صناعة الحرير ، ويحاولون دفع عرسهم الجليلي بهذه الوسيلة وليسكن  
نجيلهم يكون محدوداً أيضاً ، أما ثماء حلبا فقد كان بعضهم لا يشتغل قبل نهوب الحرير .  
أما اليوم فقد دخلت الحياة الاجتماعية وأصبحت يمسون الرجال يداً بيد في الاعمال  
الزراعية وغيرها .

أما الاسماعيليون في حلبا فهم عبارة عن بضعة أفراد ، وهم ينتمون الى شعبة «السويدانية»  
من الاسماعيليين (\*) . ويرغم مسلمو حلبا ان هؤلاء يقومون ببعض المناسك الدينية ،  
ويشتركون في الصلوة الخمس ، وفي صلاة الاعداء . ويدعون انهم يصومون أيضاً . أما  
المسيحيون في حلبا فهم عبارة عن الروم الاورثوذكس والطائفة المارونية . وعدد رجال  
الاروام مائة او مائة وعشرون ، ونسأولهم على ضعف هذا العدد ، والمارونيون هم عشرون  
او ثلاثون رجلاً ، وثلاثون او اربعون امرأة .

فاذا فارنا بين هاتين الطائفتين المسيحتين نجد الاروام اغنياء بالنسبة الى المارونيين  
وحتى بالنسبة الى المسلمين أيضاً . ويعتبر بينهم على من تربو وارداته على خمسة عشر الف  
غرش في السنة . والباقون يعيشون كالمسلمين بحالة يرثى لها . وقسم من المسيحيين يشتغل  
بالحرثة والزراعة ثم منهم من يشتغل بمهنة المكارة .

فهم من هذا ان حياة الحلباويين الاجتماعية من مسلمين ونصارى هي على الناية من  
الضنك . وهذا الحال يتضح بصورة ملموسة اذا ابصرنا داخل بيوتهم التي يأوون اليها .  
وقليل من هذه البيوت — كما قدمنا — مطلى الداخل بالطلاء الكلس ، ثم معظمها اما ملطخ  
بالطين ، او متروك على حاله بحجارتة التي بنى فيها . ومن البت ان نرثاد في حجراتهم  
الاثاث او سائر اسباب الزينة . بل اثاثهم عبارة عن حصير او سجادة او فراش . وكلهم  
على هذا النمط ، أما ضنك عيشهم فهو محسوس جداً . وان العائلات السلافي لم ترزح تحت  
الديون الباهظة تعد هذا من الموقفة التي من واجبها الشكر عليها . لاسيما اذا كان الموسم  
غير مساعد في احد السنين فيكون الضنك العيشي على امر النتائج . ولنعترف بان الحلباويين  
على درجة عظيمة من القناعة ، وبما انهم معتادون على الترمق بنخب الذرة والاكتفاء به ،  
اقتدروا على ادامة حياتهم بالاقتصاد .

ولباس الحلباويين ايضاً وضع وبسيط . فاعظم من فيهم يلبس جبة يسمونها « بالطو »  
ثم سروال ، وصدار . وبعضهم يكتسى الاعبته ، ويسترون رؤسهم بالعصابات السود « حطه »  
ويضعون فوقها العقل « بريم » ، وبعضهم يلبس في راسه القبعات الطوال ويسمونها « لباده »  
ويترها بمصابة سوداء ثم يجعل العقل فوقها . ويحتدون النعال « ناسومه » او الامواق



( جزمات ) العربية . اما النساء فيمنشين حفاة ، ولباسهن من الزم المطبوع ، والنساء المسلمات هناك لا يرين لزوماً للآزر والاردية . وقصارى القول ان الحلباويين في معيشتهم ولباسهم ليسوا الا من القرويين الفقراء .

[٢] — العادات الاجتماعية في حلبا — ليس للحلباويين من عوائد محسوسة يختصون بها . وحلبا ليست من القيمة التاريخية اعلى شيء ، وهي خلو من المزايا الاجتماعية فمن العبث ان نرتاد فيها الحلال الخاصة من حيث العادات . ومع هذا يمكننا ان نلاحظ بعض النقاط ونشير اليها .

فمن عاداتهم في الزواج ، ان يتكلم اهل الخاطب مع ذوى المخطوبة ، ويحصلون على رضائهم ، ويتفقون على بعض الشرائط الاولية ، ثم يذهب شيوخ القرية ووجوهها الى بيت المخطوبة ويحاطبون اهلها في هذه المسئلة جهاراً ويتفقون على المهر ايضاً . وحالة الفقر في هذه القرية لا تمنعهم من الغلو في المهر . بل ان الالف غرش في هذا الامر تكون قيمة لا ترد وربما يعطون قطعة من الاراضى عوضاً عن المهر .

وتقتضى عليهم العادة قبل المباشرة بالعقد ارسال التبغ والتبناك وغيره من المواد التي يجب صرفها في هكذا نواد . والتقاليد عندهم في العقد كادت ان تكون عبارة عن شرب الشراب فقط . ثم يدفع القسم المعجل من المهر ، او بالاصح ثناء . فيشتري اولياء البنات به للعروس بعض حوائجها . والتلك الآخر من المهر يبقى في ذمة الزوج . وبعد اجراء التكاك بنهر او شهرين يشرع باعداد لوازم العرس . والاحتفال بالزفاف في حلبا يكون ذا جلبة عظيمة . تركب العروس على جواد اخذ مبلغه من لزينة على النسق البدوى . ويمشى امام الجواد رجل في يده قسبة طويلة معقود في رأسها منشفة كبيرة . والتعبير الاوضح ، يرفع ذلك الرجل لواء الزفاف ، وتحيط بالعروس الاقارب والاصدقاء ويزمرن بزماره من قصب ، او يدقون بالطبول ، ويضربون في الابواق ويرقصون ، ويتساقون على خيولهم ويلعبون بالسلاح حتى يصلوا بها الى بيت العريس .

تنزل العروس عن جوادها امام بيتها الجديد . ويناولونها قطعة من عجينة تلتصقها على جبهة الباب ، وتدخل الى البيت .

ثم يؤتى بالعريس على هذه الوثيرة . ولما يدخل البيت تكون العروس قاعدةً فيأخذ بيدها ويذهب بها الى حجرة اخرى . وبهذا ينتهى الاحتفال .

وان للتبريك في الاعياد عند الحلباويين تقاليد خاصة ايضاً يشترك فيها سكان القرى المتجاورة ، فيركبون الخيل نساءً ورجالاً ويطوفون بالقرى وهم طافحون بالمسرة والنشاط

ويبتعدون على هذا النوال . ويكرمون بعضهم بأنواع الطعام .

[٣] — الاموال الاجتماعية في قضاء عكار — لا تجزم ان الآراء التي ابديناها على مركز قضاء عكار لا تكون مقياساً للقضاء جميعه . ويمكن ان نقول بان لا يعثر على قصبة كحلبا ، بعيدة عن تمثيل حال قضائها . ولا يمكن في قضاء كير مثل عكار يضم اربعين الفا من السكان ومائة وستين قرية ان يخلو من الحلال الاجتماعية الخاصة . وعليه فاقا نجهد الان لايضاح هذه النقاط وتفصيلها :

يرى من السهل لاول وهلة ان يقسم السكان في هذا القضاء من حيث الدين الى مسلمين ونصارى . ونرى هذا التقسيم يكاد يكون طبيعياً لان المسلمين ينعنون في الجهة الشمالية الشرقية من القضاء . والنصارى في الجانب الشرقي ، في بقاع « الجرد » وفي الجهة الجنوبية منه . على ان لهذين القسمين الكبيرين اقساماً من الفروع الثانوية يجب تفريقها ويتحتم علينا ذكرها :

مثلاً : ان مسلمي عكار ، عبارة عن « العاكرة » . امراء عكار « بك » . والعرب البادين من التركمان ، والمسلمين من القرويين الاهليين . ويجب علينا في البحث ان نذكر هؤلاء على الانفراد : ( امراء عكار « بك » ) — يزعمون انهم جاؤا الى هذه الربوع من انحاء حكاردي قبل مائتين ، او مائتين وخسين سنة . وانهم من الاكراد ولكنهم اليوم مستعربون . اما عددهم ، فليس عليه اتفاق ، ويخمن ببضعة الاف من رجاله ونساء . ويعثر بين هذه الالة على اسماء اسر مختلفة . وكلهم قائلون بانهم من اسرة « مرعب » ثم تشعبوا وتخذوا على مرور الايام . ورجال العكاكرة حائزون على عنوان ( بك ) وهو سمة الاصاله وهؤلاء الامراء احاديث في الفروسية والشجاعة لا تزال تدور على السنة القوم من كبير وصغير ، وهذه الشهرة التي لا تزال تتكرر على مسامعهم زادتهم غروراً ، وخلقت فيهم ارواحاً متغلبة ، شاز كل من رنحته الشهرة . وبين هؤلاء المتغلبة مقدار خمسة عشر ركناً هم على الدرجة القصوى في السلطة والتحكم . ولهم لباس يتبعون فيه اسلافهم من قبعة طويلة فوقها عصابة مسورة بالعقل ، وجبة ، ثم سروال قصير ، والاخذية الطويلة السوداء في ارجلهم . ويوحدين هؤلاء المتغلبين من تمكن من الحصول على « الباشوية » في الدور البائد .

وهؤلاء الذين تسلطوا على محيط عكار ، واخذوا نصيبهم من الاشتهار فيه بالتغلب والتحكم . جعلوا مراكز - طوتهم في قرى « برقايل » مجدله ، بينين ، يري ، حوشيت ، عياد ، واعظمهم غناً يقطن في « برقايل » . ويوجد بينهم من تقدر امهاله المنقولة وغير المنقولة بمائتين او مائتين وخسين الف ليرة . واقنعهم في المعيشة لا يقل دخله السنوي عن الفين

او ثلاثة آلاف ليرة . ويوجد في قرى الاسلام من هؤلاء المقداد اربعا من تغلبه يتكلمون بالعربية  
هاتيك الانحاء بخطوط معينة لديهم . واخذ كل منهم يجهد نفسه في داخل دائرته .  
لو سأل أحد القرويين عن تحكم هؤلاء الامراء لا يلبث ان يبتسم الامام  
القلبية ويقول :

[ لكل من هؤلاء المتغلبين الذين يناهزون الحماسة في عددهم ، رجال واعوان مجهزون  
بالسلاح الكامل . رهنون اشارتهم وامرهم . وقد يتفق بضعة منهم على آخرين فتكاتف  
قوتهم وتقوم بينهم الحرب على سوقها . ميكسحون اشجار الزيتون ويقتلون بعضهم ويدسون  
اعوانهم فيسرقون الاموال ولا يدعون فرصة لاضرار بعضهم الا ويتهمونها ، وان كيد  
هؤلاء الاقارب لا ينحصر ببعضهم ، بل يتجاوزون على من حولهم ويرتكبون انواع  
الظلم والجور .

يرى احد هؤلاء المتغلبين جواداً يعجبه فيطلبه من صاحبه . فان ابى او تملل ، لا يلبث  
ان ياتيه الموت من رجال ذلك التغلب ، او يقطعون عنه الماء ، او يخرجون امواله واملاكه .  
ولا تنسى ان الذين يطلعون على هذه الجنايات لا يجاسرون على اداء الشهادة في المحاكم اذا  
مست الحاجة ؛ والا فانهم يدقون انكر العذاب .

ان الفقراء المزارعين الموجودين تحت رحمة اولئك المتغلبين هم في حالة يرثى لها .  
لانهم يجهدون انفسهم سنة كاملة ، ثم لا يكون نصيبهم من ذلك السعي المبرح الا الحشران  
والحرمان . واذا اردنا ان نطلع على كيفية تطاول هؤلاء المتغلبين على المزارعين وكيف  
يتصبون ثمرة نساغهم ، فلننظر الى هذه الضرائب التي يتقاضونها من هؤلاء المساكين :

اولا — ياخذون ثلث المحصول من حيث انهم اصحاب الارض ، وعلى جرى العادة .

ثانياً — ياخذون عشر مجموع المحصول ، من حصة المزارع فقط .

ثالثاً — يتقاضون منهم مبلغاً معيناً في السنة باسم «الدخانية» . « ثلث الضرائب »  
وه اجرة المسكن .

اباً — ياخذون رباسم ( الشكاره ) شذلاً عن كل ( جفت ) من حصة المزارع .

خامساً — يقرضون المزارعين شيئاً من الحب ، ويحسون عليهم ثمن الشنبل بستمائة  
غرش ، مثلاً . ثم يتقاضونه عند وجود الحب فيشترون منهم الشنبل بمائتي غرش ، وبهذا  
يكون ربهم ثلاثة اضعاف الدين .

وقصارى القول اذا اضفنا الى ضرائب هؤلاء المتغلبين حصة من هم اقدر منهم .  
واقوى و التغلب ، ثم حصة بعض المأمورين الذين نبذوا الوظيفة والوجدان وراء ظهورهم  
ثم سهم المحصلين . وافراد الدرك ( زاندارمه ) تنضح لنا حالة المزارع ، ونطلع على  
حقيقة امره . ولهذا يجب التسليم بان الترويين في عكار لا يزالون يرزحون تحت اعب

هذه القوة الناشئة ،

ما أجدر هذه العارخة المنيكة بمقيث يضرب على أيدي أولئك الظالمين ويتصف لهؤلاء المظلومين !

لا سيما اذا فكرنا بنفقة تلك القصور المشيدة ، وأولئك الحواشي والاعوان المحشدة ، ثم بتبذير هؤلاء المتغلبين الذين يقدمون الى يروت وطرابلس لمجرد الاهواء والاذواق ، وبإسرافاتهم المفرطة ينكشف لنا الغطاء عن المؤثر الحقيقي الذي يضطرهم لاتباع هذه الخطة في ديار عكار .

ولا ننسى ان هؤلاء المتغلبين وان كانوا على الدرجة القصوى من البذخ والترف في منازلهم ، ولكنهم يملكون كثيراً من الاحتياجات الاجتماعية . ومن العيب ان نتحرى في ترتيب منازلهم نظاماً يراح له الذوق ؛ اما حياتهم المائيلة فهي محشوة بكل نقص . ومع هذا فلا يسوغ تطلب غير هذه الاوصاف من تلك الزمرة الطائشة لان الجهل الاسود لا يخلق في هكذا محيط الا هكذا نتائج .

ثم يوجد في هذا القضاء — ما عدا العكاكرة — سكان الحيام من عرب البدو ؛ وهم يقطنون السهول من هذا القضاء وهم عبارة عن خمس قبائل :

١ — « عرب الهيب » . يسكنون قريباً من الجانب الشرقي من تل عباس وعددهم ( ١٠٠ — ١٥٠ ) ، وعدد بيوتهم ( ١٥ — ٢٠ ) .

٢ — ( عرب التريقات ) ، يسكنون في الانحاء الكائنة بين نهري « العراق » و « البارد » ولهم ( ٧٠ — ٨٠ ) من البيوت ، ويبلغ عددهم الى ( ٣٠٠ — ٤٠٠ ) نسمة

٣ — « عرب معاقل » ، يسكنون في جوار « خان العبودية » ولهم « ٨ — ١٠ » بيوت وعددهم « ٥٠ — ٦٠ » نسمة .

٤ — « عرب الموالي » ، يسكنون في انحاء « ديرين » و « سعدين » ولهم بضعة بيوت وعددهم « ٣٠ — ٤٠ » نسمة .

٥ — قبائل « نعيم الحير » و « الحديددين » و « الكمين » ، يسكنون بين « الحربية » و « نهر الكبير » ولهم « ٧٠ — ٨٠ » بيتاً وعددهم « ٣٠٠ — ٤٠٠ » نسمة .

ولا نحسب ان هؤلاء اعراب فرقاً في الاوصاف والخلال عن غيرهم من العرب البائدة . لان ارضهم المنشرة لا تزال مشربة بحب الحيام ولا ننسى ان هؤلاء كثيراً ما ينمرون لاخلال الراحة العامة في الانحاء التي يقطنونها .

اما تركمان عكار فهم يـ كنون — كما قدمنا في البحث الخاص — في قرى [ الكواشر .

وعيدمون والجديده والدوسه] وعددهم يناهز ٦٠٠ نسمة  
وبما اننا سنبعث عن نسق حياة هؤلاء التركان ، واحوالهم الاجتماعية اثناء التكلم عن  
تجوالنا في « جبال عكار » فلا نرى لزوماً لتكرار البحث هنا .

\*  
\*\*

ثم ان بقية المسلمين في عكار — ما عدا الذين بحثنا عنهم — يكونون طبقة القرويين .  
وهؤلاء لا يزالون تساء . رغمًا عن استعداد اراضيهم ، وابلاغهم بالكد والكسح ، وذلك  
بتأثير الاسباب التي تقدم البحث عنها . ويشغل ثلثا هذه الطبقة الكثيفة بالزراعة ،  
وسدسهم بالحرير ، اما السدس الآخر فهم لا مهنة ولا عمل ، يعيشون بالنقود التي ترسل  
اليهم من اميركا .

\*  
\*\*

اما النصارى الذين هم أكثر سكان القضاء عدداً ؛ هم في الحياة الاجتماعية ارقى واسعد  
من القرويين المسلمين . فقراهم أكثر اعماراً ، ومنازلهم اوفر انتظاماً ، وانظم ترتيباً  
واوفر اثاثاً . واغنى قرى النصارى قرية « منيارا » ؛ اما اعظمها عمراناً وارجحها مدنيةً هي  
قرية « بنو » . وافقر العائلات المسيحية في هذه القرية لها بيت مفروش بصورة منتظمة  
على قدر ما يمكنها .

وبعض في « منياره » و« القيات » على بضعة اشخاص يتدفعون بمصاهرة بعض الاجبيين  
ويتكثرون على قدرتهم ، ويسمون لطلب المغنم بمختلف الوسائط . على ان سلطة هؤلاء لا  
تذكر في جانب سلطة غيرهم ممن ذكرنا .

ثم ان للمهاجرة على نفوس هؤلاء المسيحيين سلطة عجيبة ، ونتيجة اقبالهم عليها جعلت  
اكثر من خمس سكان هذا القضاء في الديار الاميركية . ويقولون ان نصف المسيحيين في  
هذا القضاء كان يعيش بما يصل اليه من النقود الاميركية . ولذلك سقط ذوو هذه الطبقة  
الى حضيض الذل والفاقة منذ اشهار الحرب ولاسيما منذ انقطاع الملائق بين الدولة ،  
وحكومة اميركا .

اما افراد النصف الآخر من المسيحيين فهم ارباب مشاغل ومهن . ويشغل ثلثاهم  
بصناعة الحرير ، وثلث الآخر بالزراعة . ولقد تطلعننا الابحاث التي قدمناها ، عن سبب  
اقبال النصارى على الزراعة واهتمامهم بها . ولهذا لا نرى لزوماً لتكرار هذا البحث .  
ولنذكر قبل اتمام هذا البحث ان الثروة التقدية في هذا القضاء تقدر بمليونين ،  
والاموال غير المنقولة بمليون من الليرات . بيد ان هذه الثروة ليست عيمة النفع لانها  
منحصرة في اشخاص معدودة ، ولهذا السبب لا تكاد تنتج بسعادة اجتماعية البتة .

[٤] — اوراق الاجتماعية — لاجرم اننا لا ندعى صدق هذه الارقام التى سنثبتها فى هذا البحث . ولا باها حائرة على الشروط التى يمكن اتخاذها وكناً للقياس . بل رجحنا درج ما حصلنا عليه منها على علته . لانه لا يخلو من فائدة .

[ القتل والجنىح ] — احيل على الهيئة الاتهامية سنة (٣٣٣) اوراق (١٤) من المظنون عليهم بالقتل فى هذا القضاء . منهم (١١) من الذكور و(٣) من الاناث اما الجنىح ؛ فقد حكم على (٩٠) شخصاً فى هذه السنة بجرائم مختلفة . منهم (٢٦) حكم عليهم بالسرقه و(٢١) بالضرب والجرح . ومن هؤلاء التسعين (٤٢) شخصاً من الزراع و(٢٢) من اصحاب الاملاك و(٨) من العمال و(١٧) من العطل الذين لا عمل لهم . و(٦) من هذا العدد أنثى و(٨٤) ذكور . ثم ان (٦٠) من الذكور عزاب ، والباقون من المتأهلين . ومن التسعين (١٧) شخصاً ممن يحسنون القراءة والكتابة . اما منهم ؛ فمنهم (٨) فقط بين الخمسين والسبعين والباقون بين العشرين والاربعين ومنهم (٣) سنهم اقل من العشرين .

(مقدار الكسب) — يزعم انه يوجد فى حلبا (٣٥) شخصاً يربو دخلهم السنوى عن (١٠٠٠) غرش وبينهم اربعة يربو دخلهم على (٥٠٠٠) غرشاً .

اما فى القضاء ؛ فان خمس النفوس دخلهم اقل من (١٠٠٠) ، ثم ان (٨٠) فى المائة منهم يزيد دخلهم عن هذا المبلغ .

الصنوف الاجتماعية) — يزعم ان (١٣٧٩٠) شخصاً من مجموع سكان القضاء يشتغلون بالزراعة ، ومقابلاً لهذا يوجد (١٣) شخصاً يتعاطون التجارة ، و(١٨٥٧) شخصاً يعيشون عطلاً بلا عمل ولا مهنة ولم ينبغ من عكار الى الان الا خمسة اطباء . وعدد اصحاب الاملاك هناك (٦٨٧٦) على التخمين . وهذا المقدار يقرب من خمس مجموع السكان وقد تجند من قضاء عكار فى هذه الحرب (٧١٥١) شخصاً . ويروى انه يوجد فيها (٢٠٠) من الرهبان .

## ١١ — الاموال الرومية

يجب ان نتلقى سكان حلبا من حيث الاحوال الروحية كالظل . لان هؤلاء الناس محرومون من السجايا النفسية التى يشعر بها ، لدرجة تجعل الحكم على تبرأهم من السجايا ضرورياً . ولا نحتاج للأسباب فى اقامة البراهين على ان هؤلاء المساكين المحرومين من كل نور ومدنية ، عبارة عن اجسام عضوية فقط . حتى ولا لزوم للامعان فى حياتهم الاجتماعية وتدقيقها وتحليلها ، وحسبنا نظرة واحدة فى تلك الوجوه والانظار لتطلع على بساطة ارواحهم وخلوها من كل معنى . وعليه ما لنا الا ان نعتبرهم اجساماً ناشقة برا

من كل علم وتجربة .

ولا جرم ان رأينا هذا يشمل جميع الطوائف الموجودة في حلبا . وان ادري هل الذين يحسنون القراءة والكتابة في حلبا من مسلمين ونصارى يلبثون الى عشرة من مائة؟ وهذه القروية الشرقية البحتة يندر العثور عليها في مراكز الاقضية . ولو صرفنا النظر عن مراكز الاقضية الممتازة في القسم الجنوبي من ولاية بيروت كصيدا وحيفا ، ونظرنا الى جنين وامثالها نجد لها شخصية تناسبها . ولكن ليس كحلبا موقع مبرا عن الشخصية . هذا ولنعترف ان تلك الالة البشرية الهادئة ، المطيعة الخاضعة هي مستعدة للسوق والادارة اكثر من غيرها . فلو كان لها قليل من الهمة لاثمرت بالتأثير الحسن . وعليه فالتدريج بالو اائل التي تنفخ في هؤلاء الاجسام العضوية قوى نفسية ضرورية وحتم .

اما الحالة الروحية في قضاء عكار فليست على هذه الدرجة من الصفاة والفراغ . لان لكل من امراء عكار والتركمان والعرب البادين ، ثم القرويين المسلمين . والطائفة المسيحية اوصافاً روحية متخالفة .

ان معظم الامراء « بك » العكاريين ، اكدبتهم الشرائط الاجتماعية ارواحاً عصية خشية . وانهم بنسبة سرعة انفعالهم وشدة تأثرهم ، تشرأب ارواحهم الى الاصابة بالقصية . فالوصول على السلطة النافذة ، وامتطاء الجياد الصافات ، واقتناء الاتباع المسلحين ، ثم امتلاك الاراضي واستعباد القرويين ، والتمكن من الحصول على جميع الامال ، ثم الاحراز على لقب « بك » او « باشا » ، هي من امانتهم العالية ؛ وهي جالتهم الروحية الحقة . لو تصفحت جميع صفحات حياتهم لوجدت هذه الآمال مسيطرة عليهم ، فالذي يفتح ابوابهم للشارد والوارد ، ويوحد على مواعدهم تلك الانواع الحيرة ، والذي يسلطهم على القرويين والذي يخضعهم ويهيجهم ، والذي املا منازلهم بالنفائس المختلفة ، هي تلك الاوصاف وهاتيك السوائق .

ويجب ان نعترف بان اصعاد هؤلاء على سلم الترقى سهل . وهذه السهلة ناشئة عن خضوعهم لحياتهم . فكلمة « بك » او « باشا » ممزوجة بشئ من التوضع ، تنزل بشخصية هؤلاء الطبقة من الخشونة والعصية الى اللين والانسية . وما عاش هؤلاء القوم مربوطين بتلك الشنينة الهرمة الا لانهم لم يجدوا التور الذي يحتاجون اليه . هذا ان يكن حصل في الايام الاخيرة لدى اركان هذه الطبقة يقظة واضحة ، وكان منها ان جعلت فهم بضعة اشخاص تخرجوا في المدارس العالية ومثلهم في المدارس التالية ، بيد ان هذا المقدار لا يكفي ، بل يجب الافكار بالاسراع في تنوير هذه الفئة التي لا يزيد مقدار من يحسنون القراءة والكتابة فيها عن نصفها . فاذا تنورت هذه الطبقة مع ما هي عليه من

الغنى فلا جرم انها تنجح ، ويكون لها في محيط عكار الغنى بشرائطه الطبيعية انفع الاعمال .

\*  
\* \*

ان الروح الطائشة المنكبة على محافظة القديم في الزكّان والعرب الرحالة ، هي معروفة عند كل احد . ولذلك اننا نصرف النظر عنهم ، ونسلكم عن القرويين المسلمين وعن المكان المسيحيين في عكار .

ان القرويين بسبب ما ينالهم من الظلم والتضييق الشديد ، ثم بتأثير الانحراف من وسائل التمدن والرفق ، كانوا في الاوصاف الروحية شبه الناس بالحلباويين . ومع هذا يجب علينا ان نفرق سكان السهول الساحلية عن سكان الجبال وانحاء « الجردا » . لان سكان القسم الاول مفلطرون على الاطاعة والمسألة ، اما سكان القسم الثاني فهم معروفون بخشونة الطبع وشدة الاصرار والنناد . وقد خرج منهم في الايام الاخيرة شرذمة من اللصوص في انحاء « الجومة وخربة الرمان وقيطع » اربهاوا سكان القرى الساحلية المسألة . ولهذا فان اهالى « حلبا ومينارا والجديدة والشيخ طابة » معروفون بالجبانة عند العكاريين .

اما السكان المسيحيون في عكار ؟ فقد اضلّتهم تلقينت الرهبان الذين هم اكثر من مائتين في هذا القضاء ، وهم بالرغم عن تأخيرهم بالرفق الفكرى ، ارقى من المسلمين من حيث العمل والحياة الاجتماعية . وان يكن فكر الهجرة الفت نظرهم عن وطنهم الى الخارج ، ولكن النقود التي ترسل من اميركا لا تزال تحدث العمران والانتظام في القرى المسيحية ، لاسيما في قرية « قيات وبه نو » فانهما يزدادان عمراناً وانتظاماً على الدوام .

ولذلك ان لو عاجلنا تحويل تلك المسمى التي تصرف في اميركا وارجاعها الى سورية ، وحصرها فيها فلا جرم ان بلادنا تستفيد استفادة اساسية لا قسرية .

ويزعم ان « ٣٥ — ٤٠ » في المائة من نصارى عكار يحسنون القراءة والكتابة . وتبعد هذه النسبة في قرية به نو الى ( ٧٠ ) في المائة . ويوجد بين جميع لمسيحيين هناك مقدار ( ١٠٠ ) شخص من دارسى العلوم التالية .

اما الذين به دون من اميركا فلا يبدان استصحبا منهم بعض الحصائل الحسنة التي اكسبهم اياها التلميد ، ولكنهم يأتون مشغلة اعنائهم « محال البطالة والكسل . ولا سيما ان المبالغ التي كانوا يسلونها من اميركا تكون لزم ذريعة « تأمين ماشهم مع العطلة . وهذا السبب خافق في محيط عكار طبقة من كسالى الناس . ولا ريب و ان هو . كانوا اشد الناس ضرراً وبلاءً من هذه الحرب العامة .



## ١٢ — الاموال الصحية

نريد قبل التكلم عن الاحوال الصحية في قضاء عكار ، ان نبث نبذة عن الحالة الصحية في ( حلبا ) . ان هذه القصة مشهورة بعدوبة الماء ولطافة الهواء . فإؤها صاف من اصله ، وهو يجري في انايب الحديد من منبع « عين الجر » التي تبعد عن حلبا مقدار ربع ساعة الى حوض في داخل القصة . ولهذا لا يكون سيلل لترشح الماء وتحلبه . وتوجد في لتاحية الجنوبية قريباً من القرية « عين المملول » ثم في الشمال « عين الوادي » . ويوجد في أكثر البيوت الآبار المصونة . وعليه لا يكون للحلباوين هم بخصوص الماء ، لانهم يجدون الماء النظيف اينما طلبوه .

ولكن يا للآسف ان بيوت حلبا ، بالرغم عن طيب ماؤها وجياد هوائها ، ليست على شئ من الخير الصحي . والخطأ الذي لا يعنى ، هو عدم وجود المحلات الضرورية في تلك لبيوت .

اما القضاء فقد يفرق من حيث الحالة الصحية الى قسمين :

الاولى يشمل الاراضى الساحلية . والثانى يضم انحاء الجرد . والاراضى في الساحل تكون مستوية . غنية بالمياه الجارية ، وتسمى منها تلك الاراضى ولهذا السبب تتكون المستنعات ، وتجل ذلك الانحاء مرزغة .

اما اطراف « الجرد » اى انحاء الجبال فهى يابسة الهواء . وان جبال عكار التى لا ريب في انها الطف جبال سورية ، لم توجد فيها الدروب ولم تتظم فيها القرى . ولذلك فلا يستفاد الآن من هذا المصطاف البديع .

ثم ان البيوت في تلك القرى كلها على نسق بيوت حلبا بعيدة عن الخير الصحي .

اما الامراض المحلية في حلبا وفي الانحاء الاخرى من القضاء ، هى « الحمى المرزغية » وذات الرئة ، وذات الجنب ، وامثالها .

ففى سنة (٣٣٣) اصابت الحمى المرزغية (٧٠—٨٠) شخصاً . وه يكون هذا المرض تسلط على عشر السكان . اما الامراض الاخرى في حلبا فقد اصيب بكل منها اربعة . او خمسة اشخاص . وفي عموم القضاء يصاب كل سنة مقدار (٥٠٠٠—٦٠٠٠) شخص بالحمى المرزغية ، وهذا المرض يكون على الاكثر في القرى الساحلية . وايضاً يصاب « بالتهاب القصبات » مقدار (٤٠—٥٠) وبذات الرئة (٢٠) وبذات الجنب (٥—١٠) اشخاص . وعموم المصابين بمرض السار عبارة عن عشرة اشخاص في جميع القضاء .

لا اثر للمرض الافرنجي هنا ، ولكن اصيب بالاخف منه مقدار (١٠٠)

من الاشخاص .

اما الامراض الطارئة فقد اصاب في حلبا سنة (٣٣٢) (٧-٨) اشخاص بالقلوليرة ، ومات خمسة منهم . واصيب بالحملى النمشية (١٠-١٢) شخصاً توفي منهم خمسة . ولم يدخلها مرض الجدري في هذه السنة .

وفي القضاء كانت الحمى النمشية والجدري متفشية في قرية «فندق» وقد اصاب بالاولى ٦٠٠ شخصاً مات منهم ٤٠٠ وبالثانية ٤٠٠ مات منهم (١٠) اشخاص .

وفي جميع القضاء اصاب بالحملى النمشية سنة (٣٣٢) ، ٥٠٠-٦٠٠ شخصاً مات منهم ١٠٠-١٢٠ ، واصيب بالقلوليرة (٣٥) مات منهم (٢٥) وبالجدري (٣٠٠) مات منهم ٥٠٠ شخصاً . وعلى هذا الحساب يكون مجموع عدد الوفيات بهذه الامراض قريباً من مائتي نسمة .

وفي الثلث الاول من سنة «٣٣٣» لم يظهر مرض الجدري البتة بسبب التلقيح الذي شمل اكثر من «٢٠٠٠٠» من الاشخاص . ولم يوجد اثر للحملى النمشية ولا للقلوليرة لعدم ورود الافراد المأذونة من القطعات العسكرية

\*

\*\*

ان المؤسسات الصحية في قضاء عكار ناقصة جداً . وطبيب البلدية المكفل بالمشاركة على امور الصحة في القضاء من جانب ، ومعالجة المرضى من جهة اخرى — مهما كان جلدأ متحملاً — لا يقتدر على الاحاطة بهذا الامر العظيم والقيام به . ويقول انه امضى في السنة الماضية اكثر من الف ساعة على ظهور الجواد حتى استطاع تفقد القضاء غريبه وشرقه . ثم ان فقدان الوسائط الصحية ، والشرائط الحياتية تشعرا بلزوم الاهتمام أكثر من هذا بحياة تلك القرى المظلومة .

ولا صيدلية في جميع القضاء الا صيدلية البلدية الموجودة في حلبا . وعليه اذا اوجب الامر لحضور طبيب ، او لزم شئ من العلاج يضطر المريض لان يتربص الايام العديدة . وقد كان يوجد قبل الحرب اطباء خصوصية في قرى (به نو) و«قييات» . وصيدلية في حلبا والقييات؛ ثم جراح ايطالي في القيات ايضاً . والآن فقد اقلقت تلك الصيدليات واجلي الاطباء . وفي هذه السنة نقل ما مور التلقيح الى محل آخر .

### ١٣ — اللغة والادبيات

ان اللغة العامة في قضاء عكار هي العربية العجمي . وان الذين يحسنون لقراءة والكتابة قليلون جداً ، وان علمهم بها ناقص . ولهذا السبب يندر هناك وجود من

يعلمون العربية الفصحى . اما اللغة الاخرى ، فان التركية شائعة بين التركمان ، ولكن لا يوجد في حلب ولا في بقية اقسام القضاء واحد من الف من يعلمون هذه اللغة . بيد ان من تخرج في مدرسة العشائر التي كانت في الدور البائد من الامراء السكاريين يعلمون قليلاً منها

اما اللغة الاجنبية فقد يوجد في القضاء من يعرف اللغة الفرنسية « ٢٠ » ومن يعرف الانكليزية « ٣٠ - ٤٠ » شخصاً ، ويوجد بين الذين عادوا من اميركا « ١٠٠٠ » شخص يعرفون اللغة الاسبانية .

فاذاً ؛ ان اعم لغة في قضاء عكار واروجها هي العربية المعجمي . وان تملط هذه اللغة على الطابع بلغ لدرجة انسى الامراء السكاريين اللغة الكردية ، ودخل اللغة التركمانية فاشغل موقع اكثر الكلمات التركية ، وكاد ينسخ اللغة التركمانية بتاتاً ويشغل مكانها .

ان اللهجة في هذه العربية المعجمي هناك لا تختلف عن اللهجة الطرابلسية . ويوجد في هذه اللغة اناشيد كثيرة ، منها ما يتغنى به اثناء الرقص « الدبكة » من نوع الميجاته ، او الغتاه [\*] ، ثم التهميم ، وهو ضرب من الحداء [١] . وادبيات الناس في عكار عبارة عن هذه الاناشيد والاغاني :

ونرى ان ليس في هذه الاناشيد ما يشف عن حياة عكار . ويبحث عن تلك المناظر الطبيعية . ولكن ترديد عبارات الحب فيها يجعلها حرة بالذكر . وها نحن نأتي ببضع قطع من هذه الاناشيد :

— اغنية —

هلا بالورد يا معي هلا  
تعذبي وما طيق العذابا  
ورميت سلام ما ردوا على  
ياشوف الزين من تله لته  
هويت اثنين واحد ما حصل لي ..

فاذا فكرنا بالتلال الموجودة في السهل الكائن على الجانب الغربي من حلبا التي اقيست لاجل المحافظة على بعض الآثار نعلم ان هذه لاغنية ايست بعيدة عن الحالة الروحية المعكينة .

[٢] راجع « ولاية بيروت — القسم الجنوبي » ، مبحث ادبيات الجديدة ص : ٣٣٤ (١) همست المرأة في راس الصبي ؛ نومت بصوت ترققه له . م

ثم يوجد في عكار غير هذه الاغاني من الاهازيج التي يسمونها الميجانه ؛ والعتابه . وها نحن نأتي لكل واحدة بمثال :

— الميجانه —  
يا ميجانه ، يا ميجانه ، يا ميجانه .

ضحكت حجار الدار لقيو احباينا  
يا ميجانه ، يا ميجانه ، يا ميجانه  
ما بوس خدك ما تبوس يدنا  
يا ميجانه ، يا ميجانه ، يا ميجانه  
من بعد حق شولفتي بمحرما ...  
وهذا النوع من الاهازيج يردد على فقرات « يا ميجانه ... الخ » .  
اما العتابه :

— عتابه —

يا هل تجذع دلوك خذ معنای  
سلام لا ريمه الفيت معنای  
وحق اليت يا طابد معنای  
غبت عن فراقهم والنوم طاب ...  
ثم يوجد ما عدا هذه العتابات ، ما يتغنون به أثناء الرقص « الدبكه » . من الاغاني  
الترديدية ويتغنى بها مع التصفيق .

اغنية « الدبكه »

بين السمره والبيضه في قصه بدها ديوان  
واللي بياخذ النسيمه بضل مقضى كيفه  
لقتو بتضل هنيه لو كان تلتينه زيوان  
واللي بياخود السمره عينو بتضل لبرا  
والقدمه معها مره لو عملت اكل الحكام ..  
فما اوضحها من شكاية تتأفف من محيط عكار الذي يندر في اهليه الجمال !

— اغنية اخرى —

مانى يا حبيب مانى  
تولف والحق خلاى  
مانى مدور طمايغ  
وعقل من راسى ضايغ

وشوى محمد بابايع

خوخ وعنب ورماني...

ان هذه الاغاني وغيرها من الهازيج العكارية ناقصة من حيث المعنى؛ بيد ان لها وزناً ينطبق على الرقص ، وقافية كاملة ، وهذه المزية فيها اوجبت كثرة استعمالها أثناء الرقص.

— الحداء —

هي وهي وهليلبه  
وشال الله يارفاعيه  
حطيتو بالمرجوحه  
خفت عليه من الشوحه  
والله عليك صلوحه  
وهزي لليو حتى ينام  
هي وهي وهليلسو  
شيخ احمد يبريتو  
ياربي يكبر ويصير  
انا برني وليداتو ...

ينطق هذا الحداء بالحالة الروحية في عكار من وجوه عديدة . لان طريقة « الرفاعية » آخذة مبلغها من التفنن في تلك الأنحاء ، ولها في كل من قرى « حيزوق وفندق وقرنه » تكية خاصة . ومن جهة اخرى ان العكاريين يعتقدون بكرامات بعض المشايخ ، وهما هم يبحثون لاولادهم في هذا الحداء عن شيخ مدفون في سهل عكار ، ويستمدون من روحانيته التي يتصورونها .

نرى قل ان نتم البحث عن ادبيات عكار ، ان نتكلم على طريق الاستطراد في ما كتب بشأن « ضروب الامثال » هناك . كتب « اطون جميل » مجموعة تتضمن الامثال المتداولة في سورية ، في نسخة حزيران سنة ( ١٩٥٦ ) من مجلة المشرق الشهرية التي يصدرها « الآباء اليسوعيون » في بيروت . ثم ذيلها « سليمان غانم اليسوعي » بمقالة طويلة تكلم فيها عن الامثال المتداولة في عكار .

ذكر في هذه المقالة مائة من الامثال التي تناسب الشهور والمواسم والايام والحداث الطبيعية ، ونسبها الى قضاء عكار . مع ان اكثرها معروف في الانحاء الاخرى ، ومستعمل . نذكر منها :

« النار فاكهة الشتاء — القرش الابيض ليوم الاسود — الولد ان ما بكى ما يترضعه

اهـ . وهذه الامثال موجودة في كل محل ، وحتى في كل لسان ؛ مثلاً يقول المثلثي :  
« مانغال كنادى ، قيش كونك لاله زاريدر . — آق آقچه قاده كونك باجودر »  
اغلاميان جوجفه ميه ويرمزله :

وهذه الامثال هي عين العربية لا تختلف عنها شيئاً . ولا جرم ان الصائغها بالمكاريين  
وحصرها فيهم خطأ . يمكن ان تكون هذه الامثال معروفة لدى المكاريين ، ولكن لا  
يمكن ان تكون من مخلوقاتهم . ثم ان عدم ادخال هكذا امثال شايعة في جميع الانحاء  
السورية ، ولا سيما في مجموعة رشحت نفسها لجمع تلك الامثال هو من النقص الفاحش .  
ومن الضروري على القراء ان لا تعزب عن انظارهم هكذا نقاط مهمة .

## —٧—

### في جبال عكار

#### ١ — من حلبا الى كواشمر

علينا الآن ان نعين اول مرحلة لسفرنا من حلبا الى الانحاء الداخلية ... ولا شك ،  
ان هذا جدير بالاهتمام . لان حالة حلبا التي لا تبعد عن اقصى العمران جعلتنا في ريب  
من المراكز الاخرى التي سنمر بها . كنا نقول :  
— اذا كانت الاقضية الاخرى ، هكذا ...

ما كنا نريد ان تتم هذه الجملة . وكنا نرجح ان نزاح لكل شيء ، لاننا نعلم ان  
التطير في اول خطوة نحو الشمال ، يقضى على ارواحنا بعذاب دائم .  
ولو ان لنا من الزمن متسعاً لكنا نتجول برهة في قرى عكار ، ولو تجرنا الحرمان  
المادى والمعنوى فيها . لاسيما وقد قيل لنا ان لها مواقع تقصد وكان المرغوبون يقولون :  
— ان انحاء الجرد ، هي الطف الاصقاع في سورية من حيث المنظر ، فتلك الشواقي  
وهاتيك المشجرات ، وذلك الماء السلسل ، ثم النسيم العليل . كلها لا مثيل لها قاوى لكم  
ان تقصدها . اما الذين يؤثرون المحاسن الصناعية على البدايع الطبيعية ، كانوا يدعوننا  
لان نسلك سبيل ( عكار العتيقة ) ، ونرى قرى ( بنو ) و « القبيات » .

كنا بن الارتياح في درجة نتمنى ان لو يسعدنا الوقت فنصل الى جميع تلك الاصقاع .  
ومع هذا فاننا آثرنا ان نتجول برهة في جبال عكار ، ونمر على قريتي « كواشمر » و « عديمون »  
التي ينقطع ما السركان وتجوالتنا هذا رغماً عن قصره سيبتد اربع ساعات او خمس على

ظهور الجياداء ثم اذا لم تضطر لتمكث بين التركان، فسير بضع ساعات الحوى ونصل الى «تاكليخ» مركز قضاء حصن الأكراد .  
كنا نرى هذه السفرة التي تشغل يوماً كاملاً، في اولى مرحلة اجمننا عليها، مؤنسة وناقة .

\*

كانت الشمس تبحث بنورها الفضي من اعلى ذرى حلبا، على تلك السهول الواسعة، وجيادنا التي لم نستحذ عليها الا بشق الانفس، قائمة تجلجل على الوقوف ولا تكاد.. امتطينا ظهور تلك العظام المنصوفة، واخذنا نزلق على الصخور الصلدا، ومررنا من جانب البساتين، ثم باليادر في الناحية الشمالية من حلبا .

ذكرتنا تلك الجياد الجياح، وهذه المزلقات الصخرية، وذلك العدم المطلق بالادوار الآدمية؛ وكنا منقبضى النفوس لما توقعناه من العسر والمشقة التي لا بد لنا من تكبدها .  
مزقت يد الصبح خيوط الظلمة عن تلك الربى المتسلسلة ورأينا على هام ربوة «الشيخ محمد» كنيسة كأن بنايتها يبعث بابتسامات ملؤها التهمك والانهزاء!

كنا نسير متوجهين نحو الشمال، في طريق محاذ لحلبا ورباها . وبعد قليل غادرنا الطريق الموصل الى قرية «الحريه» على يميننا، ثم اجتزنا جدولاً صغيراً من فروع (نهر الحريه) وهبطنا في واد عميق . فترأت قبالتنا من بعيد قرية «تل عباس» ثم اجزنا نهر الحريه وانهبنا الوادي، هنالك قامت امامنا الجبال، وكنا نريد ان نتسلق تلك الشوامخ، ونسير الى حيث تطلع الشمس . وكانت عن يميننا بهد الوادي الجبال المتتابعة، التي قامت امامنا والتفت حوالينا . اما ورائنا فكانت السهول والحقول السمراء التي يحدها الانسان بحجراً .

ثم بعد برهة ترائت عن يميننا من بعيد قرية «قته» . وكنا نجتاز ذروة صغيرة، فرأينا امامنا قرية «حوشب» ، وعن يميننا من بعيد قرية «الريحانية» ، وعن شمالنا «قرتي» «سعدين» و«ديرين» . وما لبثنا مدة الا واقلب طريقنا الى منحدر، وقام في جانبنا واديان، ثم عنت لنا ذروة ارفع من الاولى فتسلقنا فيها . وهناك اشمخ امامنا عن اليمين «ظهر القضيبي» من جبال لبنان بذراء المجللة بالثلوج، فصمرت نفوسنا لدينا تجاه عظمة هذا الكلود الشاخ . والان ترائت حوالينا القرى التي لا تحصى .

كنا نودع عن يميننا قرية الريحانية التي كنت وراء الوادي، وتشبعنا عن شمالنا قرية «الغزالية» التي ظهرت من وراء الوادي ايضاً . وهكذا توالى الصعود، والهبوط، واظرد المنظر .

ثم انجلي لنا عن يسارنا سهل المرج الذي يبدأ من الساحل، ويتخلل بين سلسلة الربى ويفصل جبال لبنان عن جبال النصرية .

الآن طريقنا ، نقيب في نحر تلك الصخور ، وصدر هاتيك الجبال محفور بمحوله  
الاعوام ، ووطئ الاقدام . وكنا نطوى تلك المسافة ونحن على ارتفاع عظيم عن سطح  
البحر . ولو لم يكن ذلك الهواء الطلق ، في اعلى تلك الادرى القرية ، لما كان يطلق  
شعاع الشمس المتلهب في ذلك اليوم التوزي .

نمر باصقاع لا حياة فيها ، وكيف يمكن الزرع على صفائح الصخر . ومع ذلك فقد  
تفقد خلال الصخور ، زرع بالذرة الصفراء ، وهذه اوراقها العريضة الخضراء تسبق بذلك  
المهيب التوزي . اما نحن فلا ندرى ، هل كنا معنيين ، ام غير ذلك ؟ بيد ان الذباب  
ذلك البلاط الطنان الذي لا يدفع ؛ ما كانت مناديلنا ولا ايدينا حتى ولا عصينا كافية لرد  
تسلطه ، ولوقوف امام تياره . كنا نسير ونرى تلك الطيور التي دفعتها حاجة الارتزاق  
من انحاء لا نلمسها تتطاير حولنا . ونسمع اصواتها المفردة التي تترشح من ارواحها  
الساكنة . يا للسروء ، ما اصفاهنا من رفاق . وان ادري هل جاؤا في هذا اليوم التوزي  
ليكونوا لنا رموزاً طيعية ؟

وبينما كنا نرى عن شمالنا قرية « شربيل » وراء الوادي ، دخلنا قرية « تلال » . عن  
غير علم ، ولو لم نصلها على هذه الصورة الفجائية لكنا نتمتع فكرتها كثير بانتظارها . وكيف  
يمكن للانسان ان يخلص من الافتكار بين هذه التلال ؟ هانحن لم نزل على ظهور الجبل  
منذ اربع ساعات ، وما كدنا نصل الى وجهتنا المقصودة . وتولى علينا النسق من صعود ،  
وذروة ثم هبوط ، ثم تتعاقب تلك التلال ولا تنتهى ، ونحن لا تزال في الطريق .  
سرنا اكثر من ساعة تارة نصعد بخيولنا ، واخرى نهبط والصخور اليابسة المنعجة مسا  
زالت تتوالى وتتعاقب . وعلى هذا النسق كانت القرى اطردة تذوب بين ذلك الضياء  
الاسمر المغبر ، على اتم السكون .

وصلت الشمس الى نقطة الزوال ، وتراثت عن يميننا قرية « الدوسة » التركمانية وهذه  
كانت لنا نشى ثمينة . وهناك عطفنا عن الشرق الى الشمال وتركنا الوعر ، واخذنا نمشي  
في احقول المحصودة . وسهنا تحت ظلال شجر الحرنوب الاسمر الذي رايناه ملجأ لكل  
روح وحياة . ثم لم نلبث ان رأينا انفسنا في قرية سوداء محلوكة . وهذه هي « كواشره »  
قرية لتركمان .

## ٢ - ديار التركمن

كان دخولنا الى كواشره (\*) في هاجرة ذاك الـ ر التوزي الخفق ، حادثاً غريباً

(\*) يحتمل ان يكون هذا التعبير مأخوذاً من كلمة كوجر التركية الى منهاها الانسان الراحل .  
وجمعت علماً بجميع التفسير العربي .



وغير منتظر. رأينا بضع فادات اسندن اكواعهن الى ركبن ؛ وجعلن وجوههن بين راحتهن ، قاعدات في ساحة اليباده المرتفعة ، قريباً من اكوام سابل القمح الذهبية يتربض ان برين بقراتهن يأتين على آخر ساق ، وآخر حبة من الحشيش الذي يلهتهن . ويتشوقن لان يحصلن على ارتشاف الماء العذب ، من الجرار السوداء المحمولة بايدي الفتيان الذين لاحت اشباحهم من خلال القرية التي كانت تنفث الدخان من بيوت سوداء كأنها كدس من الفحم الحجري .

وأينا تحت ظل السديانة الهرمية التي رافقت الدهور ، وهي مركوزة كأنها علامة للدلالة على تلك القرية السوداء ؛ المطلة بتاجها الرقوع على تلك القرى الداجية ، وعلى هاتيك الذرى المتلجة ؛ حصيرة كبيرة لا يرى لها لون كأنها انزعت من لهيب النار . مترج عليها شرطي التبغ « قوبلى الرزى » مطمورة سخته بالشعر لطول عهده بالخلافة ، وفي جانبه مأمور الضرائب « الوركو » السمين الذي انغمس في الوساخة ، وفارسان من افراد الدرك الذين يتعقبون الفارين من الجندية . وهؤلاء من الزوار الدائمة في هذه القرية . ثم يقربهم بضعة شيوخ تركانية ، منحازين عنهم ، قاعدين مقعد البودية بياهم البالية ومخاطهم التي شوتها الشمس ، واوداجهم الزرقاء ، لو رأيتهم حسبتهم قديداً ؛ ثم بضع عجائز ايضاً ؛ يتربصون ما يتوقع ان يأتيهم من البلاء على ايدي هؤلاء الزائرين . مغلدين في تلك الهجيرة التمزية لا يحIRON كلاماً ، كأنهم حمامة مستنفرة لبدت في عنفها .

تقربنا بجنادنا من ظل الشجرة ، ولحنا على تلك الصحائف السفى من الشيوخ خطوط الاضطراب تتوتر وتتسع ، كأنها دوائر في ماء ساكن رمى بحجر . وكنا نرى فادات التركان جافلات ، ضربن بنخرهن على وجوههن ، وتهاين للهزيمة نحر القرية ، والفتيان نكصوا على اعقابهم بجراهم السوداء ، واخذوا يساقون الريح بالجرى الى حيث اتوا .

ان دخولنا بقعة واماننا دليل من فرسان الدرك ، الى « كواشره » في هذا اليوم المحرق اربح جمع اهل القرية ، وارعب زوارهم ايضاً . وقد شعرنا بهذا الاستياء ورأينا من الواجب ان نضمن قلوبهم . فادهمناهم اننا لم نأت لتناقض ضرائبهم ، ولا لتقبض على قلوبهم ولا لتأخذ منهم جملاً ، ولا جلاً ولا هدية ولا تبغاً ولا شيئاً ، بل ان لنا وظيفة لا تربهم ولا تؤذيهم . وما كادوا يملكون بهذا الا وردت ارواحهم اليهم ، وتبهدا ، اصفرار وحوهم باحمرار ، وابتقت تلك العيون بالبشرى بعد ما كادت تنطفئ من الرعب . هاهم يركضون شيوخاً وفتياناً ، بكل ارتياح ومسرة ؛ فهذا يأتي بسجادة وذاك بفراش ، وانسادات اقبان حكرمنا بالوسائد النمازق . ولم يخل الاحداث علينا بجراهم السوداء .

كان لنا ظل هذه المسنداية الضافي روضةً وتيسياً؛ بعد تكبد الاتعاب بضع بساطات، والانشواء بتلك الشمس المسعرة. ونصبت امامنا عجوز نشيطة علمنا منها انها ارملة الدهقان (المختار) الذي اغتاتله المية مذ سنة، واخذت تتكلم بلغة تقرب من العربية تارة، ومن التركية اخرى، وتمعن في أعيننا لنقرأ ما تكنه صدورنا، وتنظر الى افواهنا لثلتقط كلامنا فتفهم دخيلة الامر، ثم تتقرب الينا فيكنا نجيب من شأنها. ونقول:

— ما اذكي هذه المرأة، وما اقضها !..

ولاسيما لما رأيناها تتقدم ادارة جميع القرية شعرنا نحوها بافتتان وعجاب زائد. ثم ازداد ميلنا اليها لركة عواطفها، وحسن اهتمامها بنا.

هدأ روع الغادات التركمانية. ثم عدن الى المثابرة على العمل واخذن يدرن وراء بقراتهن، ويدرسن سنابل القمح الذهبي.

وهذه القرية ايضاً تلوح عن بعد بمنظر حجارها السوداء كأنها انقاض حريق تأوى اليها الغريان. وانها لتحتاج الى اقامة البراهين الناصعة لتبرهن على كونها موطناً لهؤلاء السقاء الناشطين، ولتلك الغادات الآنسات؛ ثم لهذه العجوز الذكية.

ومع هذا فان لهذه البقعة منظرأً نضيراً. لان ذروة «الكواشرة» تطل على انحاء متناهية في البعد من الشمال والشرق والجنوب، فترى الوديان الخضراء، والجبال السمراء وتلك القرى التي لا تحصى.

كان لنا هذا الموقع المالى كمبر سام نلتقط من فوقه الهمامات الشعر، وبدايع الخيال. وكنا نرى امامنا (العامة) و «عين الزيت» من قرى المكارين و «الدوسة»، وعلى البعد «عيدمون» ثم على بعد شاحط «حالات» من قرى التركمان، كل هذه القرى كانت تلوح على البعد كأنها اشباح ظلية تخط تخوم آفاق تلك الانحاء. وبعد ان رشقنا بانظارنا ما شئنا ان نكشف من رحيق هذه البدايع الطبيعية. التفتنا الى من حولنا، وقلنا:

— ما اجمل منظر قريتك !!

كان هذا الاستحسان، وسيلة لاندفاق سيل من الكلام دهقت فيه صدره الحاضرين فهذا الشيخ الشاخص ببصره اينا، وذلك الفتى القائم امامنا ينتظر امراً يخفف الى انفاذه وذلك الحدث التركمانى المبتسم، كلهم يريدون ان يتكلموا:

— ان قريتنا جميلة... ولكن لا ماء فيها.

وبعد هذه المقدمة الوجيزة اندفعت الالسن قصص لناعز عطش القرية، وقلة مائها. نعم لا يوجد في هذه القرية لا بئر ولا منبع. وتوجد خارجها عين تتحلب بماء قليل لا يكاد يملأ الجرة الا بضع ساعات. وتوجد قرى الامراء المكاريين التي اخذت نصيبها من الري، قريبة من هذه القرية واهلها يضمنون ولو بقطرة من مائهم على هؤلاء

المساكين التي احرق الظلماء قلوبهم . ولهذا السبب كان من الطبيعي لهذه القرية القذامانية البائسة ان تفرق في الحداد على هذا الاحتراق الفاحش .

ولا زلنا ننجب من هؤلاء الناس الذين اهل امرهم كيف يستطيعون ان يحسوا في هذه القرية السوداء التي تتأجج من العطش . وسأنا منهم :  
— منذ كم سنة وانتم في هذه الديار ؟

لا جرم ان سألنا هذا حرك عليهم اشجانهم واحزانهم . فكانوا يجابون وفكرتهم مشغولة . وكنا نصفي بصباح ارواحنا الى تلك الاحاديث السوداء من هاتيك الارواح الكئيبة . ونريد ان نتخفهم بما يسلى افئدتهم :

— جاء اسلافنا مع عائلاتهم الى هذه الديار ، من انحاء جولان التابعة للقيطره من اعمال الشام . وذلك قبل قرن ، او قرن ونصف . ونحن لا علم لنا بصدق هذه الرواية بيد ان العائلة التي تسمى « بيت الصوفي » في حصص من اقاربنا . فاولئك يعلمون من اين آتينا .

ثم اخذوا بعد هذه المقدمة الوجيزة ، يترجمون عن افكارهم بكذا عبارات متقطعة دون ان يحتاجوا الى سؤال :

— نحن نعيش اليوم في هذه القرية التي ترونها ، وهي عبارة عن ستين بيتا وعددا « ١٥٠-١٦٠ » نسمة . وقد كنا قبلاً اكثر من ذلك فذهب منا خمسون شاباً للقيام بالخدمة العسكرية . « والتركاني لا يهرب من الجندية » ولهذا لا تجدون عندنا هارب . وهانحن نسعى لزورح حقولنا التي تستوعب مقدار عشرين شنبلاً ، وننتظر عودة شباننا الينا . سأناهم بعد هذا الافصاح الوجيز :  
— هل انتم مستريحون في قرينكم ؟

لعل سألنا هذا دعاهم للافتكار . لانهم سكتوا برهة . ونحن كنا نفتكر بهم هل هم مستريحون يا ترى ؟ هل هؤلاء الفقراء المساكين يرون انفسهم مستريحة بين هذه الحجارة السوداء لا يسفون قطرة من ماء ، هل هم سعداء ؟ وكنا نتنظر جوابهم على مثل جمر الغضا .

ما لثت ارملة الدهقان « الخنار » ان فتحت عينها كأنها هبت من سبات وقالت :  
— « كنا نرى وجه الراحة من قبل ، اي قبل بضع سنين . وكان الامراء العكاويون يستخدموننا كما تشاء اهاؤهم . وكنا نضطر لاختفاء بناتنا منهم . ثم بادت تلك الايام . « واليوم يوم سلطاننا » . فلا يستطيع العكاويون ان يمسونا بسوء . فالان نحن مستريحون .  
ان هذا الاعتراف الذي انبعث عن روح تركان الكواشرة ، المعصومة الغافلة ذكرنا بييت . بين للشاهر المرحوم توفيق فكرت :

«ايتان خلق ! اذلى بر شقادى ، آدامق...»

اى : اعتقد يا خلق ، ان الانخداع شفاء اذلى .  
ثم هؤلاء من شعره ايضاً :

بوكون حياتى مسلسل بر احتياج سيام  
بوكون سعادتي فاهل بر اشتياق تيام  
بوكون تنفسى يورغون قديد بر سورواه

اولان بو جمعيت...»

اى : [ هذه الجمعية التى حياتها عبارة عن سلسلة من الاحتياج الاسود ، وسعادتها فى الحين الى الفناء بغفلة وانقاسها عبارة عن ثلة من الحشرات المتهوكة ... ]  
الست هذه من تلك الجمعيات التى دأب ذلك الشاعر للافصاح عن حرمانها بمعجز بيانه ؟

ها قد اتضح لنا ان هؤلاء القرويين البعيدين عن كل نور ومدنية ، حاجات لا تعد .  
فهل تنصف الاقدار يا ترى فتسعد هؤلاء الائمةاء المحكومين بالتناقص على كر الايام ، فى هذه القرية المقفرة ؟

من البعث ، نعم من البعث ان نرتاد الراحة والسكون عند 'ولئك الاجسام العضوية الذين هم اوهى وايس من القديد .  
كنا ننظر بتألم الى سحنهم التى لا نعلم كم مرة سفعها الشمس ، ثم الى قريتهم التى كانت كقطعة من الليل الريم ، نتمتع فى الافتكار .

لم يطل الامر حتى اقبل علينا شيخ فى زنده دواة من نحاس ، معمم بعمامة منقوشة ؛  
وهو امام القرية . ثم اسند ظهره الى جذع الشجرة المهرمة ووضع يمينه على صدغه وصاح بصوت راجف من فوق هذه المنارة التى تطل على الاصقاع البعيدة «الله اكبر» . وكان التركان حوله يصغون الى هذا الاذان الحمدي ، بخشوع وخضوع عميق ، وبعضاً يقولون «الله يموتنا على دين الاسلام ...» . ويدأبون ان يأسوا بهذه النقرات هجيرة هذا اليوم التموذي ، والحياة ، حتى كل شيء .

وبما قد غشت الارواح بكثرة السدة الذى افاضت اى القلوب صلاة الظهر فى جماعة وجيزة تحت تلك الشجرة العريضة .

كان النسيم يزور من بين يديهم علفه من دوحه خيبة يملؤها الهم ، ومن كملاء قسى يلدس وجوها بريش من حرير . وكنت حينئذ تجذب طراف احديث مع هؤلاء القوم الذين صرنا اصدقاء لارواحهم الطاهرة اخلاصه . وهم قد استأسوا بنا ايضاً . وبأقوا

من الاستيناس بنا لدرجة ، لم يروا بأشأ باطلاعنا على عاداتهم في الزواج ، بل كانوا يقصون علينا قصصهم بلهجة تركانية ممزوجة بالعربية ويقولون :

— يطلب المختار البنت ، ثم يوكلون من يقرر على المهر ، فيمين المهر ويدفعون السقي غرش وبعد انقبض يعقد العقد . ويحضر في هذا العقد جميع نسوة القرية ، ثم تذبح الذبيحة ويهيئ الطعام ويحرق العرس . ويوقدون في العرس مصباحاً ، ثم يزبنون العروس ويرقصون ويهلهلون ثم يكون الزفاف .

ان هذا التعريف الموجز لاعراس التركان كانت قيمة من حيث تعبيرهم عن افكارهم ومقاصدهم ، واطلاعنا على لهجتهم الحالية وانتمهم اكبر من ايضاحه كيفية العرس . ثم اردنا ان نستطع عن اغانيتهم بهذه الفرصة . فسالناهم :

— هل تتغنون بالاغاني التركية في اعراسكم ؟

فنبسوا باستغراب وقالوا .

— كيف يكون الغناء التركي في ديار عربية ؟ انا نتغنى بالنساء العربي على عزف الزمور .

ثم قالوا :

اذا تغنى احد امانا فانا نفهم :

ثم ابسماوا ، وتجلت عين الالبسة على صحيفة الغادات اللاتي كن في فجوة منا . هذا ولم نرد ان نخرجهم اكثر من ذلك . وقد كاد يمر الميعاد الذي ضربناه : وانست تلك المرأة الذكية اننا تحفز لنستأذنهم بالفراق فقالت :

— عى راكم ، الى اين تذهبون الآن ، اني اخاف ان نامحكم الشمس في الطريق . ولما ثبتنا على قرارنا نهض الجميع قائمين وكان بعضهم يطير الى اعداد الجبل ، والبعض قائم يرمضنا بظرائه الحزينة . ثم رمقنا هؤلاء المساكين الذين اضاعوا لفتهم بنظرة رحيمة وداعية ، وسرنا واخلينا الجو الى شرطي النع ، ومأمور التحصيل السمين ، ثم الى افراد الدرك الذين ما زالوا ينظرون الينا نظر الاستكناه ولم يتيسر لهم ادراك المعنى منا .

### ٣ — من كراشمره الى تكلخ

لما غادرنا حجارة الكواشرة البرنانية ، كان بيننا وبين الغروب مقدار اربع ساعات . ولا تمكن في هذه المدة من ان نمر على قرية ( عيدهون ) التركانية ، ثم نذهب الى تكلخ . ولهذا رأينا ان ندير مباشرة الى تاكلخ ، ومسحنا بيدنا سطرأ آخر من جدول سياحتنا الذي اجمعنا على العمل به .

هنا نحن نطوى المسافات في تلك الصخور الصلدا ، وتنع الشيخ التركماني الذي ارتاح ليكون دليلنا في الطريق ، واختار لنفسه هذه المشقة .

وبعد مدة لاح لنا عن بعد « دير المنجز » وهو عبارة عن بيتين مستورين بالقرميد . وعلى ما فهمنا ان هذا البناء لم يهمل ، ليكون معبداً حقيقياً ، بل هو ملجأ اسس لياوى اليه الذين يتحرون على الآثار القديمة . ثم ترائت على جانب هذا الدير قرية « الدبابية الشرقية » وورائها قرية « حدير » وعن شمالنا على البعد قرية « الدبابية الغربية » ثم امامنا من بعيد قرية « حالات » وقصبة تلكاخ هي وراء تلك الهضبة . فاذا هبطنا في هذا الوادي وتسلقنا الجبل ، نصل الى وجهتنا المقصودة . ولكن ما اشكل هذا ، اخطره علينا ؟

انحدرنا في سفح تقف [١] ودخلنا قرية « الدبابية الغربية » ، وكان امامنا منحدر آخر ، ثم الاجتياز من النهر الكبير الذي ساء الاقدمون *Eleutherus* . وهاقد استطعنا اجتياز النهر الكبير . ولكن تجرعنا من المشقة والالم ما لا يخطر على بال . وكنا نطوى الطريق منهوكة القوى ، وتفكر في الكتاب الاجانب الذين انتخبوا للتجوال اسهل واجمل وآسن المواقع السورية وحرروا مؤلفاتهم . وكنا نقول :

— هل مروا بهذه الوعناء الصخرية يا ربي ؟

ونتحرى هدية تليق بهم لتخففهم بها . ولا اكنتم انني لا يخطر لي مكان اعظم واجل من هذا الوادي . بالرغم من منعته وصعوبته . ما رقراق يتسلسل من تلك الشواهد التي شيعت الى السحاب ، ويسيل فوق تلك الصخور المرمرية البيضاء وضفاف لثري مزدانة بالاشجار المزهرة ، التي املت طيات النسيم نكهة عطرة انتشرت في جميع تلك الانحاء .

كنا نخوض بجبادنا في الماء ورفقاؤنا منغمسين فيه الى صدورهم ، يعالجون ان يصلوا الى الضفة الاخرى . ثم لم نلبث ان دخلنا في غابة كانها من غابات الهة . مرعبة ، ومررنا بين تلك الاشجار المزهرة الكثيفة وغصونها لا تزال تخمش وجوهنا . وهنا انتهت حدود قضاء عكار .

ثم بعد برهة قليلة وصلنا الى قرية مهجورة تسمى « عيون » من اعمال قضاء ( حصن الاكراد ) وكانت مداخنها منهدة وسطوحها متدنية وهي بالتعبير الاوضح كومة من احجار مظلة . وفيها شيخ قوي وناثن وكانوا هم سكان هذه القرية فسالناهم عن شأنهم ، فخطت نحونا غادة سمراء تشبه لارجوان بلباسها الاحمر ، وقالت بصوت اغن :

— مات بعض رجالنا ، ودخل بعضهم الجندية ، والساكن تركن هذه القرية ، والآن لم

يبقى فيها الآن نحن .

ثم وذهبت المتدليل على وجهها واجهشت في البكاء ، وقد علمنا ان هذه القرية النصرانية كانت من اغنى القرى قبل الحرب . ثم اقبلنا نسير الى الجهة التى اومت اليها باصبعها التى لمست فى صياح الشمس واطلمت على انها مرطبة بالدمع . وذللقنا صعدة اخرى ، ولم يتيسر لنا ان نرى انتهاء هذا الطريق ولم نزل الهضاب تتوالى بفناد مفرط . وبالنهاية ترائت لنا بضع اشجار كبيرة على ذروة الجبل ، وبها نالت انظارنا بشرى السعادة بالوصول الى اقصى الامران . وبعد مدة لاحت لنا قرية محلوكة ( حاله ) فى الداحية الغربية من الاشجار ، وهذه الانحاء ايضا كانت تسائر الاصفاع تتركب من الاحجار البركانية السوداء . قطعنا هذه القرية بقليل ، ورأيت امامنا وادع فاعترتنا الحيرة والدهشة . لاننا المضطربون لان نقتلع هذا الوادى ، ثم نستطيع لوصول الى « تالكايخ » . ولكن لم يكن ظنا مصيباً . فند قطعنا الوادى ، والهضبة ايضا ولم نزل لهذه القصبه اثرأ . وبعد منحدر يسير وصلنا الى قرية ( نخيه ) وهى قرية سوداء مبعثرة . وهناك حل العشى ، واخذت الشمس فى الغروب .

هذه اسراب الغنم ترجع لمرايضها ، وتهم باصواتها لتتيم تلك السهول المقفرة ، والجبال الرهيبة .

ثم بعد واد ، ومسافة يسيرة ، من الصخر ، وصلنا الى سهل مستو ، فيه دكام الحجارة السوداء ، بينها بضعة بيوت قريديه . وهذه كانت تالكايخ التى مازلنا منذ الصباح ونحن نزجى مطين اليها .

## — ٨ —

### حصن الاكراد

#### ١ - موقع القضاء ومردوده وموانه الطبيعية

ان هذا القضاء كائن فى الشمال الشرقى من قضاء مركز طرابلس الشام ويحده من الشمال والشرق قضاء حصص ، ومن الجنوب قضاء عكار ، ومن الغرب قضاء صافيتا . وان الانحاء الشرقية والشمالية والجنوبية من هذا القضاء تارة عن اصقاع جبلية ، وليس فيه سهل الا قسم البقية المشهور . وان اعلى نقطة فى هذا القضاء هو جبل ( الصبح ) الذى يبلغ ارتفاعه ( ٥٥٠ ) متراً .



حصن الكراد





ونبع الناصرية ، ونبع فريشلو ، ونبع عين فراش ، هي جداول تمر على الأرض المنبتة فتسقيها ثم تصب على النهر الكبير . ولم ير هذا القضاء ثلجاً منذ سنة ( ١٣٢٩ ) ، وتصعد الحرارة فيه أيام الصيف إلى ( ٣٢ ) درجة . والحرارة الوسطى في موسم الشتاء هي ( ٦-٨ ) درجات .

### ٢ - مساحة القضاء وعدد سكانه

ان مساحة هذا القضاء تخمن بمقدار ( ٥١٣ ) كيلومتراً مربعاً . اما عدد سكانه فكان سنة ( ١٣٣٢ ) ، ( ٢٩٧٠١ ) نسمة منها ( ١٦٤٢٣ ) من المسلمين و ( ١٣١٧٦ ) من الروم الاورثوذكس و ( ٧٨٠ ) من المارونيين و ( ١٧٨ ) من البروتستانت ثم ( ١٤٤ ) من الكاثوليك . ومجموع اللدات في هذا القضاء سنة ( ١٣٢٧ و ٣٩ و ٣٢ ) كان ( ٥٩٣ ) نسمة وعدد الوفيات ( ٣٠٢ ) من النسبات .

### ٣ - احوال القضاء العمومية

يتألف هذا القضاء من ( ١٧٦ ) قرية منقسمة بصورة غير رسمية الى نواح « الشعرا و وادي النصارى وجبل الحلو والوعر » . واشهر القصبات والقرى في هذا القضاء من حيث كثرة النفوس هي « تلكلخ » في ناحية الشعرا و « مرمرية » في وادي النصارى و « شين » في جبل الحلو و « الحديده » في ناحية الوعر . ويوجد في كل من هذه القرى بالحساب المتوسط ( ٥٠٠ ) نسمة . بيد ان سكان قرية « شين » التي يقطنها النصارى يبلغ عددهم ( ١٥٠٠ - ٢٠٠٠ ) نسمة . وتوجد في كل من « تلكلخ » وقلمة الحصن وحالات ومشته ، حمود واشين وزاد او مشته ، حسن ، مدرسة ابتدائية . والمدرسة الابتدائية في « كنز القضاء » التي تتألف من ستة صفوف ، موجودة في « نزل ما فيه الا حجرة واحدة و رغماً عن هذا فان لها ستة من المعلمين ، اثنان من هؤلاء متخرجون في دار المعلمين ولكن مال عزيز انهم لا يرجحون من حيث الاقدار والسعي والاهتمام على رفقاهم المحرومين من كل هممة ونشاط وتوحد ما رسة الاثبات فيها زهاء مائة تلميذة . وبروز ان امة الوحيدة ومهاجرة مسلمة تحس اللغة الانكليزية . باس باقديرا العلمى لا رغبة في العلم . كان الى المدارس القروية . وللصاوت ، درة ابتدائية في قرية مرمرية يوجد فيها ( ٥ ) تلميذاً . وقد اسس الروسيون قبل اشهر الحرب مدرسة في قرية « سكجا » اما الآن فهي مغلقة كامثالها من المدرس اجنبية .

## ٤ - الاموال الزراعية في القضاء

ان ثلثي الاراضي الصالحة للزراعة هي في ايدي اسرة « الدندشلي » ، ثم ما بقي فهو في ايدي النصارى والصيريين . ومجموع الغلال السنوية في هذا القضاء هو على ما يأتي :

جنس الغلال	الاراضي المزروعة	مقدار الغلال
القمح	٧٠٤٠٠٠	٩٤٠٤٠٠٠
الشعير	٢٠٤٠٠٠	١٤٠٠٠٠٠
الذرة البيضاء	٤٠٠٠٠	١٢٠٤٠٠٠
الذرة الصفراء	٢٥٠٠٠	١٢٥٠٠٠٠
الحصص	١٠٠٠	٦٠٠٠
الفول	٥٠٠	٤٤٠٠٠
السمسم	١٠٠٠	٢٠٠٠٠
العدس	٧٤٠٠٠	١٤٠٠٠٠
الجلبان	١٤٠٠٠	٣٠٠٠٠٠
اشجار الزيتون	٤٠٠٠٠٠ عدد	٢٠٠٠٠٠٠ كيلو غرام
الكروم	١٢٣٨٠	٢٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ غن
		٨٨٠٠٠٠٠٠٠ عرق
		١٨٠٠٠٠٠

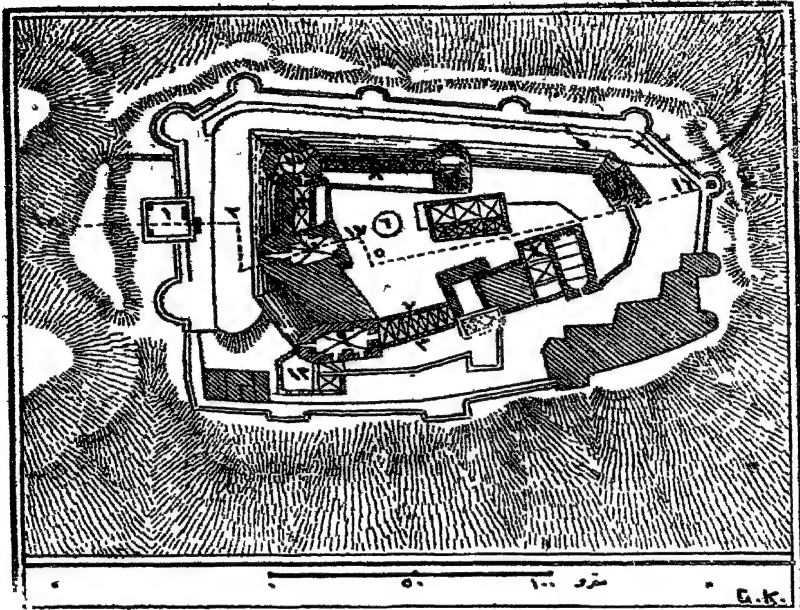
الشرانق

ما تجارة البضاء فهي تنحصر بالحبوب ، والحارير والزيتون ، ثم بنسج السجاد في قرية ( زارا ) . وينتد سوق سنوي في قلعة الحصن بـ ( ٢٠ ) نيسان ، وفي جانب دير الحضر في ( ١٥ ايلول ) ويقصدها القرويون ، فيشترنون حوائجهم او يتبادلون . وان الاسكة الحدودية من طرابلس الشام الى حصص تقطع هذا القضاء الى امتدده . وسكون للسكان من هذا الخط اعظم النفع .

## ٥ - الآثار القديمة في القضاء

ن قلعة حصص الاكراد التي تبعد مسافة ساعتين من قصبة تللكلخ ، الكائنة في جانب سهل « البقية » ، كانت تعرف عند الصليبيين باسم ( *Krak de Chevaliers* ) ( \* ) .

\* ظهر لدى البحث الحديث ان قلعة حصص الاكراد كانت مهجورة في القرون الاولى وكان اسمها ( شبتة ) ، او « سنته » ويروي ان قد بنى هذا الحصن في أيام السلالة الثامنة عشر من الفراعنة واصلحه رستم بن الثاني وسماه « ماريا مون » . وبقي هذا الاسم الى بعد وفاة الاسكندر الكبير . وعليه لا يكون عمل الصليبيين في هذه القلعة الا عبارة عن تبديل شكلها فقط .



### خريطة قلعة حصن الاكراد

برج مربع، ٢ الخندق؛ ٣ المدخل؛ ٤ الدهليز المسقوف، والكنيسة،  
 والبهو الكبير؛ ٥ الصحن الفوقاني؛ ٦ الساحة؛ ٧ المشتملات؛ ٨  
 الدهليز ذو النافذات؛ ٩؛ ١٠؛ ١١؛ ١٢ غرفة معدة  
 للدفاع؛ ١٣ بناء مقرض؛ ١٤ برج؛ ١٥ برج بشكل مستطيل غير  
 منظم؛ ١٦ برج صغير؛ ١٧ باب كان يدخل منه الحفر



وقد جاء في كتاب برق الشام لمؤلفه ابن شداد المؤرخ العربي . ان وإلى حصن « شبل الدولة نصر ابن مرداس » ارسل سنة (٤٢٤) هجرية فرقة من الأكراد لاجل القيام بالدفاع عن هذه القلعة ولذلك اضيف اسمها لاولئك المدافعين . وكانت تعرف قبل هذه الحادثة باسم قلعة الصفح . ون سنة (١١٠٢) حاصرها قونت سن جيل ، واكتفى بحصارها ولكن بعد ثمانى سنين هجم عليها طاهر د حاكم انطاكية بئدة وتوفى لتسيخيرها . وفى سنة ١٢٤٥ اقطعهم ريمون حاكم طرابلس الى فرسان هوسيتاليه . ثم حوصرت فى ايام تور الدين حاكم حلب ، وصالح الدين الايوبى بطل حطين ولكن لم يتيسر لهما فتحها . ولم تذكر هذه القلعة فى نص المعاهدة التى عقدت بين الملك الكامل وفرم د ريق الامبراطور الثانى .

وفى العصر الثالث عشر للميلاد توجهت اقطار مسلمى حما الى هذا الحصن ولكن لم يتيسر فتحه الا للسلطان بيبرس فى ٨ نيسان سنة (١٢٧١) وذلك بمعونه الملك المصور صاحب حما وسيف الدين امير صهيون ونجم الدين رئيس الاسماعيليين . وقد اذن لفرسان هذا الحصن ان يخرجوا منه سالمين ، بشرط انجلائهم عن سوزية وعودتهم الى بلادهم .

وهذه القلعة احتفظت — الا « ايلاً » — بهيتها التى كانت عليها فى زمن الصليبيين وحصن مسور بخندق يمكن املاؤه بالماء اذا اوجب الامر ، ومحاط بسورين ايضا . فالسور الاول اعلى من الثانى وقيه بروج متعددة . ويدخل الى القلعة من باب مطلق على الغرب واثابة التى نقشها الملك الظاهر مكتوبة بعنقا فى الصحيفة ١٦٦ « من هذا الكتاب . والدهليز الذى به امر الباب الخارجى ينقسم الى قسمين ، فالقسم الاول يوصل الى بروج السور الاول ، والثانى الى الاستحكام الصغير . وهذا الدهليز الذى بنى بدون قبة ينغطف عند انتهائهم السور الاول الى غير وجهته ، ويتصل بدھليز آخر . ومنه يمر على السور الثانى ويدخل الى القسم العلوى من الحصن ، والدهليز الذى وضع عيه رقم (٤) على يمين الرسم هو المدخل الذى يصل الى الكنيسة ، وطول هذا المعبود ٢١ وعرضه ٤٠ مترآ .

وفى الطرف الآخر من ساحة الحصن الكبيرة تجاء الكنيسة ، يوجد بهو لطيف يحتمل ان يكون من آثار العصر الثالث عشر ، وطوله (٢٥) مترآ وعرضه (٧) مترآ والحنايا التى بنيت على الطراز النوتى مكرورة على تيجان العواميد المزينة بالاوراق البتية وبالصور الخيلية . ويوجد على جانب الرواق امام مدخل البهو شعر باللغة اللاتينية حـ فى القرن الثالث عشر ايضا ، ثم فى الجهة الشمالية منه توجد نقاش كان بناؤها يستعمل كالاصطبل . ويبدأ من هناك سلم يصعد الى السطح الاعلى وتحت هذا السلم كان مخزناً ، اما البروج الموجودة فى منتهى الجنوب من الحصن ، هى من امتن اقسام الحصار وهذه البروج مقسومة لعدة طبقات وخصص منها لوضع الذخائر واليهامات ، واسكان

المساكن طبعات مختلفة .

ثم يوجد بين البرج الاول والثاني بنيان ، يفهم من نسق انشاءه انه كان معدا لوضع الآلات الحربية الجسيمة . اما البنيان ذو الزوايا الخمس الذي اشير اليه برقم (١٢) فنالحق انه بنى بعد الحصن ، والحق به .

## ٦ — موقع تل كلخ ومنظرها ومطورها الداعية

ان قصبة ( تل — كلخ ) ، مركز قضاء حصن الاكراد التابع للواء طرابلس الشام هي — كما يفهم من مدلولها اللفظي — مبنية في ساحة مستوية تقرا . في السفح الشمالي من هضبة جرداء خالية من الشجر . وتوجد في هذه الهضبة جنوباً من القصبة قرية ، برج الدنادسة ، وراء عين الهضبة توجد قرية « عين الحرامية » . ويوجد في الجانب الشرقي من هذه القصبة ، الطريق الذي يبدأ من طرابلس ويمتد الى حمص ، ثم ورائه قرية ( حجة — حلي ) وعلى غلوة منها قرية ( قوته ) في جانب المنبع المسمى بعين الجرد وفي الجهة الشمالية ، بعد قليل من السهل ، يوجد واد يفيض في الشتاء ، وفي جانبه هضبة صغيرة تدعى « تل الشالي » ، ثم في الجهة الغربية منها توجد فسحة مستوية وبعدها « عين المضاربة » وعلى غلوة منها مجرى الوادي الذي يفيض في الشتاء . وعليه فان القصبة عبارة عن سطح مستو محاطة من جهتها بهضاب متقاربة ومتباعدة .

ولهذا السبب كانت انحاء القصبة من حيث المنظر كصحيفة ترابية كبيرة ملونة بلون بني قاتم ، نثر في انحاءها مقدار مائة من البيوت جاءت عفواً على شكل ركام من صخور الحجر الاسود ، اما داخل القصبة فهو كخربة محروقة او كساحة اعدت لمرض الفحم الحجري وقصدي القول ان الاسود والاغبر من الالوان لها في تل كلخ امتزاج ينقبض له الفؤاد ، ويدع الفكر يفرق في ظلمات من الخواطر .

هي صبرة ركام ، او رداً حالك ، او ليل دجوجي ، او سحابة سوداء ، او حشرة كبيرة سوداء قائمة على مائة وجل .

وولم يكن فيها بضع منازل بالفرميد الاحمر ، والجامع الابيض لاشبهت هذه القصبة الجرداء المحرومة من الالوان . اشياء كثيرة منغمسة في هذا اللون الحاد .

على ان الهضبة الكائنة في الجانب الجنوبي من القصبة هي بمثابة شاطئ لبحر هذه

١ — تل كلخ — تقرأ بفتح انا وسكون الام ، ثم بفتح الكاف واللام وسكون الحاء . فانتل معناه الهضبة وكلية ( الكلخ معناه العناية . فيحون معنى التركيب الهضبة الجرداء ) ويروي ان الكلخ ضرب من الفجر كان مفروساً في تلك الهضبة . واليه اضيف الاسم والاوهى صدق التعليل الاول .

## حفتن الاكراد

٣٣٥

الظلمات فعلى من رام ان يخلص بفكره ونظره من تلك الظلمة الداخلة ان يقصد لها شئ من الرطوبة . ولا بد لمن يرتقى الى همام تلك الذروة ويشاهد بدايع الطبيعة الحبيطة ، ان ينشئ سواد وجهه تلك الخ الممسوخة ، ويعتاض عن ذلك الليل البهيم ، بانوار صبح بهيج .  
نعم ان منظر هذه الروبة الذى لا ينكسر على ابعاده خط البصر ، هو جدير ان يرى .  
واول خط فى هذه الساحة البديعة تحطه قرية « با. وحه » منازلها البيضاء التى تبسم بوجه الناظر ، ثم يتبعها فضاء اسمر ، وبعده هضبة « القلعة » ثم فوقها « قلعة الحصن » الشهيرة ، تلوح كالظلل القاتم . ثم فى الجانب الايمن تترأى منازل قرية « مجته » عن بعد ، ثم تشاهد بعيداً عنها شواقي جبال لبنان مستورة بالثلج الابيض ومن جهة اليسار سفوح الربى المتسلسلة السمر ، او القاتمة ، ثم فى عين الجهة قلعة « برج زاره » البيضاء وبعدها قرية « الحجر الابيض » وورائها فوق الجبال العالية « برج صافينا » يلوح ب عظمتها ، وسموه وبهذه المناظر الجاذبة ، وبما تبعته على القاب من التسلية يمكن ستر افكار تلك الخ ، واخفاء سحتها البقاء القائمة التى تنقبض من منظرها النفوس .

ان هذه القصة — رغمًا عن صغر حجمها — لم تنظم بعد فترون اكوماً ، حجارة سود ، ثم بضعة منازل قيرميدية ، فى جانبها الشرقى بضع خيام من شعر لعرب البدو مجللة بحصائر سود ، وبضع كومات من الحجارة سميت حوانيت وهى من عدم الانتظام فى درجة يظنها الانسان كانت فى قبضة ثم حذف بها على هذا السهل وبقي كل مزا فى محل سقوطه . فاخاطت الطرق والساحات والبساتين ، والابنية وصارت ساحتها كراس الزنجى مجمعا للاخلاق . وتحتاج فى تنسيقها وتنظيمها الى آله قوى متين ، او الى مشط من حديد .  
فى قبضة هكذا قوة .

## ٧ — الاموال العمومية فى تلك الخ

كان مركز القضاء من قبل فى « قلعة الحصن » الكائنة على ٤٥ و ٣٤ درجة من العرض الشمالى وفى ٣٣ و ٥٦ درجة من الطول الشرقى والبعيدة عن طرابلس بمسافة ( ١٢ ) ساعة . ثم نقلت الحكومة هذا المركز قبل بضع سنين الى تلك الخ الكائنة على الخط الحديدي من طرابلس الى حمص .

وعدد سكان هذه القرية ذكوراً واناثاً ( ٩٤٩ ) نسمة ، وكهم مسلمون ولا تختلف فى المنظر عن تبة اخرى . وقد اسست فيها اليوم دائرة للبلدية وكان دخلها سنة ( ٣٣٣ ) ، ( ٤٧٩٤١ ) غرشاً وخرجها ( ٤٦٢٠٣ ) وبما ن دخل بلدية قصة جنين ( ١٦٥٨ ) ، ودخل قصبة الجديدة ، مركز قضاء مر - يون ( ٣٤١٨٥ ) غرشاً ، فتكون ميزانية تلك الخ بمقدارها هذا جديرة بالنظر .



اما قصبة الحصن فان عدد سكانها يربو على ستة آلاف ، وهي كائنة في جانب القاعة المسماة باسمها . وكانت في القرون الوسطى على جانب عظيم من الخطورة . وهي محاطة بسور متين له بابان يروج الواحد في الجهة الشرقية . والثاني في الجهة الغربية ، ولهذه القسبة جامعان . بنى اعظمهما الملك الناصر . ويوجد في القلعة جند الامير صارم الدين الكفروزي الذي كان اول وال في هذه القلعة بعد ما فتحها المسلمون . ثم قريب منه جند الامير نور الدين ، والامير بهاء الدين من اصحاب السلطان بيبرس .

## ٨ - الاحوال الاجتماعية

[١] - الحيات الاجتماعية في تلك الخ - لاقية اجتماعية ولا مزينة تاريخية لهذه القسبة الا انها قرية صغيرة فيها مائة مسكن قائمة على سكة طرابلس - حصن الحديدية . ولهذا لاسيلا لها ان تمثل قضاء « حصن الاكراد » وتكون مركزاً له .

لاسيما وان ما بين من سكان هذه القسبة التي لا يتجاوز عدد سكانها ( ٣٠٠ ) نسمة هم من اسرة « الدندشلي » بالتعبير التركاني ، او « الدنادشة » بالتعبير العربي الذي خلقته الاستحالة الثانية في هذا الاسم ، ثم من الزنج ، واما ما بقى منهم فهم من البدويين ، او التعبيرين الذين هم من حواشي الدنادشة واتباعهم . فاذا اطلعنا على هذه الحقيقة نعلم ان تلك الخ لا تكون معكساً تاماً لاجتماعيات القضاء البتة .

وسيمر بنا اثناء البحث عن الاحوال الاجتماعية في القضاء انه يوجد افراد من هذه الاسرة في أنحاء القضاء ، ولكن بما ان البقعة التي قطنها هؤلاء القوم منذ القدم ، او بالتعبير الاوضح ، مركزهم الطبيعي المسمى « برج الدنادشة » كائن على ربوة في الجهة الجنوبية من تلك الخ ، يكون البحث عن احوالهم في هذا الفصل ضرورياً .

يزعم الدنادشة (\*) ان جددهم هاجر من اليمن قبل ثلاثة قرون ، ولبتمة في حوران ثم جاء الى هذا المكان المسمى « برج الدنادشة » وان بعضهم يوغل في امر نسبهم ويدعي انهم من اخلاف الحميريين . والقول الحق ، هو انه كان لهؤلاء المهاجرين رئيس يسمى « الشيخ اسماعيل » وكان يزني سرج جواده بهداب (\*\*) فسماء جيرانه التركان « دندشلي » وسموا ذويه باسم « دندشليار » اضافة لصفته ثم عرب الجمع فكان « دنادشة » وهو اسمهم منذ قرون . وبعد ان اتوا لهذا المكان ، رجع احد اخوة الرئيس « الشيخ اسماعيل » مع قسم من العشيرة الى انحاء حوران واقام فيها . واخلافهم اليوم تدعى هناك باسم « الفحيليين »

(\*) راجع « الرحلة الشامية » تأليف محمد علي باشا شقيق عباس حلمي باشا خديوي مصر  
(\*\*) دندش ، دنداش : هدابة ، هداب

اما الدنادشة المقيمون اليوم في تلكلخ ، فيقرب عددهم من مائتين وكلهم مسلمون وسنيون . وجميعهم يشتغلون بالزراعة في هذا القضا . ودخلهم السنوي عظيم جداً . ويوجد بينهم من يبلغ دخله السنوي الى « ٥٠٠٠ » ليرة ، واقلهم غداء لا يقل دخله عن « ٢٠٠ » ليرة في السنة . ولهذا يمكننا ان نعتبر قصبة تلكلخ بمثابة مستعمرة تلك الاسرة الغنية . وتنحصر هناك السلطة والقدرة وكل شيء ، في تلك القوة المنفردة . ثم ما بقى من السكان وهم ثلاثون او اربعون نسمة يتمون الى الاسرة « الزعية » وسنتكلم عن هذه الاسرة في المبحث الخاص .

اما البدو من سكان هذه القصبة فهم بالمنفى الكامل خدام للدنادشة ، ولهذا لا يمكن ان تكون لهم قيمة اجتماعية . والنصيريون ايضاً مثلهم . ولا نرى حاجة للافصاح عن عبودية هؤلاء المتحركين بارادة اولئك الاغوات [\*] المسيطرين ولا مقام لاوئك البدوين الرحالة ، ولا للنصريين الفقراء في تلكلخ اذا لم يرض عنهم اسيادهم . ولهذا فالحياة في تلكلخ هي حياة الدنادشة فقط . وسنتكلم عن هذه النقطة أثناء البحث عن الاحوال الاجتماعية في القضاء .

[٢] — الحياة الاجتماعية في حصن الأكراد — يمكننا ان نقسم سكان هذا القضا الذين يبلغ عددهم الى (٣٠٠٠٠٠) نسمة . الى طائفتين كبيرتين ، الطائفة الاسلامية والطائفة المسيحية .

ان عدد المسلمين في هذا القضا — ان صدقت القيود الرسمية — يشمل ثلثي مجموع السكان ، ومن الخطأ الظن بهذا الجمع الذي يبلغ بعده زهاء ( ٢٠٠٠٠٠ ) نسمة ، انه متجاس . لان من هؤلاء ( ٣٠٠٠ — ٣٠٠٠ ) سنيون ، والباقيون كلهم نصيريون . ثم يفترق السنيون الى « دنادشة » و « زعية » و « تركان » . وعشيرة « الدنادشة » التي بحثنا آنفاً عن منشأها واصولها تضم قريباً من (١٥٠٠) نسمة من ذكور واناث . وهم منتشرون في الانحاء الشرقية والجنوبية والغربية من هذا القضاء ، واكثرهم في الجهة الجنوبية . واهم القرى التي يسكنونها هي « تلكلخ » و « مجته حسن » و « مجته حمود » وكلهم يشتغلون بالزراعة ويزعم القرويون « ان هؤلاء متصفون بالسلطة والتغلب ولا يزالون يفصلون اموال اقربويين واملاكهم ويشددون الظلم عليهم . وربما يضربونهم ويهينونهم ، ويستخرونهم باشغالهم قسراً وبلا اجرة » .

ولهذا لا يعثر على فقيرين امرء هذه الاسرة . وليس بينهم من ينقص دخله السنوي عن مائة ليرة الا مائة شخص . ثم (٥٠٠) منهم لا يقل دخلهم عن (٥٠٠) ليرة ، وخمسون

[\*] جرت العادة باضافه لفظ « آغا » الى اسماء الدنادشة . ويطلق على بعضهم بك ( ايضاً

منهم لا يقل دخلهم عن ( ١٠٠٠ ) ليرة وإحدى منهم فقط له مقدار ( ٥٠٠٠ ) ليرة من الدخل في كل سنة

ومن اواجب ان نعرف لهؤلاء الاغوات بسخائهم وكرمهم كما يروى عنهم ، ولهذا السبب لا تزيد ثروة القضاء عن خمسين الف ليرة بالرغم عن كثرة الاغنياء فيه . فاذا فكرنا بلمة هذا المبلغ نحكم ضرورة بان ليس عند الدنادشة امساك ولا بخل ، وهكذا فان لهؤلاء الاغوات منازل فخمة ، فيها اثاث ثمين . ثم ان انشغالهم باظهار آثار الذم والثراء بمعيشتهم ولباسهم ا كسبهم في الخارج شكلاً زاهياً . وسرى في الابحاث الآتية ان انهماك هؤلاء بحب الخيل واقتناء عتاقها وكرائمها ، حدى بهم الى الفروسية . ولهذا فأنهم ، بركبهم الجياد الكريمة وتتوجههم بالعقل والعصائب الحريية واكتسائهم بالحرير وقطعهم بالسيوف وحمائم بنادقهم على اكتنائهم وتجوّلهم في انحاء حسن الاكراد يرهقون سكان القرى طغياناً وعسراً . لا حـ م يكونون كمنغلي قضاء عكار في الإوصاف الاجتماعية . وهم مثلهم في السلطة والتغلب ايضاً .

\*

والقسم الآخر من السنين يعرف باسم « الزعية » ويزعم افراد هذه الطبقة الذين يبالغ عددهم الى المائتين ، انهم من اخلاف « عبد القادر الكيلاني » من السادات الزعية واكثرهم يترك في « قلعة الحصن » ، ولا فرق بينهم وبين الدنادشة من حيث اضطهادهم القرويين وظلمهم . على ان هذه الفئة تتسم بصفة عامة ايضاً ، ولا مساغ للحكم على راحة هؤلاء بحياضهم الاجتماعية رغماً عن ثرائهم المعتدل . لان اكثرهم عنده ثلاث واربع زوجات وليس اعم نصيب من النور الفكري النابع ، وعليه يجب ان لانعيا بهذا الادعاء.

\*

ثم القسم الثالث من السنين هم « التركان » ، وهؤلاء يسكنون في قرى « زاره » ، حكيه ، حصرحية ، ، ومجموع عددهم ( ٤٠٠ — ٥٠٠ ) نسمة . ويزعمون انهم توطنوا هذه الديار منذ زمن اناسطاس سليم الاول . ولكن ليس لديهم برهان يؤيد هذا الادعاء . وهؤلاء يشتغلون بنسج السجاد كما هو الحال في تركمان عكار ، ومعالجون تأبين معيشتهم بهذه الصناعة ومع هذا فانهم فقرا مدقعون ، ومحرومون من كل شيء . حتى ان القسم الذي يشتغل بالزراعة منهم لم ينتج من تسلط الاغوات ومداخلاتهم .

\*

اما غير السنين من المسلمين ، فهم النصيريون الذين تجايد عددهم ( ١٥٠٠٠ ) نسمة وهم يشتغلون بالزراعة ، ما بصفة مزديعين في قرى الدنادشة والزعية ، واما في بضعة قرى خلصت لهم في انحاء « جبل الحلو » . وهؤلاء الذين يسكنون الاصااع الشمالية الشرقية

والجنوبية والشرقية من هذا القضاء كلهم على غاية من الفقر . هذا وإن كان بين النصيريين في قضاء صافيتا وغيرها — كما سنذكر بعد — أس اغنياء اقوياء ذوو سلطة وبكلا وبرواكن بما ان قضاء حصن الكراد هو مبدأ الربوع النصيرية ، وفيه من ذوى السلطة والنفوذ لا يقوى النصيريون على مقاومته ، لم يكن لهم مجال للقوة فيه واصبحوا تحت سيطرة تلك السلطة التي زجت بهم في الفقر المدقع . ون هذه الطبقة التي تسكن في اوكان قاتها صبراً من الاحجار هي في دركة منحطة جداً .

\*  
\*\*

اما النصاري في حصن الكراد فيسكنون الهري الكائنة في انحاء « وادي النصاري » وعددهم يقرب من (١٠,٠٠٠) نسمة وهم يشتغلون بالزراعة أيضاً . هم من جث الماشية ارقى من النصيريين بدرجة او درجتين ، ومع ذلك فان شرائط الرخاء والراحة في العيش ليست متوفرة لديهم .

\*  
\*\*

فاذا اردنا اجمال ما فصلنا الآن ، نقول ان قضاء حصن الكراد منحصر في ايدى بضعة طبقات من الاعيان يستفيدون منه . لذلك فلا يجب ان نعجب من عدم وجود غيرهم من الطبقات الاجتماعية .

[٣] — العادات الاجتماعية — للمسلمين في حصن الكراد بعض عادات اجتماعية مشهورة تلفت النظر . واهمها التقاليد في الزواج . ولي طالب الزواج هناك اولاً تقديم عربون يسمونه « العلامة » . وتكون هذه العلامة خاتماً او دراهماً . ويرسل معها بعض مواد كالحهوه وغيرها .

ومع ان المهر المعجل والمؤجل في هذا القضاء كاد ان يكونا على تساوي . ويتراوح المعجل بين (٣,٠٠٠) و(١٠,٠٠٠) وكذلك المؤجل يتراوح بين (٥,٠٠٠) و(١٠,٠٠٠) من القروش .

ورعنا ان نلقى قصة المولد الشريف يوم عقد النكاح . وبعضاً يحتفلون به سبعة ايام ويسمونه « الفرح » . ويكون على هذا النسق :

يؤتى بطريين من النور الى بيت الحياط . ويضربون بالطبول ويصفخون في الابواب ويهشون احمال المزينة نازهي الزينة ويركب عليها البدويون ، ويمتطي المكان ظهور الجياد . ثم يمسى الموكب بين ضرب الطبول والزمور ، وينهض راكبو اجمال ويرقصون وبايديهم

المناديل او السيوف ، ويضنون (\*) ويملأون الانحما جلبة وضجيجاً . ويسمون هذه الاغاني « ملالا » .

وهذا الموكب لا يفتأ يتحول في تلك الانحما سبعة ايام . وبهذا يذوع خبر النكاح ويطلع عليه كل الناس . وبمضاً تكون هذه الاحتفالات بعد العمد ، او قبل اجراء الزفاف بسبعة ايام . وبهذا الشكل تكون ليلة الزفاف هي خاتمة ذلك الاحتفال ويتنحون بهذه الاحتفالات الى خارج القصة ويوقدون الناد ويطلقون السلاح ويتغالبون بالمظاهرات . ويسمون هذه الالاعاب « مرسحا » .

ويحتفلون بولادة الذكور ، ويطلقون السلاح ويفرحون . اما ولادة الاناث فلا يهتمون لها . ويروى ان الدنادشة يحرمون بناتهم من الارث ، ولكن يجزلون لهن الجهاز عوضاً عن هذا .

وهاتين العائلتين في حصن الاكراد « الدنادشة والزعية » لا يتزوجون بناتهم الا لاقاربهم . وحتى ان الدنادشة لا يتزوجون من الخارج البتة . اما الزعية فلم يبلغ بها التصلب الى هذه الدرجة .

ومن عادات حصن الاكراد تلاوة الموالد حينما يحتم اولادهم القرآن وتوزيع السكر في تلك الحفلة .

والاحتفال بالختان عند السنين يكون على هذا النمط ايضاً . واعتادوا على اجرائه قبل اكال الاطفال السنة الثالثة من عمرهم . ولا يرغبون خرق هذه العادة . ويقيمون « المراسح » احتفاءً بتلك العادة .

لا يستعمل نساء البدو ، ولا نساء النصيريين آآزر . اما الدنادشة والزعية فهم من الذنقة وانصية على درجة ، لا يذكرون اسماء نساءهم حتى ولا على ايجار القبور . تشييع هذا جناز الزعيين باحتفال عظيم . وبما انهم يتمون الى الطريقة القادرية تنشر امام جنازهم اعلاء تلك الطريقة ، ويمشي امامها المشايخ القادرية بطبوانهم الصغيرة ودفوفهم وضوئهم وترتلانهم الى ان يصلوا بها الى مقرها الابدى . اما اندنادشة فاتهم يؤثرون تشييع الجناز بالسكينة والهدوء .

ومع هذا فان السنين يضربون الحيام على اجداث اليتيم ويقرؤون فيها القرآن ثلاثه ايام . وفي كل يوم من هذه الثلاثة يزورون القبر صباحاً ومساءً . ويعتني سكان حصن الاكراد بالمنامات والمزارات اعتناءً خاصاً . ولهذا فان مقام ابي هريرة في قرية ساعود والبحري الشاعر في حارة التركان ، والسقا في قرية تلعة اسنا ، هم من الاماكن التي

(\*) راجع في هذه الاغاني مبحث ادبيات القضاء .

يزورها السنون . ثم ان مقام الشيخ مرجه في قرية ام الدوالي يعتبر مزار عند التصريين .

وقبل ان تم هذا البحث نرى ان نذكر على قبيل الاستطراد البوق الذي يقام كل سنة في يوم النوروز عند «دير الحضر» الكائن في انحاء وادي النصارى . ويقصد هذا السوق كثير من تجار حمص وحما واللاذقية وجم غفير من الناس لاجل البيع والشراء . حتى ان الدير يربح من الحوانيت التي اعدّها هناك الى التجار مقدار خمسين الف غرش . ويزعمون انه ارباب الدير قصدوا بتأسيس هذا السوق امراً دينياً أكثر من التجارة والربح . ونحن نكتفي هنا بالإشارة لهذه الرواية فقط .

[٤] — الارقام الاجتماعية — هذه بعض الارقام البكماء التي حصلنا عليها في مركز حصن الاكراد :

— دخل الى سجن تللكلخ في السنين الخمس الاخيرة (١٤٠) شخصاً . وعليه يكون عدد المحبوسين في كل سنة (٢٨) شخصاً .

— لم نحصل على الجداول العدلية للسنين السابقة . اما في الثالث الاول من سنة ١٣٣٣ حدث ثلاث جرائم من القتل ، وحكم على (٣٥) شخصاً بالجنح والقباحات . وكلهم من الزراع .

— ويزعم ان قد حدث في السنين الخمس الاخيرة في جميع القضاء (١٥) ازدواجاً . وبهذا يصيب كل سنة ثلاثة . وان خطأ هذا الجدول بارز . ولو صرفنا النظر عن النصارى والتصريين ، في القضاء لوجدنا الازدواج بين السنين أكثر من هذا العدد بكثير . ثم يروى ان الطلاق هذا قليل جداً . ويقال انه لم يحدث بين السنين في هذه السنين الخمسة الا طلاق واحد . وهذا الرقم يدلنا على ان الدنادشة لم يعتادوا الطلاق .

— يوجد في كل قرية من قرى السنين جامع . والقرى التي يسكنها النصارى فهي خلو من الجوامع . اما القرى الصرانية فيوجد في كل واحدة منها كنيسة وراهب .

## ٩ — الاحوال الروحية والسوية الفكرية

يجب علينا في تعيين الاحوال الروحية والسوية الفكرية في هذا القضاء ان ندقق الطبقات الاجتماعية فيه على الافراد . وقد تبين مما فصلنا الى الآن ان اقدم طبقة في هذا القضاء هي اسرة «الدنادشة» .

ان هذه الطبقة هي صاحبة هذه الاصقاع بالحول والطول ، وحاكمها . ولهذا كان افرادها على غاية من العصية ، والقوة الغضبية ، وحب الفروسية . وجعوا في انفسهم

أخشن طباع البدو وأوصافهم . ولهذا كانوا لا يعرفون السباح ، ولا يمشون عن زلة / لا سيما مرفقهم تجاه القرويين ، فهو موقف المتقلب الذي لا تحوُّنه سلطته وقدرته . وهم يقرنون منذ حدثتهم على ركوب الخيل واستعمال السلاح ، وأجراء السبقي . ومعاناة الصيد . وسبب القوة وأمثالها من وسائل الفروسية . ولهذا خلقت فيهم تلك الحياة سجيّة تشبه سجيّة حكام القرون الوسطى . « دره بكى » ملوِّهاً اللفظ والآباء ، والنحو والفروسية ، فالجسارة المشهودة في هذه الفئة أساسها من هذه التربية ، ولهم شعف عظيم بأقناء عشاق الخيل ، ولا سيما انهما كهم بأقناء الجنس « الصقلاوى » يتجاوز الحد المعروف . وهذا أيضاً ناشئ عن انطباعات تلك التلقينات وتأثيرها فيهم بذكر الادوار .

وارتباط هذه الاسرة بالدين جدير بالذكر أيضاً . وهم بحياتهم الاجتماعية اهل قرى وكرم ويبرهنون في كل اعمالهم عن نجابة وطيب اريمة .

وهذا الاجمال يدلنا على ان لهذه الاسرة اوصافاً وخصالاً ثمينة رغماً عما اوجدت فيهم افاعيل حياتهم من القسوة وجفاء الطبع واننى اريد ان افصل هذه النقطة المهمة مسانداً على مؤلف جدير بالاهتمام في هذا الباب . وهذا المؤلف هو كتاب الفه محمد على باشا المصرى احد اركان الاسرة الحديوية سنة (١٩١١) بعد ان تجول في أنحاء سورية وضمنه مشهوداته في تلك الاصقاع . وساء الرحلة الشامية .

يحتوى هذا الكتاب في محاضته ( ١٨١-١٨٨ ) معلومات عن الدنادشة تشخص لنا احوالهم الروحية ، وتلمسنا حياتهم الاجتماعية . وهانحن نقبض هذه القاط التي لها عظيم الارتباط بموضوعنا . حكى محمد على باشا في تلك الصحائف من كتابه عن صورة مفارقه حصص ، وصوله الى تلك الخ ، وعما ربه الدنادشة لا كرامه من السباق وغيره فقال :

[ وما برحنا نواصل السير في ذلك الطريق حتى وصلنا الى سراق جليل كان قد اعده لاجلنا بالخصوص حضرة المفضل ( محمود بك ) احد زعماء مشايخ الدنادشة وكانت مسافة سيرنا منذ خرجنا من حصص حتى وصلنا الى هذه النقطة لا تبلغ اكر من نصف الساعة في الطريق

وهناك كان ينتظرنا حضرة البك المذكور مع ليف من اسرته الكريمة بينما كان نحو مائة وخمسين فارساً مصطفين على خيلهم امام تلك الخيمة بغاية نظام وقد كان بين فيرانهم فتاتان من بنات العرب مثقتين بالحلى على لبوسهما العربى اللطيف وفى احدى يدي كل واحدة منهما سيف وفى الاخرى منديل ثم هاننا تغنيان بين هؤلاء الفرسان لأجل تشجيعهم وتهيج عاطفة الفروسية فيهم وقد تركنا من العربات ودخلنا ذلك الصوان وبعد ان اخذنا منه مجالسنا قدمت لنا القهوة ثم الشراب ، ولم نلبث بعد ان شربناها الا

مسافة عشر دقائق ثم قمنا فمررنا امام اولئك القوسان الذين كان يركب اغلبيهم افراساً تتبعها اولادها المهارة ، واذ ذاك اخذ العرب الحيلة يتبارون في اللعب ويتغالبون على الخيل وفي ايديهم بنادقهم على نحو ما يرى في الملاعب والميادين مما يسمى في عرق العامة بالبرجاس وقد خفت حينئذ ان ينفلت رصاصهم على غير عمد فيصيب احداً لان بنادقهم كانت من الطراز الحديث وهي من النوع الذي لا بد لاطلاق عبوته الهوائية من وجود الظروف الرصاص فيها اولاً ، ولذلك طلبت اليهم ان يكفوا عن الضرب في ذلك اللعب وفي تلك الاثناء كانت البنتان تدوران حول الحيلة من هنا ومن هناك وتترنمان باناشيد الحرب ونغمات الامن والضرب فكانتا تنبهان بذلك الغنا المؤثر عواطف الفوارس وتحركان فيهم غريزة الحمية والشجاعة حتى اخذت الحماسة من نفوسهم مأخذاً عظيماً وما زالوا كذلك حتى ركبنا العربات وركب حضرة محمود بك فرساً وسار بجانب عربتنا وتبعه جميع الحيلة من خلفنا وامامنا وعلى جانبيها ايضاً ، وهم بين ان يعدوا سراعاً ويعودوا بطاءً ويتوقعوا في الاديهم الحماسية جرباً ووقوفاً ودفاعاً وهجوماً الى غير ذلك مما لا يدرك وصفه الا بالرؤية والمعاناة وقد كنت حين ذاك اعجب بشجاعة اولئك القوم ومهارتهم فوق ما كنت اعجب ، واعجب ايضاً من ابناء الافراس الصغار التي كان عمرها في الغالب لا يزيد عن اسبوعين ومع ذلك كنت اشاهدها تتبع امهاتها في تلك المسافات البعيدة على هذا السير الخفيف وتحمل مشقة السفر والجري ، وقد اخذتني بها من اجل ذلك رافة شديدة فطلبت من اولئك الراكضين ان يخفوا السير ويبتدؤا لكيلا يشقوا على تلك المهرات الساكنين وهي في ذلك السن الصغير ، ثم ما فتئوا يركضون على طول المسير ويلعبون باعظم مهارة واكبر ذق ، وكان فيهم فارس كبير السن يلبس ملابس دة شبه قدبة يسمى عثمان آغا وهو يازع عن اخوانه يجب اظهروا عليهم في الفروسية وخفة الحركة ، وحقيقة كان هذا الفارس العجيب يبدى اماناً من ضروب المهارة في العدو والرواح والصعود والهبوط على الصخور الجبلية ما كنا نعجب منه غاية العجب ؛ وكذلك كان له حذق غريب في عبور النهر وهو فوق حصانه الذي كان يعدو تارة في الارض واخرى في الماء اسرع من الطير واخف من الهواء حتى استغربنا اى استغراب من جسارة هذا الفارس وجراته اندهشة الى ركوب الخيل بتلك الكيفية التي كانت فوق التصور وما زالوا كذلك حتى دخل بنا الطريق في مضائق بين جبلين فكان بين ان نصعد مسافة الى فوق ، ونهبط اخرى الى تحت ، وكان لا يزال على جانب عربتنا حضرة « محمود بك » وهو ممتلئ رجولية وشهامة سيما وانه طويل القامة عظيم الشارب كبير الاهداب تتجلى في الفروسية باخص اصفها واجلى معانيها وهو مع ذلك مهيب وقور ،



## الحادثة في الظلبي

وقد حدث في اثناء السير انه فرساً من افراسي الركب لا ادري لمن كان ضرب فريس ذلك البك في ذراعه الايمن فجرحه جرحاً يلبأ ما زال يشعب دماً حتى صبح ساق ذلك الفرس المجروح بالدم فاحمر بعد ان كان ازرق اللون وقد خفت على هذا الفرس المصاب ان يهلك تحت ركبته لان الجرح كان خطراً حيث كان التزيف مسترسلاً بقوة ومن ثم طلبت الى محمود بك ان يتزل عنه اشفاقاً عليه ورحمة به . اما هو فما كان ليهمه اصلاً ان يموت الفرس او يعيش مادام في محبتنا وضمن رفاقنا حتى قال حفظه الله ما عناء اني لا جعل فداك نفسي وما فرسى باعز على منها ، ثم تأخر عنا نحو دقيقة وقد كنا حسبن انه نزل عن الفرس ولكنه مالبث ان جاء الى جانبنا كما كان ورأينا ان ليس على فرسه اثر الجرح ، ولا ذلك الدم الذي رأيناه وقت الحادثة وكان يتزف نزيفاً قزيفاً فقهنا انه كان في تلك المسافة الصغيرة يسالج الفرس ، ولكن لست ادري بماذا طالجها وای دواء يصل مفعله من السرعة الى هذا الحد وقد عرفت ان بعض الفرسان المهاجرين كانوا من ابناء البكاوات الدنادشة وهم احداث تزوج اعمارهم بين السابعة والعاشره ومع ذلك فأنهم كانوا يحسنون الركبة مثل ما يحسنها اباؤهم وكسارهم كما كانوا يتقنون اللعب ويتفنون فيه كأنهم مارسوه من زمان كبير ولا بدع ان يكونوا كذلك اذ قد تربوا على الشجاعة منذ نشأتهم واعتادوا على القروسية وركوب الحيل بكثرة التدريب والتمرين . ثم دخلنا في ميدان فبيع وكان لم يمض على سيرنا أكثر من ثلاثه ارباع الساعة وهناك كان ينتظرنا عدد كبير من الخيالة ومعهم البكاوات الباقيات من عشار الدنادشة فاجتمع الفريقان وصاروا ركباً واحداً ونحن لا نقتا نتابع السير حتى وصلنا الى تل كلخ وهو واقع في الحدود الفاصلة بين ولايتي يروت ودمشق وفي آخر حدود الدنادشة واذ ذاك كنا قد دخلنا في وقت الظهر وحين ميعاد الغداء فذهبنا الى بيت التزعيم محمد بك محمد ، وهو زعيم مشايخ عربان الدنادشة وتزلنا عليه ضيوفاً بعد ان طلب الينا ذلك بالحاح الكرماء وكان ينتظرنا هناك بعض مستخدمي الحكومة وقد قدم الينا الطعام على مائدة كبيرة تسع عشرين نفساً وكانت على النمط الاوروبي وفيها الوان عديدة واصناف كثيرة متنوعة فاكلنا متسلذين من حسن الطعام واجادته اما الركب الذي كان معنا وقد عرفت كثرتهم فقد كانوا ياكلون جميعاً موزعين على عدة موائد وطعامهم كان قاصراً على الارز واللحم ولم يكن ذلك ليدهشني لاني لا استغرب ان يجتمع على موائد هؤلاء العرب عدد كبير كالذي رأيناه او أكثر وانا اعلم ان العرب قديم جيلوا على الكرم وطبعوا على البذل والسخاء وانما الذي كنت اعجب منه عجباً شديداً هو تجهيز مائدة على الطراز الغربي الصرف وان القوم عرب شريقون من سكان

الجلال ثم بعد ان نهينا لا ير شكرنا لحضرة محمد بك محمد تلك الثاية العظمى واتينا كذلك على عشائره الكرام لما بذلوه من الهمة والمعروف وقد اجتذبني الى هؤلاء العرب جمال هدايتهم وحسن بزمهم وكان يودى ان لو تطول عشتري بينهم لامتتع كثيراً برؤية منظرهم الجميل لولا ان الوقت قصير محدود . [

ولا جرم ان هذه السطور التي قلناها عن محمد على باشا تقصص عن الاحوال الروحية في الدنادشة . ولذلك لا نرى لزوماً زيادة شيء عليها .

اما الزعيون ؛ فهم ايضا معروفون بالعجاجة والفروسية ، والانهاك بحب الحيل ، والسيطرة على القرويين ولكنهم ليسوا من العصية في درجة الدنادشة ، بل هم حليمون وطبايعهم هادئة . ومع هذا فقد تكون لهم هبة عصبية ، ولكنها لا تدوم وليست بعصبية المنتقم . وهم متمسكون بالدين وحتى متمسبون اكثر من الدنادشة . ويروى ان لبعضهم ميلاً للتصوف ايضا .

اما تركان حصن الاكراد ، فهم على غاية من الحلم والمسكينة . ولقد يبلغ بهم هذا الهدؤ الى درجة الفتور . ولهذا لا يكثر لديهم على الحركة والنشاط البتة .

اما النصيريون ، فهم مطيعون وهادئون بالنسبة لابناء جلدتهم في الاقضية الاخرى ، بيد ان منهم عشرة في المائة ممن الف الشقاوة ، وامضى حياته عليها . وهم يقطعون الطريق ، وسعاطون اللصوصية ، وربما يؤلفون المصائب فتفتحهم القرى ونهبها . هذا وان يكن اليوم لا اثر لهذه الاحوال عندهم ، فلا يجب ان ننسى ان للروح النصيرية شمشة في هكذا امور تكمن وتظهر ، وتقيب وتحضر .

والنصارى هم على قبيض من هؤلاء فانهم متمسكون بالراحة والسكون . ولكنهم بلغ ارتباطهم بالدين الى درجة التعصب .

\*

اما السوية الفكرية في القضاء ؛ فمن المبعث ان نرنا في العلم والعرفان والذين يحسنون القراءة والكتابة فيه قليلون باعتبار الكمية . وليسوا على شيء بالكيفية ايضا . وهم في الرجال من الدنادشة (٦٠) في المائة . وتحصيلهم ضئيف جداً ، وليس بينهم الا (٢٠) ممن اتقوا التحصيل التالى .

اما الزعيون فقداً الذين يحسنون القراءة والكتابة فيهم يقرب من (٥٠) في المائة . وليس لديهم الا ثمانية ممن تخرجوا في المدارس التالية .

ومقدار هؤلاء في التركان لا يزيد عن اثنين في المائة . ولهذا لا يوجد فيهم الا بضعة اشخاص يعرفون القراءة والكتابة ، وليس فيهم احد ممن تخرج في احدى المدارس .

والصيريون مثلهم أيضاً. ولا يوجد بين عددهم الكثيف الذي يجاوز (١٥٠٠٠) نسمة أكثر من مائة شخص يعلمون القراءة والكتابة على غاية من البساطة. ولهذا لا تتجاوز نسبتهم خمسة في المائة.

وعدد هؤلاء عند المسيحيين أكثر، ونسبتهم في الرجال تصعد الى الستين والسبعين في المائة. اما درجة هذا التحصيل فهي بدائية بسيطة.

وعلى هذا الحساب المحتمل، يكون من سكان هذا القضاء عشرة في المائة ممن يحسنون القراءة والكتابة بدرجة بسيطة. ولا شك ان هذه النسبة تقصص عن السوية الفكرية في هذا القضاء بصورة واضحة.

### ١٠ — الاموال الصحية

يجب علينا قبل الاقاضة في البحث عن الحالة الصحية في قضاء حصن الاكراد ان نطلع على هوائه ومائه، ونسق بنائه. وبما ان القضاء ينقسم الى «جرد» اى وعث، والى «سهل» يمكن تدقيقه من حيث الهواء باعتبار هذين القسمين أيضاً. فالحرارة تبلغ في الانحاء السهلية ان الصدد الى اربعين درجة، وتقرب من الصفر ايام الشتاء، وربما نزل الثلج في تلك الربوع فكسيتها بلونه الناصع. ومع هذا فان هوائاً انحاء الجرد ارجح من هوائ السهل لاسبابها ما الجرد فانه عذب شهي.

وان اتحل موقع من الماء في هذا القضاء هي تلكلخ. فلا توجد فيها الينابيع، او المياه الجارية، بل هم يرجعون باحتياجهم في ذلك الى بضعة آبار موجودة هناك، ويمتاجون الماء من هذه الآبار بדרך رخصة، ولذلك يكون الماء كدراً. ويمكننا ان نقول ان كلاً قرية في هذا القضاء اياً كانت هي اشد واتهم من تلكلخ من حيث الماء اذ لا بد ان يوجد فيها منبع، او جدول يقوم باحتياج سكانها. وهذا وان كان بعض القرى يتكبد المشقة والتعب في جلبه. ولكن عذوبة الماء ونظافته تنسبهم تلك الاعتبار.

ما ابناء القضاء، فان اكثر القرى تشبه في مساكنها قرية تلكلخ في بيوتها التي لا تصلح للسكن، ولكن يعثر في بيوت عالية القوم على نسوة من الرق، والاعتظام. عن كل حال، ان السواد الاعظم من سكان هذا القضاء الذي يربو عددهم على ثلاثين لفاً، هم في غابة من ضيق اليد، وضنك العيش البقي اسبب درماتهم من الزروة حزلة كانت، او تزوراً. وان حال سكان هذا القضاء في السنة الثانية، ولاسيما الثالثة من هذه الحرب، اصبح من الفقر والحرمان في درجة لا درجة فوقها، ولهذا نرى من الواجب ان نضمن النظر في ما

اطلعنا عليه . طيب الموقع من المعلومات ونشرح الحالة الصحية في هذا القضاء .  
تجرع سكان هذا القضاء سنة ١٣٣٢ امرا العذاب بسبب حرمانهم من المواد الغذائية .  
ففقدان الحبز واللحم والسكر وما اشبههم من الاغذية جعل الاجسام خشلة لا تستطيع  
مغالبة الامراض ، ثم ان فقد الملح ، تلك المادة الحياتية اوقعهم في اشد الارتباك الحيواني .  
واضطرا اغلب العائلات الى طبخ الطعام بسلا ملح . وقصارى القول ان هؤلاء السكان  
الذين حرموا من اهم وسائل الحياة اضطروا الى الاقبال على تناول النبات الذى لم تألفه  
اجسامهم من قبل ، وما كان ليقوم بهم ، فتدرجت اجسامهم بالانحطاط ، وعرقها الجوع  
حتى صاروا اقفاصاً من عظام ، او اشباحاً جبلت من فحم . ثم اقتحمتهم الحيات كالنمشة  
وغيرها فبجعلتهم حصيداً ؛ واطاها عليهم جهلهم وجوعهم فاستفحلت فيهم وكثرت تقشيشها  
فاصيب بها سنة ١٣٣٢ ، « ٢٥٠٠ » نسمة هلك منها « ١٥٠٠ » .

ثم ان مرض فقر الدم ، والتورم البدني العمومي ، والاستسقاء ، والانحلال التدريجي  
وامثالها من الامراض الطاحنة لم تأل فتكاً باؤلئك الساكنين ايضاً .  
وقد ظهر هناك ابان الصيف مرض اشبه باعراضه بـ « القوليرة » ، واكن ما كان  
هذا الاعبارة عن هيضة نشأت من اقبال الذين تخلصوا من الامراض الشتوية ، وابتلو  
بالهزال لسبب عدم التغذية ، على اكل الاثم ر ليتلافوا نقصهم من الفحم « قاربون » فوقعوا  
و سؤ الهضم ثم اقلب فيهم الى اسهال . وقد نتج عنه بعض وفيات . ولكنها تستند  
في الحقيقة على الانحلال الطبي .

اما في صيف سنة ١٣٣٣ فقد توقف سيرها تيك الامراض ولا بأس ان نبحث عن  
اسباب هذا التوقف . يمكن ان يحمل هذا الحال على زيادة المحصول في هذه السنة عن  
مقدار السنة السابقة ثم على اقتراج الازدحام بسبب ما كان من الوفيات ثم على خروج  
الاهلى ابان الصيف من تلك الحجرات القذرة التي كانوا يستقونها في الشتاء ، الى البرية  
. ث الهواء النقي الطاق ، وعلى لوقاية التي تحدث الحمى الشمسية في الذين نشطوا بعد ان  
اصبوا بها . ولكن اهم هذه الاسباب ، هي ما احدثته الادارة العسكرية من دور التجريد  
والمناهة ، ولا سيما عدم ترخيص الافراد الممضة وارسالهم الى اهلهم ، ولهذا لم يحدث  
في الاشهر الاخيرة [\*] من الحمى الشمسية الا (١٥) مصاباً . والامراض الاخرى ايضا  
هبطت عن نسبتها الاولى ، ثم اقطع اثر الحيات الاخرى التي كانت تقتك بالسكان اثناء  
وجود الحمى الشمسية ، اما مرض الجدري فقد كان متفشياً في قرية « عيون » ، وظهر في

قرية (مرمرينا) واستوصلت شافته في كلتي القرين ، واعتنى بالعمليات التلقينية في باقي انحاء القضاء .

اما مرض « ديزانترى » فلم يصب به في الثلث الاول من سنة ١٩٣٣ الا خمسة اشخاص والامراض المحلية الاخرى مثل الحمى المرزغية وغيرها لم يصب بها الا الطفيف ، ويعزى على اقل من القليل من اصابات السل وذات الرئة وذات الجنب .



ان ادارة الصحة في هذا القضاء ناقصة باسرها كما هو الحال في باقي الانحاء ، ولا يوجد اليه الا طبيب واحد يحمل اعباء جميع القضاء . وزيادة عن هذا فانه ملزم بتفقد شؤون ناحية حذور الواقعة على تخوم القضاء والتابعة بالادارة الى طرابلس الشام . ثم ان وظيفة التلقيح انيطت به ايضاً لعدم وجود مأمور لهذه الوظيفة . فاذا فكرنا بان انتقال الطبيب من قرية الى قرية اخرى يقتضى صرف زمن غير يسير ، نعلم استحالة تحوله في جميع القضاء ، وهذا يطلنا على مقدار الاستفادة المحدودة التي ينالها القضاء من هذا الطبيب . ثم اذا اضفنا فقدان الوسائط الصحية الى هذه الوظائف الكثيفة يتضح لنا ما عسى ان تكون الفائدة من هذه الادارة . وليس من صيدلية في القضاء كله . ومما يستلزم الشكر ان للطبيب صيدلية خصوصية في قرية « مجتايه » التي تبعد مسافة ساعتين من تدكلك ، وهي لا جرم تخدم لتأمين او بالاجدر لتخدير شئ من الاحتياج الصحى . وهذه هي الحالة الصحية في قضاء الحصن .

## ١١ - اللغة والادبيات

ان اللغة العامة في قضاء الحصن — حتى لدى التركان ايضاً — العربية العجمي . هذا ولا ينكر وجود بعض من يتقنون العربية الفصحى ولكن عددهم قليل جداً بالنسبة الى الاقضية الاخرى . وهكذا الامر في من يعمون شيأ من اللغة الاجنبية . اما في الادبيات فقد يوجد من يميل الى المؤلفات العربية ، ولكن المؤثر الحقيقى الذى يدير الازواق الادبية فيهم هو الشعور العامى . وهنا ايضاً تتداول « الميجانيات » التي كادت ان تكون من الاغاني العمومية في جميع القرى السورية . ولكننا نخص بالذكر منها ما ينطبق على مرامى الحصنين فقط .

تلكما حين البحث عن الاحوال الاجتماعيه ، عن مواكب الاعراس وقلنا انهم يزبنون اجمال في تلك المواكب ويركب عليها اناس ينشدون الاناشيد ، ويتغنون بالاهازيج وهذه

الاهازيج تسمى عندهم «ملالة» .  
ولست هذه الاهازيج من القصائد الطويلة ، بل أكثرها عبارة عن فقر مقطعة تنتهي  
بجملبة عمومية مهمة ترسمها الاصوات بشكل «لو، لو، لوش» . وأكثرها يرتجل على ما  
يناسب المقام — بزعمهم — وها نحن نأتي ببضعة قطعات منها على سبيل التمثيل :

## — ملالة —

دزوا لآبو محمد خيول جيبوا  
زرقا حمامه ، مصنعه بالريش لآجل الشهامه

اخرى

حيبي شوشح الرمح والدبوس بيدو  
ايضاً

حيبي واقف على الير والير ناشف  
آبو قضيمة الحرا والمنديل شاطف  
ايضاً

يا حويدري على الشام درع قفلك  
كتر الحنه وطيباب الروايح

ثم يشرع بعد اتمام القطعة بتريديها بهياج عمومي وتضج الاصوات بصدى «لو، لو، لوش» . ثم لديهم اناشيد اخرى يدومونها «الهجانه» . وينشدونها في مواكب الاعراس ايضاً  
وها نحن نذكر شيئاً منها :

« هجانه »

حطيت عيني بمينو يا رب يا مبود  
لا صبر على حكم الله بركة الزمان يعود  
اخرى

ونى لآرقى رأس التله وان البقاعه قبالى  
وهنيه مربط الزرقا وهنيه منام الفاء

وقصارى القول ان هذه الاغانى والاناشيد والاهازيج جديدة بالاهتمام لانها تشفى من  
حياة القوم الاجتماعية ، وحالتهم الروحية ، بالرغم عن نقصها وخلوها .

—٩—

## بين تلكلخ وبرمانه

## ١ — يومنا الاخير في تلكلخ

كان يومنا الاخير في تلكلخ يوماً ثقيلاً عصبياً؛ وما اشد وطئة ذلك الاضطراب الذي قضى علينا باقناء يوم آخر من عمرنا في هذه القرية الداجية المفقرة، وذلك لعدم تهيؤ وسائل النقل، لاسيما اذا لم توجد في كتاب المحيط آيات بينة يرغبها الذوق . . . . ولا جرم ان هذا اليوم الكامل كان مستعداً لان يرمى كاهل حياتنا بثقل لا تستطيع ايجاده الايام، ولا الشهور، حتى ولا الاعوام. ونور الشمس الذي ما زال يزلق على ذلك التراب القاتم حتى وصل الى تلك البيوت المحلوكة كان مغبر المنظر كأنه مستأمن سقوطه على هذه البقعة المظلمة، ففتش بدخانه الكثيف ابصارنا التي كانت تحاول ان تسلي باشرافها على ما حولنا.

— يوم طويل . . . ، بماذا تلهى فيه يا ترى ؟

ما اسر جواب هذا السؤال الذي وجهناه الى انفسنا. وقد كنا مزمعين على التامى بقرائة شئ من الروايات، لكي لا تلبث عطلاً، ولكن اناخ هوا هذه القرية بكلكاء على ادمتنا فجعلها لا تبغى حراكاً، وعليه لم نستطع امضاً هذا النزم. فتمددنا على سرير سفرنا ونمنا ثم اتبناها، ثم نمنا، ثم استيقظنا . . . والوقت على ما هو، كأن الارض لا تدور، والفلك عطل حركته.

نصبتنا انظارنا الى حجرتنا التي خنقها الغبار واخذنا ننعن فيها، وكانت تحمل آثاراً تشف غن سالف زاهر، ثم اخنى عليها الحظ، وزلت بها القدم فاجهز عليها الدهر بتخريبه وتلاشت؛ وها هي تودع بقية تلك الحياة. هذا سقفها المزخرف بالنقوش الذهبية انهال على الارض، وبرزت من ورائه اقفاص السطح. تلك العظام النخرة؛ ونلك الجدران نفقت، بلالها، وظهرت عليها الانقاب كاتها قروح الفناء.

وهذا المرأة المنصوبة قبلتنا نفقت من اطرافها وها هي كسارتها لا تزال على الارض وقد غشيها من الغبار ما جعل وجهها صحيفة تابية. اما المقاعد فقد مزقت وجوهها، وارجل الكراسي المذهبة، ثم اطراف المائدة الرخامية وشباك تلك المنافذ الفخمة وبللورها كلها كانت هشيماً محطمة.

لم يبق في هذه الحجرة وصف يدل على ما كان لها من الزخرف ، وما عهد فيها من الضيافات . وهي الآن بجراديتها المتراكضة وحشراتها السوداء ثم بما يكنه سقفها من الهنوات الصائتة مأوى لكل ماصات وصوى . ونحن لم يجلبنا الى هذه الحجرة ، او ذلك الوكن الا صيته السالف .

ان هذا المنزل الضخم الذي شيده وفرشه محمد بك محمد [\*] لم يكن مسكناً بل كان مريضاً للابطال ، او قصراً يشار اليه بينان العز والشرف بين تلك الركام الحجرية في تلك الخ.

ولكن لا نعلم كيف جرى ، حتى اصبح متروكاً وصار على هرمه قدماً ممتازاً لتلك الخ التي لا تزال تفاخر بشهرته الماضية . وها هو اليوم لنا بتما .

فتحنا الباب الآخر ، وخرجنا الى الصفة ، واخذنا نتجول في باقى غرف هذا القصر بين نسيج العناكب . ويمكن ان نلخص ما رأينا فيه ببضع كلمات : سفوف مدلاة ، وجدران حربية ، وكثير من الاثاث البال ، وخزانات مخزقة فارغة ، ثم التراب والغبار الوافر ... والعناكب واحواتهم من الحشرات ... كنا نتجول في داخل هذا القصر الرهيب ونفكر بما كان له من ادوار السعادة والعز وتلك العظمة والسلطة ، ونأسف لذكرى هاتيك الادوار الاقبالية .

ولكن لم يكن الوقت لبعضى ... وزى ان ليس من الامكان املاء هذا الفضاء العظيم الذى كان طوله اربع وعشرون ساعة ... هلا نتحوض في تراب القرية القائم تحت ما تافطه الشمس من الشعاع المحرق ، ونغمس في دخان تلك الخ الاسود ... كنا نروح ونغدو على غير جدوى في تلك الطرق التي كانت لم تدمشها الخطى ...

وكان لنا هذا التجول القسرى امرأ طبيعياً . وما زلنا عليه حتى بعدنا عن الظهر بضع ساعات ... ونحن على هذا الاطراد الملل ؛ النوم واليقظة والمعاودة الى تصفح الغرف والتجول في انحاء القصة ، ثم الملل الدائم ... وهكذا امضينا يوماً اخيراً في تلك الخ . وعند المساء لفينا ذلك المامور الاصيل ، الذى هو تمثال الرقة والنزاهة ، ولعله اطلع على اقتباسنا فاخذ يوانسنا بدعابته اللطيفة برهة ثم قال :

— هل لكم ان نخرج الى التزهة ؟

واخذ يبحث لنا عن منزله . تلك الخ ، وكان يشير بيده الى الشرق ويقول :

— هناك ؛ على بعد ساعة ونصف يوجد منتزه « وادى خالد » وهو لطيف جداً بماء وخضرة .



ثم قال :

— او اذا شتم نذهب الى « عين الدلبة » التي تبعد منا مسافة نصف الساعة .

رضينا بهذا الاقتراح الاخير ، وسرنا تقطع التل الجنوبي ، ونركض الى حضن تلك الارض الخضراء الظليلة . وهناك تيسر لنا ان نشرب شيئاً من الماء البارد في ذلك المساء القموزي ، وريح فكرنا الذي كاد يضنيه الملل . لاسيما وقد متعنا النظر ونحس قافلون بغروب مذهب ، حبتنا به تلك التلعة المشرقة على فضاء فسيح . وكانت تلك المسافات التي سنقطعها في الغد ؛ موهة بشعاع اصفر ، يمتد الى ( برج صافيتا ) الذي كان يلوح عن بعد في الجانب الغربي . وكنا نقول :

— ان هذه الاصقاع جميلة من بعيد ؛ اما من قريب ...

لم نر لزوماً لاتمام الجملة . لاننا كنا هابطين على السيوت السوداء في تلكلخ وكانت ارواحنا تسمّر من رؤية داخل هذه القصة التي لا يبعد ان يكون منظرها جيلاً على البعد .

وصلنا الى قصرنا المهود ، وكان الظلام مخيماً ، ففتحنا الباب بطريقة شديدة ودخلنا . واخذت الحشرات تراكض امامنا كما نعهد . وبعد مدة كانت ابصارنا تمتص الشعاع الضئيل ، من قنديل الزيت الموضوع على مائدة الرخام المكسرة ، والسننات تلتوا المراتي المحزنة على افلاس تلكلخ من الحياة . ولا ندرى ما تكبدت ارواحنا من الضجر المؤلم ، حتى حصلت على غفوة مزعجة ممزقة . وما لبثنا ان نهضنا ونجوم السماء لا تزال تبرى في مراياها ، واخذنا نتهيئ للسفر وقلوبنا تحفق اوتيساحاً لمبارحة هذا القصر الرهيب وتلك القصة الموحشة .

## ٢ — نحو انحاء هزور

لا نحتاج لترتيب جدول سفرى حين الانفكاك من تلكلخ . اذ ربما يضطرنا هذا التنظيم الى تخرج عذاب يوم آخر . ركبنا صباحاً يتقدمنا فارس الدرك ومررنا بدار الحكومة الكائنة في الشمال الغربي التي تبعد خمس دقائق من تلكلخ ، وما كنا ندرى الى اين نذهب وكنا نستدل من اتجاهنا الى الشمال الغربي اننا نقصد انحاء صافيتا .

ولم نستطع ان نرجع الى وعينا الا بعد ان تقدمنا في المسير في ثقب وعث ، على ظهور تلك الجياد التي يدل مشيها على عجزها وهزالها . وتسنى لنا ان نسعد بغياب تلكلخ عن انظارنا ؛ وشرعنا نعلم بالتدرج :

— الى اين نذهب ، ومن اين طريقنا ، وكم المسافة التي يجب علينا قطعها ؟

يجب علينا قطع مسافة (٤٠) كيلومتراً حتى نصل الى ( برتالة ) مركز قضاء صافتا ، اما طريقنا فكان متجهاً نحو انحاء « حذور » . وحسبنا الآن هذا المقدار من المعلومات . فادركنا عن يميننا قرية « باروچه » ووصلنا بمدة وجيزة الى وادى « الحجر الابيض » وكانت على يسارنا قرية « الحجر الابيض » . ثم بعد ان اتبعنا الوادى الذى يتطاول الى الغرب ، انعطف طريقنا الى الشمال الغربى . وكنا نمر على طريق حفت به اشجار الدفلى بلزهارها الحمراء . وبعد برهة وصلنا الى واد آخر ، وادى « عين التينة » . ولديه جدول صغير . ثم شرعنا نتسلق هضبة « عين التينة » . ولاحقنا عن يسارنا قرية « جوبوق » ثم قامت ورائها جبال عكار ، وجبال الضنية التى سورت الانحاء الجنوبية . وها قد وصلنا الى قرية ( عين التينة ) الكائنة على هام الربوة . وكانت عن يميننا جبال « زاره » و « برج زاره » . ثم مررنا بقرية « زاره » وهى عبارة عن ساحة صغيرة لليارد ، وبضع شجرات ، واكوام من الحجارة السوداء ، والقرويين بنياهم البالية . وكانت حقولها مزروعة بالذرة الصفراء . وبعد ان قطعنا مشجرة من التين صغيرة . دخلنا فى ساحة معطرة . وكنا نسير بين سلسلة الازهار العطرة من تلك الاشجار الصغيرة التى يسميها اقرويون « شراحب » ولها زهر ازرق لطيف الثمر يشبه قنود الذرة بشكله . ثم صرنا الى سهل طال ؛ وكنا نسير نحو الشمال وترائت لنا فى الغرب قلعة صافيتا القديمة ، وبرج صافيتا ثم عن اليمين فى الشرق قلعة « زاره » وامامها قرى « الحصرجة ومرمريتا وعين الراهب ودوار العفص » وجبالها . ووراء الحصرجة فوق ذروة الجبل قرية « شويده » . وكل هؤلاء كانوا من اعمال حصن الاكراد . وكان لهم منظر فسيح جداً ، وبعد مدة ترائت لنا قرية « نعره » وفى الجانب الغربى « صافيتا » ولاحقنا عن بعد زرقة البحر فانها سراب اسمر فبرقت ابصارنا لمنظره . وقد كنا محرومين من روثته منذ مدة طويلة . وبعد ان قطعنا واد طويلاً كانه مضيق اشرفنا على البحر وانشرحت صدورنا لمنظره اللطيف . ثم هبت نسمة بليلة من جهة البحر وجمعت من وجه الحقول المزروعة كل نشر طيب ، وفقحتنا به فانهشت ارواحنا واهدتنا حياة نشيطة فى تلك الهيجبة التمزوية . وها قد انجلت امامنا الحقول الخضراء . وهذه الفسحة التى غردت اطيارها لم تكن مستوية ولكنها ليست متعوجة بدرجة يشتكى منها ،

ثم بعد برهة تراءى لنا قصر من قصور الدنادشة فى ( نعره ) وكان منظر هذا القصر من بعيد يشبه منظر الحصن ، او برج الحصن . على اننا ماكدما تقرب من هذه القرية الا ورأينا ذلك البرج شيئاً مجللاً بالحصائر . ودخلنا فى قرية نعره ، ومررنا من غربها بواديتها ثم اتينا « عين نعره » واجتازناها .

كنا نقطع المسافات بسرنا ولكن المناظر المحيطة ولاسباب البعيدة كانت كاتها ثابتة .

واطردت حوالينا مناظر الحقول المزروعة . وبعد دهة لاحت عن يميننا قرية ( شلوح ) ، ومررنا من داخل قرية « تل الحوش » وترائت لنا عن بعد قرية ( طليبي ) فوق ربوة في الغرب .

والآن انعطف بنا الطريق من الشمال الغربي الى الغرب . وكنا نمر بين القرى النصيرية . وها نحن نرى البنات النصيرية تشار على عملها في الحقول . وبعد ان قطعنا وادي « تل الحوش » الذي امتد مقدار بضع دقائق . اخذنا تتبع الضفة اليسرى من جدول « تل الخليفة » ، ثم اجتزنا النهر بخیلنا الى حقول واسعة خضراء تسقى من ماء هذا الجدول وشرعنا نسير فيها .

وما لبثنا ان رأينا في الجانب الغربي ربوة ، وفي ناحية الجنوب الغربي منها برجاً . وهذه كانت قرية ( برج العرب ) التابعة الى قضاء حصن الاكراد .

لبثنا برهة نستريح في هذه القرية وكانت الشمس زاوت نقطة الزوال منذ مدة وكنا على وشك اتمام الانحاء الغربية من قضاء حصن الاكراد وقد ترائت لنا في الشمال قرية « متراس » من اعما ناحية حذور ، ثم قسبة « كفرون » مركز تلك الناحية الكائنة وراء جبل صغير ، اما في الجنوب فكانت ترى جبال « ضنية » من بعيد بشواهدقها البيضاء التي كانت صبر من قطن . وهناك كنا داخلين في الانحاء الجنوبية من ناحية ( حذور ) .

### ٣ — تركانه ناهية مذور

[١] — ناهية مذور — يحده هذه الناحية قضاء حصن الاكراد من الشرق والغرب والجنوب ؛ وقضا صافيتا من الغرب والشمال ، وهي عبادة عن قطعة ارض طويلة ممدودة من الشمال الى الجنوب وهي مربوطة بباصرة بلوا طرابلس الشام وعدد سكانها بنهز خمسة الاف نسمة . ونصف هؤلاء السكان على التفريب من التركمان السنيين ومن النصيريين ، والصف الآخر من الروم الاورتودوكس والمارونيين .

وتتألف هذه الناحية من ثلاثين قرية ومركز الناحية هي الآن قسبة « كفرون » . وهذه القسبة عبارة عن ثلاثمائة مسكن (عدد سكانها ١٣٠٠) نسمة من المارونيين والروم الاورتودوكس . وهي اعظم قرية في الناحية . اما باقى القرى فيها ما يتألف من بضعة بيوت ومنها ما يربو عدد منازلها على الستين والسبعين . وعليه تتراوح نفوس تلك القرى بين (١٥) و (٣٥٠) نسمة . ومن هذه القرى ما يسكنها الروميون فقط مثل قرى « نبي الخركر » الزعفرانة ، خربة الجب . تين السبيل » ومنها ما يسكنها المارونيون مثل قرى « وادي

المجاوى ، تقبو ، حابه ، قلعة النمر ، مجدل ، عين عفان ، وبعض هذه القرى مسكون بالصيريين فقط مثل « الدوير والجديدة ودره كيش » .

اما باقى القرى ما عدا قرى ( بساتين ، بيت رسلان (\*) متراس ، عين دابش ) السلاى يسكنها التركمان . فهى مقطونة بالسكان المختلفة بصورة مختلطة .  
اما الحيات العمومية والاجتماعية فى النصيريين والروم والمارونيين فهى على عين الحالة فى الاقوام المجاورة لها ولذلك لا نرى لزوماً لتكرار البحث وعليه ننقل الكلام الى تركمان حذور :

[٢] — تركمانهم حذور — ان التركمان فى حذور يغفلون فى هذه الناحية اربع قرى فقط — كما ذكرنا سابقاً — وهى قرية بساتين وفيها (١٠٠) نسمة ثم قرية بيت رسلان وفيها (٢٥٠) وقرية متراس وفيها (٢٥٠) وقرية (عين دابش) وفيها (٣٠٠) نسمة من التركمان . وعليه يكون مجموع تركمان حذور عبارة عن (٩٠٠) نسمة نزعهم هؤلاء التركمان انهم حاووا الى هذه البقعة منذ اربعماية سنة من انحاء ارضه ويزعم بعضهم ان زمان مجيئهم كان اقدم من هذا التاريخ وانهم من عشيرة قاى خان . والى كن ليس لديهم من برهان تاريخى يؤيد ادعى الاول ولا الثانى .

ان تركمان حذور هم من قبيلة واحدة ولكنهم الآن عشيرتان . الاولى عشيرة « المتراس وعين دابش » ورئيسهم امير المتراس . والثانية عشيرة البساتين وبيت رسلان ، وهؤلاء رئيسهم حاكم تركمان البساتين .

وقد كانت ناحية حذور جميعها تابعة لهاتين العشيرتين من قبل . ولهذا كانت بعض القرى مربوطة بمتراس ، والاخرى ببساتين . وروى ان قـ . كان مركزهم العمومى فى « خربة حذور » . وانهم كانوا يسكنون حذور الشرقية اى الجرد فى اصيل ، وحذور الغربية فى الشتاء .

يتراوح عدد اعضاء اسرة الرئيس فى متراس بين (٢٠-٣٠) نسمة اما اسرة الرئيس الذى فى بساتين فانها قليلة الاعضاء . وليس لاحدهما اسم عائله ،ى ما عدا اسمها الذاتى . وكان هؤلاء الرؤساء سيطرة وساطة قوية فى تلك الانحاء ، بل تشكل ادارة الناحية . ثم سقطت درجة تلك الساطة والقدرة بعد تشكيلها ، ولكن غائهم . وراثتهم لمزل على ما هو . وان لرئيس متراس دخلاً سنوياً يناهز الف ابرة . ورئيس بساتين ايضاً له مبلغ وافر من الدخل السنوى .

\* ا يوجد فى هذه القرية مقدار من الروم الاورتودوكس ايضاً .

وهؤلاء الرؤساء يكادون ان يكونوا بلا نصيب من التحصيل وحياتهم الاجتماعية ليست على ما يرغب . ومنازلهم عبارة عن طابقين مستورة سطوحها بالقرميد ، وهي صغيرة الحجم . اما اذا تسنا حياتهم بحياة غيرهم من التركان الذين يسكنون بين تلك الردم الحجرية لاحرم تظهر علائهم الرياسة عليهم . ولباسهم عبارة عن رداء « قباز » طويل عليه جبة « ساكو » طويلة . اما عوامهم فلا فرق بين لباسهم ولباس بقية القرويين . ثم ان عيشة التركان هي انظف واحسن من عيشة النصيرين ، ولكن ليست احسن من عيشة النصارى . واكثرهم يشتغل بالزراعة ، وبعضهم ينسج السجاد كغيرهم من التركان وهم ابطال شجعان ، وبهذه المثانة تسنى لهم ان يخلصوا من تسلط النصيرين عليهم . وقبل اعلان النفي العام ، كان بعضهم يتسلط على من في جوارهم من القرى ، ولذلك ترون تلك القرى ، والقرويين يهربون جانبهم .

ان جميع التركان من السنين ، وهم متمسكون بدينهم الى درجة التعصب . وذاؤهم يسترن رؤسهم بقناع ابيض ، ولا يظهرن شعرهن .

اما لغتهم فقد امتزجت بالعربية الدجى ، وكان لها شكل غريب . وهم متبعون محيطةهم في اذواقهم ومبشتمهم . وعليه فان اوصاف المحيط تترأى فيهم اكثر من خصائصهم النسلية . ثم انهم مشوا مع المحيط ايضا بمبادئهم وحياتهم العمومية .

#### ٤ - نحو برمانه

بعد ان فارقتا ديار حذور ببرهة وجيزة اجتزنا ( نهر العروس ) ودخلنا حدود قضاء « صافينا » . ثم هبطنا فى منحدر وصعدنا فى مرتقى ، ثم هبطنا فى منحدر آخر ووصلنا الى وادى « عين الجرد » وبعد مرتقى طفيف تسلقنا فى الربوة الى قرية « عين الجرد » ، ثم بعد « وادى سرايا » المزروع بالذرة ترائت عن يسارنا قرية « احمد ونوس » . ولم يلبث طريقنا ان اقلب الى وعث محض ، وبعد ان غادرنا عن يسارنا قرية « ام الحوش » ، وصلنا الى وادى « ساسينه » . ثم اجتزنا مشجرة الزيتون وتركنا قرية « اسينا » على يميننا ، ولاحظنا قرية « بيادر » على رأس الهضبة . وقلعة « صافينا » لم تزل امامنا على بعد . كنا نتقدم منذ مدة فى الوادى ، قاصدين « نهر الارش » حتى وصلنا اليه . وهذه المرة كانت خضراء على امتداد النهر . وبعد ان مررنا بين اشجار الزيتون والبن والتوت ، شرعنا تانياً فى تسلق الهضاب والربى ، وكانت فسحة النظر تسع امامنا كلما ازددنا صعودا فى تلك المرتفعات . ثم بعد ان اجتزنا ذروة عالية ، انجلت قلعة صافينا امامنا بصورة واضحة . وما لبثنا ان شاهدنا الهضبتين اللتين بنيت على سفحيهما قصبة صافينا

مرتكمة بيوتها فوق بعضها ومسورة ببرج صافيتا (\*)

وكان هاتان الهضبتان يظهران عن بعد على هيئة سنامين . وقد تحرى لهما رفيق على مثل مناسب وشبههما بسلحفتين رابضتين على هاتين السنامين . وكنا ككنا قربنا من هذه القصة تراها شبه بصفد من البلاد السورية . وحتى ان اسم « صفد » منحوت من « صافات » (\*\*) ويحتمل ان تكون كلمة صفد وصافيتا لفظين عبرانيين معناها البلدة المحصنة وعلى كل حال فان قصة صافيتا لها منظر فسيح كقصة صفد . ولا سيما ناحيتها الشرقية فانها تعل على فضاء فسيح ، وأشرف على الساحة التي ما زلنا منذ ثمانى ساعات ندأب لقطعها برهاها ووديانها وقراها وسهولها . ثم ترمى من جهة الغرب الى البحر ، وتطل من الشمال الغربى على الانحاء دره كيش ، ومن الجنوب على اصقاع عكار .

ان الجانب الشرقى من صافيتا محاط بقوس ، والانحاء المنحطة التي تكون في منتصف القوس هي مفروسة باشجار الزيتون

كنا نتقرب من ابرج الكائن في مركز صافيتا ، ونمر بين اشجار الزيتون في داخل القصة ، ونصعد في هضاب ترابية . ثم دخلنا للسترخ في بناء قريب من القلعة يطل على جميع الانحاء . واخذنا ههنا تمتع النظر في تلك المناظر اللطيفة الفسيحة مدة وافرة . ونجهد لنس وعناء السفر .

\*  
\*\*

خرجنا من مدخل برج صافيتا الواسع ، واخذنا نسير بين اشجار الزيتون وكنا نشعر بما حل بنا من التعب المبرح . وان هذه السفرة التي ما زلنا منذ الصباح ونحن فيها كانت تودى بقوانا كلما تهادى زمنها حتى كادت تكون غير محمولة ، وهانحن نهبط في منحدر اضطررنا فيه لان نستسلم الى جيادنا التي فقدت قواها . وكانت تترأى عن يميننا على البعد قرية « كرم مغازى » و « بيت طبون » . وكنا نهبط في تلك المهواة المتجهة الى الشمال ، والتفتنا الى ورائنا ، فادھشنا ذلك السيل فاغضينا عنه واخذنا نتابع السير ، وقد ظهرت قريباً منا قرية « الخويجة » ثم عن يسارنا قرية « بيت الموعه » وه جر واد .

وبعد ان اجتزنا عدة ربي اخذنا نتجه نحو قصة « برمانه » *Barmanan* ، التي لاحت لنا عن بعد فوق ذروة الربوة . ثم سرنا برهة في واد ووصلنا الى فسحة سهلة . وكانت هذه الفسحة محاطة بهضاب بعيدة على شكل قوس . وهنالك تابعت على انظارنا من الغرب قرى [ رويسة المدرة ، بيت الوحي ، جرويه ، بجمعاش ، بيت حمود زهيره ، وعن اليمين

(\*) الذي سماه الصليبيون Castel Blanc

(\*\*) ( ا ولاية بيروت — القسم الجنوبي ) ص ٣٥٣

[ كفر ريح ، الصومعة ، الجديدة ] وغيرها من القرى .

ثم انقلب سبلنا الى واد واسع طويل ، يسمى « عين المشمس » . وكان هذا الوادى يمتد بمنعطياته حتى يصل الى قصبة « برمانه » . والآن حل المشى ، وترطب الهواء . وكان هذا الوادى على غاية من بداعة المنظر بما على حفافه من اشجار الزيتون ، و « اسنديان » ، وبازهاة ، وكلاؤه واشواكه ، وبخضرة ذوته ، وبجميع خضرته . وها قد خيم عليه ظل العشى واقم لونه ، بيد ان الربى عن يميننا لم تزل مذهبة بنور الشمس .

هذه هضبة « ظهر الشويهد » امانا ، وكنا نتسلق فيها ونرى عن يميننا من بعيد فوق ربوة اخرى مزار « النى زاهر » الذى يحله الصيرون . وها نحن نجتاز ربي جبال التصيرية المتسلسلة . وقد تهيئت الشمس لتجمع نورها الذهبى من آفاقنا المرئية . وهذا واد آخر قائم امانا . رآه هضبة ، ثم فوق هذه الهضبة قصبة « برمانه » ، كامنة بين ظل الخضرة تتشرب سمرة العشى على هدوء تحت لمعان كواكب المساء . ثم انحدرونا فى واد ، « عين التفاحة » وبعد ان سرنا مدة بين اشجار الزيتون والتوت ، اخذنا تتسلق الجانب الآخر ، ثم اجترنا قرية « القصيبة » وهنالك وصلنا الى قصبة « برمانه » بعدما اقلت الشمس .

— ١٠ —

## صافيتا

### ١ — موقعها ومردودها

ان قضاء صافيتا الكائن فى الجانب الشمالى من مركز قضاء طرابلس الشام يحاط شمالاً بلواء اللاذقية ، وشرقاً بقضاء حصن الأكراد ، وجوباً بقضاء عكار ، وغرباً بالبحر الابيض .

### ٢ . -- مساحته وعمود سطره وامواله الادارية

تقرب مساحة القضاء من « ٦٦٧٢٠٨ » دونمات ، منها « ٤٠٤٧٠٨ » من الاراضى الاميرية و « ٢٦٠٠٠٠ » من الاراضى المملوكة ، و « ٢٥٠٠ » من الاراضى المتروكة . اما احراجها فيبلغ اتساعها مقدار « ٥٠٠٠ » دونم . اما عدد سكان القضاء فكان فى سنة ١٣٣٢ على ما يأتى :

اناث	ذكور	
١٩١٥٦	١٣٥٩١	المسلمون
٢٤٢١	٢١٨١	الروم الاورثوذكس
٢٦	٧٦	الكاثوليك
١٤٣	٩٢	المارونيون
١٦٤	٦٣	بروتستانت
٢١٩١٠	١٦٠٠٣	يكون
٣٧٩١٣		

ان جميع المسلمين في قضاء صافيتا ينتمون الى مذهب النصيرية. وكان مقدار الوفيات في هذا القضاء سنة ١٣٢٩ و ٣٣٠ و ٣٣١ ، [ ١٤٤ و ٨٧ و ١٦٦ ] نسمة ؛ اما الديات فكان مقدارها في عين السنين ( ٢٠٦ و ١٠٢ و ٢٢٢ ) نسمة . وقد تفشت في السنين الاخيرة فكرة المهاجرة الى اميركا بين سكان هذا القضاء ، ويدعى بوثوق انه اصاع من سكانه ما يناهز ( ١٠ - ١٥ ) الآ الى الآن . وان نصف هؤلاء المهاجرين هم من النصيريين ، النصف الآخر من المسيحيين . فالتصيريون يقصدون اميركا الجنوبية والمسيحيون يذهبون الى القسم الشمالي منها ، ويرسلون في كل سنة مقدار ( ١٥٠٠٠٠ ) ليرة الى عائلاتهم . وان فكرة المهاجرة لم تسر الى النماء بعد .

لم يشرع بتشكيل النواحي بعد في هذا القضاء ، اما عدد القرى فيه فيبلغ الـ ٥٣٦ قرية ولكن لا ننسى ان اكثرها خرباً تضم بضعة بيوت لقيمة اهلها . نرى ان من نواحي الذي لا بد منه تشكيل النواحي في هذا القضاء الواسع ، والذي عرف سكانه بخندونة الطبع وصعوبة المراس ، ونجد ان القسم الجنوبي والشمالي والغربي ، والشمال الشرقي فيه كلهم كائن في حالة ناحية طبيعية . ويمكن اخذ قرى ام الحوش ومجدلون والبستان ودوير وسلان مراكز اهلها تلك النواحي . ثم ان رط ناحية حذور بمركز قضاء طراس لا خير فيه . فاذا قسم هذه الناحية بين قضائي حصن الكراد وصافيتا لا جرم يكون اتقع سكانها وانسب .

لا اثر للعمرن في هذا القضاء ، اريد ان نبين ان العمرن في هذا القضاء محروم من نور العلم وجميع وسائل التعليم ، ولو نتج طريق من توقف سكك الحديد الكائن في سلاطس بلس - حرس حبيبية الى جرد من رز القضاء ، ثم طريق آخر من طرطوس الى قرية مشتي الررم ، الكائنة في اقصى اشرق ، بشرط ان يمر بمركز القضاء ايضاً لا جرم يكون وسيلة لحياة هذا القضاء الاقتصادية



اما معارف القضاء ؛ فلا يميز فيه على مؤسسة علمية ترتاح لها النفس . ولا يوجد بين الذكور من سكان هذا القضاء الا اثنان في المائة ممن يقرأون ويكتبون ، ولكن يشق الانفس ولم يباشر بتعليم الاناث الا قبل سنتين ، وقد فتحت لهن مدرسة في مركز القضاء عبارة عن صف واحد وبوشر فيها بالتدريس — بحول الله — . وعدد الطلاب في مدوسة الذكور مقدار ( ٤٥ ) ، وفي مدرسة الاناث ( ٢٥ ) . وتوجد مدرسة ابتدائية في قرية طايبي ، واخرى في قرية الصفصافة والمعلم في الاولى لا باس به ، ولكن معلم الثانية يؤثر عنه انه غير اهل لها ، وليس بنشيط .

### ٣ — الاموال العمومية في القضاء

ان هذا القضاء يشغل القسم الجنوبي من جبال النصيرية ، ويتألف من اراض مملوئة بالموارض . ونهر اذبرش يقطع هذا القضاء على امتداده ويصب في بحر الابيض ، ويوجد غير هذا الجدول هناك نهر العروس ونهر قيس وهما دائمان في الجريان ، ثم جدول ابويابس وابو ذكرى والغمقة وهم يفيضون ويفيضون .

ونهر العروس ينبع من قرب حصن الاكراد ويصب في النهر الكبير . وينبع جدول الابرش ، من قرية كفرون التابعة الى ناحية حذور . اما جدول قيس فينبع من قرية بريخية التابعة الى قضاء صافتا وهذا الجدول يصب في البحر في المحل المذعور بحصان البحر من اعمال قضاء المرقب .

ان اقليم هذا القضاء معتدل ، ومطر د بوجه عمومي . وهوائه في المواقع المرتفعة نقي ، اما في السهول المحاذية الى ساحل البحر فهو مرزغني بسبب كثرة المستنقعات ويمتد فيه موسم الربيع من نصف شباط الى نصف مايس ، ويدوم صيفه الى اواخر تشرين الاول وحيتئذ يبرد الطقس وتبدأ الامطار ، والامطار التي تسوقها الارياح الجنوبية والجنوبية الغربية لا تدوم اكثر من يوم . اما التي تسوقها ارياح الشمال والشرق تدوم بضعة ايام . وتهب في كانون الاول العواصف ، وتكثر فيه الانواء ، وينزل الثلج فيه على المواقع المرتفعة . واعظم درجة حرارته في شهر تموز ( ٢٨ ) درجة واصغرها في شهرى كوانين ( ٤ — ) درجات . اما حرارته على الحساب الوسطى فهي لا تربو على ( ٢١ ) درجة . والارياح التي تهب منذ ابتداء نيسان الى اواخر تشرين الاول تكون غربية على الاكثر . والارياح الباردة التي تهب من الشرق تبدأ من اواخر تشرين الاول وتدوم الى اواخر مارت .

## ٤ - الفول المزروعة

تزرع في هذا القضاء المحصولات الصيفية من (٢٠) ايلول الى (٢٠) كانون الاول والشتوية من (١٠) شباط الى (٢٠) نيسان . وموسم الحصاد يكون من ابتداء مايس الى اواخر حزيران ، ثم من (٢٠) اغستوس الى منتصف ايلول . ويقد القرويون في كل سنة سوقاً في دير مار الياس يدوم من (١٠) تموز الى (٢٠) منه . ويتعاطون فيه البيع والشراء ، ويحصلون منه على حاجياتهم .

ان محاصيل القضاء بالدرجة الوسطى هي على ما يأتي :

جنس الفول	مقدار الاراضي المزروعة	مقدار الفول
	دونم	كيله
القمح	١٠٠,٠٠٠	٧٠٠,٠٠٠
الشعير	٥٠,٠٠٠	٣٥٠,٠٠٠
الذرة البيضاء	٢٠,٠٠٠	٦٠,٠٠٠
الحص	٥٠٠	٣,٠٠٠
الفول	٥٠٠	٤,٠٠٠
السمسم	١,٠٠٠	٢,٠٠٠
العدس	٥٠٠	١,٠٠٠
الجلبان	١,٠٠٠	٣,٠٠٠
مشجرات التوت	٦٧,٠٠٠	
اشجار الزيتون	٥٠,٠٠٠ عدد	٢٥٠,٠٠٠ اوقه
علب بذر الحرير	٥٠,٠٠٠ عدد	١٥٠,٠٠٠ كيلو شرائق

ويوجد في قرية مشقي مصنع حرير يخص حبيب بك فرعون احد اغنياء بيروت .

## ٥ - الابر القديمة

يوجد في قضاء صافيتا قلعة « برج صافيتا » وفي الجهة الشرقية ( حصن سليمان ) من آثار الرومانيين . و ( خرب آمريت ) البكائية قبالة جزيرة ارواد ، وقد تكلمنا عنها اثنا البحث عن ناحية طرطوس . ويوجد فيه ايضاً ثلاثة بروج قديمة ، وهم « برج النحلة » ، « برج الميعاد » ، و « برج العرب » .

فمنهم « برج صافيتا » كان يسمى في زمن الفرسان المعبدين باسم « برج صافيتا » .

وهو مبنى على فرع من فروع جبال النصيرية . ولم يعرف بانيه بعد . ويذكر المؤرخ ابو الفداء ان نور الدين فتح هذا الحصن مع قلعة اريحا (Aryia) الكائنة بين خرب امريت وطرابلس الشام وذلك سنة ١١٦٧ ميلادية . ولكن لم يلبث النصارى ان استردوه ، واقتطعوه الى الفرسان الممبدين . ولم تدخل هذه القلعة في ايدي المسلمين الا في زمن الملك الظاهر بيبرس .

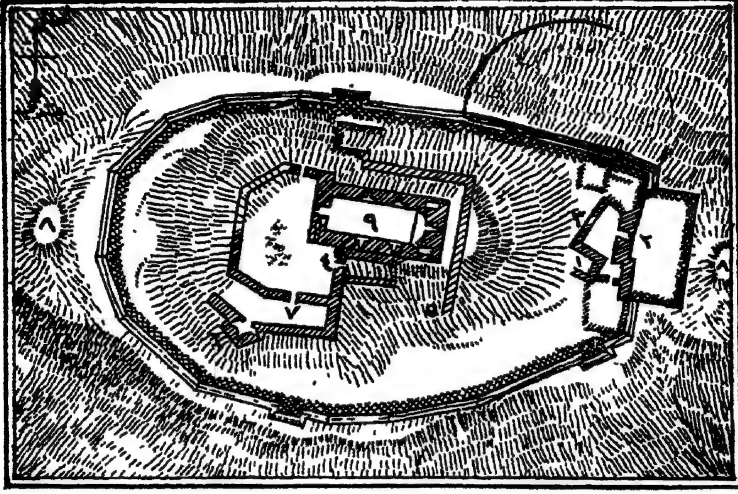
واليوم فقد بنيت المنازل حول هذه القلعة وحتى في داخل سورها . وهذه البروة يبلغ ارتفاعها من الشمال والجنوب الى (٣٣٠) متراً . اما في الجهة الشرقية والغربية فهي تتصل بجبال النصيرية بهضبات صغيرة قليلة الارتفاع . ويحيط بهذه القلعة سوران ؛ الاول بشكل ذي كثير الأضلاع غير منتظم ، وهو مجهز بـ ١٠٠ برج . وتوجد في أقصى الشرق والغرب من هذا البناء ربتان اشترتا اليهما برقم (٨) في خريطةنا .

ومن المظنون ان قد بنيت عليهما البروج الصغيرة . وتبقى امام الباب المشار اليه برقم (٢) خربة تم في عهد الاهلين بقصر بنت الملك ، وطرارز بناؤها يماثل بناء قلعة طرطوس مماثلة تامة . ويحتمل ان يكون هذا البناء اضيف الى الحصن من بعد . لانه لو كان من اصل الحصن لما بنى البرج المشار اليه برقم (١) لاجل الدفاع عن الباب المرقم برقم (٢) . وكان موجوداً بين السورين مخازن مقبوة ، واسطبلات وبما ان النصبه اليوم مبنية ههنا يعسر الآن التتحرى على هذه الآثار وتحقيتها .

اما الباب في السور الثاني اشر برقم (٣) هو بمثابة مدخل عمومي الى داخل الصحن والفسح الجنوبي من هذا السور ، ثم برجه الذي اشير اليه برقم (٦) لا يزال قائماً على حاله الاصلى . والاخرى بالتدقيق في هذا الحصن هي كنيسة المشار اليها في الخريطة برقم (٩) والتي كانت بمثابة برج له ايضاً . وهي مبنية فوق بئر محفور في الصخر ، وتنسب الى « سن بيشه » من الاعزة وهي اليوم حيد الروم الاورثوذكس ، هي بشكل متوازي الاضلاع وطولها (٣١) متراً ، وعرضها (١٨) ومحفور على بابها رسم الصليب كما هو الحال في قلعة طرطوس . وهذه القلعة باقياها حالتها الداخلية تشبه قلعة حصن الاكراد ، او حصن مرقب .

اما طول المعبد الذي يتألف منه هذا البناء هو (٢٥) متراً وعرضه (١٠٥٥) وتوجد غرفتان في حاي محرابيه . خلهما التور من نوافذ صغيرة وضيقة . اما منافذ البناء فيظهر من نمط انشائها انها اعنت لتصلح للمداخلة ايضاً اذا اوجب الامر . وعلو سقفه يبلغ ١٧٣٠ متراً .

يصعد من سلم بني داخل حدار الجبل من الجنوبي ، الى الطابق الثاني ، وطول هذا



الخطط الداخلية في حصن صافيتا  
 ١ برج ٢ الباب الاول ، ٣ الباب الثاني ، ٤ مدخل السور الثاني ، ٥  
 سلم ، ٦ برج ، ٧ اقواس الابنية ، ٨ الهضاب ، ٩ برج القلعة والكنيسة



القسم الذي هو عبارة عن زُدْهة فسيحة (٢٦٠) متراً وعرضه (١٦٠) . ثم يصعد من السلم القائم في الزاوية الجنوبية الشرقية الى اعلى المقامة . ويمكن للراصد اذا وقف في هذه النقطة ان يتطأطأ الاشارات مع قلعة حصن الأكراد واربعة او مع برج زاراء او برج العرب الكائنات بمسافة ساعتين عن برج صافيتا .

ثم توجد في هذا القضاء خرب حصن سليمان على ربوة مستورة بالاشجار في جانب جبل النبي صالح الذي يبلغ ارتفاعه (١١٤٠) متراً . وطول هذا الاثر التاريخي الذي سماه الاقدمون (بأوتوسهس *Βαυτοσῆς*) (١٤٤) متراً وعرضه (٩٠) متراً وهو بشكل مستطيل . ويرغم موسيوي *Mosyoi* الذي فحص الآثار القديمة السورية فحصاً دقيقاً ان هذا من احسن الاسوار المقدسة الموجودة في بلادنا . وهو يشبه شكله الحاضر الى رسم الحرم الشريف الموجود في بلدة القدس . وهذا السور مبني بحجارة طول كل واحدة منها (٦-٩) امتار وعرضها (٢-٣) ونحتها متواحد . ومحفورة صورة اسد في كل زاوية من الزوايا الموجودة في الجهة الشمالية . والزاوية الكائنة في الشمال اغربي مزينة بشجرة من السرو محفورة في حجر كبير . ولهذا السور اربعة ابواب ، وتوجد فوق الباب الكبير المطل على الجهة الشمالية كتابات مسهبة باللاتينية والرومية . وفي الكتابة اللاتينية التي يظن انها كتبت سنة (٢٥٣-٢٥٩) ميلادية مذكورة اسماء بعض اقياصرة الرومانيين كسهزار وبوبايوس ليسيديوس ووالهريوس . اما الكتابات المحفورة فوق المدخل العام ، او فوق الابواب القديمة فهي مزينة بصورة عقاب يكتنفه صورتان مخماتان *Διότι* . وتوجد بين غالب هذا المقاب عصاً ملتفة عليها حية ، وهي اشارة لطارد آلهة التجارة . تشعر معنى الصالح . ويجب ان لا يكون تاريخ هذه الكتابات قبل القرن الاول للميلاد بمدة وافرة . وفي منتصف المستطيل المحاط بالسور يوجد معبد ناقص ، مبني على الطراز الايوني ، ومذبح ايضاً ملاصق للجهة الشمالية . والآن لم يبق من البناء الاول الا الجدران ، وبضعة اعمدة

ثم يوجد في الشمال الغربي من السور بعض بنايات قديمة تسمى بالدير . ويمكن ان تكون هذه البنايات بمثابة مدرسة للرؤساء الروحانيين الذين كانوا يقدسون معبود بائوتوسهس . وهي تتألف من معبد صغير ، ومن بقية بنيان واسع .

## ٦ - حالة برمان ومناظر ضواهيرها

ان قصبة (برمانه *Βρμανη*) التي هي مركز قضاء صافيتا مبنية في الجانب الغربي ، من ربوة (تليجه) التي يبلغ ارتفاعها مقدار (٨٥٠) متراً ، قريباً من رأس تلك الربوة . وهي مستورة بشجر الزنزلخت والتوت وانزيتون والجوز ، ولذلك فان لها منظر

ناضر. وبيوت هذه القصة، التي تروى بعدة ما على (٢٥٠) بيتاً مبنية بحجر الكلس الأبيض وسطوحها مطلية بالتراب الأبيض أيضاً، وهي منتشرة بهذا اللون الناصع في أنحاء تلك الربوة بالطف ما يكون من نظرة المنظر. وقرية «بيت تديج» الكائنة في الجهة الشرقية من الربوة قريباً من القصة هي غير منظورة لأنها كائنة في سفح الربوة، وبما أن جميع الجهات في تلك القصة ما عدا الناحية الشرقية مشرفة على فضاء فسيح، يكون منظرها واسعاً جداً.

ثم إن الجهات الثلاث لقصة برمانه واسعة ومملوءة بأنواع الألوان. ولهذا هي غنية بالمنظر الطبيعى. ويوجد في الناحية الغربية الشمالية منها «وادي الفزرة»، ثم ورائه هضبة «دره كيش» الصغيرة، وفوق ذروتها الخضراء قرية «دره كيش» Derik، وهي عبارة عن بضعة عمرة بيتاً. وهذه القرية تعتبر من الأقسام الملحقة بقصة برمانه ولهذا يكون وادي الفزرة مفرقاً هذه القصة التي قامت على رأس هضبتين إلى قسمين.

ومنظر هذه القصة من الناحية الجنوبية لطيف أيضاً. وهي تطل على (برج صافيتا) الملتحف بالألوان الزاهية، ثم على قرية (صافيتا) وعلى الربى القائمة في تلك الفسحة مثل ربوة (عين الجيش) القريبة، ومن ورائها ربوة «فتاح النصار» وتشاهد على رأسهما قرية «الشويهدات» وقرية «فتاح النصار»، ثم من ورائها هاتيك الربى الخضراء تلوح جبال لبنان كالظل البعيد.

والجانب الغربي من برمانه لطيف أيضاً. وتشاهد من هناك بعد الوادى القريب منها ربوة «الولى زاهر» التي يبلغ ارتفاعها مقدار ألف متر كأنها صبرة من خضار، ويرى فوق ذروتها مرقد «الولى زاهر» الذى يحمله النصيريون. ثم يلوح من ورائها البحر ويرسم بزرقته على صفحات الافق خطوطاً ظليلة. ثم توجد قرية «النخلة» عن يمين ربوة الولى زاهر في الجانب الغرب الشمالى من برمانا، و«قاعة النخلة» وكثير من القرى.

وفي الجهة الشرقية الجنوبية منها توجد قرى «بيت شباط» و«فمقين» وجباب و«بيت المرج» يتسلسلن إلى أقصى المسافات، ثم واد يتغلغل في البعد بين هاتيك القرى وهذا يطلعنا على ما للقصة من المنظر اللطيف الفسيح.

#### ٧ - خطوط برمانه الداخلية

إن جميع البيوت في برمانه قائمة على ذروة «تابجة» الخضراء، كأنها اكواخ بيضاء مبنية في رياض. ولا يعثر في هذه القصة على أية قيرميدية. وجميع سطوحها مرصوفة بالحجارة من فوقها التراب. ولهذا كانت القصة عبارة عن لونين، الأخضر من الأشجار

والأبيض. من البيوت ، وبالمثلج يهذب اللونين ، ساء في هذه القصة لدرجة لا يرى فيها بيت الاوى محط بالرائحة .

ومع هذا فلا نظن ان تلك البيوت حصلت على شيء من الصنعة والتزيين ، بل هي عبارة عن ركام حجرية يشغل كل واحد منها مساحة لا تتجاوز بضعة عشر متراً مربعاً لاسيما البيوت التي تكون مجتمعة ومتصلة ببعضها منى وثلاث ، فهي امموزج للسقامة والعقامة التي تجلت في منازل هذه القصة . ومن البت ان تتحرى خطة منظمة في وضع هذه القصة لان بيوتها جاءت كالمحذوفة حذفاً فوق تلك الهضبة . ويوجد في مركز هذه القصة ميدان صغير محاط ببضعة بنايات كدار الحكومة والجامع والمدرسة وهي تلفت النظر باتساعها النسبي . وهذه الابنية مطلية الداخل ، مع ان اكثر بيوت القصة لا تطل على جدرانها . ولا نرى لزوماً للاسباب في تعريف سقامة تلك البيوت التي اكثرها خال عن المنافذ واذا فكرنا بالجدوع التي سقف بها ، وبجدرانها التي لا تتجاوز مترين او ثلاثة امتار ثم بارضها المفروشة بالتراب وساحتها المستورة بالسريقين نعلم نسبة سقامة الداخل في هذه القصة التي كادت ان تكون جنة بشكلها الخارجي .

ولا ندرى كيف يمكن اطلاق اسم مساكن على تلك الاكواخ الوسخة التي لا تصلح لان تكون مأوى للدجاج . ويوجد في متوسط القصة بضعة اكواخ لا تتسع ابوابها من متر واحد ويزعمون انها حوانيت .

وقصارى القول ان داخل برمانه في حالة يرثى لها . على انه يجب ان تكون لها ميزة عن بقية القرى لانها مركز القضاء . وان اكبر قصة في هذا القضاء هي « برج صافيتا » ولكن اكثر بيوتها لا تفرق شيئاً عن تلك الاكوام الحجرية الموجودة في برمانه ثم اذفكرنا في القرى الاخرى التي لا يزيد عدد بيوتها عن عشرة او عشرين تتضح لنا حالة هذه الشلة البشرية التي تقطر هذا القضاء يعيشها ومساكنها .

وطرق هذه القصة تنطبق على حالة ابنتها . وهي عبارة عن خطرط تنساب بين البساتين على غاية من الضيق ، او انقاف معوجة حفرت في قلب الصخور . وقد يكون منها ما هو متوازي الحفاف واكثرها لا شكل ولا استقامة .

واذا اردنا ان نطلع على هذه القصة من الداخل فلا نحتاج الا لنسلك احد هذه الطرق ونرمي بنظرنا الى داخل هاتيك المساكن ، وهذه النظرة البسيطة تكشف لنا الغطاء عن قيمة الحياة التي يعيشها البرمانيون وحقيقتها .

ودغماً عن خلو هذه القصة من الانتظام العمراني ، لم تبخل عليها الطبيعة بسوء من النضارة واللطافة . ثم يوجد داخل القصة منبعان كأنهما ينبعان من مهابد اللباس لاما ، لاسيما هواؤها فهو لا يقل جيادة ولطافة عن مأها الذي كانه مادة الحياة . وقصارى القول لولا



ان لبرمانه تلك المزايا الطبيعية لكانت كدساتر اخواتها لا تستحق ان يذكر اسمها في خريطة الولاية . ولكن ماذا على سكانها لو عرفوا طريق النعم من هذه النعم الطبيعية ، ولم يتركوا اوطانهم على هذه الدرجة من الانحطاط والخراب ، وتخلصوا من هذه الحالة التي تحمر لها الوجوه . . . نعم ماذا عليهم ؟

## ٨ — الاحوال العمومية في برمانه

ان مركز قضاء صافيتا هو قرية برمانه الكائنة في ٣٤ و ٤٨ درجة من العرض الشمالي و ٤٧ و ٣٣ من الطول الشرقي ، والبعيدة عن طرابلس الشام مسافة (١٢) ساعة . وعدد سكان هذه القرية التي ترتفع عن البحر مقدار (٣٨٠) متراً (١٥٩٦) نسمة ذكوراً واناثاً . وكانت اللدات فيها سنة ٣٣٣ (١١) نسمة والوفيات (١٠٥) من النساء . وتوجد فيها دائرة للبلدية دخلها (٤٥١٠) غروش في السنة وخرجها يقرب من هذا المقدار .

ثم ان قصبة برج صافيتا ، تتاز في هذا القضاء عن سائر القرى المحرومة من الرقي والعمران ، بمبانيها التي يمكن اعتبارها منتظمة بالنسبة لهانليك الانحاء ، وحسن بزة اهليها ونظفهم . وعدد سكانها يقرب من (٢٥٠٠) نسمة ذكورا واناثاً . وهذه الميزة في تلك القصبة حدث ببعضهم لان يروا لزوم نقل مركز الحكومة اليها . ويقول مخالفوهم اذا كان المركز في دره كيش التي هي اقرب الى قرى النصيرية يكون انساب لاطهار سطوة الحكومة ويطيرتها . وتأمن الراحة العامة والامنية لا يسوغ انفكاك الحكومة من تلك القرية الصغيرة .

## ٩ — الاحوال الاجتماعية

[١] — الحياة الاجتماعية في قضاء صافيتا — بينا سابقاً ان قصبة برمانا التي هي مركز القضاء تحتوى على اكثر من الف وخمسمائة نسمة من السكان وفيهم الطبقات الاجتماعية والمشار المختلفة ، ولكن بما ان هذه القصبة جزء من كلية القضاء لا يمكن ان تكون لها اوصاف تشذ عن اوصاف كلها ، فافرادها بالبحث في الاحوال الاجتماعية لا جرم يوجب التفرع . ولهذا فاننا نصرف النظر عن تدقيقها لوحدها وننصل الكلام الى البحث عن احوال القضاء كله :

يمكننا ان نقسم السكان الموجودة في هذا القضاء الذي تكاثفت فيه الجمال ، الى زميتين اجتماعيتين . النصيرين ، والاصاري . اما السنيون ، والدروز واليهود ، فلا يحز فيسه على احد منهم .

ان النصيريين في هذا القضا يشغلون بضع مائة من القرى ، والسواد الاعظم فيه يتكون منهم — كما يتضح من جدول السكان وهم ينقسمون الى عشائر متعددة ترى من الواجب ان نعين اسمها . وهذه العشائر لا تعيش تحت الحيام في حالة البدوة ، وعليه يكون هذا الانقسام بمثابة تقريق العائلات الى صنوف ، او زمر . وهذه التقسيمات هي على ما يأتي :

اسماء العشائر	عدد النسمات
الحدادون	١٠٠٠٠٠
الحياطون	١٠٤٠٠٠
المتاورة	٣٤٠٠٠
الزراصره	٣٤٠٠٠
الرسالة	٣٤٠٠٠
الشمسيون	٣٤٠٠٠
يكون	٣١٠٠٠٠

يتضح لنا من هذا الجدول ان النصيريين الذين بلغ عددهم ( ٣١٠,٠٠٠ ) من النسمات ينقسمون الى ستة اقسام . وعشيرتا الحدادين والحياطين يشغلان ثلث هذا العدد وهما يزعمان انهما اتيا هذه الديار من النحـ حلب . اما العشائر الاخرى فهم يزعمون بانهم هاجروا الى هذه البلاد من قضا العمرانية التابع للواء حماه . ولكن لم نعتز على وثائق تاريخية تؤيد مدعا هاتين الزمرتين ، او على الاقل مدعى احدهما .

وهذه العشائر المختلفة وان تكن على تخالف محسوس فيما بينها من حيث المذهب — كما يينا في انفسهم العمومي من كتابنا — ولأنهم يتحدثون من حيث المعيشة والزي والحياة الاجتماعية ايضاً . وليس هناك شيء تفرق به عشائر النصيريين عن بعضها لا في الزي ولا في غيرها من الشارات المميزة .

يلبس الرجال من النصيريين سريراً وكساءً ، وفي رومهم العصائب ( حطة ) والعقل ، او يلبسون رداءً وفوقه جبة قصيرة او طويلة . ولباس الرؤساء لا يختلف عن لباس غيرهم . ولكن يكون قدش اريدتهم من الحرير وربما لبسوا في رؤسهم الطرايش ثم ان مشايخهم يكتبون اللباس العلمى المتعارف عند السنين . على ان عمامتهم تكون قصيرة ، وكروية ، ومحدودة . اما نساء النصيريين فهن يلبسن رداءً ضافياً كدائر نساء القرى المسلمات ، ولا يشعرون باحتياج الى الملاحف ، لكن نساء المشايخ منهن لا يتجولن الا متأزرات بالماز . وتكون اريدتهن قصيرة مشرطة الجانين ، يظهر من تحتها السروال .

ثم يلبس في رؤسهم الطرابيش الحجر المصنوعة ، وينظفون به هداية كبيرة لا تقل عن نصف متر في الطول ، اما سوداء او زرقاء . ويفرقها الى ثلاث ذوات الاولى تسبل على الكتف الايمن ، والاخرى على الايسر والثالثة ترسل على الظهر فتكون بمثابة الضفيرة . ويضع بعضهم قساعاً فوق الطرابيش ، فاذا رأين اجنبياً — غير نصيرى — فيسارعن لاهدال ذلك القناع على وجوههن ، ويسترنها عنه . حتى انهن يلقن وجوههن ان لم يمكن سترها بقناع .

ينقسم النصيريون من حيث الحياة الاجتماعية الى ثلاثة اقسام : ١ — صنف الرؤساء ، ٢ — صنف المشايخ ، ٣ — صنف العوام .

ان صنف الرؤساء بينهم هو الارجح اعتباراً وميزة . وكل عشيرة منهم يدة . انحصرت فيه الرئاسة وانتقلت لافراده بالارث كبراً عن كبر ولا تزال تتسلسل . ولهؤلاء الرؤساء سلطة عظيمة ، وسيطرة قوية . ولكل من الرؤساء اقارب من اسرته كلهم مربوطون به . وعليه تكون رياسته على اسرته وعلى عشيرته معاً . ورئاسة عشيرتي الحدادين والحياطين اللتين هما اعظم عشائر النصيريين منحصرة في بيتين . فالاولى رياستها في « نبي حامد » ورئاسة الثانية في « نبي جابر » . والاسرة الاولى لها مقدار مائة من الاعضاء ، والثانية لا يقل عدد افرادها عن (١٥٠) نسمة . فاذا معنا في هذه السلطة لاجرم يتضح لنا معنى الرئاسة التي تشمل الآلاف من العشيرة ، المائة من افراد العائلة . ان مجموع افراد الاسر است التي احرزت الرئاسة على عشائر النصيريين يقرب من ثلاثماية فرد . وان الاملاك الموجودة في ايدي هؤلاء الافراد تشغل نصف القضاء . هذا وان لم يؤثر الغنى والبراء عن هؤلاء الرؤساء . ولكن دخلهم السنوي وافر جداً .

فرؤساء الحدادين والحياطين منهم يتراوح دخلهم بين (١٠٠٠) و (١٥٠٠) ليرة في السنة ، ودخل كل من رؤساء المتاوردة ، والنواصرة والرسالة والشمسين لا يقل عن (٧٠٠—٨٠٠) ليرة ومع هذا فان هؤلاء الرؤساء [\*] مطبوعون على السخاء والكرم . واغاثة الفقراء والمساكين ولذلك ترون منازلهم مفتحة الابواب لكل ذي حاجة ، واعتادوا على بذل الاموال والمطايا على قدر ماتصل ايديهم اليه واصبحت هذه العادة سجية مستقرة فيهم . وهذا هو السبب الوحيد لعدم تراكم الثروة النقدية لديهم .

فلنا ان لرؤساء النصيريين سلطة عظيمة ، وسيطرة قوية . وهذه السلطة جعلتهم مرجعاً للخلق في جميع الشؤون . وهم ، ولجون بحن النزاع وحلاف الذي يحدث بين اناسهم

[\*] ان رؤساء الحدادين والحياطين تطلق عليهم صفة « اقتدى » اما رؤساء العشائر الاخر فهم ( اغوات )

— بحسب العرف والعادات — وهذه القدرة جعلتهم على درجة عظيمة من المكانة، وهم مع ذلك ينجون سبيل المجاملة، ويتوسلون بما يربحون به قلوب افراد عشيرتهم ولا يألون جهداً باكرام الناس واعزازهم، وبهذا تسنى لهم توسيع دائرة السلطة حتى كانت لهم هذه المكانة. وهذا يدلنا على ما لهؤلاء الرؤساء من التضلع في ادارة الناس، وامتلاك مقاليدهم. ولا يبعد عنهم ايضاً التقرب الى مأمورى الحكومة، والحلول بهم ليتمكنوا من تثبيت سلطتهم بموازرة القدرة العمومية.

\*  
\*\*

ثم يأتى صنف المشايخ بعد الرؤساء. وهؤلاء ايضاً لهم سلطة مكيئة ولكن من حيث الدين فقط. ومن المعلوم ان دين التصيريين مبنى على الباطنية والتكتم، ويحتوى على اسرار وغوامض توجب وجود المرشد والدليل، ولا يكون هذا الهادى الا من الطبقة التى استطاعت ادراك تلك الاسرار ولهذا كان من الضرورى على الناس فى صافية — كما فى غيرها — ان يرجعوا للمشايخ ويهدوا بها بهم. وان الرؤساء لا يفتأون يحزلون الطايا لهؤلاء المشايخ لأجل ارضائهم، والناس ايضاً يدفعون لهم الضرائب التى يسمونها « الزكاة » لعين المقصد ولهذا فان هذه الطائفة بين التصيريين لاتزال فى عيشة راضية وعيش رغد.

ونرى ان هذه الطائفة الدينية متفقة مع القدرة الادارية يتبادلان المودة والحسنى. ثم هناك طبقة اخرى لم تخاضق الا للعمل لتزيد قدرة هاتين الطبقتين، وتأمين رفايتهما، ورخاء عيشهما. وهذه الطبقة رغماً عن كونها اليد العاملة والقدرة التى تدير جميع شؤن الاستحصا لا تزال مطمودة فى القرى لا اسم ولا ذكر. وهؤلاء هم القرويون الذين يدأبون ويتعبون ويكدحون؛ ولا ينالهم من ثمرة مساعيم شئ.

\*  
\*\*

وهذا الصنف، صنف العامة؛ هو الصنف الذى يجدر ان ينتفت اليه، وهو صنف الأكثرية ايضاً. وهؤلاء الذين تفيض عليهم الصاديد الدينية لطفاً وانعاماً، هم اشقى الناس واتسهم. فاذا فكرنا بان نصف القضاة فى ايدى ثلاثية شخص من الرؤساء، والنصف الآخر منقسم بين ثلاثين الا أن هؤلاء المساكين يتضح لنا مقدار ما هو مغصوب من حقوق هؤلاء الذين يراهم الرؤساء جديرين بالاحسان والانعام.

يمكننا ان نقسم هذه الطبقة الانامية الى بضعة اقسام من حيث منابع عيشهم ورزقهم. فمنهم من يرتزق بالاستغلال بالزراعة، ومنهم من يشتغل بالحريز، والقسم الثالث الذى يشرأب دائماً الى اميركا منبع رزقه ومورد حياته. لانه اعتاد ان يعيش بما تفيضه عليه الايدى العاملة هناك. ان ثلثى السكان التصيريين فى صافيتا يشتغلون بالزراعة. فمنهم من تكون الاراضى

التي يشتغل فيها له ، ومنهم من ليس له منها شيء بل يشتغل مزارعاً عند الغبير وبالاخص عند الرؤساء .

اما الثلث الآخر فان نصفه يشتغل بتربية دود القز واستحصال الحرير والصنف الثاني يعيش بالنققات التي ترسل اليه من اميركا . فاذا علمنا ان النقود التي تدخل الى صافيتنا من اميركا تبلغ الى (٢٥٠) الف ليرة في السنة يحصل لدينا فكر اجمالي بعدد المهاجرين الذين تأتي هذه النقود من عندهم . وهذه المبالغ قد احدثت تبديلاً في قرى النصارى خصوصاً وكانت واسطة عمران ، ولكن النصيريين لم يستفيدوا منها بشيء بل هم ينفقونها على ذواقهم ومشتياتهم .

ويمكننا ان نقول ان نساء النصيريين في صافيتنا داخلات في الحياة الاجتماعية . لان اكثرهن يشتغلن بالزراعة . ومن البديهي ان النساء لا قيمة لهن عند النصيريين ، ولا قدر (\*)

وقصارى القول ان قرى النصيريين بعيدة عن كل سعادة ورقى . وان منازلهم وادبهم مقفرة فارغة . وسنعلم اننا البحث من الاحوال الروحية ان رجالهم لا يفتأون يركضون وراء عنبدة حقيقتها الخيال . وندتهم تخبطن في العمه المطاق والعمى الاسود . وعياه فالحالة الاجتماعية في هذه الطائفة التي نافت على ثلاثين الفاً بعددها ، ساقطة ومغنى سقوطاً هائلاً يفوق التصور .

\*

اما السكان المسيحيون الذين يبلغون بعددهم الى (٥٠٠٠ - ٦٠٠٠) نسمة فهم يعيشون غنائم بالنصيريين في (١٧) قرية . ولهم ثلاث قرى خالصة لهم لا يشاركونهم فيها النصيريون .

رخس هؤلاء يشتغل باستحصال الشرائق ، وبيع الاقشة او بدمعة الحداثة ، او الحياطة والبنء ، وخمس آخر منهم يشتغل بالفلاحة والزراعة ، اما الباقون فهم يعيشون بالنقود التي ترسل اليهم من اميركا .

والمسيحيون — كدأبهم ش سائر الانحاء — يفوقون بحسن المعيشة جميع من يجاورهم من الطوائف . ولهذا اهم في هذا القضاء ارفع وارتقى من النصيريين من حيث الحياة والعائلات . ويوجد لديهم شيء من اثروة النقدية ايضاً . فاذا علمنا ان هناك (١٥ - ١٠) من الاسر اللاتي تملك كل واحدة منها مقدار عشرة آلاف ليرة نعلم ان مجموع الثروة النقدية لدى المسيحيين في صافيتنا يبلغ مقدار (١٥٠ - ١٠٠) الف ليرة .

ان هؤلاء المسيحيين عبارة عن الاروام والمارونيين والبروتستانتين ولكن الاروام اكثر عدداً ، وارجح في حياتهم ومعيشتهم من غيرهم . وانظف واميز طائفة بينهم هي الطائفة البروتستانتية . اما المارونيون ، فهم على غاية من الفذارة والوساخة ، وليس للطبقة الفنية في المسيحيين تلك السلطة المنيوية والسبطرة التي عليها اغنياء النصارى . وموقعهم لا يكبر عن ما اكسبتهم اياه ثروتهم من الاعتبار والوجاهة .

ويلفت النظر عدم رواج استعمال المسكرات بين النصارى من رجال ونساء لدرجة تراهم في هذا الخصوص دون النصيريين بدرجات . ولا جرم ان لكل قرية من قراهم كنيسة وراهب ، وكلهم مربوطون برابطة قوية في تلك المؤسسات واولئك الاشخاص الروحانية .

[٢] — العادات الاجتماعية — ان للنصيريين في هذا القضاء بعض عادات اجتماعية ترى من الواجب ان نذكرها بصورة مجملة :

( عادة القسم ) — لا يعبأ النصيريون بآياتهم التي يحلفونها امام القاضي ، او في مازج واضع ايديهم على المصحف لشراء ، ولكن لا يعثر على واحد منهم يحلف كاذباً امام من ر « الشيخ منصور » الذي يحلونه .

ايمانهم غريبة جداً . لانهم يحلفون « بحق الخضر » اذا ارادوا ما يبد كلامهم . ويوجد في القضاء مقام « الخضر » في قرية « تل الخضر » رلهم ايام مخصوصة يزورونه فيها .

( الوراثة ) — لا ينتقل ارث من مات بلا ولد من النصيريين ، الى زوجته . ثم اذا يدلنا على درجة مكانة المرأة وموقعها في نظر القوم . ولدى وجودهم كذا حال يفوض رئيس العشيرة تلك الاموال والاملاك الى من يشاء . ولا يعطى للزوجة منه نبي .

( اللواح ) — اعتاد النصيريون الى تعليق بعض اللواح في داخل بيوتهم التي تطل بالكلس لابيض . ويكتب على تلك اللواح عبارات تذكر منها :

( سبوح قدوس رب الملائكة والروح ) ، او :

نحن بالله عزنا لا بمال وولد  
كل من رام ذلنا خصمه الله الصمد

او :

لى خمسة اثنى بها حر الوباء الحاطمة  
المصطفى والمرضى وابناها والنماطة

( الاعياد ) — سبق ان بحثنا في التسمية العامة من كتاباتنا عن اعياد النصيريين بحثاً ضافياً ، منقولاً عن كتاب الباكورة . ولهذا فاننا نصرف النظر الآن عن اعادتهم .

ونذكر انهم يقدون الاجتماعات الحفية في تلك الاعياد ، ويروى انهم اعتادوا على عقد هكذا اجتماع قبل حلول عيد المسلمين بيوم . ويؤمن البعض ان النصرين يصومون قبل المسلمين بيوم ايضاً .

( اسماء النصرين ) — لا يستعمل النصريون اسماء « ابى بكر ، عمر ، عثمان ، البتة . وآثر ما يستعملون من الاسماء ، اسماء ( سيمان ، سليم ، الى )  
( القرآن لشريف ) — يدعى بوثوق انه يوجد في كل بيت من بيوت النصرين مصحف . وانهم لا ينقطعون عن تلاوته .

( القبلة عند النصرين ) — يدعى الذين طال مكثهم بين النصرين في صافيتا ، انهم يولون وجوههم في عباداتهم شطر المشرق .  
( المسكرات ) — يستعمل النصريون جميع المشروبات الكحولية ، ولا يما التبيذ . ولكنهم لا يتظاهرون بشربهم امام غير ابناء مذهبهم .

( كبار المشايخ ) — يتخذ النصريون قبور اعظم مشايخهم مزاراً ويلبسون بها صفة قدسية . ولهذا كان لهم في هذا النضا مزارات لا يحصى لها عدد . اشهرها : [ الولى زاهر والنبي متى والنبي صالح ، ومقام الخضر ، ومقام الشيخ عبد الوهاب المصرى ] .  
( جناز النصرين ) — روى عنهم انهم لا يكون اذا مات عندهم ميت بل يكررون كلمة [ الحمد لله ، الحمد لله ] ثم يفسلون الميت ويلبسونه افخر ثيابه ، ثم يدرجونه بالكفن ويضعونه في التابوت ، ويسرون به بالكبير ، التهليل . وقد توجد امسا في جناز الاعظم منهم . وقبورهم على نمق قبور السنين . وليس من عاداتهم تامين الميت ، ويكتفون بزيارة القبر في بعض الاحيان .

( اصولهم في الزواج ) — لا يمتز النصريون ، رجالهم تعرف بناتهم ولهذا لا لزوم عندهم لارسال من يرى المخطوبة ، فاذا حصل الوفاق بين الطرفين يدفع الخاطب الى الخطة به مهرأ يتراوح مقداره بين ( ١٠٠ — ١٠٠٠ ) ايرة ، ويرسل لها هدية كخاتم او غيره مما يناسب ، ارساله وبعد مرور سنة يعقد النكاح ، ويحتفلون به . فيجتمع النساء في محل ويفرحن . ويظهر الرجال سرورهم برمي السلاح . وتقام الولائم . ثم يشرعون بالاحتفال بالزفاف ويسرون بالعروس الى منزل العريس . وقد كانت عندهم عادة تقضى على المدعويين بتقديم الهدايا . وعلى المهدي لهم بالمقابلة ، اما الآن فهي متروكة .

هذا يدلنا على ان ليس في اعراس النصرين شئ يجلب النظر . ويؤمنون انه يعطى الى المورس قبل دخا البيت الزوج قدح من زجاج فتضرب به جهة الباب ، تكسره .

( الزوجات عند النصرين ) — لم يؤثر عن النصرين استئراش الجوار ولزى يوجد بينهم من تزوج بعدة زوجات كما هو الحال عند السنين . والاغنياء من هؤلاء يضعون كل زوجة

من ازواجهم في منزل مستقل .  
 (الختان عند التصيرين) - يختن النصيريون اطفالهم بين السنة الحادية والعاشرة من عمرهم وقد كانوا يحتفلون بالختان كثيرهم اطفالاً عظيماً . على ان هذه العادات لا تزال تندرج الانطفاء ، والانداس .  
 (مشايخ النصيريين) - يزعم بعضهم ان اشايخ النصيريين حق الدخول الى اى بيت ارادوه . ويباح لهم كل شئ . ولكن لم نظفر بدليل يؤيد هذا الزعم المجرد .

\*  
\*\*

بما اننا بحثنا في القسم العمومي من كتابنا عن عادات التصيريين القديمة المنبثقة عن اسس دينية ، اثرنا هنا الاكتفاء بذكر بعض العادات المحلية فقط .

[٣] - اوراق اجتماعية - ها نحن نذكر بعض ارقام التي حصلنا عليها في قضاء صافيتا :

(مهاجرو النصيريين) -- يخمن عدد المهاجرين الذين هاجروا من هذا القضاء الى اميركا بمشرة آلاف وخمسة عشر ألفاً من النسمات .  
 (المؤسسات ، والرؤساء الروحيون) - يوجد في مركز القضاء جامع ومبنى وامام وفي جميع القرى جامعان او ثلاث وفي كل واحد امام . اما المسيحيون فلمهم (١٧) قرية في كل واحدة منها توجد كنيسة ولكل كنيسة راهبان او ثلاثة .  
 (المساكين في مركز القضاء) - ان عدد المساكين الذين قام باطعامهم بضع عائلات في المراكز يتراوح بين (٥٠٠-٨٠٠) شخصاً . ويوجد هناك مقدار « ٦٠ » من ايتام الاطفال الذين لا كافل لهم .

(حالة السكان) - ان عدد المتاهلين في هذا القضاء يخمن بمقدار « ٦٣٢٥ » من الذكور ، و « ٦٩٢٥ » من الاناث . بهذا يكون ثلث السكان من المتاهلين ثم يقابل هذا المقدار « ٨٩٣٤ » ذكوراً ، و « ١٣٠٨٨ » اناثاً من العزاب ؛ ثم يجد « ٤٣٤ » من الارامل و « ١٠٥٥ » من الياحي . و « ٣٤٨ » من المطلقات . وعلى هذا الحساب يكون مجموع هؤلاء ثلثي جميع السكان .

ويوجد في القضاء من البكم والصم والعمى (١٣٢) من الذكور ، و (٨٢) من الاناث و (٨) من المجانين لدنور و (٢) من الاناث .  
 وتسد الامورين من الصافيتين عبارة عن « ٩٠ » شخصاً .

(الصنوف الاجتماعية) - يوجد في هذا القضاء على التحسين « ٥٥٧٧ » شخصاً من الزراع و « ١٢٥ » من ارباب المهن و « ٢٥٠ » من التجار و « ١٠٠ » من العمال و « ٢ »



من ١١ طبباء و ٣٠٠ من معلمى البنيان . و ٣٠٠ من المعلمين وطبيب للانسان . وعلى هذا يكون عدد ارباب الحرف « ٦٠٠٠ » ثم ان عدد اصحاب الاملاك « ٩٠٠٠ » شخصاً ( مقدار الكسب ) — يتراوح بين « ١٠٠ » و « ٢٠٠ » شخصاً عدد الذين كسبهم اقل من الف غرش فى السنة . وعدد الذين يربحون اقل من خمسة آلاف يتراوح بين « ٣٠ — ٤٠ » شخصاً . ثم الباقيون فدخلهم السنوى يزيد على هذا المقدار .

( افراد العائلة ) يوجد فى هذا القضاء « ٢١٦ » من العائلات التى يبلغ عدد افرادها الى « ٧ » . « ٩٢٢ » منها لا تتجاوز افرادها الثلاثة . وهذا يدنا على ان اكثرية القضاء تتألف من العائلات الصغار .

( مقدار الكاح والطلاق ) — يزعم ان قد حدث « ٢٢٣ » نكاحاً فى ظرف خمس سنين ، اى من سنة « ١٣٢٣ » الى سنة « ١٣٢٨ » . فتمهم « ٢٠٨ » مسلمين و « ١٠ » للاروام و « ٥ » للمارونيين ، واكثر المتأهين كان سنهم بين « ١٥ — ٢٥ » . ولم يمع من الطلاق الا « ٣ » فى السنة .

اما فى السنين الخمس الاخيرة فكان عدد الزوج « ٦١ » سنة « ١٣٢٩ » و « ١١ » سنة « ١٣٣١ » و « ٦ » سنة « ١٣٣٢ » ولم يحدث فى سنة « ١٣٣١ » منه شئ . اما الطلاق فلم يزد عن واحد فى السنة . « دور المجلس » — يوجد فى هذا القضاء سجن واحد لا يستوعب اكثر من « ٣٠ » شخصاً .

( القاتلون ) — حدث فى القضاء (٤) جرائم من القتل سنة (١٣٣١) و (٩) منه سنة (١٣٣٢) وكلهم من الزراع .

( الجنح ) — حدث فى القضاء (١٠٥) جرائم من الجنح سنة (١٣٣١) و ٥٣ منها سنة (١٣٣٢) واكثرها على التدرج الضرب والجرح ثم السرقة . اذ حدث سنة (١٣٣١) ٣٥ جرماً من نوع الضرب والجرح و ٢٣ من السرقة و فى سنة (١٣٣٢) حدث ١٢ جرماً من الضرب والجرح و ١٥ من السرقة . وعلى هذا الحساب بصيب كل ستة ايام فى السنة جرم واحد .

## ١٠ — الحالة الروحية والسوية الفكرية

اننا سنشرح الحلال الرزجية التى كونتها لمتقدات الدينية فى التصريبن اننا البحث عن ادبياتهم . وعليه نكتفى ها بالاشارة الى بعض الاوصاف الخاصة التى يتصف بها نصيريو قضا صافيتا .

رسالة التصيريين في هذا المقضا ليسوا من الحشونة على درجة غيرهم، من التصيريين في القضية الاخرى . بل هم يتوخون في مناسبتهم الاجتماعية طريقة اللين واللينية . ولهذا السبب لا يمكن العثور في هذا المقضا على من سلك سبيل الشقاوة او اللصوصية . ولقد برهننا الجداول الرسمية على ان الاشقياء الذين خرجوا في السنين الاخيرة لم يكونوا من اهالي صافيتا ، حتى ان الاشقياء الذين كانوا وافرى العدد في هذا المقضا قبل السنين الاخيرة لم يكونوا ايضا من سكان المقضا .

ويجب ان لا نحسب هذا اللين في هؤلاء السكان من السحابة الروحية الثابتة . بل لا ريب في ان تحت تلك الرياش الطاووسية شخصية تتدفق فساداً وغشاً . ولم لهذه الشخصيات الحليمة من فورة ، وكثيراً ما تنقلب العشار المتحابة اعداء الداء بعضها ، فكل فرد من هذه العشار يحمل بين جنبيه روحاً غايتها الاحتفاظ بمنافع عشيرة بالوسائل المطلقة مشروعة كانت ، ولم تكن . ولهذا السبب لن توجد بين التصيريين انفسهم محبة صادقة ، او اخوة حقيقية ، ناهيك عن المودة بينهم وبين النصارى . وان المودة والحسنى التي يتظاهرون بها هي جمالية ووقتية . وان آثار تلك الارواح المتقلبة ، والوانها لا تدتر ولو برهة قليلة . بل هي على تحوّل دائم ، ومع هذا فان هذه المنافرات ، وعدم التحاب لا يسوقهم الى الانتقام الاعمى ، ويندران ينقلب الى خصام تسفك فيه الدماء .

وقصارى القول ان طبيعة اللين والسكينة في هؤلاء القوم ممزوجة بغيرزة الافتراض التي لا تزال على صورة دائمة كالبركان وهم لا يتوخون بهذه المفاصد ، والمفترقات مصلحة العشيرة بصورة دائمة . ولا جرم انهم من الانانية بدرجة تثيرهم من بنى جلدتهم ، وربما يرجحونهم فيها ، فن الخطأ ان نسميهم حاملين مطلقاً لمصلحة العشيرة ، ونعتبر حرّاتهم وسكناتهم كأئنة لتأمين هذه الغاية . اذ لا يبعد عن احدهم اذا فاته النفع الذاتي ان يضرب بنصيرته عرض الحائط . ويفتدى مصلحته بعشيرته وذويه وحتى بوالده وابيه ولهذا نجدونهم قاعدين لبعضهم في المرصاد ، مستعدين في مكمنهم لكل ما يحتمل حدوثه كانهم من الجنود المحاربة . هذا وان كانوا لا يتسارعون بلا سبب لاهراق الدماء على غير جدوى ، ولكنهم اذا حرموا من انفس آمالهم لا يوقفهم شيء عن ان يرتكبوا اليوم ما كانوا يتحاشونه بالامس . وبهذا يسوغ لنا ان نعتبر كل واحد منهم هيكلًا للسلم المسلح .

\* \*

ان الله تعالى الذي يدبر هذه الفتن التي تريد ان تشرب دماء بعضها باللين والسكينة ، لاجرم هو حب السمع والاعانة . ثم اذا فكرنا بما هم عليه من البعد عن العلم والمدنية يتضح لنا سبب تأصل هذه الحالة الروحية في طباعهم واستقرارهم عليها . وان رجوعهم لتأمين

صالحهم الذاتي بطريقة سلمية؛ او خفية نشاء عن احكامهم وامثالهم بالناس، والا فلا نجد لهذه الطبيعة الساكنة اثرأ في اخوتهم الذين انقطعوا عن الناس وكنوا في طى تلك الجبال الموحشة. واولئك هم اشد بعدأ من هؤلاء عن الانس واللين.

يبلغ عدد الذين يعلمون الكتابة والقراءة بدرجة بسيطة من النصيرين الى (٩٥) في المائة. ويصعد هذا المقدار في المسيحيين الى (٥٠) في المائة. وهذه النسبة لا يتيسر لنا العثور عليها في الاقضية الاخرى. فيجب ان لا نتجب من خشونة طباعهم. لان الخشونة ضرب من البعد عن المدنية، او نوع من الجهل.

### ١١ - الاموال الصميه

يمكننا ان نقسم قضا صافيتا الى قسمين، الاول سيف البحر، والثاني الانحاء الجبلية الوعرة التي يسمونها «الجرد». هذا وان يكن هوا القضا جيداً لطيفاً ومعتدلاً بصودة عمومية ولكن القرى الموجودة في القسم الثاني ارجح من غيرها مناخاً وهواً بسبب ارتفاعها، ونجبتها عن المستنقعات الموجودة في الاصقاع الساحلية.

اما ما، هذا القضا، فنه المتبع الموجود في برمانه مركز القضا الذي ينبع من دوة «تليجه»، وهو ماء سلسال، على غاية من النظافة، والصفاء، ويزيده ميزةً ورجحاناً كونه كلياً بنفع المصايين بالامراض الكلوية. ويعثر في سائر انحاء القضا ولاسيما في ناحية الجرد على هكذا مياه نقية صافية.

وتوجد في أكثر القرى آثار تقوم بسد العوذ. ولكن سكان الاصقاع الساحلية لا يزالون في ضيق شديد لندرة الماء في انحاءهم. وبعض سكان القرى هناك يضطرون الى جابه في الجرار على كواهلهم فيتكبدون تلك المشقة، ثم لا يكون الماء نقياً، بل يتدنس اثناء النقل. ولهذا فان مشكلة الماء اصبحت عندهم من المسائل الخطيرة، ولاسيما وقد تكون واسطة لتسرب الامراض اليهم وانتشارها بينهم.

اما بيوت هذا القضا فانها لا تنطبق على التواعد الصحية كما ذكرنا عنها اثناء البحث عن المركز. واكثرها مرتكمة حوله اكوام التريل. فاذا علمنا ان حيوانات الزراعة تبيت في داخل تلك البيوت، وفكرنا بعدم اعتناء القرويين بالنظافة نعلم ان هذه المساكن، وتلك العيشة هي قبر غير محسوس معد لتلك الاجسام التي لا يزال الاضمحلال يدب بها ويستدرجها الى ان يصل بها الى الفناء.

ولو لم تكن تلك الجبادة في الهواء، وهاتيك النظافة والنقاوة في الماء لزجت تلك اياميشة السيئة بالصحة العامة في مهاوى الردى. واننا لم نقصد بهذه العبارة مدح الحالة

للطبية بولا الاغضاء عن ذكر ما ينتابها من الامراض . لان الحمى المرزغية والامراض العينية وغيرهما من الامراض العمومية لا تنفك تهدد صحة هذا القضاء بخطورها . ان الانهار الجارية في هذا القضاء وعلى الاخص نهر الابرش يجري قريباً من الساحل في مجرى غير منتظم فتسرب منه المياه الى خارجه حيث تكون احواضاً صغيرة تستقر فيها جراثيم المرض ، وهذه المستنقعات اوجبت استفحال الحمى المرزغية واستقرارها في ذلك القضاء بصورة شاملة . وهذا وان كان يمتز على هذا المرض في الانحاء الجبلية بنسبة ما هي عليه في الساحل ، مع انها خالية من المستنقعات ولكن لم يكن هذا الا عن كثرة اختلاط السكان ببعضهم ، ثم من الاستعداد الذي اوجدته فيهم السنون الطويلة . ولهذا فان امواج الحمى المرزغية التي تتدفق من الساحل الى الداخل لا تزال تكتسح السكان وتلتهم حياتهم . ويروى الاطباء هناك ان قد يصاب بهذا المرض مائة من الناس في كل سنة .

ثم ان مرض العيون هناك لا يزال على وطئة شديدة ، والرطوبة من جهة ، وعدم النظافة من جهة اخرى جملا لهذا الداء مجالاً واسعاً في الانتشار والتفشى . فيصاب به كل سنة أكثر من الف ، وخمسة في المائة منهم لا بد ان ينقلب معهم الى العمى . ثم يوجد في القضاء غير هذه الامراض داء (سل الرئة) . ويوجد في القرى الكائنة في الشرق الجنوبي من القضاء ، ولاسيما في ( برج صافيتا ) كثير من الاشخاص المصابين بالسل :

ويروى وجود كثير ممن اصابوا بمرض الكبد المزمن واحتقان الطحال . ويقول طبيب القضاء ان عشرة في المائة ممن ينشط من مرض الحمى المرزغية يصابون في هذه الامراض . ويروى ان الامراض السمية قليلة جداً في هذا القضاء . ويقول طبيب القضاء انه لم يعثر الا على شخص واحد من المصابين بمرض الافرنجي (١٥-١٥) ممن اصاب بمرض حرقة البول .

\*

دخلت امراض الحمى النمشية والقوليرة الى هذا القضاء سنة ١٣٣٣ ولكنها لم تحدث اضراراً مهمة . ثم يروى ان قد حدث منها بضع حوادث في الثلث الاول من سنة ١٣٣٣ ولكنها كانت محدودة ايضاً . ولهذا فان مجموع عدد الذين اصابوا بهذه الامراض لا يتجاوز العشرات .

\*

ثم ان الادارة الصحية في هذا القضاء ناقصة الترتيب . لان طبيب واحد لجميع القضاء لا يستطيع ان ينهض باعباء الامور الصحية ، لاسيما اذا كان محروماً من كفاية

الوسائل والوسائط. وراه يتسلم قبل شكل. ثنى من عدم وجود المقايير الطيبة بدرحة كافية.

ثم لا توجد صيدلية في جميع انحاء الصفا. ولولا ما يجلبه الطيب من بعض المقايير بصورة خصوصية، لكان امر القضاء موكولاً الى القضاء. وما يجدر بالذكر ويستلزم الشكر وجود قابلة متفتنة في هذا القضاء تقيض على نساؤه الشفاء. ويجب على هؤلاء السكان ان يعرفوا فضل هذه السعادة التي رمتهم بها الصدفة. ولكن لا ادري هل يسلم بهذه الحقيقة اولئك الصبريون الذين ظاهرياً يتخلص من هذه الحياة التي يعتبرونها كرهاً وسخ، والتعالى الى الانخراط بسلك العالم انور، عالم الكواكب (\*).

## -- ١١ --

### الادبيات النصيرية

#### ١ — الحالة الرومية في النصيريين

بحث رقيق — في القسم العمومي — عن ممتد ومذهب النصيريين العاطنين السلسلة الجبلية الواسعة المسماة باسمهم والكائنة في الناحية الشمالية من سورية، والممتدة الى داخل أطنه. ولا جرم ان ذلك البحث المضاعف كشف النعائ عن الحطوط التاريخي. لهذه الفئة التي هي من غلاة الشيعة، وبين خصائصها اعمومية، واسما الدينية، وشنشنتها المذهب. ثم انني تكلمت عن احوالهم الاجتماعية، وادوا في حياتهم اعمومية بين البحث عن فضاء صافنا. ولهمنا فقد حصل لدينا فكر اجمالي في خصائص هذه الفئة، وفي افاعيل محيطها المتشوبة.

على اننا نرى قبل الافاضة في البحث ع ادبياتهم، ان تقبل على تحابل حالتهم الروحية وتشرحيها، مستدين على « الدين » الذي كان لهم بمثابة السجة الرومية المورثة بتسلسل الانسال، ثم على « المحيط » الذي هو عبارة ع مجموع الافاعيل الطبيعية والاجتماعية. ان تأثير العرق والاقليم، والوسط جعل النصيريين ( فئة خالصة ) لا تتر على لون ولهذا فان حالتهم الروحية عبارة عن كونهم خياليين محضاً. واذا ارحنا النظر الى دياتهم نراها ( مخلوقة الحب ) بمجرها وبجرها. وما كاد

[\*] راجع اول سورة في كتاب « الساكورة — سليمان الاذني »

## الادبيات، التصويرية

وتأسس دين هؤلاء القوم الذين اتبعوا لهم من شخصية على بن تاي مطالبهم آلهام، ملفقاته، الآلا  
ودخلوا في معتقدتهم. إلى قضاء فسيح من الخيال، ووجهوا، ان تلبية الشخصيات المجهدة أو قفلت  
دور الشمس، وكنت الموتى كالسيح.

وقال « نصير النوى »، مؤسس هذه الديانة في كتاب له: « ان المسيح، او جواثيل  
سماه بالقارعة، والصادق والجمل والبقر والروح... الخ »، وسمى لان يؤلف بين هذه  
الاضداد المادية والمعنوية، باخره ما يكون من الافكار الخيالية. ثم ان « حسين بن حمدان  
الحصبي » احد صناديد هذه الطائفة، خلق لنفسه مسيحاً، اتقده من سجن بغداد، واخذ  
يتبجح بهذين البيتين:

قال لي في المنام اب شقيق . انت ابن الحصيب حر عتيق ،

انت بالحب ال احمد ماعش ت طليق بحبهم مرزوق

لا جرم ان النصيرين لا يعتقدون بوفاة على . وعليه اخذوا يرتادون لهذا الآله  
الابدی عرشاً خالداً، ورفعوا بابصارهم الى السماء فارثهم ليل سودية قرناً جليلاً فانه  
منصة من نور تحف به الكواكب الدرية، فأتخذوه عرشاً، بل سكناً لا لهم. كما فعل  
قدامى الكلدانيين والآثوريين — . ويزعمون ان الغشاوة السوداء في القمر هي، هو  
قائلين:

— هـ هو، وما تلك الغشاوة الداجية الا هو. متوج بالتور وفي قبضته الصارم

المعهود، ذ الفقار ....

ومع هذا فان هؤلاء الذين شربوا من رحيق المجوسية المعجوز، عين ذلك العكاس  
المتدفق بالحياء، لم ينسوا بعد القمر هاتيك الجنود النورية المنتشرة في فضاء السماء، تلك  
الثوابت والسيارات، ثم ملكة النور، ولا سيما المجرة.

وقد برهن النصيريون ابناء السماء على انهم مسورين بنطاق الخيال، منذ تأسسهم  
« نظرية الهبة ط » المعهودة.

كانوا — على زعمهم — يبسرون علياً وهم كواكب لامعة بل انوار ساطعة؛ وحوله  
محمد وسلمان برمقانه بنظراتهما البورانية.

هكذا مارال النصيريون يمدون خطواتهم وراء طير خداهم الطائش حتى عثروا على  
« قايم الصراب » الاب والابن وروح القدس الثلاثة. فقلوها بالمعنى والحجاب والباب،  
واوحدوا سرّاً للنصيرية يتألف من « ع » م » س ».

يجمعون انهم ظلوا سبعين قرناً وهم كواكب نورانية، ثم كان ذلك الخطأ الخيالي،  
وكرت بعده الادوار، وعقبت ببضع تجليات. ثم ان ذلك المعبود الذي يترأى على هيئة  
شح ذى لحية بيضاء، او شاب راكب على اسد، او طفل؛ اهوى بهم من السماء الى

[illegible]

وهذا النسخ القريب في التخييل يدثنا على ما طغت عليه أهواؤهم من الانقراط . وهم يزعمون على حين الوخيرة : ان لا قيمة لحياة الدنيا . ولا تكون السعادة الا بالايمان بهذا التخليت . وانما يكون التعلق باللهاب هذا الاعتقاد والاكتفاء به . ثم الاقطاع عن جميع انساب الدنيا ، وعن العلم والجد والاجتهاد امرأ طبعياً . فاذا اتبع هذا الصراط السوى — بزعمهم — واحتفظ بذلك المعتد فلا يد للانسان ان يدخل في زمرة تلك الشמוש النيرة . ولا جرم ان هذا الدين هو الذي يسعد ابناء البشر ، وهو الحقيقة الناصحة . فالذين لا يؤمنون به لا بد لارواحهم ان تفسخ وتقلب الى بهيمية سافهة . وقصارى القول لا يستكبر على التصيريين الذين يتبعون عقاه الحيال ، الهالهم امر الحياة ، وانصرافهم عن الجهد والمعى ، ثم بعضهم يجمع الناس واستحقاقهم اليهم ؛ لانهم يباهون بهذه المعتقدات التي يدعوهم اليها دينهم ويضخرون بها .

ثم انهم يزعمون ان لا احد غيرهم يفهم سر الوجود وحقيقة الكون. فما اضل هؤلاء الطائشين الذين ختم الله على قلوبهم فجاءوا بما خلقه خيالهم وجعلوه حقيقة، بل عقيدة!

ثم انهم يؤمنون هذا الاعتقاد الخلق ، بنقوش وزخرف مكذوب ويقولون : خلق سليمان القفاصى الايتام الخمسة . فقداد يتعهد الرعود والصواعق والزلازل ؛ وابو الدر سولج بالنجوم والكواكب ؛ وعبد الله بن رواحه ملزم بادارة العواصف والرياح ؛ وعثمان مأمور بتفقد الحرارة والاجسام ؛ ثم على قبر التصرف بالارواح . وبعبقديتهم هذه التى تذكرنا بالالهة اليونان ، يبرهنون على انهم اصدق الاخلاف لاولئك الاسلاف الخياليين ، ثم لا بد من ان يعجب الانسان لادخارهم هذا المعتقد ، واحتفاظهم به حتى فى القرن العشرين . ولا جرم انهم لم يتمكنوا من هذا النجاح الا بتلك الارواح الصكامة . لانه لا يسوغ فى دينهم افشاء السر حتى ولا لنسائهم . ويعتقدون ان معنى الجهاد الذى جاءت به الديانة المحمدية هو عبارة عن هذا .

وهكذا فن ديدنهم طمس المعانى الظاهرة بغواش خيالية ، ثم يرجعون فيها الى التناويل على حسب الاهواء . فيقولون ان حقيقة الحج هى معرفة بعض اشخاص معلومة ويقتلون الاركان المادية كالبيت والسقف والارض والقباب والباب والحلقة الى اشخاص معنوية كمحمد وابي طالب وفاطمة والحسن والحسين وجعفر الصادق .  
وعندهم للاعداد رموز خاصة ، وعليه فلنكل من الاعداد الموجودة بين الحمة والاشي

عشر مدلول جسماني ،

وقصاى القول ان التصيريين ، انقلبوا الى الحالة الواحية فخرية بضغط تلك العقائد التي ولدها الخيال المجرد عن كل عقل وادراك . وتملصوا من العظمية والاحمية الى شخصية مؤلفة من الوهم والخيال . ولهذا لامدوحتهم هؤلاء الذين اصبحوا كسملهم الذين لم يعتقد انهم في الكون ، وآراؤهم في الحياة ، ونسق عيشهم ، واعبادهم ، وحالتهم لدى الاغنياء وما هيته يحيطهم ، كلها مسربة بالخيال . من ان تكون حالتهم الروحية مشربة به ايضا .

وهذه الحالة الروحية ، هي التي جعلتهم مساوين كالحجوس ، ومن معتقدي التثاخن كالدروز ، وربطتهم بالتثليث كالنصارى وهي التي حبستهم بأدوار القمر المنير ، وبملوية السماء العالية ، وبحمرة شروق الشمس ، وصفرة غروبها ، ثم باطافة النسيم ورقته .

ولتعلم ان خيال التصيريين هذا الذي لا يزال يخدعهم بسعادة العروج الى السماء وحلم المجرة ، والوصول الى انوار الشمس الساطعة ، والتمتع برؤية الآله الواحد . ابعدهم عن ان يكونوا امة تستطيع ان تعيش في هذا المصّر .

وليعلم بنو هذه الفئة الخيالية التي ترى الحياة لباساً مدنساً ، وتظن ان لا قيمة لهذا الكيان المضي ، وتعتقد ان سائر الاديان والطرائق الحياتية لباس ، والتصيرية جسم ، وتنتهي لان تتحكم على كل دين وشخص ، وتقّس في دينها الكذب والرياء ، والتفاق ؛ نعم ليعلم ابناءؤها انهم ان لم يهجروا هذا الفلو في الحالة الروحية ، فلن يكون لهم نصيب من السعادة الحقيقية في هذا المعترك الحياتي الذي يتطلب سواعد من حديد وادمغة تدك بعزمها الاطواد .

فليتادوا النور في التجوم ، ولينظروا ما شاؤا الى انوار القمر ، ولكن لا بد لهم ان يهوا في مهاو من الذل والخسران بعيدة عن معنى الانسانية ، بسبب تلك الحالة الروحية التي تقوض الوجائب المدنية وتهدم اسس الحب الاجتماعي المتبادل .

ولن يرجوا الى عليين السماوات ما زالوا بعيدين عن التعقل والاذعان والمعلم والمدنية بل اهم ليسقطون في دركات الاضمحلال او يطوح بهم القضا الى الفناء الخالد . اذ لا حياة في هذا المعترك العصري الا للقوى الشديدة ، والمجازر الضعيف محكوم بالموت المحتم . وليسلم التصيريون هذه الحقيقة المرة من هذا البيت لعل ( ر . ع ) :

يعيش قوم ويموت قوم  
والدهر قاض ما عليه لوم

فما اجدر هؤلاء الخياليين بان يفتكروا بان لا لوم على الدهر بامانة قوم واحيا آخرين وينتهوا بهزم الصيحة من سباتهم الجامد !! .



ان النصارى الذين لا يزال دينهم وعرفهم ، يستقيم منهم رقيق الخيال بكأس دم قافى .  
 هذا الوسط السورى الذى يتدفق بالبدائع والمحسن يعترف لهم باستجواذهم على عناصر  
 الشعر والصناعة الادبية كما يجب ان لا ينكر نجرهم من جهاز الجدال الجوى .  
 يولد النصارى مفطورين على حب الخيال بسبب موروثاتهم العرقية ، ثم يقبل المحيط  
 الخارجى فيكشف عن تلك الملكة الفطرية وينشأها نشأاً نامياً وناجحاً .

هذا وان لم يطلع احداث النصارى على ديانة آباءهم الخيالية ما لم يبلغوا اشدهم ،  
 ولكن المحيط الخارجى وشرائط الحياة هناك تاخذ تلك الخاصة الموروثة بالهويى وتتدرج  
 بها الى غاية كمالها .

لاحظ للاحداث النصارى قبل اتمامهم السنة الثامنة عشر من عمرهم ، ان التمتع  
 ببدايع المحيط الطبيعية والاكتفاء بها . فيشعرون بوجد عميق حينما يبصرون على هامس  
 جبالهم الشاخنة ، ذلك الشروق السورى الزاهر ، والغروب السجدى الساحر ، فتارة  
 يرون ملكة النور كمين فضية ، وآونة كنافذة ذهبية تلمع النور الساطع .

وما الطف مناظر هاتيك الآفاق السورية ، لا جرم انهم ينسسون في وجد خيالى  
 تجاه تلك الالوان والبدائع حينما يتمتعون النظر بتلك القرى الكثيرة التى وقاها نصيبها من  
 الوان المحسن الفجر المتمد ، او الشفق الذهبى الارجوانى الذى يقوم كل يوم على رؤس  
 تلك الربى الزمردية . ثم لما ينسحب نور النهار مودعاً تلك الاصقاع المنيّة ، وترسم فى  
 فضاء السماء تلك النقوش الباهرة بالوان عندية ، وصيفية ، او لارجوانية ، ثم تنقلب الى  
 سدرية ، واحلولاك ، فتلمع الكواكب الدرية . هنالك يكون اولئك الاحداث الخياليون من  
 بنى سورية منتظرين انفجار عين السماء ، واقاضتها النور الدافق من وراء تلك الربى القائمة  
 امامهم كالظل القاتم . ولا يلشون قليلاً الا وينجلي لهم ملك الضياء ، ذلك الطائر الجمرى  
 ويحلق فى الفضاء ، ويخترق موكب الكواكب ، ويرسل من نوره الفضى ما يغمر السماء  
 والارض والجبال والقرى . وهنالك تتحقق قلوب اولئك الاحداث احتراماً لهذا المخلوق  
 السماوى ، ويتراكون الى رؤس الهضاب ويمدون ايديهم لتصل اليه ، او يشبون لعلهم  
 يصيدون ذلك الطائر الالهى .

يا للسعادة ... ما الطف هذا القمر وما ابعجه ... والله شروقه كل مساء من حفاف  
 تلك القبة الزرقاء ، باشكال مختلفة ... يكون هلالاً فى بضع ليال ، ثم نصف دائرة ، ثم  
 بدرأ تاماً ، وهكذا لما يراه احداث النصارى فى ليال سورية المذهبة على هذا القلب

## الادبيات التصيرية

١٠٠٠

المحسوس ، فلا يملكون انفسهم من الانشغاف به اكثر من كل كوكب سماوى . لاسيما اذا كان بدرأ كاملاً ، فانهم يرون في صحيفته حاجيين وفاقاً ، ثم باقى الخطوط الوجية ، فيحسبونه وجهاً ثوبانياً يطل على هذه الدنيا من سمو مقامه .

ثم انهم يبصرون الحجرة التى تشغل تلك القبة المكوكة ، فيفكرون الى اين يذهب هذا الطريق الثوراني . ويرون انفسهم تصفرت تحت عظمة تلك السماء الرفيعة ، ديار النور والضياء . ويفشاهم من سحرها وجد ينسيهم انفسهم .

ثم تأتيتهم المواسم الاربع تباطاً ، وتهدى الى آفاقهم افخر الهدايا والطفها . يشاهدون سماءً زرقاً مرصعة بفتات من سحب كالعهن المنفوش ، ثم يلوح لهم البحر المهم عن بعد كانه صحيفة سمراء ، ثم مناظر تلك الربى الزرجدية ، ويسمعون تغريد الطيور الساجعة ؛ ثم ينقلب الحال الى سكون سائد ، ويرون حينئذ نوراً فياضاً يزج على المحيط بسبات عميق . . . . ثم ينتهى الصيف الذى كان يغرق تلك الاصقاع بطوفان ذبى . ويبدأ الشتاء فيرون الربى مجللة بالثلج الابيض ، ثم تهاجمهم المواقف الصرصرية ، وتكاثف عليهم الامطار الدائمة ، وتتلبد آفاقهم بالغمام القاتم ، فتحملهم عصية روحية تجعلهم ينتظرون ملاك الربيع على مثل حجر الفضا .

وقصارى القول ان فتان التصيرين يشبون وهم بين تلك المؤثرات الطبيعية التى تقبض عليهم بالبدايع والمحاسن ، وبهذا تكون احدى ملكاتهم الذهنية نامية متفيزة فتكشف بهذا الوسط الصالح . اما ملكاتهم الاخرى فانها تبقى معطلة عقيمة ، مضحاة فى سيل اختها التابغة . ولهذا فان الدور الاول من حياة التصيرين يبعث الروح فى طبعهم الخيالى الذى فطروا عليه . ويميت فيهم سائر الملكات الذهنية ويبيدها .

لا حاجة الى اعمال الذهن للاطلاع على ان احداث التصيرين الجاهلين لا يعرفون شيئاً غير التراب اليباس ، ومهنة الزراعة على النسق القديم ، وانهم لا علاقة لهم لعالم . ولذلك كانوا غير قادرين على المحاكمة الذهنية ، وظلت قواهم العقلية محرومة من كل فيض ونمو .

ثم ان الحياة عندهم التى لا نصيب لها من القصابات المنتظمة ، ولا من الطرق الواسعة ولا من النظافة ، والشرائط الصحية فى المعيشة ، ولا من المدارس والمصانع ، ولا من المؤسسات العمرانية والعرفانية ولا من كل ما تتطلبه المدنية والرقى ، جعلتهم محرومين من العلم العمل الذى يستند على النظر والتقليد .

وهكذا فان التصيرين الذين يشبون بادمغة بعيدة عن كل فكر ، مجردة عن كل عزم واردة ، لا يكون لهم نصيب من الشعور البشرى والاجتماعى ، ولا حظ من الميل الى المعالى والكمال . لانهم يرون آباءهم وكبرائهم لا يحبون بعضهم ، ويشاهدون تباعد التصيرين عن

ذويهم ولا سيما يطلعون على عدوانهم وبفضهم لمن لم يكن نصيراً . . . . .  
ولهذا لا امكان لان تجلي فيهم الشعور البشرى ، او ترقى لديهم الاحكامات الاجتماعية  
ولا يشعرون بمعنى الوطن ولا قدسية العلم ، حتى يوجد عندهم ميل لاعلاء شأنهما . ولهذا  
فان هذه المعالي التي لم يعتز عليها فكرهم لا تدخل لهم قلباً .

ساقطهم الطبيعة لان يتحروا الوسائل لاملأ ما اوجدته المحرومية في انفسهم من الفراغ  
فهبت ذمادهم طبيعة المحيط ، واندفقت على فراغهم المطلق واملئته بفجرها وشفقها ،  
وشمسها وقمرها ، وارضا وسماها ونجومها وطيورها ، وسهولها ونجودها ، وغيرها من  
العناصر البديعية .

لاسيما « الحقيقة المكممة » او « السم الخفي » الذي لا يزالون يسمعون صنداء من  
آبائهم ، كان لهم وكنّا يأوى اليه خيالهم ، ذلك الطير الحر التوراني وهدفاً مرتفعاً  
يعرج اليه .

تم بعد ذلك الانتظار المديد لا يلبث كبراؤهم ان يجتمعوا وبكشفوا لهم الغطاء عن سر  
( ع ، م ، س ) . ويشرعوا بثقة يجهح بكثير من الخيالات الغامضة ، ويومئذ تقبل تلك  
الادمغة التي جعلها المحيط والسر الموروث مهابة لتلقى كل خيال ، وتعشق هذا الدين  
الخالى المجرد عن كل خصيصة حسية وعقلية ، والموافق لما قام في اذهانها من الافتان  
بالخيال . وكأما عاجلوا الاطلاع على نقاطه الغامضة باعمال الذهن ، يزج بهم في الاضلال  
ويبعدهم عن كل حقيقة وعلم .

هنالك يعامون ان للحياة وللطبيعة التي تحيطهم معان طنة . وهنالك تكون السماء  
والقمر ، والشفق ، والشمس ، وكل ما كانوا يشعرون به من العناصر البديعية الخيالية في  
نظرهم اركاناً لمؤسسة خيالية اعظم من الاولى واعلى . ثم يشوعون بارتداد الواد والكلمات  
او الاشارات للتعبير عن تلك اقاصد الحياة التي يعجزون عن ابرازها . فيكون البدر  
والهلال والسماء والحمر في نظرهم اشكالاً ظاهرية ، ثم المذاهب والاديان التي تحيطهم  
حجاً خارجية . وهنالك يستحوذ ذلك الخيل الذي نشط من عقال العقل ، وبعد عن  
الحكمة المنطقية على ارواحهم بعد ان يستفز الادمغة بهياج اعمى . ويومئذ تشعر تلك  
الارواح التي شغفت باظهار هياجها المرافق لذلك الخيال القبيض بانها مجبورة على ان  
تستر المعاني المقصودة بانكال ظاهرية ، فتباح افهام تقلبات ( على ) ، آلههم الاساسي على  
وجه القمر ؛ وتضع للقباب السبع اسماء سعد ، وزينب وغيرها ، ثم تسمى محمداً وسلمان  
ومقداد الذين هم اركان الديانة باسم بطريك والراهب وغيرها . وهكذا يملؤن الآثار  
التي ابدعوها بالرموز والمبهمات العديدة .

وقصارى القول يمكننا ان نجمل ما فصنا الى الآن ونقول : ان للنصيريين حالة ادبية

خيالية، مجزومة من الحسن والعقل بتأثير تلك الابواب والافانيل ثم لهم ادبيات رمزية *Symbolique* مشحونة بالرموز الملونة .

### ٣ — تاريخ ادبيات التصويرية

اذا فكرنا ان للتصويريين الذين ملكوها على اهم عناصر الادب ، ماض يربو على عشرة قرون . نعلم ان لهذه الامة القديمة ثروة عظيمة من الادب ، وتاريخاً ممتازاً فيه . على ان افراط هذه الامة وانهماكها باخفاء اسرارها الدينية اوجب بقاء احكام مذهبها وحقيقتها تحت غشاء المجهولية حقاً طويلاً ، وهكذا كان الحال في آثارها واشعارها فان ما تنابر عليه من التعصب في التقيد لاختفاء آثارها الشعرية والادبية اوجب مجهولية تلك الآثار ، وابتعد تاريخ ادبياتهم عن البحث والتدقيق . هذا وان يكن لا لزوم لتدقيق جذور واسس اللغة العربية — لانها معلومة — التي ابدع بها التصويريون اشعارهم ؛ ولكن كان من الضروري تدقيق الادوار الادبية التي مر عليها هؤلاء القوم منذ تأسست هيئتهم باسم التصويرية الى الآن ، وشرح ما تحتويه آثارهم الادبية من السجيا والخصائص الخاصة . اذ لا بد لهؤلاء الذين نشأوا في اصقاع تختص باوصاف متنوعة من سورية التي كانت مسرحاً لتنوع الحداثات السياسية والاجتماعية ، ان يرمموا تطورهم وتقلبهم في انعاشهم التي يبدعونها . ولكن من اصعب ما يكون نيل ولو بعض ما يطلعنا على اوصافهم الراحية وسجياهم الادبية التي يجب ان يكونها فيهم تأثير المرق والاقليم ، والمحيط ، الحصول على بعض اشعار تناسب المقام نستشهد بها على تأييد الآراء التي نستبطنها ، نهيك عن التحيز للاستحواذ على الوسائل التي تمكنا من ايجاده تاريخ مفصل لادبيات هؤلاء القوم .

حتى ان المستشرق المعروف ( Clemonet / Clemonet ) يقول [٢] بعد ان تألم من تعصب التصويريين المفرط بخصوص كتم دينهم ، وآثارهم : لم يعرف شيء عن الديانة التصويرية الا بعد ان نشر سايمان افندي كتابه المشهور المسمى بالباكورة واشعارهم ايضاً لم يطلع عليها احد الا بعد ذلك القطع التي ضمها الكتاب المذكور . . . فاذا علم ان الاشار التي تنسب الى التصويريين ، هي عبارة عن ما حواه كتاب الباكورة وست عشرة منظومة سنبعث عنها ، واربع قصائد استنسخها « قله مان هوآر » من الكتابات التصويرية الموجودة في مكتبة باريز ، ونشرها في مجموعة ( ژورنال آزياتيک ) .

(٢) راجع مقالة Clemonet في عنوانها ( Clemonet / Clemonet ) في مجموعة ( To p... ) في نسخة المطول سنة ١٨٧٩ من مجموعة ( To p... ) .

ينكشف لك الغطاء عن سبب عدم تمكّنتنا من تعميق البحث في تاريخ ادبيات النصيريين وتحرى ادوارهم وآثارهم الادبية .

وانما لم نغفر من شعرهم وشعرائهم الا بما كتب في التأليف المذكورة من القصائد واسماء اصحابها فقط ، ثم بالرغم عن ما توسلنا به من الوسائل الممكنة للحصول على هذه الامة انشاء تجوالنا في ديارهم ، لم نحصل ايضاً على ما يستحق الذكر ولهذا فانتنا مضطرون لنستعيز عن البحث في تاريخ ادبياتهم بتدقيق بعض اشعارهم الدينية ، ونقارن بينها وبين ما ذكرناه من المؤثرات وتكتفى بايضاح ما بينهما من الملائق والروابط . وقبل ان نختم هذا البحث رأينا ان ندرج بعض الآثار الخطية (manuscript) النصيرية التي يمكن ان تكون دليلاً لمن اراد تعميق هذه الابحاث في الآتى . هذا وان يكن بعض هذه المؤلفات مطبوعاً — كما بين رفيق — ولكن اكثرهم مجهول لا يعلم اين يوجد الآن .

كتب (Joseph Catafago) في عدد تشرين الثانى وكانون الاول سنة ١٨٧٦ من مجموعة (Journal Asiatique) مقالة عدد فيها الآثار الخطية النصيرية على الوجه الآتى:

- ١ — كتاب الهفت الكبير للامام جعفر الصادق .
- ٢ — كتاب المراتب والدراج .
- ٣ — كتاب الطاعة من كلام صاحب الساعة .
- ٤ — كتاب حجة العارف .
- ٥ — كتاب الدلائل في معرفة الرسايل لابن قاسم الطابرائى .
- ٦ — كتاب التجويد للشيخ حاتم الطومانى الجديلى .
- ٧ — كتاب التوحيد للشيخ محمد بن سنان الزاهرى .
- ٨ — كتاب الاسوس .
- ٩ — كتاب الحقائق لابن شعبه الحرانى .
- ١٠ — كتاب الاكوار والادوار التوراتية .
- ١١ — كتاب الطالقات .
- ١٢ — كتاب البحث والدلالة في مشاكل العلم والرسالة .
- ١٣ — كتاب الجدول النورانى .
- ١٤ — كتاب الحجب والانوار للشيخ محمد بن سنان .
- ١٥ — كتاب التكليف للشيخ محمد بن سنان .
- ١٦ — كتاب الصراط .
- ١٧ — كتاب المصرية .

- ١٨٨ - كتاب الايضاح .  
 ١٩ - كتاب مجموع الاعياد بليمون بن قاسم الطبراني .  
 ٢٠ - كتاب للمجموع .  
 ٢١ - كتاب اليونان « لاهل الشمال » .  
 ٢٢ - كتاب الحاوي في واجبات التلاميذ .  
 ٢٣ - كتاب الباطن .  
 ٢٤ - كتاب التأييد للشيخ محمد الكلازى .  
 ٢٥ - « ديوان سيدنا ومولانا الحصبى » .  
 ٢٦ - ديوان الشيخ على الصوبرى .  
 ٢٧ - ديوان الشيخ خليل النملى .  
 ٢٨ - ديوان الشيخ ابراهيم الطوسى .  
 ٢٩ - عينية الشيخ ابراهيم الطوسى .  
 ٣٠ - ديوان الشيخ يوسف ابو ترخان « الشمالى » .  
 ٣١ - ديوان الشيخ محمد بن كلازو .  
 ٣٢ - ديوان الشيخ حسن بن مكزون السنجارى .  
 ٣٣ - ديوان الشيخ صادم .  
 ٣٤ - ديوان الشيخ يوسف الخطيب .  
 ٣٥ - ديوان الشيخ ابراهيم شيخ العيدية .  
 ٣٦ - رسالة باطن الصلاة .  
 ٣٧ - رسالة الزردبائية .  
 ٣٨ - رسالة الجوهرية .  
 ٣٩ - رسالة المرشد .  
 ٤٠ - رسالة الجنانية ،  
 واذا امعنا لنظرف هذه المؤلفات نجد اكثرها يبحث عن الديانة التصيرية ، ويتكلم  
 عن مناسكها المتبعة . والمؤلفات من نمرة ( ٢٥ ) الى ( ٣٦ ) هى عبارة عن دواوين اشعار  
 و [ حسين بن حمدان الحصبى وعلى الصوبرى ، خليل النملى ، ابراهيم الطوسى ، يوسف  
 ابو ترخان ، محمد بن كلازو . حسين بن مكزون السنجارى ، صادم ، يوسف الخطيب  
 ابراهيم ] ثم [ على بن صادم ، الشيخ حسن الاجرود ] الذين سندكرهم فى المبحث الخاص ،  
 كلهم من شعراء التصيريين .  
 وما لنا علم بحياة اكثر هؤلاء الشعراء . ولكننا نعرف منهم حسين الحصبى الذى سبق لنا

التكلم عن شخصيته . ويعرف عن حسن بن مكرزون انه كان اميراً بطلياً وجذ قبله هذا التاريخ بسبعة قرون . ويزعم النصيريون ان لهم شعراء غير هؤلاء مثل « محمد بن شهاب الحارثي والمز بن صالح » ، ومحمد بن حسن التلافري . ثم بعد هذه المقدمة المجهلة نقل الكلام الى اشعار هؤلاء الشعراء التي هي دينية بحتة .

#### ٤ — اشعار النصيريين الدينية

١ — الاناشيد الثموية — ان الحسين بن حمدان الحنصلي أكبر مؤسسي الديانة النصيرية ، ثلاث اناشيد درجت في كتاب الباكورة يسميها النصيريون « ترنيمة » وهذه الترنيمات تتلى اثناء تقاليد الدخول في الديانة النصيرية ، وفي الاعياد المعروفة ، وتقرأ على سبيل التفاخر والمباهاة من قبل شخص واحد ثم يشترك بتزيلها الآخرون .. وهذه هي :

##### — الترنيمة الاولى —

يا ظاهراً لم تضب عنا	وباطناً لم تزل فردا
صفائك الخالقات حسبي	وباياك الساملي حمدا
اجب لداعيك واعف عنا	وارحم ما مضى قبلاً وبعدا
نحمد الله بالحق حمداً	واختم صلاتي بالعين فردا

##### — الترنيمة الثانية —

منك بدى ظاهراً الصفات	وكل خير منك ياتي
يا احد لم يحيط منه	لا بصفات ولا بذات
وجهك لى قبلة اصلى	اليه من سائر الجهات
ياكل كلى وانت كلى	ياعلياً وفيك اختم صلاتي

##### — الترنيمة الثالثة —

كلما نابى من الدهر خطب	صحت يا جعفر اله الانام
انت دى وخالقي ومليكي	وانت ذو الكبريا ولى التعام
وانت فوق السما على العرش تملو	وانت فى الارض حاضر على الكلام
وانت اسماءك الحسين وموسى	وعلياً وانت محي العظام

ان هذه الابيات تشف عن اعتقاد النصيريين بصورة واضحة . ولهذا لا ترى حاجة لزيادة شئ عليها . ويجب ان يكون لهذا الشاعر قصائد كثيرة من هذا النوع ولكن لم نظفر بشئ منها . والقصيدة التي مطلعها :

الادبيات التصيرية  
حكم ساقها اليكم اخيكم  
عبد عبد لثاني عشر بدور

هي له .

[٢] — قصيدة الهبوط — يننا سابقاً اعتقاد التصيريين في كيفية تكوين الكون وقلنا انهم يزعمون ان قد كانوا كواكب في السماء ثم هبطوا الى الارض . وهذه العقيدة الاساسية كانت محوراً يدور عليه كثير من اشعارهم . وقصيدة ( الشيخ محمد بن كلازو ) من شعراء التصيريين هي من هذا النوع . وهي تتركب من خمسة وعشرين بيتاً . ومطلعهما :  
ذكرت زماناً كان لي قبل هبطتي  
ففاضت عبرتي وزادت حسرتي ..

ثم بعد ان افصح هذا الشاعر عن ما عنده من الحسرات على لحادثة الهبوط ، نقل الكلام الى ذكرى ذلك الزمن الزاهر فقال :

فكنا بدار العز في اوج العلى  
نسير مع الاملاك في كل روضة

وبعد ان تكلم عن تلك الذكرى الناضرة ، اخذ يفصل عقيدته الاساسية ويقص قصصها فقال :

الى ان اراد الله يتم حكمه	فقال ساهبطكم الى دار الدنية
واظهر ذاتي في حجاب كنسكم	واربكم حجبى كسراب البقية
ويحسبه الظلمان ماءً اذا اتى	اليه فلم يوجد شيء حقيقة
فمن قد عرفني حين اظهر بينكم	حجاباً ويفردي عن البشرية
فذاك آمنه من الخوف والعنا	واخلصه من كل هول وشدة
ويرجع الى مائمه ابدى مسارحاً	واسكنه في ظل روضات جنتي
رددنا على الرحمن ما قاله لنا	هبطنا لدار الدن من بعد رفعة

ثم ينتقل الشاعر بعد هذه الابيات الى ذكر القمر الذي يتجلى « على » فيه بصورة رمزية ويقول :

سأذك يا هبق بذات اظهرتها  
لتوجدتها كنس بين البرية

ويقصد من كلمة ( هبق ) مدلولات حروفها . فالهاء مدلولها « الهلال » ، والباء « البدر » ، والقاف « القمر » . وما سبب ذكره للايتام الخمس برمز « نحات » ، واشارته الى القمر بكلمة « رمق » ، اى بعكس الكلمة الا الاحتفاظ بالسر المكتوم الذى يحرس على كتمه .



[٣] — عرائس الديوان — ان للصيريين المأثورات دينية يكتبونها في آخر دواوينهم ويسمونها «عرائس الديوان». وموضوع هذه الاشعار القباب السبع التي يرضعون ان آلههم «علي بن ابي طالب» تجلي فيها في ازمة مختلفة. ويكون عن كل واحد واحد هذه الاسماء النسائية:

(١) سعدى (٢) حى (٣) رباب (٤) زينب (٥) غلبا (٦) ابني (٧) ليلي. ويكون عنوان شعرهم مقروناً باحد هذه الاسماء، ثم لا بد ان يتكرر ذكر الاسم في الشعر أيضاً ونرى ان اشعارهم هذه ارجح من غيرها واقفح. ومع هذا فان اشعار النصيريين — كما قال مؤلف الباكورة — لا وزن ولا اصراب، كما هو الحال في سودهم وادعيتهم. ويوجد في كتاب الباكورة اثني عشر قصيدة من نوع هذا الشعر، تسع منها للكلالزيين وخمس للشمالين. وقد اثبتها «قله مان هو آر» في مقالة له نشرها في مجلة «ژورنال آسياتيك»، ثم اضاف اليها اربع قصائد اخرى استعملها في الكتابات النصيرية الموجودة في مكتبة باريز. وها نحن نذكر على وجه الاجال اللاتي كتبت في «الباكورة» ثم ننقل الكلام الى الاربعة الاخرى:

#### ١. اشعار الكلالزيين الدينية

ان اول شعر من التسعة التي ذكرت في كتاب الباكورة هو للشيخ ابراهيم الطوسي يتغزل فيه بزينب. وها نحن نذكر هذه القصيدة برمتها لتكون نموذجاً نطلع به على نسق هذه الاشعار:

— شعر للشيخ ابراهيم الطوسي يمدح به الست زينب —

اسقياني احبتي واطرباني	في هوى زينب [*] زين المعاز
اسقياني من الصبوح رحيقاً	عتقت في دنائها الا جواني
هام وجدى بحبها يانديني	حرت في وصفها وكل لساني
بنت بكر لها من العمر عشر	واربع فاق نورها التيران
شعرها اسجف الضيا فحجبنا	تحت اكليل تاجها الكسرواني
حاجباها جينها نور زاه	طرفها غنجه سحر (**)
وجهها كالللال يشرق نوراً	خالها غبر على الوجنتان

[\*] يرى «قله مان هو آر» زيادة (و) بعد كلمة زينب لاجل استقامة الوزن.  
 [\*\*] ويقول بلزوم الحاق (ف) في اول كلمة سحر. لاجل عين الغرض.

واذا ما تبسمت فاح عطر ويدا بارق الوميض اللياني  
صدرها ناعم كلمس حرر فيه رمان احمر شهراني  
فطلبت الوصال منها فقالت ما لنا رغبة بمن كان زاني  
قلت حاشا مقيم في هواك مغرم ان يكون نسل الزواني  
نسبى احمدي من حسين جنبلاي جندب نمرواني . .

وهذه القصيدة تشف عن خيال بهيج واسع . ويقول مؤلف الباكورة ان المراد من  
« اربع عشر » هو الليلة الرابعة عشر من الشهر ، ويفسر كلمة « الرحيق » بالاطلاع على  
( المعرفة ) .

\*  
اما القصيدة الثانية من الباكورة فهي لحسن بن مكزون السنجاري وتتألف من  
عشرة ابيات . وهي تشب في « سعدى » . وهذا مطلعها :  
لباتنا هواك وما لينا سوى اسم به عنه كيننا

\*  
والقصيدة الثالثة للشيخ صارم في مدح القمر ، مطلعها :  
أنحرف يا نون يا حاجب القرون تنظرك بعيون من فوق عليون  
ولعل المقصود من النون هنا . هو القمر ، او الهلال لتقاربهما في الشكل . ثم مدلول  
« ع » في هذه القصيدة التي تتألف من سبعة عشر بيتاً ، هو على بن ابي طالب . وفيها  
عدة حروف اخر لكل واحد منها مدلول باطنى .

\*  
والقصيدة الرابعة هي للشيخ محمد بن كلازو يمدح فيها القمر ايضاً ، وهي تتألف من  
عشرة بيوت . ومطلعها :

قد شفاني ابريق عذاباً (\*) لما كا يا غزال بوادى الاراككا  
وقد اعتنى صاحب الباكورة بتفسير هذا البيت اعتناءً خاصاً . وقال ان معنى الغزال  
بالنظر « للظاهر الباطن » هو « القمر » ، ومعنى الوادى « السماء » ومعنى « الاراك »  
« الكواكب » ؛ اما بالنظر « للباطن الخفى » فالمقصود من الوادى هي « هالة القمر » ومن  
الغزال « الفشاوة التي ترى في منتصف القمر » ، ثم الاراك كناية عن الكواكب والندامى .

\*  
وكل اشعار الكلازين على هذا النسق . ثم ان القصيدة الخامسة هي لهذا الشاعر ايضا

[\*] استبعد (قله مان هوآر) معنى هذا الكلمة وقال انه حولها الى كلمة « ما » .

مدح فيها (الحمر) او « القمر » . وقد ضمنها رموزاً كثيرة . فقولة « خوضنا اجها زنجيل » يقصد به الهلال المزوج بدائرة سمراء . والمقصد من الكؤوس « دورة القمر » .  
وبما ان الاشعار الدينية النصيرية كلها على نسق واحد في المعنى والتبليغ اضربنا عن ذكر قصيدة الشيخ محمد كلازو التي تتألف من عشرة بيوت في مدح القمر وقصيدة الشيخ خليل التيملي المأخوذة من ديوانه المسمى « ديوان التصنيع » وهي عبارة عن ثلاث وعشرين بيتاً . ونمأني ابيات له يشب فيها بـ « زينب » . وقصيدة الشيخ يوسف الخطيب في مدح القمر المؤلفة من اثني عشر بيتاً ، ولهذا فاننا نحيل من شاء التوسع في هذه الابحاث الى مطالعة الكتب التي ذكرنا اسمائها .

## ٢ . اشعار الشاميين الدينية

ذكر في كتاب الباكورة ثلاث قصائد من عرائس لديوان للشاميين . فاولها قصيدة الشيخ يوسف ابو ترخان مدح فيها السماء وهي عبارة عن احد عشر بيتاً . والثانية هي لهذا الشاعر ايضاً سماها بالمعراج وهي عبارة عن ستة عشر بيتاً . والثالثة هي للشيخ ابراهيم شيخ العبدية من نسل الشيخ يوسف ابو ترخان ، وهي عبارة عن اثني عشر بيتاً .  
فالثانية من هؤلاء الثلاث تلفت النظر لما طبع عليه خيالهم من المبالغة والافراق . اما الاولى والثانية ، فهما يشفان عن التشبه بالنصرانية اعتقاداً واصطلاحاً . فانظروا الشاعر ماذا يقول في القصيدة الثانية المسماة بالمعراج :

سريت مجدداً في طلب السرور	لنفسى بالتزهر والحبور
الى ان طفت للسبع الاراضى	وجلت سهولها ثم الوعر
رأيت من المعائب ليس تحصي	وقد عاينت السبع البحور
وقد شاهدت قافاً في عياني	مع البحر المحيط به الزخور
ظفرت بدره منه واني	باغت بها الظلال وكل نور
وسد اسكندر في رأى عيني	لقد شاهده ياذا الحبير
ويأجوج وما أجوج جميعاً	رأيت طولهم ثم القصير
وشمس الافق مغربها فاني	بلغت اليه في جدى وسيرى
بعين حامية تغرب وتخفي	بماء اسود صعب خطير
ويونس بحره ايضاً عيان	ونون حوته ياذا الحبير
وايضاً قد رأيت الحضرم جهرأ	وهو انزع ليس له نظير ... الخ

وهذا الشاعر بهذا الخيال المطلق يبرهن عن روح نصيريه كاملة . وقد تسنى له في تجواله

الخيال ان يرى الالهي السبع ، والبحار النبع ، وكل ما هنالك من الفرائب ، وسند الاسكندر ، ويا جوج وما جوج ومغرب الشمس ... الى آخر ما شاهد من الازداد المتنوعة .

والشيخ ابراهيم هذا كاد ان يكون نصرانياً بفكره ، وبيانه . ومن اشعاره في هذا الباب قوله :

تنادى راهب الرهبان هات الحمر واسقيني

وقوله :

ندين بدين مريمه ونبنى سر آمين

نطيع الروح يسوع ونحبو بالشعائين

فما اغرب بيان هذا الشاعر بخلطه العقائد التصيرية بالرموز النصرانية . فادا اردنا ان نطلع على درجة هذه الغرابة ، علينا ان نقرأ السطور المفسرة لهذه الرموز في كتاب الباكورة .

يقول صاحب الباكورة :

« يقصد النصيريون « على بن ابي طالب » بكلمة « بطرك » ، و« محمداً » بكلمة « راهب »

الرهبان » او « متراز » ، ويرمزون عن سلمان الفارسي بكلمة « خوري » ويسمون مقداراً باسم « قسيس » او « شماس » . ثم يتكسون عن الكواكب والمراتب السبع بكلمتي « رهبان » و« هيفات » ويقصدون من كلمة « صيوان » الفضاء وجمع الكواكب . اما « الملاحين » فهي « الطائفة الاسلامية » .

وهذه الاشعار تدلنا على ان خيال النصيرين المتشرد يحتاج الى رباطة عقلية .

٣ . الاشعار التي رواها قلهمان هوآر

يجب علينا قبل اتمام هذا البحث ، ان نذكر القصائد الاربعة التي نقلها قلهمان هوآر عن الكتابات التصيرية الموجودة في مكتبة باردز .

فالاولى للشيخ علي بن صارم وهي عبارة عن ثلاثين بيتاً . ومطلعها :

سأترك يا الهي مائتيا

ماحمد اسمك التور الجليا

بفاطر فطرة الرحمن حقاً

وبالحائين والاسم الحفيا... الخ

يستمد هذا الشاعر من ( علي بن ابي طالب ) آله النصيريين ، ومن ( محمد ) نوره

الجلي ثم من فاطر « فاطمة » ومن الحائين اي « الحسن والحسين » ثم من الاسم الحفي

اى ( محسن سر الحنفى ) . ثم يتسلسل هذا الاستعداد الى ان يأتى على اسماء جميع اعزة التصيريين .

والقصيدة الثانية هى لهذا الشاعر ايضاً . وتتألف من اثنين وعشرين بيتاً ، وكادت ان تكون عين هذه القصيدة . ومطلعها هذا يدل على انها شكل مكرر للقصيدة الاولى :

سألتك يا الاهى يا عليا

باحمد اسمك ( الميم ) الرضيا

اما القصيدة الثالثة فمطلعها :

بدر اضا متجلياً لماحا

بالنور كالمشكاة والمصباحا

وهى للشيخ محمد الكلازى وتتألف من خمسة عشر بيتاً

والقصيدة الرابعة للشيخ حسن الاجرود ، تتألف من مائة واربعة مصاريع . وهى غرامية مجونية . وهذا مطلعها :

قم الى الراح بانسراح فوق بسط من زهور

فى فصول نيسان

واجعل جلوسك من صباحك واستقبل الديجور

اياك تكن نعان

وان كان جليتك سيد الملاح تحضاً بذاك النور

وتذهب الاحزان ... الخ

وهذه الادوار وان لم تخل من الرموز والكذابات هى اطرب اشعار التصيريين وارقتها .

وهذه هى الآثار التى وصلت ايدينا اليها من ادبيات التصيريين . ولا بد للزمان ان يكشف الحفء عن مكتوماتها .

- ٩٢ -

من برمانه الى طرطوس

كانت شمس تموز كالنار المحرقة لا تقوى النفوس على تحملها . وهذه حقيقة ما فئات تؤيدها تجاربنا فى الاسفار التى امضيناها الى الآن .

وان ادرى ما كنا صانعين ؟ اذ ما زالت تتعاقب هذه التجارب الجهنمية ، وترهقنا

اشق المذاب ، ثم لم نستطع القلص من ذلك التور التمزى . وما كدنا نزع على سبائكنا :  
نسيم برمانه البليل ، فى القد الا ولع فى خاطرنا هذا الانشوا . فكنا نقول بناد نصيرنى :  
— من المحتم ان نعمل على التخلص من سعي هذه الشمس المحرقة باى واسطة  
كانت .

ولما عقدنا الراى على انتفا الطريق المريح بثبات متين او بالاصح بناد جامد لا زلنا  
نعجب من ميل طباعنا اليه . حتى وطنا اقمنا للسرى غير هياين ظلام الليل الحالك .  
وبلغ برفقى التحيز على هذا الاقتراح لدرجة اصبح فيها يقول :  
— كم يكون السرى لطيفاً فى الليل الرطيب ؛ والانسياب فى طيات الظل ،  
بحالة الظل ؟

ومع هذا ، فقد تضاعف ابتهاجنا لما قيل لنا ان وجهتنا قريبة لا تتطلب هكذا مقاداة  
ولا جرم ان قطع هذه المسافة فى زمن مضى ، بليل النسيم هو اقم لنا وادى . وانسا  
سهب غداً قبل بزوغ الشمس بساعتين حينما يكون كل شئ تأهب لتبديع السبات ، وتركب  
الطريق . وهكذا لا تزال نسير فى ظل الغدوة حتى نصل الى ( طرطوس ) قبل الزوال  
بعده . لا انكر اننى لا اعلم ليلة طالت فيها اصطباد النوم بفكر مستريح ، وبال مطمئن  
كهذه الليلة .

\*

لما فتحنا عيننا بعد ما سمعنا صرير الباب . كنا نرى الكواكب تنقد فى كبس سما  
هذه الديار التصيرية التى حشيت بالاسرار الغامضة . وكان حينئذ لا اثر للنور وراة ربوة  
« تليجه » التى كانت قائمة امامنا كأنها ظل مجدد وكان الهدوء مخيماً على القصة ، والسكون  
سائداً فيها . ولا من ممزق لتلك السكينة الصامتة الا ماء القصة بخيره . وكنا نغادر  
برمانه على متون الجياد ، ونسيم الصبح ينفعنا بهبة علية كأنها ابد من حرير ، وكنا مستيقنين  
بان لنا فى هذا اليوم سعادة هنية .

لم يزل الظلام مخيماً ، فاخذنا نهبط فى منحدر من عقبة صخرية ، وكانت ظلال اشجار  
الزيتون حوالينا كأنها تتراكم من امام نظرنا وتنتشر فى السهول حتى تملئ ذلك الفضاء .  
اخذنا نخوض فى تلك الظلال ، ومررت علينا قبة « القصية » كالطيف . ولم نزل حتى وصلنا  
الى وادى « ابو ذكرا » المشرف على الناحية العربية ونظرنا الى خلفنا . فرأينا ربوة تليجه  
كأنها بناية من ظل تتساقط ورائها نجوم السماء وتغيب عن الانظار ، وكنا نشعر بديب التور  
فى ذلك الديجور ، ونرى انكشاف السواد بالياض رويداً رويداً ، هانحن تبعد الضفة  
الى سرى من وادى ابو ذكرا . وحسبنا البيضاء اخذت نشع بلسعة كابية ، وتحاول ان تطلعنا  
على وجودها . ثم طليت السماء بنور يخاله الانسان من محلول ما غاب عن النظر من الكواكب

ان هذا كان يشرنا بمركب ملكة النور وقرب بزوجهاء .  
لم تمنح برهة الا وشرع النور يمد بطلانه على هامات الربى التي كانت قائمة حوالينا  
وانجلى غشاوة الدغشة . واخذت الالوان تنقلب من تلك السمرة الكاكية الى خضرة وحمرة  
وصفرة . وانجلى لاعتينا الاشجار والازهار والرمال . لاسيما لما اجتزنا الى الضفة اليسرى  
من الوادى . كانت آثار المسيل الشئوى تشاهد على ضفافه بوضوح .

هذه امواج النور تندفسق من اعلى الربى الخضراء التي قامت عن ايماننا وشمائلنا على  
امتداد الوادى . وهما هو نسيم الصبح التمزى هب بنومته المنعشة فيبلى قلوبنا نشاطاً  
ورغبة . وبعد ان مررت عن يميننا ربوة ( المحتضية ) وعن شمالنا ربوتا «عين عرفته وبيت  
الناصر» ولاحت لنا قرية «بيت الناصرة» ، هناك تمكنت الشمس من الوصول بشعاعها  
الذهبي الى بطوننا في داخل الوادى .

وبعد برهة كنا على الضفة اليمنى من الوادى ، وبعد ان سرنا بين ظل الاشجار مدة  
وقطعنا مقام « الشيخ محمد جروف » من مزارات النصيرين ، وبعده ربوة « وادى الغورا » ،  
وعن اليسار ربوتى «الصناع والصلوح» وعن اليمين ربوة «الباطورة» ، ثم عن اليسار هضبة  
«قلعة الشمال» . وصلنا الى ربوة «حين» عن اليمين وربوة «المشرفة» عن الشمال .

والآن نرى على يسار طريقنا الحقول المزروعة بالذرة الصفراء او البيضاء . والبنات  
النصيريات النشيطات واقفات في وسط تلك الحقول باحدى ايديهن عصية . في الاخرى لوح  
من تلك يقرعنه لتتغير الطيور عن تلك الحقول . وكن تحفن الاسماع بتلك الطرقات المطردة  
ويذاكن يمنة ويسرة ، ويقفزون ويثبن ويجعلن بنشاطهن المتطرموجاً . وهما نحن انعطفا  
عن وجهتنا واخذنا تسلك في جبال «المشرفة» التي كانت على شمالنا .

وما كدنا نصل الى قمة الجبل حتى تراءى لنا واد آخر ووراءه هضبة «رويسة حماد»  
وقريتها . ومازلنا آخذين في تساق الذروة في انقاب حلزونية حتى وطأنا هامة ، ورأينا  
هناك سديانة كبيرة يتجاوز قطرها بضعة امتار ، وتحتمها مقبرة صغيرة . فلبينا هناك برهة نصفج  
الآفاق من الجوانب الاربع ، وكانت جميع تلك الاصعاع ، طرزة بالنور المسجدي من ذلك  
المدوة التمزية .

فارقنا تلك الشجرة المعمرة وانحدر معنا الطريق ، وكنا نرى قبالتنا الهضاب صبراً  
صبراً ، وحينما وصلنا الى وادى ( بسورى ) تعالت عن يميننا ربوة «بيت الزينة» وعن  
شمالنا ربوة «بسورى» . اما الوادى الذى كذا نسيفه فكان متناه في اللطف والحسن .  
لاسيما الضفة اليسرى فانها كانت مملوءة لشجر الآس ، التي اشبتت نسيم ذلك المحط نكهة  
عصرة . وبعد ان شممنا من ذلك العبير المسكر ما شئنا ان نشم ، وصلنا بسيرنا «غدير  
بسورى» . وكان هذا الموقع في منتصف الطريق بين برمانه وطرطوس .

## طرطوس

٢٢٣٣

١. ومجدد لن 'غادرنا الغدير اخذنا نصد ونهبط ونثور ونجده على باسداد الطويق. ولكن كان اكثر سيدنا مظلاً بالاشجار وساحة نظرناء مملوءة بالحضرة للناصرة .  
يا للصدادة ، ما المظف هذا الطريق ؛ وما اجل تلك الاصلحة اليضلة للدرية التي تتوجت بها اشجار الآس الزمردية ، وما احلى المسير على هامات الربى حيث يتعالى الانسان ويطن رؤس الشواحق بلخصيه.

كانت مناظر هذه الاصقاع فسيحة لطيفة . وكانت عن يمينها جبال «طيشور» وه الجويطات وقرينتها ، ثم جبال «مرزحين ودرمي» تلوح عن بعد . وعن شمالها دبوتا «بيت الحاج» و«ظهر البازدية» وقريناتها ثم على غلوة منهما ربوة «كرم بيرام» و«قبالتنا على بعد تلوح جبال «الكاشفاني» .

سرنا نحو ساعة على هذا النمط ووصلنا الى وادي «العمقة» . وكان يحمل آثار السيل الذي طرته في الشتاء . ثم بعد برهة اخذنا نتساق في مرتقى تقف ، وكانت جبال «ظهر القيب» عن يميننا وجبال «الكاشفاني» عن شمالنا .

ولما وصلنا الى الجانب الغربي حيث يجب الهبوط الى وادي «ظهر القيب» لحنا البحر عن بعد وظهرت امامنا الهضاب والقرى . فكان عن يميننا جبل «القسيبات» وقرية «الحيش» وعن شمالنا قرى «المظاهرة» حارة مرجيش ، الشماليات ، و«واثنا قرية» بيت اساعيل «و«الجديدة» واماننا في البعد قرية «بيت عليان» و«بيت كون» كانهما في حضن البحر . ودنت كلها مشاهدة بشكل واضح .

ثم بعد برهة ترائت لنا جزيرة «ارواد» كانها صدفة ترصت بها زرقة البحر وبشرتنا بقربنا من طرطوس . وكانت منا على مسافة ساعة . وكنا كلما قربنا من البحر نرى قرى جديدة ، او تنضح لنا التي كنا نلحها . ثم بعد ان مررنا بسهل واجتازنا بضع قرارات وكانت الشمس بعيدة عن الزوال فاخذنا نقرب من طرطوس التي كان منظرها متبـه في اللطافة بيوتها البيضاء الناصحة ، وها نحن ندخل القصة من بين الواح الصبار المحيطة بها .

-- ١٣ --

## طرطوس

١ - موقع طرطوس ومنظرها وخطوطها الداخلية

ان قصبة (طرطوس ١٢١٥ - ١٢١٦) مركز ناحية طرطوس التابعة الى لواء طرابلس



الشام مبنية على الساحل الشرقي من البحر . ويوجد شمالها سهل واسع ثم (نهر الحصين) ومن ورائه الحقول الفسيحة . وشرقها البساتين التي تمتد مسافة نصف الساعة واشجار التين والليمون ثم الحقول الفسيحة ومشجرات الزيتون ، اما جنوبها فهو عبارة عن السهول ومن ورائها مصب نهر (العمقة) .

اذا نظرنا الى طول هذه القصة من الشمال الى الجنوب وهو يربو عن الف متر ، ثم الى عرضها من الغرب الى الشرق الذي لا يتجاوز ثلاثماية متراً ، وعلمنا انها محاطة بالبساتين ، يحصل لدينا فكر اجمالى بهيئة هذه القصة التي كانت على شكل المستطيل .

ان اهذه القصة منظراً فسيحاً؛ تطل من الشمال على جبال (مرقب) التي تلوح عن بعد ومن الشرق على جبال صافيتا وقرى الشيخ سعد والحريبات ومن الشمال الشرقى على قرية (الدوير) ومن الجنوب على قرية (ظهر بيت عليان) ومن الجنوب الغربى عن بعد بضعة كيلومترات على جزيرة « ارواد » (Arwad) ثم من الغرب على بحر خضم يتغلغل في البعد وراء الآفاق . ولا جرم انها قصة لا تنقبض فيها النفوس .

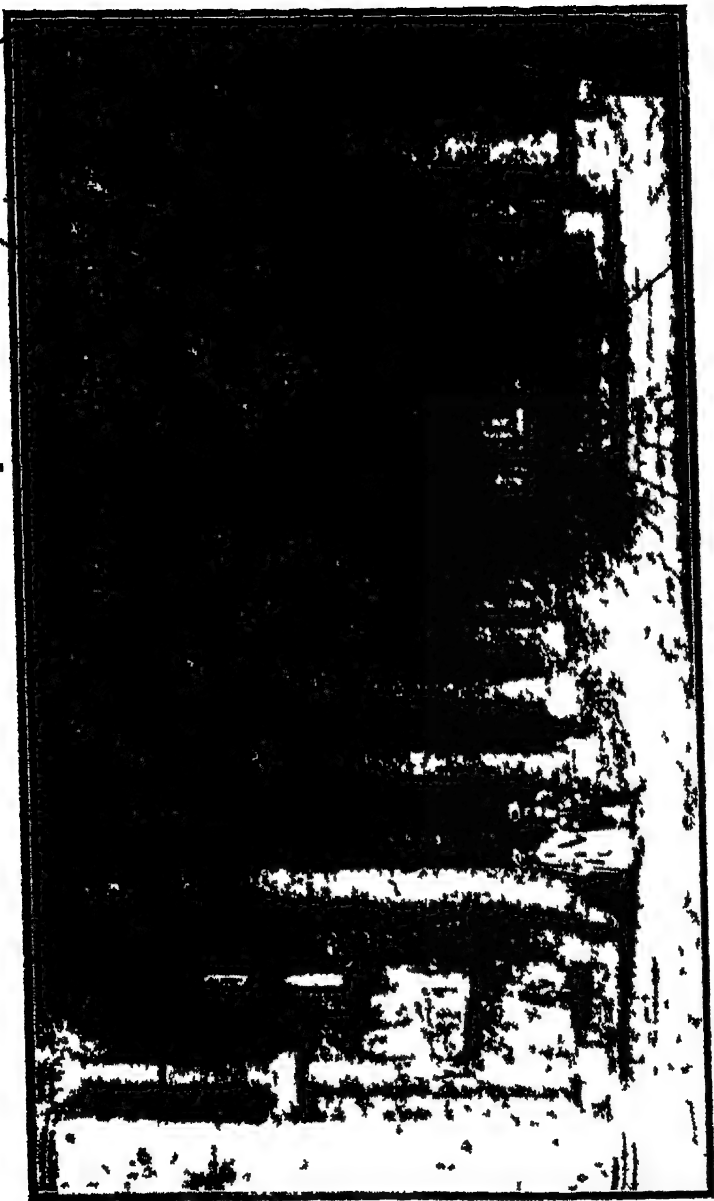
ان هذه القصة المسورة بسورين متداعيين ، السور الشرقى ، والغربى تتألف من اربعماية ، او خمماية بيتاً ، وتنقسم الى اربع محلات . وتسمى الناحية الوسطى منها باسم « الساحة » و « الحندق » . والناحية الجنوبية باسم « الحراب » او « التصارى » ويسمى القسم الشمالى باسم « البرانية » . وحدث هذه المحلات واصغرها ، هي محلة « البرانية » .

والابنية الجديدة في طرطوس تشبه ابنة الشام في محلة المهاجرين . واكثر هذه البيوت عبارة عن طابقين تحتوى على غرفتين او ثلاث ، وكلها مبنية بالحجارة . اما البيوت القديمة فانها تشبه البيوت القديمة في بيروت وصيدا وكلها مستورة بالسطوح المطلية . ويسمى هؤلاء السطوح « عدسة » ، ولا اثر يستحق الذكر في هذه القصة غير جامعها ومسجدين ، وعمارة مهمة من آثار الصليبيين ، وكنيسة ، او كنيسةين للروم الاورثودوكس وبناء على وجودها في موقع تجارى وجد فيها اكثر من ثلاثماية حانوتا . ويوجد في داخل القصة طريقان ؛ الواحد يمتد من الشمال الى الجنوب ، والثانى يبدأ من شرقى السور الغربى ، ويتصل بالآخر في الناحية الجنوبية .

ثم يوجد في خارج القصة طريق يمتد الى طرابلس ، وآخر الى اللاذقية ، وفي الجنوب الشرقى منها طريق الحبيات ، وفي الشمال الشرقى طريق صافيتا ايضاً .

اما ماء القصة ، فانها في ضيق عظيم سببه . لان جميع الآبار التي فيها ، يكون ماؤها ملحاً بسبب قربها من البحر . هذا وان وجد فيها بضعة صهاريج فانها محدودة . ويوجد فيها من الآبار العامة ، بئر الحراب ، وبئر الساحة ، ثم بضعة آبار بين البساتين يمتاح منها

معبد في طرطوس من عهد الصليبيين





## ٢ - الاموال الاجتماعية

[١] - أطلالة الاجتماعية في طرطوس - توجد في هذه القصة التي يناهز عدد سكانها ( ٥٠٠٠ ) نسمة طائفتان كبيرتان يفرقان عن بعضهما في الدين ، وهما الطائفة الاسلامية والطائفة المسيحية . وعدد الاسلام هنا يناهز ثلاثة ارباع المجموع وكلهم من السنين . ولا يوجد هنا نصيري ولا اسماعيلي ولا يهودي .

ونستطيع ان نقسم الطائفة الاسلامية الى ثلاث طبقات من حيث الثروة وتوجد في الطبقة الاولى اربع عائلات . بعضها من صيدا وبعضها من بيروت ومرتب . وعدد افرادها يناهز مائتي نسمة . ويروى ان ائمتهم يملك على ثروة تناهز ( ١٠٠ ) الف ليرة . وان ربع الناحية ملك لهم . ومجموع اراضيهم يبلغ ( ١٠ ) آلاف دونم . وهم يشتغلون بالزراعة والتجارة معاً . ودخلهم السنوي يقرب من ( ٤٠٠٠ ) ليرة . وليس لهذه العائلة الوجهة سيطرة على المزارعين ، ولا تغلب عليهم . لان تمسكهم المفرط بالاقتصاد وحنكة الزراع الساحليين ودربتهم لم تدع لهم امكاناً للتغلب والسيطرة . اما العائلات الثلاث الاخرى ، ليسوا في الغنى على درجة العائلة الاولى ولكن دخل اقلهم غناً لا يتقص عن الف ليرة في السنة . وهؤلاء ايضاً يشتغلون تارة بالزراعة واخرى بالتجارة .

وافراد هذه العائلات ليسوا من التحصيل العلمي على شيء .. اما الطبقة الثانية فهي الطبقة الوسطى . وهم متوسطون في الاقتدار . ولا يزيد عددهم عن بضعة افراد . وليس لهم ذلك النسب الذي رافق القرون كارباب الطبقة الاولى . ولم يحصلوا على ثروتهم هذه الا بتعاطي التجارة ، وارباب النقود . ولهم من لدخل السنوي على الدرجة المتوسطة ما يتراوح بين ( ٤٠٠ ) و ( ٧٠٠ ) ليرة اما الطبقة الثالثة فاربابها العامة والزراع وهم مفطورون على الحلم والسكينة ، ويبالغون في الكد والكدح . ويشتغلون اما بالبيع والشراء البسيط ، او يكونون مزارعين عند اصحاب الاملاك ، واقلهم دخلهم يحصل على الفين او ثلاثة آلاف غرشاً في السنة . ويوجد بينهم مقدار مائة شخص يربو دخلهم السنوي عن مائة ليرة . اما تحصيل افراد هذه الطبقة فهو ابتدائي بسيط . ولا يوجد في هذه القصة احد متخرج في المدارس العالية ، حتى ولا في الثالثة . ثم عدد الذين يوجدون في المدارس الابتدائية لا يزيد عن ثلاثمائة . ولهذا فان عدد من يعرف القراءة والكتابة لا يزيد عن عشرة في المائة .

[٢] تكللنا عن الاحوال العمومية في طرطوس اثناء البحث عن مركز قضاء طرابلس الشام ص ١٩٧

\*  
\*\*

اما نصارى طرطوس ، فيمكن ان نفرقهم مثل المسلمين الى ثلاث طبقات . ويوجد بينهم بضعة اشخاص من الاغنياء ، حصلوا على ثروتهم باقراض الدراهم الى الذين يزمعون السفر الى اميركا والآن لكل واحد منهم ثروة تناهز خمسة آلاف ليرة . ومع هذا فقد يروى ان دخلهم قبل الحرب كان يفيض عن بضع آلاف ليرة . ودرجة هؤلاء باعتبار التحصيل ناقصة ايضاً .

اما باقى النصارى فانهم يحصلون على معيشتهم بتعاطي البيع والشراء وتذكر هنا ان التجارة فى طرطوس هى فى ايدى المسلمين . ولا يوجد بين النصارى منهم الا مقدار عشرة اشخاص فقط ، يبلغ دخلهم السنوى الى مائة ليرة .

والمسيحيون هنا ليسوا اعلى من المسلمين بكثير من حيث العلم والتحصيل . ولا يزيد عدد من يعرف القراءة والكتابة بينهم عن خمسة عشر فى المائة . ونسأؤهم محرومات من التحصيل البتة . ولا جرم ان حياة عائلاتهم انظم وارجح من حياة عائلات المسلمين .

ويجب علينا قبل انهاء هذا البحث ان نشير الى عدد الذين هاجروا الى اميركا . هاجر من هذه القصة الى اميركا مقدار (٣٠٠) شخصا . ثلثهم من النصارى وخمسون من النصيريين ، اما الباقون فهم من المسلمين السنيين . وقد كان هؤلاء المهاجرون يرسلون الى الناحية (٤٠٠٠) ليرة فى كل سنة .

[٢] — الاموال الاجتماعية فى النامية — اذا صرفنا النظر عن سكان قسبة طرطوس نجد ان عدد سكان الناحية عبارة عن (٣٠٠٠) نسمة . ثلثهم من المسلمين والثلث من النصارى . فالمسلمون فى هذه الناحية كلهم من النصيريين . وهؤلاء النصيريون ينقسمون على التساوى الى اربع عشائر : ١ — الحدادون ، ٢ — الحباطون ، ٣ — المتاوردة ، ٤ — الجرديّة .

وليس لهؤلاء العشائر ترتيب فى هذه الناحية ولذلك ليس لهم من رؤساء . ومع هذا يوجد فى كل عشيرة شيخ او شيخان . هذا وان كان لهؤلاء المشايخ سلطة دينية واجتماعية على النصيريين ولكن ليس لهم ملك ولا مال .

وهؤلاء النصيريون ليسوا منهمكين باقتناء الاسلحة النارية . ولذلك لم تكن فيهم تلك الطباع الموجودة فى سكان الجبال .

ان النصيريين فى طرطوس يشغلون بالزراعة اما على عهدهم ، واما مزارعين عند غيرهم اما قدرتهم المالية فهى على درجة بسيطة بصورة لا يتجاوز دخل اغناهم مائة ليرة فى

السنة . وهذه الدرجة في الغنى توجد في كل قرية من القرى . ومن العيب ان نرتاد علما او نظافة لدى هؤلاء النصارى . وادواهم مشربة بالرياء والكذب . ومع هذا فقد يروى عنهم أنهم اجواد بالنظر لمن حولهم من النصارى . اما نصارى الناحية ؛ فهم من المارونيين . ويقطنون قرية « الحريبات » وهم يشتغلون بالزراعة ، وخاصة بالزيتون واستحصال الزيت . وروى انهم لا يهتمون بما كلهم ومشاربهم ، او بالاوضح انهم يصلون من التقدير الى درجة يرون فيها كل شئ كثيراً عليهم وانهم يدقون قنودهم في الارض حتى لا تصل ايديهم اليها . وهؤلاء ايضا لا نصيب لهم من العلم والتحصيل ، وحياتهم الاجتماعية ليست بشئ ولا تفرق عن حياة مجاورهم شيئاً .

## - ١٤ -

## من لوا الى آخر

## بين طرطوس وبنانياس

اقتنا في طرطوس مدة ، وكنا نخال اننا نعيش في احدى المحلات المهمة من بيروت . لان هذه القصة كانت تشبه محلات الاسلام في بيروت . وتظهر هذه المشابهة بصورة محسوسة في منازلهم ، وحوالياتهم ، وجميع حياتهم الاجتماعية ، وفي لهجتهم ايضا . ومع هذا فلا ننكر اننا كنا قريبين من ان نحب هذه القصة . اذ كنا نراها متناهية في اللطافة بينوتها البيضاء وبجورها ، وبصفايح صبارها ، ثم بجميع اشجارها . ولا سيما انها كانت بالنظر لما شاهدناه في الانحاء الداخلية من القصب والقرى ، بقعة معمورة لها حظ وافر من الحياة والمدنية . ولهذا كنا نراها لطيفة لدرجة حملنا هذا الارتياح والاستحسان على ان تغضى عن جميع نقائصها .

ولو كان الوقت متسعاً لآثرنا ان نلبث في هذه القصة بضعة ايام ، لنزيل ما الم بنا من وعناء السفر ، ونريح اذهاننا واجسامنا في حضن ذلك البحر الخضم ، ومع هذا فقد كنا نتعزى بان طريقنا سيتبع الساحل وقنع بهذا التسلية وتؤثر الاسراع الى الاصقاع الشمالية . عزمنا على مفادرة طرطوس في صباح الغد . وقد قبض لنا الحظ نسمة بليلة هبت من وراء ابعاد البحر الابيض ، وزارت مرقدنا في تلك الليلة التمزوية واخذت تنفحنا بانفاس مؤنة كمروحة لطيفة حتى انبلج الصباح .

هينا من النعم صباح ذلك اليوم . وكان القمر كصغيرة فضية رصع به الجانب العربي من الافق . وانا نعالج الاسراع لمباشرة السفر كما اعتدنا في اسفارنا الى الآن . ثم وكنا متوان الجياد ، اخذنا نسير نحو الجانب الشمالي من القصة . وكانت قصة (طورطوزا *Chetouza*) القديمة على احدى ما يكون من السكون في هذا الصباح تحت انوار القمر الضليلة . غادرنا الساعة ١٠ . وخذنا نسير في طريق محاط بالصبار ، وكنا نشعر بانجلاء قمة السماء ، ونرى خيوط الماء تسرى من المشرق الانصى الى تلك الظلال فتكشط عنها الايام . وكان السكون سائداً . والحر ايضاً كان غارقاً في سباته عن شمالنا . وايس من صائت الا وقع حوافر خيلنا على ذلك الطريق الترابي السهل . ولم يابث هذا الوقع ان اقطع بدخولنا ارضاً رمالية . فعاد السكون المطلق لما كان عليه .

فارقنا طرطوس منذ ساعة ولم نزل سائرين في ارض سهلة . ثم بعد ان اجتزنا واد سيلي بيرهه وصلنا الى موقع (قادره *Qadrah*) القديم المسمى الان «قرنين» . وهذه قرية (دور الشيخ سعد) تلوح عن يميننا تحت ضياء الصباح المبهج كأنها طيف ظلي . ثم بعد ربع الساعة وصلنا الى (نهر الحصين) . وهنا انتهت حدود لواء طرابلس الشام وشرعنا ندخل في حدود لواء الماذقية . وبعد ان اجتزنا النهر تحول طريقنا الى مقصة . وكنا حينئذ نشاهد اول خيوط الضياء من الشمس التي اخذت تطل من الافق الشرقي ، وآخر شعاع النور من القمر الذي كاد يغمس وراء الافق الغربي . ولم نزل نتغافل في طي تلك المقصة . وبنات اوى التي اجفلها طلوع الشمس ، واوحشها قدومنا آخذة تفر من امامنا ، الى وراء مراعى البصر ، وكنا نسمع عواثها بتلك الاصوات الرفيعة من مكائنها الخافية .

ويروى ان لهذه المقصة احاديث لا تسر ، يقولون ان لصووص هذه الانحاء تكمين في هذه الغابة ، وتساغت ابناء السبيل وتسلبهم اموالهم . اما نحن فلم نعرض الى هذا المزاج البارد .

وبعد مدة بدأت جبال «عين التينه» تشاهد عن يميننا . ثم اجتزنا منبع «عين التينه» ومن هنالك اقلب يسارنا الى مستنقعات ومقصبات .

وبعد ان غادرنا قرية «متى بيت صرئوق» عن يميننا مررنا بـ «خرسة ناصيف» ثم وصلنا الى اراضي «يديرة» ثم الى قريتها . وكنا نسير على يميننا الحقول من ورائها الهضاب الصغيرة ، وعلى يسارنا البحر البعيد . وربما مررنا في طريقنا بالحقول المزروعة بالذرة .

مرت ثلاث ساعات منذ مغادرتنا طرطوس ، وكنا نغرب من «نهر المارقة» . وبعد ان اجتزنا هذا النهر وصلنا الى هضاب «ظهور الصفر» وقرية «البزاق» عن اليمين وقرية

«الحرايب» عن الشمال.

وبعد هذا اطرد منظر الطريق فررنا بشجرتين كبيرتين من (الجقيق *Quercus agrifolia*) وهناك لاحت لنا قلعة «مرقب» عن بعد. وكانت فوق ذروة عالية، ثم لاح ظل اخضر في حوض البحر وهذه «بانياس» ايضاً.

كنا نسير نحو القلعة. وبعد ساعة او ساعتين مررنا بقلعة سوداء محمولة على تسيح. «برج الصي» ثم اجتزنا نهر «البوس *Bos*» وعطفنا عن الصخور السوداء القائمة على الساحل، واجتزنا «نهر بانياس» بعد مغادرتنا طرطوس بسبع ساعات ودخلنا قصبه بانياس الكائنة على ساحل البحر في سفح ذروة «مرقب». حينما كانت شمس الهجيرة تسلك هاتيك الانحاء بشعاع كذاب الرصاص.

— ١٥ —

## لواء اللاذقية

### ١ — موقع اللواء ومردده

ان لواء اللاذقية كائن في الشمال الاقصى من الولاية على (٣٤—٣٣٣٥) درجة من الطول الشرقي و(٣٥—٣٥٥٥) درجة من العرض الشمالي. محدود من الشمال بساحية الاوردو من اعمال حلب ومن الشرق بلواء حما، ومن الجنوب بلواء طرابلس الشام، ثم من الغرب بالبحر الابيض. ومداخته تناهز (٥٨١٠) من مربع الكيلومتر.

### ٢ — الاموال الطبيعية في اللواء

[١] — الجبال والانهاد — توجد جبال كثيرة في هذا اللواء غير التلال الصغيرة. وان جبل الاكراد من الجبال التي تفرق اللواء عن ولاية حلب في الشمال، وعن لواء حما في الشرق ينقسم في الشمال الى قسمين الغربي والشرقي. فانشبة التي تمتد الى الشرق تتصل بسلسلة دريوس وعمامرة. ثم ان جبال العمامرة والكلية والشعرة والنواصرة ولبودي والقراحلة وقدموس ليست الا مرتفعات لجبال الصيرية تمتد من اقصى شمال اللواء الى الجنوب. وان اسمى هذه الجبال هو جبل شمرة الذي يبلغ ارتفاعه عن سطح البحر (١٥٠٠) متراً.



اما الانهار في هذا اللواء فكلها تصب في البحر الابيض ، بسبب امتداد الجبال التصيرية من الشمال الى الجنوب . واكثر هذه المياه ضيقة المجارى ، والاراضي التي تجري فيها منحطة عن سطح البحر . ولذلك كان قعها محدوداً . واشهرها :  
انهار [ الصنوبر والمضيق والرؤس ، وعرب الملك او نهر السن والمرقية ووادي قنديل وكشيش والكبير ونبع العشرة ] .

٢ — اقليم — ان لواء اللاذقية الذي يجب ان يعتبر بالنظر لموقعه الجغرافي من البلاد المعتدلة الحارة ينقسم باعتبار الاقليم الى ثلاثة اقسام :

فالقسم الاول ، هو الاقليم الغربي ، وفيه تهب الرياح البحرية ، فمعدل طبيعة المحيط وتجمل لكل من المواسم الاربعة امكاناً لاجراء حكمه بانتظام . ومعدل الحرارة فيه ( ١٧ — ١٨ ) درجة ، وربما تبلغ فيه الحرارة ايام الصيف الى ( ٣٥ ) درجة ولكن تتراوح على الاكثر بين ( ٣٠ ) و ( ٣١ ) درجة . اما في الشتاء فتكون حرارته ( ٧ — ٨ ) درجات فوق الصفر . ويندر ان تهبط الى ( ٢ ) تحت الصفر بان هبوب الارياح الشرقية والشمالية .  
والقسم الثاني ، هو الاقليم المتوسط . وهو كناية عن التلال والوديان التي لا يزيد ارتفاعها عن ( ٣٠٠ — ٤٠٠ ) متراً . وهذا الاقليم شديد في حره وبرده .

والقسم الثالث ؛ الاقليم الشرقي وهو عبارة عن الجبال والتلال التي يتراوح ارتفاعها عن سطح البحر بين ( ٦٠٠ ) و ( ٢٠٠٠ ) متراً . وتهبط الحرارة هذا الى ( ٥ — ٧ ) درجات تحت الصفر . ويكثر الانجماد في هذه الاصقاع ولهذا يمكن اعتبارها من البلاد الباردة .  
اما من حيث الزراعة فالاقليم الغربي والمتوسط يصلحان لعرس اشجار الليمون والتين والكروم ، ولزراع الحبوب المتنوعة ، والنباتات الصناعية والزيتية . والاقليم الشرقي يصلح للاشجار غير ذات الثمر .

[٣] — الامطار — علمنا بالبحث ان مقدار الامطار يبلغ الى ( ٦٠٠ — ٧٠٠ )

ميليمتر في السنة ، وبما ان القسم الغربي من اللواء مركب من الاحجار والصخور الرملية والكلسية ، وان الرياح التي تهب من الغرب تكون راطبة على الاكثر ، فارفع الامطار مقدار ( ٣٥٠ — ٤٠٠ ) ميليمتراً يكون كاف لرى تلك الاصقاع . ولا يسوغ ان يحصل الجذب الذي يكون في بعض السنين على قلة الماء والرى . بل الاصح لحله على سقائه الطريقة المتبعة في الزراعة ، وعدم انطاقها على قواعد الفن . فاذا استعملت الآلات الحديثة . وتهيء ماء المطر ان ينفذ الى كبد التراب ، لاجرم يقل احتمال العلماء وتؤمن سورة الجذب . حتى ان كثرة الامطار تضر بتلك الاصقاع لان معظم سهولها منخفضة

## لواء اللاذقية

٣٣٣

وتراياها عبادة عن الصلصال المحض .

[٤] — طبيعة التراب — أن طبقة التراب في هذا اللواء مختلطة لان اراضى تلك الانحاء بركانية، وهى من الاراضى الزلزالية ايضاً ويمكن ان يكثر في بقعة صغيرة على الاتربة التى تنمى الى ادوار مختلفة، ويجب ان نعلم ان الاراضى ذات الاتربة الكثيفة كالصلصالية، او الصلصالية الصوانية، او الصلصالية الكلسية، هى اكثر في هذا اللواء من الاراضى الرملية الخفيفة .

اما صخور التلال المرتفعة فانها عبارة عن فلدسبات، وقوارس ولهذا تكون كثافة التراب في السهول الرسوبية عبارة عن ثمانين درجة في المائة . ويكثر فيه عدد التلال التى تصلح لزراعة الحبوب المتنوعة ولفارس الزيتون والليمون واللوز من الاشجار المثمرة . ولاسيما التبغ والتبناك فانها ينبتان حتى في رؤس الجبال العالية . والاتربة الملونة ذات حمض الحديد التى تصلح لانماء التبغ توجد في جميع انحاء اللواء . ثم ان التراب الرسوبي المتبث الذى يكون على طرفى الانهار، يشغل كمية وافرة في اراضى اللاذقية ويصلح لزراعة كل نوع من الزرع .

## ٣ — سكان اللواء

نطقت القيود الرسمية لسنة (١٣٣١) بان مجموع سكان اللواء عبارة عن «١٤٧٦٩٨» من النسب ذكوراً واناثاً . منهم «١١٩٦٣» من النصارى والباقون من المسلمين والتصيريين . اما النصارى فمنهم «٨٥» في المائة من الروم الاورتودوكس والباقون من المارونيين والبروتستانت والارمن واللاتينيين . وبما ان مساحة اللواء عبارة عن «٥٨١٠» من مربع الكيلومتر، يكون نصيب كل واحد منه «٢٥،٢٥» نسمة .

وهذه تفسيمات اللواء الادارية :

الاقضية	التواحي	عدد القرى	عدد السكان
مركز قضاء اللاذقية	باير وبسيط	١٨١	٥١٢٥٩
قضاء جبلة	٠	٣٠٦	٢٨٦٥١
قضاء صهيون	٠	٤٣٤	٣٢٩٧٢
قضاء مرقب	قدموس وخوي	٥٦٩	٣٤٨١٦
يكون		١٤٩٠	١٤٧٦٩٨

## ٤ — الامور الزراعية في اللواء

[١] — الوجود العمومية — جاء في التقرير الذي لخرده معلم فن الزراعة في اللواء ان مساحة لواء اللاذقية تقرب من ثلاثة ملايين ونصف من الدونمات .  
اما القيود الرسمية فانها كانت اعتبارية ، ثم ان أكثر القرى لم تدخل اراضيها في تلك القيود . ولهذا نرى مجموع الاراضى بالنظر للقيود الرسمية عبارة عن (١٤٤٤٧٠٠) من الدونمات . وتنقسم على الاقسام الآتية :

في مركز قضاء اللاذقية	٣٧٤٨٣٤	دونم
في قضاء جبلة	٢٥٣١٢١	»
في د صهيون	٣٩٦٠٩٢	»
في د مرقب	٣٨٦٩٥٣	»
المراعى	٣٦٧٠٠	»
يكون	١٤٤٧٧٠٠	
وتنقسم هذه الاراضى من حيث الزراعة الى الاقسام الآتية :		
الاحراج	٢٧٠٠٠٠	
انواع الاشجار المثمرة	١٢٠٠٠٠	
أشجار الزيتون المطعمة	١٥٠٠٠٠	
بساتين الخضرة	٤٠٠٠	
الكروم	١١٠٠٠	
ما خص لانواع الزرع	٨٩٢٧٠٠	
يكون	١٤٤٧٧٠٠	

يزرع في هذا اللواء من الحبوب القمح والشعير والشوفان والذرة البيضاء والجلبان والشوفان الاسود . ومن البقول ؛ الحمص والفول والعدس ، ثم يزرع التبغ والتبناك في جميع انحاء اللواء .

ومن عاداتهم في الزرع ، ان يخصصوا ثلث الاراضى المعدة لزرع الحبوب الى القمح . وبما انهم يبدلون المزارعين في كل سنة ، لا بد للمزارع الجديد أن ينتخب اصلح الاراضى ويترك الاخرى . وبسبب انحصار استفادته في سنة واحدة لا يهتم بتسميد الاراضى البتة وبهذا تفقد تلك الحقول قدرتها الطبيعية في الانبات ، ثم ان السكة التى تستعمل في الحرثة عقيمة جداً وغير صالحة . وقبل بضع سنين جمع الاهلون مقداراً من النقد بتشويق ابراهيم

قضى مأمور الزراعة ، وجلبوا بواسطة الولاية الجليلة عدة محارث مختلفة الانواع بسكك متعددة واستحضروا من ازمير ومرسين سكاكاً حديدية وشرعوا يستفيدون من استعمالها . لكن ما لبثت هاتيك المساعي ان وقفت بسبب الظروف الحالية .

لا يهتم في هذا اللواء لاجياء الاراضى المواتية واحضار الحقول الزراعية . وهناك كثير من الاراضى التى لا تحتاج الا للتفجير فقط ويمكن ان تزرع فيها الاشجار على اختلاف واعها . ولكن الاهال جعلها مينةً متروكة . ولهذا السبب اضطر اولئك السكان الى استعمال السرقيين بدلاً من المحروقات الشجرية .

[٢] — الفحول الزراعية — تنقسم الاراضى التى يزرعها المربعون على عدة نسام :

اذا كانت الاراضى مقدار ١٥٠ — ٢٠٠ دونم وخصص لحراثتها فدانان تسمى « الصمد » اذا كانت مقدار (٨٠ — ١٠٠) دونم وخصص لحراثتها فدان واحد تسمى « الجوز » . ثم ا كان مقدارها (٢٠ — ٥٠) دونماً ولو حرثت بفدان واحد تسمى « شكاره » . وبما ان عدد الاراضى معروف ، ومقدار البذر الذى يزرع فيها معلوم ايضاً ، يمكننا ان نستببط مقدار غلال استداداً على هذه المعلومات على وجه تقريبي .

وهذا مقدار الغلال السنوى على التخمين :

جنس الغلال	على حساب الكيل
القمح	١٤٠٠٠٠٠٠ — ١٤٥٠٠٠٠٠
الشعير	٥٠٠٠٠٠٠ — ٦٠٠٠٠٠٠
الشوفان	٢٠٠٠٠٠٠ — ٣٠٠٠٠٠٠
الذرة البيضاء	٢٠٠٠٠٠٠ — ٤٠٠٠٠٠٠
الجلبان	٥٠٠٠٠٠ — ٦٠٠٠٠٠

على حساب الاقة

الحمص	٧٠٠٠٠٠٠ — ٨٠٠٠٠٠٠
الفول	٨٠٠٠٠٠٠ — ١٠٠٠٠٠٠٠
العدس	٨٠٠٠٠٠ — ١٠٠٠٠٠٠
البطاطه	٧٠٠٠٠٠ — ٩٠٠٠٠٠
الفاصولية	٥٠٠٠٠٠ — ٧٠٠٠٠٠

## النباتات الصناعية والزيتية

٦٤٠,٠٠٠

الزيت

٥٠٠,٠٠٠

السهم

٤٠,٠٠٠

القطن

٢٠٠,٠٠٠

التبغ والتبناك

## الاشجار المثمرة

١,٠٠٠,٠٠٠

التين اليابس

١٠٠,٠٠٠

التفاح

٦٠,٠٠٠

الجوز

٥٠,٠٠٠

المشمش

١٠,٠٠٠

اللوز

٤٠,٠٠٠

الكمري

عدد

٥٠٠,٠٠٠

الليمون

١٥٠,٠٠٠

البرتقال

٨٠٠,٠٠٠

الانج

١٥٠,٠٠٠

متنوع

هذا مقدار الحاصلات . ويصرف قسم منها في الداخل . ويساق القسم الآخر الى الخارج او الى الولايات والالوية العثمانية .

وهذا مقدار الصادرات التي صدرت من اللواء سنة ١٣٢٩ :

اقه

جنس المحصول

٨٠٢٢٨٠٤٣٤ عدد

اليض

١٥,٠٦٠

محة اليض

١,٧١٠

زال اليض

٥١,١٤٤

كبس الزيتون

٢٤,٠٠٨

زيت الزيتون

٦٢٣,١٧٣

التين اليابس

٥٦٩,٩٠٨

الحمص

٥٢,٢٢٤

الذرة

وزيادة على هذه المقادير فقد بيع في الداخل ٥٠٠ ألف كيلة من القمح و ٩٠٠ ألف اقة من الذرة . واصدر من التبغ والتبناك الذى بلغ مقداره ذهباً مليونى اقة قسم عظيم الى اوروبا ، ثم الى سائر البلاد العثمانية ، بواسطة شركة التبغ ، وشركة ايمبريال . [\*]

وان معظم الدخل الزراعى فى هذا اللواء يكون من التبغ والتبناك . واهم انواع التبغ الذى يستحصل هنا هو الجنس الاهلى الذى يسمونه « شك البنت » و « المهلوبى » . ثم ذو الريحة الذى جلب بذره من صامسون ، وتكون كيفية استحصاله كاستحصال التبغ الغلوصى . ثم يستحصلون من تبغ « شك البنت » نوعاً يسميه الاهل « ابو ريجه » . يرغبه الانكليزيون . وكيفية استحصاله تكون على هذه الطريقة :

تسلك اوراق التبغ فى الاسلاك ، ثم يعلقونها فى سقوف البيوت ، الى ان يدخل موسم الشتاء . وهناك يحرقون فى تلك البيوت حشيش « رندكين » ويبخرون اوراق التبغ بدخان مدة . ثم يجمعونه ويكدسونه فى الاكياس . وبما ان هذه العمليات استبحرية تكون فى داخل بيوت السكنى لا تخلو من الاضرار بصحة الاهلين . ولهذا لا يسوغ ابقا هذا الاصول على هذه الكيفية . ومن المحتم على الحكومة ، بل على شركة الدخان التى تبيع اضعاف ما تؤديه الى الحكومة من المقادير ان تلتفت الى هذا الامر وتؤسس لاستحصال « ابو ريجه » معامل خصوصية تراعى فيها القواعد والتدابير الفنية ، وتصور ثروة البلاد وحياة العباد من هذا الضرر المأموس .

ويمكن ان يكون التبغ الذى يستحصل فى اللاذقية احسن من تبغ ازمير ، وغيرها من البلاد العثمانية ، ولكنه اليوم لا يؤس للقرويين دخلاً يستحق الذكر . لانهم محرومون من كافة الوسائل والتدابير الفنية التى يرجع اليها فى زرع هذا النبات واستحصاله . وهم يجهلون كيفية اعمال اللعائف . ايضاً . ثم ان افعال شركة الدخان من جانب ، وتحاملها على القرويين من جانب آخر جعل استحصال هذه المادة مشكلاً صعباً .

[\*] نقلنا هذه الارقام من تقرير مأمور الزراعة عيناً ولولم يزرع هذا المأمور الذى زعم ان هذا الحدول قريب من الحقيقة ، حساب الكيلة بالاقة ، لتمكن من اعطاء فكر صريح على مقادير علل القضاء الزراعية . ثم ان هذه الارقام لاتعلو من القراءة ايضاً كما هو الحال فى سائر الارقام التى درجت فى الصحائف الاخرى من كتابنا .

وقد وسعت الحكومة نظام هذه الشركة بمناسبة استقراضها منها مليوناً ونصف من الليرات وذلك بعد انتهائهما الحرب الطرابلسية . واصدرت قانوناً مؤقتاً في ٨ نيسان سنة ١٩٣٠ مـت فيه زرع جميع انواع التبغ في لواء اللاذقية واستتت منه نوع « ابوريجه » فقط وقضت على القرويين باستحصال الرخصة قبل الزرع من شعبة الشركة في اللاذقية . واعتبرت الشركة مختارة باعطاء الرخصة وعدم اعطائها . على انها تضطر لان تعلم صاحب الطلب عن سبب الرد ، وان لم تجده فعليها اعلام مختار قريته بالكيفية . ولا جرم ان الواجب في هذا الامر الاقبال على استثمار هذه الاراضى الصالحة لزراع التبغ ، والتشجيع بالتدابير الفنية التى تزيد استعداها والا فان الحجر والتحديد يضر بصلحة البلاد الاقتصادية ثم ان القدرة التى منحها هذا النظام الى الشركة بخصوص التخمين لا تنطبق على منفعة البلاد وهى تحتاج الى التخفيض . وقد جاء في المادة (٢٢) من هذا النظام ما معناه :

تتألف لجنة التخمين من محمّن تختاره شركة الانحصار، وآخر تختاره ادارة الواردات المخصوصة في دائرة الديون العمومية ، ومن آخر ايضاً يختاره مجلس ادارة القضاء ليكون محمّناً في جميع ذلك القضاء . ويجب ان تعطى الى المحمّن الذى اختارته ادارة الديون العمومية ثم الى الذى اختاره مجلس الادارة اجرة لا تزيد عن عشرين غرشاً في كل يوم . ومجلس الادارة هو الموجب بتقدير هذه الاجرة وتعيين مقدارها .

والزراع هم المكلفون بتسادية هذه الاجرة . ويسوغ لادارة الشركة ان تدفع هذه الاجرة بشرط التعويض . وعليه فان الشركة تنظر الى مجموع الحرج بعد اتمام التحرير ، وتوزعه على الزراع بنسبة مقدار اراضيهم . ثم تتقاضى من كل منهم حصته حين بيع المحصول . وهذا يدلنا على ان الشركة تدفع الاجرة ثم تتقاضاها من الزراع .

ونصت الفقرة الثالثة من هذه المادة على وجوب تحليف المحمّنين قبل الشروع بالوظيفة امام مجلس الادارة بان يتوخوا الحياد في التخمين ، ولا يتقادوا الى سلطة او تأثير الا ما اوجبه عليهم الوظيفة ، ولا يتقصّدوا اضرار الشركة ولا الزراع .

ثم على الذين لا يرضون بتخمين هذه الهيئة ان يبينوا اعتراضهم لادارة الشركة في ظرف خمسة ايام اعتباراً من تاريخ تسليم اوراق التخمين الى مختار القرية . ويطلبوا منها تعيين هيئة ثانية . وما من فائدة لهذا القيد الذى يشف عن مساعدة الزراع . لان القروى المحروم من وسائل النقل ، والمجرد عن كل علم ومعرفة لا يطلع على طريقة هذه الاستفادة ولو ابلغ المهل الى عشرين يوماً — لاسيما سكان الجبال — .

ثم ان الفقرة الثانية من المادة (٢٦) جديرة بالنظر ايضاً . وقد جاء فيها ما معناه : يسوغ للجنة التحقيق بعد وزن التبغ الذى يقدمه الزراع ، ان تحرى مسكته وسأله اما كنهه وما يجاوره من المحلات لتعلم هل يوجد هناك تبغ مكتوم ام لا ؟

## لواء اللاذقية

وبهذا النص النظامي كان لمستخدمي الشركة - حتى الدخول على المساحين - الخصوصية أيضاً.

وإذا نقص مقدار ما يسلمه الزراع من التبغ الى اللجنة الخاصة عن مقدار التخمين، يجبر الزراع على ان يدفع عن كل كيلوغرام ليرة جزاً تقديماً.

ثم ان الزيتون هو من اهم الغلال الزراعية في هذا اللواء، وله ثلاثة انواع: الحضيرى الدرملالى، الحريصونى. ويوجد منه في قضاء المركز (٤٦٨٧٨) شجرة وفي جبله (٣٠٠٠) وفي صهيون (٦٠٠٠) وفي مرقب (٦٥٠٠٠) شجرة. ويقول مأمور الزراعة انه يوجد (٢٠٠٠٠٠) شجرة غرست او طعمت حديثاً. ويؤمن ان مقدار الزيت الذى يصير من هذه الاشجار في كل سنة يبلغ الى (٦٤٠٠٠٠٠) اقة.

ولو اختاروا قليلاً من الكلفة وقضبوا تلك الاشجار في كل سنة، ثم تفقدوها بالسماد لكنت اغلالها اوفر واكثر من الآن باضعاف مضاعفة.

## ٥ - الامراج والمعادن

تقرب مساحة الاحراج في لواء اللاذقية من (١٧٩٠٠٠) من الدونمات. ويتراوح محيط الاشجار التى توجد في انحاء الساحل بين (٣٠) سائمتراً ومتراً واحداً. اما طولها فيكون (٣-٤) مترات. وتعمل منها خشاب صغيرة للابنية، الواح لاجل القوارب الصغيرة. وتوجد في الانحاء المرتفعة اشجار الصنوبر الاحمر والابيض، وخشبها يصلح للاستعمال في الابنية ايضاً. واهم ما هنالك من الاحراج، هي الاحراج الموجودة في انحاء اير وبوجان. وتبلغ مساحتها الى (٣٢) كيلومتراً مربعاً. وتسعون في المائة من اشجار هذه الاحراج يتراوح محيطها بين (٣٠) و(٦٠) سائمتراً، طولها لا يزيد عن (٤-٥) امتار. ويندر وحواد الاشجار الجسيمة فيها. ويدعى بوتوق ان مقدار تلك الاشجار الحديثة يبلغ الى (٣٠٠،٠٠٠) بشرط ادخال ما تبصر في الانحاء المختلفة منها. يقطع منها ما يقوم بحاجه تلك الانحاء، القرى المربية، من خشاب وغيرها، ثم تعمل منها الألواح المسماة «ميريوم»، وتساق الى الخارج، وقد كان تقطع منها قبل الحرب مقدار (١٥) الف قطار من الخشب وتساق الى بلدة بيروت.

ويوجد في منتصف هؤلاء الاحراج على حدود اسكندرون قطعة ارض تسمى «توز» تقرب مساحتها من (١٠٠٠) هكتار وهي مطوقة باحراج الصنوبر.

والاشجار الموجودة هناك هي من شجر البقس الاسود والاحمر. ويمكن ان يعمل من هذه الاحراج مقدار (٣٠٠) الف حصة في كل سنة دون ان يمس تلك الاحراج ضرر



يذكر. ولكن بعد هذه الانحاضة عن اسئلة البسيط بمسافة سبع ساعات جعلت هذه الاستفادة متعذرة.

ويوجد في جبال اللاذقية معدن الحديد، والفضة المخلوطة بالرصاص والنحاس. والخشب المتفحم، وعروق من معدن النيكل. وقد كان في انحاء باير وبوجاق منجم لمعدن القروم يستخرج منه (٢٥٠٠) طون في كل سنة ولكن لا اثر له اليوم.

## -١٦-

### مرقب

#### ١ - موقع القضاء ومردده

ان هذا القضاء كائن في الجنوب الاقصى من لواء اللاذقية ويحده من الشمال قضاء جبلة ومن الشرق لواء حما ومن الجنوب لواء طرابلس ومن الغرب البحر الابيض. ويمتد من شاطئ البحر الى جبال النصيرية وارضه تتدرج بالارتفاع اعتباراً من الساحل وهي ذات عوارض.

#### ٢ - مساحة القضاء ومطامير امواله الادارية

تقرب مساحة هذا القضاء من (٢٥٠.٧٣٠) دونم. منها (١٨٥٠٠٠) من الاراضي المزروعة ولا يبقى منها الا (٧٥٠) دونماً. ومنها مقدار (١٧٥٠٠) تحتاج الى عمليات لاجل السقي والارواء. و(٢٥٠.٠٠٠) من الاراضي الصالحة للزراعة و(٢٧٧.٠٠٠) دونم من الاراضي التي لا تصلح له. ومقدار الاراضي التي تركت بلا زرع يناهز (٥٢٧.٠٠٠) دونم، ونصفها يصلح لزراعة كل صناف المزارعات ولكن قلة السكان من جهة والقناعة التي يتسك بها الموجودون من جهة اخرى نتجت بعدم الاستفادة من تلك الاراضي الواسعة.

ان عدد السكان في هذا القضاء هو على الوجه الآتي :

جدول سنة ١٣٣٢

الذكور      الاناث

٢٥٠٥

٢٦٠٣

المسلمون

١٣٨٨٤	١٠٦٠٣	التصديرون
١٨٩٧	١٩٣٠	الروم الاورتودوكس
٦٣٩	٧٥٥	المارونيون
١٨٩٢٥	١٥٨٩١	يكون
٣٤٨١٦		

وكانت وفيات القضاء سنة (١٣٢٨) ، ٣١ ، سنة (١٣٣٠) ، ١٤٥٥ ، سنة (١٣٣٢) ، ١١٥٦ ، نسبة . أما اللدات فكانت في عين هذه السنين (١ و ٣٧٠ و ٤٩٠) وهذه الأرقام العجيبة ترينا ان دفاتر النفوس أعدت سنة (١٣٢٨) لتشغل باسم هذا المولود الفرد ، وتصونه من الضياع ! !

وان مركز القضاء هي قصبة «بانياس» المكائنة على شاطئ البحر بين الدرجة (١٢، ٣٥) من العرض الشمالي والدرجة (٣٩، ٣٣) من الطول الشرقي . وكان مركز القضاء قبل ثلاثين سنة في قلعة مرقب التي يبلغ ارتفاعها «٣٠٠» متراً . وهذه القرية كائنة في الجنوب الشرقي على بعد ثلاثة ارباع الساعة من بانياس .

واسترابون ، من قدامى المؤرخين يستعمل اسم «بالانه» *Balanea* ، حين البحث عن بانياس . وفيها اليوم انقاض حصار قديم من آثار الفنيقيين . ويوجد بحث ضاف عن هذا الأثر التاريخي في مجلد سنة «١٨٧٩» من مجلة «*Revue Archéologique*» .

وقد كان المسلمون يسمون هذه القصة قبل حروب الصليبيين باسم بولونياس ثم سماها الصليبيون ابان حروبهم *Alonic* ، وبقيت مربوطة بإيالة انطاكية . برهة ، واستولى عليها المسلمون بعد تسخير قلعة مرقب . وكان نهر بانياس في زمن الصليبيين حداً فاصلاً بين إيالة طرابلس وإيالة انطاكية . والآن لا يعثر في بانياس على شيء من الآثار النصرانية .

وتوجد بضع دعام على يمن نهر بانياس قريباً من شاطئ البحر ، وعلى يساره بضعة اجداث قديمة . وتوجد خارج القصة على بعد خمس دقائق منها يتابع مياه رافعة للذيذة ، ثم انقاض الحصار الفنيقي الذي مر ذكره موجودة فوقها على تلة صخرية . ولهذا الحصار سور طوله «٦٠٠» متراً وعرضه «٥-٨» امراً . وله مداخل معدة للدفاع . وبنت هذه القصة في اواخر القرن الحالى . ولهذا نجد بعض الانتظام في طرقها ومبانيها . اما عدد سكانها فكان في سنة ١٣٣٣ على الوجه الآتى :

٣٨٤	ولاية بيروت	
	الذكور	الإناث
المسلمون	٣٨٨	٣٨٩
الروم	٢٢	١٦
المارونيون	٢٠	١٢
	٤٣٠	٤١٧
	٨٤٧	

ومع هذا العدد من السكان الذى لا يبلغ الالف، ترى ميزانية البلدية جديرة بالذكر لان دخلها السنوى عبارة عن (٢٠٠،١٠٧) غروش، وخرجها يناهز هذا المقدار .

### ٣ — الاموال الطبيعية فى القضاء

ان السهول فى هذا القضاء عبارة عن اراض تمتد من الجنوب الى الشمال محاذية لساحل البحر ، وتشغل خمس مساحته العمومية ، ومعظم الفائدة الزراعية التى يحصل عليها القرويون تكون من هذه الاراضى . اما القسم الآخر منه فانه عبارة عن وعور جبلية ، ولكن توجد خلالها اراضى صالحة للزراعة ايضا . وان ارفع نقطة من هذه الوعور اتى كانت من قبل مجللة بالاحراج الكثيفة ، واصبحت اليوم حردا ، هى ربوة البي يولس التى يبلغ ارتفاعها « ٧٠٠ » متراً . وجميع هذه الاراضى الجبلية تتألف من لصخور الكلسية . ويوجد مقدار كثير من الاحجار البركانية فى انحاء زميرين وسوده والحريبة .

وتجرى فى هذا القضاء انهار «السن» و«حريصوف» وجور وانياس ، ومارقيه والحصير ، ونهر لسن منها ماؤه وافر جداً رغمًا عن قصر مجرى الذى لا يمتد نصف ساعة مع ما فيه من الاعوجاج والمعاطف . وهو يفضل قضاء المرقب عن قضاء جبله . وينبع من جبل «قرقيس» فى قضاء جبله . ونهرى حريصون وجور ينبعان من جبل شعر الواقع على حدود مرقب والعمرائية وبعد ان يقطع الاول مسافة ثمانى ساعات والثانى زهاء ست ساعات يصبان على بحر الابيض . اما منبع نهر بانياس فهو قريب من القصة وماؤه عذب لذيد ونهر مارقيه ينبع من ربوة التى يونس ثم يصب فيه جدول تغنيته وجدول وادى العيون وبعد امتزاجهما به يصب فى البحر . وطوله يناهز عشر ساعات . ونهر الحصير الذى يفضل ناحية طرطوس عن قضاء المرقب يتألف من فرعين منبع الواحد من وادى العيون ، والثانى من بيت رسلان من اعمال قضاء صافيا . ثم يوجد غير هذا الانهار بعض جداول تفيض فى الصيف ، مثل جدول الجمام ، والحوذبة . فالاول كائن فى الجهة الشمالية من بانياس والثانى فى الجهة الجنوبية منها .

## ٤: باب احوال القضاء العجومي

لم يتفش اصول المزارع في هذا القضاء الذي هو في الدرجة الوسطى من القوة الانبائية ولهذا فان ثلاثة ارباعه في ايدي المربعين ، وربعه فقط في ايدي ذوي السلطة . ولا يعثر في هذا القضاء على ذوي السلطة من ارباب الزراعة كما هو الحال في الاقصية الاخرى . ولا يوجد بين الاغنياء المعروفين هنا احد يربو وارده السنوي عن ثلاثين ألف غرش لسبب ضيق الاراضي من جهة وعدم استعدادها للانبات بدرجة كافية من جهة اخرى . واكثرهم يدفع اراضيه الى المربعين . ويكون نصيبه من الفلال بعد طرح العشر الميري ثلث الموجود . هذا في الساحل ، اما في الاراضي الجبلية فيأخذ الربع فقط .

ويكاد لا يوجد للاخراج اثر في هذا القضاء . وتوجد قريباً من قرية القينية والمرمدة مشجرتان من الصنوبر لا تزيد مساحة كل واحدة منهما عن ثلاثين دونماً . اما اشجار الزيتون فيوجد معظمها في الساحل وفي انحاء خوالي . ولا يعثر في ناحية قدموس الصالحة لفرس الكروم على شيء منها . وجموع حاصل الزيت في هذا القضاء يناهز (١٥٠٠) قطاراً .

والسمن الذي يستحصل في ناحية قدموس له شهرة زانة بين المحليين اما اشجار التوت التي تزدان بها الاصقاع الجبلية فهي كافية لتربية عشرة آلاف علة من البذر . ولهذا ترون جميع القرويين يشتغلون بهذه الصنعة في اياتها ويبيعون ما يحصلون عليه من الحرير الى المصنعين الذين اسسها المسلمون في بانياس . ويصنع نصاري قرية البساتين من هذه الحرائر الوطنية الجوارب ، وينسجون منها بعض الاقشة .

وهذا القضاء لا يشذ عن بقية الاقضية بخصوص الانحرام من نعمة العلم والعرفان . ويروي ان عدد الذين يعرفون القراءة والكتابة لا يتجاوز الا اثنين في المائة . ولم يوجد قبل الحرب في هذا القضاء شيء من المؤسسات العلمية الاجنبية . وقد اعدت التخصيصات لتأسيس مدرستين رسميتين للذكور والاناث في قسبة بانياس ، وثمانى مدارس ابتدائية في ملحقاتها . ولكن لم تؤسس الا مدرستى بانياس واثنين في كل من ناحيتي قدموس وخوالي ومدرسة اخرى في احدى القرى . وتوجد مدرسة مارونية في قرية البساتين من مضافات المركز ، وبناء مدرسة كبيرة في قرية سوره قريب من الكنيسة .

ثم ان الآثار النافعة في هذا القضاء مهمة ايضاً . والطريق الموجود بين حما وبانياس التي هي الفرضة الوحيدة لوادى العاصى الذي يبلغ طوله (٨٥) كيلومتراً ، لم يمهّد الا قسم منه سنة (١٣٠٩) والقسم الذي يبتدأ من حدود الولاية حتى يبلغ مركز قضاء العمرانية

على طول عشرة كيلومترات من هذا الطريق لا يصلح لسير المركبات . فلو تم هذا القسم وأنس في بانياس مرفأ صغير ، لا جرّم يكون هذا الطريق اقصر من طريق طرابلس وعليه لا بد ان تنجح مناقلات حما لهذه الوجهة .

ويمكن سير المركبة مع شئ من المشقة والتعب على الطريق الطبيعية الخالية من العقبات الكائنة بين طرطوس وجبله . ولكن يتعذر المسير من هناك الى الجنوب . فانشاء طريق معبد من بانياس الى صفيتا يمر على قرية خوابي . لا جرم يؤمن فوائد جمة .

### ٥ — الفول الزراعية في القضاء

ان الفول الزراعية في قضاء مرقب هي على ما يأتي :

جنس الفول	كيلة
القمح	١٣٢٠٠٠٠٠٠
الشعير	٤٢٠٠٠٠٠
الذرة البيضاء	١٨٠٠٠٠٠
الذرة الصفراء	٢٥٠٠٠
الحصص	١٦٢٠٠٠٠
الفول	٤٠٠٠٠٠
الحدس	١٥٠٠٠
الجلبان	١١٥٣٠٠

ويستحصل هنا غير هذه الفول من التبغ (٢٠٠٠٠٠٠) اقة ومن الزيت (١٥٠٠٠٠٠٠) اقة في كل سنة .

### ٦ — الآثار القديمة في القضاء

توجد في هذا القضاء قلعة مرقب التي هي من ادم القلاع لسورية ، ثم اتقاض قلعة الخوابي والكهف وقدموس والجرد وعليقه .

فقلعة مرقب او بآتغير الاقرنجي *Arzgat* كانت من اعظم القلاع التي استحوذ عليها فرسان هوسيتاليه في ايام الصليبيين . ويزعم بعض المؤرخين انها شيدت في زمن البيزنطيين ، او المسلمين ولكن لم يتضح الى الآن صدق هذا الادعاء ، ولم يؤيد ببرهان

قاطع . ويقول موسيو « ريب » ان الصليبيين سخروها عنوة سنة « ١١٤٠ » ميلادية \* وظلت في ادارة اسرة (Mansoei) الى سنة « ١١٨٦ » . وفي هذا التاريخ اقطعت الى فرسان هوسبيتاليه بامر حاكمها « برتران دومارغات » ورضاء حاكم انماكية « بوهه موند » . ثم تسنى لصلاح الدين الايوبي بعد محاربة حطين . اصرار جنوده لمن جواز هذه القلعة رغمًا عن دفاع الاسطول الذي ارسله كيليوم الثاني ملك سبجيا لاجل امداد نصارى هذه الاصقاع . ثم سخر المسلمون حصن الأكراد سنة (١٢٧٠) وكان فرسان هوسبيتاليه قد وهنوا وضعفوا فمقدوا عهداً مع المسلمين رضوا فيه برد بعض ما في حوزتهم من الاراضي وقبلوا بتقسيم الضرائب التي يتقاضونها في مرقب وما يجاورها من القرى بينهم وبين الغالين . ثم لم يلبث السلطان قلاون ان استخلصها من ايديهم ، واضطر مدافعها لمبارحتها والاتحاق بابناء دينهم في عكا .

وهذا القلعة التي تحكم على السواحل السورية الشمالية كانت معدودة من امتن الحصون الحائزة على اصلح الشروط للدفاع مدة وافرة . وان اضلاع الهضبة التي قامت فوقها هذه التلعة هي عمودية من الجانب الشمالى والجنوبى . اما الجانب الشرقى فهو على شكل زاوية مطلة على واد عميق يفصلها عن جبال التصيرية . وهى متصلة بجبال الشرق بطريق ضيق يشاهد في الجهة الجنوبية وبهذا كانت كسبه جزيرة . وهذا الحصن المتين الذى شيد في انب بقعة محاط بسورين ، وبملاجأ « Reduit » يرى في الجنوب الاقصى منه . وقد جهز السور الاول بعدة بروج . اما الثانى فلا اثر له اليوم . فالذى يدخل من الباب المشار اليه برقم (١) ، والمجهز ببرج اسطوانى يرى امامه دهليزاً واسعاً . والقناطر الموجودة على يمين هذا الدهليز ويساره توصل الى السور الثانى . وهذا السور مجهز ببرج عديدة . ثم ان الصخور المنحوتة في الجهة الشمالية لشكل مستو تقوم مقام الجدار مسافة طويلة . وتفصل هذه القلعة عن جبال التصيرية في الشرق بوادى صناعى عميق . وشيد اهم برج للسور الاول في النقطة التي اشرنا اليها برقم (٣) في رسماً . وهو حاكم على الطريق الضيق الموصل الى الحصن . ولما فتح السلطان قلاون القلعة تفقد هذا البرج وشيده وحفر عليه كتابته . اما الجامع الموجود في يسار الصحن فقد كان كنيسة .

والبناء الموجود في الجهة الجنوبية من المعبد ( رقم ٩ ) يتألف من طابقين . ويدخل اليه النور من نوافذ بيضية الشكل ، ولكلى الطابقين باب يصله ببرج القلعة الكبير المشار اليه برقم (١١) الذى يبلغ طول قطره (٢٩) متراً . ثم اذا نظرنا الى النوافذ التي اعدت للدفاع نطلع على ما تحجب في نسق بنائها من المهارة لاجل صون المدافعين من بصادق الاعداء .

## ٧ - موقع بانياس ومنظر ضواحيها

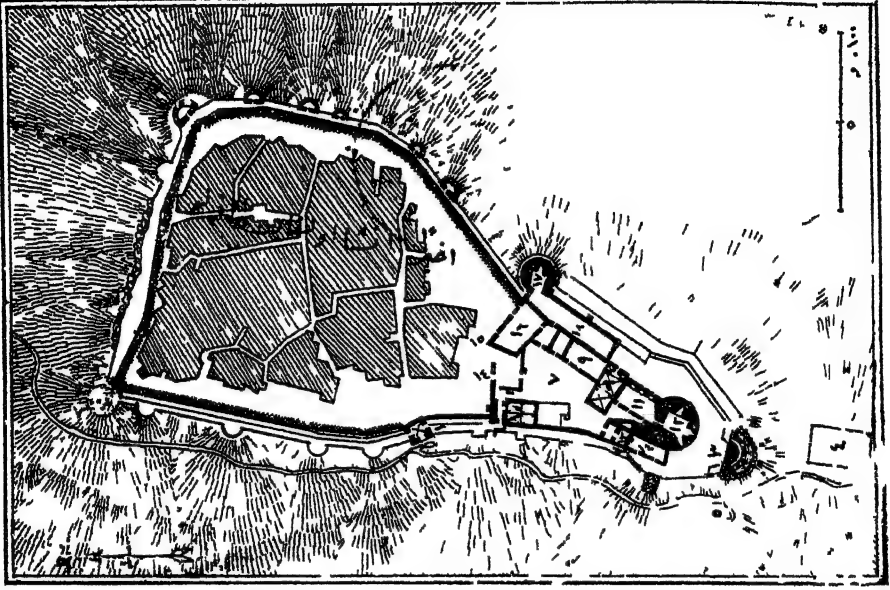
ان قصة بانياس التي لم تكن مركباً لقضاء مرقب الا منذ (٣٣) سنة هي حديثة لطيفة . وقد سماها قدامى الجغرافيين كاسترابون (مالانيا *Balanua*) وسماها العرب (بولونياس *Boulounias*) وعرفت عند الأفرنج باسم « والأنيا *Valenia* » او « بالاني - *Palanie* » . وما كان في الحسبان ان تظهر تلك القصة القديمة و هذا المظهر الجديد .

وان لهذه القصة المطوقة من الشمال والجنوب بالرياض الناضرة ، والمرصة في الداخل باشجار الجبيل والخور ، شكلاً باسم ، لا ينادر نظراً الا ويجذبه ولا قلباً الا ويشغفه .  
نعم ان بانياس ، تلك البلدة اللطيفة التي تنكسر على اذيالها من الجانب الغربي امواج البحر الابيض ، يحيطها من الشمال « نهر الجعم » مع قليل من البحر ، ومن الشرق روة بانياس ومن الجنوب جدول بانياس . ولهذا كانت لها الحظ الاوى من جميع المحاسن التي تحدها العوارض الطبيعية .

ثم من الضروري ان نضيف لهذه المحاسن الداخلية ما ازدانت به ضواحيها من البدايع . ففي شمالها جبل « الصرامطة » وقرية « عرب الملك » التي تحاذي ساحل البحر رماضها الناضرة ، وقصبة (جبله) و(اللاذقية) التي تلوح على بعد كانها ظل ثبت على اقاصي ذلك القوس البحري . و(جبل الاقوع) الذي قام في منتهى الافق كانه صبرة من العهن ؛ وفي شرقها قرية « ذلو » برمايه ، الحربة . المشيرة ، اللاتي كنتم وراء جبل بانياس ، ثم قلعة مرقب القديمة التي تربعت فوق هام ربوتها الخضراء كانها اكليل همراني ، وعلى غلوة منها (جبل العنازي) ، كل هذه العناصر البديعة جمعت لقصة بانياس منظراً فسيحاً زاهياً .

لاسيما قلعة (مرقب) الكائنة في اعلى نقطة من بانياس ومنظرها الذي يتدفق بامواج الالوان في كل آن ، الجدير بان تعلقه القلوب ، ولا الطف وانضر من مظهر القصبه اذا اشرفت عليها من جانب القلعة ورأيتها بشكلها المثلث المنسوب على شاطئ البحر باشجاره الخضراء كانه يتبسم بمحيا فتان .

ولا اجل من الاطلال على ضواحي بانياس من فوق تلة ، القلعة الشاهقة ؛ فترى من الجنوب جبال عكار ولبنان حتى رأس الشقعة . ومن الشرق جبال قدموس ومر الشمال جبال الكلبية والنواصرة وساحل جبلة واللاذقية وجبل الاقوع ثم ظل جزيرة قبرص . ومن الغرب بحراً لا حده ، ومن الجنوب الغربي جزيرة (ارواد) . ولا بد للدهن ان يمتلىء اعجاباً وحيرة تجاه هذا المنظر الضير الفسيح .



### الخطط الداعية في قلعة مرقب

- ١ الباب و برج مربع ؛ ٢ برج ؛ ٣ زاوية خارجية حذاء ؛ ٤ مخزن الماء ؛ ٥ معقل مقوض ؛  
 ٦ مدخل الملجأ ؛ ٧ صحن الحصار ؛ ٨ المسجد (كان كنيسة) ؛ ٩ اقواس ابنية منهذمة ؛  
 ١٠ البهو الكبير ؛ ١١ بناء ؛ ١٢ برج كبير ؛ ١٣ اية متنوعة ذوات محازن ؛ ١٤ الباب  
 المنهدم للسور الثاني ؛ ١٥ الحندق ؛ ١٦ هو دوقية ؛ ١٧ برج يتصل بالحندق باب سري  
 ١٨ الدهليز الطويل .





## ٨ - المخطط الدائرية في بانياس

ان هذه القصة منتظمة ومرتبطة الداخل كما هي لطيفة وظرفية الفواحي . وعلى عبادك عن مائ بيت ومائة طانوت ، وبما ان انحائها الشمالية والشرقية والجنوبية . ثم قسم من داخلها مستور بالرياض الناصرة كانت كانها حديقة عظيمة انبت في انحاءها منازل بيضاء . وحرص هذه الحديقة اعتباراً من ساحل البحر الى منبع جدول بانياس كيلومترو ونصف ، وطولها لا يزيد عن كيلومترين . ولهذا يتمكن الناظر من الاحاطة بها اذا وقف في احد المرتفعات . وان لهذه القصة نسقاً مرتباً ومنتظماً ، يدلنا على ان سيكون لها آت حظير . فاذا فكرنا بالشارع الذي يقطع البلدة من مبدأها الى متنهاها محذياً لساحل البحر ، اطلعنا على الشوارع الاخرى التي معظمها يقطع هذا الطريق قطعاً عمودياً ، نعلم ان هذه القصة منقسمة الى مربعات منتظمة . واكثر طرقها كالمخاربات الخضراء ولا اللطف في التحول تحت ظل تلك الاشجار ومشاهدة جده هذه القصة . ولما نسق في البناء يرمى الى النسق البيروني تارة ، والى الطراز الطراباسي اخرى ، هو من الانتظام في درجة لا يمكن العثور عليه في اكثر قصباتنا . وهي كادت ان تكون مبنية في ساحة مستوية ، لولا ان المنازل الموجودة قريباً من منبع جدول بانياس كانت مرتفعة ، وبهذا كانت تلك القصة ارجح واهين محلات القعة . وهي كائنة في الجهة الشرقية وتسمى ( حارة القلعة ) . ثم توجد في الجهة الغربية المحلة المسماة « حارة الجامع » وفي الشمال « حارة الشمالية » التي يسمونها « السيجيون » ، ثم في حوار دار الحكومة تخرج « حارة السرايه » . وهذه المحلات مختلطة ببعضها . والابنية في بانياس ليست بمظيمة . وهي صغيرة نظيفة ووهي تناسب محوس . ولا توجد في هذه القصة مؤسسات تامة النظر . حتى ان بناء الجامع ودار الحكومة الكائنين على الساحل لا فرق بينهما وبين بقية المنازل . ثم لا كنيسة . ولا مذبح ، ولا مؤسسه فيها وهذا تكون عبارة عن قرية مرتبة منتظمة ولكنها فريضة نظيفة . والحظافة فيها تفت النظر في كل شيء . فتميزها بضمة جواد مصونة من الاوساخ التي يثر عليها في غيرها من القصات ويجرح حمل هذه النظافة على جده القصة وعلى كون سكانها حديثي العهد فيها ، لان معظمهم من الخارج . ثم على وفرة ماءها ايضاً .

يوجد في شمالها منبع الزريقات ، وفي شرقيها « عين البوة » و « عين الفلاحين » ، اثنان يتكون النهر منهما . وهذه المناهل العذبة كانت مصدر حياة لهذه القصة بمائها لقي الماء وهي التي خلقت . في تلك القصة فترتها الناضجة ، وجمالها الزاهر . ويوجد في كل بيت منها بئر عذب الماء . فاذا فكرنا بهذا اغنى الحياتي تنكشف لنا اسباب النظافة . ثم ان القصة

كانت على الساحل وهي على طريق اللاذقية وطرابلس، وفرصة لانحاء قدموس وحما وعليه  
قناسياتها وامتزاجها مع الناس الذي لم يزل يزداد بتوالي الايام كان اكبر سبب لرقبها .  
واذا اردنا ان نجمل ما فصلنا الى الآن ، نقول ان بانياس مسيرة لطيفة . فموقع الزريقات  
بينما يبعه المتعددة ورأس النبع ايضاً ، ثم موقع الشيخ هلال والرياض والحدائق في داخلها ،  
وشاطئ البحر وضفاف النهر ومصب الانهار كلها تحف هذه القصة بالبدائع الزاهية .  
وقصارى القول انها بماثها السلسال ، وبمنازلها الحديثة البيضاء ويجرها الازرق وانجارها  
الخضراء ، اجمل واظرف بليدة قامت على شاطئ البحر الابيض ، مرشحة لكل تعال ورقى  
في المستقبل .

## ٩ - الاموال الاجتماعية

[١] - الحالة الاجتماعية في بانياس - يجب علينا ان نعتبر بانياس قصة اسلامية  
لان التصارى فيها لا يتجاوزون بعدهم عشر المسلمين . ولكن من البعث ان نرتاد  
الطبقات الاجتماعية بين مسلمى بانياس . ولهذا يمكننا ان نفرقهم الى قسمين ، يوجد في  
الاول من تسقى لهم الحصول على سهولة العيش . وفي الثاني من يرمقون عيشهم ترميقاً .  
ولتعلم ان ليس لبانياس تلك الثروة الطائلة وليس لاغنيائها ذلك التغلب والسطوة .  
لان وجوه هذه القصة لا يتجاوزون بعدهم بضع عائلات . ثم ليس لكل عائلة منهم اكثر من  
الفين او ثلاثة آلاف دونم من الاراضى ، واملاكهم محدودة ايضاً . ولا يربو دخل هؤلاء  
على خمسمائة ليرة في السنة . وافراد هذه الاسر الذين يحصلون على هذا الدخل السنوى  
بواسطة الزراعة والتجارة ، لهم ميالون للسكون والهدو . ثم انهم لعلى حياد تام تجاه  
بعضهم . ولا يأتون جهداً بالمثابرة على اعمالهم . ولهذا فلا اثر هنا لما يوجد في الانظمة  
الاخري من ننازع السلطة ، والجدال على اشغال الواقع ولا المباراة في التفوق . لان  
ارباب هذه الطبقة لا يملكون على اراضى واسعة . ولا نجد عندهم ذلك العدد الوافر من  
المزارعين ، ولهذا لا امكان لتوسع السلطة ووجود التغلب فيهم .  
ولن يكون سكان هذه القصة خصوماً واعداً لبعضهم لان اكثرهم غرباء من جالية  
اللاذقية وجبلية ومرقب . ولا جرم انهم برآء من التائيمات الارثية التي تشحن القلوب  
بالعدوان ، وتغرس فيها البغضاء . ثم فكرة التجارة ، وكثرة المناسبات والاختلاط  
جعلهم في حالة اجتماعية تتصف بالانس والمجاملة . واكثرهم يشتغل بعداد البساتين ، او  
بغيرها من الاعمال البسيطة . ولذلك نرى البساطة نازدة في نسق معيشتهم . لا يمكن  
الحياة في هذه القصة الا بالكد والكدر . ولهذا لا يسوغ ان نصف قومها بالكل

والبطالة . ولكنهم لا يوصفون بالعمى والاقدام وربامة الجاش في المشاريع الاقتصادية لسبب افراطهم بالقناعة وسكون طباعهم اكثر من اللازم . حتى ان نصف رجالهم يحسنون الكتابة والقراءة . ولكن قناعتهم اضرتهم لاكتفاء بمعلومات ابتدائية بسيطة .

[٢] -- الاموال الاجتماعية في قضاء مرقب -- ينقسم سكان هذا القضاء الذين يربو عددهم على (٣٥٠٠٠) نسمة من حيث الدين الى (مسلمين) و (مسيحيين) . ثم ينقسم المسلمون الذين يبلغ عددهم (٣٠٠٠٠) نسمة الى سنين واسماعيليين ونصيريين والمسيحيون الذين يناهزون في عددهم (٥٠٠٠) نسمة ينقسمون الى روم اورتودوكس ، ومارونيين وهؤلاء يسكنون في الجهة الجنوبية من باتياس في عشرين قرية تتسلسل محاذية للساحل وتبعد منه مسافة ساعة او ساعتين . ومنهم (٣٥٠٠) نسمة من الروم الاورتودوكس والباقيون من المارونيين . وللاروام (١٥) قرية خالصة لهم ، وللمارونيين ثلاث فقط . ويسكن بعض المارونيين في قرية بساتين الاسلامية ايضا .

اما عدد السنين من المسلمين فهو يناهز (٦٠٠٠) نسمة . ويسكن السنين في باتياس مراكز القضاء وفي تسع قرى قريبة منها . ثم في قلعة خوالى ، وقرية (زمرن) . ويوجد في خوابي بعض الاسماعيليين ايضا .

اما الاسماعيليون في هذا القضاء فعددهم « ٣٦٩٨ » نسمة على رواية القيود الرسمية وفرع « الحجاويين » منهم يسكن من الانحاء الجنوبية في ناحية خوابي ، واصقاع « نهر الحصين » ، في تلك الساحة التي تبعد مسافة ساعة عن البحر .

اما « السويدانيون » الفرع الآخر للاسماعيليين فهم يسكنون في مركز ناحية قدموس الكائنة في الجهة الشرقية وفي القرى الموجودة في الجنوب منها [٢\*] .

وما بقي من سكان القضاء — غير الذين بحثنا عنهم — كلهم نصيريون . ويبلغ عددهم (٣٠,٠٠٠) نسمة . وبهذا تناهز هذه الطائفة بعددها ثلثي سكان القضاء . وان ثلثي النصيريين اي (١٤٠٠٠) نسمة منهم ينتمون الى عشيرة (الحدادين) و (الحياطين) . والثلث الاخر هو من عشيرة (التاورة) و (الجرديّة) و (البشاورة) .

وبما ان معظم انحاء هذا القضاء عبارة عن وعور جبلية ، كان امر الزراعة فيه مشكلاً وصعباً . وهذا الاشكال الموجود في تأييد العيش اوجب على السكان الابلاغ في الكد والجهد . وانهم ولاسيما النصيريين منهم محرومون من هذه السجى ، ولهذا كانت حياتهم الاجتماعية منحطة وسافلة . ثم اتتهم الحرب الحاضرة بويلها وصبت عليهم من حرمانها ما

(\*) خصصنا الفصل الآتي للبحاث المحلية في الاسماعيليين . ولهذا لا نرى لروماً لاعادة البحث .

جعلهم في أسوأ الحالات وأفجعها .

وان الفقراء من النصيريين يحصلون على اقواتهم بالاشتغال بالفلاحة او الاحتطاب ، او رعى المواشى وحلبها او جمع الحشيشة التي يسمونها «محمودة» او بالمكارة . وذووا الايسار منهم يشتغلون باستثمار ما في حوزتهم من الزيتون ، او بزرع التبغ او تربية دود القز . ومنهم قسم يعيش بما يصل اليهم من النقود التي يتفقدونها بها اقاربهم المهاجرون الى اميركا . ولهذا السبب لا يعثر في القضاء على ارباب الغنى والثروة ، وفقرهم مكن هذه الازمة من نواصيرهم فوطتهم اى وطئة .

• وان النصيريين المحرومين من سحبة الافكار بالآتي ، والا-تعداد له — كما بينا سابقاً — والمجردين من النزوع الى الكمال ، لا تزال رابطتهم بالحياة ضعيفة ولهذا فقد باثت هبّتهم بالفشل وكانوا جمعية ممزقة .

ويمكن تقريب سكان القرى عن بعضهم من وجهة الدين لان كلاً منهم يسكن في قرى خالصة له . ويجب الاعتراف بان ارقى القرى بالحياة الاجتماعية في هذا القضاء هي قرى الاسماعيليين . ثم تاتي من بعدهم قرى النصارى . وبعدهم قرى السنين .

اما قرى النصيريين فهي في أسوأ الحالات باوساخها المادية والمعنوية ، وبجرمانتها من كل شئ وفقرها المدقع . وبكفى لمن اراد ان يطلع على حاة هؤلاء القوم الاجتماعية ان يزور احدى قراهم . قال حالها يفسح عن ويلها الاسود وينطق بانحطاطها الاليم .

نعم ان الشغف تلبد في روع النصيريين حتى كاد يلبس باليد . وكل منهم يرزح تحت اعباء الحرمان البحت . واقوت قراهم وانطفي سراج حياتها . وهذه الاطفال ممدة امام تلك الاكواخ السوداء المتداعية قريباً من الاثافي الحجرية التي عمدها عليها الدخان السخام لا يبغون حراً كآ . وها بعض الرجال منهم مغلدون الى الارض كسالى عالة ، خائري القوي ، انهكهم الجوع ، وكشف غطاءهم العري . فالاجسام ضئيلة ، والزنود والسوق كالصفي الرفيعة المحروقة ، والبطن منتفخة ، والاحاظ وقفت عن ركتها ، وجف ما الوجوه ، وتبددت الشعور . عليهم اطمار من الحرق البالية لا تستر ركبهم . واياكم ان تتحفروا للدخول على بيوت هؤلاء النجوم الذين لا يعلم هل هم احياء ، ام كانوا من جماد . ولن تستطيعوا دخول تلك الاوكان التي تقابلكم عفونتها برائحة كريهة . وهذه الاكواخ السوداء التي كانت اكداس من سخام مستورة بسقوف قائمة مالة . وداخلها سجن مظلم لا ينفذ النور اليه . وتوجد في جانب مدخلها فرجة تتيح على الداخل دخاناً تخرج رائحته مع العفونة فتزيد في كراهيتها . ولا بد ان تروا فيها شاة او بقرة او غيرها من الحيوانات ثم قدرة سوداء ، ولباداً ممزقاً ولحافاً ملطخاً بالاوساخ ، والتراب المتعفن ... هذا مجمل ما يتضمنه داخل تلك الاوكان .

وهذا السقوط والتسفل الحيوى شمل كل احوال هؤلاء القوم ، حتى ارواحهم ولهذا كان كل نصيرى تمثالا للكذب والظلمة ، فلا يجاوبكم اذا سألتم ، ولا يصدق اذا جاوب . وهو عبدو لكل فكر ، وعنده الضاد الاصم . اما نساؤهم تلك البائسات فانهن على غاية من الذلة والمهانة . ولا قيمة لهن . لأن المرأة في نظر النصيرى قرة تستبر على قدر الاستطاعة . ولا يبعد ان تكون البقرة ارجح لديه منها .

وقصارى القول ، يجب التسليم بسوء الحالة الاجتماعية في النصيريين الذين يمضون حياتهم في رؤس الجبال كسالى منقطعين عن العمل ، ومنحازين عن المدنية . وقد بلغت وطأة الجهل فيهم الى درجة لا تكاد تجد امرأة بينهم تعرف القراءة والكتابة ، اما في الرجال فلا يزيد هذا البعد عن عشرة في المائة . ولهذا فان سكان هذا القضا اشد حاجة من غيرهم الى العلم والمدنية .

نرى قبل اتمام هذا البحث ان نذكر بعض الارقام الاجتماعية التي حصلنا عليها في هذا القضاء .

نطقت قيود المحكمة الشرعية بان عدد المتأهلين في السنين الخمس الاخيرة (٩٧) ، شخصاً . ولا جرم ان هذا العدد يختص بالسنين فقط . فهم (٣٢) تأهلوا سنة (٣٣٠) و (٤٤) سنة (٣٣١) و (١٧) سنة (٣٣٢) و (١٥) سنة (٣٣٣) و (٣) سنة (٣٣٤) هجرية . وعدد الذين يتراوح سنهم بين (١٥ و ٢٠) من هؤلاء (١٥) و (٦٤) ممن هم في سن (٢٠-٢٥) و (١٩) ممن سنهم اكثر من (٢٥) سنة . وكان اكثر الزواج يتداول بين شهرى محرم وبيع .

اما الطلاق ؛ فقد حدث منه في هذه السنين الخمس عشرة ويصيب كل سنة اثنان منه بين السنين .

وحدث سنة (٣٣٢) في هذا القضاء جرم واحد من القتل و (٦٩) جرماً من الجنح والقباحات . و (٢٨) من هذه الجرائم عبارة عن الضرب والجرح . و (٩) من نوع السرقة والباقيون من مختلفي الانواع .

ثم ان عدد الذين يشتغلون في القضاء بالتجارة (٢٥٧) على التقريب . وعدد الذين يتعاطون الزراعة (٤٢٥٣) ، وارباب الحرف (٥٤) شخصاً . ويوجد (٥٧٢٠) شخصاً يشتغلون تارةً بالزراعة ، وتارةً يظنون بلا شغل . وروى وجود (٦) اشخاص من طيب ومعلم . وغيرهم من ارباب الصنایع الحرة . ولا نرى حاجة للانارة على عدم صحة هذه الارقام التي خلقها التخمين الكيفي .

## ١٠ - الجدوال الصحية

ان البيوت في قصة بأنياس وان كانت منطبقة على القواعد الصحية غير ان وجود النيايح المتعددة في ضواحي القصة جعلها راطبة من حيث الموقع والهوا . وهذا وان كان للماء الخدمة الحسنة في تأمين نظافة القصة ولكن بما انه يسيل مكشوف المجرى معرضا للتدنس والتلوث . كان بمثابة الناقل للأمراض . ثم ما تحده تلك المياه حين سقى البساتين من القراوت ، والمستقعات التي تتراكم على ضفاف نهر ( حريصون ) لم تزل سبباً قوياً لسراية الامراض وتفشيا . ولهذا فان الحمى المرزغية هناك بمثابة مرض اهل . ولا بد ان يصاب بها نصف السكان في كل سنة . ثم توجد هناك امراض التيفويد والديزانتري وقد اصاب في السنة الماضية (٤٠٠) شخصاً بالاولى و «٥٠» شخصاً بالثانية . ويقول طبيب القضاء انه قد توفي من هؤلاء زهاء النصف . ويصاب في السنة «١٠-١٥» شخصاً بالامراض العينية ايضاً ولا اثر لغير هذه الامراض البتة .

وفي سنة «٣٣٢» دخل مرض القوليرة في قصة بأنياس وفك فتكاً ذريعاً . حتى انه توفي «٣٠» شخصاً من «٥٠» مصاباً ،

اما القضاء ، ففي انحاء الساحل منه لا تقطع اصابا الحمى المرزغية ولا سيما في «زلو ودير البشر وحريصون وقاموع وبعمرأيل ومرقب وبستان النجار» من القرى الساحلية ولا جرم ان نصف السكان في هذه القرى يصاب بهذا المرض في كل سنة . اما في سائر القرى من القضاء فيندر وجود هذا المرض .

وفي السنة الماضية اشتدت وطأة الحمى النمشية في هذا القضا . ويروى ان عدد الذين اصابوا بها ناهز «١٠٠٠» نسمة وقد توفي منهم قريب من النصف . واصيب بالقوليرة مقدار «١٠٠» شخص توفي بعضهم .

\*

\*\*

فاذا قارنا بين سكان القضاء من حيث الحالة الصحية ، نجد الاسماعيليين احسنهم وانعمهم . ويزعم طبيب القضاء ان السبب في ذلك هو اعتناء الاسماعيليين بالنظافة من جهة وطيب انحاءهم وقراهم التي يقطنونها من جهة اخرى . واحط طائفة في هذا القضاء من الوجهة الصحية هم النصيريون . لان موقفهم الصحي سافل جداً . ولا سيما فان حالتهم في السنين الاخيرة ازدادت ويلاً وتعاسة . ولا يوجد في القضاء من ما موري الصحة الا الطبيب وما مور التلقح . ولا توجد قابلة في كل القضاء . ولهذا فان النساء يضمن حملهن وفقاً للقانون الطبي .

## البحث المحلي عن الاسماعيليين

## ١ - اسمايليون يبروت

ان الاسماعيليين الذين يقطنون قضاء مرقب من عمال يبروت يختصون بناحيتين من هذا القضاء ، قدموس وخوابي . ومجموع سكان الناحيتين بالنظر للقيود الرسمية يبلغ « ٣٦٩٨ » نسمة . منهم « ٢٥٠٠ » في قدموس والباقيون في خوابي . فالذين يقطنون قدموس يشغلون مركز الناحية واثني عشر قرية من اعمالها . واهمها قرى [ الشجرة ، لصوراته ، كاف الحمام ، عقرزيتي ، قدموس ، زريقه ، قلعة العليقة ، حاسه العبلية ] .

اما الذين يسكنون في انحاء خوابي يشغلون (١٧) قرية . وهي [ عورو ، بطاحية ، عقرزيتي ، خوابي ، بري كيه ، بيت ديبه ، جماعية ، راس تركن ، خربة الفرس ، بيت سليم ، مازوغا ، بيت قاسم ، مجوه ، بيت الاسمر ، برمانه رعد ، البلوعة ، الزمامات ، العليه ] . وبعض هذه القرى يتألف من بضعة بيوت وبعض من (٣٠-٤٠) بيتاً .

\* \*

كما ذكرنا ان الاسماعيليين المقيمين في ناحيتي قدموس وخوابي هم قديمو العهد بتوطن هذه الاصقاع . نعم ذكرنا في القسم العمومي حين البحث عن الاسماعيليين انهم قديمو العهد وسكنوا البلاد السورية [\*] لاسيما وقد علمنا انهم تمزقوا ايدي سبا بعد اقتراض حكومة الاسماعيلية الشرقية وتشتتوا في الشرق الى بلاد الهند ، وفي الغرب الى بلاد سورية . فيحتل ان يكون هؤلاء من مهاجري الاسماعيليين في ذلك الزمن . ويجب ان نسلح بوجدوهم في هذه الاصقاع منذ تأسس مذهبهم لانه تأسس في قسبة السليمية . ولكن لا بد ان يكون عددهم يومئذ اكثر واوفر من عددهم اليوم . لاسيما اذ فكرنا بانهم اجهسوا صلاح الدين الايوبي مدة طويلة ، وعلى رواية حاربوا معه الصليبيين ، نعم انهم كانوا اوفر عددا واعظم شأناً منهم اليوم .



ولا يفوتنا ان الاسماعيليين اليوم يعيشون وهم على ما يبعث العجب من السكينة والهدوء. ونحتاج اليوم الى الادلة القوية، والبراهين التاريخية حتى نبرهن على انهم من احفاد اولئك الفتاكين والفوضويين السفاحين ومع هذا فان لهم اليوم موانع تحيل بينهم وبين التشبه بالاسلاف. ولا بأس ان نجعلها هنا اتماً للفائدة :

اولاً — ان الاسماعيليين اليوم ليسوا بطائفة عظيمة، وما عدا هذا فاقام محاطون بالاقوام الذين هم اشد منهم قوة واوفر عدداً .

ثانياً — انهم محرومون اليوم من البروتستانت الحريصين .

ثالثاً — ليس لديهم وسط مناسب تنفق فيه اسس الاسماعيلية الملوثة، وتزوج وليسهم باعادة مجددهم المضاعف .

رابعاً — ما زالت ترجمهم القراون بضربات الحية عديدة حتى الفت في قلوبهم رجساً تاريخياً يسلسل فيهم مع النسل .

ولهذه الاسباب لا نرى الاسماعيليين اليوم يشهدون على الملوك، ولا يتطاولون على السكان، ثم لا يخفزون لاحياء الاديان. بل انهم يكتفون بالاحتفاظ بما يقوم باذهانهم منه سراب ذلك المعتقد الذي كان حلم قديم ويتلهون بما يوحى الى قلوبهم من المتسلى الكاذب .

## ٢ — اسس الاسماعيليين الحالية

ان الاسماعيليين الذين يقطنون الاصقاع التي مر ذكرها ينقسمون الى فرقتين كبيرتين :

فالحجاويون منهم يسكنون انحاء خوازي والمويدانيون يقيمون في ناحية قدموس. واننا مرجح ان التكلم عن الفروق بينهما من حيث الدين الى البحث الآتي :

بيد ان لا هلم لتاريخ تأسس هاتين الفرقتين، ولا بالفاية والمقاصد التي اوجبت تكونهما ولا سيما غلو الاسماعيليين وافراطهم بملازمة الكتمان في عقائدهم الدينية، كان اكبر مانع لاتضاح هذه النقاط وانكشافها، وقد كان يمكننا ان ننظر لاسم (الحجاوي) و (المويداني) ونؤمل المسئلة بمداوله نختاره مناسباً لهذين الاسمين، من شخص او محل، ونحل المسئلة بقرائن الالفاظ البحتة. ولكن لا تكون لهكذا تفسير قيمة علمية ما لم يؤيد ببراهين ناصعة .

وليس لدينا الآن عن هاتين الفرقتين اللتين افترقنا بسبب تخالفهما في المعتقد، الا حقيقة وجودهما الراهنة فقط.

نؤيدونهم عن هؤلاء الاسماعيليين المقيمين في هذه البلاد فقلوبهم اكلوا وقيل خلدوا سنة محرومين من الانعام . ولهذا اخذوا يتحرفون لانفسهم اماماً ، ، ولما اشتهروا ان سلسوا سنة (١٢٨٣) بنجر شخص في بلدة حيدرآباد من اعمال الهند يدعى «علي» - تأثر عنه الاطالة الكاطبة ، حائر على الشروط والاضاف التي تخولها ان يكون اماماً وقبولة لهم ، وعليه ساءوا لاعداده وفد ، وارسلوه الى البلدة المذكورة ليدرس احوال هذا الشخص ، ويخبر هويته . ولكن لم ير الوفد المذكور في «علي» تلك الكفاية ، فرفض امامته . ثم علم بان شخصاً يدعى (محمد الحسن الحسين) ادعى لآمامة في بومباي ، فرائى الوفد ان يقطع ذلك البلدة وينظر في امر هذا الرجل ايضاً ، ويسبر حقيقته . فذهب اليها . وبعد ان استقصى احواله ، واطلع على كنهه الفاء حائراً على الشروط المطلوبة فبايعه بالامامة وقبيل راحصاً الى بلاده . واطلع ابنه دينه على الامر فأبدوا رأيه واحذوا منذ ذلك الزمن يرسلون زكّتهم الى «محمد الحسين» . ودام الامر على هذه الكيفية حتى سنة «١٢٨٨» هجرية حيث توفي محمد الحسين وخلفه من بعده ابنه «علي شاه» . وقد آمن بعض هؤلاء الاسماعيليين امامة هذا الخليفة ايضاً . وظل «علي شاه» اما حتى سنة (١٣٠٨) ، وفيها توفي وخلفه على الامامة ابنه «محمد شاه» . وهذا ايضاً بايعه الاسماعيليون واعتزفوا بامامته .

ولا يفوتنا ان الذين آمنوا بامامة هؤلاء الاثمة هم «الحاجويون» فقط ، اما الويدانيون فانهم يرفضونهم محتجين بانهم لا كفاية لهم . ولهذا قام التافس والجالال بين هاتين الطائفتين على ساق وقدم . حتى افضى الامر لاقافتهم على الاشتراك بتشكيل هيئة من كلتي الحزبين وتسييرها الى الهند لاجل استطلاع دخيلة الرجل ، واستكناه حقيقته ، وقصدوا بهذا التدبير قطع المشادات وتأمين وحدة الامة ، وضونها من الشقاق . ثم سارت تلك الهيئة سنة «١٣٢٢» الى الهند وقامت بواجبها ورحلت ، فكانت نتيجة ذلك ان قبل بعض السويدانيين بامامة (محمد عى شاه) وبعضهم ظل مصراً على رأيه الاول .

وقد فوض «محمد على شاه» الى «الشيخ احمد محمد» من اعضاء الهيئة ، رتبة يسمونها «مكة» وعززه بشخصين يدعى احدها «كامريا» والثاني «ياهي» . ويروى ان «مكة» هو الداعي و«كامريا» هو «وزير المينة» او «قاضي المال» و«ياهي» هو وزير الميسرة .

ويروى ان قد شد عضد «الشيخ احمد» ناخيه اسماعيل الذي سمي «سيب الدعوة» وقام الاخوان يدأبان لنشر الدين الاسماعيلي . واخذوا يشيدان المعابد ويعلمون الناس كيفية عبادة صورة «فوطوغراف» محج على ساء التي احضرها الشيخ احمد معه من الهند . وشروا يجمعان الاموال الطائلة باسم «الزكاة والتجوة» .

ولا علم لنا بمهاجرة الوظائف التي اختص بها كل واحد من هؤلاء الاشخاص الذين اتخذوا قصة «السليمية» — مهد ديانتهم — مركزاً لهم . ولا يبعد ان يكون رؤسائهم من «الدعاة» . واننا سنتكلم عن هذه النقطة حين البحث عن حالتهم الدينية .

وقصارى القول ان هؤلاء الاشخاص ما زالوا يتجولون في تلك الانحاء متظاهرين بالمشيخة يجمعون الاموال والامانات بمختلف الوسائل الى سنة (٣١٦) . ويومئذ ازمعوا على ايصال تلك المبالغ التي حصلت لهم الى «محمد على شاه» .

وعليه نهض الشيخ احمد محمد واخوه الشيخ اسماعيل وثلاثة اشخاص من حاشيتهم وحضروا الى طرابلس الشام ليذهبوا منها الى الهند . ولم تلبث الحكومة ان اطلعت على دخيلة امرهم . فقبضت عليهم وساقهم الى سجن الشام . وقد مات الاخوان في السجن وظل رفيقائهم الى اعلان الدستور حيث اطلق سراحهم . وكان بينهم الاخ الثالث للشيخ احمد . واسمه «الشيخ نصر» فذهب الى الهند وحصل على المشيخة ثم رجع وأخذ يسعى لجمع النقود كما فعل اخواه من قبل حتى حصل له مبلغ وافر . واراد ان يذهب الى الهند لايصال المال الى محمد على شاه ، ولكن اطلعت الحكومة على الامر ، فصادرت قسماً من ذلك المال واعادته ليصرف على تأسيس مدرسة زراعية في اللاذقية .

وقد توفي الشيخ نصر في العام الماضي ، ولم يخلفه الاّ ابن احمد ويروى ان ابن اخيه هو وكيله اليوم . والان يوجد بين اسماعيلي بيروت ثلاثة مشايخ ، اثنان منهم في قرية «خربة الفرس» وواحد في «عقرزني» . ويوجد في كل قرية «وكيل الشيخ» ايضاً . وهذا يدلنا على ان لهم اليوم نظام ديني يسود في جميع انحاءهم .

### ٣ - شكل الاسماعيلية اليوم .

[١] — اسمالة الاسماعيلية — نرى من الضروري قبل الافاضة بذكر ما حياءنا عليه من المعلومات عن الديانة الاسماعيلية ان نلخص ما طرأ عليها من التحول في هذه المادة التي اربت على عشرة قرون .

وقد اطلعنا المعلومات التي ذكرناها في القسم العمومي على ان هذه الديانة لم تتعطل بخصائصها واصافها المميزة التي كانت عليها ان انتشارها . بل لم تلبث مدة وجيزة حتى طرأ عليها التبدل والتغير . وهذا الدين الذي تزاى بزي الباطنية والقرامطة واحشيشية والبابكية وغيرها من الاشكال المختلفة ، وتطور باطوار شتى ، لم يمكث بضعة قرون الا ووصل الى شكل لا يمكن ان يشف عن حقيقته الاصلية .

كانت هذه الفئة فرقة من الشيعة تفرقت عن «الامامية» بالقول في امامة «اسماعيل بن

جعفر» فقط . ولهذا لم تكن في اعتقادهم بالرب ولا بالرسول قطعة توجب الاشتباه والظقة . ولم يكن « علي بن ابي طالب » رضى الله عنه لديهم الا خليفة واملم . وهكذا كانت الخلافة في اخلافه من بعده .

ولكن لم يلبث الذين ارادوا اتخاذ هذه الفرقة آلة لتنفيذ ما ربههم السياسية ، وتطمين مقاصدهم الدينية ان حوروا الديانة وقلبوا ساحتها . فدرسوا اولاً مسألة الائمة المستورة والظاهرة . ثم اتبعوها بدرجة الانبياء وجاءوا بالناطقين والاسس واشغلوا بها وبمدها الاذهان . وهكذا كان — كما فصلنا من قبل — محمد بن اسماعيل نبياً ناطقاً . ثم انتقوا من الانبياء ستة اقروهم على النبوة ، وحذفوا الآخرين الذين لا ريب في نبوتهم الى خارج العقيدة واستقطبهم من النبوة الى الامامة اى جعلوهم عبارة عن مساوين للانبياء .

ولم تلبث هذه الديانة ان صارت ممكنة للاسرار والغوامض واثبتت فكرة « النبي الناطق » و« المهدي » على الافكار . وقام اناس يزعمون انهم من سلالة علي ، وادعوا انهم ائمة في الظاهر ولكنهم في الباطن « النبي الناطق » السابع او « المهدي » المنتظر . وهكذا لم يألو جهداً بتأييد سلطتهم بتلك الصفات المضوية وبها تسقى لهم ان يقودوا اولئك الناس الغافلين ضالين ويجعلوهم تحت امرتهم وتصرفهم .

وعمر : ا الى القرآن ، والآيات الفرقانية ففسروها على اهوائهم ، وموهوا النصوص الصريحة بالالوان الباطنية ومسحوا الشريعة المحمدية حتى بدت عن اصلها او اضاعته بتأناً ثم توالى انتقاب وتتابع التحول حتى غدى مذهب الاسماعيلية عبارة عن طريقة وضعت للتملص من التكليف الشرعية . وهناك وضعت اسس الاشتراك في الاموال ، ورفضت المحرمات ، وابتاحت الاعراض وكانت النساء متاعاً مشتركاً .

ولم يمتص على هذا المذهب قرنان الا ودخل طوراً عجيباً بتأثير المذاهب والعقائد الاخرى وهض ذووه ، ولاسيما الائمة منهم ، فلم يكتفوا بالامامة ، ولا الخلافة وحتى ولا بالنبوة بل جعلوا انفسهم آلهة ، وزعموا ان الاله تجسد فيهم . وزعموا ان سلسلة هذا التجسد صرت بعلي بن ابي طالب فكان آلهة ، وانتقلت بعده لنيه وذويه حتى وصلت اليهم واستقرت فيهم ، وادعوا ان هذا التجسد كان قل (على) يتسلسل على هذا النمط ايضاً وبعد ان وصلوا الى هذه الوقاحة لم يبق لهم رادع عن ان يدعوا بان القدرة التي وضعت الشرايع وارسلت لرسول والانبياء ، ولم تزل تدبر الاكوان وتديرها هي عبارة عن شخصهم المقدس .

وقصارى القول ان هذه الديانة بدأت من امامة اسماعيل بن جعفر ، وشرعت بتقريب وتنحول حتى استقرت على عقيدة التجسد وكانت كلما آتست وسطاً صالحاً لنموها تشب

ويتجسد من ضلالي الناس اناساً ، ياتفوق حولها ويصبرونها . ولهذا يجب ان لا ننجس عن احضار اولئك الانماجيليين الموجودين في قضا\* من قرب لاذاً ينلهم متمسكين بهذه الهيدة صحتها تمسك بها غيرهم في حما ، وبلاد المعجم ، والهند . لان الجهل الاعمى الذي اجهى باسلافهم الى ثلاث العقيدة الوثنية ، لا بد ان يجبر هذه الطائفة المحرومة من كل علم ونور الى عين تلمس الاهوية ايضاً .

\*  
\*

ارانا البحث والتقيب الذي طالجناه هذه المرة في ديار الاسماعيليين ، براهين وادلة تدل على وجود عقيدتهم المذكورة التي اوجدتها استحاتهم الاحيرة . يقول ارباب الرأي في هذه المسئلة بوجود الفروق بين «السويديانيين» و«الحجاويين» من اقسام الاسماعيليين . ولهم ان الحجاويين يعتقدون بضرورة وجود رئيس ديني يدعى «قطب الوقت» ، اما الآن فلا يوجد هكذا شخص تتوفر فيه شروط هذه الرتبة ، ولهذا فانهم ينتظرون حتى يقبض لهم الزمن هكذا شخصاً .

ولكن لدى الحقيقة ان الحجاويين — كما بينا آفاً — يعتقدون بالوهية «محمد علي شاه» المقيم في بومباي . وهذا الشخص الذي يعتبرونه اماماً في الظاهر ما هو في الحقيقة الا شكل تجلّت فيه الالوهية . ويزعمون ان الالوهية التي تجسدت في «علي» لم تزل تتسلسل من نسل الى آخر حتى وصلت الى «محمد علي شاه» او بتعبيرهم «آغا خان» . ويفضل الحجاويين دعواهم على هذا الوجه قائلين :

— ليس من المقبول ، الاعتقاد بآله لا يراه النظر . اذ لا بد للاله ان يظهر لاجل تلقين الشرايع . ويتجسد في صورة شخص . فاذا كان المنسوب لملي ( ر . ع ) هو شكل تجسد فيه الالوهية .

هذا وان تكن هاتان الفرقان لا تختلفان في العقيدة الاساسية . ولكنهما يفرقان في تعيين كيفية التجسد . ولدينا براهين قاطعة تثبت اعتقاد الحجاويين بان «آغا خان» آله . وها نحن نذكر بعضاً منها :

اولاً — وضعهم اثناء التبعيد صورة «آغا خان» على مائدة ، وتوجههم شطرها وركوعهم وسجودهم لها .

ثانياً — تسميتهم آغا خان حين قرائة الادعية [\*] بالحق وروح الوجود ، والحي المبود .

- -

ثالثاً — كتابتهم على علمهم الذى اظهروه مدة قليلة بعد اعلان الدستور عبارة «لا اله الا السلطان محمد على شاه».

وهذه الادلة تظهر لنا شكل العقيدة الاساسية التى يعتقد بها اسماعيليو اليوم . وانما لا نعلم حقيقة الشريعة التى يمشى عليها «محمد على شاه» . ولكن يروى ان رتبة «مكة» هى عين النبوة . و«المكيون» مرسلون من قبل محمد على شاه ليصدعوا بالادعية التى رتبها . وقصارى القول ان هذه الروايات تعرفنا بان الاسماعيليين اليوم من خالص الوثنين . والبحث الآتى يبرهن على صدق هذا الادعاء بوضوح كامل .

[٢] — عبادة الاسماعيليين وادعيتهم — رغماً عن قيام بعض الاسماعيليين ببعض العبادات الاسلامية بالظاهر . فانهم فى الحقيقة يعبدون «محمد على شاه» الذى يتقدمون بربوبيته . لان القدرة على الاتابة والعقوبة منحصرة فى الشاه . ولهذا يخصصونه بعبادتهم ويطيعون اوامرهم لينالوا الجنة التى يزعمون اليها .

ان للاسماعيليين صلاتين فى كل يوم . الاولى وقت الفجر والثانية وقت المساء . وتمتد كل واحدة منهما ساعتين . ويؤدون هذه الصلوة فى محل يسمونه «المعبد» . وهو عبارة عن غرفة صغيرة لها بابان متقابلان ، مبيض داخلها بالكلس . معانة صورة «محمد على شاه» فى انسب موقع فيها . ولا يوجد فيها شئ من الزينة . مفروشة بمحصرتين موضوعة فى منتصفها مائدة من الخشب ارتفاعها (٣٠ — ٤٠) ساقية متراً وطولها متران وعرضها نصف متر . ولكل قرية من قراهم هكذا معبد .

يدخل الاسماعيليون هذه المعابد ابان العبادة ، ويؤلفون حلقة حول المائدة . وتوجد النساء فى آخر خلقة . ولا بد من وجود الشيخ ، او وكيل الشيخ فى تلك الصلاة .

وقبل الشروع بالصلاة يأتون بصورة (محمد شاه) من محلها باتم التعظيم والاحترام ويضعونها على المائدة . ويصرخ الشيخ «السلطان محمد على شاه» . ثم يشرعون فى العبادة ويسجدون . وبعد السجود يقول الشيخ «على الله» فيجاوبه الحاضرون بصوت واحد «صحيح الله» . وهكذا يتم الدعاء ويؤدون الصلاة . ويكون ركوعهم او سجودهم اثناء الصلاة عبارة عن انقاض رؤسهم تجاه الصورة . ويتلون كلمات [كار ، كرم ، رك ، شرم] اثناء الصلاة ويشيرون بايديهم الى رؤسهم ويمين صدورهم ويسارها على وجه التصليب . وبعد انتهاء الصلاة يضعون تقوداً فى اقواب المائدة .

والادعية التى تجب على الاسماعيليين تلاوتها اثناء الصلاة يتقبلها «المكيون» من محمد على شاه . وبعض هذه الادعية محررة فى لغة «اوردو» . وتوجد فيها جمل عربية

وفارسة أيضاً .  
وقد أئزنا ان ندرج صورة هذا الدماء الذى لم نحصل عليه إلا بشق الانفس بهيئها رغباً  
عما جاء فيها من الاغلاط الاستباحية . [\*]

### كيفية صلاة الاسماعيليه

[بغوان مولاها الهندى] ، [شيخ احمد محمد] ، [قابض مال شيخ نصر] ، [وزير المبصرة]  
الله مرياً مكة دعا برو كامرياً دعا برو باهى دعا برو

### جمله جوى دعا برو سلامة مولانا

سلطان محمد شاه على [ ويسجدون وعند القيام من السجود يقول الشيخ ] على الله [ يجيبوه الجماعة ]  
صحيح الله مولانا سلطان محمد شاه حاضر امام حق نام پيشاه [ عدد ١٠٠ ] شاه جى قبول  
كرى مولانا سلطان محمد شاه على [ ويسجدون وعند الرمع يقولون كما مر والبسلة والحمد لله ولا  
اله الا الله ] رحيم قديم كريم خداوند حضرت بزرگ باق پرور دغار ديلم ديس مان  
حاويسى بجهم ديسى خندراق سرى مولانا سلطان محمد شاه على [ ويسجدون ويتكلمون  
الافاظ كما سبق ] حق يا شاه حضرت داد ايبافت وسرى مئى قورب اكرى  
سن وسرى فريش رام ترس بو دثيت سام بسلام ملكان اسلام حاران سامان  
ساقان عدنان معدتزار مضر الياس مدركه خذيمه كنانه نضر مالك فهلوى  
قيرك مري قلا: لك قصى عبد مناف هاشم عبد اطاب ابوطاب وبى سرى حق مولانا  
مرتضى على حق مولانا شاه حسين حق مولانا شاه زين العابدين حق مولانا شاه محمد  
البافر حق مولانا شاه جعفر الصادق حق مولانا شاه اسماعيل حق مولانا شاه محمد  
اسماعيل حق مولانا شاه وفى احمد حق مولانا شاه تقى محمد حق مولانا شاه رضى الدين  
عبدالله حق مولانا شاه محمد المهتدى حق مولانا شاه قايم حق مولانا شاه منصور حق  
مولانا شاه معز حق مولانا شاه عزيز حق مولانا شاه حاكم حق مولانا شاه ظاهر حق  
مولانا شاه مستنصر بالله حق مولانا شاه تزار حق مولانا شاه هادى حق مولانا شاه مهتدى  
حق مولانا شاه قاهر حق مولانا شاه علا ذكرى لام حق مولانا شاه حلال الدين حسن  
حق مولانا شاه علاه الدين محمد حق مولانا شاه ركر الدين حيه شا حق مولانا شاه نمس

(\*) وضمت الاقدام التى تخص العادات بين قوسين وكتبت بحروف رفيعة . والذين استسخوا هذا  
الدعاء وضعوا ايضاحهم باللغة العربية . ونحن احتفظنا بالاصل .

الدين محمد حق مولانا شاه قاسم شاه حق مولانا شاه انشلام شاه حق مولانا شاه سلام شاه  
 حق مولانا شاه مستنصر بالله حق مولانا شاه عبد السلام حق مولانا شاه غريب ميوزا  
 حق مولانا شاه ابو التور على حق مولانا شاه مراد ميرزا حق مولانا شاه ذو الفقار حق  
 مولانا شاه نور الدين على حق مولانا شاه خليل الله على حق مولانا شاه تزار على حق  
 مولانا شاه سيد على حق مولانا شاه حسن على حق مولانا شاه قاسم على حق مولانا  
 شاه خليل الله على حق مولانا شاه حسن على حق مولانا شاه على شاه حق مولانا  
 سلطان محمد شاه صاحب الامر والزمان روح الوجود وحى معبود [ والسجدة ] اللهم  
 يا مولانا انت السلام ومنك السلام واليك يرجع السلام وعليك الف سلام حيناً ربنا  
 بسلام وادخلنا دار السلام تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والاكرام بفضلكم ورحمتكم  
 يا مولانا [ عدد — هـ ] بلطفك وكرمك يا مولانا [ عدد — هـ ] لا حول ولا قوة الا بالله  
 يا مولانا [ عدد — هـ ] ذود ذود فرياط يدمى يا مولانا اللهم يا سدى منك مددى وعليك  
 معتمدى اياك نعبد واياك نستعين يا ابا القوث اغنى يا على ادركنى بلطفك الحفى توأبى رحمتى  
 مرحمى سبحو محمد مرربى على محمد بك خدا حق شناس دفع بلا لا اله الا الله محمد رسول  
 الله مولانا امير المؤمنين على صحيح الله حسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير  
 غفرلك ربنا واليك المصير دعا پنج با جيجه ونيتى شاه جى درغامه قبول كرى مولانا  
 سلطان محمد شاه [ ويضعوا ايديهم اليين على الارض ثم يرفعونهم الى التصليب ويقولوا ] كار كرم  
 رك شرم [ وتم يضعون ايديهم بايدي بعضهم ويقولوا لبعضهم ] شاه ديدار [ ويسجدون ثم يرفعون  
 ويقولوا ] مولانا سلطان محمد شاه حاضر امام حق نام يرشاه [ عدد حب المسبعة ] يا شاه  
 فصل دهيك درغايك عمر دارك ايتنى كداريك پنج باهيك ديدار حوقيب كريم جيريكي  
 چو طفى موبكى موكدى مولانا سلطان محمد شاه على على الله [ سجد وحالة السجود ] بر  
 وكيل جمله ر قدر خيش خشن در خبد مرده بنده سرتنه غنا غار يا شاه توفخيش بخشى  
 هار مشكل واحسان مولانا سلطان محمد شاه على [ ويرفعون من السجود بسمله ] لا اله الا  
 الله الحى القيوم ملك الحق المين لا اله الا الله الملك الحق اليقين مالك يوم الدين الملى  
 العظيم لا اله الا الله الحليم الكريم لا اله الا الله محمد رسول الله مولانا امير المؤمنين صحيح  
 الله حقاً حقاً [ يحاويوه ] صدقاً صدقاً استغفر الله العظيم وبحمده لا اله الا انت سبحانك  
 انى كنت من الظالمين لا فتى الا تلى لا سيف الا ذو الفقار نادى مولانا على مظهر  
 الديجائب تجده عوناً لسا فى النوائب كلهم وغم سينجلي بولايتك يا على يا على  
 [ وينفخوا على اكتافهم وصدورهم ] على الله صحيح الله [ وبالصبح تسبيح ] نحييتنا  
 فى حضرة محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم حضرة مولانا مرتضى على حضرة  
 فاطمة الزهراء حضرة امام حسن حضرة امام حسين يا مولانا سلطان محمد شاه



علی [سجدہ] علی اللہ پیر جی پرنجی پیر اول نبی بر محمد المصطفیٰ صلی اللہ علیہ وسلم  
 پیر امام حسن پیر شاہ قاسم پیر جعفر شاہ پیر زین العابدین پیر امیر احمد پیر  
 سد کور نور پیر نور الدین پیر محمد المنصور پیر غالب الدین پیر عبد المجید پیر مستنصر باللہ  
 پیر احمد ہادی پیر ہاشم شاہ پیر محمد شاہ پیر محمود شاہ پیر محب الدین پیر خالق الدین پیر  
 عبد المؤمنین پیر اسلام الدین پیر صالح الدین پیر صلاح الدین پیر شمس الدین پیر نصیر الدین  
 پیر شہاب الدین پیر حیدر الدین پیر حسن کبیر الدین پیر تاج الدین پیر بندیدی مریدی  
 جوامریدی پیر حیدر علی پیر علاء الدین پیر بابا آغا ہاشم شاہ پیر محمد زمان پیر آغا عزیز  
 پیر آغا مہرب بیغ پیر آغا علی اکبر بیغ پیر آغا علی اصغر بیغ پیر امرزا شاہ علی پیر مولانا  
 سلطان محمد شاہ علی صاحب الامر حاضر جوق یارب بحق اونده قولہ قول سن بتول بخشی  
 مرہاء بفاطمہ تحت الرسول «سی» غزہ شہیدہ اولیا انبیا سنہ صوصو حسین بک لک توبی  
 ہزار پیر پیغمبر یا مولانا سلطان محمد شاہ علی [سجدہ] نجستباغ فی وباغ فنا دشمار دن  
 خابنجتباغ حق نام پیر شاہ [عدد المسبحة وسجدہ] دعا نیت خیر لاهی خیر عاقبت خیر ہمتان  
 خیر یا علی خو خیر اول خیر آخر خیر باطن خیر ظاہر خیر حقیقہ خیر کریم یا مولای  
 علی رسی شر ظالمک شہدکی شر شیطان شہدکی کریم یا مولای یا علی کریم خیر ویا تخی  
 خبر جی شاہ جی درغام قبول کری مولانا سلطان محمد شاہ علی اللہ میر یا علی محمد کت جملہ جی  
 مشکل احسان کری صاحب ستجوکان قول قبول کری صاحب راجیہ درکا بید درشاہ دیدار  
 نصیب کری صاحب شہیدہ یار کور جی اولاد جی کلام مہر سکسہ و جی صاحب اون بایخی  
 مین بہندار مین پرکتہ و جی و صاحب قرزینہ و زلای قرخیجنو اکار ساد کری صاحب جاخ  
 صاحب کت جملہ جی وان مرا دون حاصل کری صاحب سکوسو ری کری خیر بیدا کری  
 اللہ میر یا علی محمد کت جملہ جی و نیتی قبول کری مشکل احسان مولانا سلطان محمد شاہ  
 علی الاهی آمین شاہ غریب مندہ بفضلکم مولانا سلطان محمد شاہ حق نام پیر شاہ  
 [تسبیح بمد قلب المسبحة السجده] فرمان حقکم یا مولانا یا علی [عدد — ۱۳ صلوٰۃ]  
 اللهم صلی علی محمد وآل محمد [عدد — ۱۳ و بسجدوا] دعا نیت خیر الاهی خیر عاقبت خیر  
 ہمتا خیر یا علی صو خیر اول خیر آخر خیر باطن خیر ظہر کریم یا مولای علی کریم خیر  
 ویا تخی خبر جی [سجدہ و حالۃ السجود یقولوا] شاہ جی درغامہ قبول کری مولانا السلطان  
 محمد شاہ العلی [ثم یقول الشیخ] علی اللہ [یقولون الجماعۃ] صحیح اللہ بسم اللہ الرحمن  
 الرحیم مدد علی شفاعت رسول اطاعت خدا حضرة قبول بر سد کور نور نیفریاد برشی  
 شوتخی نیفریاد بر آقا علی اکبر بیس نیفریاد بر علی اصغر نیفریاد بر مزار محمد الباقر بیس  
 نیفریاد و برسی کال معطی سلامۃ نیفریاد بر مولانا شاہ حسن علی نیفریاد بر مولانا شاہ  
 علی شاہ نیفریاد بر مولانا شاہ حسن علی نیفریاد بر مولانا شاہ خلیل اللہ علی نیفریاد بر

## البحث المحلي عن الاسماعيليين

مولانا شاه حسن على نيفرياد بر مولانا سلطان محمد شاه على نيفرياد ابن اخي كلى  
باق لا اله الا الله محمد رسول الله مولانا امير المؤمنين على صحيح الله حي حيه فاهم  
[على كسف اليمين وعلى المال] شاه جى ودغامه قبول كرى مولانا سلطان محمد شاه على له  
سجودنا وهو معبودنا . انتهى .

\*

لم نستطع تحليل هذه الادعية التى يقرؤها الاسماعيليون فى صلواتهم والتى تنطق بكيه  
عبادتهم ولكن يتضح من تدقيقها انها تشف بمضمونها عن اسس الابعيلية ، ولهذا نرى  
ان نشير الى هذه النقاط .

اولاً — ان « محمد على شاه » الذى يسميه الاسماعيليون « الله ميريا » هو آله فى نظرهم  
لانهم يسجدون كلما ذكر اسمه ، ويسمونه ( صاحب الامر والزمان ، روح الوجود ،  
وحى معبود ) .

ثانياً — ان الوهية محمد على شاه انتقلت اليه من اجداده « من « على » ، ومن شيت  
قبله . ونا نجد عدة سلاسل من الانساب بعد ذكر السلسلة الاولى . ونرى فيها اسم  
« محمد المصطفى » ايضاً . ولكن السلسلة الاولى ، وما بعدها كلها تنتهى باسم محمد على شاه  
ثم يسجد له . وهذا يدلنا على رجحان محمد على شاه فى نظرهم على جميع من ذكر فى  
السلسلة . ولا بد ان يكون هذا الترجيح ناشئاً من اعتبار محمد على شاه « آلهاً مجسداً »  
يشغل الزمان الحالى .

ثالثاً — اذا نظرنا فى السلسلة النسبية التى ثبت ان محمد على شاه من نسل « على » ،  
وعلمنا شدة اهتمامهم بهذه النقطة نطلع على اهم الشروط التى يجب ارتيادها فى هكذا  
معبود هو امام فى الظاهر و« آله » فى الحقيقة . وهذا يدلنا على ان الاختلاف بين  
الحجاويين والسويدانيين لم يكن فى اصل العقيدة ، بل هو فى موضع تجلئ الامامة ، او  
بالاوضح فى شخص « محمد على شاه » .

رابعاً — يتضح من هذا ان مذهب الاسماعيليين انقلب عن حقيقته بما طرأ عليه من  
التحول والتقلب . واصبح بين شكله اليوم ، وحقيقته بالامس يون عظيم . وغدت قبة  
اسماعيل بن جعفر ، ومحمد بن اسماعيل عبارة عن كونهم اجداداً لمحمد على شاه ، ومراً  
تخطت اليها الالوهية الى هذا المقصود بالذات .

خامساً — لم نعر فى هذا الداء على السلسلة التى مر ذكرها فى القسم العمومى كاجب  
الناسط والاساس وغيرها . وهذا يدلنا على تحول العقيدة اليوم ، وعلى سقوط « الاسس  
والاثمة » عن قيمتهم الماضية .

سادساً — ان اتجاه جميع الادعية الى صورة محمد على شاه ، وتلاوتهم كلمات « كار ، كرم ،

وكذلك شرمهم ، واخذهم بالتصليب تجاه الصورة عنها يفضح عن المزاج هذه السليقة بالحقبة المسيحية . ويرينا فيها اوصافاً تدل على « الوثنية » .

وقصارى القول ان هذه الوثيقة تفصح عن ما يمسك به الاسلماعيليون اليوم من الاعطال المزيج ، ولو تسنى لهذه الوثيقة من يطلع على لغتها ، ودرست بلعمان لا جرم للحصول على الادلة الكافية التي تطلنا على حقيقة هذه الديانة اليوم . ولا ريب في ان الزمن سيمزق هذا الغموض عن تلك اللغة المتكتمة ويظهر اسرارها المظلمة وفضوحها .

[٣] — المظاهر الدينية — يتضح من الاجمال الذي بناه في كيفية عادة

الاسماعيليين وادعيتهم ان هذه الفرقة تفرق هذه العبادة عن السنين ، وعن غير المتغالين من الشعبين . وتفرق عنهما ايضاً بالعبادات الاخرى كالصوم والحج .

ويروى عنهم انهم لا يصومون في رمضان ، ولا يباؤون بقره من الصيام الذي قضت به الشرايع الاخرى . ولا يعثر بينهم على شخص حج البيت الحرام ، ويؤثر عنهم انهم يعتبرون زيارة « محمد على شاه » الموجود في يوبساي ، تنوب مكان « الحج » ، ويمتقدون الثواب الجزيل في تلك الزيارة .

ثم ان كلمة الشهادة عندهم ليست على حقيقتها ، بل هي محرفة . ويروى عنهم انهم يقولون ( لا اله الا محمد رسول الله ) . وهذه تشف عن مقاصدهم بصورة ظاهرة .

وهم يهتمون اهتماماً عظيماً بقراءة القرآن العظيم ، وتعليمه . ولا بد من وجود المصحف في منازل اكثرهم . ومع هذا فقد يؤثر عنهم انهم يهتمون بمعاني القرآن الباطنية ولا يباؤون بمولوه الظاهرى اما الزكاة ؛ فانهم يتوسعون في تفسير هذه الآية القرآنية ( واعلموا ان ما غنمتم من شيء فان لله خمسة وللرسول ولذي القربى ) ويمتقدون برحوب الزكاة في جميع اموالهم ، وحتى في المأكول ، ويرون تفرق الخمس من جميع ثقاتهم فرضاً محتماً ، من اهم من جميع الفرائض . لذلك لا يتراخون في امره . وارساله الى « الشاه » ويؤثر عنهم انهم يفرقون خمس التركة بعد الوفاة ، وخمس المهر ، ويوصلونه الى « الشاه » ايضاً . ويوجد لديهم مجالس تتألف من وكلاء المشايخ ، يرجعون اليها في الاختلاف في الزكاة ، ولا يكادون جهداً بالاسراع في ايفال المبالغ الى « الشاه »

ولا يفرق الاسماعيليون عن السنين في امر الزواج . وتجري عندهم قاعدة تعدد الزوجات . وتقاليدهم في الدخاح تدلنا على عدم تباينه لما نعهد . ولكنهم لم يعتادوا الطلاق ، بل كنفه بالهجر فقط .

وتجري بينهم عادة الحتان ، ويتمسكون بالمادة الاسلامية تجهيز الميت وتكفينه ولا يباؤون بتوبيخه في حديثه الى القبلة . ولا يرون لزوماً للتلقين ايضاً .

ولهم شذوذ في الوراثة. لانهم لا يشركون النساء والبنات في الميراث. فلذا لم يكن للميت وراث من الرجال تصير التركة الى « الرب » اى الى الشاء. واذا مات احد ولم يوص بحمس امواله الى « الشاء » يكون الشيخ قادراً على توقيف قسم من امواله، منقولة كانت او غير منقولة. ولهذا يوجد لديهم كثير من هكذا اموال موقوفة يناهز دخلها السنوى (٥٠٠) ليرة.

اما اعياد النصيريين فهي الاعياد المعروفة عند المسلمين. وعيد الاضحى عندهم اعظم شأناً من غيره. وكان لهم اعياد اقتبسوها من الفرس، واخرى من المانويين كالتوروز. وكان من عاداتهم ايقاد النار في هذا العيد. وايضاً كان لهم اعياد اخرى ورثوها عن الاقوام القديمة. وهى معروفة عند النصارى. منها « عيد الميلاد » (  *Noël* )، و « يوم القنص » (  *Fête de la Caille* )، و « يوم خميس العهد » (  *Fête de l'Épouse* )، وكانوا يحتفلون في ايام هذه الاعاد كل سنة. ولكن لم نثر على برهان يدلنا على تمسك الاسماعيليين اليوم بهذه الاعياد وتقديسها.

[٤] — الطعن في الاسماعيليين وقد عرهم — كنا ذكرنا ان بعض الفرق الاسماعيلية كانت تلقن مبدأ الاباحه في انساء، وتصل الى درجة تحليل جميع المنهات وانكرات [١]. فكان من المحتم علينا ان نعلم هل اخلافهم اليوم متهمكون بتلك العسلالة اقدمية ام لا؟ ولهذا عمدنا الى القرى التى فى جوارهم وسألنا من اهلها وتقينا عن هذه القطة تنقيباً دقيقاً. ونكى لم نثر على دليل، او اماره تدل على ارتكابهم تلك الرزائل الاخلاقية وذا على برهان يؤيد ما جاء فى بحث « الاسماعيلية » فى كتاب دائرة المعارف عن شؤون ايلة « عيد البقيشه » وعن عبادتهم لما لا يذكر من اعضاء مولودة تلك الليلة الضلالية. ولهذا فقد تركنا هذا البحث، واضربنا عن تفصيل ما جاء فيه من القول.

#### ٤ — الاموال الاجتماعيه فى الاسماعيليين

من المبعث ان نرتاد من حيث الحياة الاجتماعيه اوصافاً وسجايا خاصة فى الاسماعيليين القاطنين الانحاء الشرقيه والجنوبيه من انحاء مرقب، ويستعمل تفرقهم عن الساكنين والمارونيين والاوودودوكس، وحتى عن انصيريين الساكنين فى هايتك الانحاء. لاسب اذا اضربنا عن شذوذهم فى الدين لا نراهم من حيث الحياه الا عبارة عن قرويين خالصين

وجميع سكان هذه الأنحاء على وتيرة واحدة في الميكنة، ونسق اللباس، وكلهم منغمس في جهالة عمياء.

هذا وإن تكن القرى التي يسكنها الاسماعيليون طيبة المناخ، واكواخها نظيفة ولكنها لا تمشد عن الحياة الابتدائية بشئ.. ولباسهم لا يفرق عن لباس غيرهم، وهم يلبسون سراويل وقصان من البز وفوقها الصدر. وفي رؤسهم العمام، او العصائب (حطة) والعقل. ويوجد بينهم من يلبس الاردية الطويلة. ونسأؤهم يلبسون السراويل الضيقة الطويلة وفوقها الاردية الضيقة المذيلة بالخرم. ويعصبون رؤسهم بمساية، ويضعون القنق فوقها. ولهذا لا نرى لهم فرقا عن بقية القرويات وهكذا في وسائل العيش لا نجد فيهم فرقا عن سائر القرويين. لانهم اما يشتغلون بزراعة الحبوب او التبغ، او بغرس اشجار الزيتون او بترية دود القز.

وقصارى القول انهم لا يمتازون عن غيرهم الا بصحائفهم الدموية، واجسامهم القوية وطلعتهم الجليلة. واذا فكرنا بان قد بلغ فيهم العمى العامي والضلال الحياتي الى درجة اهوى بهم في غيابة الوثنية، يحصل لدينا فكر اجمالي بما يجب ان يكون لهم من الموقع في الحياة الاجتماعية.

ثم وان كان بعض الاسماعيليين منفصلاً بمقيدته عن بعضهم، ويتظاهر بالقيام ببعض الفرائض السنية، ولكن لا نحتاج الى تعميق الفكر لاجل الاطلاع على الاتحاد الروحي الذي غرست في نسلهم تلك الشدشة الغابرة.

وهؤلاء الذين لا يزالون يخوضون في واد خاص بهم من الافكار والميول وانحازوا بكتبتهم الاسود عن جميع من في حواريهم من طبقات البشر، لا تراهم يحبون احداً، ولا يرقبون الا ولا ذمة. ولهذا فلا يرون من مجاورهم الا عدم الاهتمام وعدم الرعاية. وان هذه الطبقة الاجتماعية، بل هذه الشرزمة البشرية الغريبة، التي انغمس كبيرها وصغيرها في قروية ساذجة داجية تتألف من ثلة من الاجسام، وطبقة من العضلات بصورة يكون من العبث ان نرئد فيها الزمر والاقسام، والفروق والشدوذ مع ما هي فيه من الوحدة الوصفية والجسمية.

هذا وان وجد في الحجاويين المشايخ ووكلاء المشايخ، ومثلهم في السويدانين من الاغنياء الذين لا يجاوزون في عددهم (١٠-١٥) شخصاً ممن لا يتبعهم شئ عن المثابة على استثمار اولئك الناس المحرومين من كل مدى ونور، على ما تقتضيه امواؤهم. ولتتهم ليسوا الا جزؤ قائم ظهر في ذلك الكل الدجوجي.

ولهذا يتحتم على هؤلاء المساكين ان يعلموا درجة انحطاطهم، وحاجتهم الى العلم والتور بما في ايديهم من تلك السلك القديمة الغليظة. وبما في ادمغتهم من العقائد السقيمة الصديئة

ليدسى لهم ان يكونوا تماثيل انسانية وادمغة مفكرة منارة بشموس المدينة تسى وراء  
وسبائل الحيلة التى لا تترك تلمع فى الآفاق المنيرة . والا فليعلموا ان الطبيعة تنفذ عدلها  
بالظلم ، وتطوح بهم الى الهاوى التى يهوى فيها كل من لا يملك حق الحياة .  
— ايمانك اللهم ، ما افطع ذلك السقوط . . . وما ادهشه ! ماذا عليهم لو فكروا ؟ . . .  
بهم . ماذا عليهم ؟ . . .

## -١٨-

## من بانياس الى جبلة

ان ايماننا الغرى « بانياس » التى كانها صيفية فى حضن البحر الازرق كانت زمن  
استراحة وسكون فى تاريخ سفرنا . ولشدة ما تكبدناه من انواع الحرمان منذ شرعنا فى  
السفر ، افينا هذه القصة النشطة الظرفية ، متناهية فى اللطافة بماؤها التى وخضرتها  
التاضرة .

لاسيما وقد لقينا فيها من حسن الوفادة والقبول ما زحزح عنا الهموم واجتذبتنا لحب  
هذه القصة التى كسخت عن نفوسنا وعناء السفر .

ولا جرم انها قصة لطيفة شائقة . ولاسيما الليلة الاخيرة التى مرت علينا فيها فقد خلدت  
فى خاطرتنا اعذب الذكرى . شهدنا فيها صحيفة قراء من صحائف الشرق الحية .

كنا فى ليلة من الصيف ثقيلة مسعرة ، ولا اثر فيها لما اعتاد ان يبعثه البحر الذى  
تغلغل فى الابعاد المجهولة من النفحة لعليلة . ولا محرك لذلك السكون السائد . ولم اد الى  
اى الآفاق ارسل القمر نوره فى هذه الليلة . وليس فوقنا الا السماء الرقيقة تبرىق فى كبدها  
الكواكب النيرة . ولا من صوت يمزق ذلك السكون الهادى الرهيب الا خرير ينابيع  
بانياس التى غدت تآز بصوت خفقه البعد .

وما كاد يقال لنا :

— هل لكم ، الى ان نذهب هذا المساء الى الينابيع ؟

الا وقلنا :

— نعم الرأى ، فلعلنا نشق شمة من هوا ، او رطب ارواحنا بما هنالك من نسيم

الينابيع البليل .

هنا نحن نمشى الهويناء فى طرق بانياس واماما المصابيح . وقامت على ايماننا وشمائلت  
البساتين باشجارها ، ولم يزل خرير الماء ينطبع على صماخنا ، تترج به حزمة من اصوات

الصراصر الزفيفة .  
 كنا نطفي ذلك التور الضئيل ونمشي مستصحيين وجهنا بانياس وحملة الليل تكمن من  
 بصرنا ، والهوا او بالاصح عدم الهوا لا يزال يتناقل على ادواحنا .  
 وما لبثنا ان وصلنا الى ينبوع . ورأينا هناك أكثر رجال بانياس جالسين على الحصار  
 المفروشة على ضفتي الماء . وامام كل واحد منهم نار جيلة يقرر بها ، ويجهد لان يزيح عنه  
 وطئه تلك الليلة المسعرة . ولا يفتأون يدلون بأيديهم الى الماء ويغترفون منه ويشربون .  
 ... كنا قافلين بعد ان جرعنا شيئاً من الرطوبة تحت انوار تلك الكواكب اللامعة ،  
 وفكرنا مشغول بهؤلاء القوم الذين قنعوا بما افاضته عليهم الطبيعة ، وكدنا نبتطهم على  
 سعادتهم بقبول ما تيسر من الحياة .  
 كنا نتسرب بين نسيج الشجر في ظل نور المصابيح ، واندفع من كبد الروضة صوت  
 مطرب . واخذ يرتل كلة :

— يا ليل ، يا ليل ....

وكان هذا الصوت الجهوري يمد فوق هدؤ الليل امواجاً ملوؤها الانس والطرب .  
 هذه ايامنا في بانياس قد انتهت . وهانحن نستسام الى سلطان اليوم ولا يزال ذلك الصوت  
 الرنان يمزق بامواجه حجب الظلام ، ويتحف صاخنا بنغمة تهبي لنا طيب الرقاد .

\*

استيقظنا صباح الغد ، بعد ما خضبت الشمس تيجان الاشجار ، ومرآت البحر  
 بضياءها الذهبي . وما كنا مسرعين في الرحلة . لان حيلة التي قامت على اقصى ذلك القوس  
 البحري ، ولاحت كنهها ظل اخضر . لم تكن شائعة في البعد . ولا سيما المسافة التي يجب  
 قطعها ما كانت عسرة .

تريننا مدة ثم امتطينا الجياد وغادرنا منازل بانياس البيضاء البسامة . وكان سفرنا هذا  
 بمثابة تجول صبحي .

وكان عن يسارنا بحر رائق ، هادي ، وعن يميننا افق شاحط وطريقنا من رمل نقي  
 وبلغ سرورنا بهذه الغدوة اللطيفة الى درجة جعلنا نتمنى امتداد السير مدة طويلة . وسرنا  
 نماشى الساحل ، فتارة ندوس بسنايك الحيل رؤس الامواج ، واخرى نعطف الى الداخل  
 ونتمن في الارقال متقربين من قرية « عرب الملك » التي قامت امامنا كروضة خضراء  
 وبعد ساعة وصلنا الى نهر « الجوبر » . وكان الوقت يمرمر السحاب ، ثم سرنا ساعة  
 اخرى . وهانحن ندخل قرية ( عرب الملك ) بينما كانت بانياس تلوح ورأينا كنهها ظل  
 ممزوج باليباض والحضار .

ووصلنا بعد هذه القصبة التي تبسم برياضها الفناء ، الى نهر سماه المؤرخ استرابون

«باداس» *Badas* ويسمى الآن «نهر السن» أو «نهر الملك»، وبعد أن قارنا هذا النهر بساعة وصلنا إلى هضبة تسمى «تل السوكاس»، ولم يزل طريقنا محتفظاً بنفسه، وربما كنا نمر من بين الحقول المزروعة عن يميننا وشمالنا وبعد ثلاث ساعات ونصف من مغادرتنا بانياس، عرضت أمام أنظارنا قصبة «جبله» وما لبثنا أن قطعنا جدول «عين البرغل» إلا وأنجبت أمامنا بوضوح كامل. وبعد مرتقى قصير قطعناه بمدة وجيزة دخلنا جبله وفي أنظارنا لمعة واضحة تشف عن ارتياحنا لهذه السفرة اللطيفة وسرورتنا بها.

## — ١٩ —

### جبله

#### ١ — موقع القضاء ومردده

ان هذا القضاء الكائن في الواجهة الجنوبية من مركز اللواء، شمال قضاء مرقب، بمحده من الشرق قضاء صهيون ومن الغرب البحر الأبيض.

#### ٢ — المساحة والسكان والاقتصاد الاداري

ان مساحة هذا القضاء بالنظر الى القيود الرسمية هي (٩٢٠,٠٠٠) دونم منها (٢٦٠,٠٠٠) دونم من الاراضي الصالحة للزراعة. و (١٥٠,٠٠٠) دونم من الاراضي الموات. و (١٥٠,٠٠٠) دونم ايضاً من الاحراج ومقدار الاراضي الاميرية يبلغ (٢٤٥,٠٠٠) دونم. والمضبوط من الاراضي الموقوفة يناهز (١٤٤,٠٠٠) دونم منها (٦٠٠) مربوطة بالأجارتين.

اما عدد سكان جبله الذين اشتهروا في جميع انحاء الولاية بخشونة الطبع. هو على ما يأتي :

٥٠٩٧	المسلمون
٢٣٤٥٣	النصيريون
١٠١	الاروام
٢٨٦٥١	يكون

وعدد لدات هذا القضاء كان (٤) سنة ١٣٢٨ و (١٩٩) سنة ١٣٣٠ و (١٠١) سنة



١٣٣٣ . انما الوفيات فكانت في هذه السنين الثلاث (١٩٤٠ و ١٩٤١ و ١٩٤٢) نسبة . وكان ليح  
 هذه المذاث (٣٣٨) فيين الوفيات (٣٣٣) نسبة من المسلمين . واليه فكون ملك القليل  
 الرسمية منحصرة في الطاقة الاسلامية التي تفضل ، ختم سكان هذه القضاة . انما لعدد  
 المذات والوفيات في المدينتين الذين هم في منزل عن سيطرة الحكومتين وقدرتها ، والذين  
 يشغلون (٨٥) في المائة بين صوم السكان ، لا جرم ، هذا اعظم بكثير مما يحيطه القصور الرسمية  
 ونرى في كل قضاء من اخصية الولاية زيادة في السكان في السنين العشر لا يقل مقدارها  
 السنوي عن بضع آلاف من النسمات رغمًا عن الاهمال ، وما هنالك من عدم الاعتناء بالشروط  
 الصحية والاجتماعية . ولكن الامر في قضاء جبلة على عكس ذلك لان عدد سكانه سنة (١٣٢٦)  
 كان كما حرر في قويم الولاية (٣٠١٩٨) نسبة ، ثم اقلب هذا العدد سنة (١٣٣٢) الى  
 (٢٨٦٥١) نسبة . وهذا من الالغاز التي لا يستطيع حلها الرياضيون . لاسيما وان المهاجرة  
 التي قشت في انحاء بانياس وطرطوس لم يكن لهذا القضاء منها نصيب يذكر .  
 ولا يوجد اثر للتأحيات في هذا القضاء . ولا جرم ان اهال امر النصيريين الذين لا  
 يفتأون بجاهرون السلطة العامة بالعصيان ويأبون اداء الضرائب وايفاء الجدية . لا ينطبق  
 على حكمة الحكومة البتة .

اول ما يتحتم علينا هو تأمين الامن ، وتقرير الانتظام في تلك الاصقاع الجبلية التي  
 تركت محرومة من الآثار النافعة ، والمعاهد العلمية والعمرائية منذ قرون متسدة .  
 وهذا السبب الذي جعل الاحوال العمومية في هذا القضاء بعيدة عن كل صلاح وسكينة .  
 وان التراجع في ما يجب التذرع به من الوسائل لتزويد الغلال الزراعية ، وتحسين نوعها  
 يتوقف على تأمين الامن وتقرير الانتظام .

فكم من الاراضي الصالحة للزراع في هذا القضاء لا تزال برآ بسبب جور 'ولئك  
 الاشقياء' الجليين وطغيانهم . وري اكثر لاغباء في حيلة يضطرون الى بذل العطايا الوفرة  
 الى متغلبة النصيريين ، ويلوذون بظل قدرتهم العمياء ليتسنى لهم الحصول على مزرع عاتهم ،  
 انكي لا يصيبهم كيد اولئك الظالمين . فهل يليق بنا اها . هذا الامر الويل ، الذي يذكرنا  
 بالاجيال المتوسطة .

ونرى الآراء متضاربة بخصوص الوسائل التي يجب التذرع بها لحل هذه المعضلة  
 الاجتماعية . فمنهم من يقول ان هؤلاء الجليين الذين وافقت مناعة جبالهم خشونة طباعهم  
 فاوغلوا نابي والطغيان ، واصبحوا بعيدين عن قبول الانتظام والضبط يجب تبديلهم بقوم  
 مفطورين على الهدوء والسكينة . ثم يقول اناس ممن اهم رابطة بهذه الاحوال ، بوحوب  
 تشكيل تأحيات في بني على والقرا حلة والكبيبة والسمنت القيا ، ليتسنى بها للحكومة ان  
 تنفذ بسطوتها الى اعماق هذه الجبال وتضرب على ايدي اولئك الطغاة . ولدينا ان هذه

الوهابائل الا ترضى الفتن برنادون هلامة المظهر وسعادته، ويطلبون تماليه وبقومه، الذي راعى  
 بالانقياد، ولم يدرى لاروصلنا الى هذه الضاية السيدة صرف بضع مئات من اقروش في كل  
 شهر، فتأسيس النواحي في تلك الشعوب الجبلية التي ملئت بالشقاوة . . .  
 وقيل بضع مائة يوشر بتشكيل ناحية في جهة الكلية، فنار الجبايون هناك وابوا على  
 الحكومة هذا العمل فاضطرت الى صرف المظر عنه بعد ما اعدت المدير وارسلته . وان  
 الوسيلة الوحيدة لتخليص هؤلاء الجبلين من هذا المرض الاجتماعي، هو تميميد الطرق  
 وتأسيس المدارس . فالطرق توصل القروى الى انحاء الساحل فيحرك بسكانه الهادئين،  
 ويشاهد ما لديهم من الانتظام الحياتي، ويتمكن من بيع غلاله بقيمة عالية، ويرى الارواح  
 العظيمة فيشرع بتقدير قيمة الحياة . ثم اذا تذرعت الحكومة بالوسائل التي تردع افراد  
 الدرك « زامداره » عما اعتادوا على ارتكابه من الظلم والجور . فلا يلبث الجبلون برهة  
 وجيزة الا وتركوا سلاحهم، ويسلكون طريق الهداية والوصايا . ثم ان تأسيس مدارس  
 داخلية في انحاء بني على الكلية والقراحة . بشرط ان تكون كافة لوازم التدريس متوفرة  
 فيها لا جرم تأتي بفائدة عظيمة . وهكذا فعل حكومة الروس في تمدين القبائل الوحشية  
 الساكنة في الانحاء الشرقية من بلادها فانها قابلتهم بالمدارس قبل كل شيء . وقطعت ثمرة  
 مهمة . وبعيد عن القروى الذي يقدر منفعه، ويعلم انه يستفيد من رقي بلاده ان يحل  
 بانتظامها او يعث بانيتها وسكونها . فتأسيس المدارس في الاصح التي سبلت عليها ظلمات  
 الجهل، هو بمثابة انارتها بمصابيح الارشاد والهداية .

ومركز القضاء هو في قصبة جبله الواقعة على ساحل البحر في الجنوب الشرقى من اللاذقية  
 على بعد (٢٠) كيلومتراً، والكائنة على (٣٥٢١) درجة من الرض الشمالى و(٣٣٣٧) درجة  
 من الطول الشرقى . وهي مبنية في مرتفع يصل البحر لسهل منبت طوله ست ساعات  
 وعرضه ساعة ونصف . وهي طيبة الماء وجيدة الهواء .

وهذه القصبة التي قامت على انقاض بلدة ( كيلا ) الفينقية . وميت لدى العدم  
 « غالبالوم J. P. P. » . اسسها جوستينيانوس قيصر البيزنطيين مع كثير غيرها من البلاد  
 السورية . وفتحها « عبادة بن صامت » [\*] الذى ولجه ابو عبيدة بن الجراح « رضى الله  
 عنه » بفتحها سنة (١٧) هجرية .

(\*) هو ابو الوليد عبادة بن صامت الخزرجى من اعيان الصحابة ، ومن حفاظ القرآن في عصر المعادة  
 حضر الشام بعد ان فتحت في عهد الفاروق ، ومعه معاذ بن جبل وابو الدرداء ليعلموا القرآن للناس .  
 وذهب الى انحاء حمص ، ثم رجع الى فلسطين . وقد اغضبه معاوية فرجم الى المدينة ، ولكن ما لبث  
 عمر رضى الله عنه ان رده الى الشام وارسل كتابا الى معاوية قائلاً ليس لك من سلطان على عبادة بن  
 صامت ( ثم توفي سنة (٣٤) هجرية في الرملة او في القدس .

ثم استردها الا وام سنة (٣٥٧ هـ - ٩٦٩ م) . ولم يلبث ان تظلمها اسمهم ( ابن ضليغة التوخى ) قاضى جبلة سنة ( ٦٨٣ ) . وعاود الصليبيون عليها الكرة سنة ( ١٠٩٩ ) ميلادية فدخلتها جنودهم فى قيادة « بوهه موند » حاكم تارانت ، و « ده يموند الرابع » حاكم طولوز وكانت يومئذ تسمى « *Libel* » . ولما فتحها صلاح الدين الايوبى سنة ( ١١٨٩ م ) كانت فى ادارة فرسان هوسپتاليه . ويوجد فى الجانب الشمالى منها مسرح للتمثيل من آثار الرومانيين لا تزال له بقية ، وقد حوله الصليبيون الى قلعة حصينة . ولا اثر اليوم لبروج الملة . وقد سورها الصليبيون بسور يشبه سور طرطوس مبنى بحجارة كبيرة ولكن قضى عليه مرور الايام بالخراب . والرفأ الصغير الذى اوجده الرومانيون وبنوا فى مدخله رجلاً لحمايته هو اليوم مردوم بالرمل اكثر من نصفه . ويوجد فى هذه القصبة مزار السلطان ابراهيم بن ادهم ونجاعة . وقد جاء فى قاموس الاعلام عنه [ انه كان من اولياء القرن الثالث الهجرى ، وهو ابن احد الملوك فى ( بلخ ) ، وبينما كان ذات يوم يركض وراء الصيد سمع هاتفاً من ورائه يقول [ ألهذا خلقت ؟ ... ] ، وعلى رواية اخرى انه رأى رؤيا اشعرته بالزهد وترك الدنيا ، فغادر قصور ابيه وهام على وجهه وراض نفسه بالعبادة فى الجبال والكهوف مدة ثم قصد مكة ولبث فيها برهة وصحب الائمة والاولياء ثم قفل الى الشام وبقي هناك الى آسر عمره حتى توفاه الموت سنة « ٣٦١ » هجرية . وقد تضاربت الروايات بشأنه ، حتى عسر انتقاء صحيحها . وقد اكتفينا بهذا المقدار منها . ولا ريب فى انه كان من الصالحين الذين ضرب المثل بزهدهم ] .

### ٣ - الاموال الطبيعية فى القضاء

ان اراضى هذا القضاء تتألف من بعض جبال التصيرية ، ومن السهول الممتدة على طول الساحل . وهى خصبة منبئة . وثلاثة اخماس هذه الاراضى مبنية عن الوعود الجبلية وخمسها عبارة عن السهول البحة . وارتفاع جبال التصيرية التى تمتد من الشمال الى الجنوب يتراوح بين « ٥٠٠ و ٦٠٠ » متراً ، وعلى نقطة فيها تبلغ ( ١٠٠٠ ) متر فى جبال الذئب اسيرة . وربما يبلغ ثخن طبقة الثلج الذى يسقط على النقاط المرتفعة فيه الى « ٢٠ » ساقية متراً . ويوجد فى القضاء « نهر السن » المعروف بوفرة مياهه والذى يفصل القضاء عن قضاء مرقب . ويوجد فى الناحية الجنوبية من مركز القضاء جدول « برغل » و « جوبر » ، وفى الجهة الشمالية جدول « الرملى » و « العثمانية » . ولا اثر هنا للمستنقعات التى توجد فى انحاء طرطوس وترهق سكانها الضرر العميم .

## ٤ - الاموال العمومية في القضاء

ان سهل جبله الذي هو من اخصب البقاع في لواء اللاذقية تبلغ مساحته مع سفوح الجبال ٢٥٠٠٠٠٠ دونم ، ورغمما عن اتساعه بهذه الدرجة ، ووجود المياه التي تقدم باروائه لا يزرع الا خمسه فقط . وبسبب ذلك هو سقامة الاصول في التملك ، لان جميع هذه الاراضي الخصبة تملكها اسرة واحدة . ويستحيل على هذه الاسرة رغمما عن غناها ان تستطيع اعمار جميع هذه الاراضي ، ولاسيما بتلك الآلات الزراعية السقيمة التي تستعمل الآن . ومن المحتم ان نحكم على عقامة الزراعة ، وعدم الاستفادة من تلك الاراضي الخصبة مادام اصحاب الاملاك عبارة عن افراد ممدودة ، لا يدركون منافع الاصول الفنية في الزراعة .

ويحصل في هذا القضاء من الحبوب القمح والشعير والذرة ، ولاسيما التبغ والتبناك . وزرع في السنة الواحدة مقدار (٥٠٠) دونماً من التبغ و(٣٠٠٠) من التبناك . وكان محصول الاول (١٥٠٠) والثاني (٨٠٠) قطاراً . وقد بيع في السنة الماضية كل قطار من التبناك بثلاثة الاف غرشاً دراهم تقديريه بعد ما كان يتراوح ثمنه في السنين السالفة بين (٨٠٠ و ١٢٠٠) غرشاً . وقد بيع سنة ١٣٣٣ كل قطار من التبغ بثلاثة آلاف غرشاً دراهم نقدية . وينقسم التبغ الذي يزرع في هذا القضاء الى نوعين (حسن كيف) و(مشروب) . اما نوع (حسن كيف) فانه يكون شديد الحدة . وكان قيل الحرب يسانى برمته الى مصر ويباع قنطاره بالفي غرش وقطار المشروب بثلاثة آلاف اما اليوم فان ادارة الدخان والرزي ، تباع جميع المحصول ، وتعمل منه السجائر في معمل حطب والشام .

وتجبة التبغ كادت ان تنحصر في النصيريين الذين يهتدون على شرطة التبغ (قوچي) . ويكثر الاتجار بالتبناك بين المسلمين المقيمين في جبله . ويزرع التبغ في انحاء الجبال لانه لا يحتاج الى السقي كالتبناك .

ويدعى بثوق ان عدد الذين يعرفون القراءة والكتابة يهز النصف في سكان مراكز القضاء ، اما في القرى فلا يتجاوز اثنين في المائة . والمدارس الموجودة في هذا القضاء لا تقوم بالحاجة الى تعميم المعارف والعلوم الابتدائية بين هؤلاء القوم الجاهلين . وعليه فدرستا الذكور ومدرسة الاناث الموجودة في مراكز القضاء ، ثم المدرستان الموجودتان في القرى لن تكون كافية لتعليم سكان القضاء الذين اناخ عليهم الجهل منذ قرون عديدة . فليسنا اليوم في المعارف ايضاً لا تكفي لسد العوز ، وتخليص هؤلاء اقوام الجاهلين من مخالب الجهل الفاتك .

## ٥ - السهول الزراعية في قضاء

ان الغلال الزراعية على الحد المتوسط في قضاء جبلة هي على الوجه الآتي :

جنس الغلال	كمية
القمح	٩٦٠٠٠٠
الشعير	٢٨٠٠٠٠
الذرة البيضاء	٩٠٠٠٠
الذرة الصفراء	٥٠٠٠٠
الطحس	٦٠٠٠٠
السمن	٢٠٠٠٠
المعوس	١٠٠٠٠
الجلبان	١٠٠٠٠

## ٦ - منظر جبلة وضواحيها ومخطوطها التاريخية

ان قصبة جبلة التي تمتد من الشمال الى الجنوب على ساحل البحر الابيض محاطة من الشمال باتقاص قلعة قديمة وحقول مستديرة ، ومقبرة ثم الجامع الذي يسمونه « السيد ابراهيم ادهم » ومن ورائه بساتين الفواكه ، ثم منبع « ابراهيم ادهم » ، ومن جهة الشرق بحقول سهلة تمتد مسافة ساعتين ، ومن الجنوب بالبدساتين ايضا ، وبمقبرة ثم من ورائها السهول التي تمتد الى بانياس ، ومن الغرب بالبساتين والبحر .

وهذه القصبة التي يبلغ طولها من الشمال الى الجنوب كيلومتراً ، وعرضها من الغرب الى الشرق نصف كيلومتر قائمة في منتصف ارض فسيحة ولهذا كانت جهاتها الاربع مفسوحة عنها . فهي تطل من جهة اشرق على جبال النصيرة ومن الشمال على جبال « صهيون » وذروة « جبل الاقرع » ، ومن الجنوب على قلعة « مرقيب » وجبال ضنية ، ومن الغرب الشمالي على قصبة اللاذقية .

وهي بيوتها التي تناهز الالف منقسمة الى محلتين مهمتين . « المحلة القبلية » او « محلة الجامع » في الجنوب ؛ و « محلة الشمالية » او « الصليدية » في الشمال .

ويوجد في هذه القصبة جامعان جامع « السيد ابراهيم » و « المنصوري » . والثاني منهما قائم في منتصف القصبة يفصل المحلتين عن بعضهما . ثم يوجد فيها من المساجد : مسجد « القنطاري » و « بني علي اديب » و « الغزالي » و « الأكراد » .

ثم اذا اضفنا لهذه البنايات ، دائرة الحكومة الكائنة في الجهة الشمالية وبضعة منازل لوجود هذه القصة ، يتضح لنا بجمال عمراتها ورسم بنايتها . وهذه البنايات كلها على الفسق القديم ، الا بضعة منازل منها بنيت على الطراز الحديث ، بسطوح قرميدية . وجميع هذه الابنية مشيدة بالحجارة وسطوحها مطلية بالمدسة ، وهي عبارة عن مزيج من الكلس والرمل والحصاء تغطي به تلك السطوح ثم ترص . ولهذا ظهرت تلك القصة بمنظر ابيض . ويوجد فيها مقدار مائة دكان . ومعظمها في الحلة الشمالية . ولكن هذه الاوكان التجارية هي على شكل ساذج بسيط .

اما طرقها الخارجية فيوجد في شمالها طريق اللاذقية الذي يبدأ من امام دار الحكومة ويتجه الى الشمال . وطريق بانياس الذي يتجه الى الجنوب ثم طريق حما الذي يتجه الى الشرق . وتوجد داخل القصة طرق عديدة ولكنها ضيقة ، وغير منتظمة ، وهي مسرب لجميع المياه الوسخة ترتكم فيها كوم الاوساخ ، وتربض في اكنافها الحيوانات والمواشي . ولهذا لا يسوغ لنا ان نسماها طرقات . وان هذه الطرق التي جعلت جبله مركزاً للعفونة والاساخ هي لا جرم من اكبر المشينات لهذه القصة . مع ان لها رياضاً ناضرة تحيط بها ، من الشمال والجنوب والغرب . وعددها يناهز العشرين . وكلها نظيفة لطيفة .

اما ماء القصة فانه ينقسم الى قسمين ، الاول الماء الجارى . ومنه « نبع الفوار » و « نبع البركة » و « نبع الجباب » ، وهذه النسابيع تنبع من شرقي القصة بشعر دقائق . وتتحد قريباً منها وتمر من البساتين الشمالية ، ويمر فرع منها بجامع السلطان ابراهيم ، وبحمام القصة ثم يصب في البحر .

ويوجد في الجهة الجنوبية من القصة « نبع القاموع » و « عين ام عيسى » . وهذان يمران على بعض البساتين ويصبان في البحر ايضاً . ويوجد في الجانب الشمالي على بعد يسير منها « ماء الخرخار » و « ماء النفع » وهما يمران بالبساتين ايضاً ثم يعطفان على نهر « الرملى » الواقع في شمال القصة بمسافة ربع الساعة ويصبان فيه . وبهذا تكون جميع المياه الجارية في جبله خارجة عن البلدة . ولا يستفاد منها الا باسقاء البساتين وتدوير الطواحين اما القسم الثانى من مياهها فهي غير الجارية . وكل المياه التي يستعملها سكان القصة هي من هذا النوع . فيوجد في كل بيت بئر يتراوح عمقه بين ( ١٠ - ١٢ ) متراً . ومياه هذه الآبار عذبة ، صالحة للشرب والاستعمال . ولهذا فان هذه القصة سعيدة بتلك النعمة الحيوية .

ونقول قبل اتمام هذا البحث ، ان لهذه القصة\* التي سماها الاقدمون *Gabalata* ، من المقاصف الطبيعية ما يكون تمثلاً لللطافة لو تسنى له قليل من سقى . فرأس البساتين في

المنطقة و « الإمبراطورية » و « الساحل » في الجنوب ، و « الميدان » على ساحل البحر كلها من الجبال التي تكون بضرة في جبين هذه القصبه لو ان لها يداً عاملة .

## ٧ - الاموال الاجتماعية .

[١] - الاموال الاجتماعية في جبل - ان جميع سكان هذه القصبه من المسلمين وعددهم يناهز ( ٥٠٠٠ ) نسمة . ويمكن تقسيمهم من حيث الحياة الاجتماعية الى ثلاث طبقات :

الطبقة الاولى تتألف من امرتين يبلغ عدد افرادها الى « ٢٠٠ » نسمة . ويرى انهما حليون . ويوجد بين هاتين العائتين اللتين تشتغلان بالتجارة والزراعة . بعض افراد لهم من الثروة ما يقدر بخمسين الف ليرة . لا سيما الاسرة الاولى ، فان املاكها تمتد على طول الساحل من قرية « حمام » الكائنة في الجهة الشمالية على بعد ساعة من جبلة ، الى قرية ( حريصون ) الكائنة على بعد ساعة من بانياس . وعلى هذا تكون الاراضي التي تملكها هذه الاسرة عبارة عن « ٧٠ » في المائة من عموم اراضي القضاء الصالحة للزراعة . ويرى ان هذه الاسرة لم تكن غنية الى هذه الدرجة من قبل . ولكنها حصلت عليه منذ تولت لوقف السلطان ابراهيم . على اننا لم نثر على البراهين التي تؤيد صحة هذه الدعوى اما الاسرة الثانية ، فمنها اماس تناهز ثروتهم ( ١٠٠٠٠٠ ) ليرة . والاراضي التي في عهدها اشغل ( ١٠ - ١٥ ) في المائة من مجموع اراضي القضاء الصالحة للزراعة .

وكل من افراد هاتين العائتين يرتدى الرداء العلمي . و اكثرهم درسوا العلوم الابتدائية في المدارس الاهلية ، وبعضهم متخرج في مدرسة الادب . ولهذا فان جميع رجالهم يعرفون القراءة والكتابة . اما نساؤهم فلا حظ لهن منها . ولهذه الطبقة تمسك شديد في الدين ، وعيشتهم بسيطة . و عرفون بالزهد والقوى والعفة والجحود الى السلم . ولهذا السبب لا يظلمون المزارعين والقرويين رغماً عما في ايديهم من الااضي المسيحية ، ولا يؤثر عنهم ايقاع الفساد ، وارتكاب التزوير في القضاء . وهذا الدين والسلم في هؤلاء الذين شذوا عن سائر المتمولين في الاقضية الاخرى لا يبعد ان يكون سبباً عن خشونة طباع القرويين هنا . لان جميع سكان هذه الديار من التصيريين الذين عادوا على الاعتصام بالجبال ، ولا جرم انهم لا يخضعون لسلطة هذه الفئة الخليفة العالم . ولهذا نرى ارباب اليسار هنا مهضومي الحقوق في اكثر الاحيان . وهؤلاء المتمولون الذين لا يهمهم الا الاتحواذ على الاراضي الواحة لا يريدون ان يفكرها هل عندهم قوة تمكنهم من ادارة تلك الاراضي

ام لا؟ وهم لا يستطيعون زرع جميع هذه الاراضي، ولا يتقبلون على اقل من القسم الذي يزرعون منها. ولهذا لا تزال ثبور الاراضي من جهة، وقصور الاستفادة الكاملة من جهة اخرى. فتنسرق نصف غلالهم قبل ان يعلموا مقدارها، ثم تذهبها الشركاء على يادها، وياتخذون منها اجرة الدراسة ورعى الماشية، واجر الحراثة وغيرها من وسائل النهب حتى لا يكاد يحصل رب الملك الا على اليسير منها. وهؤلاء يجتنبون اغصاب النصيرين، ويخشون ان يشربوا اطعمهم لدرجة يرون فيها الاكتفاء بما يحصل لهم نعمة ضافية، لانهم مستيقنون بان لو حركوا غضب النصيرين لآل امر ملكهم الى الزوال او الى الاغصاب والحرب وقصارى القول ان الاراضي التي تملكها هذه الطبقة ما هي الا مأكلة لعشيرة بنى على من قبيلة «الحدادين» النصيرية.

ولبعض منسوبى هذه الطبقة فى جبله منازل فخمة تناهت فى العظمة تقدر قيمتها بعشرات الالوف من اللارات. منقسمة الى قسمين يختص احدها بالنساء، والثانى بالرجال. ولهذا لا تزال ابوابها مفتحة للضيوف والزائرين. لاسيما فى الليل فانها تكون اندية تجتمع فيها اغنياء القصة وجوهرها.

اما الطبقة الثانية فهى عبارة عن المتوسطين ويبلغ عددهم الى (٣٥٠ - ٣٠٠) نسمة فيهم خسون من الرجال، وهم يشتغلون بزرع التبغ والتبناك وتاجرة بهما، وبعضهم يشتغل بالاخذ والاعطاء، وحوادث خاصة. ومقدار الاراضي التي يزرعها افراد هذه الطبقة لا يتجاوز عشر الاراضي المزروعة فى القضاء، وثلاثون او اربعون فى المائة من هؤلاء يعلمون القراءة والكتابة بدرجة بسيطة. اما نساؤهم فلا حظ لهن منها. وهؤلاء ايضا لهم النصيب الاوفى من القناعة والجحوش الى السلم كارباب الطبقة الاولى. ولكنهم اشد امساكا وابس يدا منهم. ودأبهم الحلول فى افراد الطبقة الاولى والحصول بهذه الوسطة على الميزة وسمو الموقع.

اما الطبقة الثالثة، فهى السواد الاعظم فى هذه القصة. وعدد افرادها يقرب من (٤٥٠٠) نسمة. وهؤلاء يحصلون على عيشهم بكد يمينهم. واكثرهم يشتغل بالزراعة والحراثة. وهم من الجهل والذلة، والكسل والفاقة فى درجة لا تخفى على كل من رآهم لانها مرسومة على صحافتهم ونواصيرهم بصورة واضحة. وهذه الفئة التي جعلت داخل بلدة منغمسا بالوساخة والندارة هى فى الدركة السفلى من سؤ العيش والحياة. ولا يعثر بينهم على خمسة فى المائة ممن يعرف القراءة والكتابة. ومصارى القول ان الحياة الاجتماعية فى هذه القصة هى على اسوأ ما يكون من الحال من حيث المجموع. ولا تناسب بين هؤلاء القوم لانهم اما مفروطون فى القضاء، او مدقعون فى الفقر. ولكنهم يتساوون بالتألم من الحياة والنظام بعدم الرضاء بها.



[٢] — «الذين هم في قضاء نهد» — بما ان جميع سكان هذا القضاء هم من النصيرين، يمكننا ان نعتبر بقعة نصيرية. فاذا اضربنا عن القيود الرسمية وقدرنا عددهم على وجه تقريبي نجد يبلغ (٣٥٠٠٠) نسمة. ويظهر لنا صدق هذا التقدير اذا فكرنا بعدد النصيرين الذين لم تدخل اسماءهم في القيود الرسمية، واطلعنا على حسابهم باعتبار اقسام عشائرهم.

يمكننا ان قسم النصيرين القاطنين في قضاء جبلة من حيث العشائر الى ثمانية اقسام. وهما نحن نذكر كل واحد منهم مع بيان عدد نسائه :

« نصيرو جبلة »

عشيرة بنى على « من الحدادين »	—	٤,٠٠٠
« القراحلة « الشراقة والغرابة »	—	٨,٠٠٠
« بيت نميل »	—	١,٠٠٠
« بيت ساطر »	—	٥٠٠
« الكلية « في الساحل وجبال الكلية »	—	٨,٠٠٠
« النواصر »	—	٤,٠٠٠
« حلة مرهينو »	—	١,٠٠٠
« الحياطين »	—	٧,٠٠٠
يكون	-----	٣٣,٥٠٠

وهذه العشائر تعيش مختلطة أيام السلم وتفرق ابان اختصاصها. وسكان الساحل منهم فهم يسير من اللبن والانسية. اما سكان الجبال فهم غليظو الطباع اشداء متمردون. واقرهم الى الغضب والحدة، واطيشهم واسرعهم الى الخصام والجدال هي عشيرة « النواصر ». وهذه العشيرة تهرب جميع عشائر القضاء ما عدا سكان المركز. وتروى عن افراد هذه العشيرة الروايات الفجيعة، التي تبرهن على الوحشة والهمجية. حتى انهم يدسون من حادهم في التراب او يقتلونه، او يحرقونه بالنار ولا يستكبرون ذلك، بل يعدونه من الاعمال البسيطة. وهم لا يزالون متمردين لا يؤدون الضرائب، ولا يشاؤون الدخول تحت قيد اجتماعي. اما افراد العشائر الاخرى، فهم بسوا في هذه الدرجة من الشدة والعنف. ولم يتعادوا على غزو بعضهم كما يفعل البدو ولكنهم ينقسمون الى قسمين توجد في الاول عشيرة الحدادين والحياطين، وفي الثاني عشائر « الكلية والنواصر وحلة مرهينو والقراحلة

والشرافية ، ولا تنقطع بينهم دعاوى الدماء والمطالبة بالإجازات ، ولهذا السبب تقوم بينهم غارات بشعوا ، ويوجد في كل عشيرة منهم الوفد من الأفراد المساحين بالبادق الحديشة ، ( كالمارتين والماوزر ) . وربما تحدث بينهم مصادمات دموية . ثم ان الحدادين والحياطين منهم تنتسب في الدين الى « الفرقة الحيدرية » ، اما الباقون فهم من « الكلايين » وهذا الافتراق المذهبي يسبب احتدام الاختلاف والصهوة بينهم . ولا تنسى ان اكبر سبب لهذا الشقاق والحصام بين عشائر هذه الطائفة ، هي الحالة الاجتماعية .

ان هذه الطائفة — كما ذكرنا اثنا البحث عن احوال صافيتا — منقادة الى اهواء مقديها ومشايخها . وان لهؤلاء المقدمين والمشايخ في جبله السلطة والسيطرة العظيمة على ابنا الطائفة برمتهم . ولهذا نرى من الضروري ان نذكر نبذة من احوال هؤلاء الصناديد النصيرية :

من المعلوم ان « المقدم » عند النصيرين ، هو اكبر مسيطر ادارى و « الشيخ » هو الرئيس الدينى الذى تنهت لديه القدرة . ولهذا يكون القيام بتأمين عيش هؤلاء المقدمين والمشايخ ، والسعى لرفاهيتهم من اقدس وظائف النصيرين .

ولكل عشيرة في جبله مقدم او مقدمان وشيخ . فعشيرة بنى على لها مقدمان احدهما في الساحل والثانى في انحاء الجبل ولها شيخ واحد . وعشيرة بيت تمبلى لها شيخ فقط والقراحة الغرابية لها مقدم وشيخ ، وللقراحة الشراقة ثلاثة مقدمين وشيخ وليت - اطر مقدم واحد ، ولعشيرة الكلبية ثمانية مقدمين وللنواصرة ستة وللخياطين اثنان ، وشيخ . وعليه يكون عدد المقدمين المهمين في جبله ( ٢٥ ) وعدد المشايخ عشرة .

يتظاهر المقدمون ببساطة الحال وهذا البال . ولكنهم في نظر النصيرين . ارباب وادهش من الموت الزؤام . حتى ان اسماهم عليها مسحة من الحشونة تنذر بالارهاب والدهشة : مثل غازى وصقر . الخ . .

وهؤلاء المقدمون يعرفون القراءة والكتابة بدرجة بسيطة . وعلم المشايخ ايضا بسيط ، ولا مزية لهم الا كونهم مطلعين على حقائق الديانة النصيرية ومتضلعين فيها . واهم وظائف هؤلاء المقدمين هي ادارة التناسبات بين الحكومة والعشيرة . ومحافظة حقوق العشيرة . وتعيين مرقعها تحت الحكومة ، وحل الخلاف الذى يحدث بين الحكومة وبينها ، او بين افراد العشيرة . وبهذا يكون المقدمون كالمدبرة او كالمسؤولين ، وبعضهم كالامراء . ثم اذا حدث اختلاف بين العشائر المختلفة ، يجتمع مقدمو تلك العشائر في مجلس . ويتذاكرون في المسئلة ويجمعون على حسمها . والرأى الذى يرضى به المقدمون يكون واجب الاتباع .

اما نصب المقدمين فيكون بانتخاب العشيرة ، وتدوم صنعهم ما دامت حياتهم . ثم

جريت القامة بينهم بالنفال هذه الرئاسة من الأب إلى الابن . ولهذا أصبح هذا المنصب شبيهاً بمنصب متعلقي القرون الوسطى . وقضاي القول ان هؤلاء الرؤساء المسيطرين ، تمكنوا من الاستبداد بالسلطة والحكم بين النصيرين . ومع هذا فلم يحترموا المشايخ غاية الاحترام . وان احترام المقدمين للمشايخ وتوقير المشايخ للمتدين ومظاهرهم لبعضهم تكون متقابلة ، وما هي الا تواطؤ هؤلاء المتكلمين على الصبث بحقوق النصيرين ، واتفاقهم على غصبها من اربابها .

والمشايخ ايضاً ينصبون بانتخاب العشيرة . ولكن لا يشعر لهم بوطنة وسلطتهم لا تائف النفر ، او بالاصح ان الالهالي لا يدركونها .

وقضاي القول ان هؤلاء الذين هم اوعز الناس واعظمهم في نظر النصيرين يكونون اعلى طبقة اجتماعية بينهم بحياتهم وعيشتهم ، وبوقمهم الاجتماعي ، حتى اذا حدث بين العشائر مثل او نهب او سرقة ، لا يلبث مجلس المقدمين ان يلتئم . وربما يستفتون في المسئلة من المشايخ . وكثيراً ما يحكمون في القتل بدية مقدارها (١٨) الف غرش . وتقاس المسائل الاخرى عليها . ولهذا كانت سلطة هؤلاء المقدمين بين النصيرين عظيمة جداً .

ولهؤلاء المقدمين الذين استدوا بالسلطة العظمى والسيطرة القوية رواتب ثقل وتكثر بنسبة غناء العشيرة وعدمه . وللمشيخ تمخيصات يتقاضونها باسم الزكاة رامثالها . وتتراوح رواتب المقدمين بين (١٥٠) و (٢٠٠) ليرة في السنة ، وتمخيصات المشايخ تبلغ في السنة (١٠٠-١٥٠) ليرة .

ايس على المقدمين ان يشتغلوا بالزراعة ، لا غيرها . بل ان جميع حاجاتهم محملة على كاهل النصيرين ، وليس عليهم الا جر ذبول الارادة الحربية ، والتجول يمنة وشمالاً . ثم انهم اذا حضروا الى القصبه لا بد ان يؤمهم فارسان بالسلاح الكامل ، ويثشي رانهم فارسان من اتاعهم كحاجيين ؛ كامل المدة غلاظ شداد . ولا بد ان تكون البنادق المتأزة في قبضتهم ، وكنائن الرصاص مشدودة على مناطقهم .

وان لهم من السلطة ما يخلوهم ان يضربوا افراد العشيرة ويهددوهم . او يشجروا عليهم ، وهذا مدنا على درجة سيطرتهم بصورة واضحة .

وجمع النصيرين يسكنون في البيو - والمنازل ، وكن منازل المقدمين منهم تكون حصينة ذلك لان حياة العشائر لا تخلو من الهجوم والدفع ، والحرب والضرب . وهي مطوقة من جوانبها الارومة بنايات حصينة كنها قلاع او حصون . وربما يضطر المقدمون الى الدفاع عن انفسهم في تلك الحصون . ولهذا تراهم مستعدين لكل ما يحتمل حدوثه من هكذا حادث . حتى كانت منازلهم هذه مستودعا للأسلحة والذخائر يحيط بها المحافظون كنها قلعة منطيرة .

وسبب تغلب هؤلاء المقدمين ، وغلوهم في السيطرة ، هو ما تعلمه من الكشمانه الذي  
تمسكون به في دينهم ، ثم انتماس الاهلين في ظلمات الجهالة الكشقة .

نعم يستفيد المقدمون من جهالة هؤلاء القوم . وهم يرسلون اولادهم الى اللادقية  
فيعلمونهم القراءة والكتابة ، وهذا التعليم لا يتجاوز الحد اللازم بل لا بد من تلقيحهم  
بالتعاليم النصرية متى بلغوا السن المعين .

وهؤلاء يشبون على تقليد آبائهم فيتمرنون وهم صفار على اضطهاد افراد العشيرة ،  
واجرا . الظام حتى يجعلون رعيتهم كبقرة الحالب . لانهم يعتقدون بان لهم ائمة الكبرى  
على حياة هذه الافراد ، فيكون من حقوقهم الصريحة ان يسلكوا بهم ما تشاء هواؤهم .  
من طرق الحياة . ولهذا نرى اربعين الفا من النصيريين كانوا كآلة الميما الباطشة  
تصرف بهم ايدي خمسين رجلاً من هؤلاء المقدمين .

فاذا كان النصيريون محرومين من ان يعيشوا عيشة آدمية ، فلا حرم الـ السبب الوحيد  
الذي اسقطهم في هذا الهوان هو حكم المقدمين والمشايخ فيهم . وروى انه يوجد بين هذه  
الطائفة (١٠٠٠٠٠) نسمة ممن لا يزيد دخلهم السنوي على الف غرش و (٣٠٠٠٠٠) نسمة  
ممن لا يزيد دخلهم عن خمسة آلاف غرش . وهذا الحساب التخميني يدلنا على درجة الساقة  
والحرمان التي تلبست بهذه الفئة .

وهذه المعيشة الضنك هي التي حدث بهؤلاء المعسرين الى ارتكاب الشقاوة ، وطمع  
الطريق . وروى ان بعض هؤلاء جعلوا دينهم هذه المهنة ، حتى كان التهب والسلب من  
اسباب معيشتهم الحياتية . وهم يشنون الغارة على سكان القصبه او قطان السواحل ، وينهبون  
كل ما تصل ايديهم اليه . ولا يتوقفون عن البطش والفتك اذا لقوا مانعة من اصحاب  
الاموال . ثم يتصمون بالجبال .

ولهم في التهب والسلب خطة واحدة لا يبدلونها . فيرسلون امامهم الجواسيس يري  
القروين ليكشفوا لهم الاخبار . وهؤلاء الجواسيس يهدون لمغيرين الذين لا يقل عددهم  
عن مائتي مقاتل كلهم شاكي السلاح الى الطريق المناسب ، ولا يلبثون ان يطرقوا الحى الملا  
ويبيتوه ثم ينهبون ويحرقون ويسرون ما يرونه هناك . ولا يذرون شيئاً مرحب وحيوان  
وغيره في تلك البقعة . وهذه الشقاوة المستمرة كانت سبباً حاداً لحدوث الاسفاد من  
الاراضى المنبثة الكائنة على سيف البحر في هذا القضاء ، لاسيما ان الله الاسلامية المقدمة  
في جبله المحاطة بهكذا اشقياء من جميع اطرافها ، هي لا جرم في حالة خطيرة ، جائرة  
بالاهتمام .

حتى لقد يضطر اغنياء جبله الى الدخول تحت جناح المدمين ليأمنوا . واما اموالهم  
وحياتهم ، ولا بد لهم من اعطاء جزية او خراج لهؤلاء الطغاة حتى يمكنهم الحصول على

حايثهم، والامانة سنها. وهذا تسلم لهم اموالهم وارواحهم .  
 ويقال ان اكبر محرمة ومشوق على تلك السرقات والفسادات، هم الماقدون انفسهم .  
 وان لهم السهم الاوفى من تلك الغنائم ولهذا لا يتقطعون عن تحريك الاشقياء وايقاد  
 نار الفساد .



وقصارى القول ان الحياة الاجتماعية في جبله ، منعسة في فوضوية بحتة . ولن نجد  
 فيها ذرة من سعادة ولا اثر انساني . وفيها ارباب المهائى التى تلاقى فيها البشرية واوحشها .  
 وجدير بهذه الحالة الاجتماعية السمية التى لا تنفك تخنق المعالى المدنية فى كل آن ، ان  
 تبيد . ويجب ان تبدل بحالة حسنة توفيقها نصيبها من النور والمدنية .

## ٨ — الاموال الصحية

ها نحن نجمل ما سمعناه من طيب القضاء عن الاحوال الصحية فى جبله وملحقاتها :

[١] — معلومات عمرية — ان المنازل فى جيلة متصلة ببعضها وغير منطبقة على  
 القواعد الصحية ، كما ان طرقها وسخة وقذرة . وتوجد فى هذه القصة منازل لا ترى  
 وجه الشمس . واكثر الاهل ينسكنون فى حجرة كبيرة لا يسوغ ان يطلق عليها اسم البيت .  
 وارجح ناحية من تلك البيوت خصصت للحيوانات . وعليه نجد ويا للأسف ان الحيوان فى  
 جيلة ارجح من الانسان . واعتاد سكان تلك الحجرات على قذف اوساخهم على عرض  
 الدروب . ولهذا فان جبله بمنازلها ودروبها كانت مركزاً لانواع الجرائم المرضية . وهذه  
 الجرائم تندفع مع الرياح فتنتشر فى جميع الانحاء وتكون سبباً لظهور الامراض .  
 هذا وان تكن جيلة جيدة الهواء ، خالية من الرطوبة ، نقية الاكثاف من المستنقعات  
 ولكن قذارة السكان جعلتها بقعة لا تسكن . ولا سيما ابارها فى غير بعيدة عن المراحيض  
 ولهذا كانت عرضة لتحلب الاوساخ ، ورشح الاقذار . فاذا حل فى ساحتها مرض سار لا  
 يلبث ان ينتشر بسرعة برقية ، ويم جميع اناسها ويفتك بهم فتكاً ذريعاً .  
 اما القضاء ؟ وان كان منعماً بالحاسن والنعم الطبيعة كما هو الحال فى المركز ، ولكن  
 تساهل خلقه وامهالهم جعل فيه من الاوساخ ضعف ، بل اضعاف ما يوجد فى المركز .  
 ولهذا يمكننا ان نسمى هذا القضاء « دار الوساخة » لان معظم بيوت القرى عبارة عن  
 اكواخ منفصلة من الداخل بالواح الحشب المركبة على عمد من خشب . فالقسم الاعلى من  
 هذين القسمين يكون منزلاً لافراد العائلات . والقسم الاسفل يجعلونه للحيوانات . وعليه

لا، ملحق، انا قلنا ان القرويين في هذه القضاة يعيشون على القلوب، واليواب - وبنا على  
 هذه التماس في الحالة الاجتماعية، ما كانت تدورهم الحلي النمشية في السنين الماضية، إلا  
 وانت عليهم كما تأت النار على يابس الحطب . وقضت على كثير من القرى بالاقصاء  
 واقراض المكنة ..

وجميع هذه الرزايا، وتلك المبالا التي منى بها سكان هذا القضاة لم تزل بمسدة عن  
 ايقاظهم، وهم لا يزالون غير مؤمنين بتأثير العليابة . ولهذا ما وجد في اكواعهم مصب  
 يمرض الحلي النمشية تجددونهم يسدون المتأفد، وبوسدون الابواب، ثم يوقدون النار في  
 باحة الكوخ ويقصدون بذلك شفا المريض . ولا يدرون انهم يستعملون له الموت .

وها نحن نذكر هاتين القصتين برهانا على سخافة هؤلاء السكان وافصاحاً عن حقيقة  
 الحالة الصحية بينهم :

— ذهبت ذات يوم الى جبال التصيرية لافحص جنازة . وبنا على بعد الطريق  
 اضطرت لان ابائك عندهم . وطلبت من صاحب البيت ان يأتي بفراش ولحاف . فما لبث  
 ان جاني بقطعة من بساط، ولحاف ملطخ بالاوساخ . فما كان مني الا ان طلبت منه ان يبدله  
 بانظف . فقال لي :

— كن على يقين اني جاملتك بقماري الاكرام باتحافى اياك بهذا المحاف . لانه لم  
 يستعمله احد بعد . بيد اني كنت درجت به والدتي العزيزة لما توفيت، واوصلتها الى منزلها .  
 فكن مطمئن البال بشأنه !!

وهذه القصة تفصح لكم عن فكر هذا، وغيره من القرويين في امر الصحة . وفي يوم  
 آخر ذهبت الى عيادة مريض كان على وشك الموت . فما دخلت البيت الا ووجدت عنده  
 شيخاً يتم وفي يده اعواد يضمها ويحزمها ثم يضعها عند رأسه . ورأيت شيخاً آخر واقفاً  
 هناك . وما كاد يراني حتى جاء الى وقال :

— رويدك برهة ! ليم الشيخ قرائته ثم تفحصه !  
 فقلت :

— لا يسوغ الانتظار، اني ارى حاله تنذر بالخطر .

فكانه غضب من مقالتي، فاخذ بيدي الى ناحية منهم وقال :

— هل يستطيع الطبيب رد القضاة ؟ وما كان طلبنا اياك الا لكي لا يقال « لم يأتوا

بطبيب » !!

وبما ان هذا الاجمال يفصح عن درجة الفكرة الصحية في قضاة جيله لا تزي حاجة  
 لزيادة شيء عليه .

[٢] - للمؤرخ المصنف الطائفة - بعد ان اطلعكم على الحالة الصحية العمومية في القضاء، اريد ان اطلعكم على الاعراض المحلية، والطائفة التي عثر عليها في هذه السنين الاخيرة :

ان اكثر ما يوجد في المركز والقضاء من الامراض المحلية، هو مرض التهاب الصديدي. ويصاب به في كل سنة بمقدار (١٥٠-٢٠٠) في المركز و(٣٠٠-٤٠٠) في القضاء. ثم تأتي بعد هذا امراض الحمى المرزقية والديزنتري. ويصاب بهذه الامراض في كل سنة بمقدار (١٤٠) في المركز و(٢٠٠-٢٥٠) في الملحقات. ومرض سل الرئة وذات الجنب ايضاً يصاب بها نصف هذا المقدار. ولا ارى لزوماً لذكر بعض الامراض الجلدية والسمية التي تندرج في هذا القضاء.

اما الامراض الطائفة؛ فمنها الحمى النخسية التي دخلت القضاء في السنة الماضية وافجشت بالفتك بسكانه. ولا يمكنني ان اطلعكم على مقدار اضرارها بعدد معين. ولكن لا جرم يقرب عدد من اجيب بها من (١٥٠) في المركز و(١٥٠٠) في انحاء القضاء. وقد توفي منهم عشرون في المائة.

\* \*

ثم اذا علمتم ان لا يوجد في هذا القضاء الاطبيب واحد بلا صيدلية، لا بد ان تطلعوا على حرمان هذا القضاء من الوسائل الصحية، كما هو الحال في غيره من الاقضية.

- ٢٠ -

### جبال النصيرية

اشغل فكرنا كثيراً انتفا الطريق الذي يجب سلوكه اعتباراً من جبله. وكان من الممكن ان تتبع الساحل ونسير حيث نصل الى اللاذقية بمدة اربع ساعات. غير اننا نخرم من مشاهدة جبال النصيرية التي اقلت في ادمنتنا تأثيراً عميقاً. ولهذا كنا نرى الانصراف عن طريق الساحل والاقبال على التجول في الداخل ادق وانس، وكنا نريد ان نحظى بالمشاهدة التي يولدها الاستسلام الى متاعب الطريق واقتحام ما هنالك من العقبات مهما كلفنا الامر. ولهذا رأينا من الضروري ان نستهدف لسفراً قصبة «بابنا» *Zabarna* مركز قضاء صهيون. وهذا الطريق من الطرق التي لم يرغبها لناكل من كان له امام بالحالة الاجتماعية في

## جبال التصيرية

تلك الاصقاع . لان المسافة تمتد اكثر من تسع ساعات . والطريق صعب وغير ملموء <sup>بالصقاع</sup> ولا يكاد الانسان يقوى على السير فيه . لاسيما وأن للتصيريين هناك قصصاً رهيبة . ولهذا كان جديراً بالاجتناب .

ولرغم أن هناك من المحاذير والانتعاب فقد كنا في رغبة عظيمة ، ومييل لا يرد . وكنا نقول :

— لا بد من اقتحام هذه الهالكات ، واختراق تلك الجبال الراسيات .  
وما كدنا نمتطي متون الجياد ، وفارق جبله حتى شمرنا بارتياح عظيم تحت تأثير ذلك العزم المتين .

سلكنا طريق اللاذقية مدة وبعد ان اجتزنا « نهر الرميطة » انعطف بنا الطريق نحو الشمال الشرقي . ولاحظ لانظارنا جبال التصيرية عن بعد تحت امواج هذا الضياء الصبي وقد زادها ابهام البعد رهبة اكثر مما نعهد . وكان على يميننا « جبل البودي » وفي جانبه قرية ( الشراشير ) و « بحضرمه التحت » و « بنجاره » و « طفرامو » و « ديروان » و « بيت حجير » و « بشكوح » و « عين الشقاق » . تلوح كأنها نقاط من ظل وهي مختلطة ببعضها في المنظر . وكانت على يميننا سلسلة من الجبال تكل الطرف ، وعلى شمالا سهل فسح ينتهي على شاطئ البحر الذي كان يلوح بزرقته من بعيد . ونحن لا نزال نمتسف طريقاً سهلاً في منتصف الحقول الجرداء . وبعد ساعة اجتزنا وادي ( مكينا ) وجدوله ، وصادرنا قرية ( دقار ) على شمالنا ووصلنا الى قرية « حمام » . وقد كان لوصولنا اليها في مثل هذا الوقت وقع عظيم على نفوس اهليها . فكنا نراهم يتراوون على السطوح وامام البيوت وفي ايدهم البنادق ثم ينسحبون . ودام فيهم هذا الارتباك الى ان انجلي لهم خبرنا وعلموا باننا من ابنا السيل . فاطمئت قلوبهم . وقد علمنا ان احد الذين اجتمعوا حولنا ( مقدم ) فرأينا من الضروري ان نترص هنيئة ريشما نزوره . ولم يلبثوا ان تهاقوا يدعوننا الى منازلهم ، واخذوا يقبضون على ازمة خيلنا وفي ايديهم البنادق « مراتين » ويدعوننا للنزل . ولم نجد في منزل المقدم المؤلف من طابقين وقسمين نظافة تذكر . وليس للنظافة حظ من شخصياتهم ايضاً . صعدنا الى الطابق الاعلى من المنزل ومكثنا فيه برهة وكنا نرى من هذا المحل جبلة كأنها ظل اخضر . والبحر يلوح عن بعد كأنه اطلسة زرقاء ثم القرى قريباً من الساحل كأنها خيال . ورأينا نساء التصيريين يشغلن في حقول التبغ والتبناك ، ويقفن في تلك الساحة الخضراء بموجات لطيفة بلباسهن الملون . وبما اننا لم نرد ان نمكث كثيراً في هذه القرية كانت عشرتنا معهم عامية ومججلة . وقد اسهب لنا المقدم في البحث عن جهالة التصيريين وتألم منها ولا جرم انه كان محققاً في رأيه ، وكانت ترجمته هذه تشف عن حرارة وصدق تأثر . وكنا حينئذ نسمع اولاد المقدم يقرؤون امام شيخهم



في القسم الثاني من البناء ما لبثنا ان انتهزنا الفرصة، وسالاهم عن الأسباب التي تدعوهم لان يظلوا مسيحيين مجهزين في كل أن فتاوه الجميع وقالوا:

— لو تعلمون، كم نحن غير مطمئنين على حياتنا، وكل يوم نحن عرضة لفتنة أو قتال أو احراق، وحياتنا كلها مرت بهذا مناضلات وخصام ولا تزال تمر.

وكنا نكتفي بسماع هذم الشكاية من المقيم وطابعته. لاننا نعلم علم اليقين انهم هم الذين جلولوا حياتهم على هذه الوتيرة.

خذنا سورتهم، واخذنا نهاب لنركب، فقبضوا على ازمة الحبل واخذوا يقربوننا لنا، وفي ايديهم الاخيرى اسلحتهم وينادقهم.

وبعد ان غادرنا حامي بيره يسيرة وصلنا الى غياض «بستان الباشا» وكانت على يميننا قرية «بطره» وهى عبارة عن خربة. وبروى ان هذم البقعة كانت حومة لمعممة دموية منذ عهد قريب، حتى ان «نهر الروس» الكائن قريباً منها خضب بالدم فى تلك الوقعة.

وبعد ان غادرنا البطرة بنصف ساعة وصلنا الى قرية سلورين. وكانت تستراى من ورائها قرية «ابن عيسى» وقرية «كلاخو» وورائهما جبال «الكلية». وكنا لا نزال تنهب الطريق، وبعد ساعة رأينا على يميننا قرية «عين العروس» على ضفة جدول صغير، وعلى يسارنا قرية «قابو» قريباً من ساحل البحر. وهنا انتهت اراضى جيله.

وبعد ان اجتزنا وادى نهر العروس قام امامنا سهل فسيح. وكان طريقنا بين الحقول المروعة بالنبع والتبلك. وبعضاً كنا نمر من الاراضى المحصورة، او من جانب اليسار. ولا نزال نتقدم فى السير.

وبعد برهة غادرنا عن يسارنا قرية «خربة ابو خسرو» القريبة، وقرية (غلينه) (والمروكية) البعدين. وكنا نرى عن يميننا قرية (قلوريا) وقرية (حرف الرضوة) على البعد.

وبعد نصف ساعة اجتزنا نهر «الفويقه» وقرية، وتسلقنا فى مرتقى خفيف وهناك ترائت لنا جبال «المهالبة» وفوقها «مقام الاربعين». ثم اجتزنا وادى «قياس» وبينما كنا نسير بين قرى «عليه» و«بريكه» لاحت امامنا قرية «الشيخ ربح» على قمة الهضبة وراء الوادى الذى كان امامنا. ثم وصلنا الى «قين» وبعدها الى «الشيخ ربح». وهذه السرية كانت مرتفعة ولهذا كان منظرها جيلاً جداً. لاسيما منظر البحر من جنوبها، ورياض «بستان الباشا» كانت تستقبل الانظار بما يحى القلوب من الخضرة المفسولة بمذاب النشاء الباهر. وفى شمالها تلوح سلسلة الجبال باغوارها ونجودها.

وبعد منحدر ترابى مستو، وصلنا الى واد نصير. وكانت على شمانا قرية «قطرية».

وكنا نرى امتداد هذا الوادي إلى الغرب الجنوبي نحو البحر، وبعد نصف الساعة تراءت لنا قرية بيضاء فوق ربوة صغيرة، وهي مسمّاة «الشيخ جبين البترون». وهناك انتهى الوادي.

وهنا شرعنا تتسلق في مرتقى، وكانت الذرى الصغيرة القرعاء تتوالى على يميننا. ولاحظت قرية «الجديدة» في حفاف إحدى تلك الذرى. وكنا نشاهد نبات أوى تترأّس أمامنا بمنّة ويساراً، ونسمع من حوالينا صغيراً مريباً.

وبعد أن اجتزنا الهضبة قام أمامنا سهل فسيح لاحت في أقصى آفاقه ربي كثيرة، من كبيرة وصغيرة. وبعد برهة تراءت عن يسارنا قرية «قطرية» وعن يميننا قرية «بزار» وورائها البحر الهادئ.

وكنا نرى في هذه الساحة زرع الذرة قائماً على سوق أعلى من قامة الانسان، أو هي جلدها حر الهجيرة فعدت تميل مع الهواء بمنّة وشمالاً. وكنا نرى الانقلاب في نفوح الربي الجرداء، كأنها خطوط بيضاء. ونشاهد البواشق تحوم فوقها وتخفق.

وما انضر الوادي الذي كنا نسير فيه! فخضرة الذرة والتبغ والنبات كانت من عناصر جمال هذه الاصقاع التي كستها منظرأً بديعاً. لاسيما وكنا نتمتع النظر بالوان يديعة ما بين شوك أزرق، وحصيد اصفر، واعواد سمراء.

وما لبثنا ان وصلنا الى ساحة مسورة بالهضاب. وكنا محصورين بين سورين جبليين. وهناك انقطع هبوب الريح. وكانت الشمس تهبج سعيراً محرقة، يشوى الارواح في اجسادها، اما المحيط فقد غلى مرجله فكنا نخوض منه هواء كالمهل يشوى الوجوه.

اخذنا في الاسراع ليتسنى لنا ان نخلص من هذا العذاب الجهنمي وبعد برهة اخذنا تتبع الضفة اليمنى من نهر يدعى «نهر الصنوبر» عند منبعه، ويسمى «نهر الشمس» بعد غلوة منه.

وكانت الشمس محرفة عن نقطة الزوال الى الغرب منذ مدة واقطع تسلطها على ام دماغنا ولكنها ما زالت ترجم اقائننا، وكواهلنا يمثل مذاب الرصاص. وبعد مدة اوصلنا هذا النهر المسمى «الديف» الى طاحونة خضراء. فلبثنا هناك مدة، ثم اخذنا في التسلق الى قرية «ترجاء» ووصلنا اليها. وفيها نهر «ترجاء».

وبعد ان غادرنا هذه القرية الخضراء الظريفة اخذنا ننحدر في منحدر وعمر، ثم تسلفنا في مرتقى وعث ورأينا عن يسارنا قرية «ميلو» ثم بعد هبوط وصعود تركنا على يميننا قرية «انجاره وعناقيه» اخذنا نصعد في جبل «بستار». وهناك كان المنظر بهيجاً. ولما عطفنا الى وراء الذروة لاحظنا في انحاء الجنوب الغربي سوح اللاذقية، وفي الشمال الغرب ربي صهيون.

ثم بعد هبوط وصعود آخر ظهرت لنا بين ربوئين صغيرتين شقوق بابنة مركز قضاء صهيون ، وهناك انشرفت صدورنا كأننا صرنا اسعد الناس ، لأن هذا الطريق كان اتسب واصعب مما سمعنا عنه بكثير .  
 وهما نحن نشاهد على اقصى الافق قرى الدفين زنفوني ، الشراق ، البكاس ، المشاركة ، شتبه ، كأنها موكولة لترسم حدود ذلك الافق .

وهما نحن دخلنا في وادي صهيون . وهما هو نهريها . وكنا نتبع الضفة اليمنى من هذا النهر . وبعد برهة تسقنا مرتقى واخذ بعده الوادي بالاتساع ، وشرعت تلك القرى التي عدناها تترأى بوضوح .

وبعد ان اجتزنا عن يميننا قرى خربة خيشو ، والدوير والرصيف ، وحارة الديفة والمروموط ، وأكثر من ساعة وصلنا الى ينبوع قائم بين اشجار الحور . ثم اخذنا تسلق في الجبل ، وكلما اوغلنا في الصعود تزداد امامنا الدوالي ، واشجار التين ، والآس ، وتكسب المحيط منظرا نضياً .

وبعد ان اجتزنا وادي صهيون ، اخذنا تسلق مرتقى آخر . وكنا من بابنا على مسافة بضعة دقائق . ومع هذا كنا نتقرب من هذه القصبة وهي تدوب من امام انظارنا ، وتترأى مكانها هضبة عالية مستورة بالاشجار .

ثم اخذنا نسير في سكة قديمة وشرعنا تسلق الهضبة في طريق حلزوني يتدرج بالارتفاع الى ان صرنا فوقها واجتزنا الذروة . فانجلب امامنا قصبة ( بابنا ) منغمسة في ضياء العشي المسجدي بيوتها البيضاء التي تطل على الغرب بين تلك الغياض الخضراء . وهناك اخذ مزيج الاغوار والانجاد والوديان والربى التي ارتسمت في ادمغتنا ، ينحل ويذوب حتى باد وانطفى فكانه لم يكن .

## - ٢١ -

### صهيون

#### ١ - موقع القضاء ومردود

ان هذا القضاء الكائن في الشمال الشرقي من قضاء مركز اللاذقية ، محاط من الشمال والشرق بقضاء جسر الشغور من اعمال حلب ومن الجنوب بقضاء جبلة .

تخمن مساحة هذا القضاء بمقدار (٩٦٠٠٠٠) دونم جديد ، منها (١٠٠٠٠٠٠) من الأراضي الاميرية و (٥٠٠٠٠٠) من الأراضي الموقوفة و (٥٠٠٠٠٠) من الأراضي المتروكة ثم (٥٠٠٠٠٠) من الأراضي المملوكة . ومساحة الأراضي الموات تبلغ (٧١٠٠٠٠٠) دونم . اما عدد سكان القضاء فهو كما يلي :

جدول سنة ١٣٣٢

المسلمون	١٦١٠٦
التصيريون	١٤٧٥٠
النصارى	٢١١٦
يكون	٣٢٩٧٢

وقد كان مقدار السكان سنة (١٣٣٣) ، « ٢٨٨٥٤ » نسمة . وبهذا تكون الزيادة أكثر من (٤٠٠٠) نسمة في هذه السنين العشر . ونطقت القيود الرسمية بأن مقدار اللدات كان سنة « ١٣٢٨ » ، و « ١٣٣٠ » ، و « ١٣٣٢ » ؛ (٥) و « ٣٦٨ » و « ٣٢٢ » نسمة ، والوفيات (٤٤) و (١١١) و (٣٠٥) نسمة .

ان مركز القضاء هي قرية « بابنا » المبنية على هضبة يبلغ ارتفاعها « ٤٠٠ » متراً والكائنة في الدرجة ٣٥،٣٤ من العرض الشمالى و ( ٣٣،٣٩ ) من الطول الشرقى . وعدد سكانها (٢١١٧) نسمة كما ثبت في القيود الحديثة .

ويوجد في محلة بابنا من هذه القرية جامع بنى على فقة القائم مقام نشأت بك ، وفي محلة « جنكيل » منها جامع كبير ومسجدان صغيران . ولا اثر فيها للابنية والمؤسسات التي هي من ضروريات الناس كالحمام والطاحون والسيل وغيرهم . بيد انه توجد فيها دائرة بلدية لها من الدخل « ٣٧٢٠ » عرشاً في السنة . ولا اثم على هذا القرية المحرومة حتى من خان يضم غرفة واحدة يأوى اليها من ابتلى بدخولها الا كونها مركزاً للقضاء . ولا بد لمن يتجول في الانحاء الشمالية من الولاية ان يعجب ويأسف لمراى مرأى كثر لا قضية بفرها وادساخها واكواحها التي لا يسوغ ان تعتبر من المساكن . فهل كان القائم مقامون الذين ما اتفكوا يديرون هذه الاصعاع منذ اكثر من ستين سنة ، وربما اشغلوا المقامات الرفيعة معتقدين ان واجبهم التحامل على الاهالى وجمع الضرائب والاعشار فقط ؟ .

وليس لهذا القضاء الذى يبلغ بالساعة اضعاف ثلثا جيله ، ناجيات رسمية ولكنه منقسم بصورة طبيعية الى ناجيات ، صهيونية ، وجمهورية الاكراد وديوس وبيت الشلف والمهابلة .

### ٣ - الاموال الطبيعية فى القضاء .

ان هذا القضاء يشغل الانحاء الشمالية من جبال النصيرية - ولهذا كانت جميع بقاعه وعرة وعثة . والجبال الممتدة فيه من الشمال الى الجنوب كلها جرداء لا احراج ولا مرعى فيها على عكس غيرها من جبال الاقضية الأخرى . ويحتمن طولها اعتباراً من حدود جسر الشعور الى تخوم قضاء جيله بسبعين كيلومتراً وعرضها (٢٥-٤٠) . ومنشأ هذا الفرع الشمالى من جبال سورية هو جبل الاقرع *Qar'ius* (١٧٦٩ م) وهو عبارة عن استطالة جبال طوروس وذروته على شكل الامرام . وكان من مقدسات الفينيقيين . ويبلغ ارتفاع اعلى نقطة فى هذا القضاء الى (١٠٠٠) متر .

ثم ان المياه الجارية فى هذا القضاء عبارة عن (نهر الكبير) وجدول (مرقية) . فالنهر الكبير ينبع من جبل الاقرع الكائن فى شمال صهيون ويشق القضاء من الشمال الشرقى الى الجنوب الغربى ويدخل قضاء مركز اللاذقية فيبقى اراضيه المنبسطة ، ثم يصب فى البحر جنوباً من مركز اللواء . ويجب ان يفرق هذا الجدول عن النهر الكبير الذى يفصل جبال النصيرية عن جبال عكار والذى سماه الاقدمون *Elestheri* وطوله ١٠٠ كيلومتر وعرضه ٨-١٥ متراً . ثم يوجد جدول «كفريه» الذى ينبع من جانب القرية المسماة باسمه ، وطوله خمسة كيلومترات وعرضه ٣-٧ متراً .

### ٤ - الاموال العمومية فى القضاء

مما يوجب الشكر وثناء ! عدم حرمان الصهيونيين المنغمسين فى ظلمات الجهالة من المدارس الابتدائية . ونرى ان المحاسبة الخصوصية وضعت فى ميزانيتها نفقة لتأسيس عشر مدارس فى هذا القضاء ، ولكن لا توجد فيه الآن الا مدرسة للذكور واخرى للاناث فى مركز القضاء ، ومدرستان فى قريتي «سلمى» و«حفه» الاسلاميتين ويروى ان عدد التلاميذ فى مدرستي بابنا ٧٥ من الذكور و ٢٥ من الاناث ولكن لا تنسى ان عدد الذين يعرفون القراءة والكتابة فى احداث «بابنا» لا يتجاوز ١٥ ، فى المائة مع ان المدرسة اسست فيها منذ اثني عشرة سنة .

أما هذا السد في الأنث فلا يبلغ الى واحد من مائة . ويقال عن معلم مدرسية (سلي) انه ساقط الاخلاق والتربية ، اما معلم (حفة) فقد اكل سبعين حجة : هو تخطيط في الجهالة ، ورد الى ارذل العمر . وان ادري هل يسوغ لنا ان ندعى بوجود التحصيل الابتدائي عندنا ، ونحن على هذه الحالة . ثم من العبث ان نناد الملك والدروب في هذا القضاء .

اما اراضي صهيون التي اكثرها كنيسة ، فهي تستمر اما بالمناصفة واما بغيرها من صنوف المزارعة . ففي المناصفة يدفع صاحب الملات الى المزارع الارض والنزر ، واحده نصف الغلة ، اما في النوع الآخر فان رب الملك يدفع لارض والبذر والآلات والحيوانات والمزارع يتعهد العمل ، ويأخذ ثلث الغلة . ويوجد في هذا القضاء دار (٥٠٠٠) - حجرة من الزيتون ، وكروم يبلغ اتساعها (٢٠٠٠) دونم ويسفل منها في كل سنة (٢٥٠،٠٠٠) اقة من الزيت و (٢٠،٠٠٠) كيلو من الغنم .

وصناعة الحرير في هذا القضاء متعمدة بين المسلمين اكثر من النصيريين وانصارى ، خلافاً للاقضية الاخرى . ويخمن بمحصول الشرائق في اسنة بمئة ار (٤٥٠٠) كيلو . ودراعة التبغ والتبناك هي من اهم مشاغل القرويين في هذه الانحاء . وكانت حاصلات سنة (١٣٠٢) ، عبارة عن (٧٦٧٧٨٨) كيلو من تبغ (شك البنت) ، (٥٣٠،٠٠٠) كيلو من « جو ربحه » و ٢٥٥٧١٠ كيلو من التبناك . وكان القضاء يربح قبل الحرب « ١٠،٠٠٠ » اسيرة كل سنة من هذه المزروعات . والآن نرى الاهالي في ضيق شديد لسبب اقطاع التبغ ، البحرية ووقوفها .

وهذه غلال القضاء بالحياب المتوسط :

جنس الغلال	كيلو
القمح	١٠،٢٠٠،٠٠٠
الشعير	٣٥٠،٠٠٠
الذرة البيضاء	١٥٠،٠٠٠
الحمص	٦٠،٠٠٠
الفول	٤٠،٠٠٠
العدس	٨٠٠٠

### ٥ - الآثار القربى في القضاء

سمى هذا القضاء باسم حصنه الذي ب دوراً خبيراً في الاجيل المتوسعة . راقاه صهيون التي هي اقدم النموذج للحصون التي بناها الافرنج في قطعة سور وقاعة حصن

الاكراد ايضاً هما من اوضح الآثار التي تربينا نسق المؤسسات العسكرية الصليبية في الشرق .

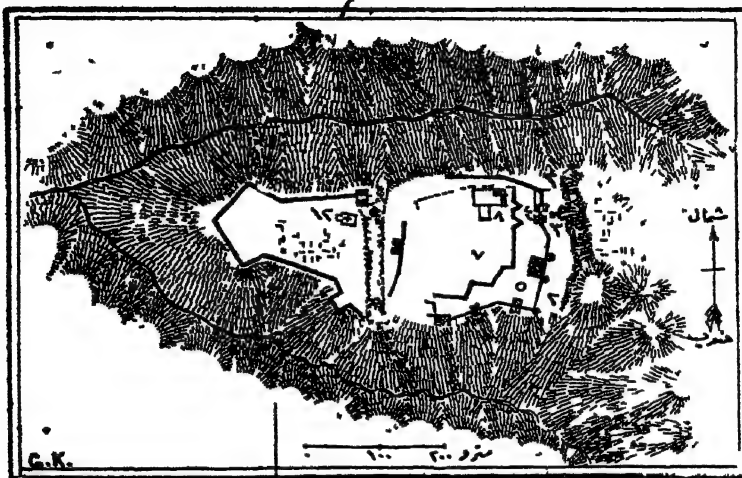
وهذه القلعة التي كان يسميها الصليبيون (Elaron) كانت من اهم اعمال ايلة انطاكية ابان حرب الصليبيين . واسرة صاوَن (Elrone) التي حكمت هذه القلعة مدة طويلة تشغل فصلاً مهم في كتاب الانساب الاوروية . حتى لقد يمتد على كثير من اسماء افراد هذه السلالة في المنشورات الملوكية الصادرة في القرن الثاني عشر . وبعد ان مزق صلاح الدين الايوبي في سهول حطين ، اهم جيش للنصارى ، واقل على فتح الاصقاع الشمالية من سورية . فتح هذه القرية واعادها الى الحكم الاسلامي « ١١٨٧م » واسس هناك ثلاث ايلات اسلامية . وهي : صهيون وقايم « *Qapomé* » وكفرطاب وانطاكية ، ومالات نوس « *Malatnous* » واللاذقية .

بنيت هذه القلعة فوق هضبة من جبال داربوس ، وانفصلت عما يجاورها من العوارض بخندقين من طرفيها . والاتقاض الموحودة في الجنب الشرقي المشار اليها برقم « ١ » كانت كقرية مسورة من اربع جهاتها بسور متين . والحصن المنفصل عن هذه المباني القديمة بخندق عميق مبني في اعلى نقطة من الهضبة . ومسور من الجهة الغربية بمخاض وطي ، وهنا توجد جميع مشتملات القلعة اما الخندق الذي حفر في الصخر فانه من اعجب الآثار التي اسمها الافرنج في بلاد سورية .

اما الجسر الذي يصل قصبة صهيون بالقلعة فهو اليوم من الآثار التي يقصدها السواح وهو قائم على دعامة تشبه مسلات المراعنة <sup>١</sup> (١) وتوجد في اعماق انحاء هذا الخندق الذي يبلغ عرضه « ١٨ » متراً آثار ابنية محمودة في الصخور ايضاً . وكانت هذه المباني عبارة عن اصطبلات .

ولا يوجد من هذه القلعة الآن الا برجها وبضع صوامع مبنية بالحجارة الكبيرة . فالبرج الذي اشير اليه برقم « ٥ » هو مربع الشكل وطوله « ٣٦ » متراً وكل طابق فيه كان كانه بهو . ويصعد من الطابق الاول الى الثاني على سلم قائم في الجدار الشمالي كما هو الحال في برج صافيتا . والجدار الشمالي المطل على الخندق والجهة الجنوبية ايضاً مجهزان بالبروج . والموقع الذي اشير اليه في الرسم برقم « ٣ » فيه انقاض قرية اسلامية بنيت بعد تدمير الحصن . وجامع هذه القرية وحماها المزداء بالثقوش العربية الطافة لا يزالان مصونين من الحراب ثم يوجد في الجانب الشمالي منها مستودع من محصور بالصخر ينزل اليه السلم . وهو لا يزال موجوداً برمته .

ويزعم موسو « *Rey* » الذي امكن في تدقيق الآثار الصليبية في سورية ، ان



### المخطط المرفوعة في قلعة صهيون

- ١ قرية خربة ، ٢ خندق محفور في الصخر ، ٣ شمار بشكل زاوية ، ٤ برج صغير وباب قديم ، ٥ برج القلعة ، ٦ برج مربع وباب قديم ، ٧ انقاض بناء ، ٨ الصهيرج ، ٩ الحندق ، ١٠ السور ومشملااته ، ١١ البرج ، ١٢ الكنيسة .





قلعة صهيون مبنية على اتقاض امنية من آثار البيزنطيين وجدران الكيسة الصغيرة التي  
تشاهد بين الاتقاض الموجودة في الغرب الاقصى من الهضبة ، والمشار اليها برقم « ١٢ »  
والبرج المشار اليه برقم « ١١ » لا تزال قائمة تلفت انظار ال واه والرائين .

## ٦ - موقع بابنا ، ومنظر ضواهرها ومخطوطها الراحنية

ان قصبة بابنا ، مركز قضاء صهيون التابع للواء اللاذقية مبنية على السفح الغربي  
من جبل ( جنكل ) المرتفع عن البحر بمقدار ( ٤٠٠ ) متر ، وعلى الجانب لشمالي من جبل  
( الكتف ) الملاصق له .

وبما ان ملقى هذين الجبلين الذي هي للقصبة موقعا مناسباً بميله الخفيف من الشرق  
الى الغرب ، محشو بانواع الاشجار الكثيفة ، اصبحت « بابنا » كمنبر يدع صغ من زبرجد  
قائم على سنام الهضبة يطل على القضاء الغربي .

نعم ان الجهة الغربية من قصبة بابنا التي كانها لسان ممدود مع ميل قليل مقطوعة  
بوادى « شرفه » ثم على نصف ساعة منه القرية المسماة بعين الاسم وبعده قضاء لا تطوله  
خيوط البصر يمتد الى حيث تنكسر امواج البحر . ولهذا كان منظره ناضراً جداً . لاسيما  
وطف تلك القرى ، وهاتيك الذرى الذى يلوح عن بعد ، ثم المعطف التى غشيت  
بسراب الابهام اوحدت هناك مشهد محاسن تنهى فى اللطف والجمال . فترون عن قرب  
قرية ( براشيو وزويار ) وعلى غلوة منها فى شمال الغربى انحاء البهلوية ، وبعيداً منها  
انحاء « بوجاق » و « باير » كانها موكولة لتعلم الناس الشعر .

ثم ان الجهة الشمالية من هذه القصبة لا تقل لطافة عن الجانب الغربى ، بل لها مشاركة  
على مناظر تناهت بالحاس ايضا ، اذ تطل اولاً على قرية « الارض الحمراء » ثم على قرى  
« سابروت » ، « الله » ، الرويسة الشيخ قلعة ، عمام ، زويبك ، دغمشيه ، وامثالها التى انتشرت  
تلك الانحاء منه وشمالاً ، ثم من ورائها ( جبل الاقرع ) الذى يلوح على بعد كانه  
قبة من اديم السماء .

لاسيما اذا تسلقنا ذرى جبل « الجنكل » و « الكتف » الذين كانا متكئا للقصبة من جهة  
الشرق والجنوب ، ونظرنا الى ذلك المنظر الفسيح الذى يتغلغل وراء الآفاق المرئية ، ثم  
الى القصبة نفسها التى كانها صحفة من الماس احييت بسوار من المياء المنقوشة فان ذلك  
انضر واذهى . ويرى من ذروة جبل « الجنكل » واد وسيع وبعده قرية « دريوس » ، ثم  
انحاء « جبل الاكراد » ثم الافق الذى يقصر البصر عن تعيين حدوده ، وتشاهد من جبل  
« الكتف » الهضاب والربى والوديان والفيض والرياض ، ثم القرى الكائنة بين

جبله ولبنا .  
تسار في القول ان هذه القصة هي من اجزاء قصباتنا بحسن المنظر وتنوعه  
ونضرة . وهي في كتاب سورية من الصحائف الممتازة الغراء ، التي تجب قرائتها  
بالشوق والسرور .

اما الخطوط الداخلية في القصة ؛ فمن البت ان تتحرى الاقسام والفروع فيها وهي لا  
تجاوز بعددها ٢٦٠٠ بيتاً . ومن السهل ان نحيطها برمتها بنظرة واحدة .  
وقد كانت حتى اعهد القريب منقسمة الى ثلاثة اقسام صغار . ففي الغرب « بلبنا بيت  
سليم » وفي الشمال « بلبنا بيت حنون » وفي الشرق « بلبنا بيت شريق » . ثم اضيفت اليها  
الاقسام الموجودة في جبل ( جنكل ) وهي : « الجنكل الاول » و « الجنكل الثاني » و « الجنكل  
الثالث » . ولهذا البحث مؤلفان من بيت محلات طبيعية .

وجميع بيوت هذه المحلات لا تختلف عن بعضها بشئ . هذا وان تكن جميعها مبنية  
بججر ابيض يسمونه « حجر النجيت » وذلك كان خارجها جيلا بذاك اللون الناصع . ولكن  
هذا البيوت الـ كادر ان تكون كلمة عبارة عن طابق واحد ، قيمة الداخل لان سقوطها  
قائمة على اخشا من الحور مصفوفة حيث جاءت لمصوق فوقها الواح من الخشب ايضاً او  
. هائر حلى من فوقه بالوحل ، وهي وطية لدرجة يحسها الانسان انها ستسقط على رأسه .  
ويضطرون دائماً لرصها بتكاس من الحجر .

ثم ان حدرها مطلية بالوحل المخلوط بالطين ، ونوافذها تغلق بمصراع واحد وانهم  
يعلمونه في الشتاء ، ويضرحون عنه في الصيف .  
ويراد في هذه القصة بضعة منازل بناؤها لا بأس به ، واقوامها الداخلية تكاد تكون  
شيئاً ، ولكن ساقلة .

ويوجد فيها محلات لا يباع فيها الحيوانات ايضاً . وهذا يدلنا بوضوح على درجة فقر هذه  
القصة من الابنية العلية للسكنى ثم ان الحيوانات لموجود في هذه القبة التي لا تزيد  
ع عشرين هي على عين لدرجة من عدم الانتظام والترتيب .

ثم لا يوجد فيها من ابنة الهمة الا جامعا ودر الحكومة ثم بناء المدرسة . فالجامعان  
والمدرسة هم من آثار همام لا تسمى صهيون اسمه الكريم . « نعم ان « جامع نشأت بك »  
هو من الآثار الحربية المرمية .

ثم ان هذه البصية محرومة من المارق المنتظمة ايضاً . وليس فيها الا طريق واحد  
يقع النصب من الشرق الى الغرب ببل قليل ، ويدعون « طريق السرايه » . اما الطرق  
الاجرة هي عبارة من مدخل ضيقة موجة كثرت فيها المنطقات .

ويوجد في خارجها طريق « اللاذقية » الذي يمتد الى الجنوب الغربي ، ثم في جنوبها طريق « جيلة » ، وفي شمالها طريق ( جسر الشغور ) . وجميع هذه الطرق لم تخرج عن الحالة الطبيعية .

\*  
\*

ويوجد في بانبا ثلاثة ينابيع . الواحد في محلة « بانبا بيت حسون » . ويسمى « عين عثمان » . ويستعمل مائه للشرب . والثاني في جوار دار الحكومة ويسمونه « عين عويجان » وماؤه غير صالح للشرب . والثالث « عين سلامة » وهي في « الجبل الثاني » وماؤها يمتاز عن جميع تلك المياه . وهم يملئون الماء بمجرار كبيرة واسعة الافواه . ويؤخذ في القصة مقدار ثلاثين بئراً ايضاً . ولا جرم ان هذه الينابيع لا تقوم بسد العوز . لاسيما ابان الصيف اذ ينقص مقدار المياه فهناك يدخل الناس في ضيق شديد .

## ٧ — الاموال الاجتماعية

[١] — الحالة الاجتماعية في بانبا — ان سكان هذه القصة الذين يتجاوزون بعددهم (٢٠٠٠) نسمة ، كلهم من المسلمين السنيين ، وهم ينقسمون من حيث الحياة الاجتماعية الى طبقتين . ولهذا نرى من الواجب ان ندرس حالتهم بالنظر الى هاتين الطبقتين . نعم توجد في هذه القصة طبقة من الاغنياء وارباب اليسار تتألف من بضعة اشخاص ، وطبقة من عام الناس المستضعفين الذين يودعون حياتهم تحت سيطرة اولئك المسيطرين . وهم السواد الاعظم . والفرق بين هاتين الطبقتين يكاد يلبس لوضوحه . والطبقة الاولى تتألف من خمس عائلات تبلغ نحو بضع مائة فرداها وكلهم يشتغلون بالزراعة ذلك لانحرام المركز والقضاء مما من الحياة التجارية . ويوجد بين رؤسائهم من له مقدار عشرة آلاف دونم من الاراضي ، في الاصقاع الساحلية ، او في لواء اللاذقية ويحصد دخلهم السنوي بثلاثماية ليرة . ولكل واحد من هؤلاء الرؤساء بيت للضيوف يسمى « اوده » . وهو مهبط لقبول الزوار والضيوف في جميع الاوقات . وهذا الحالة تضطربهم الى ان يرتادوا دحلاً غير الذي اهم ، ايشمكتوا من القيام بتلك التفقات الطائفة التي اثموا انفسهم بها . وهذا هو السبب الذي يدفعهم الى التطاول على المزارعين وانتهاط على جميع السكان . ويرى ان معظم الافراد هناك ما من الفارين من الجندية ، او من مرتكبي الجرائم ، او من المحكومين بها ، الذين تضطربهم حالتهم هذه الى التكم والتساعد عن اعين الناس . وهذه كانت فرصة عظيمة لرؤساء تلك العائلات يستفيدون منها ويؤمنون لادائها وبقائها . ويظهرون لهؤلاء المحترزين باتهم يريدون ان يرفعوا عنهم حيف المأورين

ويضمونهم ضرورة الفداة لاجل تأمين هذه الطائفة المطلوبة ؛ ولجلبون منهم بما لنا اطعامهم من القند والتلف . فاذا شذ عنهم شخص ، وعصى امرهم ، فلا يأتون جهداً بالقبض عليه وتسليمه الى الحكومة ليدوق نكال جريرة . ويجزونه على شذوذه وعصيانه . وقصارى القول ان هؤلاء الرؤساء الجائرين المتظاهرين بالدفاع عن الخلق ، والذين لا يدعون فرصة لاضرارهم الا ويتهمزونها ، ما هم الا بلا ص على هذا القضا ، وعلى اهليه المساكين .

ويروى عنهم من التلاعب في مسائل الاعضا والضرائب وابتزاز اموال الناس واضرارهم ما يجعل الانسان في حجب وحيرة من خضوع الناس واستسلامهم لهم الى هذه الدرجة . ويدجد في نابا بعض رؤساء ايضاً ليسوا في هذه الدرجة من السلطة ودخلهم لا يزيد عن مائة ليرة في السنة . ولا يبلغ تفليهم الى درجة الاولين ولكنهم لا تسح لهم فرصة يستطيعون فيها الاستفادة من انعاب الناس ولا يتهمزونها . وابناء هذه الطبقة لهم ميل عظيم الى وظائف الحكومة . ذلك لتكون لهم عوناً على احراز امانهم المذكورة .

وان هذه الطاقة التي تكتسى اودية حمراً من نسيج يسمونه « الديمه » وفوقها الجلب الطويلة وتعمم بعلمات منقوشة ، لا حظ لها من العلم والرفان رغمًا عن طموحها الى الوظائف الرسمية حتى ولا تميل نفوسهم اليه .

وطبائعهم المتواضعة التي تخضع لكل امر ، هي من الهدوء والسكينة في درجة ، لا يمكن تجرها تصديق ما يروى عنهم من انواع الاعمال التي بحثنا عنها ، الا ما كراه النفس واجارها . واذا سلمنا بصدق هاتيك الروايات نعلم ان لكل من هؤلاء الرؤساء كثيراً من الاتباع المسلحين .

ويقال ان عدد اتباع كل واحد منهم يناهز المائة ، وبهذا يكون مجموع خولهم في الفنة يناهز الم شخص . ولهؤلاء الانباع فداة عجيبة بالدفاع عن اسيادهم ، اذ بالاسراع لتحقيق امانهم ومقاصدهم .

وتصارى القول ان افراد هذه الطبقة الاولى الذين يروى عنهم انهم لا يهابون شيئاً من فرائض دينهم ، وانهم يصلون بعيشهم من القناعة والصبر الى درجة حرمان النفس مما اثم الله عليه ، لو عاملوا اباء جلدتهم باللين والانسانة ، وقدروا هذه القربة المبته التي نشأوا عليها حق قدرها فلا حرم انهم يرمون حول مجدهم هالة غراء من العز الشرف ، ويشخون قوب الناس باحترامهم وبحيلهم .

\*

اما الطبقة الاجتماعية الثانية ؛ فهي عبارة عن السواد الاعظم من سكان نابا . فاذا صرفنا النظر عن اتباع الطبقة الاولى من الاهالي ، نرى الباقيين فقراء قانعين منهركين ،

لا تزال حياتهم في الدرجة البدائية.

وكلهم يشتغلون بالزراعة ، وثلاثهم من اصحاب الاراضي ، والثلاثان يشتغلون بالاجرة عند ارباب الاراضي في اراضيهم ، او في بساتين الثمار ، وبهذا يتسنى لهم تأمين العيش.

ومن البعثان ترتاد عند هؤلاء المساكين ، مادة او مدنية او حياة لانهم ليسوا الا آلة وواسطة للغير يستفيد منهم ويستثمر مساعيهم . حتى ان اصحاب الاراضى بينهم عاجزون عن اجراء ولو حساب بسيط ، والباقون منغمسون في بحر من الجهالة .

فهل قبض الزمن لهؤلاء الفقراء المساكين الذين لا يزيد دخل ايسرهم حالاً عن بضعة آلاف غرش في السنة ، الخلاص من الاطماع التي جعلتهم آلة لاجتنا الشر ، ويسعدهم بتوجيههم الى الهدف التي تأمر به المدنية الحقيقية ، وتتطلب سعادته في البذر او يقربهم اليه ، ولا جرم ان هذا لمن الآمال التي يجب ان نركض وراءها ونهتم بتحقيقها .

[٢] — الحالة الاجتماعية في صهيون — تتجاوز سكان هذا القضا بعددها (٣٢٠٠٠)

نسمة ، وثلاثهم من المسلمين السنيين . اما الثلاثان فتمهم (١٥٠٠) من المسيحيين وهم من الروم الاورتودوكس . والباقون من النصيريين . فاذا اخذنا بالاكثريّة ننظر الى ان نعتبر القضا من الديار النصيرية . وقد كان يوجد في قرية (آرامو) وقرية (غنيمة) نحو (٦٠٠) نسمة من لارمن ولكثهم نقلوا الى محل آخر ، والروم الاورتودوكس الذين مر ذكرهم موجودون بين اكثريّة عظيمة من المسلمين والنصيريين ، جعلتهم لا يحس لهم بموجودة اجتماعية تستحق الذكر . ولهذا فان بحثنا عن حياة هذا القضا الاجتماعية نحصر في هتين الساعتين فقط المسلمين والنصيريين .

ان المسلمين السنيين الماكين في قصبة بابنا يعرفون باسم (عشيرة صهيون) . ولهم فروع في بعض انحاء القضا . فتوجد في كل من قري (بوكاس ، حفة ، شرقاق) اسيرة سنية يشبه رؤساؤها ، رؤسا المركز وهم لهم نموذج صغير بالسلطة والسيطرة . وتتألف كل واحدة من هذه العائلات من خمسين نسمة ولكل منها مائة شخص من الاتباع المسيحيين .

وهؤلاء لا يختلفون شيئاً عن رؤسا المركز بحالتهم وحياتهم وكسوتهم وسلطتهم . ولهذا لا نرى حاجة او الاسهاب في البحث عنهم . واتبعناهم من الرويين لا يزالون يرزحون تحت سيطرتهم الباهظة .

ويوجد من السنيين في هذا القضا « شجرة جبل الاكراد ، التي قطر الناحية اسما . بهذا الاسم . وهذه العشيرة السنية التي آمنت مع عشيرة صهيون لا راهب تختلف عن الاخرى بشئ . ولهذه العشيرة ربعة رؤسا لا يألون جهداً بالتشبه بجبراهم ، ولا يدخرون

وسماً في منع السعادة والرفاء عن اتباعهم من القرويين .  
وهاتان العشيرتان السيتان؛ عشيرة صهيون وعشيرة بجبل الأكراد هما العنصران الاسلامى  
السنى في هذا القضاء .  
وتقابلهم في القضاء الطائفة النصيرية . وهى عبارة عن عشائر « العمامرة » و « المهالبة »  
و « بيت شلف » .

فمعييرة العمامرة تسكن الانحاء الجبلية من القضاء . وعدد افرادها يتراوح بين ( ٥٠٠٠  
و ٦٠٠٠ ) نسمة . ويوجد بينهم ( ٢٠٠٠ ) من الرجال المسلحين ببنادق « ماوزر » . واغوى  
من فيهم الرئيس وثلاث عائلات من وجهاء العشيرة .  
اما عدد افراد المهالبة فهو ( ٢٠٠٠ — ٣٠٠٠ ) نسمة . فقيم ( ١٠٠٠ ) من المسلحين  
وقيم شخص واحد يحكم على جميع العشيرة .  
ثم ان عشيرة « دريوس » هى مثل المهالبة بكثرة الرجال ولكن قوتها المسلحة لا تزيد عن  
( ٥٠٠ ) شخصاً .

واغوى العشائر القاطنة في قضا صهيون هى عشيرة « بيت شلف » ويبلغ عدد افرادها  
قريباً من ( ١٠٠٠٠ — ١٢٠٠٠ ) نسمة . منهم ( ٣٠٠٠ ) من المسلحين وعدد حكامها  
ومتغلبها لا يتجاوز بضعة انفار ،

وقصاوى القول ان النصيريين في هذا القضاء منقسمين ايضاً الى عشائر مختلفة ، ولكل  
منها اتباع مسلحين ، ولهذا يجب في البحث ان ننظر اولاً الى مناسبات الطائفتين الاسلاميه  
والنصيرية ، وثانياً الى مناسبات العشائر بين بعضها ، وندرس حالتهم الاحتمائية .  
يزعمون انه لا يوجد اختلاف بين العشيرتين السيتين ، لانهم لا يريدون ان يفرقوا  
ويضلوا اتجاه قوة النصيريين العظيمة ولهذا فانهم لا يزالون على اتفاق واتحاد دائم . ولا  
بد ان يحدث بين العشائر الاسلاميه بعض الجرائم كالقتل ، وخطف الاناث . ولكنهم  
يخسمون هذه المسائل بين العشيرة ولا يدعونها لتكون سبباً للاختلاف والشقاق وهؤلاء  
العشائر لا يعيشون تحت الحيام كعشائر البدو . بل كلهم متوطنون في منازل ثابتة . هذا  
وان تكن تلك الاوكان التى يسمونها « بيوتاً » هى احط وادنى من خيام البدو . ولكن  
استقرارها منعهم من الفوضىة العمومية ، واضطربهم الى حل كثر الاختلافات التى  
تحدث بينهم .

وللسنين نجاح النصيريين حالة روحية جديرة بالذكر ، ولا يصح الاعتقاد بان السنين  
يحبون النصيريين . لانهم على يقين من بطلان مذهب هذه الطائفة ، ولذلك فهم يعتقدون  
ببدهم عنهم اكثر من النصارى وغيرهم ممن يحالفونهم في المعتقد ؛ عليه فان السنين  
لا يزوجون بناتهم الى النصيريين البتة ، ولكهم ينكحون النصيرات ويقال انه توجد في

## صهيون

يسوء متعلقي السنين بمئات كثيرة مثلهم ثم لا توجد اشارة في الديانة النصرانية تدل على ان ابتائهم لصهيون من سواهم البتة . ولهذا فلا يكون قلوبهم أبز بالسنيين ، من قلوب السنيين بهم .

ورغم أن بعد هاتين الطائفتين عن بعضهما روحاً وديناً زارها على مجاملة ظاهرة ، ووافق دائم . ولا ترى لاحدى الطائفتين في قضاء صهيون تجاوزاً على الاخرى . ولا جرم ان هذا السكون ، عدم التحرش مبنى على توازن القوى والسلطة بين الفريقين . ونجاح السنيين في تأمين هذه الموازنة بالرغم عن قلة عددهم تجاه كثافة عدد النصرانيين جعلهم يعتقدون في انفسهم العزة ، ويحملون مكاتبتهم على علو كمهم في الجسارة والبسالة التي ادهبت رقبائهم ، وجعلتهم يخشون جانبهم .

ولكن النصرانيين لا يسلّمون بهذا التأويل ، وينكرون في الموازنة الموجودة نشأتها عن جسارة السنيين وبسالتهم ، ويحملونها على الاختلاف والشقاق الموجود بين عشائرهم فقط . ولا جرم ان تأويل النصرانيين اقرب للحقيقة وامس بالصواب . لان اوصافهم الاجتماعية الخاصة ، ودعائى الثارات والانتقام بينهم جعلتهم في شقاق وخصام دائم . ولهذا السبب ينقسمون الى قسمين فالقسم الاول يضم قسماً من عشيرة العمامرة ، وجميع عشيرة المهالبة ، وقسماً من عشيرة بيت الشلف . اما القسم الآخر فيتألف من بقية العمامرة ، ومن عشيرة دريوس ، ومن بقية عشيرة بيت الشلف . وهذان القسمان لا يزالان في المصاد لبعضهما ، ولا يدعان فرصة لاضرار بعضهما الا وهبان لانتهازها ، كأنهما جيشان متخاصمان . ولا ادري ماذا تبتنى هاتان العنان من سفك دماء بعضهما كالوحوش الضارية ؟

وهذا الحلل هو الذى يكن العشائر السنية من الاحتفاظ بكيانها . ومع هذا فقد يروى ان النصرانيين يعترفون بكفاية القوة المسلحة التي يستند عليها السنيون .

وقصارى القول ان هذا التوازن والتماثل بالقوى جعل هاتين الطائفتين مرتدعتين عن التسلط على بعضهما في قضاء صهيون ، غير ان من النصرانيين اناساً يبلغ عددهم قريباً من الف شخص كلهم مسلحون ، يمضون حياتهم بالشقاوة وقطع السيل .

وينقسمون الى عصابات ربما جاوزت بعددها مائة شخص ، ودينتهم شن الغارات على القرى القريبة ، وخاصة على القرى الساحلية ، وعلى الأنحاء التابعة للملاذقية فيعيشون فيها فساداً ويحرقون وينهبون ، ويقتلون اذا لقوا منعاً او مقاومة ، ويرتكبون كل سيئة .

وقصارى اقول ان هؤلاء القوم الذين ينهبون اعمارهم بحالة يسود لها وجه البشرية ولا تليق حتى بالاقوام الابتدائية ، يتدهورون في افجع ما يصاب به انسان البشر من المهاوى الفظيعة ، ويسوقون معهم هذا الوطن العزيز الذى لم يعرفوا قيمته ، وهذه البلاد الناضرة



التي أُرِبت على الجحان، رابطاً فيها وحسناً المثل تلك الملهوأة، إلما حسة، فيهلكون، فيهلكون، فيهلكون، وقد إن زمان الصبحة بهؤلاء العافلين، وحزن البن فرجهم، عن اقتيلقه هاتيك النظالم، وانا نعلم ان الاعتراف بهذه الحقيقة المرة هو من أكبر وجائبا.

[٣٣] — تمه — وبعد ان ذكرنا الاوصاف الاجتماعية الاساسية في هذا القضاء ومركزه نرى من اللازم ان تم البحث باضافة بعض الشؤون الفرعية ايضا.

اولاً، لا يوجد فرق في نسق العيش بين السنين والتصيريين البتة. لان جميعهم يعيشون في تلك الاوكان المتداعية والنهين يتمكنون منهم من فرش ايد في تملك الارض المتفتنة من هتيك البيوت التي هي عبارة عن صبرة من وحل لا جرم تكون كل السعادة لهم وأكثرهم يربطون دوابهم في هذه البيوت وينامون معها جنباً لجنب. وقد استأصلت فيهم هذه العادة حتي لا يكاد يشذ عنها احد منهم.

وبمع هذا فإن خلودهم في هذه العيشة الذميمة، ورضائهم بها لاجرم يستند على ما هم فيه من الجهالة العمياء. لانهم لا يوجد بينهم من يعرف القرائ، والكتابة الابيض اشخاص في مركز القضاء لا يتجاوز عددهم (٣٠) نسمة. وهكذا الحال في السنين ايضا.

اما نسقهم في الامور المذهبية فان للسنين اماما في مركز القضاء فقط، وقراهم محرمة من الرؤساء الدينية. والتصيريون عندهم في كل قرية شيخ ويتفق المشايخ مع الرؤساء ويتصرفون بهؤلاء الساكن كيف شئت اهواؤهم.

والسنين راجعون قاضي المركز في مسائل النكاح وغيرها من المسائل الدينية. وقد نطقت القيود الرسمية في محكمة القضاء الشرعية ان عدد الذين توجوا سنة (٣٢٥) كان (٩٣) سنة (٣٢٦) ١١٦ سنة (٣٢٧) ١٢٥ سنة (٣٢٨) ٣٧ سنة (٣٢٩) ٥١ سنة (٣٣٠) ٢٣ سنة (٣٣٢) ٤ اشخاص فقط. ويقال ان قاعدة تعدد الزوجات ليست متعممة بين السنين.

ولم نظفر بالقاعدة الحقيقية التي يتبعها التصيريون في هذا الامر. على انه من العبت ان نبحت عن هكذا امر بين هذه الطائفة التي ليس للنساء عندها من قيمة اجتماعية.

وان النساء في قضاء صهيون عرضة لكل اضطهاد وظلم وهؤلاء البائسات اللاتي لا ينقطعن عن العمل، لا يزلن حفاء، ولا يكون حظهن من ثياب الا طمار مالة، وانهن لجديرات بالرحمة لسقوطهن في هذه الديار التي خيمت عليها الخشونة والغلظة. ولا جرم يحق لهن ان يصرخن بالشكاية من هذه الويلات، ولكن هيئات تلك الاصوات الضئيلة ان تستطيع

ع رنينها بين تلك الجلبة القاصفة .  
نعم ان قمعقة السلاح بين التوديع الذين لا يبالون بارتكاب اشنع الجنايات ،  
لا تزال تختق بضوضائها اصوات تظلم الدماء . فهلا يعلم اولئك الغلاظ ان هذه الذنوب  
الضائلة التي تخفيها مجدهم على تلك المصابة البائسة الضميمة ، هي من أعظم الجنايات الاجتماعية  
في نظر الانسانية المتمدنة . ولكن بعيد عن هؤلاء الذين لا يعرفون الا البنادق ان يعلموا  
نعم انهم لا يعقلون .

نعم ان الدماء في هذا القضاء هينة رخيصة . وقد قيدت جداول الاحصاء سنة (١٩٣٣)  
في هذا القضاء تسعة جنائيات من نوع القتل اشترك فيها (١٠٢) من الاشخاص . وجرائم  
الضرب والجرح لا يحصى لها عدد . وضبطت القيود منها « ٨١ » حادثة فقط . وما يدرينا  
لعل هؤلاء من الاشخاص الذين تمردوا على الرؤساء الصهيونيين وخالفوا احوالهم .  
ونرى الكثير يصادق على اصابة هذا الرأي .

\*  
\*\*

ولا نعجب من اسماعهم الغليظة التي لا يطرأها الا صوت البنادق . اذا رأيناها لا نهم  
باللحن الرقيقة الموسيقية او غيرها من الهامات الفنون الجميلة . ولا اثر هنا لاشعر ، ولا  
للموسيقى ، ولا لغبرها . وتوجد عندهم ثلة من زعاف الناس يسمون بالنور تجولون في تلك  
الاصقاع ، ويتحفون القضاء حين زيارتهم بقرع الطبول ، ولولة الزمور ويثب هؤلاء  
الاسقاط كالقردة يمتد وشمالاً ، وهم من الوساخة في درجة تخجل منها الانسانية ، ويغيرون  
على الشامة بناتة كريهة . وعلى الادمغة بمعان ، تمل فيها عمل الرصاص فيحسبهم الصهيونيون  
اولئك المساكين ، انهم يرقصون والبلاء الاسود في تسمية تلك السفاسف غناءً وتراهم  
يحركون اشدائهم ، فيتطايرونها فتات اللعاب ويقولون :

امان امان فنجانه  
فنجانه هالطويله  
يصلحله شرب الاركيه  
عملت علينا حيله  
تمسك لنا البغاله

وليت شعري هل يشعر الصهيونيون بالطرب حينما تنزل هذه السفاسف على ادمغتهم  
كجلد السياط . اذ من المستحيل ان تشف انظارهم او سحتهم عن هكذا شعور . على ان  
عدم شعورهم وتعسبهم بتلك الطبول والزمور امر ظاهر لا يعنى عن رؤيته الا من كان  
منهم ، او من اضراهم .

## ٨ - الاموال الصحية

من العيب ان نتحرى في هذا القضاء حالاً في الصحة غير الذي نعهد في الاقضية الاخرى . واذا علمنا ان الحالة الصحية في المركز والملاحقات هي على غاية في الانحطاط رغمًا عما افاضت عليها الطبيعة من الاستعداد الحيوي الكامل فنظر الى ان نحمل القصور عليهم لانه عبارة عن اهل بشرى وعجز .

واذا اردنا ان نبرهن على صحة دعوانا ، نذكر المستنقعات التي اشغلت مساحة ماء دونم في الجهة الغربية ، وخسماية دونم على ضفاف العاصي في الجهة الشرقية . وهذه لينابيع المرضية لا تنفك تخلق امراض الحمى المرزغية وتشبع بها القضاء . وقد ذكرنا ان ادري كف يسوغ اهل هذا الامر وعدم التعرض لدفع هذه السموم القاتلة في هذا لزمان ؟ وتوجد في القضاء غير هذه الحمى الامراض العينية والذل ، والذرات دى ... الخ وليس لها من سبب الا حياة السكان العمومية ، فتى يا ترى يتخلص هؤلاء البائسون من هذه الحياة المخالفة للقواعد الصحية ، ومتى يدركوا ، معنى الصحة وقيمتها ؟

علمنا بالبحث ان الصيريين نسقاً عجيباً في المداواة . فاذا ارادوا تسكين وجع الاضراس يمددون الى الحائط فيدقون فيه سماراً ثم يضربونه بسيف صادم فيقطعونه ، فاقطع المسبار يقطع الوجع عن الضرس !!

ولهذا يجب ان لا نعجب من ابتلاء هؤلاء المساكين بالامراض في هكذا قضاء بل اولى اننا ان نعجب من احتفاظهم بالحياة ومع هذا فانهم يركضون الى العدم والهلاك بخطوات سريعة . وهذه الامراض لا تزال تقتك بهم ، بل تلهيهم بارها ، كما يصلون بعضهم بنار بنادقهم .

وقد اطلعنا بحساب تخميني على ان مقدار الوفيات في هذه السنة تجاوز (١٣) في المائة او بالوضح ان مقدارها كان سنة (١٣٣٢) (٤٠٠٠-٥٠٠٠) نسمة . واحبابه اولاً مرض الحمى القنسية التي اكتسحت جميع الاحياء ثم الحرار والجوع . والذي نعلمه علم ايقين - مهما اختلفت الاسباب هو تناقص هؤلاء القوم من جراند النفوس وانعدامهم .

هذا وان كان لا بد لتلك الامراض المارئة من هكذا فتك عاجل ، غير ان اللدات في اقضاء لا تتجاوز ثلاث في المائة ، وربما نودع الحياة في امان الطفولية ثم اذا اضنا ايها مصائب الامراض المحيية لا جرم تنجل لنا دهشة هذا المقدار ، نطلع على وفرة .

ولهذا يجب في الاستحالة التي تنتظ حدوثها في هذا القضاء المحروم من جميع الوشط

الاجتماعية والمدنية، ان تستهضم الصحة العامة قبل كل شيء، لان اهم اركان المدينة هي الحياة . وعليه يجب ان يكون دستورنا في هذا الامر ، لا مبدئية بلا مجة وحياء .

## - ٢٢ -

### بين بابنا واللاذقية

ما كنا نرى لزوماً لتعيين خطة السفر، لان الطريق بين بابنا واللاذقية معلوم وضح . وهذا الطريق الاخير الذي سيوصلنا من بابنا الى الساحل بطرف بضع ساعات سمعنا عنه من احاديث الثناء والوصف بالطافة ما جعلنا نستعجل بانتظار اوقات السعادة التي تفارق فيها بابنا نبتهج برسم آخر خط في صحيفة هذا السفر .

ولو لم نضطر لتشجيع هذه الليلة ونحس اننا بين الحشرات التي تراكض حولنا على تراب ارض الغرفة الحالية التي اوينا اليها في مدرسة بابنا ، لكنا حاولنا ان نير هذه الظلمة الكثيفة التي غشيت ابصارنا بنور الامل الذي انبعث عن ابتهاجنا بهذا السفر الميعون ، ولعلنا كنا نعتاض عن هذا الديجور بشيء من الرقاد .

غير ان هذه الصحيفة الاخيرة من كتاب سفرنا كانت محشوة بسطور عملة مزعجة . وكنا ندافع هذه الظلمة وننتظر انبلاج الصبح واذانا مصفية الى ديب الحشرات المتراكمة حولنا في احشائنا هذا الليل الرهيب . وانظارنا معطوفة الى الكواكب اللامعة في تبة السماء الراكنة .

وما زلنا على هذا الانتظار الممل حتى كبت فحمة الليل وقام على املسة السماء من وراء جبال جنسكل لون رمادي . فكانت لنا هذه الصحيفة البيضاء برات نحاة . ولم نلبث بعد هذه البشرية الهندسية الا وامتطينا متون الجياد . واخذنا نحوض في تلك الظلمة التي لم نزل سائلة سدولها .

فادونا قصبة بابنا وسنحت لنا نكهة عطرة انبعثت من اشجار الآس وامتزجت بارواح ذلك الليم الليل في هذا الصباح الصيفي فأجيت ميت الآمال واسكرت الارواح . وهذه جميع انحنائنا تقط في رقدة الصبح ، في طي ذلك الهدوء السائد . ولا نلبث ان تطل عليها مائة لؤلؤ من فوق شواهد جبال جنسكل ، وتسلب امواج ضيائها لتبعث جميع النيام من مرقدتها .

انحدرونا في منحدر سهل وبعد برهة تركنا قرية « الشريفة » ، ولاحت عن يسارنا ربي « شيخ الياذر وعين التينة والمزارعة ودباش والعميرة » . ترسم على تخوم الافق خطوطاً

مجهنة ثم بعد مدة توالت عن يميننا جبال « يو ايتو » و « زو بار » كأنها سلاسل مستقيمة قامت بيننا وبينها الوديان ، وما كان انظر منظر تلك الوديان والخضر .  
ثم كان على يسارنا مجرى « نهر الشقيفات » كأنه طريق ممدد بالبلات الابيض ، وعلى يميننا وادي « بابا » . وما نحن نغادر طريق جبله الذي يمتد الى الجنوب ونعطف نحو الغرب ، ونرى خيال البحر يلوح عن بعد كأنه صهيفة سمراء .

وبعد نصف ساعة تركنا عن يميننا قرية « الرقيق » في كبد الوادي ، وعن شمالنا قرية « خولله » وهي عبارة عن بضعة بيوت . وكان سبيلنا لا يزال يتدرج بالانحدار . وعلمنا من التلال والشهول التي قامت املنا اننا سنسير في طريق سهل حتى نصل اللاذقية ، وهذه البشرية بحثت في نفوسنا نشاطاً وأملية .

هذه الشمس بزغت من وراء جبال جنكل واخذت انوارها تندفق على هذا القضا حتى غمست كل شئ بذلك الطلاء الذهبي . واآتسب سبلنا منظرأً نظيراً .  
وسرنا ربحاً من الزمن ونحن محصورون بين اشجار الحور وثى من الحضرة ، وكانت الحقول المحصورة حوالينا كأنها مبتسمة مستبشرة وهذا المحل هو المنبع الذي يسمونه « عين التريئة » ثم غادرنا هذا المنبع على يسارنا ، ولم نزل نسير في المجدد . ثم انعطف الوادي الذي كنا تتبعه من الغرب الى الجنوب ، وترائت لنا في الجنوب قرية « ايرطليه » . وكنا اير في الساحة السفلى من الوادي ونحتفظ باتجاهها الى الغرب . وما قد شرعنا نصعد في مرتقى صغير واحترنا « نهر الرقيق » الذي يجري في اعماق الوادي . وقد اوصلنا هذا المرتقى الى ذروة « الحميدية » وقريتها . وما قد غادرنا قرية الحميدية على يميننا واخذنا في القدم وكنا على بعد ساعة من بابنا ولاحت لنا عن شمالنا قرية « خربة خيشون » وقرية « المشير » وما في طريق جبله .

ثم بعد اغوا وانجساد مررنا من جانب قرية « قدر » الكائنة وراء واد صغير على هضبه بعيدة . ثم تركنا قرية « الزفت » على يميننا وقرية « سمندل » على يسارنا . وهذه كانت مسترة وراء الهضبة .

وقطعنا المرمى المسمى « مرج الزفت » وكان على يميننا جدول « ساقية القدره » الذي ينبع من انحسا « قدره » .

وبعد قليل لاحت على يميننا قرية « رديحه » وعلى غلوة منها فوق الربوة قرية « بهلولية » و « رشية » وورائهما على بعد ذروة « جبل الاقرع » العالية .

وهناك شرعنا نرى الحقول المزروعة بالذره البيضاء والصفراء . وبعد ان تركنا قرية « المختارية » على يميننا وقرية « القبادصية » على يسارنا انقلب طريقنا الى سهل يمت . وبعد ان احترنا « نهر المختارية » بقليل وصلنا الى « النهر الكبير » الكائن في منتصف الطريق

بين بابنا واللاذقية .

امضينا قريباً من ثلاث ساعات منذ غادرنا بانيه . بها نلحظ نخوض في الماء بجبلنا بين خرخرته وزبده وقلوبنا تطفح سعادة لما كنا نراه حولنا من المناظر البديعة .

وها قد لاحت لنا في البين عن بعد قرية « عين اللبن » وقرية « الجندارية » وفي اليسار قرى [ العنصه ، ست فيرس ، شربة حورو ] ومن ورائها قربنا « رردو ورويسة الحرش » وجميعها كانت تتسلسل على الضفة اليسرى من النهر الكبير وهي على الدلف ما يكون من نصرة المنظر بخضرتها اللطيفة . وما كل اجل هذا الوادي في هذا الصباح لصيفي . وثابرتنا على تعقيب الساحل الايمن من هذا النهر الممتد الى الجنوب الغربي . والآن وصلنا الى طريق « اللاذقية — حمر اشغور » المعبد وسنسير فيه حتى اللاذقية .

ثم غادرنا عن يسارنا قرى « رردو » و« ساقية الفضة » واحذت القرى التي مر ذكرها تتوالى على انظارنا حتى لاحت على يميننا قرية « قاو » . ومنذ ترائت قرية « الشيخ محمود » شرعنا نلمح سفوح اللاذقية عن بعد ، واخذ منظر البحر ينفجح مامنا حتى سد علينا الآفاق .

وبعد مضي ست ساعات منذ ركوبنا من بابنا وصلنا الى قرب جامع « الشيخ المغربي » في اللاذقية . وبعد قليل اخذنا ندخل الابواب القديمة في هذا المركز الذي ظهر لاعتينا بمنظر رهيب . وكنا سير على ارضة البلدة وبودنا ان لو طلت هذه السفرة التي ما كنا نحسبها «لا جولة لتتزه الصبحي . وكنا بهذه الفروسة نريد ان تمثل فرسان افرون المدة . سطة الذين يتجولون في خارج ابواب القلاع القديمة .

— ٢٣ —

## قضاء مركز اللاذقية

### ١ — موقع القضاء وممره

ان قضاء المركز الكائن في الشمال الغربي من لواء اللاذقية محدود من الشمال بولاية حلب ، ومن الشرق بقضاء صهيون ومن الجنوب بقضاء جبله ، من الغرب بالبحر الابيض .

### ٢ — مساحة القضاء وعدد سكانه

١ . مساحة هذا القضاء تخمس بمة ار (٣٧٤٨٣٤) دونم ، بناءً على القسم المزروع .

(٢١٣٩٠٠) دوم .

اما عدد سكانه بالنظر الى القبول الرسمية في سنة (١٣٣٢) هو كما يلي :

اسماء التواحي	الارض	الماورين	اللاتين	اليوستات	الاروام	المسلمون	الاجال	يكون						
فصبة اللاذقية	٨٦	٩٧	١٤٥	٢١٧	٩	١١	٤١	١٥٣٤	١٦٥٩	٨٣٥٨	٨١٩٦	١٠١٦٥	١٠٢٢٢	٢٠٣٨٧
ناحية قري الحزن														
ناحية البهلولة														
ناحية البسيط	١٣٥	١٦٤												
ناحية بار														
يكون	٢٢١	٢٦١	١٤٥	٢١٧	٩	١١	٤١	١٧٣١	١٨٤٨	٢٣٤١	٢٣٣٢٣	٢٥٥٥٨	٢٥٧٠١	٥١٢٥٩

## قضاء مركز اللاذقية

٤٤٩

وبهذا يكون مجموع السكان ٥١٢٥٩، نسمة منها ٤٥٢٥٠ من النصارى و ٢٠٧٩٦ من النصيريين و ٢٥٩٣٨ من السنيين. وكان مقدار اللدات سنة ١٣٢٨، و ١٣٣٢ (١٩٣) و (٧٢٨) نسمة. ومقدار الوفيات في هاتين السنتين ٢٩٧ و ١٣٩٣ نسمة. اما الاثراك الموجودين في هذا القضاء الذين بحثنا عنهم في القسم العمومي، فعددهم بحسب القيود الرسمية كما يلي :

١٧٦٦	في ناحية قرى الخزينة
٢٧٩١	« البسيط
٣٠٢٧	« باير
٧٥٨٤	يكون

### ٣ - امور المعارف في القضاء

ما من امة هبت لمناخلة الاستبداد الذي يودي بحياة البلاد ومنافعها، ويجعل آتى الادم مدفوناً في طي ظلمات رهيبه، ويصل الى درجة تأني الطباع لايبة تحملها؛ وشطت لتقويض دعائمه، ونقصته من اطرافه ثم اقامت مكانه حكم الجمهور؛ الا وتضطر بعد ان تتكامل مساهم ثورتها بالنجاح الى الاقبال على تنسيق الامور الادارية والاجتماعية ولا سيما امور المعارف. وان الحكم الانامى المصرى الذى نص عليه فلاسفة القرن الثامن عشر وعلماءه، ودان به الثوار الفرنسيون، لا يسلم ويبقى الا بالمعارف وبالاطلاع على العلوم الاجتماعية واسياسة التى تنقش فى ادمغة الامم. آيات هذه الحياة الادارية. ولهذا نرى الدولة العثمانية لم تهمل امر المدارس حتى فى سنة (١٧٩٢) حينما كانت منغمسة فى الحروب الدموية، الى انفردت حياتها السياسية بالخطر فى داخل البلاد وخارجها، بل نهض رؤس الثورة وخطباؤها، وبحثوا على منابر الخطابة فى المجالس المليئة عن المدارس التى تهيب حوكومة الجمهور آت بهيج وتجلجلا اسها متينة لا تتزلزل. لم يخطأ المؤلفون الذين يشبهون الدتور سيف ذى حدين. لانه يحمى حقوق الامة من تعرض المستبدين، ويرمى كاهل الوطنيين بأقل الوظائف. وان الحرية التى تنقيد بحقوق الغير يختلف تأثيرها باختلاف المحيط بهي اما تهيب للوطنيين آت مطمئن زاهر، او تخرجهم الى مهاو الدمار فاذا كان القوم آخذين نصيهم ن التربية الفكرية والعلوم الاجتماعية فال وظائف ولحقوق بينهم تكون معينة، ولهذا تكون الحرية فيهم كالديل المرشد تأخذ بيدهم جرأ الى السعادة والسلامة. ويتسبى لهكذا امة ان تستحوذ على الظفر فى الجدال الحيوى بسهولة، فتكتشف العلوم والفنون،



وترقى التجارة والصناعة والزراعة بسرعة البرق ، ولا يجد احداً منهم يعطى على الآخر ، وغضب كل منهم لما يخالف القانون ، ويعترض هكذا أعمال ويب لا يبقاها . وهكذا فان الادارة الدستورية تقضى على الحكومة والامة مما بالتقيد ببعض القيود النافعة . فبسي افراد الامة وهم احرار ضمن الدائرة التى ترسمها القوانين ، ويتسولون بالوسائل الفنية لترقية زراعة البلاد ونجاحها . ويجعلون لانفسهم وامتهم ات بهيجا .

وهذه النتائج الصالحة التى اكتسبتها البلاد الراقية لا يسوغ حملها على تأثير المدارس العالية . فكم فى بلاد الغرب من الاغنياء والمحباة الاراضى ، وادباب المعامل الذين انخرطوا فى الاعمال العملية قانعين بما لديهم من التحصيل الابتدائى فقط . بيد ان المدارس الابتدائية التى اغنت الطبقة الامامية عن التحصيل التالى والعالى فى البلاد الراقية ، هى مدارس جديده بمعلمها العالمين المحنكين وبابنتها الرصينة الصحية ، وبما فيها من آلات الدراسة الحديثة . ولا بد ان يدرك الذين يخرجون فيها جميع الحقوق والوظائف التى قضت عليهم بها حياتهم المدنية والاجتماعية . وتجدهم يهتمون لكل ما من شأنه تأمين سعادة امتهم وسلامة اوطانهم ويقبلون على لوسائل تلى ترشدهم الى اصلاح اعمالهم ورقها فيقرؤن الجرائد والوسائل والمجلات ويطلعون على تلك التداير ، ثم لا يألون جهداً بارتياح الاخفاء وجلبهم والاستفادة من ملكاتهم العلمية والفنية .

منذ اكثر من عشر سنين ونحن فى ادارة دستورية . فلماذا يا ترى لم قبيض لنا تلك المساعدة المنشودة ، ولم تحي فينا هاتيك الآمال المذهبة . وهانحن نعيش عيشة القرون الوسطى مع ان العالم يطول المراحل الشاسعة بسرعة البرق فى اخلاقياته ، واجتماعياته ومدنيه الحقيقية ، وهذه الاما اس فى العالم السياسى ، بنغاديا و صربية يظهران من العزم والانتباه ، ما جعلهما يسبقانا بشوط بعيد ، وهانحن نتسكع وراثتها ، وهما اطفال السياسة بل اطفالنا .

لا جرم ان سبب هذا الحرمان ، بل خالق هذا الشقاء هو عدم وجود المدارس الابتدائية . وما كان انتصار الامة الالمانية على الدولة الفرنساوية سنة (١٨٧٠) ولا ظفر اليابانيين فى اصقاع مانجوريا سنة (١٩٠٥) ، وحتى ولا غلبة البلغاربيين فى لوله بورغاز سنة (١٩١٣) الا بالمدارس الابتدائية التى تعلم اطفال الامة حقيقة الوطنية . اما نحن معشر الشمايين فلم نهم بمعارفنا طريقة معقولة تناسب الزمان والمكان . وترى حداول المعاف لا تزال تبحث عن المدارس التى است فى جميع انحاء الولاية ، ار تقرر تأسيسها ولا جرم ليس فيها من مؤسة يجدد ان تسمى مدرسة . لا يبالوا بالاذقية الذى قام فى اقصى الشمال من الولاية ، ولم يزل يتخبط فى حال اليم من ظلمات الجهل ، وهو مهمل بالكلية و ترى مفتش المعارف فى اللوا بحث عن اسباب هذا الحال فى تقريره الذى عرضه على

مقام الوثاية ، فقال :

[ لم تتمكن في هذه السنة ( ١٣٣٣ ) من تطبيق قانون التدريسات الابتدائية . اذ يجب بموجب هذا القانون ان تؤسس المدارس الابتدائية في كل قرية . ثم بصار الى قاعدة التحصيل الاجباري . بيد أنه لم يمكن اعداد المعلمين القادرين ، الحائزين على الشروط والاهلية للمدارس التي كفلت نفقاتها ميزانية الولاية . وهذا السبب قضى بتعطيل اكثرها ، ولو عمدنا لتحصيل النفقات من الاهالي لاجل تأسيس هاتيك المدارس ، ثم لم تتمكن من ايجادها بسبب فقدان المعلمين ، لا جرم لا يتحقق النفع الذي يتوخاه القانون ، ولربما يحدث هذا الحال في اذهان الناس تأثيراً معكولاً . ولهذا اضربنا عن النفقات التي تقوم بها تلك المدارس . ولم نطرحها على الاهالي كما امر القانون .

اما الاجبار على التحصيل ؛ فلم يمكن تطبيقه ايضاً . وذلك بسبب ما اصاب الاهالي في السنة الماضية من ضنك المعيشة وضيق اليد ، ثم ن الآباء والاولياء الذين تحق عليهم المسؤولية اما هم في الخدمة العسكرية ، واما هم في لدرجة القصوى من الفقر والحاجة . ولهذا لا يمكن تطبيق الجزاء الذي رسمه القانون . حتى اننا نرى كثيراً من الطلاب قصرت ايديهم عن الحصول على الكتب والدفاتر وغيرها من آلات الدراسة ، بسبب ترفع الاسعار . ولا جرم ان اطفال المجاهدين ، والشهداء وافقراء الذين اعنادوا على شراء عشرين لوحاً من الورق بعشر يارات يعجزون عن شراء لوح واحد منه بعين الثمن ] .

ان تألم لواء اللاذقية كائن بسبب فقدان الياية ، وعدم وجود المعلمين المقتردين على التدريس . ويجب على الذين يتألمون لاقفار هذا اللواء من المعاهد العلمية ان يعلموا ان هذا المرض يشمل جميع انحاء بلادنا . وما من احد فينا الا ويسلم باحتياجنا الى الدواء الحاسم عاجل .

#### ٤ - الاموال الزراعية في القضاء

ان الغلال السنوية في قضاء مركز اللاذقية ، هي كما يلي :

مقدار الاراضي المزروعة	مقدار الغلال	اهاء الغلال
دونم	كيلة	
١٠٠٤٠٠٠	٨٠٠٤٠٠٠	القمح
٤٠٤٠٠٠	٢٨٠٤٠٠٠	الشعير
٢٠٠٠٠٠	٦٠٠٠٠٠	الذرة البيضاء
١٠٠٠٠٠	٦٠٠٠٠٠	الحص

ولاية بيروت		٤٥٢
٨٠٤٠٠٠	١٥١٠٠٠	القول
٦٠٠٠٠	٣٥٠٠٠	السهم
٣٠٧٠٠	١٠٠٠٠	العدس
٣٠٠٠٠٠	٥٤٠٠٠	الجلبان

ثم يستغل على الحساب المتوسط في كل سنة مقدار (٥٠٠,٠٠٠) كيلو من التبغ في اراضي تبلغ مساحتها (١٥٠,٠٠٠) دونم .

حصلنا على المعلومات الآتية من مديرية الزراعة بشأن زرع التبغ الذي هو من اهم غلات هذا اللواء :

[ ان زرع التبغ في لواء اللاذقية لم يزل معروفاً منذ قرن ونصف ، وقد تبين لنا بالتحقيق ان هذه المادة جابت من روج الروم الى .

والتبغ الذي يستحصلونه اليوم لاجل الشرر ، له اوراق لينسة كبيرة وطويلة حمراء تضرب بلونها الى الصفرة ، ورائحته لطيفة ويسمونه « شك البنت » . هذا وان وجد بعض انواع من هذا التبغ ولكن لدى الحقيقة كله جنس واحد [\*] ولا يختلف الا بمظهر الاوراق وصفها نظراً لاختلاف الانحاء التي يزرع فيها من سهل ووعر

وكان جميع هذا المحصول يرسل الى اسواق مصر وقد حدث سنة (١٢٣٤) انوار عظيمة في البحر لم تمكن ارباب السفائن من اجراء السفر ، فبقى محصول التبغ في ايدي اصحابه وبما انه لا يوجد عندهم مستودعات معدة لهذا الخصوص اضطر اذ ذاك القرويون الى تعيقه بسقوف بيوتهم . ثم وافاهم الشتاء فشرعوا يوقدون النار في تلك البيوت على جرى العادة . فاصاب الدخان قسماً من التبغ وبخره واعتقد القرويون انه فسد .

وبما استحوذوا على المحصول الجديد في السنة الآتية ارسلوه الى مصر وادخلوا بينه عن غفلة منهم بضعة اكياس من لتبغ المخمر . ولما رآه المصريون طنوه نوفاً جديداً وسموه « بوريحه » بسبب ما فيه من الرائحة الخاصة الى نشئت عن تبخيرها . ولم يلبثوا ان ادعروا الى تجار اللاذقية باشتراكية ووفرة . في الموسم الآتي وبهذا كان لزراع التبغ الدخل الوافر من هذا النوع الذي ظنوه فاسداً .

ان هذا النوع من التبغ يوضع في بيوت بنيت خاصة لاجله . وهي ممتطيلة الشكل ولا يوجد فيها من المنافذ الا باب في جهتها الغربية على طول متر وعرض (٨٠) سائمتراً ، مكوّنة في داخلها من الارض الى لسقف اعمدة رفيعة تبعد عن بعضها مسافة نصف المتر .

[\*] يجب ان ستثنى التبغ الذي جلبته مديرية الزراعة من ازمير وصامسون قبل سنتين لاجل التجربة وهو ذو رائحة لطيفة . وكاد يتحتم نجاح هذه التجربة .

## قضاء مركز اللاذقية

١١١

وهذه الاعمدة تنقسم الى اربعة اقسام اعتماداً من علو متر عن الارض، ثم تتصل هذه الاقسام بعوارض. وهذا يكون داخل البيت عبارة عن اربع شبكات فوق بعضها. وهم ينشرون التبغ على تلك الشبكات ويخرونه.

١ كيفية التبخير وزمانه — يزهر التبغ لما في اواخر تموز او بداية اغسطس فيعمدون الى تلك الازهار، ويقطعونها بساقها ومعها الاوراق التي تحتها، ثم يقطعون من اسفل النبات ورقتين ايضاً، ويضمون الجميع بخيط ثم يربطون الحيط حصاً رفيعة لكي لا يتدلى ويعلقونها في الشبكة العليا من البيت، ثم لا تلبث تلك النباتات التي قطعت 'زهارها بضعة عشر يوماً' الا وتزهر مرة ثانية فيقطعونها على الكيفية الاولى ويعلقون الاوراق ايضاً. ثم بعد اربع-بضع من العملية الثانية يعمدون الى ما بقي ويقطعون من اسفله بالسكين، ويفرقون اوراقه الى قسمين او ثلاثة متساوية ويعلقونه ايضاً.

وفي اول تشرين الاول ياتون من الاحراج بحشيش متوسط باليوسنة ويحرقونه في المواعد المعدة في تلك البيوت ويشرعون بالتبخير ببطء. ثم يشاربون على هذا العمل في كل يوم. ويأتون بحطب متوسط في اليوسنة بشرط ان لا يكون من شجر الصنوبر، ويرغب فيه ان يكون من الفصيلة البلوطية ويحرقونه في المواعد، ويوصدون الابواب بصورة محكمة.

ويعرض التبغ الى دخان النار. وهكذا يدوم هذا التبخير مدة (٥-٦) اشهر. ويجب في التبخير ان لا يكون اثناً الطقس اليابس. لانه يسود ورق التبغ ويجعل له رائحة كريهة.

ولهذا يجب الانقطاع عن التبخير ايام هبوب الرياح اليابسة كالرياح الشرقية والشمالية والشمالية الغربية. ثم يجب ان لا يكون الحطب يابساً لكي لا يذهب اللهب بلين الاوراق، ولا يكون سبباً لحدوث الحريق واحسن الازمان للتبخير هو الذي تهب فيه الرياح الغربية الرطبة وخصوصاً ايام المطر. وعلى هذا الحال تكون ايام التبخير عبارة عن ٩٠٠-١٠٠٠ يوم.

وقد ثبت بالتجارب العديدة ان حاصل كل دونم يتراوح بين (٧٠) و(١٠٠) اقة من التبغ اليابس في كل سنة. وينفق على كل دونم في السنة مبلغ (١٠٠) غرش لاجل الحرن والغرس و(٥٠) غرشاً لاجل التبخير. ويتراوح ثمن الاقة بين (٤) و(١٢) غرشاً. وبه يكون الدخل الخالص في السنة (٣٥٠-٤٠٠) غرش من كل دونم.

اما نفقة انشاء البناء فهي يديرة، اذ يمكن قيام كل بيت من تلك البيوت التي يمكن محافظتها مدة (٤٠) سنة بشرط تقفدها اصلاحاً في كل سنة بنفقة لا تزيد عن (١٠٠٠) —

١٥٠٠) غرش . ويصدر اللوا في كل سنة نحواً من مليون افقة من هذا الخفضول ، وفيه يكون الدخل السنوى (٤٠ — ٥٠) الف ليرة .

— ٢٠٤ —

## اللاذقية

### ١ — موقع الموزقية ومنظر منظرها

ان اللاذقية التي تقابل الانظار مبتسمةً بسماتها المضيئة وبحرها الاطلس ، ورياضها الخضراء ، ومنتارها البيضاء ؛ تلك البلدة الطيبة التي كادت ان تكون في حضان الامواج الزرقاء التي تكللت بزبد فضي على الساحل الشرقي من بحر الابيض . والتي اخذت مبلغها من قبض محاسن هذا المحيط المتاز ، لا تقتأ تجود على قلب الادب والشعر بدم فياض ، وعلى ألباب الادباء والشعراء رحيقا من الابداع والذوق ساحراً .

اذا نظرنا الى الجدة والنضرة في ذلك المنظر البهيج في تلك البقعة المباركة التي تبعث بارحى الآمال الى كل روح منقبضة ، وتفيض بابهى الانوار على كل قلب اشجاء اليأس ، وخيم عليه ظلام الحزن . لا جرم نحتاج الى تكذيب الحيال واكرأ النفس على ان تؤمن بان هذه القصة هي بلدة « رامينا — Ramina » ، الفنيقية القديمة .

يا لاهجب ما اصدق هؤلاء الفنيين بالذوق والانتخاب ؛ وما اضل الذين يحسبونهم اناس بيع وشراء فقط ؛ وما ابعد هذا البهتان عن تلك الامة القديمة التي حطت رحالها ووطئت بلدانها ، وطرحت غياضها في اجمل سواحل الكون تجاه ابداع ما يكون من الالوان الغريبة !! الا يرون ان الحفايق الطبيعية في هذه الديار الفاخرة ، هي اصدق انباء من زخارف المصنعة واباطيلها ، الا يعلمون ان هذه المنظومة البديعة لذلك الساحل الذي لا مثيل له هي بنت دهاء تسجد لبلاغتها القصائد البلغة ، الا يسمعون في هذا الاقليم المطرب سجع الطيور وتغريدها ، وقصف الامواج التي هي اطرب من كل نغمة ساحرة . لا جرم انهم لا يعلمون ولا يسمعون .

بلدة ( رامينا ) القديمة بنت ذلك الدهاء الباهر ، هي جديرة بالتكريم والتعظيم . وهذا السبب حدى نالملك [ سيلولوس نيقاطور — Seleucus Nicator ] الى تجديد هذه البلدة الطيبة وتسميتها [ لاوديسه — Laodice ] باسم والدته .

ولكن يا للاف ما تتمتع هذه البلدة قط بحسن الحظ في طيات القرون الحالية . بل



منها الذوقية



## اللاذقية

لما زالت تطبق عليها الزلازل ، ولم انفكت المحاصرات تشيعها هدماً ، وتخريباً ، حتى قوضت همرانها . ولولا هاتيك الكوارث لكانت هذه البلدة الساسمة ابداع محاسن عليه الآن .

ومع هذا فان اللاذقية اليوم لا تزال تشف عن ابداع الفقيين وتنقلب كل يوم في استحالة نورانية ، وتظهر في طور جديد ولباس قشيب .

كانت اللاذقية من قبل منحصرة في ساحة مستوية بعيدة عن الساحل ما اليوم فلهما القصور المشيدة التي كانت بلطاقها كالازهار في روضة البحر . وهي لا تزال تسرب الى الشمال على امتداد الساحل ، وتكسب القصة بهاءً وجالاً . وقد كانت من قبل في شكل دائرة ، وزاها اليوم تشبه قطعاً ناقصاً ، وتميل لان تكون مستطيلة .

فالجانب الشرقي من هذا المستطيل محاط باراض مرتفعة ، ثم بقلة الزيتون ، والجواري بمحبات « الطايبات » و « دوغر دورد » ، والجهة الشمالية محدودة بمحبة « فاروس » . ولهذا تكون القصة محاطة من انحائها الثلاث بمرتفعات ، ناحية البحر فيها فمى منخفضة وبه كان شكلها العمومي على ميل خفيف .

فاذا نظر الى القصة من فوق احدي تلك المرتفعات تنكشف خطوطها الداخلية ، وضواحيها ايضاً بشكل واضح . ولا سيما اذا نظر اليها من جامع « المغربي » الكائن في الجهة الشرقية الذي هو اعلى محلات القصة فيرى الناظر ابداع المناظر ونضرها . لان داخل القصة الذي خطت فيه الشوارع المتجهة الى البحر مربعات متوازية مزداة بالرياض هو على غاية من الجمال ببياس منازل الناصعة ، وقودود مزاراة الظريفة . وخارجها ايضاً لا يقل عنه لطافة وجالاً . فتوجد في الناحية الشمالية منها اشجار الزيتون والتين والاشجار ، ثم الرياض من بعدها ساحة تمتد مسافة ساعتين معلومة بالرمل الاحمر النقي . ثم من ورائها فضاء واسع انتشر في ساحاته ، وعلى رؤس هضابه كثير من القرى مثل « برج القصب » و « دمسرخو » و « المغرب » و « القلوف » و « سنجوان » و « اسقوين » . ثم وراء ذلك اراضي ناحيتي بار و بوجاي ، ثم « جبل الاقرع » بشاهقته التي غشاها الثلج . ونوجد في شرقها وراء القلعة الحقول الواسعة من ورائها الفياض القائمة على امتداد ضفاف « النهر الكبير » . وبعدها جبال النصيرية . اما في الجهة الجنوبية فتوحد سلسلة من القصبات النصيرة على ساحل بحر الابيض الذي يسبق شعاع البصر الى ما بعد الآفاق . فتقرأ آي عليه قرى [ المتركة والصوبر والبصة ] وتتبعها نصبات [ جبله وناياس وقلعة - قب ] . ورسم الخطوط النهائية من ذلك الافق بظلمها المبهم .

اما غربيها فهو عبارة عن بحر واسع لا حده .



، وقصارى القوتلى يحق لهذه القصة الفنية الأصيلة، ان تقتنحوها، استطاعت لابلها مشحونة الضواحي ما يدع ما يكون من المناظر الزاهية .  
فلتم الروح الذكية الفنية ، ربة الآفاق السورية ، قريرة العين ومطمئة القوآد في هذه السواحل البهجة . لان هذه الامة النجبية اختارت لنفسها امير الديار مولطناً في حياتها واندس الاصقاع مرقدآ بعد مماتها . ولا جرم ان الفنيين لمحبوطون في عيهم ومماتهم ، ومشكروون .

## ٢ — الخطوط المرحلية في الموزقية

ان قصبة اللاذقية التي تشغل ساحة واسعة بطول كيلومترين ومثله من العرض ، وتتألف من [ ٦٠٠٠ — ٧٠٠٠ ] مسكن ، تنقسم من حيث نسق البناء الى قسمين واضحين .  
وقد كان النسق الشامي نموذجها الوحيد في البناء منذ العهد القديم ولهذا نرى اليوم اكثر مساكنها دمشقية النسق . وهي عبارة عن صحن مبلط ، محاط بالغرف وجميع سطوحها مطلية .

غير انهم شرعوا الآن بتقليد البيروتيين واخذوا يذون جميع محلاتهم الحديثة على هذا النسق . ولا تريد هذه المساكن الآن بعددها عن مئة ولكن لا بد للقصبة ان تستقر على هذا الطراز بتداول الازمان .

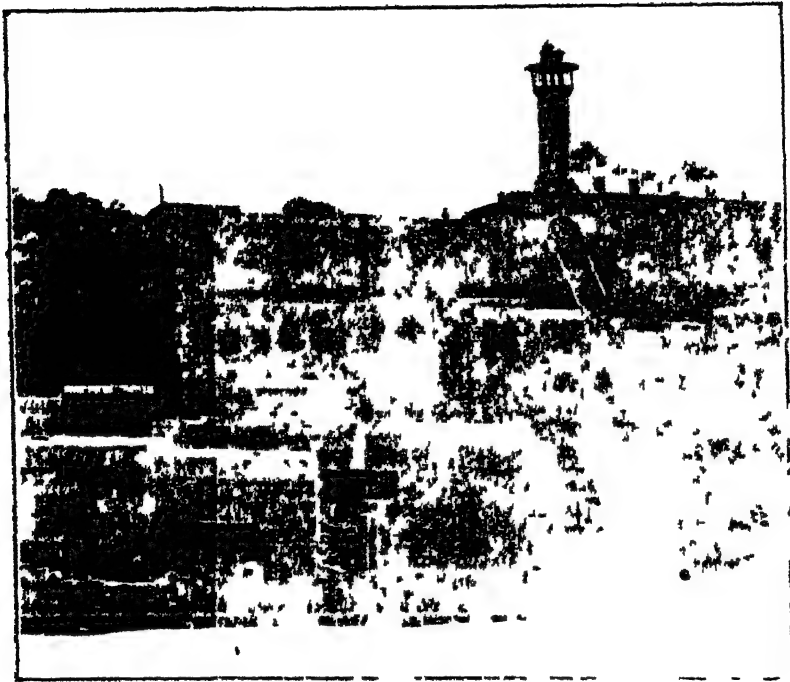
ويمكن تقريق الابنية الحديثة في اللاذقية لاول نظرة . لان المساكن القديمة كلها مبنية بالحجر الاسمر الذي يسمونه «النارى» . اما الابنية الحديثة فانها تبنى بحجر ابيض يسمونه «الحجر الرملى» ، وتسترس سطوحها بالقرميد الاحمر .

فمحلة (الكاملية) الكائنة على ساحل البحر في الشمال الغربي من القصبة تتألف من هكذا مساكن ، اما محلات [الشيخ صاهر والعوينة] في الشمال و «القلعة» و «الصباغين» في الشرق و «الشحاتين» في الشرق الجنوبي و «الصلبية» و الجنوب يتألف معظمها من المساكن المبنية على النسق القديم .

واكبر هذه المحلات التي عددنا اسمائها ، هي محلة «الشيخ صاهر» اما ارقاها واحلها هي لا جرم محلة «الكاملية» ثم تأتي بعدها محلة «الصلبة» .

ونرى المسلمين والناصري في اللاذقية يسكنون متحالفين في محلة [الشيخ صاهر والقلعة والصلبية والكاملية] اما المحلات الأخرى فيسكنها المسلمون وحدهم .

ويوجد فيها أكثر من (٤٠٠) حانوت يختص قسم منها ببيع الخضرة والمأكهة . وهو المحل المسمى «سوق البازار» الكائن في محلة الشيخ صاهر . والقسم الآخر يقطه باعة الاقشة ، وهو في محلة الصباغين وقلعة . ويعتبر بين المحلات على بعض حوايز أيضاً .



جامع الشيخ المغربي في الرياض



وكان يوجد فيها قبل الحرب بضعة مراقص أما الآن فقد ثابت مكانها ملاهي الحلات .  
وإن هذه الملاهي وجميع الحوانيت في اللاذقية في حالة كسيفة وسخة .  
وفيه من المؤسسات العمومية دار الحكومة الطريقة وبناء النادي ثم التكنة . وعنده  
موجودة في محلة القلعة ، اما الاخرتان فهما في محلة الكاملية .

ويوجد هنا للمسلمين جوامع كثيرة خطيرة . واهم هذه الجوامع واكبرها هو جامع  
« المغربي » . ثم الجامع « الجديد » في محلة القلعة وجامع « الكبير المصوري » في الصباغين  
و« ارسلان باشا » في الشحاتين وجامع « الصابية » في الصلية وجامع « صوقان » في محلة  
العويضة وجامع « الشيخ ضاهر » في هذه المحلة وجامع « الاسكلة » في محلة الاسكلة وجامع  
« الشواف » قريب من دار الحكومة وجامع « الصغير » بين الصباغين والشيخ ضاهر . ويوجد  
فيها اثني عشر مسجداً ايضاً .

وللنصارى فيها كنائس كثيرة . فلروم الاورتودوكس واحدة في محلة القلعة واخرى  
في الكاملية واثنتان في الشيخ ضاهر وللمارونيين واحدة في الصباغين والارمن واحدة في  
القلعة والمجموع ست . ثم ان للاروام فيها اقفية في محلة القلعة .  
وتوجد غير هذه من الابنية الضخمة تكتي المولويين في محلة القلعة ومدرسة للاوام ،  
ومدارس « فرور » ومدارس الشركات الاميركية والابطالية .

\*

وقصارى القول ان اللاذقية لا تبعد ان تلت النظر بسعتها وابتها ، ولكن اتصال بعض  
الابنية المتداعية بعضها ووساقتها بسبب الاهمال وعدم الاهتمام جعل منظر هذا القسم من  
المصبة مستكرهاً تنفر منه الطباع وتمجه الازواق .

نعم ان التحول في تلك الطرق الضيقة المستكرهه التي طبقت عليها الحنايا في القسم القديم  
من هذه القصبه لهو من العذاب الذي لا يطاق . ومع هذا فلا يـوغ لنا الطعن في هذه  
البلدة بسبب شوائبها القديمة . لان فيها من الشوارع المنتظمة ما يجعلها ارجح في الرقي من  
البلاد السورية الاخرى . وهانحن نذكر اسماء هذه الشوارع :

١ — الشارع الذي يبدأ من ساحل البحر ويمتد مشرقاً الى القلعة والى مقام الشيخ  
المغربي .

٢ — الطريق الذي يمتد من الجنوب الى الشمال ويصل الى الشيخ ضاهر .

٣ — الطريق الذي يبدأ من ساحل البحر ، ويمتد الى الشرق ويصل الى محلة  
الشحاتين ويسمى « شارع الحكومة » .

٤ — طريق الذي يبدأ من الشمال ويمتد في الجنوب الى محلة الصلية .

٥ — طريق الذي يبدأ من البحر وينتهي في « سوق البازار » .

٦ — الطريق الذي يبدأ من البحر ويصل الى الصليبية من الجانب الغربي .  
٧ — الطريق الذي ينحط من وادي سائر الحكومة الى الجنوب ويمر بين البساتين .  
وجميع هذه الطرق التي عدناها لا اسم لها . وكلها معبدة منتظمة . مردان طرفاها  
بالاشجار ، وأكثر التي تبدأ من ساحل البحر تكون محاذية لبعضها . ولهذا فان اللاذقية بهذه  
اشوارع المنتظمة حرة بان تدينا سقاية الطرق القديمة فيها . ومع ذلك فان تملصها من  
تلك الطرق الوسخة المشتهرة لهو من الاماني التي يجب ان يسعى لها .

\*\*\*

ان المياه المستعملة في اللاذقية كاد ان تكون جميعها من الآبار . وهذه المياه عذبة  
ونقية في الاصل . ولكنها عرضة لترشح وتخلب ما لا يخلو من الاوساخ ، ثم انها تتدنس  
بالامتياح لعدم نظافة الدلاء . ولهذا لسبب ربما تكون واسطة لتفشي الامراض في البلدة  
وانتشارها .

ولا يخلو يد في اللاذقية من بئر ولكن الحصول على الماء يتوقف على اتعاب باهظة  
وعليه لا تكون هذه المدة سعيدة من هذا الوجه . ويوجد فيها صهاريج تملأ من ماء المطر  
وايس فيها من منع لاء في داخل البلدة ولا في خارجها .  
ويوجد في الناحية الجنوبية في محلة الصليبية منبع راكدينيح في داخل كهف يسمونه  
« ماء سندلكس » وماؤه نقي وعذب ولكنه قليل المقدار ، ولهذا لا يقوم بالحاجة .  
وهذه الحاجة الشديدة حدت باللاذقيين الى التحضر لجلب الماء من موقع « توتيه »  
التابعة لاحية لبلولية الكائنة في اشمال الشرق من النهر الكبير . ولكن يحتاج هذا  
المشروع الى همة تناهز ( ١٥ — ١٠ ) الف ليرة . وهذا المبلغ العظيم قضى على المشروع  
مابقا في التسور . على انه من الواجب المحم على اللاذقيين الذين اشبهروا بغزارة الثروة  
ومضاء العزم ان لا يتوانوا في حل هذه المسئلة الحيوية .

! \*

\*\*\*

وقبل ان تتم هذا البحث في بيان الخطوط الداخلية في اللاذقية ، نرى من الواجب ان  
نتكلم على مقاصف هذه البلدة ومحلات انتزه فيها .  
ان هواء هذه القصبة لطيف وماظرها جميلة ، ولهذا نرى كل بقعة فيها كادت ان تكون  
منزهاً . على ان هناك بعض محلات معينة يقصدها اللاذقيون لاجل الزهرة وبعدونها من  
مقاصف البادية . ففيها جينة البلدية على ساحل البحر وهي حديقة العهد .  
وهذه الروضة الآن محتاجة للإصلاح والترتيب ولكن حسن موقعها جعلها مهية لتكون  
من الطف الرياض .

## اللاذقية

ويُقصدُها اللاذقيون عَشِيَّة كلِّ يَوْمٍ ولاسيما يومَ الجمعة والأحد. ويَجولون في الشوارع الممتدَّة إلى الشِّمال على طول الساحل. وربما يَجولون في الشوارع الحديثة لِتَمَتُّوا بِمَجاوِزِها ما حولها. ثمَّ إنَّ مَوْقع «الطائيات» في هذه البلدة له مَظرٌ بهيج لآلة عبادة عن حُصْبَةٍ عالية. وهـُـنَّ حِجرات الزَّيْتُون في أنحاء القلعة لا بأس بها. ورياض «الصليبية» ودعين سذلكس، أو السهول الرملية الكائنة تحت الدلعة كلها من المنزهات التي يقصدها اللاذقيون.

\*\*\*

ثمَّ توجد في اللاذقية حنايا الظفر القديمة ودعائم، وهي من انفس الآثار التي يجب ان نرى. وسنتكلم عنها حين البحث عن تاريخها وآثارها القديمة.

## ٣ — الاموال العمومية

[١] — قصبة الموزقية — ان هذه القصبة التي هي مركز ادارة اللواء الكائنة في الدرجة (٣٥,٣١) من المَرْض الشمالي وفي الدِجَة (٣٣,٣٩) من الطول الشرقي والمبينة على هَضْبة ترتفع عن سطح البحر مقدار عشرين متراً، جيلة المنظر. والسهول الموحودة في شرقها وجنوبها منبئة خصبه تسقى من النهر الكبير الذي يقطعها على امتدادها. وهذه القصبة تسعد من نابنا وجبله مسافة ثلاثين كيلومتراً.

[٢] — عدد السطوح — كان عدد سكان هذه القصبة سنة (١٣٣٢) ٢٠,٣٨٧ نسمة من الذكور والاناث. ومعدلاتها كما يلي :

الذكور	الانث	
٨١٩٦	٨٣٥٨	المسلمون
١٦٥٩	١٥٢٤	الاورتودوكس
١٢	٩	اللاتين
٢١٧	١٤٥	المرونيون
٤١	٤٣	البروتستانت
٩٧	٨٦	الارمن
١٠٢٢٢	١٠١٦٥	يكون

٢٠٣٨٧

وفي سنة (١٣٣٨) و (١٣٣٣) كان عدد الدلات في هذه القصة ١٩٣ و ٧٢٨ نسمة ، وعدد الوفيات ٢٩٧ و ١٣٩٣ . وفكرة الهجرة الى اميركا متفشية بين المسيحيين الذين يملكون بدمهم (٣٨٣٣) نسمة .

واليوم يوجد قريب من ربهم هناك . وبعض انصيريين والارمن المتوطنين في قرى « كسب » و « غنمية » سرت اليهم هذه الروح واخذوا يهلدون انصار الهجرة الى البر الجديد . واكثر هؤلاء المهاجرين الذين يختارون الانحاء الجنوبية من اميركا يتوطنون هناك ولا يرجع منهم الا ثلاثة في المائة . وهذا النوع من مهاجري المسلمين لا يتجاوز ثلاثة في المائة . ويقولون ان الاغنياء من هؤلاء الذين اقاموا في تلك البلاد الاجنبية يرسلون الى عائلاتهم (٥٠٠) ليرة في السنة ، اما الفقراء فيرسلون مقدار (٦٠-٧٠) ليرة . وعليه كان هذا اللواء قبل الحرب يتقاضى من ابناؤه مقدار (٢٥٩) الف ليرة في كل سنة .

[٣] — مجمل تاريخ الموزقية — سعى الفينيقيون هذه القصة (Ramitha) (راميتسا)

او (Ran antha) (رامانتا) ولعل هذا الاسم مشتق من اسم (Baal Ram) (بعل رام) الذي كان له معبد في جبل الافرع . ثم جاء (سولوكوس نيقاتور Elipheus, Nicator) الذي جعل نفسه ملكا في سورية بعد وفاة الاسكندر الكبير . فجددها مع بضعة بلاد غيرها وسماها « لاؤديسه Laodicee » اضافة لاسم والدته « ٢٩٠ ق م » .

ولما زادت بسلطة الحكومة الرومانية كانت سلالة سلفقوس اخذة بالانحلال ولم تلبث ان انقرضت وبادت . ثم وقع الخلاف بين هؤلاء الحكام الحديثين في اوائل الفتح وتجرعت البلاد بسببه مجرانا دمويا . حينما كان الاختلاف قائما بين العوام والخواص في الرومانيين نصبت فرقة الاعيان « قاسيوس » وعينت فرقة العوام « دولابلا Dol-Phla » وال على سورية ، وحضر كلاهما الى محل ولايتهما . ولما نشبت الحرب بين هذين الرئيسين كان السكان منحازين الى فرقة العوام . وعليه عمد قايوس وسخر اللاذقية عنوة وكبدها اضرازا عظيمة . واكتسح جميع كرومها التي كانت لها الشهرة الزائدة بنفاسة عنها .

وبعد ان قتل « ذول سه زار » انقسمت بلاد الرومانيين بين انطونيوس راوتسيوس ، وكان انطونيوس لم ينس جميل اللاذقيين بمقاومة قاسيوس حصه ولهذا ارتأى ان يجزيهم على حسن عملهم فأقل بلادهم من جميع المكوس والضرائب . ولما نار « بيسيوس نير » *Lesscennius Niger* احد القواد الرومانيين وطالب تاج القيصرية لنفسه ، قصد اللاذقية وهدمها . ثم لم يلبث رقيه « سولور Solor » ان استحوذ على الحاكمية في روما والتفت الى اللاذقيين الذين كانوا منحازين اليه فنحهم بالامتيازات ، وشيد في القصة كثيرا من المباني الضخمة اللطيفة ، وسماها « سبتيسا سوري » . اضافة الى اسمه

وقد ارسل عمر ابن الخطاب (ر.ع) جيشاً في قيادة يزيد سنة (٦٣٧) وفتحها في زمن هراقليوس من قياصرة البيزنطيين.

وفي أيام الصليبيين سخر هذه القصة (بوهه موند) امير تارات وده بموند حاكم بوهه موند وطولوز (١١٠٩) ثم ألحقت بالالة انطاكية بسبب صغر شأنها في ذلك الزمن.

ثم فتحها السلطان صلاح الدين الايوبي سنة (١١٨٨) مع كثير من البلاد في سورية الشمالية واقطعها الى اخيه الملك المظفر تقي الدين عمر. وقد عمر هذا الامير قلعها واصلاح شأنها. ولكن اعاد عليها الصليبيون الكرة بعد مدة وملكوها مرة اخرى. وبقيت في ادارتهم الى سنة « ١٢٨٦ » حيث انتزعها السلطان قلاوون منهم، وبقيت منذ ذلك التاريخ الى الآن في ايدي المسلمين. وقد منيت هذه القصة بزلزل شديدة سنة ١١٥٧ و ١١٧٧ و ١٢٨٧ هدمت اهم مبانيها.

وبالرغم عن تلك المعائب التي تجرعتها في العابر، وانطماس كتاباتها التاريخية فان هذا القصة لم تزل محتفظة بموقعها الخطير في الآثار اقدمية. فيتر في الناحية الشمالية والشرقية منها على كهوف منحوتة في الصخر، وعلى اجدات مزينة بالنقوش المتنوعة. وهناك مغارة قديمة تسمى « مارتوقله » لا تزال نصارى هذه الانحاء تدخلها للتبرك في مولد « مريم » عليها السلام. وكان هذا النوع من المغارات التي اعدت لدفن الاموات، وعدد اجتماع للنصارى في اوائل انتشار دينهم.

ثم يوجد في الجانب الجنوبي من القصة جدار لا يبعد ان يكون من بقية سورها اما الجامع الموجود في الجنوب الشرقي منها فهو مبنى في موقع الحصار المجهز بخنية الظفر الذي بنى في ايام « سبتيم سودهون *Septime Sévère* » وكان عرض كل جدار من جدرانها الاربع ( ١٣٤٥ ) متر. وكان له باب ضخم. اما الزوايا فانها مبنية على المنسق القورتي ومزينة بالاروقة الظرفية، والقبعة التي هي عبارة عن نصف كرة قائمة على مضلع مشن يرى في داخلها كثير من صور الآلات الحربية مرسومة بنقش نائر. ويعرف هذا المحل عند الامين بالكنيسة المدلقة. وتوحد في جانب حنية الظفر اربع دعائم. يحتمل ان تكون بقية من انقاض معبد بنى هناك.

٤ — بلدية اللاذقية — ان الذين لا يعرفون ماهية الانحاء الشمالية في سورية يظنون ان اصقاع اللاذقية محرومة من المعارف والزراعة والعلوق هي في حالة ابتدائية خالية من معاهد العمرار. ونحن ايضا لما فارقنا طرابلس مستدئين الانحاء الشمالية، ورأينا تلك القرى الحربة التي لا نصيب لها حتى ولا من العمران الابتدائي كنا على عين



الرأى ، ودخلنا اللاذقية ونحن نتوقع ان نرى قرية على ذلك المنطق غير انها كثيرة السكان ولكن لم نر حتى لمحلها الجديدة فانها ما لبثت ان اضطررتنا لتبديل هذا المنطق . ومع هذا فلا نحسب ان للمدينتي همة فى اعمار القصة .

وان الاقوام ، بل الامم التى تكون مثلنا لا نصيب لها من الرق العصري لا نجد بدأ من ان تتبع فى حياتها الاجتماعية كبرائها وآمرها . فيكونون لها بمثابة الوصى الذى كملت عنده السيطرة .

ولهذا لا ترون وال ولا متصرفاً ، بل حتى ولا قائماً قماً يتبع خطة يتوخاها فى ادارة المحل الذى ولى امره ، الا وترون آثار تلك الخطة منطبعة فى ذلك المحل . وان ما تقوم به من الاصلاح والاعمار يكون فى اكثر الاحيان من آثار ميول وآراء شخصية محضة اكثر من كونه ناشئاً عن خطة منتظمة قرر عليها وتوبر على تطبيقها . ولهذا لا يسوغ لنا ان نجب لعدم شمول ما نراه من الآثار فى بعض انحاء الولاية . وهذه اللاذقية هى اكبر دليل نستشهد به على صدق دعوانا .

وجد فى اللاذقية قبل بضعة عشرة سنة متصرف تزيه الطبع ، بعيد الهمة ، محب للانتظام ، اسمه « شكرى باشا » فلم ترق فى عينه حالة هذه القصة لانها كانت عبارة عن بيوت متلاصقة ، محصورة فى ساحة ضيقة ، وطرقها التى هى عبارة عن مضائق ، او اقواب كاس كلها متعوفة ، حتى لا تكاد تنفذ الشمس اليها مملوءة بالفونة والاوساخ بدرجة لا يمكن تحملها .

ومن جهد اخرى كان مأمورو الحكومة يسكنون فيها فى اوكان متداعية ضيقة لا يصل اليها الهواء . ولا تنطبق على حنية الحكومة وشرفها . ولهذا فان هذه الحالة التى تمثل حياة الاحياء المتوسطة ، لم ترق فى عين هذا البمام ، فعمد الى الساحة الفارغة الكائنه بين القصة والبحر ، وخط فيها طرق المحلة الحديثة ، وازمع على تشييد دار للحكومة فى تلك الساحة لا يرى لها مثل فى بقية البلدان من حيث انطباقها على القواعد الصحية ونظامها وحسنها . ولاجل الحصول على نفقة هذه البناية طرح على كل راسه من تبغ « ابو ريح » الذى يصدر الى البلاد الاحبية ثلاثة غروش ، وطرح مكسأ يسيراً على بقية الاموال الصادرة ، والواردة . فتوفر له مبلغ كاف من هذا المكس الذى خفف الى ادائها الاهلون بارتياح عظيم . فصرف منها (٣٣٠٠) ليرة وشيد دار الحكومة الحالية على احسن ما يكون . ثم عدم طريق اللاذقية — حسر الشغور مقدار (١٧) كيلومتراً ، وفتح طريقاً آخر بين اللاذقية وقرية « سرخو » التى تعبر كمصطافى لللاذقيين . وجميع هذه التعميرات كانت من هاتيك المكوس .

وعوضاً عن ان يلتم هذه المبالغ التى تقاضاها من افراد الامة كما كان شأن معاصريه ،

## اللاذقية

لم يكتب بصرفها في غايته الاعمارية بل عزوها باتفاق مبلغ طائيل من ثروته أيضاً. ولا جرم الا لأوطان مديونة بالشكر لهكذا مصلحين نادري الوجود، لا يدخرون وسعاً في طريق اعمارها!

• وبلاية اللاذقية التي لا تفرق شيئاً عن بقية البلديات بعدم ادراك ماهية وظليتها، كان لها من الدخول سنة (١٣٣٢) مقدار «٢١٢٦٧٨» غرشاً ومثله من الخرج.

ولم تكن حتى الهدد القريب لهذه القصة البديعة في منظرها حديقة عمومية. وعليه عمدت ادارة البلدية قبل سنتين وسعت لارالة هذا النقص واسست في احسن موقع من الساحل حديقة منتظمة افقت عليها مقدار «١٥٥٠٠» غرش.

وهذه البلدية التي حاولت ان تثبت لها وجوداً باقاة هذا الاثر الذي من شأنه تنمية الازواق البديعة في الحلق. فهي اما عاجزة عن تنظيف الاوساخ المرتكبة في طرق القصة الضيقة الممتعة، او متكاسلة في ايفاء الوظيفة. مع انها قادرة بما لديها من الدخول ان تقوم بالاعمال المهمة التي ترفع السكان وتنطبق على مصلحتهم.

[٥] — المعارف — لا تزال معارف هذه القصة تنقلب في ادوار مهمة منذ اربعين او خمسين سنة. وبينما كنا محرومين من معاهد العلم والمعارف، نهضت جمعية «بره سبيته رين» الاميركية سنة (١٨٥٩) وارسلت الى اللاذقية وفدأ في رياسة المبشرين «ميسردولس Modds» و«ميستر بيتي Beattie» لاجل تعميم البروتستانتية بين النصيرين والارمن. وهذه الهيئة التي ما فترت همها منذ ذلك الزمن الى الآن، تمكنت من تأسيس اربعين مدرسة في قصة اللاذقية، وبذلت كل ما يمكن بذله في طريق غايتها ادينية حتى تسنى لها تنصير ثلثة من فقراء النصيرين، وقسم مهم من سكان قريتي «بجمره وجندرد». وقد ضم «ضيا پاشا» الذي كان متصرفاً في اللاذقية قبل عشرين سنة بوجوب التذرع بالتداير التي تقف امام هذا التيار البروتستانتي الذي لا ينطبق على الحرية الدينية المؤيدة بجميع القوانين الاساسية. فعمد الى عشر قرى من قرى النصيرين واسس في كل واحدة منها جامعاً ومدرسة، وبعث اليها الواعظين والمرشدين. اما الآن فترى تلك المعاهد التي نشأت عن اندفاع ملي جدير بالاجلال والتكريم مهلهلة تداعي أكثرها واندثر.

وميزانية هذه السنة قضت بوجود (١٧) مدرسة ابتدائية في جميع المواء، غير ان فقدان المعلمين اوجب الاكتفاء بتأسيس «١١» مدرسة كلها تدار بالوكالة. ولا نجد لدى الاهالي رغبة في هذه المدارس. فاذا علمنا ان مجموع الطلاب في جميع هذه المعاهد الامية لا يزيد عن (٢٥٠ نسمة)، لا جرم نطلع على درجة تأثيرها في ذلك المحيط.

اما المدارس الاجنبية فكان لها قبل الحرب موقع خاص. وكانت في هذه القصة

٧٢  
مدارس للذكور واللات نخس اللاتنيين ، والروس والاميركان والفرس ، وقد جعلت بعد  
أشهر هذه الحرب ولم يبق منها الا مدارس الاميركان . ويروى ان قد كانت لتصارى هذه  
الاصقاع رغبة عظيمة فى تلك المدارس . اما المسلمون فكان مقدارهم فى مدارس الفرس ،  
خسة فى المائة ، وفى مدارس الاميركان اثنان فى المائة . ويدعم ويتوق ان مدارس الفرس  
كانت راجحة على جميع تلك المؤسسات الاجنبية بمجدية دوائتها . اما المدارس الاميركية  
فيوجد فيها مقدار ( ٤٠ - ٥٠ ) طالب وطالبة من قسم الداخلى المجانى و ( ١٠٠ - ١٢٠ )  
من الطلاب الخارجية . ودرجة التحصيل فيها بسيطة للغاية . ولا يشتغل معلموها الا  
بدرس الروح النصرانية البروتستانية . وبهذا يزيدون هذه الربوع المقفرة من العلم عمها  
وضلالة .

[ ٦ ] - الاموال الاقتصادية فى الموزيقية - اذا اردنا ان ندرس الاحوال الاقتصادية  
فى احد البلاد يجب علينا اولاً ان نطلع على مصادر حياة اقوامها ومقدار ما عندهم من  
القدرة الدماغية والعضلية . ويعتقد راتزل *Ratzel* ، العالم الالماني بان البشرية ومهمها  
هى من الحادثات الجغرافية . ويقول ان تلك الهم لا تقوم الا بالآثار التى يشمر بها  
كالطرق ومجارى المياه ، والبلدان والزراعة والصناعة . ويرى بان لا بد من آثار فى التراب  
تدل على وجود ابناء البشر عليه .

ولهذا لا بد للاحوال الاقتصادية فى جميع البلاد ان تكون لها رابطة قوية و الموقع  
الطبيعى والجغرافى فيها ، ولا جرم ان اهم الاسباب التى صعدت بانكلترا الى مقامها الباذخ  
فى التجارة ، هى ثروة بلادها الطبيعية ، ووقعها الجغرافى . وهكذا الحال فى الالمانيين  
الذين حركوا بعلو موقفهم الاقتصادى حسد الاقوام الساكسونية ، فان مناجم معادنهم ،  
واخراج بلادهم ، وانهارها لها الحظ الاوفى فى تلك المكنة الاقتصادية .

غير انه لا يسوغ ان نعطف اسباب الرقى الاقتصادى فى بلدة ، او اسكلة ما على الموقع  
الطبيعى فقط . ولهذا لا يصح ان نسد الرقى التجارى فى انكلترة الى حالة نهر التاميس ،  
او الى بحيرات اسقوجيا ، او الى سواحل بلاد الغال فقط . لان اسباب رقى انكلترة  
الاوروبية لا تنحصر فى اوربا ، بل هى شائعة فى جميع اقطار الكون . وهكذا لا يكفينا  
فى ايضاح غنا المانيا ان نطلع على حالة سواحل يومه رانيا ، وعلى كثافة اخراج باويرا  
وعليه فان الاستناد على الاسباب الموضوعية فى ايضاح الحالة الاقتصادية لا حد البلاد يكون  
خطأ محضاً .

ثم يجب ان لا نسرع فى الحكم . ونقول ان الاستعداد الطبيعى فى الحل الفلانى كذا ،  
فيكون رقيه الاقتصادى كذا . وعليان لا ننسى ان الاستعداد الطبيعى يختلف باختلاف

## اللاذقية

الاحوال السياسية والاخلاقية والاجتماعية في الاقوام التي تتشكل تلك الانحما .  
وامتزاج القوى الطبيعية بالمساعي البشرية هو الذي يخلق قوة البلاد وثروتها . وبانضمام  
سحابة الاولى وكرمها الى ذكاء الثانية ومهمتها ، وعويتها العلمية والفنية ، يتسنى للامم ان  
ترقى الى ذرى العظمة والسلطان . وهذا يطلنا على ان لا يمكن لكل امة ان تستفيد بدرجة  
واحدة من الثروة والاستعداد الطبيعي . فنها من تستطيع تزييد هذا الاستعداد ، وتحظى  
بمنافع عظيمة كالسويست في فلسطين ، ومنها من يتوسط في الاستثمار ، ثم منها من لا يعلم  
قيمة تلك الثروة والاستعداد فيعيش عيشة سافلة . وهذه تختلف باختلاف الاوصاف الاخلاقية  
والسجالات التربوية في الاقوام والامم والحكومات . وهكذا فان لحسن المعاشرة والاتحاد  
السياسي في تلك الاقوام التي وصفت بالصيغة السياسية تأثيراً عظيماً في رقيها واطاها .  
لا تأثير لشكل الادارة في الحكومات من حيث الوجهة الاقتصادية مشروطة كانت او  
جمهورية او مطلقة . بل الامر الذي تدرر حوله الشؤون الاقتصادية ، هو الامن والانتظام  
والتحاب والاتحاد والعدل والانصاف في الداخل ، وجسارة تلك الامة وشجاعتها  
تجاه الخارج .

ويمكننا اجمال هذه الملاحظة العمومية وتطبيقها على بلادنا ، وحتى على لواء  
اللاذقية منها .

ان لواء اللاذقية الذي يشغل الاسواق الشمالية من الساحل السوري ، هو من المواقع  
التي يجب ان لا تهمل من حيث التجارة والاقتصاد . ثم ان خصب تربته وكفاية مياهه  
الجارية لاسواق حقله ، ووجود السواحل المجهزة بالمرافق الطبيعية فيه كلها تدل على كمال  
استعداده الطبيعي .

غير ان السكان التي تقطن هي في اشد الحاجة للتربية الفكرية والاقتصادية . وهؤلاء  
السكان الذين جعلتهم الجهالة يمتقدون بخرافات ترفضها افكار الصبيان ، خصوصاً الصيريين  
منهم لن يستطيعوا استثمار تلك الاتربة المثبتة والاستفادة من ذلك الموقع البحري الذي  
لا مثال له . وقد اخبرنا المؤرخون ان اسياف البحر اعتباراً من شمال اللاذقية الى اقصى  
الجنوب كانت في القرون الاولى تدر بخير عظيم . اما الآن فان ثلثي اراضي جبله ، ومعظم  
سهول اللاذقية وصهيون وانياس محرومة من الزراعة . ويحمل البعض اسباب هذه العلة  
على طغيان التصريين وجورهم . نعم ان الانحما التي تكون محرومة من الامن والانتظام  
لا يمكن ان ترقى فيها الزراعة ولا الصناعة ، ولا تنتظم فيها الاحوال الاقتصادية .

ولا استفادة لهذا اللواء اليوم الا من التبغ والبيض وقليل من الجيوب رخيماً ما فيه  
من الارض الخصبة ، وهذه الثروة التي تحيكمها تلك الايدي الجاهلة الحرقاء لا يمكن ان  
ترقى ما لم يكن لها وصى مدني يهيم خيراً وفقها . والا فانها تبقى على ما كانت عليه من

قبل اربعين سنة ، وهذه الاشغال تصنع لنا عن اطلاق دعواتنا .

السفائن التي صيرت ههنا اللاذقية

٣٤٨٦٠	باخرة	سنة ١٣٢٥
٦٤٦١	شرعة	
٧٣٨٨٤	باخرة	سنة ١٣٢٥
٦١٥٢	شرعة	
١٣٥١٦٣	باخرة	سنة ١٣٢٨
١١٧١١	شرعة	
١٨٨٠٩٤	باخرة	سنة ١٣٣٠
٧٦٥٣	شرعة	

ثم اذا لم يحور نظام (ادارة الدخان) — رضى — الذى مر ذكره اثناء البحث العام ، وخفض من غلواء هذه الشركة المتغلبة ، لا يمكن اصلاح زراعة التبغ ورقها البتة .

ومن اعظم المؤثرات التي تؤخر اقتصاديات هذا اللواء وتضر بصالحه ، عدم وجود الطرق المعبدة فيه ، وفقدان المرافق المحفوظة التي تسهل اصدار حاصلاته . ومن السذاجة ان نتقد برقي تلك الاصقاع وفلاحها ما دام سكان جبال الصبيرة لا يعرفون صدقاً لا رواجهم الا السلاح ، وما لم يعدلوا عن فكرتهم التي تقول بلزوم اقناء الحياة في اشد المذاب بين تلك الصخور الصلدة التي لم ينفذ اليها نور العلم ولا مرشد المدنية منذ قرون كثيرة . فاذا مهدنا لهم الطرق وشيدنا المرافق ، ثم اذا عمدنا الى افكارهم التي عشت فيها الجهل فانزناها بالعلم ، فهناك ترقى الزراعة والصناعة ويتسع نطاق الاقتصاد وتتوفر للبلاد كل سعادة .

[٧] — حرفاً الموزقية — يوحد في اللاذقية حرفاً طبعي صغير مسور بسد ناقص لصد الامواج طوله ثمانون متراً وعرضه ثلاث مترات يبدأ من خربة القلعة التي بنيت عليها منارة المزفا ويمتد الى الشمال الشرقي حيث يتصل بالساحل . ويستوعب مقدار [٤٠ — ٥٠] شرعة يتراوح حجمها بين (١ — ٨٠) طناً . ومعظم ما يستوعب اربع باخرات يتراوح حجم الواحدة منها بين (١٠٠ — ١٣٠) طناً . ولكن لم يسبق ان دخله غير الاشراع ذلك لان

## اللاذقية

١١١١

مدخله ضيق للغاية ، ولا يتجاوز عمقه (٣٠-٤٠) بافتك ممدوم بالبحر الذي يسقط فيه من  
انقاض القلعة ممدوم باللاذقية .

وعليه يمكن للاشراع الصغيرة ان تدخل من هذا المدخل وتدخل الى منتصف المرفأ  
والكن لا يتيسر للصخبة منها ولا للباخرات دخوله ، وعليه لا بد لهذه السفن من الدسا  
في الجهة الشمالية بمسافة نصف ميل عن مدخل المرفأ .

وتعد بهذه الاسكفة في السنة على الحداد المتوسط (٦٥) باخرة يبلغ مجموع حجمها  
(١١٥٠٠٠) طن و (٢٠٠٠) شرة مجموع حجمها ٢٢٠٠٠٠ طن وبناءً على وفرة الوسايط  
النقلية البحرية وسهولة شروطها يصار دائماً لاستعمال هذه الوساطة بالنقل .

ويجب لاجل توسيع التجارة البحرية في هذه البلدة اولاً كرى المرفأ وتنظيفه من  
الرمال والوحول التي كادت تملأه ، وتعميقه بمقدار خمسة باطات على الأقل ، واخراج الاحجار  
الموجودة تحت البحر في ناحيتي المدخل . ثم ان ارتفاع السد ليس بكاف . ولا تزال  
الامواج تقتحم اعلاه عند حدوث الانواء ولهذا السبب تدعى اكثر اطرافه . وعليه  
يجب اتمام ارتفاعه واصلاح ما يوجد فيه من الخلل .

وبنى هذا السد سنة ١٣٢٦ ولكن لم يتم . ثم لم تطرح املحه من ناحية البحر حوائل  
من الاحجار الصناعية لكسر سورة الانواء وما زالت تنطرحه الامواج حتى تصعد وتترق  
من اكثر انحائه . وهو الآن متصدع في وسطه من محلين ، وقاعدته متداعية ايضاً . ولا  
جرم ان تبادى هذه المؤثرات لا بد ان يزيد في تداعيه .

اما عمق الماء في داخل المرفأ فهو مختلف . ففي المدخل يتراوح بين (٣٥-٤٠) باطات  
وفي منتصف المرفأ يتراوح بين (٣٠٥-٣٠٥) باطات . اما عمقه في القسم الداخلي فيتراوح  
بين (٢-١٥) من الباطات ، ومقدار الماء في موقع الاسكفة لا يتجاوز اربعة اقدام . وبما  
ان المرفأ غير واسع . فلا يمكن ان تدخله بعد اصلاحه الا السفن التجارية التي لا يزيد  
حجمها عن (١٢٠٠) اما السفن التي يكون حجمها اكثر من هذا فلا بد من ان تتكبد  
المشاكل .

## ٤ - الاموال الاجتماعية في اللاذقية

[١] - الحياة العمومية والاجتماعية - اذا نظرنا الى الجدول الرسمية يجب ان نعتبر  
سكان اللاذقية نحواً من عشرين الف من النسمات . اما اذا اطلعنا على ما يدعيه بعض  
الاذقيين الذين لهم الامم بحقيقة الامر يجب ان نصدق بهذا المقدار الى (٢٥٠٠٠) نسمة .  
واربعة اخماس هذا المجموع تتألف من المسلمين السنيين والحمس الآخر من الروم الاوثرودوكس

والمبارونية، والإرمن والبروتستانت واللاتين المسيحيين . . .  
فيقسم مسالمو اللادقية من حيث الحياة العمومية الاجتماعية الى ثلاثة أقسام : الأغنياء  
والطبقة الوسطى ، والعوام .

أن منسوبي الطبقة الاولى اصحاب الاملاك والاراضى والذين لديهم الثروة الضخمة هم  
شادة عن سبع اسر . ويوجد بين افراد هذه الاسر اشخاص لهم من الثروة التقدية  
ما يتراوح بين عشرة الاف وخمسين الف ليرة ، ومن الدخل السنوى ما يتراوح بين  
( ١٠٠٠ — ٤٠٠٠ ) ليرة .

ويوجد بين اصحاب الاراضى من يشتغل بالزراعة فقط ؛ ومن يتعاطى التجارة . فالذين  
يشتغلون بالزراعة يولجون باعمالها شركائهم من القرويون . اما التجارة في اللادقية فهي  
عبارة عن تجارة التبغ والبيض .

ونحن الاموال المنقولة وغير المنقولة التى تملكها هذه الاسر السبع بمقدار نصف  
مليون من الليرات . وعدد افراد هذه الاسر يبلغ نحواً من ( ٥٠٠ — ٦٠٠ ) نسمة رجالاً  
ونساً . والبعض بين هؤلاء الاسر المسلحة يعيش عيشة منتظمة راضية . فتنازلهم المنسقة  
على طراز مدنى . ونسق عيشهم يدلنا على انهم لم يهملوا امر الانتفاع من ثروتهم بل اتخذوها  
ذريعة لرفاهيتهم وتحسين عيشتهم . وجميع منسوبي هذه الطبقة في اللادقية يتوخون في  
لباسهم الطراز الحديث .

غير أننا نجد جميع افراد هذه الطبقة الذين يظهرون بمظهر الترقى والتقدم، هم في مرتبة  
من البضاعة العلمية . ويوجد بينهم اسرة واحدة لافرادها نصيب من التحصيل التالى، اما  
الآخرون فانهم محرومون من هذا الجهاز الحيوى . وهذا الانحراف حال بينهم وبين الاستفادة  
التامة من ثروتهم الوفيرة . وجعلهم حازرين عن خدمة بلادهم واعلاء شأنها . لاسباب وان  
هذا الحال حدى بهم الى الانهماك فى اللذات والاذواق .

ومع هذا فان لهم فى الحياة الاجتماعية سيراً حسناً . لان المزارعين فى اراضى هذه  
الطبقة كلهم من التصريين ، واملاكهم جميعها محاطة باراضى جبله وصهيون التى اشتهر اربابها  
بالخشونة والقسوة فى الحياة الاجتماعية .

ولهذا لم يجدوا سبيلاً يمكنهم من التسلط والاستبداد . وعليه كان ارباب هذه الطبقة  
على غاية من الانس والانسانية ، وهم اهل قرى ايضا غير ان فى حالتهم الروحية ميلاً  
للانهماك فى الاذواق والملاذات .

وقصارى القول ان افراد هذه الطائفة لم يؤثر عنهم انهم ذوو شر وفساد ، او سيطرة  
ينفعلون بها باضرار غيرهم ، كما انهم ليسوا بارباب لطف وعناية بالناس ينفعونهم بوفرهم  
الطائل . فيجب ان نتلقاهم فئة تتألف من اناس هادى الطباع ، معتدلى السير يحبون

اما الطبقة الاجتماعية الثانية في المسلمين فهي عبارة عن وسط الناس . وعدد عائلات هذه الطبقة يربو على «٥٠» وعدد افرادها يتجاوز «١٠٠٠» نسمة .  
فاذا علمنا ان ثروة كل عائلة من هذه العائلات تتراوح بين «٢٠٠٠» و«٦٠٠٠» ليرة ، ودخلها السنوي يتراوح بين «٢٠٠» و«٥٠٠» ليرة يتضح لنا ان مجموع قيمة اموالهم المنقولة وغير المنقولة لا يقل عن «٢٠٠—٣٠٠» الف ليرة .

وهذه الطبقة ايضاً تشتغل بالزراعة والتجارة . ولا تختلف معيشة هؤلاء عن معيشة ارباب الطبقة الاولى الا انها اقصى منها بدرجة ، ولا يمكن العثور بينهما على فرق ملموس من حيث الواقع الاجتماعي . فاذا اغضينا عن كمية الثروة نستطيع ان نعتبر هاتين الطبقتين طبقة واحدة . بيد ان ارباب الكسوة العلمية ، ولذين اشتهروا بدراسة العلوم الشرعية ، كلهم من افراد هذه الطبقة . وبه كان لهذه الطبقة اناس ارفع سوية من اناس الطبقة الاولى . وربما يعثر لديها على هكذا اوصاف من حيث المسمى ايضاً .

وبما اهم ايسوا على درجة من الرفاهية ورخاء العيش يضاهون بها الطبقة الاولى تراهم اشد اقتصاداً في الحياة الاجتماعية ، واهداً طباعاً في الحالة الروحية . ثم اذا نظرنا فيهم نظرة عامة نجدهم من حيث الحصول اشبه بسكان القرى ، كما هو الحال في الطبقة الاولى .

\*  
\*\*

اما الطبقة الاجتماعية الثالثة فهي عبارة عن السواد الاعظم من الخلق . وهي تتألف من اللذين يشتغلون بالنوعية او بيع الخضرة ، او من زراع البساتين ، او العمال وغيرهم من الصنوف الاجتماعية .

يكتمل ارباب هذه الطبقة الاردية والسراويل ، يلبسون في رؤسهم طرايش . وعيشتهم منغمسة في الفقر . واكثرهم يسكن في محلة «الشحاتين» و«الصباغين» . ومع هذا لا يقل دخل احدهم عن «٢٠٠٠—٣٠٠٠» غرش في السنة ، اما الحياة في اللاذقية فهي رخيصة هينة ، فيتسنى لافقر عائلة ان تعيش بدخلها عيشة لا بأس بها . ويسهل على كل احد في هذه البلدة ان يجد لنفسه عملاً . ولهذا يندر فيها وجود من يسقط في درك الذلة والمهانة .

غير ان محصيل افراد هذه الطبقة ناقص ، وعدد الذين يحسنون القراءة والكتابة فيها قليل .



وعدد الذين يحسنون القراءة والكتابة بين جميع مسلمي هذه البلدة يناهز مئتين من المائة في الرجال وخمساً منها في النساء . ثم يوجد بينهم ستة او سبعة اشخاص من متخرجي المدارس العالية ، وقريب من مائة من دارس العلوم الشرعية . اما الباقيون فتحصيلهم يسير جداً . وهذا يدلنا على انحطاط السوية الفكرية في اللاذقية .

\* \*

اما نصارى اللاذقية ؛ فان اربعة اخماسهم من الروم الادرتودوكس ، والخمس الآخر من بقية الطوائف . ومعظم الثروة يوجد في ايدي الاروام . ولهذا فان موقع بقية الطبقات المسيحية بالنسبة الى الاروام ، موقع حرمان بحث . والحياة الاجتماعية في هؤلاء الاروام تماثل حياة الطبقات الاجتماعية الاسلامية . ويوجد في طبقتهم الاولى اسرنا ، همداريج وادقي من نظرائها المسلمين سواء في الثروة او في نسق العيش . وثروة كل واحدة من هتين الاسرتين اللتين حصرنا تحارة « ابو ريح » في ايدهما تتراوح بين ( ٦٠ — ٧٠ ) الف ليرة ، ودخلهما السنوي لا يقل عن ( ٦ — ٧ ) الاف ليرة .

ثم ان حسن الترتيب والنظام في منزل هاتين الاسرتين والمدنية التي تتجلى في نسق عيشهما وحياتهما ، بارزة ملموسة . ولديهما شبان تخرجوا في مدارس العرب ، ولهما وُلف بالفرنساوية يبحث عن الصناعة والزراعة في سورية جدير بان ينسجها ثناءً وقهديرآ . ويوجد في الطبقة الوسطى بين المسيحيين بضع مائات افرادها من ارباب الاملاك ، اما افراد الباقيات فيشتغلون ببعض المهن والصناعات . ونرى الطائفة المسيحية اسبق وادقي من جارتها المسلمة من حيث المزية العلمية والسوية الفكرية . فلذا قسنا هاتين الطائفتين ببعضهما مع مراعاة عدد افرادهما . نحمد عدد الذين يحسنون القراءة والكتابة من رجال المسيحيين اكثر من المسلمين . اما نساؤهم فاهن ارقى بكثير من النساء المسلمات . لا نقصد بهذا الرأي ان المسيحيين هناك هم على قامة من الرقي . ولكن لا بد ان نترف فانهم ارقى من المسلمين من حيث المعرفة بالقراءة والكتابة .

وان التصاري هنا لهم رابطة قوية الدين ولربما كانوا متصلين اكثر من المسلمين . وعليه تكون الطائفتان على عين الشاكلة من هذه الوجهة

\* \*

وقبل ان نتم بحث الحياة الاجتماعية في اللاذقية نرى ان نستطرد ونبحث نبذة عن الحالة الاجتماعية في قضاء مركز اللاذقية .

اذا صرفنا النظر عن سكان قصبة المركز نجد ان عدد سكار هذا القضاء يربو على

(٣٠٠٠٠) نسمة ؛ ونصف هؤلاء من النصيريين ، وثلثه ارباب النصف الآخر من التركمان والعنانيين ، والربع الآخر من مختلف الطوائف المسيحية .

والنصيريون الذين يسكنون في قضاء المركز ، يشغلون الحراثة والزراعة ، وشبههم بقع عشرة من العائلات التي تملك اراضى تتراوح قيمتها بين (١٠٠٠) و (٢٤٠٠) ليرة . ودخلهم السنوى يتراوح بين (٢٠٠) و (٥٠٠) ليرة .

وهؤلاء النصيريون يشبهون سكان السواحل ، او قطان الاسياف من بحى جلدهم . ولهذا لا نجد فيهم تلك السجاي والحلال الموجودة في قطان الجبال من اخوانهم .

وبما ان اكثرهم مزادعون في اراضى اغنياء اللاذقية ، تكون السكينة وهدو الطماع امراً طبيعياً لهم . لاسيما وان ظلم النصيريين الصهيونيين اياهم ، وتعديهم على حقوقهم ، جعلهم اقرب قلوباً ، واميل نفوساً الى اللاذقيين .

ومن البت ان نرتاد الرفاهية في عيش هؤلاء النصيريين ، او الصلاح في حالتهم الفكرية . لانهم ثلة من فقراء الناس ومساكينهم .

ثم ان النصارى في قضاء اللاذقية ليسوا على شئ من الاوصاف الخاصة . اما السنيون الذين هم ثلاثة اثمان السكان ؛ فتم مقدار (٥٠٠) نسمة من العرب يسكنون في قرى « البساتين والريحان وقيناص » . والباقيون يسكنون انحاء « الحزينة وبائر ووجاق » . وبما اننا سنتكلم عن التركمان الذين يسكنون تلك الانحاء في مبحث خاص ، لا نرى لزوماً الآن لتكرار البحث .

[٢] — العادات الاجتماعية — نريد هنا ان نبحث عن بعض العادات التي لها اوصاف خاصة عند اللاذقيين . ونبدأ منها بالزواج .

ان مسألة المهر عند المسلمين هي من اهم مسائل الزواج . ولهذا يطول الشرح فيها حتى نحسم . وعندهم ميل شديد للتغالى في المهر . وربما يبلغون به الى (٤٠٠) ليرة . وبعد حسم هذه المعضلة يهون الامر ، فاما ينتج اتفاقهم بما يسمونه (الخطبة) وهي عبارة عن ترسيم وتسمية ، او بمباشرة عقد النكاح . ومن طائفتهم اجرا « العقد او الخطبة في بيت العروس ، ثم لا يتغالون في الاحتفال به بل تكون تقاليدهم عبارة عن قراءة المواد الشريفة فقط ، وهذا اما تكون في ليلة الاثنين او الجمعة . وقصى عليهم العدة بعد الخطبة بارسال هدية الى الخطوبة من خاتم او قرط . وباعداد ليلة الس وارب فاذا اكتفى في بادى الامر بالخطبة ، يكون عقد النكاح يوم المرس وقبله بيومين ، ويعقد نهائياً .

ويجب على الخاطب ارسال الصابون والقهوة والحناء ، والصلصال المصيب ، الى بيت

الخطوبة قيام الزفاف بأسبوع ، ويسمون هذه الليلة «ميدم» (عند مأدبة ..) ، ثم تحتفل عائلة العروس بترتيب دعوة الحام للذهاب ، فيرسلون الى كل من يريدون حضورها في الحفلة قطعة من الصابون تقوم مقام الدعوة . وتكون هذه الحفلة قبل العرس بيومين او ثلاثة ايام .

وهناك يرسل الجهاز من بيت العروس الى منزل العريس . وكان من عوائدهم ارساله بضرب الطبول والزمور . اما اليوم فقد هجروا تلك العادة .

وفي ليلة الزفاف يدعى العريس الى بيت احد اصدقائه . وتتهيأ له آلات الطرب هناك او يقرأون المولد الشريف . وبعد ان يلبث العريس هناك حتى منتصف الليل . ينعقد موكب الزفاف فتقدم المصاييح ، وآلات الطرب امام الجمع ويلتف حول العريس اقاربه واصدقائه ويوصلونه الى البيت ، وهناك توجد حفلة النساء . فيتلقين العريس بالاهزيج ويصرخن «لو ، لو ، لو» . وتقضى عادتهم على العريس وابيه واخوتان يقدموا للعروس هدية صباح ليلة الزفاف .

وربما تسلسل ليل السرور بعد ليلة الزفاف وندوم فيها الافراح ، ويجب على الزوج ان يدعو الى يته حماه وذويه وجميع اقارب العروس في يوم مخصوص ، وتسمى هذه الدعوة عندهم «ردة الرجل» . وبعد العرس بشهر يجب على اب العروس ان يدعو صهره وجميع ذويه . ويسمون هذه الدعوة «بوسة اليد» . ولا بد من تقديم الهدايا في جميع تلك الدعوات . والمهر المؤجل عندهم يكون بمقدار ثلثي المهر المعلن . او ثلثه او ربه .

ويندر في اللاذقية وجود تعدد الزوجات . وهو منحصر في بضعة اشخاص . ويؤثر عنهم انهم اقاموا لكل زوجة منزلاً على حدة .

ويرغبون ان تكون اولادهم ذكوراً ، ويحتفلون بختانهم ، وختنهم القرآن احتفالاً عظيماً .

وتحمل الاموات في اللاذقية بتابوت مكشوف ، ويكتفون بسترها بغاشية . وروى عنهم انهم يتحاشون من استعمال التابوت المستور لثلاثين شهون التصاري الذين يضعون امواتهم في هكذا توايت .

ولا تمشي النساء وراء الجنائز . بل تشيع من قبل الرجال باتم الهدو والسكينة . ومن عوائدهم زيارة قبور الصالحين مثل «الشيخ محمد اغربي» و«الشيخ صالح الطويل» و«الامام البطرني» و«الايير موسى» و«ابي الدرداء» و«الشيخ سعيد» . وكثيراً ما يبيتون مرضاهم في تربة (الامام البطرني) و«ابي الدرداء» . ويعتقدون انهم يبرأون من مرضهم بهذه الوسيلة . ثم عندهم مزار يسمونه (قاضي الحاجات) . تقصده النساء ،

الملاذفة  
وفي يد كل واحدة منهن عصية تحسب الجذع به ثم تنقى من صاحبه قضا حاجتها بصوت عال .

\*\*\*

ويخرج المسلمون أيام الربيع قبل شروق الشمس الى محلات الزهرة نساءً ورجالاً ، ويأخذون معهم الحليب والقهوة ويخرج النساء دون الرجال في الايام الثلاثة من ابتداء نيسان الرومى وتسمى هذه الزهرة في عرفهم «شم النسيم» . وهكذا يخرجون في آخر اربعمائة من شهر صفر .

ثم تخرج النساء المسلمات الى خارج البلدة لاجل التنزه في عيد الفصح عند المسيحيين ويسمونه (طلعة عيد النصارى) . ويؤمن ان هذه العادة تأسست لاجل التقيب من وجه النصارى . ولكن ترى هذه العادة قد تأصلت في نفوسهم حتى صار هذا اليوم لديهم مثل بقية اعيادهم . ووفقاً للثياب التي تمتد لاجل هذا العيد هي اعظم مما ينطق لاجل الاعياد الاسلامية .

#### ٥ - الامور الصحية

ان الوسائل الصحية في هذه القصبه متوفرة . لان انفساح ضواحيها ، وخلوها من كل حائل جعل للهواء مهباً من جميع انحاءها . لاسيما الرياح الشرقية التي تهب في ليال الصيف فانها تحف اللاذقية بحياة طيبة . ولكونها لمدة معتدلة فيقليم معتدل لا تتجاوز فيها الحرارة ابان الصيف (٢٣-٣١) درجة ، ويندر انخفاضها عن الصفر في الشتاء ، واكثر ما ترى في ذلك الموسم بين (٥-١٠) درجات .

وماء القصبه صالح للشرب والاستعمال باعتبار الاصل ، وموافق للقواعد الصحية .

ومع هذا فاذا نظرنا الى تدنس مياه الآبار بالامتياخ ، وتحقق لدينا انها عرضة للترسحات الوسخة نعلم ان تلك المياه واسطة خطيرة لسراية الامراض وقشها . وبرى اطباؤها ان قد حل فيها قبل بضع سنين مرض القواليرة فكاد لا يبقى ولا يذر ، وكان لهذه الآبار تاثير عظيم في تأصله واستقراره فيها .

اما بيوت القصبه فقد ذكرنا في بحث الخطوط الداخلية ان اكثرها مما لا يسوغ ان يشتكى منه ، غير ان فيها من البيوت التي اكتمت الرطوبة وعششت فيها العفونة وهجرها الضياء ، ما لا ينطبق على الخير الصحى ، ولا على الحالة المدنية . ولهذا يكون اصلاح هذا القسم منها من الامور التي لا يجوز اهمالها .

لا يجب ان لا ننسى في هذا البحث المستنقعات الموجودة قريبا من المدينة لان القهر الكبير الذي يصب في البحر في الجنوب الشرقى قريبا من القصة يحدث مستنقعات لا تنقطع الحمى المرزغية من هذه البلدة بسببها .

هذا وان قال طبيب البلدة ان مقدار الذين يصابون بهذا المرض لا يتجاوز (٥٠٠-٦٠٠) نسمة في السنة . ولكن اذا نظرنا الى الحالة الاجتماعية في خلقها واطلغنا على سويتهم المكرية يتضح لنا ان مقدار المصابين اكثر بكثير من المقدار الذي يئنه الطبيب . وعلى كل حال ان عدد مصابي هذا المرض يكاد ان يكون نصف مقدار ما يصاب بجميع غيره من الامراض .

ويقال ان هذا المرض يقتك في ملحقات اللاذقية فتكا رهيبا . ويروى ان عدد الذين يصابون به في قضاء المركز يبلغ في كل سنة نحواً من (١٥) في المائة من مجموع السكان . ولا جرم ان السعى لتقليل عدد المصابين الذي يناهز (٨٠٠٠) نسمة في السنة ، او بالاجدر اعمال الهمة لتحديد دائرة هذا المرض واطفائه في زمن قصير ، هو من الوجائب الضرورية التي يتحتم القيام بها .

ثم يأتي بعد هذا المرض ، مرض « السل » . وان تأثير هذا المرض هو اشد واقطع من الاول بكثير . لا سيما وقد كان هذا المرض قبل (٤٠-٥٠) سنة منحصراً في بضعة اشخاص من المسيحيين ، واصبح اليوم في درجة يقتل في السنة (٤٠-٥٠) نسمة . وهذا جدير بالاهتمام ، وهذه النسبة لا تزال في هذه الدرجة منذ سبع سنين . وعدد الاصابات منه في كل سنة يبلغ نحواً من (١٠٠) نسمة .

ويقول المدققون ان اسباب قتلى هذا المرض بهذه الدرجة الهائلة ، هو عدم التعرض لبيع الاشياء التي تخص هاتين العائلتين اللتين مر ذكرهما ، وعدم تعقيمها ، الوجه الصحي ثم الامحاض عن بيع اغراض مرضى اليوم ايضاً ، وعدم وجود آلة للتعقيم ثم عدم وجود دار للتجريد تحفظ فيها المرضى . ولا ريب ان تأثير هذه الوسائل لا ينكر ، وعليه يتحتم التدورع بهذه التدابير ، والسعى لاقاذ حياة اللاذقية من مخالب هذا الموت الهائل ،

ويأتي بعد مرض السل الذي يشغل عشرة في المائة بين الامراض الاخرى ، مرض لا يقل عنه في الخطورة والاعحاء . وهو مرض الافرنجي . ويقول الطبيب انه اطلع على (٥٠-٦٠) من المصابين بهذا المرض في ظرف ستة اشهر . وهذا يطلعنا على درجة هول هذا المرض القاتل . ثم اذا فكرنا بالذين يرجعون في ازالة مرضهم الى السحرة والدجالين والذين يتداوون بالتبخير وغيره نعلم خطورة هذا المرض الذي خلقه الحرب ، ودرجة هوله على الصحة العامة . ويدعى ان اكبر سبب لتفشى هذا المرض هو عدم وجود المحلات التي تمكن مراقبتها ، ويسهل وضعها تحت الفحص . ولا نرى لزوماً لان نيين احتياج

هذا الامر الخطير الى التدابير العاجلة .  
ثم تأتي بعد هذه الامراض بعض الحيات ، والامراض البنية والجلدية وبعض الامراض  
السمية . ولكن ليس لهذه الامراض سطوة بنسبة الآخرين . فاذا صرقنا النظر عن  
المصابين ببعض الامراض السمية نجد الباقيين لا يتجاوزون العشرين في عددهم .

اما الامراض الطارئة التي حدثت في السنين الاخيرة فهي عبارة عن الحمى النخسية  
والقوليرة . ويحتمن مقدار مصابي القوليرة سنة (١٣٣٣) ببضع عشر نسمة . حتى ان الحمى  
النخسية ايضاً لم تشتد وطأتها في هذه السنة . اما في النصف الاول من سنة (١٣٣٣) فقد  
كان عدد المصابين بها (٢٠٠) نسمة ، توفي منهم ثلاثة في المائة . اما القوليرة فلم يكن لها  
اثر في هذه السنة .

\*  
\*\*

ان ادارة الصحة في اللاذقية عبارة عن طبيب البلدية . وتفقد التاحيات الكائنة في  
الجهة الشمالية على مسافة يوم من المركز ، منوط بهذا الطبيب ايضاً . وليس له معاون ،  
ولا عنده مستشفى ، وهو محروم من كل الوسائل الصحية . ويوجد في المركز طبيب  
خصوصي وقابلتان لم تتخرجا في المدارس . وصيدليتان . ولا نرى لزوماً لان نبحت عما  
تستطيع هذه الادارة القيام به من الاعمال الصحية وهي على هذه الحالة . ولا حاجة  
لتدقيق حالة الصحة امامة بعد ان اطلعنا على هذا التعريف البليغ .

## ٦ اللغة والادبيات وحياء الطباعة

لا جرم ان اللغة العامة في اللاذقية هي العربية العجمي . هذا وان تكن لغة اللاذقيين  
لا تفرق عن اللغة السورية شيئاً ولكن لهم لهجة خاصة تقضى عليهم بعد اواخر الكلم ،  
وتقضيها وبهذا كانت لهجتهم غليظة . وهذه اللهجة توجد عند اهالي جبلة ايضاً ، اما في  
الاقضية الاخرى فانها تنزع الى اللهجة الطرابلسية .

ويوجد في اللاذقية ، يتكلم باللغة التركية من متخرجي المدارس الابتدائية والثانوية  
ويبلغ عددهم الى (٢٠٠) شخص . اما التركمان الساكنون في انحاء باير وبوجاق والذين  
يناهزون في عددهم (١٠٠٠) نسمة يتكلمون بالتركية بلهجة تركانية . ثم ان اللغة الانكليزية  
والافرانسية معروفة عندهم . وبعض الذين يعرفون القراءة والكتابة من المسيحيين يعرفون  
هاتين اللغتين .

\*  
\*\*

نبت في اللاذقية بضعة رجال اشتهروا باقتانهم العربية الفصحى ، واختصاصهم بالعلوم الشرعية ، فمنهم ( الشيخ مصطفى الحمودي ) الذي توفي قبل خمسين سنة ، وهو من العلماء المحدثين ، ثم ( الشيخ خالد الازهرى ) الذي توفي قبل اربعين سنة ، و ( عبد الرزاق اقلدى الفتحى ) الذي توفي في ذلك الزمن ، وهو عالم وشاعر معاً . ثم نبت بعد هؤلاء ( الشيخ عبد الفتاح الحمودي ) و ( الشيخ عبد الحميد الحمودي ) والاول من هذين الاخوين يعد من فطاحل العلماء السوريين .

وكان عالماً شاعراً ، فقيهاً ومحدثاً . ومعظم الذين يتقنون العربية الفصحى الآن ، والمنتهرين باطلاعهم على العلوم الشرعية هم من تلاميذ « الشيخ عبد الفتاح الحمودي » . وله مصنفات عديدة في الصرف والنحو والبيان والعروض والفق والتجويد ، مطبوعة وغير مطبوعة . وديوانه المسمى « سير القواد » ، وكتابه المسمى « تحفة الدارس » الذي يبحث عن علم الصرف وكتاب « الجريدة » في علم النحو هم من مصنفاته المطبوعة واخوه « الشيخ عبد الحميد الحمودي » ايضاً كان شاعراً وطالماً . وتوفي هذا العام قبل عشرين سنة ، اما وفاة اخيه فكانت قبل خمس عشرة سنة .

ثم ان « لشيخ صالح الطويل » ايضاً كان من العلماء المحدثين وله عدة مصنفات لم تطبع ووفاته كانت قبل ثلاثين سنة .  
ثم منهم ( الشيخ محمد - عبد الازهرى ) . وقد توفي قبل خمس عشرة سنة وله اشعار ، وبعض آثار دينية لم تطبع .

ولا جرم ان اشتهر رجال اللاذقية بالشعر هو ( الياس صالح اللاذقي ) الذي ولد سنة ( ١٨٣٩ ) ميلادية . وهو ينتمى الى اسرة مسيحية اصلها من غزيرة وقد تخرج في الكلية الامريكية . وبعد ان تقلد وظيفة الكتابة برهة تركها واخذ يتعاطى التجارة . وفي سنة ( ١٨٧٢ ) صار قنصلاً لدولة اميركا ولم يلبث ان استقال منها ، ودخل في خدمة الحكومة مرة ثانية واستخدم في العضويات . وتوفي سنة ( ١٨٨٥ ) . وطبع ابنه اشعاره سنة ( ١٩١٠ ) في مجموعة سماها ( مرأى وديوان المرحوم الياس صالح اللاذقي ) .

واكثر موضوع هذا الديوان المدحيات والمرأى والتواريخ . واهم ما فيها الاقسام التي تبحث عن بعض الوقائع التاريخية . وقصيدته التي بحث فيها عن قدوم مدحت باشا الى اللاذقية لاجل تأسيس التصريفية حينها كان وال في سورية ، هي من هذا القليل . وقد استملها بهذا المطلع :

مقل الورى اياك امست ترصد  
يا كوكباً منه المطالع تسعد

### اللاذقية

يا مدحة المصر الذي بك فخره  
وتنتيجة الدهر الذي بك يحمده

ثم قال :

شرفت ارض اللاذقية منة  
فشدا بها طير السرور يفرده  
واخضرت الآكام في ارجائها  
زهواً واهلها بوفدك عيدوا

وهذه الابيات الآتية تدل على انه كان عالماً بمزية مدحت باشا الحقيقية :

لا بدع ان احيت ميت قطرنا  
وامدت روثقه له يتجدد  
انت الخلق بفعل كل عجيبة  
قلنا لك الفضل الذي لا ينفد  
وباحرف الذهب اسمك السامي غدى  
في سحف تاريخ الدهور يخلد

وله قصيدة اخرى مدح فيها راشد باشا والى سورية سنة (١٨٧٠) واخرى مدح فيها  
خورشيد باشا متصرف طرابلس سنة (١٨٦٧) ، وقد كان رشيد باشا قدم اللاذقية لاجل  
اصلاح جبال النصيرية ، فخاطبه الشاعر بهذه القصيدة :

قصد البوادي والجبال فذاق من  
فيها تمرد طعم موت احمر  
واستأنست فيها الذآب فاصبحت  
معها ترى الاغنام ترعى فاشكرى .

وخورشيد باشا ايضاً قدم الى هذه الديار لاجل اصلاح جبال النصيرية فخاطبه بقصيدة  
طويلة منها هذين البيتين :

وهب يصعد بالعليا الى جبل  
لها طفت وبنت جهلاً عشائره  
حتى محا كل عدوان ومفسدة  
والله باليمن والبشرى يوآزره

وقصارى القول ان الياس صالح اقتدر على تثبيت حادثات زمانه المعلومة بخلوص ،  
وصفوة . واستطاع ان يترجم عن شعوره الديني تجاه مريم المندرا بطبع قدير على النظم



وقلب ملي من الايمان . فقال :

يا عذرا ام العجائب يا نجاتي في النوائب  
انت يا بكر ارحمني وادفني عن المصائب  
كل من في مدح مرسم قد تغني وترنم  
من خطوب الدهر يسلم آمنة كل المصائب

ثم قال :

مدح ام الرب عندي فاق كل المطربات  
وهي مأمولى وقصدي في حياتي والمات  
نجي قلبي وصدري في مديحي للبتول  
وافصاً نغمات شكرى راجياً منها القبول

١ ولا جرم ان هاتين المنظومتين انبعثتا عن شدة هيام ووجداني عميق . وقصاري  
لقول ان الياس صالح شعر في حياته بكثير من الهياج وحاول جهده لبثنا ايا ويطلعنا  
عليه . وهذا يجب على اللاذقيين عامة ، والمسيحيين منهم خاصة ان لا ينسوا اسمه . لانه  
استطاع تحريك الاحساسات التي تخفق لها قلوبهم وتقريرها . واقتدر على تقل حالتهم  
لروحية وتثيتها .

\*  
\*\*

حياة الطباعة — توجد في اللاذقية مطبعتان . الاولى « المطبعة الوطنية » للشيخ سعيد  
اقدى ، والثانية « المنتخب » لادوار اقدى مرقس وانتشار عدة جرائد ومجلات في برهة  
وجيزة بعد اعلان دستور يدلنا على ان حياة الطباعة هناك دخلت منذ ذلك العهد في دور  
جديد من الرقي . فكانت تصدر فيها جريدة « المنتخب » لصاحبها ادوار اقدى مرقس ،  
وهي سياسية اسبوعية و « جريدة اللاذقية » للشيخ سعيد اقدى سعيد وهي اسبوعية سياسية  
ايضاً ، و « الجريدة العربية » له ايضاً و « جريدة ماصنع الحداد » وهي اسبوعية مزاحية  
لعبد الحميد اقدى الحداد و « ابونواس » وهي ابوعية ومزاحية ايضاً لصبي اقدى  
عقده . هذا وان كان جميع هؤلاء الجرائد اسبوعيات . ولكن ما كان مدنا التقدم الشري  
ليقف عن ذلك الحد ، بل لا بد له ان يصل هم الى تأسيس الجرائد اليومية ايضاً .  
غير ان هذه الحرب الطحون ما لبثت ان طبقت على تلك الحياة الطباعية واخذت  
جرتها وهي في مستقبل عمرها . ولا جرم اننا نود ان تعود هذه الحياة بعد الحرب ، وتكون  
احسن مما كانت عليه قبلها .

## ٢٥

## تركان اللادقية

كنّا تكلمنا عن التركان المتوطنين في ناحيات الحزينة، وباير وبوجاق من اعمال اللادقية وذكرنا اسماء القرى التي يقطعونها، وبيننا في القسم العمومي من كتابنا ما عثرنا عليه من المعلومات بكيفية يحيشهم الى هذه الانحاء وزمانه [\*].  
اما الآن فالتنا نريد ان نبحث عن الاحوال الاجتماعية والروحية في تركان هذه الانحاء الذين يهاجزون في عددهم (١٠٠٠٠) نسمة، ونتكلم عن لغتهم، وآثارهم الادبية.

## ١ — الاحوال الاجتماعية والروحية

جاء تركان اللادقية في زمن شذ عن نظر التاريخ الى هذه الانحاء الجبلية المستورة ناهج البقس والصور، والمزدانة بينا بيع بللورية، واخذوا يستجدون من تلك الصخور الصوانية يسيراً من حياة، ويدفعون حاجتهم بما استطاعوا ان يستحصلوه منها بشق الانفس. وليس من الصعب ادراك ما كان من آثرة هؤلاء التركان الذين تنكثوا من التوطن في هذه الديار رغماً عن بخل طبيعتها، والحرمان الحيوي الذي يوجد فيها؛ وقدروا على الاحتفاظ بكيانهم وهم عرضة لجميع انواع الامراض.

وهؤلاء الذين يشغلون جميع انحاء بوجاق من «بغجاز» الى «زغرين» ومن ساحل البحر الى «سراي». واصقاع باير من «قيزيل جات» الى «القصة» ومن «آقجه باير» الى «سراي». ثم جميع ناحية «الحزينة»، نراهم لم يألوا جهداً في تمزيق حياتهم كما مزقوا تلك الاحراج الناضرة، حتى اصبحوا اليوم واجسامهم كالقديد من الخفاة وادمغتهم افرغ من فواد ام موسى.

ويجد هؤلاء التركان في نسق العيش والحياة الاجتماعية مع من حولهم من الاقوام العربية الى درجة نرى فيها جميع ما اطلعنا عليه من الفقة، ضحك العيش في اوتشك الاقوام التي مررنا بها وعالجنا تعريف حالتها وفقرها، موجوداً في هذه الفئة المحرومة لا يزال يودي بها.

وهم أيضاً يشيعون الحياة ، بل يكملون انفسها في طي اوكان هي عبارة عن ركام من الحجارة . وهذه الاوكان ، مع منازل اغواتهم المؤلفة من بضعة حجرات ايضاً ، تبث برح عقيمة من الفقر الماتى ، لا يزال ينحى على الارواح بسمومه المهلكة حتى عرق جميع الاجسام وجعلها جلدأ قام فيه هيكل من عظام ،

من أكبر سعادة هؤلاء القوم ان يفرشوا على التراب لبدأ بال ، منسوج من شعر الماعز ويطرحون عليه فراشا ويتمددون فوقه . وما اسعدهم اذا تمكنوا من حسو شئ من الحسا في مهون من نحاس موضوعة في طبق مصنوع من سوق الخنطة ، او اذا طعموا شيئاً من الذى يسمونه «السراسير» . وهي عبارة عن قح مطبوخ يصبون عليه لبنأ خائراً . لانهم لا يعرفون شيئاً من المأككل الا الذى يسمونه «كسينيك» وهو عبارة عن لبن خائر يفسدونه بالغلى ، ثم ينشفونه ويضعونه في جرار ويدقونها في بطن الارض حتى يحمض ، وهذا يكون طعامهم مدى الشتاء . ويصنعون من هذه المادة اقراصاً صغيرة يعرضونها الى الشمس لتتشف ويسمونها «سورك» ، وهذا من اشهر مأككلهم . فلا نبالغ اذا قلنا ان الطعام الذى يعمل من القمح ، او العدس هو من افخر مأككلهم . وقصارى القول ان هذا الحرمان الذى نراه في مأككل هذه الفئة موجود في ملابسها ايضاً . حتى ان نسائهم يستعملن الصادر والسراويل على عين ما تستعمله النساء التصيريات ، ويتقنعن باقعة سوداء منقوشة بنقش ابيض ، يسمونها ( تراك ) . ويلبسن في رؤسهن تحت تلك الاقعة طرايش بالاهداب ويضربن بخمرهن على افواههن ، ولا يبدن الا عيونهن وانوفهن . والواتى في انحاء الصلبة منهن يتقنعن بفتح حمر قترهن وهن يشتغلن في الحقول كانهن شقائق النعمان . ويلبسن في ارجلهن الاحذية ( صرميه ) الحمراء او الصفراء .

اما الرجال فلباسهم السراويل التى يسمونها [ كوكك ، اورديزلك ] ، ويلبسون في رؤسهم قبعات من صوف او طرايش ، ويتعممون عليها ويعصبونها بعصائب بقعاء . اما لباس رؤسائهم فهو على غير هذا النسق . لانهم يلبسون اردية يسمونها «الزبون» ، وفوقها جبة طويلة . وبعضهم يلبس على النسق العربى المعروف . وهم يضاھون مجاورهم في الحياة والصنوف الاجتماعية ايضاً كما يضاھونهم بنسق العيش وطراز اللباس .

فالتركان يتألفون من طبقتين اجتماعيتين مفرقتين عن بعضهما . فالطبقة الاولى تتألف من الرؤساء اى «الاغوات» ، والطبقة الثانية هي عبارة عن عامة الناس من القرويين . فالرؤساء الذين يسميهم القرويون «اغا» هم حكام هذه الاصقاع وأمروها . والتركان مفطورون على احترام رؤسائهم والارتباط بهم وهذه السجية فيهم جعلتهم عرضة لاضرار عظيمة . او بالاصح مكنت «الاغوات» من اضطهادهم وهضم حقوقهم .

## تركان اللاذقية

فترجد في انحاء باير اديم عائلات لها مقدار (١٠٠) من الافراد ، فمائلتان في انحاء بونجاك يبلغ عدد افرادها (٥٠) نسمة ، وهؤلاء لهم بين التركان سلطة لا تقاوم ، وقدرة لا يعترض عليها . فاقوات القسم الاول لا يتجاوز دخلهم السنوى مائتي ليرة . اما الآخرون فدخلهم اكثر من هذا المبلغ باضعاف مضاعفة . وكلهم يستخدمون القرويين في حراسة اراضيهم وزراعتها . ومع هذا فان هؤلاء الاغوات ليسوا من الغنى في درجة تستحق الذكر .

اما ما بقى من عامة التركان فهم في فقر مدقع وحياتهم تمر في عيش ضنك . وكلهم وازحون تحت اعباء الفاقة .

\*  
\*\*

ثم ان الاحوال الروحية في هؤلاء العاجزين المحرومين من كل شئ ، هي اشد تماسة من حالتهم الاقتصادية . فتراهم قانعين بما تيسر ، مستسلمين الى ظلم الرؤسا خاضعين لسجونهم وتعذيبهم يتظرون الموت وهم يعدون ثواني الحياة . وقد بلغ فيهم المعجز والخور الى درجة ، أصبحوا فيها لا يستطيعون ولو كتم الاسرار ، واذا اقتضى الامر يقتدر بضعة من افراد الدرك على اجلاء هؤلاء الالوف المؤلفة عن اراضيهم واطنانهم ، دون ان يروا منهم ايسر مخالفة ، ناهيك عن استعمال السلاح .

واكبر ما يعللون به آمالهم هي السعادة الآخروية . ولهذا تجدهم لا يفكرون عن اقامة الصلاة ، وربما يقرؤون قصة المولد الشريف وينتمسون في وجد يجعل لديهم قيمة الحياة صفراً . فلا يهتمون بصحتهم ولا بعيشهم ولا بابائهم . ويتلقون كل النوائب بصبر جامد . تجف منهم في كل ثانية قطرة من الحياة ، وتذبل ارواحهم ، وهكذا حتى يصلوا الى سعادة العدم . ولا يهتمون لتعطيل المدارس في قرى [ قورجه ، جاموران ، كبره ، قولجق ، سراى ] التي تزعم الجداول الرسمية انها موجودة فيها ، وهي لا اثر لها الآن . فغا اغناهم عن اتعاب النفس ما زال رؤساؤهم لا يعلمون من القراءة والكتابة الا يسيراً . ولا تسمع منهم وهم يمزقون رداً الحياة في عجز ومسكنة وجهل الا تكرر هذا الدماء :  
— متنا الله بالجنة .

وهاتين الكلمتين هما البرهان الناطق ، على القحط الموجود في ديار ارواحهم .

## ٢ — اللغة والادبيات

لا جرم ان اللغة التي يستعملها التركان هي التركية ، ونرى لهجتهم لا تزال تباعد عن اللغة التركانية ، وتقرب من العثمانية وهي تشبه اللهجة الاناطولية ، اكثر من مشابهة

اللهم اجعل الكارثة لها .  
 لا سيما وأن الأتاني التي يتخون بها كشف عن هذه التشابه بصورة بارزة . وهذا نحن  
 ثبت هذا . هم الأتاني التي يستعملها أولئك القوم :

— ١ —

لاذقيه حلبيسده يم  
 دمير يا يسنده يم  
 عتاب ايتيه سوديكيم  
 ايلك قبوسنده يم  
 — معناها —

اقلل عتابك ايها الحبيب فان جسمي الفولاذي ، في الباب الاول من سجن اللاذقية .

— ٢ —

فريده مسك فريدهم  
 نه اقيوك كبيردن  
 قوزولو قويون كهي  
 آيرلدي سودودن  
 — معناها —

فريدتي ! ما مالك تنظرين من بعيد ، هل فاتك السرب ، فكت كالظبية المطلل ؟

— ٣ —

آع يوقوش يوردي بني  
 يا دالي قسويدي بني  
 كور اولهسي صريبالدي  
 آرادى بوايدي بني

اوهت جلدي التلهة البيضاء ، وتركنتي حيا . فقاتل الله الغربة كيف قصدتني  
 وظفرت بي .

— ٤ —

چارشودن آدم كتن  
 كلري ديكين ديكين  
 هيج برقايقوم يوق اما  
 وطن بوييني بوكن

ابتعت من السوق كتانا ورده ذو شوك ، وليس لي فيه ارب . غير ان الوطن هو  
الذي يخضعني .

— ٥ —

كيدہ یم کیدہ  
ایاتم یمیدہ  
آلماغی قرعہ جی  
سودیکم وار کریدہ

ها انا في السفينة ، متعلأ نعلی ، خنايكه يا مجند لا تأخذني فقد خلف ورائي حياء .

— ٦ —

او مدن ايندير ديلر  
واپوره يندر ديلر  
يكيه نشانلدم  
يمنه كوندرديلر

اخرجوني من البيت ، ووضعوني في السفينة ؟ وكنت حديث العهد بالخطبة فاسلوني  
الى اليمن .

— ٧ —

زيبي ديكدم قوطلو يار  
صحنى طاتلى يار .  
كلدى بكدي سلامسىز  
سلامى قيمتلى يار

خطت الرداء لحبيبي السعيد ، الذى محبته اسعد فر ولم يتمتعى بسلامه الثمين .

— ٨ —

كل بنم كلم كلم  
يا براغى ديلم ديلم  
اولدير سه لرواز كلم  
ايتسه لر ديلم ديلم

تعالى يا وردتى المورقة ، لا يد منك ولو قطعونى اراً ومت .

## ولاية بيروت

— ٩ —

قارشیدن قاز کلیور  
یولونمش از کلیور  
ایشته هاسکا خبر  
نشا نلک واز کلیور

جانتک اوزة ، متوفة الریش ، فاعلم ان خطیتک انصرفت عنک .

— ١٠ —

بودره ساز باغلادی  
دیی نرکس باغلادی  
نئی برکلین اوردی  
یارامی قیز باغلادی

انصب هذا الوادی ، ونبت فيه النرجس . رمتی العروس بسلامها ؛ وضمدت الآنة  
جروحي .

— ١١ —

آغلی قارالی طاشلر  
عسکر تعلیمه باشلار  
چیفته دکیمن دوندیریر  
کوزمدن آقان یاشلر

اینها الحجارة البيض والسود ، شرع العسکر بالتمرن ، فذرفت عیونی بدمع یحرك  
هجر الرحي .

— ١٢ —

الفک هجاسی وار  
کوندوزک کیجهسی وار  
سویحیک قیزلردن سو  
کلینک قوجهسی وار

ان للالف هجاء ، ولكل نهار لیل . فاجعل حبك فی البنات ، ان العروس لها بعل .

— ١٣ —

بوكون آيک او نيدر

## تركان اللاذقية

يوكم يقمى اونيدر

اولى كوكل ويرمه

كيدر اوه اونودور

اليوم حاشر ايام الشهر، وحمل من دقيق القمح، لا تربط نفسك بالمتزوج، فانه ينسك  
متى دخل البيت .

## —١٤—

چيقسم قوزان طاغرينه

قارى ديزله ديزله

يارالرم كوزكوز اولدى

يارى اوزليه اوزليه

اترى اتسلق فى جبال قوزان، واخب فى الثلوج . تفجرت جروحي، من عظم اشواقى  
الى الحبيب .

## —١٥—

الف ديدم به ديدم

يار بن سكاكه ديدم

قوش قانادى قلم اولسه

ياز لمازبنم دردم

قلت الف، قلت به، ماذا قلت لك ايها الحبيب . لو كان ريش الطير اقلاماً لعجز  
عن قيد الامى .

## —١٦—

ريحان اكدى بر اولك

داداندى قره ليلك

ليلك كوزك كوداواسون

ريحان ياريمه كرك

زرعت حقلاً من ريحان، فاشتاه اللقاق الا-ود، عيت عينك ايها اللقلق، الريحان  
يليق بجيبي .

## —١٧—

كتير آنا البسه مى كيهيم

كيهيم ده يا، نولته كيدمىم



شمسكزي بولساغلي شاه ليديم  
آغلاصير لايورور كه قان طولدي

أنى يا امى بيايى ، لابس واذهب الى طريق الحبيب . فما نفى بعد الآن بالحياة  
فابكى واتحجى ، فقد ملئ الدم فوآدى .

— ١٨ —

كشير آنا البسهى قاصيم  
قاصيم ده قازقار آصيم  
سنگ ايچون دوستار مدن كوسيم  
آغلاصير لا يورور كه قان طولدي

أنى يا امى بيايى لاقصرها ، وانشرها على الاولاد . واهجر اصحابي لاجلك ، فابكى  
واتحجى فقد ملئ الدم فوآدى .

\*\*\*

ويستعمل تركان اللاذقية عدداً كثيراً من نوع هذه الاغاني . وتوخينا ترك كثير منهم  
لانه مجونى .

وقصارى القول ان جميع هذه الاغاني يترنم بها تركان اللاذقية بشغف عظيم . ولهذا  
يمكننا ان نتخذها مقياساً لسير اذواقهم وصراميمهم . بيد انه يجب علينا ان نعلم ان هذه  
الاغاني مستعملة في بلاد الامالول بعينها ، وخاصة في انحاء كاخ . فلا نظن انها من ايجاد هذه  
الاصقاع . ويقولون ان الاولى هي من اغاني اللاذقية ولكن الباقيت ليست كذلك . لاسيما  
رقم (٣) و (١٣) فهما تشبهان اغاني قونية و (٥) اغاني طرابزون و (١٤) اغاني اطنه و (١٥)  
اغاني انقره والباقيات اشبه باغاني كاخ . ويحتمل ان تكون منتقلة من هاتيك الاصقاع .  
وبما اننا لم نجد في هؤلاء القوم اثرأ يجعل لهم قيمة فى الابداع بالصنعة الاديبه ، نرى  
الاصح فى هذه الاغاني انها انتقلت اليهم من الخارج .

وقصارى القول ان ادبيات التركان اللاذقيين تنحصر فى هكذا نتف يسيرة ، ولا  
نعرفون من الكتب القصصية الا ( كوراوغلى ) و ( زال اوغلى ريم ) و ( عاشق غريه ) .  
وليس عندهم علم مائتاً ليف التركية العالية .

ولذا ذكر قبل اتمام هذا البحث ان العربية المعجمى التى يتكلم بها جميع سكان هذه  
الاصقاع لا تزال تستعمل بين التركان ايضا . والاشعار العامة العربية ترى منهم رغبة  
عظيمة . وبهذا يسهل علينا ان نعرف ما يهيشه الآتى الى اللغة التركية عند هؤلاء اليوم .

-٢٦-

## المقنول

ها قد انتهت الدقائق الباهظة التي وطنا فيها انفسنا لاقتحام العقبات ، وتكبدنا فيها ايبس الحرمان في احدى ايام شهرى تموز واغستوس . وان الشواهي التي ما زلنا نتسلفها في الانقاب والفيافي والقفار والسهول التي ما فتئنا نعتسفها ، والمياه الراكدة ، ثم القرى الحربة التي كنا نشاهدها في كل آن وقلوبنا تمض من الاسف والحزن ، احدثت في قوسنا تأثراً مرأً بشقاؤها ، حتى خشينا من ان نستأنس بها .

اذ كنا نعلم ان تكرر عين المحسوس وتواليه لا بد ان يحرم ارواحنا من الشعور به . ولا جرم ان عدم شعورنا بحالة اولئك الضعفاء الذين ما زالت تسفهمهم شمس سورية المحرقة ، وهم يركضون وراء نيرانهم يتبعون خطة في الزراعة ورتوها من الادوار الآدمية ؛ اولئك التماسا الذين يتكبدون الحرمان البحت ، ويظلون مرضى ، عاجزين خائري القوى ، لا يبنون حراكاً ، وعدم تأثرنا منها يكون في الحقيقة عبارة عن تدهورنا في عين الاهوية التي هووا فيها . ولهذا كنا نتحاشى بجميع قدرتنا من هذه النتيجة الرهية السوداء . ولا ننكر ان ادمتنا ما زالت تتصادم هذه الحقائق المرة منذ ازمعنا الاتجاه الى بيروت من اقصى السواحل السورية الشمالية . وكنا نقول :

لا ، لا ... لا جرم ان الآتي يدخر النور الحقيقي لهذه الربوع التي هي غرة في جبين الكرة . ولا بد لوطننا ، هذه الجنة المقدسة ، ان يظفر بالعزيز والتجاح ، ويحظى بالسعادة والفلاح . فالآتي يتدفق بالنور والآمال . فيجب ان نكون مطمئنين . كان الاذان المحمدي ينبعث من شواهي منارات اللاذقية ويشق عباب النسيم الذي يتضوع منه المسك في هذا الصباح الصيفي ، نعم ذلك الهاتف بصوت قدسي ، يصبح :

— حي على الفلاح ، حي على الفلاح . . . .

ويشر على الآفاق حياة ويقظة ، وكنا اذ ذاك نسترحم من القادر ان يقبض لوطننا الذي انحنته الجروح ، وصبت عليه الآلام دواءً ناجماً ، ونودع تلك البلدة الاسلامية المعجوز . ها نحن نمر من طريق مليء بالحجارة والاشواك فوق متون البرازين الضعيفة العاجزة واخذت تقوم امامنا الحرائب البعيدة وشرعنا نشاهد حولنا العدم واليتم ، واكوام الحاجات

ولاية بيروت  
والكل هكذا . ولا جرم سيدوم هذا المتظر المحزن حتى جبله وبانياس وطرطوس وطرابلس  
وبيروت ايضاً .

\*  
\*

ان هذا السفر الساحلى المطرد الذى امتد بضعة ايام ، بعث فى انفسنا الذكرى الماضية  
المحزنة ، ومع هذا فقد كنا نتلهى نارة بالبدايع الطبيعية التى قامت على ساحل سورية الزاهر  
واخرى نعالج ان تلهى افكارنا بأنواع الآمال العالية ، وتفكر بما يعدنا به الآتى من الوسائل  
المدنية والمعاهد الانسانية ، وبالسعادة التى سنظفر بها بوجود الادمغة الكبيرة ، والاجسام  
المتينة ، وبالأفراد المدنية المنورة العاملة ، التى تجدر بها الحياة ؛ ونسكر برحيق هذه  
الآمال التى تعدنا بمستقبله زاهر .

— بيروت : ٢٣ كانون الثانى ١٣٣٤ ، ١٩١٨ —

ختام



~~~~~  
خاتمة الجلد الثاني :

- ١ — المؤلفات الجديدة بالذكر  
٢ — جدول الخطأ والصواب  
٣ — الفهرست  
~~~~~

## المؤلفات الجديدة بالذكر [\*]

## — المؤلفات التركية —

- ١ — دولت عثمانیه تاريخى ( هاجمه رذن مترجم ) — محمد عطا
- ٢ — تاريخ جودت جودت پليشا
- ٣ — تورك تاريخى نجيب حاصم
- ٤ — تاريخ ابو الفاروق محمد ابراهيم بك
- ٥ — خرافات دن حقيقتنه م . شمس الدين
- ٦ — لغات تاريخيه وجغرافيه احمد رفعت
- ٧ — ( تورك يوردى ) مجموعه سى ( اسطنبول )

## — المؤلفات العربية —

- ١ — تاريخ بن الياس ، طبع بولاق ١٣١١ هـ
- ٢ — درة الاسلاك فى دولة الاتراك لابن حبيب
- ٣ — برق الشام لابن شداد
- ٤ — المواعظ والاختبار فى ذكر الخطط والآثار للمقرئى ، طبع بولاق ١٢٧٠ هـ
- ٥ — المنهل الصافى لابی المحاسن
- ٦ — نهاية الارب فى فنون العرب للتويزى
- ٧ — السلوك لمعرفة دول الملوك للمقرئى
- ٨ — البراق الشامى لعبد الدين
- ٩ — حبات صلاح الدين الايوبى لبهاء الدين
- ١٠ — كتاب الباكورة السليمانية فى كشف اسرار الديانة النصيرية ، لسليمان اقدى الاذنى
- ١١ — كتاب المجموع ، لعبد الله بن حمدان الحصبى
- ١٢ — كتاب مجموع فبه الاعياد والدلالات ، لابی سعيد ميمون بن القاسم الطبرانى
- ١٣ — كتاب الاسوس
- ١٤ — كتاب الصراط تاليف المفضل بن عمر

[\*] تابع للمؤلفات التى ذكرناها فى خاتمة كتابنا « ولاية بيروت - القسم الجنوبي »

## المؤلفات الجديدة بالذكر

بمصر

- ١٥ — كتاب الاصغر ، تصنيف الامام ابي عبدالله محمد بن شعبة الحراني
- ١٦ — مسائل ابي عبدالله بن هارون الصائغ عن شيخه ابي عبدالله الحسين بن حمدان الحنصلي
- ١٧ — كتاب تعليم الديانة النصيرية ، هـ ١٢٦٠
- ١٨ — الرسالة الدامغة للفايق الرد على النصيري لحمزه بن علي
- ١٩ — الرحلة الشامية ، للامير محمد علي باشا شقيق الحديوي (المطبعة الاميرية بمصر ١٩١١)
- ٢٠ — مشاهير الشرق ، لجرجي زيدان
- ٢١ — سوسة سليمان في اصول العقائد والاديان ، لنوفل نعمة الله نوفل
- ٢٢ — شعراء العصر ، لمحمد صبري
- ٢٣ — فلسفة اللغة العربية ، لجرجي زيدان
- ٢٤ — كتاب الملل والنحل ، لابي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (المطبعة الادبية بمصر)
- ٢٥ — كتاب الفصل في الملل والاهواء والنحل لابي محمد علي بن احمد بن حزم الظاهري ؛ المطبعة الادبية بمصر سنة ١٣٣٠ هـ
- ٢٦ — كتاب الفرق بين الفرق للامام الاستاذ عبد القادر بن طاهر البغدادي المتوفى سنة ٤٢٩ هـ ؛ طبع اخيراً بمطبعة المعارف بمصر
- ٢٧ — صناعة الطرب في تقدمات العرب لنوفل افندي نوفل
- ٢٨ — فصل من اللفظ الشريف هذه مناقب المولى راشد الدين (ثورنال آزياتييك ١٨٧٧ حزيران)
- ٢٩ — تاريخ الصحافة العربية ، ليفيكونت فيليب دي طرازي
- ٣٠ — مجلة الزهور (مصر)
- ٣١ — مجلة المشرق (بيروت)
- ٣٢ — مجلة الكوثر (بيروت)
- ٣٣ — مجلة المباحث (طرابلس شام)

— المؤلفات الفرنسية —

« المؤلفات الصومية »

- 1 — Archives des missions scientifiques et littéraires, Paris, 1<sup>re</sup> série, 1850—1859, 8 vol. ; 2<sup>e</sup> série, 1864—1882
- 2 — Revue archéologique
- 3 — Bulletin archéologique de l'Atheneum français
- 4 — Bulletin de la société de géographie de Paris
- 5 — Bulletin de l'institut égyptien. Alexandrie
- 6 — Bulletin de l'Œuvre des écoles d'Orient
- 7 — Année géographique, 13 vol. Paris
- 8 — Gazette archéologique. Paris
- 9 — Batissier, Histoire de l'art monumental dans l'antiquité et au moyen âge, 1 vol., 2<sup>e</sup> édition, 1860. Paris
- 10 — Chipier, Histoire de la formation des ordres grecs. 1 vol. Paris, 1875
- 11 — Maxime Du Comp. Egypte, Nubie, Palestine, Syrie, 25 liv. Paris, 1854
- 12 — Vigouroux, la Bible et les découvertes modernes. 4 vol. Paris, 1881
- 13 — I. Yanoski, Histoire de la Syrie ancienne. dans « l'Univers » 1 vol. Paris, 1848
- 14 — Bibliothèque Orientale d'Herbelot

« المؤلفات الحمصية »

- 1 — F. de Sauley, voyage autour de la mer morte et des terres bibliques, 2 vol. Paris, 1853
- 2 — Voyage en Terre Sainte, 2 vol. Paris 1872
- 3 — Numismatique de la Terre Sainte, 1 vol. Paris
- 4 — Le Temple de Jérusalem, 1 beau vol.
- 5 — Inscriptions sémitiques, Paris

- 6 — Syrie centrale, architecture civile et religieuse, du 1<sup>er</sup> au VII<sup>e</sup> siècle, magnifique ouvrage, 2 vol. Paris
- 7 — Luynes (Duc de), voyage d'exploration à la mer morte, à Palmyre, à Pétra et sur la rive gauche du Jourdain, 3 vol. Paris
- 8 — Rey E-G, Familles d'outre-Mer et Du Cange. 1 vol. Paris, 1859
- 9 — Sommaire du supplément aux familles d'outre-Mer, 1 vol. Chartres, 1882
- 10 — Les colonies latines de la Syrie au XII<sup>e</sup> et XIII<sup>e</sup> siècle. 1 vol. Paris, 1882
- 11 — Voyage dans le Haourân et aux bords de la mer morte, avec atlas, Paris, 1860
- 12 — Essai géographique sur le Nord de la Syrie avec carreau <sup>1</sup> 80,000 (Bulletin de la Société de géog. 1873)
- 13 — Rapport sur une mission scientifique accomplie en 1864-1865 dans le Nord de la Syrie. 1 vol. Paris
- 14 — Essai sur la domination française en Syrie durant le moyen âge, 1 vol. Paris. 1866
- 15 — Etude historique et topographique de la tribu de Juda, 1 vol. Paris, 1863
- 16 — E. Renan, Mission de Phénicie, bel ouvrage avec planches. 1 vol. Paris
- 17 — W. Waddington, Inscriptions grecques et latines de la Syrie, 1 vol. Paris. 1870
- 18 — V. Guérin, description géographique, historique et archéologique de la Palestine, accompagnée de cartes, 1<sup>re</sup> partie Judée, 3 vol.; Samarie, 2 vol.; Galilée, 2 vol. . Paris, 1868-1880
- 19 — Clermont-Ganneau-Horus et St Georges
- 20 — Itinéraire de Jérusalem à Bir el-man; (Bulletin de la société de géog. Mai 1877)
- 21 — La Palestine inconnue, Paris, 1876
- a 22 — L. Lartet, Essai sur la géologie de la Palestine et des contrées voisines, 1 vol. Paris. 1869
- 23 — Bertou (Le Che de), Essai sur la topographie de Tyr. Paris, 1843



- 24 — L. de Laborde, voyage dans l'Arabie Pétrée. 1 vol. Paris.
- 25 — Alph. Courtot, La Palestine sous les empereurs grecs, (326-632), thèse, 1 vol. Grenoble. 1869.
- 26 — G. Schlumberger, Les principautés franques du Levant, d'après les plus récentes découvertes de la numismatique, 1 vol. Paris. 1877
- 27 — Numismatique de l'Orient latin. 1 vol. Paris, 1878
- 28 — Lockroy, Route entre Tripoli et Hour noul, dans le Tour du Monde, 1862
- 29 — H. de Villefosse, Notice des monuments provenant de la Palestine et conservés au Musée du Louvre, Paris, 1876
- 30 — Michaud et Poujoulat, correspondance d'Orient. 7 vol. Paris. 1880
- 31 — G. Pierrotti, La Palestine actuelle dans ses rapports avec la Palestine ancienne. 1 vol. Paris, 1865
- 32 — Cadalvene, Campagne d'Ibrahim-Pacha en Syrie, Paris. 1841
- 33 — Moritz Sobernheim, Matériaux pour un Corpus inscriptionum arabicarum, Syrie du Nord, Le Caire, 1909
- 34 — Sacy (Le Bon Sylvestre de), Exposé de la religion des Druses<sup>s</sup> 2 vol, Paris, 1837
- 35 — Idem, Catéchisme des Nasairis, Paris
- 36 — Rousseau, Les Vahabites, les Nosairis et les Ismaélites, Marseille 1817
- 37 — R. Dusseaud, Histoire et religion des Nosairis. Paris, 1899
- 38 — Idem, Influence de la religion nosairi sur la doctrine de Rachid-al-Dine Siman, Communication à la Société Asiatique, mai 1900
- 39 — Idem, Voyage en Syrie (Revue Archéologique, 1897)
- 40 — Léon Cahun, Les Ansariés, dans le Tour du monde, 1879
- 41 — Le P. Lamoussier, Les Nosairis (Etudes religieuses, 1899
- 42 — Félix Dupon, Mémoire sur les mœurs et les cérémonies religieuses des Nosairis (Journal asiatique, 1<sup>er</sup> ser. v
- 43 — Cl. Huart, La poésie religieuse des Nosairis
- 44 — J. Hammer, Tableau généalogique des 73 sectes de l'Islam (Journal Asiatique, 1<sup>er</sup> ser. t, vi)

- 45 — Baron Rey, Exploration de la montagne des Ansariés en Syrie (Bulletin de la Société de géog., 1865).
- 46 — Stanislas Cuyard, Un Grand maître des Assassins aux temps de Saladin, Paris, 1877
- 47 — P. du Damas. voyage en Orient
- 48 — Quatrenière, Mines de l'Orient, Paris
- 49 — Reinaud. Extraits des Historiens Arabes, Paris 1829
- 50 — Ecouard Saadé, l'Agriculture à Lattaquié, (thèse agricole soutenue en 1905 à l'université de Beauvais)
- 51 — En il Catzédis, Essai sur l'agriculture du Liban et du Littoral; Beauvais
- 52 — Les ruines de Palmyre ou Tedmor au désert, 2 vol. Texte et planches, Paris, 1829
- 53 — Rouvier, les Grecs de Tripolis, Paris 1898
- 54 — J. de Goeje, Mémoire sur les Caramathes du Bahrain et les Fatimides
- 55 — Al'red Fouillée, Histoire de la Philosophie
- 56 — M. c. Defréméry, Nouvelle recherches sur les Ismaéliens ou Batiniens de Syrie
- 57 — M. Quatrenière, Notice Historique sur les Ismaéliens
- 58 — M. R, Mémoire sur les trois plus fameuses sectes du Musulmanisme; Les Wahabis, les Nosairis, et les Ismaélis
- 59 — S. Cuyard, Fragments relatifs à la doctrine des Ismaélis, dans la (XXII)me partie de Motions et Extraits; (Paris 1855)
- 60 — Defréméry, Essai sur l'Histoire des Ismaéliens ou Batiniens de la Perse (Paris 1867)
- 61 — Pavet de Courteille, Dictionnaire Turk-Oriental; Paris 1870

— المؤلفات الانكليزية —

- 1 — Ed. Robinson, Biblical researches, Londres, 1856
- 2 — Physical geography of the Holy Land, Londres, 1865
- 3 — W. Linch, Narrative of the United states expedition to river Jordan and the Dead Sea, 1 vol. Londres, 1852
- 4 — B. Tristram, The Land of Moab, travels and discoveries on the east side of the Dead Sea and the Jordan, 1 vol. Londres, 1874
- 5 — The Land of Israel, Journal of travels in Palestine, 1 vol. Londres, 1876
- 6 — Natural history of the Bible, Londres 1873
- 7 — A. Stanley, Sinai and Palestine, in connection with their history, 1 vol. Londres, 1877
- 8 — Vilon et Warren, The Recovery of Jerusalem, a narrative of exploration and discovery in the City and the Holy land, 1 vol. Londres 1870
- 9 — Ch. Warren, Undergroud Jerusalem, with a narrative of an expedition through the Gordan Valley and a visit to the Samaritans, 1 vol. Londres, 1876
- 10 — C. Conder, Tent work in Palestine, 2 vol. Londres, 1879
- 11 — H. Palmer, The desert of the exodus, 2 vol. Cambridge, 1871
- 12 — J.-L. Porter, Five years, in Damascus. with travels and researches in Palmyra, Lebanon, etc. Londres, 1870
- 13 — The Giant Cities of Bashan and Syria's holy places, 1 vol. Londres, 1870
- 14 — W. Besant et H. Palmer, Jerusalem, the City of Herod and Saladin, 1 vol. Londres, 1871
- 15 — The history of Jerusalem, Londres
- 16 — G. Williams, The Holy City. historical, topographical and antiquarian, notices of Jerusalem, 2 vol. Londres, 1849
- 17 — Barclay, The City of the Great King, 1 vol. Londres, 1857
- 18 — Mac Gregor. The Rob. Roy on the Jordan, 1 vol. Londres, 1876
- 19 — C. Schick, Recent excavations at Jerusalem

- 20 — Rev. S. Lyde, The Ansyræh and Ismaâleeh Londres 1853  
 21 — Smith, Dictionary of Greek and Roman Geography, Londres, 1854  
 22 — Burckhardt, Travels in Syria and the holy Land 1 vol. Londres, 1822

## — المؤلفات الأورانية —

- 1 — Dr Frass, Drei monate am Libanon, Stuttgart. 1876  
 2 — Geologische Beobachtungen am Nil, auf den Sinai-Halbins und in Syrien, Stuttgart, 1867  
 3 — G. wetzstein, Reisebericht über Haouran und die Trachonen, 1 vol. Berlin, 1860  
 4 — Kotschy ; Reise in den Cilischen Taurus über Tarsus, Gotha. 1858  
 5 — Van de Velde, Reise durch Syrien und Palestina, in den Jahren 1851 und 1852, 2 vol. Leipzig, 1855  
 6 — Georg. Ebers, Durch Gosen zuna Sinai, 1 vol. Leipzig, 1872  
 7 — Brugch, wanderung nach den Turkis-Minen und der sinai Halbinsel, 1 vol. Leipzig, 1868  
 8 — A. von Kremer, Die Heindengemeinden der Nosairyer im nordlichen Syrien und in Cilicien, Das aus Land, 1872  
 9 — M. Hartmann, Das Liwa el-Ladkidje und die Nahije und die Nahje Urdu, das Z.D.P.V., t. XIV  
 10 — Sachau, Reise in Syrien und Mesopotamien, Leipzig, 1883  
 11 — Chwolsohn, Die Ssabier und der Ssabismus, St Pétershourg, 1856  
 12 — Brockelmann, geschichte der arabischen Litterature, weimar 1898  
 13 — Roehricht, Geschichte des Koenigreichs Jerusalem  
 14 — Zeitschrift fur Egyptische sprache und alterthamskunde, Leipzig  
 15 — Zeitschrifts d. deutsche morgenlandische Gesellschaft, Leipzig

## جدول الخطأ والصواب

خطأ	سواب	سطر	صفحة
خصائص الشعوب	طبقات الارض	١١	٤
تعذب	تعذب	٢٧	٧
واحرزوا	واحرزوا	٩	٨
golgotha	golgotha	١٩	٨
ن	ان	٢٢	٨
الجبل موطناً	الجبل كان موطناً	٢٢	١٣
فحميت	فحمية	٤	١٤
الصيف ٤٠	الصيف الى ٤٠	٤	١٧
وتوكنان	وتركنان	٢٤	٢٥
هه روروت	هه رودوت	٢٣	٢٦
يحترمون	يحترمن	٢٦	٣٣
لقوم	القوم	٢	٣٦
وولها	وولغا	١٢	٣٦
خوارد	خوارزم	١٣	٣٧
هم من	م	١٢	٣٨
عن عشرات	على عشرات	١٨	٤٢
سلمنا	سلمنا	٢٥	٤٦
الترد	التردد	١٧	٥٥
مؤسيسهم	مؤسسيها	١٥	٥٦
دانتشارهم	وانتشارهم	٢٥	٦١
١٨٦٤	٨٦٤	٣٠	٦٣
انجاب	اعجاب	٧	٦٦
روج	روح	١٨	٦٤
خلفها	خلفها	٢٤	٧٢
secte	sectes	٢٨	٧٢

صواب	خطأ	سفر	صفحة
اهراق	لا هراق	٢	٧٤
واقعت	واقعت	١	٧٢
نمذج	نموزج	٣	٧٦
والولدان	والولده ن	٣	٧٦
« بنى الارتق »	« ابن الارتق »	١٩	٨٠
بنى طفتكين	بن طفتكين	٢٩	٨٠
على ان	ان	٢٦	٨١
الافلاطونية الحديثة	اللا افلاطونية	٦	٩٨
بان	ان	٢٤	٩٨
الافلاطونية الحديثة	اللا افلاطونية	٨	٩٩
الافلاطونيون الحديثون	اللا افلاطونيون	١٢	٩٩
الافلاطونية الحديثة	اللا افلاطونية	٢٠	٩٩
الافلاطونية الحديثة	اللا افلاطونية	١٨	١٠٠
<i>gobineaux</i>	<i>gobineaus</i>	٢٤	١٠٥
التاريخ	التاريخ	٢٦	١٠٧
من الجنود	خدماً	٤	١٠٩
والاسم هو	والاسم	١٩	١٠٩
تنتقل	اتنقل	١٥	١١٦
السياسة	السياسة	١٣	١٣٤
وطنى المحبوب	وطنى الجبوب	٢٣	١٣٦
متواصلاً	متصلاً	٢٦	١٣٧
موصولة بلوائى	موصلة فى لوائى	٥	١٣٨
ويتين	يتين	٦	١٣٨
والا	وعليه	٨	١٤٠
لا تنس	لا تنسى	٢٢	١٤٠
الرهينة	الرهنية	١٢	١٤١
<i>Elieoalizers</i>	<i>Elieoalizers</i>	١٤	١٤٩
<i>Ordre</i>	<i>Ordre</i>	٢٨	١٤٩

صواب	خطا	سطر	صفحة
في الظن	على الظن	١٦	١٥١
وعن اليقين	ومن اليقين	٤	١٧٧
كن يأتين	كانوا يأتون	٢٥	١٧٧
يمينها	يمينهم	٢٠	١٨١
وقد	او قد	٢٠	١٨١
الزيتون	لزيتون	٢١	١٨١
الذي	التي	٤	١٨٢
فهي تتعالى	نتعالى	٤	١٨٣
ثلاثا	ثلاثان	١٦	١٨٤
لم تعزب	لم تعرب	١١	١٨٥
النموزجية	النموزجية	٢٠	١٨٥
ثلاث	ثلاثة	٨	١٨٩
لدات	تولدات	١٠	١٩٢
عن الاراضي	من الاراضي	٥	١٩٧
من	عن	٣	٢٠٠
وعرضها	وعرضهم	١٧	٢٠٠
لا تزال	لا يزال	٦	٢٠٢
نموزج	نموزج	٢١	٢٠٢
عابدي	عابدي	٢٩	٢٠٢
عددها	عددهن	٢٢	٢٠٦
جامعا	جامع	١٢	٢٠٦
الذوق	الذق	٧	٢٠٨
تعداد	تعدد	١١	٢٠٩
فنها	فنههم	٣٠	٢٠٩
الى	لى	٢٤	٢١٠
عددها	عددهم	٤	٢١١
الى	على	١٢	٢٢٩
عنها	عنه	١٨	٢٣١

صواب	خطأ	سطر	صفحة
الروحي	الرحي	٩	٢٣٦
الطبيعية	الطبيعة	١٥	٢٤٠
لقدره	لقده	١٧	٢٤٢
هذه	هؤلا	١٠	٢٤٦
الكلمات	الكلامات	٣	٢٤٨
المقدرة	القدرة	١٦	٢٤٨
وحولها	وحولهم	٤	٢٤٩
نقت	نقت	٩	٢٥١
نساها	نساها	١٠	٢٥١
الياقوت	اليلفون	١١	٢٥١
وثلاثة	ثلاثة	٢٠	٢٥١
نال	نال على	٩	٢٥٥
وهي	وهم	٢١	٢٥٦
الغاية	اله	١	٢٥٧
ثلاث	ثلاثة	٣	٢٦٢
ما يمكنها	ما يمكننا	٤	٢٦٣
وتقطعوا	وتقطعون	٢٦	٢٦٣
Reoue	Reoue	٢٨	٢٦٤
استردوه	استرده	٨	٢٧٢
Coallih	Cuallih	١	٢٧٣
ذلك	تلك	٣	٢٧٥
ولا ادرى	ولا ارى	١٠	٢٧٥
خان العبد	خان الايده	٢٧	٢٧٥
الكسى	الكس	١٧	٢٧٧
معظمها	معظمها	١٧	٢٧٧
على الافراد	على الانفرا	١٣	٢٧٩
حكارى	حكاردى	١٤	٢٧٩
باسم	رباسم	٢٣	٢٨٠



صواب	خطا	سطر	صفحة
بنسبة	بنسبة	١٥	٢٨٤
فيهم	فهم	٢٧	٢٨٤
الطبيعية	الطبيعية	١	٢٨٥
الاول	الاولى	١٣	٢٨٦
الطباع	الطبايع	٩	٢٨٨
جاءت	جاؤا	١١	٢٩٣
لتكون	ليكونوا	١٢	٢٩٣
يتربصن	يتربض	٢	٢٩٤
الذين	التي	١	٢٩٦
نطلع	نستطع	٩	٢٩٨
العرمان	السمران	٧	٣٠٠
في	الى	٢٤	٣٠١
des	de	٢٤	٣٠٢
ولها حصن	وحصن	١٤	٣٠٣
الشنا	الستا	١٢	٣٠٤
جهتها	جهتها	١٤	٣٠٤
لهما	لها	١٩	٣٠٤
الى هذا	لهذا	٢٥	٣٠٦
فعلى	فلى	١٥	٣٠٩
هى	هم	٢٨	٣١٠
الادوار	الادوار	٨	٣١٢
يجب	يجب	٢٠	٣١٣
لتخدير	لتخدير	١٦	٣١٨
هى العربية	العربية	١٩	٣١٨
الحصنين	الحصنين	٢٥	٣١٨
تتسلسل	يتسلسلن	٢٣	٣٣٤
بها	به	١	٣٣٨
الست	است	١٦	٣٣٨

صواب	خطأ	سطر	صحيفة
عند	عندى	٨	٣٤٢
ديهم	م	٩	٣٤٣
التور	التور	٨	٣٤٨
فقوله	فقولة	١	٣٦٢
مطران	متران	١٥	٣٦٣
بهذه	بهذا	٢٣	٣٧١
العربي	العربي	١	٣٧٢
الايام	الايام	٦	٣٧٢
حملة	لحملة	٢٥	٣٧٤
هذه	هذا	٢٦	٣٨٤
عبار	عبارت	١	٣٨٩
خوابي	خوالى	١٣	٣٩١
اعمال	عمال	٤	٣٩٥
ترجي	مرجي	٢٠	٣٩٦
١٣١٢	١٣٢٢	٢١	٣٩٧
وادعيتهم ان	ودعيتهم ن	٨	٤٠٦
يهتمون	يهتم ن	١٦	٤٠٦
بمدلوله	بمدلوله	١٨	٤٠٦
اهم	من اهم	٢١	٤٠٦
حل	ل	٢٣	٤٠٦
بتلك الضلالة القديمة ام لا ؟	٠	١٥	٤٠٧
ليلة	ليلة	١٨	٤٠٧
الشرق	الشرق	٩	٤١٧
والجنوب	والجنوب	١٤	٤١٧
«٢٠٠» نسمة وىروى	«٢٠٠»	٧	٤١٨
والزراعة	والزور	٨	٤١٨
الماشية	الماشية	٤	٤١٩
من	ن	٤	٤١٩

صواب	خطا	سطر	صحيفة
افراد	افرد	١٦	٤١٩
جبله	جبله	١	٤٢٠
اعز	او عز	٩	٤٢٢
يجعلوا	يجعلون	٧	٤٢٣
الطبيعة	الطبيعة	٢٢	٤٢٤
القلعة	القلعة	١٧	٤٣٤
دعامة	دعامة	١٨	٤٣٤
السواح	الواخ	٣	٤٣٥
الفضاء	القضاء	١٠	٤٣٥
الفضاء	القضاء	١٣	٤٣٥
وطيف	وطف	١٥	٤٣٥
تكاد ان تكون	تكاد تكون	٢٠	٤٣٦
بابنا	بابنا	٥	٤٣٧
حتى ولا بالاقوام	حتى بالاقوام	٢٩	٤٤١
اسماع	ع	١	٤٤٣
التمردين	التمردين	٢	٤٤٣
التمدنة	التمدنة	٥	٤٤٣
تسع	تسعة	٨	٤٤٣
اللغات	للغات	٢٤	٤٤٤
لنبتج	نبتج	٨	٤٤٥
واخضره	واخضر	٢	٤٤٦
مرد	ممد	٣	٤٤٦
الفضاء	القضاء	١٠	٤٤٦
الاطلسي	الاطلس	٦	٤٥٤
الجامع	جامع	١٦	٤٥٥
وتوجد	وتوجد	٢٤	٤٥٥
عن	على	٢٤	٤٥٨
عما	ما	٢٨	٤٦٥

جدول الخطأ والصواب

صواب	خطأ	سطر	صفحة
تقول	تقول	١٧	٤٦٦
٢٥٥	٥٣٥	١٩	٤٦٧
(١٢٠٠) طن	(١٢٠٠)	٢٢	٤٦٧
اوساط	وساط	٣	٤٦٩
افرادها	فرادها	٤	٤٦٩
يكون	تكون	٢٥	٤٧١
ويسمونها	ويسمونه	٩	٤٧٣
خائقته	خلقه	٢٨	٤٧٤
البرازين	البرازين	٢٤	٤٨٧



## الفهرست

رقم الصفائف

المواضيع

٤

مقدمه الجلد الثانى

٦

المدخل

## المباحث العمومية

١ - موقع لوائى طرابلس واللاذقية وحدودهما ومساحتهما

١٢

١ - الموقع والحدود

١٢

٢ - المساحة

٢ - الاحوال الطبيعية فى القسم الشمالى

١٢

١ - الجبال

١٤

٢ - الانهار

١٥

٣ - الاقليم

١٨

٤ - طبيعة التراب فى سورية

٢٣

٥ - النفوس

٢٥

٦ - السكان : التركمان

٢٥

١ . اصل التركمان ومنشأهم

٣١

٢ . اقسام التركمان

٣٢

٣ . احوال التركمان الاجتماعية

٣٤

٤ . ملخص تاريخ التركمان

٣٤

١ اول ملوك التركمان

٣٥

٢ حكومة السلجوقيين والتركمان

٣٦

٣ مهاجرة التركمان

٣٧

٤ الحكومة العثمانية والتركمان

٣٨

٥ التركمان فى آسيا الصغرى

- ٣٩ ٦٠ اشارة ذى القدرية  
 ٤٠ ٧٠ آل رمضان  
 ٤١ ٨٠ حكومات « قمر قوبونلى » و « آق قوبونلى »  
 ٤٣ ٥٠ تركمان يديوت

## ٧ - الاديان والمذاهب

- ٤٨ ١ - الاسماعيليه والاسماعيليون  
 ٤٨ ١٠ الفرق الاسلاميه  
 ٥٢ ١ المتزله  
 ٥٣ ٢ المشبهه  
 ٥٣ ٣ القدرية  
 ٥٣ ٤ الجبرية  
 ٥٣ ٥ المرجئة  
 ٥٤ ٦ الحرورية  
 ٥٤ ٧ التجازية  
 ٥٤ ٨ الجهمية  
 ٥٤ ٩ الخوارج  
 ٥٥ ١٠ الشيعة  
 ٦١ ٢٠ كيفية ظهور الاسماعيليين وانتشارهم  
 ٦٨ ٣٠ ملخص تاريخ الاسماعيليين  
 ٦٨ ١ الدولة العبيدية  
 ٧٠ ٢ حكومة القرامطة  
 ٧١ ٣ الدولة الاسماعيلية الشرقية  
 ٧٤ ٤ مؤسسات حسن الصباح السياسية  
 ٧٧ ٥ ملكشاه والاسماعيليون  
 ٧٧ ٦ بركياروق والاسماعيليون  
 ٧٩ ٧ محمد السلجوقي والاسماعيليون  
 ٨٠ ٨ سنجر والاسماعيليون  
 ٨٠ ٩ الاسماعيليون في سورية  
 ٨٢ ١٠ ايام محمد الثانى والاسماعيليون  
 ٨٢ ١١ صلاح الدين الايوبي والاسماعيليون  
 ٨٣ ١٢ آخر ايام الاسماعيليين  
 ٨٤ ٤٠ دعوة الاسماعيليين وتعاليمهم الدينية  
 ٨٥ ١ الدعوة الاولى  
 ٨٧ ٢ صورة العهد  
 ٩٠ ٣ الدعوة الثانية والثالثة  
 ٩١ ٤ الدعوة الرابعة

## ولاية بيروت

٩٢	٥ الدعوة الخامسة
٩٢	٦ الدعوة السادسة
٩٣	٧ الدعوة السابعة
٩٣	٨ الدعوة الثامنة
٩٤	٩ الدعوة التاسعة
٩٥	٥٥ أسس الاسماعيليين الفلسفية
١٠٣	٢ — النصيرية

١٠٣	١ مقدمة تاريخ النصيرية
١٠٥	٢ الديار والنفوس
١٠٦	٣ منشأ النصيريين
١٠٧	٤ تاريخ النصيرية
١٠٩	٥ دين النصيرية
١١٤	٦ أقسام النصيريين
١١٧	٧ تقاليد الدحول في النصيرية
١١٩	٨ أعياد النصيريين
١٣١	٩ الطمن في النصيرية
١٢٣	١٠ كتاب المجموع

١٢٣	١ سورة الاول
١٢٤	٢ سورة تقديس ابن الولي
١٢٤	٣ سورة تقديس ابي سعيد
١٢٥	٤ سورة النسبة
١٢٦	٥ سورة الفتح
١٢٧	٦ سورة السجود
١٢٨	٧ سورة السلام
١٢٩	٨ سورة الاشارة
١٢٩	٩ سورة العين العلوية
١٣٠	١٠ سورة الشهادة
١٣١	١٢ سورة الامامية
١٣١	١٣ سورة المسامرة
١٣٢	١٤ سورة البيت المعمور
١٣٢	١٥ السورة الحجابية
١٣٢	١٦ السورة التقيدية

١٣٣ - ٨ — المهاجرة

١٣٨ - ٩ — الآثار النافعة

- ١٠ — نبذة من تاريخ سورية

٥٠٩

١٤٢

١٤٧

١ - الممالك البحرية  
٢ - الصليبيون في سورية

٢٠

## ١١ - الكتابات التاريخية

١٥١

- ١ - كتابة السلطان خليل في الجامع الكبير الطرابلسي
- ٢ - كتابة محمد الناصر في الجامع الكبير الطرابلسي
- ٣ - كتابة الامير قرطاي على المنبر
- ٤ - صورة امر السلطان صالح
- ٥ - كتابة الامير ازدمير
- ٦ - صورة منشور السلطان قايتباي
- ٧ - كتابات جامع طايلان
- ٨ - وقفية " " "
- ٩ - كتابة منبر جامع طايلان
- ١٠ - منشور السلطان شعبان
- ١١ - كتابة السلطان سليمان القانوني
- ١٢ - وقفية الواقف في جامع السكرية
- ١٣ - كتابة المدرسة الخاتونية
- ١٤ - كتابة المدرسة الرفاعية
- ١٥ - كتابة السلطان قايتباي في جامع آردغون شاه
- ١٦ - مرسوم السلطان قايتباي في جامع الدماغين
- ١٧ - كتابة اخرى في جامع الدماغين
- ١٨ - كتابة جامع المعلقة
- ١٩ - كتابة جامع الطوما
- ٢٠ - كتابة مدرسة حسن
- ٢١ - كتابة جامع البرطاسي
- ٢٢ - كتابة جامع عكار العتيقة
- ٢٣ - كتابة السلطان بيبرس في حصن الاكراد
- ٢٤ - " " " "
- ٢٥ - " " " "

١٦٧



- ١٦٧ — ٢٦ — كتابة السلطان قلاون  
 ١٦٧ — ٢٧ — كتابة السلطان محمد بن قلاون  
 ١٦٨ — ٢٨ — كتابة اخرى في حصن الاكراد

## الجبامات المحلية

## ١ - ربوع لبنان

- ١٧٠ — ١ — من بيروت الى البترون  
 ١٧٨ — ٢ — من البترون الى طرابلس

## ٢ - لواء طرابلس الشام

- ١٨٢ — ١ — الموقع والحدود  
 ١٨٢ — ٢ — الاحوال الطبيعية  
 ١٨٢ — ٠١ — الجبال والانهار  
 ١٨٣ — ٠٢ — الاقليم  
 ١٨٣ — ٠٣ — العواصف والرياح والامطار  
 ١٨٤ — ٣ — عدد نفوس اللواء  
 ١٨٤ — ٤ — المعارف في اللواء  
 ١٨٧ — ٥ — الزراعة في اللواء  
 ١٨٧ — ٠١ — معلومات مجملة  
 ١٨٨ — ٠٢ — الاحوال والمحصولات الزراعية  
 ١٩٠ — ٦ — الاحراج والمعادن

## ٣ - مركز قضاء طرابلس الشام :

- ١٩١ — ١ — الموقع والحدود  
 ١٩١ — ٢ — المساحة والنفوس  
 ١٩٢ — ٣ — المعارف  
 ١٩٤ — ٤ -- المستغلات الزراعية  
 — ٥ — الآثار القديمة والمواقع المشهورة :

- ١٦٥ ٠١ في طرابلس والمينا  
١٦٥ ٠٢ ناحية ارواد وآثارها  
١٦٧ ٠٣ ناحية طرطوس وآثارها القديمة  
١٦٩ ٠٤ خرائب اسريت

## - ٤ - طرابلس الشام

- ٢٠٠ ١ - منظر طرابلس وضواحيها  
٢ - الخطوط الداخلية في طرابلس :

- ٢٠٣ ٠١ سعة القصبة وبنائها  
٢٠٨ ٠٢ محلات طرابلس وطرفها وجسورها  
٢١٠ ٠٣ ماء طرابلس  
٢١١ ٠٤ المتزهات والمقاصف

## ٣ - الاحوال العمومية

- ٢١١ ٠١ قصبة طرابلس الشام  
٢١٢ ٠٢ عدد السكان  
٢١٣ ٠٣ مجمل تاويخ طرابلس  
٢١٦ ٠٤ بلدية طرابلس  
٢١٧ ٠٥ بساتين الليمون  
٢١٧ ٠٦ اشجار الزيتون وطبخ الصابون  
٢١٨ ٠٧ تجارة الحرير  
٢١٩ ٠٨ خط الترام بين طرابلس والمينا  
٢٢٠ ٠٩ مستشفى عزى بك  
٢٢٠ ٠١٠ المشاريع المالية والصناعية  
٢٢١ ٠١١ مصرف الذوق وعبد الواحد  
٢٢٢ ٠١٢ معمل الاثاث

## ٤ - الاحوال الاجتماعية في طرابلس

- ٢٢٤ ٠١ طبقات الاهالى ونسق المعيشة  
٢٣٠ ٠٢ الارقام الاجتماعية  
٢٣٢ ٠٣ العادات الاجتماعية

## ٥ - الاحوال الروحية

- ٢٣٥ ٠١ الزواج والاخلاق والطباع  
٢٣٨ ٠٢ الحالة الروحية  
٢٤١ ٠٣ مناقب الشيخ العري

- ٦ — الاحوال الصحية في طرابلس  
١. الحالة الصحية  
٢. امراض البلدة والامراض الطارئة
- ٧ — اللغة والادبيات والفنون الجميلة  
١. اللغة  
٢. الادبيات والفنون الجميلة
- ٨ — النهضة العلمية وحياة الطباعة  
١. النهضة العلمية  
٢. حياة الطباعة

٢٤٣

٢٤٤

٢٤٧

٢٤٩

٢٥٥

٢٦١

٢٦٣

٥ - الى حلبا

٦ - عكار

- ١ — موقع قضاء عكار وحدوده  
٢ — مساحة القضاء وعدد سكانه  
٣ — الاحوال العمومية في القضاء  
٤ — معارف القضاء  
٥ — الفلال الزراعية في القضاء  
٦ — الآثار القديمة في القضاء  
٧ — موقع حلبا ومنظر ضواحيها  
٨ — الخطوط الداخلية في حلبا  
٩ — الاحوال العمومية في حلبا  
١٠ — الاحوال الاجتماعية  
١. الحياة الاجتماعية في حلبا  
٢. العادات الاجتماعية في حلبا  
٣. الاحوال الاجتماعية في قضاء عكار  
٤. الأرقام الاجتماعية
- ١١ — الاحوال الروحية  
١٢ — الاحوال الصحية  
١٣ — اللغة والادبيات

٢٦٧

٢٦٧

٢٦٨

٢٧٠

٢٧١

٢٧١

٢٧٣

٢٧٤

٢٧٥

٢٧٦

٢٧٨

٢٧٩

٢٨٣

٢٨٣

٢٨٦

٢٨٧

- ٧ - في جبال عكار

- ٢٩٩ ١ - من حلبا الى الكواشره  
٢٩٣ ٢ - ديار التركان  
٢٩٨ ٣ - من كواشره الى تلكلخ

- ٨ - حصن الاكراد

- ٣٠٠ ١ - موقع القضا' وحدوده واحواله الطبيعية  
٣٠١ ٢ - مساحة القضا' وعدد سكانه  
٣٠١ ٣ - احوال القضا' العمومية  
٣٠٢ ٤ - الاحوال الزراعية في القضا'  
٣٠٢ ٥ - الآثار القديمة في القضا'  
٣٠٤ ٦ - موقع تلكلخ ومنظرها وخطوطها الداخلية  
٣٠٥ ٧ - الاحوال العمومية في تلكلخ  
٨ - الاحوال الاجتماعية  
٣٠٦ ١٠١ - الحياة الاجتماعية في تلكلخ  
٣٠٧ ١٠٢ - الحياة الاجتماعية في حصن الاكراد  
٣٠٩ ١٠٣ - العادات الاجتماعية  
٣١١ ٩ - الاحوال الروحية والسوية الفكرية  
٣١٦ ١٠ - الاحوال الصحية  
٣١٨ ١١ - اللغة والادبيات

- ٩ - بين تلكلخ وبرمانا

- ٣٢٠ ١ - يومنا الاخير في تلكلخ  
٣٢٢ ٢ - نحو انحاء حذور  
٣ - تركان ناحية حذور  
٣٢٤ ١٠١ - ناحية حذور  
٣٢٥ ١٠٢ - تركمان حذور  
٣٢٦ ٤ - نحو برمانه

- ١٠ - صافيتا

٣٢٨	١ - موقعها وحدودها
٣٢٨	٢ - مساحتها وعدد سكانها وشؤونها الادارية
٣٣٠	٣ - الاحوال العمومية في القضاء
٣٣١	٤ - الفلاحة الزراعية
٣٣١	٥ - الآثار القديمة
٣٣٣	٦ - حالة برمانه ومناظر ضواحيها
٣٣٤	٧ - خطوط برمانه الداخلية
٣٣٦	٨ - الاحوال العمومية في برمانه
	٩ - الاحوال الاجتماعية :
٣٣٦	١٠ - الحياة الاجتماعية في قضاء صافيتا
٣٤١	١٠٢ - العادات الاجتماعية
٣٤٢	١٠٣ - الارقام الاجتماعية
٣٤٤	١٠ - الحالة الروحية
٣٤٦	١١ - الاحوال الصحية

- ١١ - الادبيات النصيرية

٣٤٨	١ - الحالة الروحية في النصيريين
٣٥٢	٢ - الحالة الادبية في النصيريين
٣٥٥	٣ - تاريخ ادبيات النصيريين
	٤ - اشعار النصيريين الدينية :
٣٥٨	١٠١ - الاماشيد الثلاث
٣٥٩	١٠٢ - قصيدة الهبوط
	١٠٣ - مراثي الديوان :

٣٦٠	١ - اشعار السكلازين الدينية
-----	-----------------------------

٣٦٢	٢ - اشعار السماليين الدينية
-----	-----------------------------

٣٦٣	٣ - اشعار القرواها قلهمان هوآر
-----	--------------------------------

٣٦٤	
-----	--

- ١٢ - من برمانه الى طرطوس

- ١٣ - طرطوس

٣٦٧	١ - موقع طرطوس ومنظرها وخطوطها الداخلية
-----	-----------------------------------------

- ٢ — الاحوال الاجتماعية  
١ . الحالة الاجتماعية في طرطوس  
٢ . الاحوال الاجتماعية في الناحية

٣٦٩

٣٧٠

٣٧١

١٤ — من لوا' الى آخر : بين طرطوس وبانياس

٢٥ — لوا' اللادقية

٣٧٣

١ — موقع اللوا' وحدوده

٢ — الاحوال الطبيعية في اللوا'

٣٧٣

١ . الجبال، والانهار

٣٧٤

٢ . الاقليم

٣٧٤

٣ . الاطوار

٣٧٥

٤ . طبيعة التراب

٣٧٥

٣ — سكان اللوا'

٤ — الامور الزراعية في اللوا'

٣٧٦

١ . الاحوال العمومية

٣٧٧

٢ . الفلال الزراعية

٣٨١

٥ — الاحراج والمعادن

١٦ — قضاء' مرقب .

٣٨٢

١ — موقع القضاء' وحدوده

٣٨٢

٢ — مساحة القضاء' وسكانه

٣٨٤

٣ — الاحوال الطبيعية في القضاء'

٣٨٥

٤ — احوال القضاء' العمومية

٣٨٦

٥ — الفلال الزراعية في القضاء'

٣٨٦

٦ — الآثار القديمة في القضاء'

٣٨٨

٧ — موقع بانياس ومنظر ضواحيها

٣٨٩

٨ — الخطوط الداخلية في بانياس

٩ — الاحوال الاجتماعية :

٣٩٠

٣٩١

٣٩٤

- ٠١ الحالة الاجتماعية في بانياس  
٠٢ الاحوال الاجتماعية في قضاء سمرق  
١٠ — الاحوال الصحية

١٧ — البحث المهي عن الاسماعيليين :

٣٩٥

٣٩٦

٣٩٨

٤٠١

٤٠٦

٤٠٧

٤٠٧

٤٠٩

- ١ — اسماعيليو بيروت  
٢ — اسس الاسماعيليين الحالية  
٣ — شكل الاسماعيلية اليوم :  
٠١ استعانة الاسماعيلية  
٠٢ عبادة الاسماعيليين وادعيتهم  
٠٣ التظاهرات الدينية  
٠٤ الطعن في الاسماعيليين وقدعهم  
٤ — الاحوال الاجتماعية في الاسماعيليين

١٨ — من بانياس الى جبلة

١٩ — جبلة :

٤١١

٤١١

٤١٤

٤١٥

٤١٦

٤١٦

٤١٨

٤٢٠

٤٢٤

٤٢٦

- ١ — موقع القضاء وحدوده  
٢ — المساحة والسكان والاحوال الادارية  
٣ — الاحوال الطبيعية في القضاء  
٤ — الاحوال العمومية في القضاء  
٥ — الفلال الزراعية في القضاء  
٦ — مناظر جبلة وضواحيها وخطوطها الداخلية  
٧ — الاحوال الاجتماعية :  
٠١ الاحوال الاجتماعية في جبلة  
٠٢ الاحوال الاجتماعية في قضاء جبلة  
٨ — الاحوال الصحية  
٠١ معلومات عمومية  
٠٢ الامراض المحلية والطارئة

- ١ - موقع القضا وحدوده ٤٣٠
- ٢ - مساحة القضا وسكانه واحواله الادارية ٤٣١
- ٣ - الاحوال الطبيعية في القضا ٤٣٢
- ٤ - الاحوال العمومية في القضا ٤٣٢
- ٥ - الآثار القديمة في القضا ٤٣٣
- ٦ - موقع بابنا ومنظر ضواحيها وخطوطها الداخلية ٤٣٥
- ٧ - الاحوال الاجتماعية :

- ٠١ الحالة الاجتماعية في بابنا ٤٣٧
- ٠٢ الحالة الاجتماعية في صهيون ٤٣٩
- ٠٣ تبة ٤٤٢

- ٨ - الاحوال الصحية ٤٤٤

- ١ - موقع القضا وحدوده ٤٤٧
- ٢ - مساحة القضا وعدد سكانه ٤٤٧
- ٣ - امور المعارف في القضا ٤٤٩
- ٤ - الاحوال الزراعية في القضا ٤٥١

- ١ - موقع اللاذقية ومنظر ضواحيها ٤٥٤
- ٢ - الخطوط الداخلية في اللاذقية ٤٥٦
- ٣ - الاحوال العمومية :

- ٠١ قصبة اللاذقية ٤٥٩
- ٠٢ عدد السكان ٤٥٩
- ٠٣ سجل تاريخ اللاذقية ٤٦٠



٤٦١  
٤٦٢  
٤٦٤  
٤٦٦

- ٤ - بلدية اللاذقية  
٥ - المعارف  
٦ - الاحوال الاقتصادية في اللاذقية  
٧ - صرفاً اللاذقية  
٤ - الاحوال الاجتماعية في اللاذقية :

٤٦٧

١ - الحياة العمومية والاجتماعية

٤٧١

٢ - العادات الاجتماعية

٤٧٣

٥ - الاحوال الصحية

٤٧٥

٦ - اللغة والادبيات وحياة الطباعة

٤٧٩

- ٢٥ - تركان اللاذقية

٤٧٩

١ - الاحوال الاجتماعية والروحية

٤٨١

٢ - اللغة والادبيات

٤٨٧

- ٢٦ - القفول

### الملاحق

٤٩٠

١ - المؤلفات الجديدة بالذكر

٤٩٨

٢ - جدول الخطأ والصواب

٥٠٦

٣ - الفهرست

## الرسوم والمخطوطات

### مخطوطات

١٣٨-١٣٩

١٤٠-١٤١

١٥٢-١٥٣

١٥٤-١٥٥

١٩٨-١٩٩

٢٠٠-٢٠١

٢٠٤-٢٠٥

٢٠٨-٢٠٩

٢١٠-٢١١

٢٢٠-٢٢١

٢٢٠-٢٢١

٣٠٠-٣٠١

٣٠٢-٣٠٣

٣٣٢-٣٣٣

٣٦٨-٣٦٩

٣٨٨-٣٨٩

٤٣٤-٤٣٥

٤٥٥-٤٥٦

٤٥٧-٤٥٨

خريطة الطرق والمعابر في سورية

جدول الطرق في سورية

مدير الظريف في الجامع الكبير الطرابلسي

كبر ابواب الجامع الكبير الطرابلسي

المخطوط الداخلية في قلعة طرطوس

طرابلس الشام

خريطة طرابلس والاسكندرية

اسكندرية طرابلس الشام

شارع الزهرية في طرابلس الشام

مستشفى عيسى بك في طرابلس الشام

غرفة للمرضى في مستشفى عيسى بك

حصن الأكراد

خريطة قلعة حصن الأكراد

المخطوط الداخلية في حصار صافيتا

معبد في طرطوس من آثار الصليبيين

المخطوط الداخلية في قلعة مرقب

المخطوط الداخلية في قلعة صهيون

مرقا اللاذقية

جامع الشيخ المغربي في اللاذقية